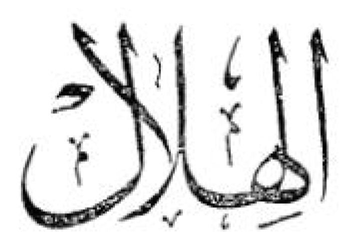


الهلال

الجزء الاول من السنة السابعة عشرة

١ اكتوبر (ت ١) ١٩٠٨ و ٦ رمضان سنة ١٣٢٦



اشهر الحوادث واعظم الرجال

الانقلاب السياسي العثماني

تمهيد

اهل الذمة في المملكة الاسلامية

فتح المسلمون مصر والشام والعراق وفارس وسائر بلاد الشرق الادنى بعضها عنوة بالسيف وبعضها صلحاً وأنشأوا دولة شعارها الاسلام وتركوا اهل البلاد المفتوحة على ما كانوا عليه قبل الفتح يدينون بما يشاؤون • وهم يقسمون من حيث الدين والجنس الى قسمين كبيرين يستقل كل منهما بدينه وعاداته وبلاده يفصل بينهما دجلة : احدهما شرقي يدخل فيه بلاد فارس وخراسان وما وراءها • والثاني غربي يشمل العراق والشام ومصر • وكانت الديانة الغالبة في فارس عند الفتح المجوسية او الزردشتية وديانة اكثر اهل العراق والشام ومصر النصرانية • فالفرس لم يستطيعوا الاحتفاظ بدياناتهم لذهاب دولتها بالفتح فذهبت المجوسية واندمج اهلها في المسلمين • اما اهل العراق والشام ومصر وما يليها فظلوا على نصرانيتهم لارتباطها بمركز النصرانية في القسطنطينية عاصمة دولة الروم • فكانوا يخضعون للمسلمين من

حيث السياسة والادارة وللروم من حيث الدين . وكثيراً ما كان يأتيهم القسيسون والاساقفة من القسطنطينية او انطاكية ولسانهم لسان دولة الروم . وكان المسلمون يعترفون لصاحب القسطنطينية بسيادته على نصارى الشام في طقوسهم الدينية واحوالهم الشخصية فاذا حدث ما يمس هذه السيادة احتج ملك الروم على الخليفة

وكانت العلائق الدينية متواصلة بين نصارى الشرق ودولة الروم ولا يخفى ما للدين من التأثير في ارتباط القلوب واتحاد الاغراض ولاسيا في ذلك العصر . فكانت اعناق نصارى الشام ومصر في قبضة المسلمين وقلوبهم مع الروم . وكان الروم يستخدمون نفوذهم الديني في تحويل قلوب النصارى عن حكامهم المسلمين طمعاً في استرجاع تلك البلاد الى حوزتهم . وقد حاولوا ذلك مراراً وباشروه غير مرة فلم يفلحوا . وساء المسلمون الظن في رعاياهم المسيحيين فشددوا النكير عليهم واحصوا حركاتهم وسكناتهم والنصارى يزدادون بذلك تحيزاً للدول النصرانية حتى آل ذلك بتوالي الازمان الى الحروب الصليبية

ونشأت على أثر ذلك الدولة العثمانية فجمعت شمل المسلمين واعادت مجد الاسلام لكنها وسعت المملكة من جهة الغرب الشمالي ففتحت قسماً كبيراً من اوربا فدخل في سلطانها امم كثيرة من اجناس مختلفة وفيهم السلافي والروماني واليوناني والالباني والنمساوي وهم يختلفون في لغاتهم ومذاهبهم وعاداتهم . ناهيك بالاختلافات الجنسية في سائر المملكة الشرقية بالشام ومصر واسيا الصغرى وفيهم السوري والمصري والمغربي والكردي والارمني والفارسي والرومي والعربي وغيرهم

لكن هذه الامم مع اختلافها جنساً ولغة فقد كان اكثرها يدين بالنصرانية ولم يتخذ العثمانيون وسيلة لتوحيد الاجناس التي دخلت في سلطانهم . ونشأت الدول الاوربية الحديثة في اثناء ذلك وطمعت في الشرق او ارادت الانتقام لما اصاب اباؤهم من الفشل في الحروب الصليبية فاخذت تضرب على طنبور الدين وتغري نصارى الشام ومصر وارمينيا وغيرها بالميل اليها باسم الدين عن طريق التعليم او الاحسان او التبشير ففتحوا المدارس وانشأوا الكنائس وبثوا عوامل التمدن الحديث المبني على الحرية الشخصية واستقلال الفكر . والحكومة العثمانية لا تزال على الطرز القديم وقد اختلت احكامها وفسدت امورها . فازداد النصارى تباعداً عنها واصبحت بين خطرين عظيمين طمع الدول الاوربية من الخارج وحقد رعاياها النصارى من الداخل . فتضعضعت احوالها

النهضة السياسية العثمانية

ما زالت الدولة العثمانية في خطر السقوط حتى تولى عرشها السلطان محمود الثاني في اوائل القرن الماضي فكان البادىء في نقل الحكومة العثمانية من الطرز القديم الى الطرز الحديث وادخال الاصلاح في الجند فاباد الانكشارية ونظم جيشاً جديداً على النسق الافرنجي وكان قد همّ بذلك السلطان سليم الثالث ولم يتم له . فهو واضع الحجر الاول للنظام الجديد



السلطان محمود الثاني

وخلفه السلطان عبد المجيد والد السلطان عبد الحميد الحالي وفي ايامه خطت الدولة خطوة ثانية نحو الاصلاح الحقيقي لمعالجة الداء القديم الذي كان ينخر في جسم الدولة الاسلامية من اول عهدها — نعني الاختلاف الديني وسوء التفاهم بين الدولة الاسلامية ورعاياها المسيحيين للاسباب التي قدمناها غير ما آل اليه تداخل الدول النصرانية في الامر سرّاً او جهراً . لكن سم ذلك الداء لم يؤثر في الدولة الاسلامية وهي في ابان شبابها فلما شاخت اخذت تشكو الضعف في احشائها والالم في اطرافها اذا اشتدت سواعد الدول الاوربية فكلفوها الاصلاح رفقاً برعاياها المسيحيين . فاصدر السلطان عبد المجيد فرمان التسوية بين اصناف الرعية المعروف بخط كلخانة سنة ١٨٣٩ ثم الخط الهمايوني سنة ١٨٥٦ ومن مقتضاهما تأمين الرعايا العثمانيين على ارواحهم واموالهم واعراضهم مهما كانت مذاهبهم . ومساواتهم لدى القانون وتعديل الضرائب وتنظيم القرعة العسكرية وغير ذلك مما تراه منصوصاً في ذلك الفرمان . ولما افضت السلطنة الى السلطان عبد العزيز تقاعدت الدولة عن تنفيذ هذا القانون

ووافق ذلك انتشار العلم في الشرق ونبوغ الادباء والشعراء ورجال السياسة والحكمة من الاتراك واكثرهم اطلعوا على آداب الافرنج وخالطوهم في بلادهم وعلموا اسباب تقدمهم وتبين لهم ان انقاذ الدولة العثمانية من ضعفها لا يتم الا بنقلها من الحكم الاستبدادي الى الدستوري واقتفاء آثار اصحاب هذا التمدن بنشر العلم والتسوية بين اصناف الرعية لتتحد الامة وتتعاون على العمل وتتساوي في الحقوق والواجبات ضنًّا بالدولة من ان تعبث بها الدول الحيه فتبتلعها او تقتسمها . ولم يكن يخفى عليهم ان تلك الدول تباحثت في اقتسامها لو اتفقت عليه وتساوت مصالحها فيه لاقتسموها . ولا سبيل الى لم شعثها والوقوف في سبيل ذلك التيار الا بالاتحاد وتنظيم شؤونها ونشر الامن والحرية في ربوعها حتى لا يكون للدول حجة في حلها . واخذ اولئك العقلاء ينشرون هذه المبادئ في الامة بالكتب والجرائد والخطب نظماً ونثرًا يلتمسون نهوض الامة لطلب الدستور فلم تنهض لان الشعب كان جاهلاً لا يعرف ماله وما عليه . وخطة الحكومة القديمة تساعد على التفريق بين العناصر وتزيد الامة جهلاً وانحطاطاً

الدستور والسلطان عبد الحميد

ولم يصبر دعاة الاصلاح على تلك الحال فنهضوا لمعالجة ذلك الداء بالبتر فخلعوا السلطان عبد العزيز سنة ١٨٧٦ ونصبوا السلطان مراد مكانه وهو على رأيهم في حب الاصلاح فاصابه انحراف فخلفه السلطان عبد الحميد الحالي بعد بضعة اشهر واخذ على عاتقه ان يجري الاصلاحات واهمها تحويل الحكومة من الاستبداد الى الدستور وان يشكل لذلك مجلس نواب (برلمان) وزعماء تلك الفئة الناهضة مدحت باشا وعوني باشا وضيا باشا ورشدي باشا وكمال بك فقبل السلطان اقتراحهم وامضى الاوامر بذلك

وكان المتفق عليه رسمياً يوم تنصيبه ان يكون سعد الله بك وضيا بك وكمال بك من صدور اعوانه او مشيرية (سكرتيرية) وهم نخبة العقلاء المستنيرين بالعلوم الحديثة المطلعين على احوال الدول يعلمون مواضع الخلل و يفقهون طرق الاصلاح

فلما قبض على أزمة الدولة لم يول أحدًا من هؤلاء وولى مكانهم ثلاثة من نصراء العهد القديم وهو داماد محمود جلال الدين ولاه السرعسكرية وسعيد باشا الانكليزي سر باوران وسعيد بك رجل محمود نديم جعله سكرتيره الاول (الباشكاتب) . واحب التخلص من مدحت ودستوره ولكنه لم يقل ذلك . وأمر بانشاء مجلس النواب وهم يسمونه مجلس المبعوثان جمع مبعوث على صيغة الجمع الفارسية

وطال الاخذ والرد بين جلالته ومدحت باشا في نص الفرمان الذي وعد السلطان باصداره لاعلان الدستور · فعرض مدحت عليه صورة ذلك الفرمان واشار فيه الى الاصلاحات المطلوبة فغير السلطان منها و بدل حتى ضعف فحواها · وكي يتضح الفرق بين النص الاصلي والصورة التي صدرت للوزير رشدي باشا وقرأها الناس ننشر النسخة الاصلية ونجعل الفقرات التي حذفها السلطان بين اقواس على هذه الصورة :

وزيري محمد رشدي باشا

اراد الله ان يتنحى اخي الاكبر السلطان مراد الخامس عن عرش السلطنة فاقتضت شروط الارث الشرعي ان يأول عرش اجدادنا العظام الي · ونظرًا لما خبرناه من مناقبك الجليلة واهليتك واختبارك في شؤون الدولة قد ابقيناك في منصب الصدارة العظمى ورئاسة مجلس الوكلاء (على ان يكون لقبك الوزير الاول) ونأمر سائر وزرائنا ان يبقوا في مناصبهم ونرجو ان يوفقنا الله الى ما نسعى فيه لتأييد الدولة وسعادة الامة على اختلاف طبقاتها وعناصرها على ما تقتضيه الحرية والوفاق والعدالة ولنا الثقة ان وزراءنا يعينوننا في تحقيق ذلك

(ولما كانت الدولة العثمانية معدودة من الدول العظمى فلا بد لها من اقتفاء آثار الامم المعاصرة في اسباب الارتقاء وتحدي الخطط التي سارت عليها · واهم تلك الخطط الآيلة الى تقدم الامم الحكم الدستوري فنعلن اننا قد اعتمدنا هذا النوع من الحكومة مع مراعاة قوانين الشرع الشريف وعادات شعوبنا)

واذا تأملنا الخلل السائد في احوالنا الحاضرة رأينا اسبابه ترجع الى سببين كبيرين الاول هتك حرمة القوانين والشرع الشريف والثاني استبداد الناس في الاحكام حسب اهوائهم · وكل ما الم بالدولة من فساد الاحكام وضعف المالية واختلال الامن وبوار التجارة والصناعة والزراعة وغيرها مع استعداد بلادنا الطبيعي لتقدم — كل ما الم بها من هذا القبيل مع رغبتنا في حرية الرعية وسلامهم انما سببه اهمالنا احكام القوانين والشرع فحبًا بمصلحة رعايانا وسعادتهم لم يبق لنا بد من ملاحظة سير القوانين الحالية بالدقة وبثها في الشرع الشريف على ما تقتضيه احوال رعايانا وان ندقق المراقبة على دخل الدولة وخرجها حتى نكتسب ثقة الشعب

(وينبغي لكل فرع من فروع الادارة ان يبذل جهده في تجنب النفقات غير اللازمة ويجب ان تخفض نفقات المابين وسائر القصور الشاهانية وتعدل بكل دقة وكذلك رواتب

الامراء من الاسرة الشاهانية · وتخفض النفقات التي يستحقونها وان تدفع لهم من نظارة المالية رأساً · ونتنازل للنظارة المذكورة عن ٣٠٠,٠٠٠ ليرة عثمانية من راتبنا الخصوصي وتخفض نفقات قصرنا الى ٣٠,٠٠٠ ليرة عثمانية في الشهر)

ونظراً لشعورنا بحاجة الدولة الى عقد مجلس عمومي يلائم اداب رعايانا وعاداتهم واهليتهم فلى مجلس الوكلاء درس هذه المسالة بالعناية وليرفعوا الينا قرارهم للمصادقة عليه

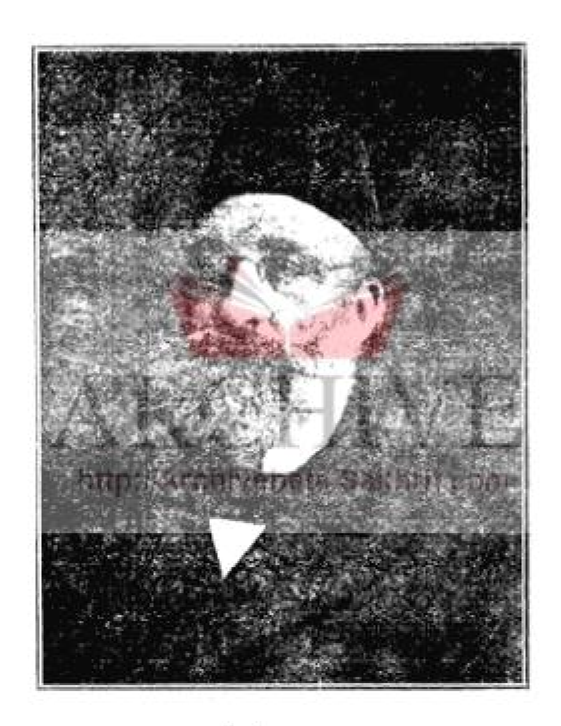
(وجرياً على مقتضى القوانين الدستورية وطبقاً لحاجات شعبنا ولروح الشرع الشريف نامر وزراءنا وفقهاءنا وكل من له علم او اختبار ويقدر ان يخدم الامة في هذا العمل الجليل ان يؤلفوا مجلساً للمفاوضة في هذا الشان ويعرضوا قرارهم على مجلس الوكلاء ثم يعرض علينا للمصادقة عليه)

وفضلاً عن ذلك فان الخلل السائد في اعمال الحكومة سببه عجز بعض الموظفين عن القيام بمهام وظائفهم وعن كثرة التغيير والتبديل في الموظفين بلا داع وجل ما نتمناه من الان وصاعداً ان ينتقى الموظفون حسب اهليتهم ومعارفهم ولا يبدلوا الا لسبب هام وكل منهم مسئول عما يعهد اليه · وعلينا ان نلتفت الى ترقية افكار رعيتنا بنشر العلوم لان الامم الاوربية انما ارتقت بالعلم ونحب ان يتمتع كل واحد من رعايانا بالعلم كل على حسب اهليته واحواله (ورغبة في شمول الرقي لرعايانا بدون استثناء وحتى لا يتمتع به فريق دون آخر نامر بانشا المدارس ليعلم فيها ابناء الشعب معاً على اختلاف المذاهب) ولاجل تحقيق هذه الامنية في القريب العاجل يزاد المال المخصص للمعارف العمومية · ولاصلاح ادارة الولايات وماليتها حالاً يوضع نظام يكفل ذلك ويوافق النظام المركزي

(ويجب ايضاً تعديل الضرائب على قواعد المساواة والعدل وان نبذل جهدنا في مراقبة تنفيذ هذه القوانين · ولما كان الاتجار بالرقيق مخالفاً للشرع الشريف فاننا نطلق الحرية لكل عبد او مملوك اوخصي في قصرنا ونعتقهم جميعاً · ونعلن من الان ان بيع الرقيق وشراءه ممنوعان في مملكتنا · ويعين ميقات لتحرير الارقاء الموجودين الان وتتخذ الوسائل اللازمة لمنع الرجوع اليه في المستقبل) (انتهى)

فترى ان التعديل الذي ادخله جلالة السلطان في الاصلاحات المطلوبة لا يستخف به فلا عجب اذا آل الى التنافر بين مدحت واعوانه من جهة والمابين ورجاله من جهة اخرى · على ان مدحت لبث يراقب ما يكون فرأى الحال على غير ما يتوقع وعرض على الحكومة تعيين بعض الولاة من المسيحيين عملاً بالمساواة فاجابه سعيد بك عن لسان جلالة السلطان « ان

تعيين الولاة من المسيحيين لا يخلو من الخطر على حال الشعب لاننا لا نعلم رأي الامة في مشروعنا الجديد بعد » . فأصرّ مدحت على هذه النقطة وعلى ادخال التلامذة غير المسلمين في المدارس العسكرية جريًا على القاعدة الاساسية في الاصلاح القاضية بجمع العناصر واتحادها والتسوية بينها فكتب الى جلالة السلطان مرارًا بلا فائدة ولم تمض الاَّ ايام قلائل حتى حكم عليه بالنفي ومات في منفاه كما هو مشهور . واقتص السلطان آثار رفاقه ثم حلّ مجلس المبعوثان



مدحت باشا

وقام الاحرار يطالبون بالدستور والحكومة تضطهدهم فالفوا الجمعيات السرية واستعانوا بالجرائد الحرة في بث تعاليمهم ومباديهم فقاومتهم الحكومة بالنفي والتضييق والفت طغمة الجواسيس لتتبع آثارهم ورفع اخبارهم . وقيدت الجرائد بالمراقبة الشديدة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ هذه المدنية . ولزيادة الايضاح نفرد فصلاً خاصًا للاحرار العثمانيين وتاريخ جمعياتهم ومساعيهم وفصلاً للصحافة العثمانية وتاريخها ومراقبتها وآخر للجاسوسية ثم نختم

الكلام في اسباب فوز الاحرار العثمانيين وفضلهم في ذلك على سائر الامم وما في فوزهم من العبرة لسواهم . وقبل الشروع في ذلك نذكر سبب انحلال مجلس المبعوثان

مجلس المبعوثان وسبب حله

لم يتألف مجلس المبعوثان كما خططه مدحت واعوانه ولكنهم قبلوا به لان مالا يدرك كله لا يترك قله . بدأ المجلس بالاجتماع في مارس سنة ١٨٧٧ وانحل بعد عام و بعض العام واختلف الناس في سبب حله والسبب الحقيقي في اعتقادنا ان الامة لم تكن كفوءًا للاحتفاظ به مع بقاء حزب التقهقر يسعى في حله . وعلة ذلك العجز الحقيقية الجهل عدو كل نجاح لانه يمزق القوى ويفرق الجماعات و يثير التعصب . بدأت آثار الجهل اولاً في الانتخابات فانتخب الناس وهم لم يتعودوا الانتخاب ولا يعرفون كيف ينتخبون فكان اكثر النواب من موظفي الحكومة او اصحاب النفوذ والجاه . وهؤلاء مع كونهم نخبة الامة العثمانية وخيرة ابنائها علماً وتربية فان اميال الشعب وادابه وعاداته كانت ممثلة فيهم لانهم من ابنائه وقد طبعت فيهم طبائعه . والشعب العثماني يومئذ لم يكن يفهم معنى الدستور ولا هم طلبوه او سعوا فيه انما قام به جماعة المستنيرين من الاتراك في الاستانة

واما النواب او المبعوثون فاجتمعوا من اطراف المملكة العثمانية على اختلاف المواطن واللغات والاجناس والمذاهب وفيهم التركي والعربي والسرياني والارمني والالباني واليوناني والبلغاري والبوسني والسلافي والسربي والفلاخي والفارسي والكردي وغيرهم من الاجناس المختلفة . ولكل منهم لغة مستقلة فبلغت لغات ذلك المجلس بضع عشرة لغة . واما مذاهبهم ومذاهب الذين انابوهم فتفوق العشرة فكان فيهم المسلم السني والشيعي والوهابي ثم المسيحي على اختلاف الطوائف من الارثوذكسي والنسطوري والماروني والملكي واللاتيني واليعقوبي والانجيلي . غير الاديان الاخرى كاليهود والدروز والنصيرية وغيرهم

فاختلاف الاجناس واللغات يرافقه اختلاف الاذواق والعادات والآداب وهذه تقتضي بواعث التفريق والانقسام . على ان هذه كلها لم يكن لها تأثير في تلك النهضة لو كانت الامة ارتقت وفهمت معنى الدستور وكانت الحكومة راضية عن انشائه وتأييده . لان الاختلاف في المذاهب واللغات ليس خاصاً بالامة العثمانية فانك ترى مثله اومايقرب منه في مملكة النمسا وهي من الامم الدستورية الراقية . فالامة المشار اليها تتألف من عشر امم كبرى كل منها تتكلم لغة خاصة وهذا تعدادها واسماء الامم ولغاتها :

اسم الامة	عدد افرادها	اللغة التي يتكلمونها
الالمانيون	٩,١٧٠,٠٠٠	اللغة الالمانية
التشيك	٥,٩٥٥,٠٠٠	لغة التشيك
البولونيون	٤,٢٥٢,٠٠٠	اللغة البولونية
الروتينيون	٣,٣٨١,٠٠٠	الروتيني (لهجة روسية)
السلوفيون	١,١٩٢,٠٠٠	اللغة السلوفية
السربيون	١,٣١١,٠٠٠	« السربية
الايطاليان	٧٢٥,٠٠٠	« الايطالية
الرومان	٢٥٠,٠٠٠	« الرومانية
السلاف	١,٤٨٢,٠٠٠	« السلافية

هذه تسع امم لكل منها لغة خاصة تختلف عن لغات الامم الاخرى وقد راعت الدولة النمساوية حقوق تلك الامم فاجازت لثمانٍ منها ان تستخدم لغاتها في البرلمان . وهذه هي اللغات التي تجوز المداولة فيها بالبرلمان النمساوي : الالمانية والتشيك والبولونية والسلوفية والسربية والايطالية والرومانية والسلافية . اما اللغة التاسعة الممنوعة فهي اللغة الروتينية لان شعبها ضعيف جاهل

اما البرلمان العثماني فمع اختلاف اجناس اعضائه ولغاتهم ومذاهبهم جعلت لغته الرسمية التركية والاتراك مع كونهم اصحاب الدولة فانهم الاقلية بالنظر الى مجموع الامة العثمانية . ولم يكن هذا ليؤثر في حياة المجلس لو سلم من سعاة السوء انصار الحكم الاستبدادي . فرئيسه وفيق باشا كان من اعداء مدحت ومقاومي ارادته وكان ميالاً الى نقض عمله وافساد مشروعه ولا سبيل الى ذلك الا بالتفريق بين اعضائه على قاعدة «فرق تسد» فاخذ يترقب الفرص ليلقي الشحناء بين الاعضاء بالمحاسدة او المغاضبة بالتمييز بين اجناسهم او اديانهم او تفضيل بعضهم على بعض . وقد وفق الى ذلك مرارًا في اثناء ابحاث المجلس . ففي البحث عن مسألة الجبل الاسود اوغر صدور بعض الاعضاء على البعض الآخر . وتباحثوا مرة في قوانين مجالس الولايات وكان القانون الاساسي يقضي ان يتألف احدها من ثلاثة اعضاء مسلمين وثلاثة غير مسلمين فوقف عضو يوناني اسمه ميخالاكي افندي وقال « ان التمييز بين المسلم وغير المسلم يخالف روح الدستوري فيجب تحوير هذه المادة » فرد عليه بعضهم وانتشب

الجدال وانقسمت الاراء واشتد الخصام حتى خرج بعضهم عن المجادلة الى المطاعنة • ولو شاء الرئيس لسوي الاختلاف ولكنه كان يلقي الوقود فارفضت الجلسة والقلوب متنافرة

وفي جلسة اخرى تباحثوا في حرب الروس • وكانت روسيا تتعدى على حقوق الدولة واختلفت الآراء في هل نحاربها ام لا • فارتأى بعض الاعضاء المسلمين ان تشهر الدولة حرباً مقدسة (جهاد) فاعترض بعض الاعضاء المسيحيين بان تلك الحرب اذا شهرت أضرت بالنصارى حتى من رعايا الدولة • وكان لهذا الاقتراح تأثير سيئ في أوربا وزاد التنافر بين الاعضاء • وتباحثوا في الميزانية هل تساعد على اشهار الحرب ودخل في البحث كثيرون في جملتهم نيقولا نوفل نائب طرابلس الشام وغيره واقترحوا انشاء قرض • وطال البحث في هذا الموضوع جلسات متوالية • وكان قد آن اقفال المجلس فاجلوا اقفاله لاتمام المناقشات • وانتهت سنة المجلس الاولى بلا ثمرة

وفي السنة التالية ابطأ افتتاحه الى ١٣ دسمبر سنة ١٨٧٨ وشهد السلطان فتحه رسمياً وفي النية حله • فاول شيء عملوه انهم انتخبوا رئيساً موقتاً وجعلوا السن قاعدة الانتخاب فوقعت الخيرة على ميخالاكي بك النائب على فيلبوبولي فشق ذلك عن المسلمين من الاعضاء واعترضوا على كونه اكبرهم سناً وبعد جدال طويل ابدلوه بمحسن فهمي افندي أحد النواب عن الاستانة • وكانت ابحاثهم في الجلسة الاولى تتعلق بطلائع الحرب الروسية وكان الروس قد أسروا سفينة عثمانية في البحر الاسود فندد نافع افندي نائب حلب بالحكومة لجهلها قواتها وقوات عدوها وكيف تقول ان روسيا ليس لها سفن في ذلك البحر وان للعثمانيين أسطولاً كبيراً وهو مخالف الواقع • فانتصر آخرون للحكومة ، دار الجدال بين الجانبين وتطرق اللائمون من انتقاد الحكومة على الطعن على سائر اعمالها وما تفشى فيها من الاختلاس • وفي جملة المنتقدين المرحوم خليل غانم النائب عن سوريا وضيا بك الخالدي نائب القدس • ثم تحول الجدال الى الصبغة الدينية فاتخذ جلالة السلطان ذلك ذريعة الى حل المجلس ففي جلسة ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨ حضر رئيس الوزارة وابلغ المجلس ان جلالة السلطان يأمر بحله الى أجل غير معين

فشق ذلك على اعضائه وعلت ضوضاؤهم والحكومة لا تبالي بذلك ولا تظهر اهتماماً ولكنها اتخذت الوسائل الفعالة لتفريق شملهم فامرت عشرة من كبارهم بالرجوع الى بلادهم وهم بدران افندي وغانم افندي من بيروت ومنوك افندي ونافع افندي من حلب وضيا بك الخالدي (المرحوم ضيا باشا) عن القدس ويكي شهرلي زاده وامين افندي

عن ازمير ومصطفى بك عن سلانيك ومصطفى بك (آخر) عن يانية وراسم بك عن ادرنه فاحتج هؤلاء ان رجوعهم يخالف الدستور فاخرجوا بالقوة بعد ٤٨ ساعة

فعد العثمانيون الاحرار هذه المعاملة اهانة لهم وللدستور والعدالة والحق واخذوا يسعون في اعادة الدستور باقلامهم والسنتهم يستصرخون ويستنصرخون ولم يفوزوا الا بالامس أي بعد ٣٠ سنة

العثمانيون الاحرار

يراد بالعثمانيين الاحرار الفئة الناهضة من العثمانيين في طالب الاصلاح وقد عرفوا باسماء مختلفة فقالوا الناشئة التركية أو شبان الاتراك أو تركيا الفتاة وعرفوا باسم jeunes turcs وهو اسمهم في فرنسا وقد اشتهروا به وانما يغلب هذا على الشبان الذين نقموا على الدولة بعد الغاء الدستور وقاموا يطالبون باعادته • واما العثمانيون الاحرار او احرار العثمانيين فيراد بهم رجال النهضة الاصلاحية على الاجمال قبل الدستور وبعده ومنهم مدحت واعوانه وجماعة من رجال الاقلام

ويؤخذ من خطاب القاه الدكتور جودت بك بمصر وهو من مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي « انه لم يتألف في السلطنة حزب يقاوم حكومة الاستبداد الا في زمن السلطان عبد العزيز الذي جعل السلطة في قبضة كفه وايدي اثنين من رجاله الاخصاء وهما عالي باشا الصدر الاعظم وحسين حسني باشا ناظر الضابطة • في ذلك الزمان طلب اسماعيل باشا خديوي مصر من السلطان عبد العزيز أن يجعل ارث الخديوية المصرية في ذريته وأولاده من بعده • وأخذ يرسل الهدايا الثمينة الى الاستانة • ويبعث اليها بالاموال الطائلة فلم تقوَ على مقاومة هذه القوة التي رزحت تحت أثقالها الذهبية • بل اجابت سؤاله وحصرت ارث الاريكة الخديوية في ذريته من بعده فحرمت بذلك مصطفى فاضل باشا من حقه وحقوق ذويه من بعده

« وكان مصطفى فاضل باشا تقياً نشيطاً متعلماً فلما رأى ان مصائب الدنيا اصابته بسهم صائب اراد الاخذ بالثار فاتفق مع ضيا باشا ونامق كمال بك وعلي سعاوي افندي وهم رجال آداب اللغة والعلوم التركية الاول بسعة مداركه وعلومه وفلسفته • والثاني بشعره وعزة نفسه ونغماته الشعرية التي تحرك الجماد • والثاني بعلومه الدينية والادبية • فوضع ثروته تحت امرهم • فالف هؤلاء الثلاثة حزباً سموه حزب العثمانيين الجدد فمكنتهم اموال



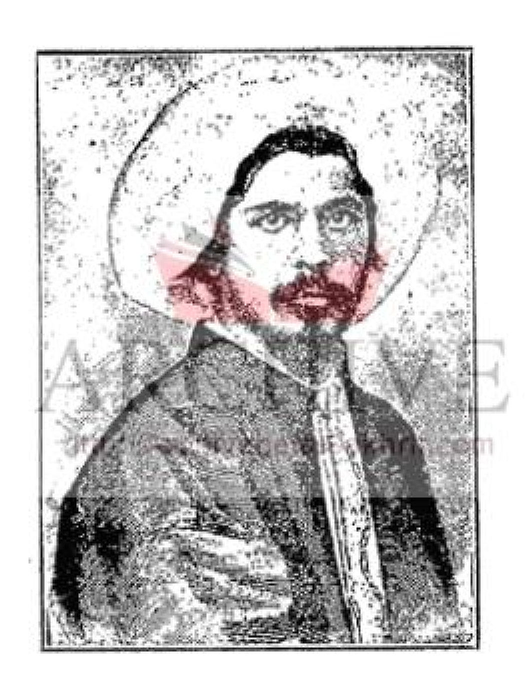
مصطفى فاضل باشا

مصطفى فاضل باشا ان يرفعوا أصواتهم بالحرية ويجهروا بالمقاومة ويعلوا منار الحق • فعلى العثمانيين ان يعترفوا بحسن صنيعهم وان يذكروهم بالخير وان كان هؤلاء الثلاثة لم يذوقوا العذاب الوطني الحقيقي الذي ذاقه ابناء اليوم فهم أول من انشا الصحف الحرة في الخارج فانهم انشأوا في لندن جريدة « حريت » التي خدمت البلاد خدماً نافعة

« وبعد عامين من اصدار جريدة « حريت » عاد ضيا باشا وكمال بك الى الاستانة وظل علي سعاوي في لندن ينشر جريدة « مخبر » التي انشاها فيها ومجلة علمية دعاها « مجموعة علوم » فاذا عرف العثمانيون كلمة « الوطن » بمعناها الحقيقي المفهوم اليوم فالفضل في ذلك لكمال بك وحده • لان كل عثماني كان يعد وطنه البقعة والولايات التي وُلد فيها فقال لهم كمال بك ان الوطن هو مجموع الاراضي التي يخفق عليها علمهم وتحميها جنودهم وتخفق فيها قلوبهم » (انتهى كلام جودت بك)

وكان الاحرار العثمانيون قبل الدستور من أتراك الاستانة فقط اما بعد عقد مجلس المبعوثان وانحلاله فاشترك معهم السوريون والشراكسة والارمن واليونان وغيرهم من الامم العثمانية الراقية وكلهم ناقمون على الحزب الاستبدادي واكثرهم من تلامذة المدارس العالية • وتفرقوا في المملكة وجعلوا يبثون آراءهم فيها وليس بينهم رابطة غير

المصلحة والغاية • ولم يكن لهم جمعية معينة لها رئيس وكاتب وامين • وكانت الدولة تستخف بهم في بادىء امرهم لان اكثرهم لاسلاح لهم غير الاقلام ولا ثروة عندهم غير الكلام فكانت كثيراً ما تقطع السنتهم بالعطاء فتبتاع اقلامهم وتشترى سكوتهم او تسكتهم بالارهاب والتهديد وفيهم من تغلب عليه الحاجة فيبيع قلمه ومنهم من يخاف على حياته او حياة اهله فيسكت ومنهم من ظل مجاهداً في طلب الحرية الى آخر نسمة من حياته لا يبالي بالفقر او الخطر وهم قليلون



علي سعاوي

واتخذ بعض المنافقين رغبة المابين في استرضاء الطاعنين على السلطان وسيلة لاستدرار الاموال فادعوا انهم من العثمانيين الاحرار او تركيا الفتاة وانشأوا الصحف في بلاد الحرية في باريس ولندن ومصر • وكتبوا المطاعن على السلطان او المابين وقبضوا ثمن السكوت مبالغ وافره فتلطخ بذلك اسم العثمانيين الاحرار وبعد ان كان العالم المتمدن يطلوبهم ويمتدح خطتهم اصبح يسيء الظن بهم وزادت الحكومة استخفافاً باعمالهم

جمعية الاتحاد والترقي

نشوءها وكيفية الانتظام فيها

حتى اذا كانت المذابح الارمنية المشهورة سنة ١٨٩٤ في الاستانة عاد الاحرار الى النهوض وقد اشتدت نقمتهم واكثر الناقين من تلامذة المدارس العليا في الاستانة . فاجتمع اربعة من تلامذة مدرسة الطب هم اسحق سكوتي من ديار بكر (توفي الآن) وعبد الله جودت (طبيب العيون المشهور بالقاهرة اليوم) وحكمت امين من قونيه ، ومحمد رشيد الشركسي من قوقاسيا ، ففكروا في حال الدولة واعتبروا بما أصاب اخوانهم من الفشل



كمال بك

لظهور رأس هم فعولوا على انشاء جمعية سرية تعمل اعمالها تحت طي الخفاء فالفوا جمعية سموها «جمعية الاتحاد والترقي» جعلوا موضوعها طلب الاصلاحات الدستورية والمساواة بين صناف الرعية وحرية القول والعمل وضمانة الارواح والاموال وتقييد الملك اوالسلطان

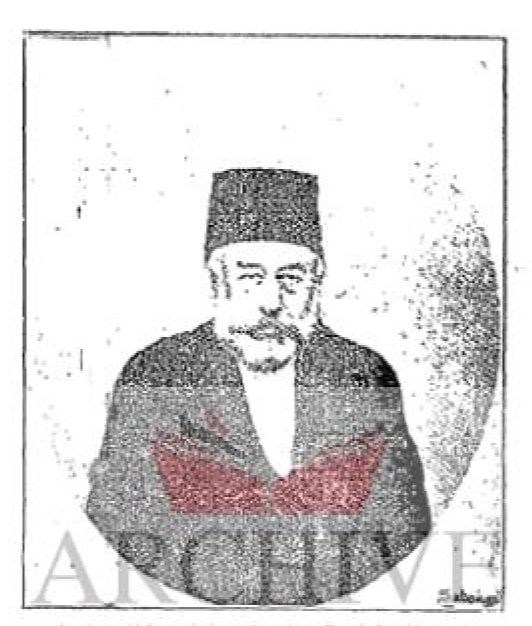
بالقوانين ومحو ذلك وأخذوا يبثون ذلك الروح في الشبان سرًا فانضم اليهم كثيرون من تلامذة المدارس وارباب الاقلام وغيرهم من الاحرار حتى من كبار موظفي الدولة في الاستانة نفسها . واتخذوا في قبول الاعضاء وادخالهم طرقاً تشبه الطرق الماسونية وزادوا عليها اسلوباً غريباً يأمن به الداخل كشف امره حتى بين اخوانه اعضاء الجمعية انفسهم بحيث ان العضو الواحد لا يعرف من سائر الاعضاء ولو كانوا مئات او الوفاً الا اثنين فقط العضو الذي ادخله والعضو الذي توسط هو في ادخاله . وفروع الجمعية في الجهات لا تعرف من الجمعية المركزية الا عضوًا واحدًا

وكيفية ذلك ان الجمعية المركزية (كانت اولاً في الاستانة ثم في باريس وانتقلت بعدئذ الى سلانيك) مؤلفة من لجنة ادارية يتعارف اعضاؤها ويجتمعون ويتباحثون وهم يصدرون الاوامر الى اللجان الفرعية في المدن الاخرى وينشرون المنشورات . فاذا عرف احد اعضاء لجنة الادارة شاباً من العثمانيين آنس فيه ميلاً للحرية وحب الاصلاح قربه اليه وتدرج في اطلاعه على وجود جمعية حرة تطلب الاصلاح فاذا احب الانتظام في سلكها وطلب اليه ذلك وعده بالنظر في طلبه ثم يخاطب اللجنة بشأنه فاذا قبلت به اعطته رقماً (نمرة) يعرف به في سجلاتها ودعته للحضور في جلسة سرية تعينها له يحضرها اعضاء اللجنة متنكرين فيدخل متهيباً ويقسم اليمين على الانجيل او القرآن والمسدس ويخرج . وهذا العضو الجديد اذا رأى صديقاً له استحسن ضمه الى الجمعية قدم طلبه على يد العضو الذي قدمه قبلاً واذا قبل يأتي الطالب الجديد للجلسة السرية ويقسم اليمين ويخرج وهو لا يعرف غير صديقه الذي ادخله . واما هذا فقد صار يعرف اثنين واحدًا امامه والآخر وراءه . واذا ادخل اثنين او ثلاثة او اربعة فانهُ يعرفهم ايضاً وهم يعرفونه

واعتبر هذا التحفظ ايضاً في العلاقة بين الجمعية المركزية وفروعها في الجهات فانها تتفرع اولاً الى شعب (واحدها شعبة) في المدن الكبرى وللشعبة فروع يقال لها قولات (واحدها قول) وكل شعبة او قول مؤلف من لجنة ادارية لها رئيس واعضاء مثل الجمعية المركزية . ومؤسسو الشعب اصلهم من اعضاء الجمعية المركزية — وذلك ان احد هؤلاء الاعضاء اذا رأى في نفسه الكفاءة لانشاء شعبة في بلد من البلاد عرض مشروعه على اللجنة فتخول له انشاءها فينتقل الى ذلك البلد ويجتمع باناس يثق بحريتهم وصدقهم ويؤلف معهم لجنة يخبرهم انها فرع للجمعية المركزية ولكنهُ لا يصرح لهم باسماء اعضائها . ومتى تألفت الشعبة تشتغل في ادخال الاعضاء على الكيفية التي سنتها الجمعية المركزية وهذه اللجنة لا تعرف من اعضاء

الجمعية المركزية الا الذي اسس الشعبة

وهكذا يقال في انشاء الفروع الصغرى (القولات) فان احد اعضاء لجنة من لجان الشعب ياخذ على عاتقه انشاء فرع للشعبة ويخرج للقرية و يؤلف لجنة من اهل ثقته لا يعرفون من اعضاء الشعبة الا هو وقس على ذلك



الحاج احمد افندي رئيس جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٨٩٦

وتختار الجمعية لنشر آرائها صحفاً ينشئها افراد منها يظهرون للناس وقد لا يظهرون . فلا عجب بعد ذلك اذا كنا الى هذه الساعة لا نعرف كل الذي كانت لهم يد في نيل الدستور . وقد توالى على الجمعية رؤساء ظهر منهم غير واحد . احدهم كبير من موظفي الحكومة العثمانية اسمه الحاج احمد افندي احد رؤساء محاسبة السرعسكرية فانه تولى رئاسة الجمعية المركزية وادارة فروعها عدة سنين . واشهر تلك الفروع في الاستانة شعبة السرعسكرية يرأسها شفيق بك من كبار الياوران وشعبة بساماتيا اعضاؤها من العلماء والفقهاء ورئيسها الشيخ النائلي . غير الشعب في المدارس العليا الطبية والحربية حتى في الباب العالي وفي المحاكم والمجالس . اما في الولايات فاشهر الفروع شعبة سلانيك التي نقل مركز الجمعية اليها مؤخراً وشعب بيروت ودمشق ورودس ومصر . وعرفنا من اعضاء شعبة مصر وكبار العاملين فيها صديقنا رفيق بك العظم وهو عضو في جمعية الاتحاد

والترقي منذ تاسيسها

رئاسة مراد بك

ومن اشهر رؤسائها مراد بك الداغستاني و يعرفه المصريون بجريدة ميزان التي اصدرها في القاهرة منذ عدة اعوام وله شان كبير في تاريخها . كان مراد بك من اشد العثمانيين غيرة على الدولة وهو كاتب بليغ تقلب في مناصب عديدة في مصلحة الديون العمومية وفي المدرسة الملكية وغيرها وكان له مكانة رفيعة بين ارباب الاقلام في الشبيبة التركية وله رواية وتاريخ . ولما انشا جريدة ميزان زادت شهرته ونهضت الجمعية على ايامه نهضة حسنة واشتد ساعد الاحرار فاخذوا يجاهرون بمطالبهم . فكتب مراد بك تقريراً في الحالة الحاضرة ورفعه الى السلطان فلم يعبأ به رجال المابين ولكنهم خافوا عاقبة عمله . وصدرت اليه الاوامر من الجمعية المركزية ان ينوب عنها بنشر آرائها في الخارج

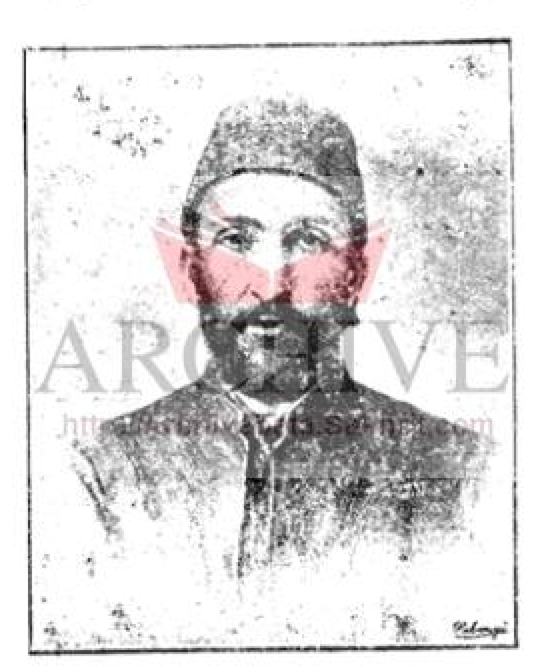


مراد بك الداغستاني

خرج مراد بك من الاستانة فعظم سفره على رجال المابين و بثوا الارصاد والعيون للبحث عنه او القبض عليه او قتله وتنبهت الجمعية المركزية للخطر فقبضت على شعبها بيد من حديد وراقبتها مراقبة الساهر اليقظ واتحدت كلها يداً واحدة . وعزمت على ابراز مهمتها الى حيز العمل فقررت مفاجأة مجلس الوكلاء في اثناء اجتماعه بالباب العالي وخلع السلطان

عبد الحميد واعادة السلطان مراد أو ولي العهد مكانه وعوّلوا في تنفيذ هذ القرار على كاظم باشا قائد الفيلق الاول في الاستانة يومئذ

وهم يتحفزون للعمل قدّم نجيب باشا سفير تركيا في مدريد سابقاً بعض الاعتراضات على طرق التنفيذ فاخروا القرار للنظر فيه · فآل التاخير الى فساد العمل كله · وذلك انه كان في جملة الحضور ليلة البحث نادر بك مدير مدرسة نمونه ترقي وهو سكرتير الجمعية المركزية فرد على المعترض بصوت عال قائلاً « يا صديقي اني آسف لعنادك لان التاجيل الى الغد يضرنا وويل للذين لا يكونون معنا » فوقعت كلماته في أذن بعض السامعين فوشى به الى المابين فساقوه الى السلطان وبعد مقابلة خصوصية اعترف باسماء كثيرين



السلطان عبد الحميد الثاني

من الاعضاء فطافت الضابطة بالاسلحة تقبض على الذين سماهم وعلى عائلاتهم ففتكت ببعضهم ونفت آخرين · وفي جملة الذين نفوهم كاظم باشا مموه حاكماً على سكوتاري البانيا وهو والي الحجاز الآن · فحملوا المغضوب عليهم في باخرة وكلما وصلت بلداً القت منهم واحداً · فانزلت الحاج احمد افندي رئيس الجمعية في فزان بطرابلس الغرب ومات هناك · والشيخ النائلي ساقوه مع عائلته الى حمص وأرسلوا اخاه الى بنغازي · والشيخ عبد القادر احد كبار مشايخ العساكر الكردية ارسلوه الى مكة · وصبري افندي نفوه الى الموصل وفرقوا عوني بك وزكي بك الى اماكن مختلفة من آسيا الصغرى · اما نادر بك علة هذه النازلة فنال

الرتب والالقاب رغم ارادته ولم يكن يريد حمل هذه النعم التي اثقلت قلبه وقيدت عنقه

اما الذين نجوا من المعركة فتفرقوا في اوربا ومصر والتفوا حول مراد بك واحمد رضا بك . وكان هذا الاخير سنة ١٨٩٢ مديراً للمعارف العمومية في ولاية خداوندكار ثم برح منها ومن سائر تركيا على اثر اصلاحات اشار باتخاذها ويمم باريس وتفرغ لدرس الفلسفة واختار تعاليم اوغست كنت (Posivitism) وتعمق فيها واشتدت ثقة اعضاء الجمعية المركزية في الاستانة به فولوه نيابتها في أوربا فأنشأ باسمها في باريس جريدة سماها « مشورت » ينشئها بالتركية مع ملحق بالفرنساوية ١٨٩٦ فصار للجمعية من ذلك الحين نائبان احدهما رضا بك صاحب مشورت في باريس والآخر مراد بك صاحب ميزان بمصر وكان المرحوم خليل غانم سكرتير لجنة باريس ومن اكبر محرري مشورت الفرنساوية



تيمو ورفيقه من مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي

وبلغ المابين انشاء مشورت فسعى اهله لدى الحكومة الفرنساوية بتعطيلها ونفي صاحبها ونجحوا بوعد نالوه فاحتجت الصحافة الفرنساوية على ذلك بلهجة شديدة فاكتفت بمنع مشورت التركية من الانتشار في فرنسا ! . فعاد المابين الى السعي في سبيل آخر وكان رضا بك قد نقل مشورت الى سويسرا فابتاع المابين حروف مطبعتها ليمنعوا نشرها فصار يطبعها على الحجر وينقلها الى البلجيك . فاظهر رضا بك الحر في جهاده هذا

همة عالية ونشاطاً عظيماً

اما مراد بك فاوعزت اليه الجمعية المركزية ان ينتقل الى جنيف ووضعت قاعدة بان لا ينشر بالجريدتين (ميزان ومشورت) مقالة الا بعد مصادقة شعبة الاتحاد والترقي في جنيف وكان مراد رئيسها ورضا بك عضواً فيها . وتحدث الفرنساو يون يومئذ في تفاضل الصحيفتين فذكرت جريدة الباتري ان مشورت شديدة التعصب للاسلام وميزان معتدلة تسعى في ترقية الاسلام والتسوية بين رعايا الدولة . ثم رأت الجمعية نقل رئاسة شعبة الجمعية من مراد الى احمد جوروك صولو بك . فاجتهد مراد في اعادة جمعية الاستانه وكان ذلك صعباً لان الاحرار كانوا قد أُخرجوا منها الى أربعة اقطار العالم أو قتلوا ولكنه جمع بعض التلامذة فأنشأوا في مدرسة باتقه آلتي العسكرية شعبتين احداهما عرفت بشعبة حسين عوني والاخرى باسم سليمان باشا



خليل غانم

واستعان هؤلاء التلامذة بتلامذة الطب لاجراء مظاهرة على يلدز فقبض اهله على الزعيم واستطلعوا منه اسماء الثائرين وحاكموهم بمجلس عسكري في طاش قشله تحت رئاسة رشيد باشا فحكموا على ٨١ منهم في ٢ يونيو سنة ١٨٩٧ احكاماً صارمة بعضهم بالقتل الشنيع والبعض الآخر بالتعذيب او الحبس فلم يزدد سائر الاحرار الانقمة وشدة

تضعضع الجمعية

ورأى رجال المابين ان الشدة لا تفيد في استئصال هذه الطائفة فعمدوا الى الاسترضاء فارسلوا اليهم احمد جلال الدين باشا احد كبار الجواسيس فابلغ مراد بك ان جلالة السلطان يوافق الاحرار على الاصلاحات المطلوبة ولكنه يسألهم هدنة يتمكن بها من الاصلاح وكان قد دعا زعماء الحزب في الاستانة وعرض عليهم استبقاء حياتهم والانعام عليهم اذا اذعنوا ورجعوا · واذا ابوا زادهم اضطهادا وقتلاً · فخدع الاحرار واكثرهم لهم اهل في بلاد الدولة ومصالح يخافون من السلطان عليها فقرروا :

(١) انهم يوافقون على الهدنة ولكنهم لا ينزعون سلاحهم

(٢) يرفضون كل انعام او مكافأة شخصية

(٣) ان مراد بك يشخص وحده الى الاستانة تحت رعاية الدولة فيعرض نفسه لهذا الخطر رغبة في مصلحة الجماعة

(٤) يتعهد جلالة السلطان بالاصلاحات المطلوبة ويعفو عفواً عاماً عن الاحرار كافة

(٥) ان احمد رضا بك يبقى على رئاسة الحزب الى ان تنجز الوعود

فبعث جلال الدين المشار اليه تلغرافاً الى المابين بهذه الشروط فجاء الجواب بالايجاب و بالعفو العام عن الاحرار العثمانيين سواء كانوا في السجون او في النفي · وبناء على ذلك انحلت جمعية الاتحاد والترقي وتعطلت ميزان وسافر مراد بك الى الاستانه ومعه حكمت بك · وظل حلمي بك في جنيف وشرف الدين بك في باريس لاتمام الدروس وتعين احمد بك جوروك صولو في بلغراد وشفيق بك في بكرش · واعلنت جرائد الاستانة في عيد الجلوس من تلك السنة صدور العفو عن المجرمين السياسيين على جاري العادة ولكنه لم يقع فعلاً واغتنم السلطان تلك الفرصة لاخراج المحكوم عليهم في مجلس طاش قشلة وامر بنفيهم فنفوا بعضهم واسترضوا اخرين وفي جملتهم مراد بك يقال انه رضي يأساً من النجاح وخوفاً على اهله · فتشتت شمل الجمعية وخارت عزائم اصحابها الا اثنين من مؤسسيها هما الدكتوران اسحق سكوتي وعبد الله جودت نزيل القاهرة الان فاستأنفا احياءها والعود الى الجهاد في سبيل الحرية فأنشأا في جنيف جريدة سمياها « عثمانلي » لم يمض عليها بضعة اشهر حتى اصبحت عالية الصوت · ولكن الاحوال تبدلت وذهبت تلك الوحدة وتبعثر الاعضاء في اربعة أقطار المسكونة وقلت ثقة الناس بهم و بالحصول على ما يرجونه من

الاصلاح . ولذلك فلا عجب اذا انصاع صاحبا عثمانلي لمواعيد منير بك بالنيابة عن السلطان وعطلا الجريدة في جنيف . لكنها نقلت الى فولكستن ينشرها هناك نوري احمد بك أما صاحباها فنالا في مقابل سكوتهما اطلاق ٧٥ مسجوناً من الاحرار في طرابلس الغرب واصلهم من المحكوم عليهم في طاش قشلة — هكذا ذهبت البقية الباقية من جمعية الاحرار

نهضة الجمعية

على ان جماعة منهم ما زالوا يتحدثون بالجمعية و بطلب الاصلاح حتى جاءهم داماد محمود باشا صهر جلالة السلطان غضباً على الحكومة وناقما على صاحب السيادة فاحيا



داماد محمود باشا

أمالهم وجدد عزائمهم . خرج داماد محمود باشا من الاستانة مع نجليه البرنسين صباح الدين ولطف الله وكان رحمه الله من كبار رجال الدولة واهل التعقل وهو ابن الاميرال خليل باشا تزوج سنيحة سلطانة شقيقة السلطان عبد الحميد فولدت له الاميرين المشار اليهما . ورقي في مناصب الدولة حتى صار سفيراً لها في باريس ثم مستشاراً فناظراً للعدلية ثم وشي به بعضهم فاستقال ثم عرفوا عفته فقربوه . وهو يكره الكذب حتى في الاشياء التافهة ولا يطيق الخداع والرياء وقد علم ولديه وثقفهما جيداً على يد اسماعيل صفا بك احد ادباء الاحرار وقد مات بعدئذ منفياً في سيواس . وله فضل عظيم بما غرسه فيهما

من مبادىء الحرية فنشأ على علم وتربية صحيحين يندر مثالها بين الامراء

وكان داماد محمود باشا اذا رأى اعوجاجاً في احوال الدولة نبه السلطان اليه وقد يلقى اصغاء ولكن الغالب ان يعود ذلك بتغير السلطان عليه وعلى اولاده حتى عزموا اخيراً على الخروج من تركيا . وليس الخروج منها سهلاً على الكبراء اذ لابد من استئذان جلالة السلطان وهو لا يؤذن الا احياناً . وعلموا ما يعترض فرارهم من عيون الجواسيس فاختبأوا يوماً وأوهموا الناس انهم برحوا الاستانة على باخرة اقلعت في ذلك اليوم (دسمبر سنة ١٨٩٩) ثم ركبوا باخرة اخرى ونجوا عليها الى مرسيليا وكانت الاوامر قد وردت الى سفير الدولة هناك بايقافهم فلم يستطع وساروا منها الى باريس واول شيء فكروا فيه احياء جمعية الاتحاد والترقي التي يرجى منها اصلاح الدولة . فكتب الداماد الى مدير مشورت احمد رضا بك يدعوه الى الظهور ونصرة الحقيقة و يشجعه فاجابه ووافقه . ثم كتب الدماد الى السلطان في ٢١ يناير سنة ١٩٠٠ كتاباً شديد اللهجة ذكر فيه الاسباب التي حملته على الخروج من وطنه وضمنه كثيراً من اوجه الانتقاد والتقريع ما يضيق المقام عن نشره

وأخذ المابين واهله يوسطون السفراء في باريس وغيرها لاسترضاء الداماد وولديه بالوعود والعهود . ومن جملة الذين سعوا في ذلك الاسترضاء منير بك وطرخان باشا ونوري بك واحمد جلال الدين باشا وغيرهم ولم يسمعوا منه الا جواباً واحداً « الاصلاح »

واصيب الداماد بعد ذلك بمرض الجاه الى مغادرة باريس فسافر الى جنيف ومنها الى القاهرة فكورفو ثم عاد الى باريس ومنها الى اوكلس بقرب بروكسل في بلجيكا . وكان حيثما حل يلقاه الوسطاء من السفراء والجواسيس وهو يردهم . وتوفي في اوكلس في ١٨ يناير سنة ١٩٠٣ وعمره ٤٨ سنة واراد السلطان ان تحمل جثته الى الاستانة فلم يرض ولداه رغم ما عرض عليهم من الترضيات والمواعيد بالعفو والانعام وغيرها فنقلاها الى باريس ودفناها هناك ريثما تطهر تربة الاستانة من المظالم وتعود اليها الحرية فتنقل اليها

مساعي صباح الدين

وتفرغ البرنس صباح الدين لنصرة الاحرار فجمع المشتتين منهم في اوربا وغيرها فبلغ عددهم ٤٧ حراً من امم شتى وفيهم العربي واليوناني والكردي والالباني والشركسي واليهودي والارمني والتركي وقد اجتمعوا من مصر و بلغاريا وجنيف وباريس فتألف منهم مؤتمر تحت رئاسة صباح الدين فالقى فيهم خطاباً شجعهم ونشطهم واحيا آمالهم واستحثهم على الثبات

وجمع كلمة الامم المختلفة تحت اسم العثمانيين بلا تمييز في المذهب اوالجنس . والح في التحريض على الوفاق بن الطوائف والاجناس واحياء الوحدة العثمانية . واستمد مساعدة الدول الاوربية في ذلك ووضع بروغراماً مطولاً بهذا المعنى وافقه فيه الاحرار الا شرذمة قليلة شق عليهم توسط الدول منهم احمد رضا بك وكتب في ذلك فصولاً عديدة في جريدته لكن الاكثرية غلبت وكان لها تأثير في اوربا وقد اتت النتيجة المطلوبة كما هو معلوم



صائب بك سرائي بك محمد علي فاضل ناظم افندي رضا بك

وعلى ذلك عادت شعبة جمعية الاتحاد والترقي في باريس الى العمل وتألفت لها لجنة بحثت في تفاصيل الاصلاح اللازم للدولة من حيث السياسة والاجتماع والتعليم وغيره . واكثرهم بحثاً في ذلك البرنس صباح الدين وخطته في السياسة استقلال الولايات باعمالها الداخلية مع اجتماعها في الامور العامة تحت العلم العثماني وفي ظل الجيش العثماني وهذه خلاصة بروغرامه :

(١) نشر العلم والادب وترغيب الامة العثمانية في المطالعة والنظر حتى يفهموا معنى الاستقلال الادري

(٢) توثيق عرى المودة والاخاء بين الاجناس التي يتألف منها الشعب العثماني

(٣) الدفاع عن حقوق الدولة

(٤) انشاء الجمعيات الوطنية والشركات واللجان للتعاون على ردع الظالمين ونشر لواء الحق

وحرّض اعضاء الجمعية على انشاء الجمعيات والشعب في انحاء المملكة العثمانية توصلاً الى هذه الغاية · فتعدّدت الجمعيات في بلاد الدولة حتى في اواسط اسيا الصغرى · وانشأ سنة ١٩٠٦ صحيفة سماها « ترقي » لمكاتبة الاعضاء في تركيا والخارج · وسعى سعياً حثيثاً في التقريب بين العناصر المختلفة · وخاطب الارمن على الخصوص بكتاب مفتوح حضّهم فيهِ على الوفاق وقال لهم « انكم تطلبون توسط اوربا في انقاذكم من تركيا فهذا نفس مطلب الاتراك فمصلحتنا في هذا الشأن مشتركة فلنسع معاً في هذا السبيل واوربا ترحب بنا وتطوب عملنا لاننا نقاوم الظلم والظالمين » وبحث صباح الدين في اسباب النهوض وبواعث الائتلاف بحثاً سياسيًّا وتاريخيا واخلاقيًّا واقتصاديًّا

فآلت خطة صباح الدين هذهِ الى جمع كلمة الاحرار من كل الطوائف وجدد الهمة في الطلب وانضم اليهم جماعة من كتّاب الاتراك وغيرهم فانشأوا الشعب والقولات في اطراف المملكة وقد ملّ الناس التضييق والضغط فانتظم فيها خيرة ابناء البلاد العسكرية والملكية وجعلوا قاعدة سعيهم الاتحاد بين العناصر والمذاهب والاستغاثة بدول اوربا · وله كتابات وابحاث في الجامعة الاسلامية واستقلالها عن السياسة رد فيها على السير ادورد غراي وعلى هذه الخطة سارت جمعية الاتحاد والترقي حتى بلغت مطلبها وهو الدستور

نيازي وانور وفوز الاحرار

الفضل الاول في نيل هذه الامنية يرجع الى شعبة مناستير لانها عنيت على الخصوص في نشر مبادىء الجمعية بين ضباط الجند العثماني فانتظم فيها كثيرون منهم · واشهر اعضاء هذه الشعبة طلعت بك سكرتير التلغرافات ومدحت بك رئيس حسابات المعارف · وكانت المخابرة متصلة بينها وبين الجمعية المركزية في باريس · وارسلت هذه الجمعية منذ عام وبعض العام مندوبًا اسمه ناظم بك بث مبادئها في ازمير والروملي متزيا بزي الدراويش وطاف البلاد وانشأ عدة قولات اعانه على ذلك احد الاعضاء الغيورين في ازمير طاهر بك

وهناك ضابط له فضل كبير في تهيئة معدات هذا الفوز نعني اليوز باشي حسين طوسون بك فانهُ خرج بايعاز الجمعية الى الاناطول وطافها مرتين فانشأ الشعب والقولات ولا سيما في ارض روم · واطلعت الحكومة على امره فاوقفتهُ وحكمت عليهِ بالسجن الشاق في الاستانة



اليوزباشي حسين طوسون بك

عشر سنين وقد افرج عنه عند اعلان الدستور ومن الاحرار الذين كان لهم تأثير في هذا العمل حيدر مدحت بك بن مدحت باشا وهو كاتب بليغ صرف عنايته في استحثاث الاوربيين على نصرة الاحرار

وكان الجمعية المركزية في باريس احست بقرب نضج المساعي فاستطلعوا آراء الدول في هل يسوؤهن نهوض العثمانيين لطلب الحرية ففهموا انهن يعضدنهم . وكانت الحكومة العثمانية من الجهة الاخرى تضيق على الاحرار ، تغل ايديهم وتشدد في منع الاجتماعات فاصبحوا يتخابرون بالتناقل الفردي ولحسن الحظ كانت الجمعية قد تطهرت من ضعاف الرأي

وبلغ اهل المابين كثرة انتظام الضباط والموظفين في الجمعية بسلانيك فاخذوا يستقدمون المتهمين الى الاستانة بحجة النقل أو الترقي فخاف سائر الاعضاء الفشل كما حصل قبلاً فعزموا على مباشرة الامر واخراج تلك المهمة الى حيز الظهور . فقررت لجنة الجمعية وهم خمسة اعضاء لا تزال اسماؤهم مكتومة انه قد آن وقت الشروع في العمل وانهم معوّلون على الضباط

الذين انتظموا في الجمعية لان الجيش في ايديهم . وكان اعتمادهم بالاكثر على الفيلقين الثاني والثالث المعسكرين في سلانيك ومناستير واسكوب وادرنه وازمير وعلى الفيلق الرابع في ارضروم . فاذا كانت الفيالق الثلاثة معهم يبقى مع الدولة اربعة احدها في الاستانة لم يكونوا يخافون خروجه منها لانها تحتاج اليه لحمايتها وفي ضباطه عدد كبير من الاحرار . والفيالق الثلاثة الباقية في دمشق وبغداد واليمن بعيدة عن مركز الحركة لا تستطيع الوصول اليهم قبل ان يقضى الامر

فلما تقرر ذلك عندهم اخذوا في تأليف العصابات الوطنية في مقدونية لمقاومة كل حركة عدائية يخافونها عند ظهور امرهم . واول من باشر تأليف العصابات نيازي بك البطل الشهير احد ضباط الجند هناك . كان نيازي في اوائل خدمته العسكرية معروفاً بالشجاعة والصراحة وفيه حماس واريحية وشاعرية وقد تثقف وارتقت نفسه وادرك معنى الحياة الحقيقي وان الانسان لايكون حيًّا الا بالحرية . واشتهر في الحرب اليونانية الاخيرة اذ قبض وحده على ١٨ اسيرًا من اليونان . وبينما هو يقودهم الى الاستانة اعترضه ابن احد المقربين من المابين فاخذهم منه وذهب بهم الى جلالة السلطان ونال المكافأة . وهذا اول ما قاساه نيازي من سوء معاملة المقربين لكنه ظل على ولاء الدولة . ولما ثارت البلغار كان في جملة الذين اوفدوا لحربها وظل يطارد العصابات المقدونية خمس سنوات فكان يشتتها و يقبض على زعمائها فتتداخل الدول في الافراج عنهم فيذهب سعيه عبثاً فآل ذلك الى تكاثر العصابات

واطلع نيازي في اثناء ذلك على مقاصد جمعية الاتحاد والترقي فوافقت ما في نفسه فانتظم فيها منذ نصف سنة وحلف اليمين في مناستير وكان اخوانه الضباط مستائين من تداخل الدول في شؤون الدولة ومن ضعف الحكومة العثمانية مثله فاقتدى به كثيرون . ولما انتظم نيازي في سلك الجمعية اصبح همه ارشادها الى ما يعلمه فاشار عليها ان تمهد للثورة بتأليف العصابات الوطنية وان تجعل همها الاول توحيد الطوائف . وكان الغرض من ذلك ان يكسبوا ثقة البلغاريين واليونانيين فضلاً عن المسلمين . وكانت الجمعية تعتقد ان الوقت لم يحن للنهوض بعد ولكنها ما لبثت ان حملت على مباشرة العمل فالف نيازي بك عصابته واعتزل في البرية بعد ان كتب الى اولياء الامور في رسنه وسلانيك ما يأتي :

« ابلغكم اني تركت خدمة الحكومة لاجل خدمة الوطن وانا مستعد ان اموت ليكون وطني سعيداً حرًّا »

واقتدى بنيازي زميله انور بك وكلاهما من الفيلق الثالث . وتبعهما امثالهما من الضباط

الاحرار ومنهم حسن بك وصلاح الدين بك وغيرهم وتألفت عصابة في كل قضاء فرغوا من هذا الترتيب في اواخر يونيو الماضي وبلغت الحكومة اعمالهم فاوجست خيفة فارسلت القائد شمسي باشا لمطاردة عصابة نيازي فغلبته وقتلته · فبعثت ثلاثين اورطة من رديف الاناطول لمقاومة العصاة وكان اكثر ضباط تلك الاورط من اعضاء الجمعية فانضموا الى اخوانهم وايدوهم ولم يبق وجه للانتظار فنهضوا للمهاجرة بطلب الاصلاح والالحاح في تنفيذه واخذوا يخابرون الصدارة العظمى تلغرافيًا من سلانيك ومناستير واسكوب وسرس يطلبون فيها الدستور حالاً والا فانهم يزحفون على الاستانة · فعظم ذلك على جلالة السلطان فامر فرقة كانت على حدود الاستانة ان تتأهب للدفاع فابت وطلبت الدستور ايضاً فتحقق السلطان فوز الاحرار فاستفتى شيخ الاسلام سماحة جمال الدين افندي فافتى باعادة مجلس المبعوثان لان الاسلام يأمر بالشورى · فأذعن جلالته ورأى من الحكمة ان يمنح الجمعية مطالبها حقناً للدماء وقد فعل ذلك في ٢٤ يوليو الماضي وهو عيد الحرية للعثمانيين



جمال الدين افندي شيخ الاسلام

وكان مركز الجمعية قد انتقل الى سلانيك فنقلوه الى الاستانة لمباشرة الاصلاح ولا

نعرف من اولئك القهارمة الفضلاء غير الذين ظهرت اسماؤهم على صفحات الجرائد وقد قبضوا على ازمة الامور يعزلون و يولون وفرَّ انصار الاستبداد من الاستانة كما كان يفرُّ منها الاحرار من قبل

ولم ينل العثمانيون نعمة الدستور الا بعد ان قاسوا العذاب في مقاومة حكومة الاستبداد فانها كانت تقتص آثارهم وتغلُّ ايديهم او السنتهم . وقد الف المابين لهذا الغرض طغمة الجواسيس لاستطلاع اخبارهم وتدبير المكائد لهم وعمل على اغلال ايديهم بمراقبة المطبوعات والتضييق على الصحافة — فيحسن بنا ان نأتي على خلاصة تاريخية لكل من المراقبة والجاسوسية

المراقبة على المطبوعات

الطباعة في الاستانة اقدم منها في مصر واما الصحافة فقد نشأت فيهما معاً تقريباً واقدم صحف الاستانة انشأها السلطان محمود الثاني صدرت اولاً بالفرنساوية سنة ١٨٣١ واسمها المونيتور اوتومان (Moniteur Ottoman) عهد بتحريرها الى كاتب فرنساوي اسمه الكسندر بلاك كان صحافياً في ازمير وفي السنة التالية اصدر السلطان المشار اليه جريدة رسمية باللغة التركية سماها « تقويم وقائع » تحتوي على ترجمة ما يصدر في تلك . ثم صدرت جريدة « حوادث » سنة ١٨٤٣ وصدرت جرائد أخرى في ايام عبد المجيد وعبد العزيز و بلغ عددها سنة ١٨٦٦ نحو ٣٦ صحيفة تصدر في الاستانة وحدها بالتركية غير اربع صحف كانت تصدر بالفرنساوية والالمانية والانكليزية والايطالية وغير الجرائد الرسمية في الولايات واشتدَّ ساعد الصحافة التركية على الخصوص في عهد مدحت وكمال بتنشيط البرنس مراد (مراد الخامس) فانهُ كان محباً للادب واهله فارتقت آداب اللغة التركية على يده ونبغ فيها الكتاب والشعراء والادباء ونحن يومئذ في مصر والشام لا نزال في اول الطريق نحو ذلك الرقي . وكان للصحافة التركية تأثير على نفوس الاتراك اعجبت به الامم المتمدنة

وبلغ عدد الصحف بالاستانة في آخر ايام السلطان عبد العزيز (سنة ١٨٧٦) ٤٦ صحيفة بعضها للاحرار العثمانيين منها ١٢ في اللغة التركيه هي جرائد حوادث وبصيرة ووقت استقبال وصداقة واتحاد وصباح وشمس وحياة وجريدة عسكرية وجريدة طبية عسكرية وجهان . وواحدة عربية هي الجوائب لاحمد فارس و ٩ يونانية و ٩ ارمنية و ٣ بلغارية واثنتان عبرانيتان و ٧ فرنساوية واثنتان انكليزيتان وواحد المانية

وكانت الصحافة في ذلك العهد حرة لا رقيب عليها ولا مكتوبجي يقلم اظافرها · وظل ذلك شأنها حيناً بعد تولي السلطان عبد الحميد الحالي · فكانت تبحث في احوال الدولة وتنتقد اعمال الموظفين وتكشف خلل الادارات والحكومة لا تتعرض لها الا في احوال مخصوصة

ومن الامثلة الدالة على حرية الصحافة في ذلك العهد حادثة جرت لجريدة هزلية تصويرية اسمها « خيال » تطوحت في حريتها حتى كانت تنتقد مالا يستوجب الانتقاد · كما فعلت لما صدرت الارادة الشاهانية بانشاء مجلس المبعوثان سنة ١٨٧٦ فان الجرائد كلها استقبلتها بالثناء والاطراء الا خيال فانها ذكرت المادة المختصة بالمطبوعات في القانون الاساسي ونحواها « ان المطبوعات حرة ضمن دائرة القانون » ومثلت الصحافة برجل مقيد باغلال ثقيلة وكتبت تحت صورته هذه العبارة « الحرية ضمن حدود القانون » و يلي ذلك مقالة حمل بها الكاتب على رجال الاصلاح حملة منكرة · فلم تعطلها الحكومة لكنها حاكمت صاحبها فزادت تطرفاً فعطلتها · ولم يكن ذلك ليخيف الكتاب فظلوا على ما كانوا عليه من شدة اللهجة

ومن امثلة ذلك أيضاً ان حاكم غلطة اساء السيرة فانتقدته جريدة ترجمان حقيقت والف صاحبها جريدة خيالية نشرها في ذيل صحيفته جعل بطلها الحاكم المشار اليه وشددت النكير عليه · فلم يستطع التخلص من الخجل الا بالفرار من الاستانة · على ان هذه الحرية لم يطل مقامها لان جلالة السلطان مالبث ان ساء الظن بها و بكل كاتب حر على أثر حل مجلس المبعوثان واغضاب اعضائه ونفي مدحت وغيره فعمد الى الوقوف في سبيلها · بدأ تقييد الصحافة بجريدة « استقبال » لانها نشرت مقالات للكاتب المشهور ضيا بك (سكرتير السلطان مراد وظل على ولائه بعد خلعه) انكر فيها صدق نية السلطان عبد الحميد في الدستور فدارت المناقشات بشأن ذلك بين جلالته والصدارة وفاز اخيرًا بتعطيل استقبال وفعل ذلك بجريدة « وقت » وكان يديرها سعيد بك لانها نشرت مقالة في مستقبل الاسلام اغضبت جلالة السلطان فاصدر ارادته بتعطيلها فكتب سعيد بك في جريدة « طريق » وعاد الى الطعن وطال الجدال في شأنه واشتد غضب السلطان عليه حتى امر بنفيه الى صنعاء اليمن

وكان اشد الكتاب الاتراك وطأة على جلالة السلطان كمال بك المشهور بما كان ينشره في جريدته « عبرة » وكان كاتباً بليغاً شديد اللهجة قوي الحجة · واقتدى به شناسي افندي

الكاتب الحر فانشا جريدة « تصوير افكار » ودافع فيها عن الحرية دفاعاً حاداً . والفضل الاكبر في نشر روح الاصلاح في العالم التركي العثماني يرجع الى هاتين الصحيفتين فانهما حببتا الحرية الى الناس ورغبتاهم في الدستور . ولما انحل مجلس المبعوثان جاهد كمال بك في سبيله جهاداً انهض النفوس الخاملة . ولكمال بك في اداب اللغة التركية اثار مشهورة نظماً ونثراً . وتردد السلطان حيناً في ما يفعله بكمال هذا واخيراً امر بالقبض عليه ونفاه وقد ذكروا من اقواله ساعة بلغه الامر بالنفي ما يسحر الالباب ويدل على قوة جنانه وفصاحة لسانه وقوة برهانه

ومن الجرائد التي حكم عليها بالتعطيل تقويم وقائع وترجمان اقوال من الجرائد الحرة وغيرها . وشاع يومئذ ان السلطان ينوي الغاء الصحافة على الاجمال . ولما قامت القيامة بين الاحرار والمابين كما تقدم في كلامنا عن الاحرار العثمانيين عمدت الحكومة الى التضييق على الصحافة ومراقبتها وتقييد الفاظها ومنع البريد من حملها حتى بلغت من الانحطاط ما هو مشهور . وفي ما يتناقله القوم عن المكتوبجي وغرائبه ما يغني عن الاسهاب . وكانت الاوامر تصدر في التضييق على الصحافة من المابين . ويقال انهم اصدروا منشوراً بهذا المعنى ذكروا فيه الشروط التي يقتضي اتباعها في الصحافة وغيرها من المطبوعات هذه خلاصته :

اولاً — يفضل نشر الاخبار السارة عن صحة جلالة السلطان وحال المحصولات وتقدم التجارة والصناعة في تركيا

٢ — لا ينشر شيء يتعلق بالاداب العمومية ما لم يصادق على نشره ناظر المعارف او وكلاؤه

٣ — لا يجوز الاسهاب في كتابة المقالات الادبية او العلمية التي لا يتم نشرها كلها في عدد واحد تجنباً لتذيلها بلفظ « البقية تأتي »

٤ — يجب تجنب الفراغ بين الكلام والخطوط في اثناء المقالة لان ذلك يبعث على ظنون تكدر الخواطر

٥ — لا يجوز نشر الاعلام التاريخية او الجغرافية التي تحتوي لفظ ارمينيا

٦ — ممنوع نشر اخبار قتل الملوك الاجانب مهما يكن شكلها

هذه امثلة من تلك القوانين و يقول بعضهم انها لم تصدر من المابين وانما نسبوها اليه زوراً وفي كل حال ان مضمونها كان جارياً فعلاً في الصحافة كما هو مشهور . وقد عانينا ذلك بنفسنا في ما كنا نرسله من مطبوعاتنا الى سوريا وغيرها من انحاء المملكة العثمانية . واشتهر

ذلك حتى اصبح الكلام فيه من قبيل تحصيل الحاصل · اذ بلغ من تعنت المكتوبجي (مراقب المطبوعات) ان يمنع الجرائد من ذكر لفظ سلطان او ملك او مراد او جمهور او امير او ديناميت او خنجر او نحو ذلك من الالفاظ التي تشبه اسماء السلاطين او الملوك او ادوات الهلاك · ناهيك بمراقبة الكتب المطبوعة او الجرائد الواردة من الخارج فاذا راوا في بعضها كلاماً او رسماً لحادثة تشبه ما يوجس منه المابين مزقوا تلك الصفحة او طمسوها بالحبر الاسود او ابادوا الكتاب بجملته · واتفق لنا ذلك في الهلال مراراً من جملتها اننا نشرنا مرة في الصفحة الاولى من بعض اعداده صورة يوسف بك كرم ولم نتكلم عنه شيئاً · فلما وصلت الاعداد الى بيروت مزق المكتوبجي كل الصحائف التي نشرت فيها هذه الصورة · وفي احوال اخر طمسوا الصور او الكتابة بالحبر · وابادوا مرة اخرى عدداً من الهلال برمته اي كل الاعداد التي صدرت منه الى المملكة العثمانية ولم نعلم حتى الآن سبب ذلك العمل · ولو اراد الكاتب مسايرة مصلحة المراقبة لتسهيل دخول مطبوعاته بلاد الدولة لما استطاع ذلك لانه لا يعرف لهم قاعدة في المراقبة فلا يعلم ما يرضى المراقب او لا يرضيه اذ قد يمنع اليوم ما اذن به في الامس

وتفننوا في التضييق حتى منعوا نشر الصور الفوتوغرافية وتذاكر البوسطة المصورة اذا كان فيها صورة جامع او منارة او مقبرة او امراة تركية · واتفق ان احد الادباء ترجم روايتنا «اسير المتمهدي» الى الفرنساوية واراد نشرها في الاستانة فمنعوه لان فيها صورة امراة عليها لباس تركي هي عروس الرواية · وشاهدنا صفحة من قاموس لاروس الفرنساوي المشهور قد طمس بالحبر الاسود على ترجمة عبد الحميد وغير ذلك من الغرائب · ولكنها لم تقف في سبيل الحق فقد ظهر بفضل تعقل احرار العثمانيين و بفضل البلاد التي نزلوها تحت لواء الحرية بمصر واوربا اذ كانوا ينشرون اراءهم بالعربية او التركية او الفرنساوية في الجرائد او المنشورات ويوصلونها الى اخوانهم في تركيا بواسطة البرد الاجنبية او الرسل السرية

الجاسوسية

كانت الجاسوسية اشد وطأة على الاحرار العثمانيين من مراقبة المطبوعات · والجاسوسية من اظهر اعراض التقهقر · فكلما انحطت الدولة وفسد نيات اصحابها زاد فيها التجسس وانتشرت الوشايات — اعتبر ذلك في سائر الدول على اختلاف العصور ولكنها لم تبلغ مطلقاً ما بلغت اليه في هذه الدولة على عهدها الاخير · فقد كان للجاسوسية

فيها ادارة خاصة ورئيس ورسل ومندوبون تدفع اليهم الحكومة رواتب باهظة قد يزيد مجموعها في العام على بضعة ملايين . وسبب هذا التجسس في الاصل سوء ظن السلطان في بعض رجاله على اثر حل مجلس المبعوثان وما كان من تصدي بعضهم للفتك بالوزراء علانية . وقد يكون جلالته مصيباً في ذلك من بعض الوجوه . ولكن الخوف اوهمه انه محاط باعداء يترصدون منه غفلة ليقتلوه او يخلعوه وهو حريص على حياته ومنصبه فاهام الارصاد للدفاع عن نفسه وبذل المال للجواسيس حتى يصدقوه في نقل اخبار اعدائه . فاستلذوا ذلك الكسب المهين فجعلوا ينقلون اليه الاخبار الصحيحة وغير الصحيحة ولو ادى بهم الكذب الى قتل الانفس البريئة او خراب البيوت العامرة . فتشابه على جلالته الحق والباطل واصبح يخاف الذين ظلمهم الجواسيس فلم يزدد بالجاسوسية الا خوفاً فيزداد بالخوف تجسساً ويزداد ظنه سوءاً لبعده عن رعاياه والاحتجاب عن عقلائهم ومخلصيهم واستسلامه الى جماعة يزيدونه ابهاماً ليزداد لهم سخاء حتى اصبح سجيناً لا يعلم عن العالم الا ما يصله من قرنائه رسل السوء وطلاب المال . فاوهموه ان حياته في خطر حتى من اهله واقرب المقربين اليه . فدس الجواسيس في النظارات على الوزراء وفي الطرق والدروب وفي السفن والمساجد وفي منازل الكبراء وفي قصره نفسه وعلى الجند الذي يحرسه . وقد استخدموا في ذلك الرجال والنساء والغلمان والخصيان والجواري ثم وضع جواسيس على جواسيسه

— وكان المركز الرئيسي للجواسيس في يلدز ومنه تتشعب الفروع الى انحاء المدينة او الى الخارج فيأتي كل منهم بالتقارير بعضهم كل يوم وبعضهم كل بضعة ايام يرفعها الى رئيس الطغمة ليطلع عليها جلالة السلطان — او هم رؤساء عديدون لان كبار رجال المابين يجوز اعتبارهم من رؤساء الجواسيس ومنهم تحسين وعزت وراغب وشوكت وفائق وفدري وغيرهم . واما الذين اشتهروا بالجاسوسية واستخدمهم السلطان في مهمات كبرى فمنهم فهيم باشا واحمد جلال الدين باشا الذي انفذه السلطان الى جمعية الاحرار في باريس كما تقدم ومنير باشا سفير الدولة في باريس وغيرهم

واشهر اولئك الرؤساء واكثرهم ظهوراً بالفظاعة ضيابك الذي كان رئيساً للجواسيس عند هذا الانقلاب بالامس فقد اعترف في حديث دار بينه وبين بعض مكاتبي الصحف انه محا آثار ۱۷۰ نفساً من ابناء احسن العائلات التركية واوجه اهل السلطنة العثمانية وانه كان تحت يده ٤٠٠ جاسوس بعضهم من الترك واكثرهم من الارمن والاروام وبينهم نساء. قال « فكانت الاوامر تصدر الينا من يلدز فننفذها بلا تأخير ولا مراجعة

ونفتك بمن نؤمر بالفتك به ايا كان ومهما كان اصله وقدره وكانت التقارير الكاذبة تذهب الى السلطان فيصدر القضاء بناء عليها ولا مرد لذلك القضاء. وكنا لا نشي باحد ولو كان اعظم رجال الدولة الا حل به الهلاك » هذا ما اعترف به احدهم ولعلنا لو تلي علينا اعتراف الباقين لسمعنا مثل قوله · ولو اردنا الاتيان بالامثلة لضاق المقام عن القليل منها وهي مشهورة وانما نذكر امثلة من منشور وقفنا عليه يقال انه ارسل من المابين الى مديري البريد في المملكة العثمانية لاجل التجسس على المراسلات هذه خلاصته :

١ — اذا اشتبهتم بمكاتيب او رزم يجب ارسالها الى القصر الشاهاني ثم تعاد بعد ذلك الى مصلحة البريد

٢ — يجب الانتباه الى ملامح الاشخاص الذين يكثرون التردد لتناول مراسلاتهم من شبابيك البوسطة في غلطه او بيرا

٣ — ان المراسلات المعنونة تبقى في البوسطة (Poste restante) تقع عليها الشبهة فينبغي معرفة اصحابها ومنازلهم

وقس على ذلك سائر البنود وهي عشرة · ولكن ما الفائدة من هذا التضييق والبرد الاجنبية منتشرة في أهم المدن واعظمها توصل المكاتيب الى اصحابها ولا سلطة للدولة عليها · وكان للمرأة دخل كبير في المراسلات السرية

اسباب الفوز

قد رأيت مما ذكرناه ان فساد احوال الدولة قيد الاقلام واغل الاعناق ولكنه لم يقو على تغيير النفوس او اكتساب القلوب فعمل دعاة الحرية عمل الابطال للخروج من سجن الاستبداد وصبروا صبر العقلاء فاتوا بنتائج ادهشت العالم المتمدن اكثر مما ادهشه ظلم انصار التقهقر من قبل · وكما اربى ظلم هؤلاء وفساد امورهم على ما دونه التاريخ من الاحوال الانحطاط فقد فاق فوز الاحرار العثمانيين على كل ما نعلمه من انتصارات احرار في العالم قديماً وحديثاً · اذ لم يذكر التاريخ مملكة نال اهلها الحرية رغم ارادة الدولة الا بسفك الدماء فخالفوا بذلك الحكمة التي ارادها الشاعر بقوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى يراق على جوانبه الدم

وبعد ان كان العثمانيون منذ بضعة اشهر يخفضون رؤوسهم ويخفتون اصواتهم اذا ذكرت دولتهم اصبحوا يعتزون باسم هذه الدولة ويفاخرون سائر الامم بنيل تلك الامنية

بلا حرب ولا قتل . وسيدوّن التاريخ فضلهم وتذهب الامثال بتعقلهم ودهائهم ويكونون قدوة المطالبين بالاصلاح في الاعصر المقبلة — فيحسن بنا ان نذكر اسباب فوزهم فنقول :

اولاً — ان اول هذه الاسباب ارتقاء شعور الامة بالتربية والتعليم حتى ادركت معنى الاستقلال الحقيقي وعلم عقلاؤها انهم لا يرجون فلاحاً الآ « بالاتحاد والترقي » ورأوا اعداءهم يقتلون الابرياء ويخربون البيوت ويشتتون شمل العائلات ويقيدون الاقلام ويميتون الشعور الحي فنهضوا لمقاومتهم وسيفهم القلم ودرعهم الحق وشعارهم الاتحاد . كان حزب التقهقر مؤلفاً من الجهلاء والطامعين والقتلة فتألف حزب الاحرار من العلماء والكتاب والشعراء والفلاسفة — كأنها حرب بين الجهل والعلم او بين الرذيلة والفضيلة . لم يجرد الاحرار فيها سيفاً ولا قتلوا بريئاً ولا دعوا الى ثورة دموية . وانما جعلوا همهم استنصار العقل والحق وصبروا وكظموا حتى فازوا وايدوا للعالم قاعدة من قواعد الاجتماع طالما قرأناها على صفحات الكتب نعني « الحق يعلو ولا يعلى عليه » وتصرفوا في سائر شؤونهم تصرف العاقل الحازم فاسقطوا دولة واقاموا دولة ولم يأخذهم الطيش ولا سكروا بخمرة النصر ولا اتوا حتى الساعة عملاً يقبل الانتقاد

ثانياً — اخلاص الاحرار في ما قاموا له . فانهم قاموا يطلبون امراً يعتقدون انهُ حق مسلوب لا يرجون من وراء نيله الا مصلحة الجماعة يدلك على ذلك تصرفهم بعد ان قبضوا على ازمة الاحكام وصار اليهم الامر والنهي انهم لا يقبلون منصباً ولا يطمعون في مال

ثالثاً — الاعتماد على العمل دون القول — فبقي الاحرار العثمانيون اعواماً عديدة يجتمعون خفية ويتخاطبون همساً ويتكاتبون سراً لا يصيحون ويصخبون وانما يسعون ويؤسسون وينشرون مباديهم وآراءهم رغم التضييق على حركاتهم في بلاد الدولة وقد منعت الحكومة الاجتماعات على الاطلاق فلم تكن تأذن في انشاء الجمعيات حتى الادبية منها خوفاً من ان يتخذها الاحرار وسيلة للاجتماع والمؤامرة . لكنهم لم يحرموا وسيلة للاجتماع باسم الماسون او الجمعيات الخيرية وهم في كل حال يبالغون في التستر وقد افادهم التكتم لانهُ يبعد الشبهات ويقوي العزائم ويزيد الجماعة ائتلافاً وتكاتفاً

رابعاً — صبرهم على المكاره وهم يترقبون الفرص المناسبة حتى آن الوقت ووثبوا وثوب الاسد . مرت بهم مكاره ومشا كل ذكرنا شيئاً منها في ما تقدم ذهب بها بعضهم قتلاً ومات آخرون نفياً وذاق معظمهم ذل الغربة ومضض الفاقة وهم صابرون الا ما ذكرناه من خيانة بعض المنتمين اليهم او الذين غلبوا على امرهم اشفاقاً على اهلهم من ظلم الظالمين —

حتى هؤلاء انما اظهروا الرجوع تفادياً من الاذى على ذويهم · ومع ما نالوه من اسباب الترضية بالمناصب وغيرها ظلت قلوبهم مع احرار ينصرونهم بما في الطاقة · كما فعل الامير امين ارسلان فانهُ من الاحرار الذين جاهدوا في سبيل الاصلاح باقلامهم واموالهم لكنهُ اضطر للسكوت خوفاً من الاذى على اهله فجعلته الدولة قنصلاً لها في بروكسل وكان فيها لما توفي الداماد و بعثت الحكومة تطلب اوراقهُ فعلم الامير ما يترتب على وصول تلك الاوراق الى المابين من الفتك بالابرياء فاحتال في تهريبها · فانقذ انفساً من الموت ونجى عائلات من الخراب · وهناك امثلة كثيرة من هذا القبيل · وفي ذلك من الدهاء والتعقل ما لا يخفى على البصير — علموا ان قيامهم لا يثمر الا اذا كان الجند معهم فعملوا على ادخال ضباطه في جمعيتهم وهم يتكتمون و يتهامسون فلما استوثقوا من الجند اظهروا امرهم ونالوا ما يتمنون · وقد افاد صبرهم ثلاثين سنة في تنقية افرادهم فلم يبق ثابتاً منهم الا المتفاني في سبيل الحرية

خامساً — انهم نبذوا التعصب الديني والجنسي وجعلوا لاتحاد العناصر دخلاً كبيرًا في مساعيهم فالفوا بين الشعوب العثمانية على اختلاف مذاهبهم ولغاتهم · والحق يقال ان الفضل في ذلك راجع الى الاتراك وهم اهل الدولة فجاهروا بتنازلهم عن ذلك الامتياز واحترام سائر العناصر — ولا ريب ان ذلك الاتحاد من اكبر الاسباب التي حملت الدول على نصرتهم والاخذ بيدهم

سادساً — اشتراك المصلحة · لان العثمانيين وجدوا بطول الاختبار ان الحالة الماضية تخالف مصالحهم وانما ينتفع بها شرذمة من ارباب المطامع فكان كل منهم يرى حقه مهضوماً و يميل الى المطالبة به فلما صاح بهم صائح الاصلاح لبوه وزادهم ذلك تآلفاً حتى بين اشد الطوائف تباغضاً وفي اكثر البلاد تعصباً · فانقلب تباغضهم الى تآلف وتحول عداؤهم الى مودة وصار تعصبهم الى تسامح على اسلوب غريب تعانق فيه الشيخ والقسيس والحاخام وتصافت القلوب

سابعاً — ارتقاء المرأة — وهو يدخل في ارتقاء الامة على الاجمال ولكن للمرأة في نيل الدستور العثماني شأناً خاصاً نعني المرأة التركية فانها كانت عوناً كبيرًا للاحرار في مساعيهم وفي ترقية نفوسهم · لان الاخلاق السامية التي ظهر بها العثمانيون لا تنمو الا في حجر الامهات الراقيات · قد ترتقي الامة وتنال الاستقلال وان كان العلم فيها قليلاً ولكنها لا تستقل ان لم تكن فيها المرأة راقية لان الامة كما قلنا في غير هذا المقام «نسيج الامهات»

ان المرأة المرتقية بالعلم والتربية تغرس في نفوس ابنائها حب الاستقلال وتعلمهم الانفة وعزة النفس حتى ينهضوا لطلب الحرية ويتفانوا في سبيلها . قد يفعلون ذلك وان لم يكن علمهم راقياً فكيف اذا تعلموا وكانت امهاتهم مستنيرات كما هو الحال في العثمانيين الاحرار — فقد قرأنا عن انفة نسائهم وعلو همتهن وتعقلهن ما يدهش الالباب — كانت النساء التركيات ومن خالطهن في الاستانة وغيرها يعددن انفسهن شريكات في العمل يكاتبن ويقابلن ويحملن الرسائل ويشاركن الرجال في الرأي ويستنهضن هممهم ويثبتن عزائمهم مما يجب ان يكون مثالاً للام الساعية في سبيل الاستقلال او الحرية

ثامناً — زيادة ضغط اهل المابين ومبالغتهم في الظلم والعسف . لان ما بلغوا اليه من الفتك والظلم ساعد على اتحاد الامة وثباتها في مقاومتهم يأساً من الاصلاح على يدهم . ولو كانوا اقل ضغطاً وظلماً لبقي جمهور الضعفاء صابراً على تلك الحال وطال زمن الاستبداد

تاسعاً — مصافاة الدول الاجنبية — علم الاحرار العثمانيون في اثناء هجرتهم في اوربا وتثقفهم بالعلوم العصرية والاطلاع على مجاري السياسة انهم لا يرجون نهوض دولتهم من ذلك الخمول ولا يتوقعون التغلب على ذلك التيار القوي الا اذا نصرتهم بعض الدول العظمى فجاهروا باستنصارهن فنصرتهم انكلترا وفرنسا ولا نعلم مقدار تلك النصرة ولكننا نعلم انهم يعترفون لها بالفضل في هذا السبيل وهي حكمة بالغة تدل على تعقل ودهاء . والقاعدة في التاريخ القديم ان الدولة اذا شاخت وكثرت مفاسدها تظلم رعاياها الى دولة حية فتنشلهم من دولتهم وتقوم هي مقامها فتحتل عرشها وتصير صاحبة السيادة عليهم . وفي التاريخ عشرات الامثلة من هذا القبيل . بل هي قاعدة اجتماعيــة سياسية ثابتة يكفينا الاشارة الى الدول التي توالت على مصر من عهد الرومان الى الآن فقدكانت الامة المظلومة تستنصر دولة اجنبية على دولتها وتخضع لها . اما العثمانيون الاحرار فقــد استنصروا الدول للانتفاع بنفوذهن وعلمهن مع استبقاء استقلالهم

عاشراً انتشار الاحرار في البلاد المتمدنة التي يخفق فوقها لواء الحرية . لان مهاجرتهم بالفرار او النفي الى أوربا اطلقت السنتهم واقلامهم للشكوى والتظلم وانارت اذهانهم بالعلم والتدرب على السياسة فزادت اقتدارهم على المطالبة بالحقوق واضاءت طرقهم في السعي . ولا ينبغي ان ننسى فضل مصر من هذا القبيل فقــد كانت وسيلة لنشر آراء الاحرار بين اخوانهم في المملكة العثمانية . وللبرد الاجنبية فضل كبير في نقل تلك الافكار

حادي عشر — اعتمادهم على الجيش لان الحكومة السابقة انما كانت تخيف الاحرار

بقوة الجند فانحيازه الى الاحرار رجح كفة الفوز لهم . والفضل الاول في مباشرة العمل الى البطلين نيازي بك وانور بك . ولشيخ الاسلام فضل كبير في حجب الدماء بالفتوى التي اصدرها



البرنس صباح الدين

ولم يقتصر تعقلهم على كيفية نيل الدستور ولكنهم ادهشوا العالم بسعيهم في سبيل الاصلاح كانهم قضوا سني الاضطهاد في منفاهم ودور هجرتهم وهم يرسمون الخطط التي يجب ان يسيروا عليها في اصلاح الدولة متى صارت اليهم . فلم يمض شهران على قلب الحكومة السابقة وقبل ان تشرع الامة في انتخاب مجلس المبعوثان اخذوا يعقدون الشروط مع جهابذة الفنون العلمية من الافرنج لاصلاح المالية والزراعة والعسكرية وغيرها . ناهيك بما ظهر من تعقلهم في انتخاب الموظفين لادارة الاعمال فعهدوا كل منصب الى الرجل الذي يليق به فاختاروا للصدارة العظمى كامل باشا المشهور بالنزاهة والتعقل . واظهروا حكمة في مجاملة جلالة السلطان لا تقل عن الحكمة التي اظهرها جلالته في قبول اقتراحهم . فانه لما رأى الامة مجمعة على طلب الدستور وقد افتى به شيخ الاسلام وعلم ان اباءه يؤول الى سفك الدماء

اجاب الطلب وأحسن الاجابة وشجعهم وشكا اليهم خداع اعوانه السابقين . وهم لما رأوا منهُ ذلك اكرموه واعترفوا بانهم لا يستغنون عن آرائه في الاصلاح لطول اختباره وذكائه وسموه ميكادو العثمانيين

فنطلب اليه تعالى ان يأخذ بيد أحرارنا لاتمام العمل الذي شرعوا فيه . فانهم لا يزالون في اول الطريق وبين ايديهم من العقبات في تأييد دستورهم ما يربو على العقبات التي اعترضتهم في سبيل نيله . وشأنهم في ذلك شان رجل اكتسب حقلاً خصباً وفرح به لانه ناله بعد حرب عوان فمهما يكن حصوله عليه شاقاً فانما يتوقف فضله على معرفة الانتفاع به . على ان ما ظهر لنا من اعمال هذه الجمعية حتى الآن يؤكد لنا حسن المستقبل لانهم لم يأتوا عملاً يلامون عليه بعد . ولنا كلمة في ما يرجى من الاصلاح على ايديهم نؤجلها لوقت آخر



باب السؤال والاقتراح

ما هو الدستور

(القاهرة) محمد افندي حسن العامري

كثر تحدث القوم في هذه الاثناء عن الدستور الذي ناله الاحرار العثمانيون وفهمنا انهم انتقلوا به من الاستبداد الى الحرية ولكننا لم نفهم مزايا الحكومة الدستورية على سواها وكنا نسمع ان الشرقيين لا ينالون الدستور . وما هو المراد بالقانون الاساسي ومجلس المبعوثان

(الهلال) لنا في الحكومة الدستورية غير مقالة في اهلة السنين الماضية ولا بأس من الاجابة على سؤالكم بمناسبة الاحوال الحاضرة وتحدث الناس في هذا الموضوع

يراد بالحكومة الهيئة التي تتولى تدبير سائر افراد الامة والقضاء بينهم . وهي انواع عديدة ترجع الى ثلاثة اشكال : الاول ان يتولاها رجلٌ واحد يسمونه ملكاً او قيصراً أو سلطاناً او امبراطوراً أو اميراً او دوقاً أو غير ذلك ويدخل فيه الحكم الاستبدادي

المطلق . والثاني ان يستعين هذا الرجل ببعض الخاصة من اهله أو اهل دولته أو طائفة من الاشراف أو الكهنة . والثالث ان يتولاها الشعب رأساً أي ان تحكم الامة نفسها بنفسها أو تنيب من يتولى ذلك عنها

واقدم هذه الاشكال واقربها الى طبيعة الانسان الحكم الاستبدادي المطلق فانه اول ما خطر للبشر في ابسط احوالهم مذ كانوا عائلات يتولى شؤونها آباؤها او شيوخها ولما تكاثروا تنازع الشيوخ على السيادة العامة فتولاها اقوام . وهكذا حتى تألفت الامم يحكم كلا منها ملك او امير — ذلك كان معظم شان الدول الشرقية في التاريخ القديم . ولما تحضر الناس وانشأوا المدن واستنارت اذهانهم بالعلم اكبر بعضهم الخضوع لارادة فرد منهم فاتفقوا على ان يحكم الجمهور نفسه وهو ما يعبرون عنه بالحكومة الجمهورية . واقدم الحكومات الجمهورية واقربها الى المعنى المراد بها حكومة اليونان القديمة فقد كانت كل مدينة من مدنها يحكمها شعبها راساً على التناوب والتبادل كذلك كانت اثينا وسبارطة وغيرهما

ولما عمرت مدينة رومية نسج اصحابها على منوال اليونان وتوسعوا في انشاء المجالس بالانتخاب لادارة شؤون الامة والقيادة في الحروب والفتوح حتى اذا اتسعت المملكة وتباعدت اطرافها استحال اشتراك الامة كلها في الانتخاب والعمل فاصبحت السلطة محصورة باهل العاصمة (رومية) واليهم المرجع في كل شيء . وما لبثوا ان رجعوا الى فطرة الانسان والمطامع البشرية فاختلف طلاب القيادة من كبار القواد على الاستئثار بالسلطة فتحولت جمهورية رومية الى حكومة ملكية او قيصرية تولاها قياصرة عظام — مع بقاء سائر ظواهر الحكومة على شكلها الجمهوري وتقلبت على احوال شتى لا محل لتفصيلها

ولما سطا الجرمان على تلك المملكة في اواخر ايامها واستقروا في بلادها اقتبسوا منها معظم احوال تمدنها بالتدريج وكانوا من طبيعتهم اهل بداوة ورحلة يعيشون قبائل و بطوناً على نحو ما كان العرب في جاهليتهم يجتمع كل جماعة منهم حول شيخ لهم او امير مع تعودهم الانفة والحرية . فلما انحلت المملكة الرومانية اتخذت امم الجرمان شكلاً من الحكومة وسطاً بين حالهم وحال الرومان عرف بالحكم الاقطاعي . وذلك ان يضع الامير او القائد يده على بقعة من الارض يستغلها و يحكم اهلها و يكون بينه و بين سائر الامراء علائق تنتهي الى كبير منهم له عليهم زعامة حربية ويعاهدونه على ان يعينوه بالجند عند الحاجة . ثم تحول النظام الاقطاعي بالتدريج الى الحكم الملكي . وابت طبيعة تلك القبائل الرضوخ للحكم المطلق فادخلوا الحكم الدستوري وتبدلت الحكومة الاقطاعية شيئاً فشيئاً الى

النظام الدستوري

وحقيقة الفرق بين الحكم الاستبدادي والحكم الدستوري ان الاول هو الشريعة التي يحكم بها الملك رعاياه وله الرأي الاعلى في الامور العامة كانه يحكم الناس كما يشاء . والثاني عبارة عن القوانين التي يقيد الرعايا بها احكامه واحكام رجال دولته . وبعبارة اخرى ان الحكومة او الدولة قد تكون مؤلفة من رجل او عدة رجال ولها ثلاثة اعمال سن القوانين والفصل في الخصومة وادارة شؤون المملكة . والدستور يدلنا كيف تتألف هذه الحكومة وما هي نسبة اعضائها بعضهم الى بعض ويبين الكيفية التي ينبغي ان تجري بها الاحكام فهو قيود للقوة المتسلطة

والدستور المذكور يختلف قوة وتختلف قيوده ضيقاً وسعة باختلاف الدول والعصور وهو في كل حال من ثمار التمدن الحديث . واهم ما يمتاز به انه مبني على ارادة الامة او هو خلاصة ارادتها واساسه الانابة اي ان تنتخب الامة من ينوب عنها في سن القوانين ومراقبة سير الحكومة

والفضل الاكبر في انشاء الحكم الدستوري على هذه القواعد للانكليز فانهم اول من انشأ مجلس النواب واعطاه هذه السلطة ولذلك يقولون في امثال الافرنج « ان انكلترا ام المجالس النيابية » وكل ما عند الامم الاخرى من الاحكام الدستورية مبني على الاساس الذي وضعه الانكليز وكان نابرنجهم قدوة الحكومات الدستورية في انشاء هذا التمدن فلا عجب اذا اعانوا العثمانيين في نيله

على ان الدستور في انكلترا يختلف عما في سائر الدول الاوربية لان معظمه تقليدي يستخرجون قواعده من تاريخ الامة مع ما تقتضيه روح العصر من التعديل والتبديل . فمجلس النواب عندهم يبحث في المسائل السياسية او الادارية او القضائية ويسند احكامه الى السوابق ويعدلها على مقتضى الاحوال . وكثيراً ما يلتبس عليهم القطع في مسالة فيشكلون لجنة لمراجعة وقائع المجالس القديمة ليقابلوها باشباهها . ومزية الدستور على هذه الصورة انه يقبل التحسين كل يوم لسلامته من القيود اللفظية

واما الدستور في الدول الاخرى فانه مدون بنصوص صريحة ومقسم الى مواد معينة فلا يمكن التوسع في احكامه الا بعد الاقرار على تغيير بعض مواده او كلها مما يستلزم نظراً دقيقاً ووقتاً طويلاً . فتضطر الدولة والحالة هذه ان تسير على دستور وضع منذ خمسين سنة او ستين او مئة سنة ولا يخفى مقدار ما يحدث من الفرق باحوال الامة في اثناء هذه السنين .

واما الدستور الانكليزي فانه مرن يقبل الطي والنشر والقبض والبسط حتى يوافق الاحوال الجارية او هو حي ينمو نموًا طبيعيًا مع الزمان

والدستور لا يختص بالحكم الملكي كما رايت ولكنه يتناول الجمهوريات ايضًا بل الجمهوريات اولى ان تتقيد بارادة الشعب · وكل امة فيها مجلس تنوب باصواتها عن الشعب كانت حكومتها دستورية وفي العالم الان بضع واربعون دولة معظمها دستوري واكثر الممالك الدستورية جمهوريات · ولم يبق من الدول المطلقة او الاستبدادية الاست وهي روسيا والصين والحبشة وافغانستان ومراكش والفرس (بعد نقض الشاه دستورهم)

اما الدستور بالنظر الى الشرق فلا نعرف مانعًا طبيعيًا يمنع الشرقيين من نيل الحكومة الدستورية وان كنا نراهم ابعد عنها من الغربيين ليس لسبب فطري في طبيعة القوم ولكن الشرق اقدم عمرانًا من الغرب والحكم الاستبدادي اقدم عهدًا في تاريخ الاجتماع · فلما نهض الغرب بتمدنه الحديث كان الشرق قد شاخ وتقاعد فنهض اليوم لتجديد شبابه فلا مانع من وصوله الى ارقى درجاته بالعلم والتربية ولا سيما في الشرق الادنى لقربه من عوامل هذا التمدن ولذلك كانت اول الامم الشرقية التي فكرت في تحويل دولتها الى النوع الدستوري الامة العثمانية منذ نيف وثلاثين سنة · ولا عبرة في تاخير الدولة عن العمل به للاسباب التي بسطناها في صدر هذا الهلال فان روح الدستور كانت ترفرف على قلوب العثمانيين ونفوسهم تشتاق اليه وتطلبه حتى اتيح لهم الرجوع اليه

اما القانون الاساسي فهو القانون الذي صدر عند اعلان الدستور العثماني سنة ١٨٧٦ وهو مؤلف من ١١٩ مادة وخلاصة ما فيه (١) المساواة بين طبقات الرعية على اختلاف المذاهب فهم على تباين اصنافهم وطبقاتهم سواء لدى القانون (٢) حرية التعليم وان يكون اجباريًا (٣) حرية المطبوعات وفيه بيان اختصاص مجلسي المبعوثان والاعيان وطرق الانتخاب وشروطه في من ينتخب وينتخب وجاء فيه ايضًا ان كل واحد من رعايا الدولة العلية يسمى «عثمانيًا» وان الدين الرسمي هو الاسلام واللغة الرسمية هي التركية وان تبطل المصادرة والتعذيب والسخرة وان تضع الحكومة ميزانية سنوية تعرض على مجلس المبعوثان ثم على مجلس الاعيان ويطلب اقرارها عليها لاعتمادها وغير ذلك وربما نشرناه بنصه في بعض الاعداد المقبلة

اما المبعوثان فهو البرلمان العثماني ويتألف من مجلسين مجلس احدهما ينتخبه الاهالي ويسمى مجلس المبعوثان والآخر تعين الدولة اعضاءه ويسمى مجلس الاعيان

صحة العائلة

كيمياء المطبخ

تمهيد

لا ريب ان المطبخ قديم العهد بالوجود ولكنه لم يرافق الانسان منذ نشوئه لانه كان يجهل النار وكانت اسنانه في حال البداوة والقوة اعظم حجماً واشد صلابة فلم يشعر بالافتقار الى الطبخ اما اليوم بعد ان غيرت حاله الايام واضعف التمدن والرخاء قوته البدنية فقد صار الطبخ ضروريا لتغذيته وصارت الحرارة اكبر نصير لمعدته على تناول ما تخرجه الارض من نباتها وهضم ما تقدمه له من المواد التي لا تفعل فيها عصارة المعدة الاّ بمساعدة النار

وقد بلغ التفنن في الطبخ مبلغاً عظيماً عند ابن التمدن وولید الحضارة حتى اصبح الفرق بعيداً بينه وبين ابن البادية وصارت معدته خفيفة حساسة لا يقوى بها على مجاراة المتوحش في ما يأكل ويشرب . وافسح الطب مجالاً واسعاً في مباحثه لامراض القناة الهضمية والحميات والآفات الجلدية الناتجة كلها عن تشوش هذا المطبخ الداخلي واضطراب وظائفه . ولا يتوهم القارىء انني سأسوقه الى هذا الباب الواسع وادخل معه في هذا الموضوع الطويل العريض أو اني سأبحث معهُ عن قواعد الطبخ واصوله لنتفق معاً على انشاء مطعم انساني جديد يرجع بالانسان قليلاً عن حالة التهور التي وصل اليها ويعيد له شيئاً من جماله السابق وعافيته القديمة . انما اردت بهذه الرسالة ان اظهر لهُ مرتبة بعض المواد التي يتركب منها غذاؤنا اليومي وافضلية بعضها على بعض ليكون على هدى في استعمالها في حالتي الصحة والمرض والراحة والعمل . وربما المحنا في عرض الحديث ببعض الشروط التي يجب اتباعها في معالجة هذه المواد بالنار ليتم نفعها في تغذية الدم ويهتدي الانسان الى مقاومة التعب واجتناب اكثر العلل التي ينسبونها الى اضطراب التغذية وبطوء التمثيل كالحصى والنقرس والسكري وما شاكل

ان العناصر الاساسية التي تتركب منها الاطعمة على اختلاف الوانها وتباين اجناسها

ثلاثة : زلال وسكر ودهن وما بقي فاملاح وماء . وما موائد الملوك لو تحققت على كثرة اشكالها وتعدد الوانها وتفنن الطهاة في علاجها وطبخها با كثر مما يأكل الفقير من العدس والبصل والخبز الناشف . من القصر الى الكوخ كل لقمة يزدردها الانسان تحمل الى الجسم زلالاً ودهناً وسكرًا ولا تختلف الا الصور والظواهر . فهذه العناصر المتوفرة في الوجود لكل فرد منا يتناول منها ما شاء لقوام جسمه غايتها توليد الحرارة والقوة والحركة باحترافها في الجسم واستحالتها من صورة الى صورة . ولا يكون الغذاء كاملاً الا اذا حوى من جميعها على نسب مختلفة . ولهذا لا يسمى البيض مثلاً غذاء كاملاً باضافة اللبن اليه لانه يحوي كثيرًا من السكر او المواد الهيدروكرونية . وربما كان هذا اصل السبب في استعمال الفرنجة «للكريما» . واللبن غذاء كامل بعكس البيض لاشتماله على العناصر الثلاثة ولكنه لا يسمى غذاء وافيًا لان مقادير هذه العناصر غير متعادلة ومنها ما هو قليل بالنسبة لحاجة الانسان (وان كان كثيرًا فيه) كالسكر فاذا اضفت اليه الارز مثلاً جعلته من احسن الاغذية

وقد قدر ما يلزم الجسم من هذه العناصر في الحالة الطبيعية فكان معدله ١٠٠ جرام من الزلال و ٥ جراماً من الدهن و ٥٠٠ من السكر . فاذا عرفنا تركيب كل صنف من اصناف المأكولات ومقدار ما يحويه من هذه العناصر الثلاثة امكننا ان نجد بالتقريب احسن صورة للتغذية واتم مثال :

جدول

المآكل التي يغلب فيها الزلال	المآكل التي يغلب فيها السكر	المآكل التي يغلب فيها الدهن
الجبن	الارز	الجزر
العدس	القمح	اللوز
الفول	العدس	دهن الخنزير والبقر
لحوم الطير والخنزير	الفول	آح البيض
البيض ولا سيما الصفار	البطاطا	الجنكايز
السمك	اللبن	الجبن
اللبن	العنب	
الارز		

يتبين من هذا الجدول ان الارز والعدس والفول واللبن والبيض هي اكمل من سواها ولكنها لا تفي وحدها بالمراد لان العناصر الثلاثة غير متوفرة في كل منها . فالحبوب مثلاً

كثيرة الزلال والسكر ولكنها قليلة الدهن · اما البقول فمنها ما يحوي كثيرًا من الماء وهو قليل الغذاء كالجزر والفجل والبازلا والسبانخ والسلطة ويكثر الحديد في السبانخ والخس

اللبن

قلنا ان اللبن غذاء كامل وان كان لا يفي بحاجة الجسم النامي وليس كل اللبن واحدًا بتركيبه فالدهن يكثر في لبن الماعز والبقر والزلال في لبن الحمارة · ولذلك يحسن بمن تلجئه الضرورة الى الاقتصار على هذا الصنف من الغذاء ان يأخذه مزيجًا من الاثنين · واللبن للاطفال غذاء كافٍ فضلاً عن انه يلائمه اكثر من سواه لتوفر المادة السكرية فيه

الفرق بين السكر والزلال ان الاول للحركة والثاني لبناء الهيكل وتجديد العناصر المندثرة · وقد قارن احد الاطباء بين اللبن والبيض فوجد ان البيض يغلب فيه الزلال لان الصوص (الكتكوت) لا يحتاج الى الحركة فيكتفي بتناول المواد الموجودة في البيضة لتركيب جسمه ونموه وعند ما يصير قادرًا ان يتغذى لنفسه يخرق البيت الذي هو فيه ويخرج في طلب القوت وبما انه يحتاج حينئذٍ الى الحركة فيكون طلبه للسكر اكثر منه للزلال وهذا ما يجده في الحبوب

وقد كثر البحث في اللبن واختلفت آراء الاطباء في فائدته وقد بينت في غير هذا الموضع ان اللبن من افضل المغذيات واصدقها ولكنه ثقيل الهضم على اكثر المعد ولا يروي العطش كما يجب بل هو يزيده احيانًا ولاجل ذلك لم يعتمد عليه الاقدمون في ارواء الغليل بل جعلوه بمقام الغذاء لا الشراب البسيط · وهو غذاء الراحة لان تهييجه للقناة الهضمية خفيف لطيف ولهذا يعتقد بعضهم انه لا ينفع في الامراض المزمنة التي يقصد فيها تهييج افراز المعدة لا تخفيفه · ويجب ان يضاف اليه قدره من الماء ليسهل هضمه وان يؤخذ بجرعات صغيرة لتكون كتلات الجبن المتجبلة صغيرة يسهل فعل العصارة الهاضمة فيها · وهو اذا اخذ خثرًا كالشورباء كان اخف هضمًا واسهل تناولاً على المعدة · وقد رأيت بعض الفرنجة يأخذونه على المائدة بدل الماء وهذا ضلال مبين فقد تبين من مباحث المدققين ان اللبن وحده مضاد للتسمم ولكنهُ اذا اخذ مع الاكل كان داعيًا الى ذلك لانهُ يعيق هضم الطعام بما فيه من الدهن والطعام يعيق هضمه بما تفرزه المعدة من الحامض حينئذٍ · ثم هو لا ينبه الاعصاب فيمشي الطعام ببطء ويسبب اختمارًا واما كان ولهذا يؤثرون عليه اللبن الخاثر والرائب بشرط الاعتدال فيه · اما الحموضة والجشاء

(الدشوة) التي تسبب احياناً عن الحليب فناتجة عن طول بقائه في المعدة وتكون الحامض الكثير او اللبن وهو يحدث تشنجاً في فتحة المعدة (البواب) فيغلقها و يمنع مرور الجبن الى المعي و يزال هذا العارض بأخذ قليل من ملح الصودا او غيره (لها بقية)

الاسكندرية الدكتور نقولا فياض

حرية القول

عنوان ارتقاء الامة

الحرية ثلاث درجات: حرية الفكر وحرية القول وحرية العمل · فحرية الفكر هي ان نطلق الحرية للفكر ليتصرف في المسائل التي تعرض عليه ويحكم فيها على مقتضى نواميس العقل · وقد يستغرب القارئ هذا التعريف لاعتقاده ان ذلك هو الواقع فعلاً وان كل انسان ينظر في الامور على هذه الكيفية فهو حر الفكر · والحقيقة ان احرار الفكر قليلون ولا سيما بين اهل التقاليد والتعصب · اذ لا يخلو الانسان من عوامل اثرت في فكره من الصغر او رسخت فيه بالمزاولة حتى صارت جزءاً من وجدانه كانها اظلال ذات الوان تغشى العقل فلا ينظر في القضايا المعروضة عليه الا من خلال تلك الاظلال فتتلون افكاره بها · وقد يغلب عليه اعتقاد يسبق الى ذهنه صدقه فيجعله قاعدة يقيس عليها ما يعرض له ولا تصدر احكامه الا اذا وافقت ذلك الاعتقاد · ولا ينتبه الناس الى قيود الفكر الا اذا امعنوا النظر في اسرارهم وخاطبوا وجدانهم بعد تجريده من العوامل الراسخة او الاعتقادات الغالبة

وحرية الفكر اول خطوة في سبيل الرقي الاجتماعي بل هي اساس ذلك الرقي · ولكن حرية القول اعظم اهمية منها بالنظر الى سير ذلك الرقي ونموه لان الانسان اذا أخطأ في فكره انحصر ضرر ذلك الخطا في نفسه فلا خوف على الامة منه · اما حرية القول فهي عنوان ارتقاء الامة واصحابها هم خدمة المصلحة العامة · و يراد بحرية القول ان يقول الانسان ما تدله عليه حرية الفكر اي ان يصرح بما يعتقده بلا تدجيل او مداجاة او تمويه فلا يقول شيئاً وهو يعتقد خلافه · وتظهر حرية القول بمظاهر تختلف باختلاف الاحوال : ففي المعاملات الشخصية بين الناس يعبر عنها بالصدق وفي معرض الارشاد او التنبيه يقال لها صدق اللهجة او الصراحة في القول · وفي سبيل الانتقاد او الاعتراض تسمى الشجاعة الادبية · ومنها اختلفت

اسماؤها والقابها فانها ترجع الى تحديد بسيط هو « ان يقول الانسان ما يعتقده » . وارقى طبقاتها جميعاً « الاعتراف بالخطاء والاقرار بالعجز » اي ان يقول الانسان ما يعتقده ولو كان على نفسه . وعندنا ان الانسان لا يزال مخطئاً حتى يستسهل الاعتراف بالخطاء فيصير مصيباً . ولا يزال ضعيفاً حتى يعترف بالعجز فيصير قوياً — لان الاعتراف بالخطاء صواب والاقرار بالعجز قوة (راجع الهلال سنة ١٥)

مهما بلغت الامة من الثروة والحضارة ولو تبسط اهلها في العيش و بنوا القصور وغرسوا الحدائق وافترشوا الخز والديباج وصاغوا آنيتهم من الذهب ورصعوها بالحجارة الكريمة . ومهما بلغ من علمهم وادبهم وصاروا كلهم كتاباً وشعراء وفلاسفة . ومهما كثرت صحفهم وتعددت صفحاتها واتسعت مساحاتها وكثر البلغاء من كتابها — مهما يكن من ذلك كله فتلك لامة لا تزل منحطة ضعيفة ان لم تكن حرية القول شعارها وقاعدة معاملاتها . فيتعامل ابناؤها بالصدق ويتخاطبون بالصراحة ويخطبون باللهجة الصادقة ويطلبون حقوقهم بالشجاعة الادبية

واذا اعملت الفكرة في تواريخ الامم رأيت حرية القول ترافق الامة في ابان مجدها ثم تتحول عنها حتى تزول في ايام انحطاطها . ألا ترى كيف كان العرب في صدر الاسلام يخاطبون الخليفة كما يخاطبون آحاد الناس ويبثون شكواهم او تظلمهم اليه ولو كانت الشكوى عليه فلما استبد الامويون قيدوا افكار الناس وقطعوا السنتهم بالعطاء فاضطروا الى المداجاة خوفاً او تزلفاً . وتوالى ذلك حتى صار الملكة رسخت برسوخ الظلم وخوف الناس على ارواحهم ان لم يرضوا امراءهم . فصاروا يداجون ويزدادون مداجاة بازدياد الاستبداد . ويظهر ذلك جلياً لمن يقرأ صحف الاستانة أو سوريا في عصر التقهقر ويرى كيف كانت تطري نصراء ذلك العصر . وتقول بكل جسارة انه عصر العلم والعدل والحرية والامن — واصحابها لا يجسرون على الخروج من منازلهم ليلاً ولا يأمن احدهم ان يتنفس الصعداء خوفاً من الوشاية به أو اتهامه بدسيسة

ومن نتائج تلك المداجاة كثرة الالقاب ونعوت التفخيم . وشاع ذلك حتى بين العامة في مخاطباتهم فبعد ان كان الخلفاء يخاطبون الناس بمراسلاتهم بقولهم « من عبد الله فلان (الخليفة) الى فلان » اصبح يقول « انا سلطان السلاطين وملك الملوك الفاتح الغازي الخ » و بعد ان كان الناس يخاطبون الخليفة بقولهم « امير المؤمنين فلان » لقبوه بظل الله على الارض ونور العالمين و و . الخ

واذا نظرت الى الامم الراقية اليوم رأيتها تقرب من الارتقاء بقدر تعويلها على حرية القول اي ان اكثرها حرية ارقاها منزلة واقواها شوكة . هذه امة الانكليز وليس من ينكر منزلتها في السياسة والثروة والجاه فان اهلها اكثر الامم صراحة في اقوالهم وقد يبالغون في تلك الصراحة حتى تظهر منهم احياناً مظهر الفظاظة والخشونة كان يذكر احدهم لصديقه او رفيقه عيبهُ في وجهه مما يعده الشرقيون خشونة و يعدلون عنه الى المجاملة ولكنهم يتمادون في مدلولها و يتطرقون منها الى المداجاة والرياء حتى اصبح احدنا يستحيل عليه ان يعرف حقيقة منزلته بين اقرانه . ومن كان سريع التصديق صغير النفس اخذه الغرور اقضى ايامه وهو يعتقد نفسه في منزلة هو بالحقيقة احط منها كثيراً . ولو اتيح له ان يسمع اقوالهم في غيابه لرأى فرقاً بعيداً

ولا يخفى ما في ذلك من الضرر لان الانسان اذا عرف خطأهُ اجتهد في اصلاحه واذا فهم عجزه وقف عند حده . فالمداجاة تقف في سبيل تقدمه وتقضي على مستقبله — انهُ ضرر بليغ ولكنهُ لا يذكر بالقياس على الضرر الذي يعود على الجماعات اذا غرر بهم الخطباء أو المعلمون . وابلغ من كليهما الضرر الذي ينجم عن مداجاة الصحافة لان اصحابها قادة الافكار وهي عنوان آداب الامة . اذا قال الخطيب قولاً يسمعهُ مئة او مئات مرة واحدة فقط . اما الصحيفة فيقرأها الالوف وقد يراجعونها مراراً و يتناقلونها في الاعقاب . ان مهمة الصحافة في خدمة الامة اعظم كثيراً مما يتبادر الى اذهان الناس . فهل هي تقوم بما عليها في مصر ؟

ان الصحافة العربية بمصر ارتقت في اوائل هذا القرن ارتقاء بيناً فاتسعت مواضيعها وتعددت صفحاتها وصارت تبذل الاموال في استخدام مهرة الكتاب والمكاتبين وفي الحصول على الرسائل التلغرافية واستطلاع الاخبار الهامة وهي تكتب المقالات الضافية في الاحوال الداخلية والخارجية وقد ارتفع صوتها وقوي نفوذها — فلو كانت مع ذلك كله حرة القول اي لو كانت تقول للناس ما تعتقدهُ لنهضت بالامة نهوضاً حسناً — لا نتهم الصحف كلها بهذا القصور على السواء وان كانت تشترك في المجاملة والمجاملة لا باس منها احياناً ولكنها لا تخرج عن كونها تخالف حرية القول ولا فاصل بينها و بين المداجاة . والصحافة منبر يعلوه الخطيب والمعلم والناصح والمتظلم يعظون و يخطبون و ينقمون و يتظلمون يسمعهم المئات والالوف فيتوقف على نشر اقوالهم العمران او الخراب . فارباب الصحافة مسؤولون عن ارشاد الامة الى ما فيه خيرها جهد طاقتهم . وقد نغتفر لهم خطأ يقعون فيه عن تسرع

أو جهل لان العصمة لله وحده ولكنهم مسؤولون عما يفهمونه ويقولون فيه غير ما يعتقدون مراعاة لمصلحة او اكراماً لخاطر

ان الامة التي بلغت مثلما بلغت اليه مصر في العهد الاخير من الرقي الاقتصادي والسياسي حتى اصبحت كانها جزء من اوربا وقام اهلها يتمثلون بامم تلك القارة في طلب الدستور والاستقلال — ان الامة التي هذا شانها لا تزال في خطر التقهقر او السقوط حتى تتعود صحافتها حرية القول فتصدق قراءها النصيحة وترشدهم الى الصواب وتكون قدوة لهم في صدق اللهجة والشجاعة الادبية . وقد يعتذر بعض ارباب الاقلام بانهم يكتبون في صحفهم ما يروج لدى قرائهم ولو كتبوا الحق لكسدت بضاعتهم وعادت عليهم بالخسارة . وهو عذر ضعيف لان الصحافة غير التجارة او الحياكة أو الخياطة لتكون رهن ارادة « الزباين » في شكل ما يطلبونه من الادوات أو الاثواب — حتى النجار او الحائك اذا رأى زبونه على ضلال ارشده الى الصواب وبين له خطاءه في طلبه بما له من الاختبار في صناعته . فكيف بالصحافة وهي مدرسة تعليم وارشاد واصحابها اساتذة الامة وقادة افكارها ؟ فاذا كان القراء في ضلال فعلى الصحافي ارشادهم ولو اغضبهم فلا يلبثون ان يعرفوا الصواب فيشكروه . وقد لا يغضبهم اذا احسن الاسلوب في تفهيمهم

نعوت التفخيم

اقتراح على ارباب الصحف

مما لا خلاف فيه ان نعوت التفخيم والقاب التعظيم تظهر في الامة عند تقهقر الدولة وفساد امورها اذ يكثر المتزلفون والمتملقون فيتعودون مخاطبة حكامهم بالتفخيم استرضاء لهم او تخلصاً من اذاهم . فيصفون اميرهم بالفاتح والغازي والباسل وان كان لم يخرج من بيته ولا حضر حرباً . وينعتون قاضيهم بالعادل وان كان ظالماً . ثم يتعودون ذلك في مخاطبة اقرانهم فيلقبونهم بالقاب العلماء او الكرماء او الشرفاء حسب الاحوال وان كانوا بعيدين عن مدلولاتها . واصبح بعض النعوت بكثرة الاستعمال لا يراد بها شيء ولا يقصد بها تفخيم ولا تعظيم انما بقيت بالاستمرار كانها اعضاء اثرية تدل على سابق استعمالها . كقولهم « الاجل الامجد المحترم سني الهمم » فهم يصدرون بها خطاباتهم ولا يريدون بها معنى مخصوصاً



الجزء الثاني من السنة السابعة عشرة

١ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٨ و٧ شوال سنة ١٣٢٦



وتركيا الفتاة

للمقدسي

كتبنا في الهلال الماضي مقالة في تاريخ الانقلاب السياسي العثماني واسبابه وتاريخ الاحرار العثمانيين وكيف نالوا الدستور . وقد جاءتنا الآن رسالة ضافية في هذا الموضوع من احد كبار الاحرار العثمانيين وادبائهم عرفه قراء الهلال باسم (المقدسي) وهو صاحب كتاب (علم الادب عند الافرنج والعرب) والمقالات العديدة الفلسفية العمرانية التي ظهرت في الهلال في اعوامه الاخيرة . وقد نظر في هذا الموضوع من وجهة غير التي نظرنا فيها نحن فافاض على الخصوص في مقدمات هذا الانقلاب على اسلوب تاريخي فلسفي يدل يدل على تضلعه واطلاعه على خفايا هذا التاريخ ولا عجب فانه من جملة الذي جاهدوا في في سبيل الحرية — فرأينا ان ننشر هذه المقالة حرصاً على فوائدها وهي :

١ — ماذا يراد بالانقلاب

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تغييرمهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها · وهو غير الثورة التي بمعنى العصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشروعة · والفرق بين الانقلاب والثورة كبير · فان الثورة كثيراً ما تضر بمنافع الامة ومصالحها وتصدها عن السير في طريق النجاح · بخلاف الانقلاب فانه مهما آلم الامة ورضرضها فهو يخطو بها خطوة في التقدم ويصعد بها درجة في سلم الفلاح · واكثر كتاب العربية لا يفرقون بين الكلمتين ويطلقون اسم الثورة على الانقلاب فيقولون الثورة الفرنساوية مثلاً بدل الانقلاب الفرنساوي ولم يلتفتوا الى ما روي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لما اخبر بهدم قلعة الباستيل واطلاق المسجونين فيها فقال · « اذا هذه ثورة Révolte » فاجابه المخبر · « عفو يا مولاي بل هذا انقلاب (Révolution) »

فراد ملك فرنسا ان فعل الثائرين غير مشروع ولاحق لخروجهم عن الطاعة وجواب المخبر ينافيه ويبين ان الانقلاب غير الثورة والعصيان · فنحن اليوم احوج الى تعيين معاني الكلمات والى سكب قوالب الالفاظ على قدر المعاني · لان الانقلاب السياسي من شأنه ان يحدث انقلاباً في اللغة والادب فضلاً عن انقلاب الاخلاق والعادات والافكار · الا ترى الجرائد العثمانية على اختلاف لغاتها من تركية وعربية وروميه وارمنية ويهودية (اسبانية وعبرانية) وبلغارية وفرنساوية — والجرائد الالبانية والكردية على وشك الظهور — كيف بدلت لهجاتها بعد حدوث الانقلاب وهجرت تلك الالفاظ الفخيمة والتعبيرات القبيحة التي تغطي المعاني بستار المهابة حتى تستبهم على القارئ · وتقيد فكره بسلاسل التذليل والاستعباد

٢ — يتولد الانقلاب من الاستبداد

فالذي يولد الانقلاب هو الاستبداد · ومقتضاه التغلب والقهر اللذان من آثار الغضب والحيوانية لا من قواعد الدين الاسلامي كما يتوهم البعض منا واكثر الاوربيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراتية اي انها جامعة بين الديانة والسياسة · واحكام المستبد او المستبدين في الغالب جائرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق لحملهم اياهم على ما ليس في طوقهم من اغراض المستبد او المستبدين وشهواتهم · ولذا ورد في الخط الشريف السلطاني الذي منح به القانون الاساسي : « ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ومحو المخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم الاستبدادي الفردي او الافراد القلائل لتشييد

جميع الاقوام المركبة هيئتنا منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية ... الخ »

فالاستبداد هو منبع الشرور وسبب التأخر والانحطاط . وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن اكاسرة الفرس وقياصرة الرومان ، عن نمردة بابل وفراعنة مصر ، عن جنكيزخان وتيمورلنك . والاسلام اول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته اشد المقاومة وساوت بين افراد الامة وحافظت على الحقوق والحرية الشخصية وأمّنت الاجانب المعاهدين فضلاً عن افراد الامة على اموالهم ودمائهم واعراضهم . ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ووضعت حق الحاكمة في الامة ولم تكتف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع بل فرضت على كل فرد من افرادها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فجعلت الامة مسيطرة على الحقوق العامة ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفتهم ولا أولي الامر منهم . وورد في الدرر وهو من اهم الكتب الشرعية : « ان الخليفة يقتص ويؤخذ بالمال لانهما من حقوق العبد ويستوفيه ولي الحق اما بتمكينه او بالاستعانة بمنعة المسلمين » ولذا حكمت القضاة على غير واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمانه وانزلتهم عن المنصة واقعدتهم مع الخصم في مجلس الحكم

٣ — الاستبداد اسيوي وليس اسلاميا

فكان الحال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ومن اقتفى اثرهم كعمر بن عبد العزيز من بني امية ثم تغلب الاستبداد الاسيوي على احكام الدين الاسلامي وانقلبت الخلافة الى سلطنة واصبح خليفة الاسلام « مقدساً وغير مسئول » كملوك الافرنج ليومنا هذا لا يقتص منهم ولا يؤخذون بالاموال ولا تستطيع المحاكم احضارهم ولا اصدار الحكم عليهم ويرثون الملك كما يرث احدنا مال ابيه . فاستبدوا بالامر استبداد لويس الرابع عشر الذي كان يقول : « الدولة انا » و « اموال الرعية انما هي ملك ملكها فاذا اخذ شيئاً منها فقد اخذ حقه » . واستباحوا التصرف في نفوس الرعية واموالهم واعراضهم وفي خزائن الدولة وبيت المال واوقاف المساجد والمؤسسات الخيرية . وصار الوزراء والمصاحبون يقولون : « خسرو بكند شيرين است » اي « ما اعجب كسرى فهو حسن » . فالحسن هو ما استحسنه السلطان والقبيح ما استقبحه السلطان ولا دخل في ذلك للعقل والذوق ولا للحكمة والشرع لانهم اولوا الشرع على حسب غاياتهم واغراضهم

فاذا تصفحت تواريخ الامم الاسلامية في الشرق والغرب رأيتها مؤسسة على هذا

لاستبداد الاسيوي وعلى جانب من الاستبداد الافريقي . وليس فيها شيء من الحرية الاسلامية ولا المشورة المأمور بها في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية كما قال الله لنبيه « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » (٣ : ١٥) وقوله تعالى : « وامرهم شورى بينهم » (٤٢ : ٢٦) وحديث « انتم اعلم بامور دنياكم » وامثاله كثيرة عند العرب كحديث حلف الفضول المشهور في التواريخ وذلك ان قبائل من قريش تداعت الى حلف الفضول الذي عقدته قديماً قبائل العرب واشهر رؤسائهم الفضيل والمفضل . فاجتمعت وجوه قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه . فتحالفوا وتعاقدوا ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها اوغيرهم من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته . وكان ذلك قبل الاسلام . قال النبي صلى الله عليه وسلم « لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما احب ان لي به حمر النعم . ولو دعيت به في الاسلام لاجبت » فاي شيء اشبه بهذا الاجتماع والتعاقد من البرلمان والميبعوثان ؟ ولقد احسن جد العلامة المقري في جوابه المذكور في نفح الطيب حيث قال :

« سألني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم . اذ لم يل امرهم من يسلك بهم الجادة . ويحملهم على الواضحة . بل من ينظر في مصلحة دنياه . غافلاً عن عاقبة اخراه . فلا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة . ولا يراعي عهداً ولا حرمة »

« فاجبته : بان ذلك لان الملك ليس في شريعتنا . وذلك انه كان فيمن قبلنا شرعاً قال الله تعالى ممتناً على بني اسرائيل « وجعلكم ملوكاً » . ولم يكن ذلك في هذه الامة بل جعل لهم خلافة . قال الله تعالى « وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض » الآية . وقال الله تعالى « وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً » . وقال سليمان (رب اغفرلي وهب لي ملكا) . فجعلهم الله تعالى ملوكاً ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء . فكان ابو بكر خليفة رسول الله صلعم . وان لم يستخلفه نصاً لكن فهم الناس ذلك فهماً . واجمعوا على تسميته بذلك . ثم استخلف ابو بكر عمر فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار . ونص في ذلك على عهده . ثم اتفق اهل الشورى على عثمان فاخراج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا . ثم تعين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله . فاجمع من آثر الحق على الهدى واصفى الآخرة على الدنيا . ثم الحسن كذلك ثم

كان معاوية اول من حوّل الخلافة ملكاً والخشونة ليناً . ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم . فجعلها ميراثاً . فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيهـا . ألا ترى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا . لان سليمان رحمه الله رغب عن بني ابيه إيثارًا لحق المسلمين ولئلاّ يتقلدها حياً وميتاً . وكان يعلم اجتماع النـاس عليه فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا خليفة . واما الملوك فعلى ماذكرت الا من قلّ . وغالب افعاله غير مرضية » اه

فيظهر من هذا الكلام الفرق بين الخلافة والملك والسبب الذي جعل ملوك الافرنج مقدسين وغير مسئولين

٤ — منبع الاستبداد قصر الملك او الخلافة

ومنبع استبداد الدول الاسلامية في قديم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ودار الملك والامارة حيث تكثر دسائس المقربين ويشتد حرصهم على الجاه وطمعهم في جمع الاموال وادخارها وفي انفاذ الكلمة . ولذا ابتعد عنهم اهل التقوى والورع في جميع البلدان والازمان فالمقرب منهم لا يكاد يتم له الامر الا ويظهر له رقباء يشون به وينصبون له اشراك المكيدة ويتهمونه بانواع التهم وينسبون اليه كل خلل في الدولة حتى يبعدوه عن مركز الإدارة وربما تسببوا في مصادرته وقتله مع اولاده وعياله كما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد . فتاريخ الدول والامارات الاسلاميـة كله وقائع برمكية . وقد ينتصر الوزير على الخليفة أو الامير ويحجر عليه ويصير هو المستبد بالامر . ونتيجة القضيتين واحدة وهي الاستبداد وتغلب القوة على الحق . والامة في جميع الاحوال شاخصة ببصرها لاتطلع على خفايا السياسة وتدابير الملك ولا على دسائس المقربين وحيلهم لاخفائهم جميع ذلك عنها واستبدادهم بالامر عليها . ولقد اجاد لسان الدين بن الخطيب وزير بني الاحمر في الرسالة التي خاطب بها الوزير ابن مرزوق ووصف بها احوال خدمة الدولة ومصائرهم وعبر فيها عن ذوق ووجدان . وهي ابلغ ماحرر في هذا الصدد وذكرها المقري في الجزء الثالث من نفح الطيب . فالمصلحون لم يتخلصوا من هذه الغوائل ولا وجدوا وقتاً لاصلاح داخل الممالك وتحكيم سياستها الخارجية . ولذا انصرفت هممهم لجمع الاموال وادخارها واغتنام فرصة التقرب ونيل التوجه واكتساب السعادة . لان الواحد منهم لا يدري الى متى يدوم له التوجه والاقبال فيسارع الى الاستفادة من الحال التي اسعده الحظ بنيلها

٥ — قصر السلطنة العثمانية وتربية ولي العهد والكامريلا

كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتباً على الاصول والتقاليد الموروثة عن المغول حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها بابها العالي • واول واجب على هذه الحكومة انزال الخان المعظم على الرحب والسعة واسكان من معه من الحريم والعائلة والاقارب والحاشية واستكمال اسباب راحتهم وسعادتهم واحضار النفقات اللازمة لهم ولرؤساء العرضي فالعامود الاوسط القائمة عليه هذه الخيمة هو « الصدر الاعظم » القائم مقام الخان المعظم اي السلطان والحامل لختمه الذاتي والوكيل المطلق عنه في جميع مسائل الدولة الداخلية والخارجية • وبجانبه « قاضي عسكر » لفصل الدعاوي وتقسيم مواريث الجند والمحافظة على حقوق السلطنة • وشيخ الاسلام انما هو قاضي عسكر وظيفته أحدث عهداً • فقضاء المعسكر قديم في الدولة ومتقدم فيها على قضاء المدن مما يدل على حياتها العسكرية المتنقلة • ثم « الدفتردار » الذي يقيد الاموال ويحرر الحساب وهو اليوم ناظر المالية • ثم « النيشانجي » الذي يكتب الارادات والفرمانات وغيرهم فهؤلاء اعمدة ثانوية حوالي العمود الاعظم الذي في وسط الخيمة • واما حبال الخيمة فهم الاغوات

ويقسم الاغوات بحسب خدمتهم في الداخل او في الخارج الى قسمين القسم الاول خدمة الداخل المسمى « اندرون » من مماليك البيضان وطواشية السودان المحافظين على الحريم • وكبيرهم آغا دار السعادة ويسمى ايضاً آغا البنات (قيزلر اغاسي) • ثم آغا البساتين (بستانجي باشي) المكلفين بزرع البساتين والجنان • واغا الرسل الموصلين للاخبار واغا المحافظين على الاثواب والالبسة (ثوابجي باشي) • والقهوجي باشي و (الابريقدار) و (السجادهجي باشي) • الخ والقسم الثاني هم خدمة الخارج واغوات العرضي مثل اغا الانكشارية (يكجيري اغاسي) واغا الصباهية (سپاهي) واغا الطوبجية وهو الطوبجي باشي •••• الخ فهؤلاء الاغوات من خدمة الداخل وخدمة الخارج كلهم في درجة واحدة بمثابة حبال الخيمة ولا فرق بينهم في التشريفات الرسمية والمعاشات والتعيينات ولا في الاعتبار والحيثية عند الدولة • فالجاهل والعالم والعبد المملوك والحر ووضيع النسب وشريفه ومجهول الاصل ومعروفه والابتر الخصي وكامل الاعضاء كلهم متساوون لاتمييز بين القهوجي باشي الذي لاتحتاج صناعته الا لمعرفة طبخ القهوة وتقديمها وبين الطوبجي باشي المتوقفة صناعته على معرفة الفنون العسكرية والمعارف الكبيرة • وهذا

الذي حمل الشاعر المفلق الامير شكيب على ان يقول ابياته المشهور ومنها :

والفيت فيهـا امة عربية يرى الترك منهم امة الزنج اكرما

ولذا امتزجت الحياة البيتية بالحياة الدولية والمسائل النسائية بالمسائل السياسية واشتغال السراي السلطانية باشغال الباب العالي · وبين السراي والباب العالي وسط يقال له المابين لانه بين الاندرون اي الداخل وبين البيرون اي الخارج · ويشتمل المابين على الكتاب والقرناء والمصاحبين وهم المابينجية ويعدون كلهم من اهل السراي وخدمتها

فامتلأت السراي السلطانية بالاسراء من السراري الجركسيات والمماليك والطواشية مع ان الشرع الاسلامي لا يبيح هذه العادة المستكرهة قال شارح الدر: « وفي قطع الذكر من الاصل عمداً قصاص » وينفر فيهم وفي جميع خدمة الداخل من يتعلم القراءة فضلاً عن الكتابة لان فضيلة الواحد منهم ان يكون على الفطرة الاصلية فارغاً من العلوم والمعارف لئلا يسول له الشيطان امراً او دسيسة سياسية توجب انقلاب الملك · ولذا اختاروا الخدمة من قرى الاناطول البعيدة ومن ذوي السذاجة والبساطة · فاذا ولد لاحد السلاطين العظام مولود تربى في حجر والدته الجركسية على دلال السراري والاغوات الى تمام السنة الثانية عشرة من عمره ثم تبدل تلك السراري بالحاظي فيتخذ منهن حرماً يتزوج بهن في القصور وتبقى الاغوات والمماليك على ما كانت عليه ايام صبوته وربما جاؤوه بحافظ يحفظه القرآن ومعلم يعلمه مبادىء العلوم · ولكن اكبر معلم للانسان هو الوسط الذي يكون فيه · وكيف يتعلم المرء بدون ان يخرج من بيته ويحتك بالعلماء ورجال الدولة ؟ فيبقى ولي العهد على هذه الحال ينتظر دوره في الملك وهو محبوس في قصره وعليه العيون والجواسيس لا يمكنون احداً من التقرب اليه ولا المرور بجانب قصره فضلاً عن محادثته بالمسائل العلمية والسياسية

ومتى جاء دوره وجلس على سرير الملك سعى طواشية السودان ومماليك البيضان في وضعه تحت نفوذهم وحرصوا على ان لا يفلت من ايديهم وفتشوا عن اضعف نقطة في قلبه واخلاقه فلا يمضي عليهم كثير حتى يكتشفوها فيستميلون قلبه اليهم من تلك النقطة ويستفيدون منها لانفاذ كلمتهم وجر المنافع اليهم ولاصحابهم ومن كان من حزبهم وشيعتهم · فيتألف من خدمة القصر الملوكي حزب قوي يسمى كامريلا Camarilla وهي كلمة اسبانية معناها جماعة المتنفذين في قصر الملك فيتداخلون بالمسائل ويعارضون في السياسة ويستولون على الامور · واذا رأوا السلطان مال لصدر اعظم او وزير انقضوا عليه وسلقوه بالسنتهم وافتروا عليه بافكهم ونسبوه للعجز والتقصير وسعوا في تنزيل قدره وترذيله لاجل وضعه تحت

سيطرتهم ولذا كان في الغالب القهوه جي باشي والاثوابجي باشي او الابريقدار والسجاده جي باشي والبستانجي حتى البلطه جي باشي وهو الحطاب نفوذ كلمة وحيثية اكثر من الصدر وبقية الوزراء ورجال الدولة سيما في المسائل المالية وجر المنافع وتوظيف المقربين اليهم . ولم تزل رتبة آغا دار السعادة معادلة لرتبة الصدر الاعظم والخديوي المعظم ولهم بالفرنساوية لقب صون التس Son Altesse كأمراء الافرنج وابناء ملوكهم العظام ولم يزل اكثرنا متذكراً نفوذ بهرام آغا وامثاله

٦ — شروع الدولة العلية بالاصلاحات

لو استمرت اوروبا نائمة في ظلام القرون الوسطى لبقيت الدولة العلية سائرة في هذه الطريق العوجاء سير مملكة الصين او سلطنة المغرب الاقصى التي انحطت الى درجة البداوة بعد ان كان لها في العمران قدم راسخة بسبب مهاجرة الاندلسيين اليها ومتاجرتهم مع افريقيا الغربية . ولكن اوربا استيقظت من غفلتها في القرون الجديدة واوجدت هذه المدنية العجيبة التي بهرت العالم وغيرت وجه الارض باكتشافاتها واختراعاتها وعلومها وفنونها وادابها . وتجاوزت دول النمسا وروسيا والبندقية على مستملكات الدولة العلية فاحست بالضعف والانحطاط والتقهقر وبدأت في الاصلاحات الجديدة من عهد السلطان مصطفى خان الثالث فاحدثت الطوبخانة وانشأت معملاً لسكب المدافع واقبل السلطان سليم الثالث بهمة عالية واقدام كبير على عمل الاصلاحات ورتب ادارة الطوبجية والبحرية وجلب المعلمين والمهندسين من اوروبا واحدث النظام الجديد فاغتالته ايدي المنون بسبب هيجان الانكشارية الذين فسدت اخلاقهم واصبحوا بلاء مبرماً على الامة والدولة بعد ان كان لهم في الفتوحات العثمانية شأن عظيم ومفاخر كثيرة مسطورة في تاريخ اوروبا العسكري . ثم جلس السلطان محمود الثاني وازال غائلة الانكشارية ونظم العساكر الجديدة واجرى من الاصلاحات ما هو مفصل في التاريخ العثماني . واصاب الدولة العلية من الحوادث المهمة ما حملها على الاحتكاك بالدول الاوروبية والدخول في ميدان سياستها مثل حروبها المتمادية مع روسيا واحتلال بونابارت لمصر وسوريا وخروج محمد علي باشا وتبه دلتلي علي باشا وحرب المورة واستقلال اليونان وحوادث لبنان . وتداخلت اوروبا بشؤون الدولة العلية بداعي الحماية عن المسيحيين . فروسيا تحامي عن الامم السلافية وجميع المتدينين بالمذهب الارثوذكسي . وفرانسا عن الكاثوليك وانكلترا عن مبشري البرتستانت وجميعهم يحرض المسيحيين من تبعة الدولة على مقاومة الاستبداد ويطالب الباب العالي باجراء

الاصلاحات ووضع القوانين والنظامات لمنع التعدي على النصارى ولمساواتهم في الحقوق مع المسلمين . والباب العالي يجد الاستفادة من العداوة القديمة التي غرستها الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى اهون عليه من سوق العسكر وتكبد النفقات الحربية لتسكين الفتن واخماد الثورات وهكذا جرت المذابح وارتكبت الفظائع التي تقشعر الجلود من سماع وصفها وعادت على الوطن بالويل والخراب كذبحة الروم في حرب المورة ومذابح لبنان في حادثة الشام ومذابح البلغار في حرب الروسيا الاخيرة وهي التي قام لها غلادستون وقعد وارغى وازبد على منبر الخطابة في مجلس العموم الانكليزي وآخرها الفظائع الارمنية المعروفة وهي نقطة سوداء في صحيفة التاريخ

٧ — صدارة مصطفى رشيد باشا

فالحوادث التي جرت قبل معاهدة باريس ساقت بعض رجال الدولة الى تعلم اللغات الاوربية ولا سيما الفرنساوية للوقوف على سياسة اوربا ولتنظيم العساكر البرية والبحرية وكان لاكثر المتعلمين تردد على مصر التي شرعت في الاصلاحات على عهد محمد علي باشا. ونبغ من رجال الدولة مصطفى رشيد باشا السياسي الشهير ابن مصطفى افندي متولي وقف السلطان بايزيد وكان مولده في الاستانة (١٢١٤ هـ) فقرأ القرآن ومبادىء العلوم الاسلامية واجاد الخط وتعلم شيئاً من مبادىء اللغة الفرنساوية ودخل في معية نسيبه الصدر الاسبق اسبارطه لي علي باشا وذهب لمصر مراراً وخالط رجالها وتقلب في مناصب الدولة العلية وفي سفارة باريس ولوندره فاكمل تحصيل اللغة الفرنساوية واطلع على دقائق السياسة وخوافيها وكانت المسألة الشرقية شاغلة وزارات اوربا بسبب اجتهاد روسيا في جمع كلمة الامم السلافية وطمعها في الاستيلاء على القسطنطينية . وروسيا اكبر الدول الاوربية واكثرها نفوساً واشدها خطراً على الموازنة السياسية . فكانت الدول الاوربية وفي مقدمتهن انكلترا التي هي احرص الناس على مقاومة السياسة الروسية تشوق الدولة العلية لعمل الاصلاحات الجديدة لتعيد قوتها سابقة فتحمي نفسها وتكون لبقية الدول سداً منيعاً امام هجوم روسيا

فلما جلس السلطان عبد المجيد خان (تموز سنة ١٨٣٩) كان مصطفى رشيد باشا سفيراً في لوندرا فتعين ناظراً للخارجية وحضر للاستانة وكان له راي ودخل كبير في التنظيمات وفي تشرين الثاني من السنة المذكورة قرأ بحضور رجال الدولة واعيانها والسفراء الاجنبية الخط الشريف السلطاني المعروف بالتنظيمات وكانت قراءته في كلخانه اي دار الورد وهي من

دوائر السراي القديمة (طوب قبو) التي بجانب جامع ايا صوفيا . ولذا اشتهر بخط شريف كلخانه واشتمل على تامين الرعية على ارواحهم واموالهم واعراضهم وعلى قاعدة مضطردة في استيفاء الاموال الاميرية وعلى اخذ العسكر بالقرعة وتعيين مدة الخدمة والغاء الامتيازات وطرح التكاليف بنسبة ما لكل واحد من الثروة ومساواة الرعية امام القانون والغاء المصادرة والانقارية وهي الاجبار على العمل بلا اجرة وتعرف بالسخرة ونحو ذلك مما هو مدرج في هذا الفرمان المعروف بالتنظيمات جمع كلمة تنظيم العربية



مصطفى رشيد باشا

فالدولة العلية انما اصدرت هذه التنظيمات ارضاء لاوربا ولا سيما انكلترا . والامة الاسلامية لم تفهم هذه التنظيمات ولا معنى تامين الناس على الارواح والاموال والاعراض كان الشريعة الاسلامية التي كانت دستور العمل تبيح التجاوز والتعدي على الارواح والاموال والاعراض . وحاشاها من ذلك . فالبلاء لم يكن سببه فقدان القانون والشريعة حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما سببه الاستبداد المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحها التنظيمات لم تكن شيئاً مذكوراً بجانب الحرية التي منحها القرآن لو زال عنه الاستبداد والجهل المستوليان على المسلمين فيجتهدون في فهمه وتأويله على مقتضى نواميس المدنية الحاضرة كما فعل أحرار العلماء كالمرحوم الشيخ محمد عبده وغيره

فشرعت الدولة العلية في اجراء الاحكام المشار اليها في التنظيمات وسنت قانوناً لاخذ العسكر جرى تطبيقه في بعض الايالات واحدث في بعضها ثورة وعصياناً كعصيان

الارناؤط (١٨٤٤) الذي سكنه رشيد باشا نفسه . ثم باشرت في تنظيم المعارف وفتح المكاتب في الاستانة ونظمت محاكم التجارة المختلطة (١٨٤٦) كما نظمت بعض دوائر الدولة واقلامها . فكان مصطفى رشيد باشا الذي تولى مسند الصدارة العظمى ست مرات وتوفي سنة ١٢٧٤هـ = ١٨٥٨م مصدر هذه الاصلاحات بسبب وقوفه على الافكار الجديدة ومعرفته اللغة الفرنساوية والادبيات العثمانية . فسعى في افراغ الكتابة التركية في قالب سهل سلس بعد ان كادت تكون غير مفهومة عند العموم لكثرة ما فيها من التعقيد والتشابيه الغامضة والالفاظ والتراكيب اللغوية من فارسية وعربية . ونشأ في عهده وتحت ظله الشاعر الشهير ابراهيم شناسي افندي موجد الادب الجديد العثماني . حصل العلوم العربية واللغة الفرنساوية وذهب لباريس فاطلع فيها على آداب الطريقة المدرسية ونسج على منوال راسين ولافونتين وأدخل في الادب التركي التعقل المشروط في الطريقة المدرسية كما فصلنا في كتابنا « تاريخ علم الادب »

وكان الادب التركي كله خيالات ومبالغات أعجمية فلما يجد الانسان فيه حكمة وتعقلاً وديوان شناسي صغير الحجم لكنه نموذج للادب الجديد واكثر قصائده في مدح مصطفى رشيد باشا . وانشأ شناسي جريدة تركية سماها تصوير افكار) وحرر فيها المقالات السياسية والتاريخية والادبية بقلم سلس مفهوم . وطبع ديوانه مع منتخبات تصوير افكار ثانية في مطبعة ابو الضيا توفيق بك وكانت وفاة شناسي في سنة ١٢٨٨ هـ قبل بلوغه سن الشيخوخة والمقامات العالية

٨ — عالي باشا وفؤاد باشا

فظهرت فئة قليلة من المتعلمين على النسق الجديد واقتفوا اثر مصطفى رشيد باشا ونبغ منهم اثنان شهيران خلد التاريخ ذكرهما وهما السيد امين عالي باشا وفؤاد باشا ومولدهما في سنة ١٢٣٠ هـ . الاول ابن مصر جارشيلي علي رضا افندي اي المنسوب لسوق مصر وهو سوق العطارين . والثاني ابن الشاعر الشهير كچه جي زاده عزت ملاً الذي نفي للاناطول في زمن السلطان محمود خان ومات في منفاه . فتعلم امين مبادىء العلم واجادة الخط وقرأ الفرنساوية على معلم مخصوص ودخل قلم الديوان الهمايوني في الخامسة عشرة من عمره

ومن عادة رؤساء القلم تسمية كل داخل باسم يتميز به عن سميه لم يصطلحوا كالعرب والافرنج بتسمية الولد باسم ابيه أو عائلته . وكان امين قصير القامة فسمي عالي تسمية بالضد تفاؤلاً بعلو همته . فذهب لاوروبا في كتابة السفارات واتقن الفرنساوية واقتبس لرشيد

باشا وتميز في فنون السياسة والمعارف العصرية وعين عضوًا في (انجمن دانش) اي مجلس المعارف المؤسس على نسق اكادميات اوربا . وكان عالي باشا يحسن الفرنساوية والتركية كتابة وانشاء وتقلب في مأموريات كثيرة مهمة مثل السفارات والوزارات ومسند الصدارة العظمى . واما فؤاد فدخل المكتب الطبي العسكري وخرج جراحًا في العسكرية ثم دخل قلم الترجمة في الباب العالي وتقلب في الوظائف السياسية والخارجية وترأس على مجلس التنظيمات ومجلس الاحكام العدلية وحضر لسوريا ايام الحادثة وكان اذ ذاك ناظرًا للخارجية ثم ذهب بمعية السلطان عبد العزيز لمعرض باريس سنة ١٨٦٧ ومرض فيها وتوفي في نيس من فرنسا وله من العمر ٥٥ سنة فقط وكان في اللغة التركية اديبًا شاعرًا وضع مع جودت باشا « القواعد العثمانية » التي لم يؤلف للان احسن منها وخلف الفريق كيجه جي زاده عزت فؤاد باشا الكاتب الشهير



عالي باشا

فرشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا هم نوابغ السياسة العثمانية وواضعو الاصلاحات الجديدة بدلالة السفراء الاجنبية ارضاء لدول اوروبا ولا سيما انكلترا ومماشاة لها لحرصها على تقويم الممالك العثمانية لتتقي بها شر روسيا . فامر هؤلاء النوابغ بترجمة القوانين والنظامات والتعليمات والاوامر المدروجة في الدستور ترجمة حرفية ولم يجدوا لهم وقتًا لدرس احتياجات

البلاد الداخلية والمدنية الاسلامية حتى درسها ولا لنشر الافكار الجديدة بين المسلمين المفاخرين بسابق مجدهم ومتانة شرعهم ولذا لاموا هؤلاء المصلحين ولم يرضوا عن اعمالهم زاعمين انها تأول الى قلب البلاد وجعلها افرنجية محضة . ولذا كانت الاكثرية لحزب تركيا القديمة ولم يكن من حزب تركيا الفتاة الا فئة قليلة درسوا العلوم الجديدة درساً سطحياً و بعضهم زار اوروبا مرة او مرتين . ومع هذا وفق حزب تركيا الفتاة لاستمالة اوروبا اليهم وحصلوا على اتفاق انكلترة وفرانسا وساردينيا اي ايطاليا وانتصروا على روسيا في حرب القرم وعقدوا معاهدة باريز (٣٠ مارث سنة ١٨٥٦) واعترفت اوروبا بمقتضاها بتمام ملكية الدولة العثمانية واستقلالها ومنع اي دولة من المداخلة في امورها الداخلية وصدر خط شريف ثاني في ذلك التاريخ ايضاً يؤيد لخط كلخانه ويشتمل على حرية الاهالي ومساواتهم الحقوق والمعاملات . ثم جلس السلطان عبد العزيز خان سنة ١٨٦١ واصدر فرمان الاصلاحات . لكن هذه الفرمانات والخطوط الشريفة السلطانية لم تمنع تماماً سوء



فؤاد باشا

الاستعمالات والاغتشاشات التي في ادارة الدولة وبقي الارتكاب والظلم والاستبداد على ما كان عليه سابقاً لعدم اصلاحهم السراى السلطانية كما اصلحوا وجاق الانكشارية والصباحية وقلبوهما الى النظام الجديد

٩ — تركيا الفتاة

أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا بن ابراهيم باشا المصري ثم صهره خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ١٨٣٠ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاطلاع والوقوف على دقائق الامور فخدم مصر. وبعد جلوس السلطان عبد العزيز خان بسنة تعين ناظراً للمعارف في الاستانة ثم ناظراً للمالية واجرى فيها عدة اصلاحات وكان ميكروب الاستقراضات قد دخل هذه النظارة واحدث بلاء القوم النقدية حتى بلغت الديون ما بلغته وثقلت على كاهل الامة . وكان الصدر الاعظم اذ ذاك يوسف كامل باشا صهر الخديوي محمد علي باشا ومترجم تلماك للتركية الترجمة الاولى العويصة . وكان عالي باشا في نظارة الخارجية وفؤاد باشا في رئاسة مجلس الاحكام العدلية ثم في نظارة الحربية وادخل فيها حينئذ حسين عوني باشا العدو الالد لعمر باشا المجري . وكان فؤاد باشا تعين حكماً لفصل الخلاف المستحدث بين مصطفى فاضل باشا واخونه على تقسيم ميراث ابيهم فحصل بينهما رقابة وعداوة . فلما تولى فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ما له من الخدم والاصلاحات المفيدة فشق ذلك على مصطفى فاضل باشا وقدم للسلطان عبد العزيز خان لائحته الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد وكشف الغطاء عن عوزات الدولة وبين اسباب الضعف والانحطاط وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المابين ولا سمعوا بمثلها قبل ذلك . ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ والتحق به عدة من الشبان فاكرم مثواهم وانفق على تعليمهم ونبغ منهم عدة في الادب والكتابة والسياسة

حدثني احدهم قال « كنا في باريس في عيشة راضية لايهتم الواحد منا بامر معاشه فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والمشاهدة عاد لمنزله فوجد ما يحتاج اليه من الطعام والمنام بخلاف احرار هذا الزمان الذين قاسوا أشد العذاب في امر معاشهم »

فاشتغلت النشأة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصنائع النفيسة فنظموا الشعر والفوا الروايات ونشروا المقالات في الجرائد ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة وأديبها وموجد الاب الجديد العثماني . ولد في الاستانة ١٢٥٠ ه وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنساوية وصارت له مهارة زائدة في نشر المقالات السياسية في الجرائد بطريقة مستحدثة هي من السهل الممتنع . واشعاره على ذوق اشعار فيكتور هوكو في طلب الحرية وتدبير المملكة واصلاح شؤون الحكومة . وله مؤلفات كثيرة

منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع وروايته وطن او سليسترة التي تمثل اليوم في الاستانة وسلانيك بعد حدوث الانقلاب . وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف على جزيرة ساقز سنة ١٣٠٥ ه

ومنهم ضيا باشا الاديب الشاعر وسعد الله باشا سفير ويانه الاسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها البحيرة وله اشعار عصرية رائقة . ومنهم ابو الضيا توفيق بك الذي اصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بديعة عجيبة لم تبلغها للآن مطابع الشرق ولا مطابع اوربا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب رواية طارق بن زياد وكثير غيرهم من الكتاب والادباء انصار حزب تركيا الفتاة الذي اسسه مصطفى فاضل باشا ثم صهره خليل شريف باشا الذي جاء من مصر الى الاستانة واستخدم في نظارة الخارجية بسبب معرفته اللغة الفرنساوية وصار سفيرًا لباريس وغيرها وناظرًا للخارجية وتزوج اكبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الاميرة الشهيرة نازلي هانم التي اقتفت اثر والدها وزوجها الاول في تعضيد حزب تركيا الفتاة وساعدته بالمال والجاه . هي وشقيقها البرنس محمد علي باشا

١٠ — لائحة فاضل باشا عن تركيا الفتاة

ولخص فاضل باشا سياسة تركيا الفتاة في اللائحة المذكورة التي قدمها للسلطان عبد العزيز خان وقال فيها :

« تتصور اوربا ان المسيحيين وحدهم في تركيا خاضعون المعاملات الاستبدادية ولاحتمال انواع الاذى والتحقير المتولد من الظلم . وليس الامر كذلك . فان المسلمين ربما كانوا اشد منهوبية ومظلومية واكثر انحناء تحت نير العبودية من المسيحيين . لان المسلمين ليس وراءهم دولة اجنبية تتعصب لهم وتحامي عنهم . فرعايا جلالتكم من جميع المذاهب مقسومون الى صنفين : الظالمين ظلماً لا حد له . والمظلومين بلا شفقة مرحمة . والاولون يجدون في الحكومة المطلقة الغير المحدودة التي تستعملها جلالتكم والتي اغتصبوها اغراء وتشويقاً على جميع الرذائل . واما الاخرون فتفسد اخلاقهم ايضاً بعلائقهم المضرة مع ساداتهم . وحيث انهم مجبورون على الخضوع دائماً للشهوات الرزيلة ولا يستطيعون ايصال شكاياتهم المحقة لاعتاب سدتكم الملوكية — لان ظلامهم يرون هذه الاستغاثة الاحترامية بحكومة جلالتكم من اكبر المفاسد — فاعتادوا دناءة الاخلاق التي لا يمكن تصورها »

فانما الامم الاخلاق مابقيت   فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

فهذه الاصول الاستبدادية التي كان اعداء الاصلاح من حزب تركيا القديمة يريدون المحافظة عليها و يعدون التمسك بها من الغيرة الدينية والحمية الوطنية والاسلام والوطنية بريئان منها للاسباب المشروحة اعلاه . فحزب تركيا الفتاة يمكننا ان نعتبر وجوده منذ تولى مصطفى فاضل باشا نظارة المعارف (١٨٦٢م) وهاجر لباريس (١٨٦٥ — ١٨٨٧ م) وانصار هذا الحزب جميع المطلعين على الكتب الفرنساوية وادب الطريقة المدرسية او على ماترجم منها للتركية . والذي اطلق عليه هذا الاسم هم الفرنساويون الذين قالوا (جون تركي) كما يقولون (جون فرانس) و (جون المانيا) و (جون ايتالي) فعرف بتركيا الفتاة وقيل بالتركية (كنج تركلر) ولذا قال هانوتو بان تركيا الفتاة في اللغة الفرنساوية وقد جوزي مصطفى فاضل باشا على جرأته بمصادرت امواله ثم اعيدت اليه بتوسط بعض الاجانب ثم حرم من ميراث الخديوية ... هو وحليم باشا بسبب صدور الفرمان السلطاني بانتقالها لاكبر اولاد المالك وهو اذ ذاك اسماعيل باشا وصار مسند الخديوية ينتقل من الوالد لولده بعد ان كان ينتقل للاكبر فالاكبر من العائلة كما هي القاعدة في جميع الممالك الاسلامية لما علمت من ان الاسلام ليس فيه ملك موروث .

وفي سنة ١٨٧١ م او سنة ١٢٧٨ هـ اصيبت المملكة العثمانية بوفاة اشهر قوادها عمر باشا واشهر سوّاسها الصدر الاعظم عالي باشا صاحب الاجراءات الكثيرة في تنظيم ادارة الحكومة ووضع ميزانية المالية وتأسيس نظارة الداخلية والاوقاف ومجالس الدعاوي والتمييز وتنظيم اصول المحاكمات واستعمال الاصول الاعشارية وغير ذلك من الاصلاحات الداخلية والسياسة الخارجية وترجمت القوانين والنظامات عن الفرنساوية بلا نظر ولا معرفة بصالح البلاد واحتياجاتها فترجموا مثلاً قانون التجارة الفرنساوي القديم وابقوا فيه مسائل النكاح والدوتة واشتراك الزوجين بالاموال وعدمه كما هو مختص بالاوربيين ولا وجود له في الشرق ولا عند المسلمين ولا المسيحيين . وبعد وفاة عالي باشا تولى مسند الصدارة محمود نديم باشا ومال لروسيا حتى سمي « نديموف » و بدد اموال الخزينة واصبح آلة في يد الجنرال اغناتيف سفير روسيا في الاستانة

١١ — وزارة نديم باشا

محمود نديم باشا كان ابوه والياً فتربى في داره على الاستبداد والارتكاب وتعين والياً كأبيه ثم ناظر البحرية وكان شديد التعصب للادارة القديمة المستبدة كثير البغض

للاصلاحات الجديدة والحرية . تقرب للسلطان عبد العزيز خان بالتملق واستولى عليه من اضعف نقطة فيه وهي اعظمة فدس اليه انه تحت وصاية فؤاد باشا وعالي باشا مع انه خليفة الله في الارض والقابض على رقاب خمسين مليونا من الرعية الذين هم عبيد جلالته وان بيت المال هو حق من حقوقه له ان يتصرف فيه كما يشاه وكانت الميزانية المالية وضعت في ايام عالي باشا وفؤاد باشا وحدد فيها نفقات المابين فانقلبت احوال السلطان عبد العزيز خان في صدارة محمود نديم واستبد بالامر وابعد عن الوظائف الملكية والعسكرية الرجال الذين تخيرهم عالي باشا ودربهم وعلمهم حتى كانوا من خيرة المأمورين فاستبدلوا بالمرتكبين وكثر تحويل المأموريات والعزل والنصب والترقي في جميع المأموريات الملكية والعسكرية حتى كان الضابط يرتقي المراتب في اقرب وقت و يصبح مشيرًا بعد ان كان قبل اشهر ضابطًا صغيرًا . وزاد الاسراف والتبذير ببناء السرايات التي لا لزوم لها وانشأ الاسطول الذي صار اثرًا بعد عين كما زاد الانهماك في اللذات والشهوات . وكانت اوربا وصيارفة الاستانة تقرض الاموال بالفوائد الفاحشة والاغنام والديون تتراكم على خزينة الدولة والمكلفون بها هم فقراء الرعية من اصحاب الاعشار والاغنام يؤدونها من كد اليمين وعرق الجبين

ومن الغلطات السياسية في صدارة محمود نديم باشا اصدار الفرمان بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة الرومية وتعيين اكسارخوس للبلغار مستقل عن بطريرك الروم في القسطنطينية وكان ذلك بمساعي الجنرال اغناتيف حبيب محمود نديم باشا للتوصل الى احداث دولة للبلغار مع ان الباب العالي كان يعتبر جميع هؤلاء الامم الصغيرة كالبلغار والصرب والافلاخ والبغدان والجبل الاسود والمورة روما تابعين لبطريركية القسطنطينية لاشتراكهم جميعا في الدين الارثوذكسي . ومن الغلطات المالية ايضا اعطاء المثري النمساوي اليهودي الشهير وهو البارون هرش امتياز سكة حديد الروم ايلي المعروفة بسكة حديد الشرقية واضرار الخزينة والامة من وراء ذلك ضررًا كبيرًا . وفي اثناء ذلك ظهر مدحت باشا في مسند الصدارة (لها بقية)

الشعراء والدستور

الشعراء لسان حال الامة وتراجمة شعورها وعنوان احساسها فاذا تالمت تأوهوا واذا غضبت سخطوا واذا فرحت ضحكوا وصفقوا — يعبرون عن ذلك باشعارهم فيطربون او او يستفزون . وقد كثرت القصائد التي قيلت في الدستور بمصر والشام والعراق مما لا يمكن حصره ولا يتسع المقام له فاقتصرنا الآن على قصيدتين تليتا في احتفالات الدستور احداهما لحافظ ابراهيم تلاها بمصر والاخرى للدكتور فياض تلاها في الاسكندرية وسننشر غيرهما في فرصة اخرى

١ — قصيدة حافظ ابراهيم

اثنى الحجيج عليك والحرمان ومشى لعيد جلوسك الثقلان
ارضيت ربك اذجعلت طريقه أمناً وفزت بنعمة الرضوان
وجمعت بالدستور حولك امة شتى المذاهب جمة الاضغان
فغدوت تسكن في القلوب وترتمي حباتها وتحل في الوجدان
راعيتهم حتى علمت بانهم بلغوا اشدهم على الازمان
فجعلت امر الناس شورى بينهم وقفت شرع الواحد الديان

***

لو انهم وزنوا الجيوش بمشهد رجحت بجيشك كفة الميزان
لو شاء زلزلها على اعدائه او شاء اذهلها عن الدوران
يمشون في حلق الحديد الى العدى وكأنهم سد من الانسان
وكأن مقدمهم اذا لمع الضحى سيل من المندي والمران
يتواثبون على الردى وصفوفهم رغم الوثوب كثابت البنيان
فاذا المدافع في النزال تجاوبت بزئيرها وتلاحم الجيشان
واذا القنابل دمدمت وتفجرت تحت الغبار تفجر البركان
واذا البنادق أرسلت نيرانها طلقاً واسباب الهلاك دواني
ابصرت جناً في مسالخ فتية وشهدت انئدة من الصوان
مرهم يخوضوا الزاخرات وينسفوا شم الجبال بقوة الايمان

ثلجت صدورهم وقرّ قرارهم ... لما حلفت بأوثق الايمان
تالله ماشكوا بصدقك دونها ... هم يعرفون شمائل السلطان
لكنهم درجوا على سنن به ... لوقاية الدستور خير ضمان
يا ايها الشعب الكريم تماسكوا ... وخذوا اموركم بغير توان
مالي اذكركم ونلك ربوعكم ... مرعى النهى ومنابت الشجعان
ادركتم الدستور غير ملوث ... بدم ولا متلطخا بهوان
وفعلتم فعل الرجال وكنتم ... يوم الفخار كامة اليابان
فتفيئوا ظل الهلال فانه ... جم المبرة واسع الاحسان
يرعى لموسى والمسيح واحمد ... حق الولاء وحرمة الاديان
فخذوا المواثق والعهود على هدى الـ ... ـتوراة والانجيل والقرآن
وتذوقوا معنى الحياة فانها ... في مصر الفاظ بغير معان
ودعوا التقاطع في المذاهب بينكم ... ان التقاطع آية الخذلان
وتسابقوا للباقيات واظهروا ... للعالمين دفائن الاذهان
ولى زمان المفسدين كما انطوت ... حيل الشيوخ وامرة الخصيان
لاالشك يذهب باليقين ولا الرؤى ... تجدي المسيء ولا رقى الشيطان
وضع الكتاب وسيق جمعهم الى ... يوم الحساب وموقف الاذعان
وتوسموهم في القيود فقائل ... هذا فلان قد وشى بفلان
ومخضب بفريه ومطالب ... بدم أريق بمسبح الحيتان
قد جاء يومهم هنا وأمامهم ... بعد النشور هناك يوم ثان
سبحان من دال القضاء بامره ... ليد الضعيف من القوي الجاني

***

يا يوم عاد النازحون لارضهم ... يتسابقون لرؤية الاوطان
لله كم اطفات من نار ذكت ... دهراً وكم هدأت من اشجان
هذا يطير الى (فروق) ومن بها ... شوقاً وذاك الى ربى (لبنان)
خلعوا الشباب على البشير واخلقوا ... بالتم عهد خليفة الرحمن
وتعانقوا بعد النوى كخمائل ... يحلو بهن تعانق الاغصان
فترى النساء مع الرجال سوافراً ... لا يتقين فوادي الاجفان

عجباً لمن وقد خلقن اوانساً ... يبرزن في فرح وفي احزان

***

أهلاً بحاضرة الشام ومن اذا ... سفرت عنا لجمالها القمران
خطرت فعطرت المشارق عندما ... هبت نسائمها من (البلقان)
ياليتها خطرت بمصر واشرقت ... في يوم اسعدها على (طهران)
اضناهما شوق قد ايضت له ... كبداهما وتصدع القلبان
عرف الورى ميقاتها فترقبوا ... (تموز) مثل ترقب الظمآن
شهرٌ به بعث الرجاء وأشرقت ... أممٌ و بدل خوفها بامان
فله على الدنيا الجديدة منة ... يشدو بذكر صنيعها الفتيان
وعلى فرنسيس الحضارة منة ... تتلى اناشيد لها واغان
(تموز) انت ابو الشهور جلالة ... (تموز) أنت منى الاسير العاني
هلا جعلت لنا نصيباً علنا ... نجري مع الاحياء في ميدان
ايعود منك الآملون بما رجعوا ... ونعود نحن بذلك الحرمان
(تموز) ان بنا اليك لحاجة ... في الاوان وانت خير اوان

***

مني على دار السلام تحية ... وعلى الخليفة من بني عثمان
وعلى رحال الجيش من ماش به ... او راكب او نازح او دان
وعلى الالى سكنوا الى الحسنى سوى ... ذاك الذي يدعو الى العصيان
والى الحجاز الخارجي وما به ... الا اقتناص الاصفر الرنان
ما للشريف المنتمي حسباً ... الى خير البرية من بني عدنان
امسى يمالئه وينصر غيه ... وضلاله بجثلة العربان
تالله لو جيشتما رمل النقا ... ونزلتما بمواطن العقبان
وغرستما ارض الحجاز اسنة ... واسلتما بحراً من النيران
واقمتما فيه المعاقل منعة ... من ارض نجد الى خليج عمان
لقمعا كما ورما كما وذرا كما ... ماحي الحصون وماسح البلدان
ان تأتيا طوعاً والا فأتيا ... كرهاً بلا حول ولا سلطان

***

والیك يافرع الخلائف مدحة — عزت شواردها على حسان
من شاعر تثب النهى لقريضه — وثب النفوس لرنة العيدان
يهدي المديح الى الملوك سبائكا — تعنو لهن سبائك العقيان
« ان الملوك اذا استوت البستها — بالمدح تيجاناً على تيجان »

٢ — قصيدة الدكتور فياض

يا بني عثمان انتم امة — اصبحت موضوع اعجاب الامم
سيعيد العدل تاريخاً لكم — طبع المجد به منذ القدم
في حمى جيش عزيز باسل — واسع الهمة كشاف الغمم
ضرب الظلم بسيف قاطع — شق منه النور اكباد الظلم

***

صيح بالترك فكانت صيحة — ايقظت من ضجعة الموت الممم
وسرى للعرش منها هزة — فلقت يذبل من ذاك الصمم
قرأ الشرق انقلاب مدهش — لو تمنيناه في الاحلام لم
ورأينا دولة الماضي وقد — كتب الموت عليها لا رحم

***

ياحماة الدولة الاحرار يا — ناصرين السيف فينا والقلم
كم هوت اعلام مجد منكم — في سبيل الوطن السامي العلم
ما رأينا قبلكم أسد وغى — دمها يجري ولا تسفك دم
نفضت السيف انتقاماً فغدت — تقطر الرحمة اسياف النقم

***

هكذا الجيش مع الامة لا — ضده ينصر فرداً قد ظلم
ولقد اظهرتموه للورى — ليناً في خلقه الوعر الاشم
بعد لما كان ذليلاً بائساً — اصبح اليوم عزيزاً محترم

***

طال ليل الذل حتى خلته — ابدياً فاذا الفجر هجم
واذا القبر شعاع نير — ان في القبر عظات وحكم

مت ليحيا . كل شعب لم يجد بدماه فهو موجود بعدم
لو بدا الدستور جسماً قائماً لرأيتم رسماً فوق رمم

***

يا ملوك الارض هذي حكمة يستفيد العدل منها من حكم
ان للامة قلباً لاهباً مثل قلب الارض مشتد الضرم
ويل من يمشي عليه انه يتمشى فوق قذاف الحمم
مثلما ينفجر البركان ينفجر الشعب اذا الشعب احتدم

***

هل تظن الجيش الا بشراً مثلنا فيه شعور وألم
لست تدري يوم تأتي ساعة يستفز المد ذا البحر الخضم
يوم تمشي الريح في امواجه وهي اصوات وارواح ودم
فاذا لم يلق من يلجمه بلجام العدل لم تغن اللجم

***

قل لاهل الغرب عنا حسبكم ان للاتراك بأساً وكرم
حرروا الشرق وذي افعالهم جددت صبوته بعد الهرم
ولمن يطمع في تفريقنا كان للتفريق عهد وانصرم
غير دين الحب لا دين لنا نحن في البؤس سواء والنعم

***

فسلاماً ايها العلم الذي اطلق العقل وبالعدل قسم
وسلاماً ايها السيف الذي نصر العلم وما خان القسم
وسلاماً ياهلالاً نوره في سما العيد الجديد اليوم تم
انت طفت الارض قبلاً غازياً ستطوف الارض سلماً يا علم

وكيل الهلال في القاهرة

نرجو من حضرات مشتركي الهلال في القاهرة ان لا يعتمدوا في دفع بدلات الاشتراك الا اسعد افندي كوكباني بمقتضى وصولات ممضاة من مدير الهلال

القانون الاساسي

١ — ممالك الدولة العثمانية

(البند ١) ان الدولة العثمانية تشمل الممالك والخطط الحاضرة والولايات الممتازة وهي بجسم واحد لا تقبل الانقسام ابداً لاية علة كانت

(٢) ان عاصمة الدولة العثمانية هي مدينة اسلامبول وهذه المدينة ليس لها ادنى امتياز على غيرها من البلاد العثمانية ولا هي معفاة من شيء

(٣) ان السلطنة السنية هي بمنزلة الخلافة الاسلامية الكبرى وهي عائدة بمقتضى الاصول القديمة الى اكبر الاولاد من سلالة آل عثمان

(٤) ان حضرة السلطان هو حامي الدين الاسلامي بحسب الخلافة وحاكم جميع التبعة العثمانية وسلطانها

(٥) ان حضرة السلطان مقدس وغير مسؤول

(٦) ان حقوق حرية سلالة بني عثمان واموالهم واملاكهم الذاتية ومخصصاتهم المالية في مدة حياتهم هي تحت الضمانة العامة

(٧) ان عزل الوكلاء ونصبهم وتوجيه المناصب والرتب واعطاء النياشين واجراء التوجيهات في الايالات الممتازة وفاقاً لشروطها وضرب النقود وذكر الاسم في الخطب وعقد المعاهدات مع الدول الاجنبية واعلان الحرب والصلح وقيادة القوة البحرية والبرية واجراء الحركات العسكرية والاحكام الشرعية والقانونية وسن النظامات المتعلقة بدوائر الادارة وتخفيف المجازاة القانونية أو العفو عنها وعقد المجلس العمومي وفضه وفسخ هيئة المبعوثين عند الاقتضاء بشرط انتخاب اعضاء جديدة لها — جميع ذلك من جملة حقوق السلطان المقدسة

٢ — في حقوق تبعة الدولة العثمانية العامة

(٨) يطلق لقب عثماني على كل فرد من افراد التبعة العثمانية بلا استثناء من أي دين ومذهب كان ويسوغ الحصول على الصفة العثمانية وفقدانها بحسب الاحوال المعينة في القانون

(٩) ان جميع العثمانيين متمتعون بحريتهم الشخصية وكل منهم مكلف بعدم مجاوزة حقوق غيره

(١٠) ان الحرية الشخصية هي مصونة من جميع انواع التعدي ولا يجوز اجراء مجازاة

احد باي وسيلة كانت الا بالاسباب والاوجه التي يعينها القانون

(١١) ان دين الدولة العثمانية هو الدين الاسلامي ومع مراعاة هذا الاساس وعدم الاخلال براحة الخلق والآداب العمومية تجري جميع الاديان المعروفة في الممالك العثمانية بحرية تحت حماية الدولة مع دوام الامتيازات المعطاة للجماعات المختلفة كما كانت عليه

(١٢) ان المطبوعات هي ضمن دائرة القانون

(١٣) ان تبعة الدولة العثمانية مرخصة بتأليف كل نوع من انواع الشركات المتعلقة بالتجارة والصناعة والفلاحة

(١٤) يسوغ لكل فرد من افراد التبعة العثمانية أو الجملة منهم تقديم عرضحال بحق مادة وجدت مخالفة للقوانين والنظامات المتعلقة بالعموم الى مرجع تلك المادة كما انهم يحق لهم تقديم عرضحالات بمضاء الى المجلس العمومي بصفة مدعين أو متشكين من افعال المأمورين

(١٥) ان التعليم حرٌّ وكل عثماني مرخص له بالتدريس العمومي والخصوصي بشرط مطابقة القانون

(١٦) جميع المكاتب هي تحت نظارة الدولة وسيصير النظر بالوسائل التي من شأنها جعل تعليم التبعة العثمانية على نسق اتحاد وانتظام واحد لا تمس اصول التعاليم الدينية عند الملل المختلفة

(١٧) ان العثمانيين جميعهم متساوون امام القانون كما انهم متساوون كذلك في حقوق ووظائف المملكة ما عدا الاحوال الدينية والمذهبية

(١٨) يشترط على التبعة العثمانية معرفة التركية التي هي اللغة الرسمية لاجل تقليد مأموريات الدولة

(١٩) يقبل في مأموريات الدولة عموم التبعة ويعينون في المأموريات المناسبة بحسب اهليتهم واستحقاقهم

(٢٠) ان تكاليف الدولة تطرح وتوزع بين جميع التبعة بحسب اقتدار كل منها وفقاً لنظاماتها المخصوصة

(٢١) كل واحد امين على ماله وملكه الجاري تحت تصرفه بحسب الاصول ولا يؤخذ من احد ملكه مالم يثبت لزومه للنفع العام ويدفع ثمنه الحقيقي سلفاً وفقاً للقانون

(٢٢) ان مسكن كل احد في الممالك العثمانية مصون من التعدي ولا تقدر الحكومة ان تدخل جبرًا في مسكن احد أو منزله الا في الاحوال التي يعينها القانون

(٢٣) لا يسوغ اجبار احد على الحضور الى محكمة غير المحكمة المنسوب اليها قانونياً وفقاً لقانون اصول المحاكمات التي سيصير ترتيبه

(٢٤) المصادرة والتسخير والجريمة من الامور الممنوعة وانما يستثني من ذلك التكاليف والاحوال التي تعين في اوقات الحرب بحسب الاحوال

(٢٥) لا يجوز ان يؤخذ من احد بارة واحدة باسم ويركو ورسومات او بصفة اخرى مالم يكن ذلك مراعياً للقانون

(٢٦) ان التعذيب وكل انواع الاذى ممنوع قطعياً بالكلية

٣ — في وكلاء الدولة

(٢٧) ان مسند الصدارة والمشيخة الاسلامية يفوضان من قبل السلطان الى الذوات الذين يثق بهم وكذلك ماموريات باقي الوكلاء فانها تجري بموجب ارادة سلطانية

(٢٨) ان مجلس الوكلاء سينعقد تحت رئاسة الصدر الاعظم وهو مرجع جميع الامور المهمة الداخلية والخارجيه اما قراراته المحتاجة الى الاستئذان فانها تجري بموجب ارادة سنية

(٢٩) ان كلا من الوكلاء يجري من الامور العائدة الى ادارته ما هو مأذون باجرائه وفقاً لقواعده واما ما كان خارجاً عن دائرة مأذونيته فيعرض الى الصدر الاعظم والصدر الاعظم يجرى مقتضيات المواد التي لا تحتاج الى المذاكرة ويستأذن عنها من الحضرة السلطانية وما كان محتاجاً منها للمذاكرة يعرضه الى مجلس الوكلاء للمذاكرة به ويجرى ايجابه بمقتضى الارادة السنية التي تصدر بها اما انواع ودرجات هذه القضايا فستعين بنظام مخصوص

(٣٠) ان وكلاء الدولة مسئولون عن الاحوال والاجراآت المتعلقة بماموريتهم

(٣١) اذا تشكي واحد او اكثر من اعضاء مجلس المبعوثين على احد وكلاء الدولة بما يوجب عليه المسئولية في المواد التي هي من متعلقات هيئة المبعوثين فعلى رئيس هذه الهيئة الذي يتقدم له تقرير التشكي ان يرسل ذلك التقرير بظرف ثلاثة ايام الى الشعبة التي تتعلق بها المذاكرة في انه هل يجب احالته الى الهيئة المنوط بها روية محاكمة مواد اولا وفقاً لنظام هيئة المبعوثين الداخلي وهذه بعد ان تفحص هذه الشعبة ذلك التقرير وتجرى التحقيقات اللازمة وتستوفي الايضاحات الكافية من الذي اشتكى عليه فان قررت بالاكثرية ان هذا التشكي جرى بالمذاكرة تقدم قرارها الى هيئة المبعوثين للاطلاع عليها واذا مست الحاجة تستدعي المشتكى عليه وتسمع الايضاحات التي يقدمها بنفسه او بواسطة غيره فان وافقت اكثرية الهيئة المطلقة اي ثلثاها على لزوم المحاكمة تتقدم المضبطة المتضمنة طلب

المحاكمة الى مقام الصدارة العظمى وعقب عرضها للاعتاب السلطانية تحال الدعوى الى الديوان العالي بموجب ارادة سنية

(٣٢) ان اصول محاكمة الوكلاء الذين يقعون تحت التهمة ستعين في قانون خصوصي

(٣٣) لا فرق البتة بين الوكلاء و بين باقي افراد العثمانيين في الدعاوي الشخصية الخارجة عن مأمور يتهم فتجري المحاكمة على هذه القضايا في المحاكم العمومية التي يتعلق بها ذلك

(٣٤) اذا حكمت دائرة التهمة في الديوان العالي على احد الوكلاء بكونه واقعاً تحت التهمة ينزل عن مأموريته الى ان تظهر براءته

(٣٥) اذا وقع اختلاف على مادة ما بين الوكلاء و بين هيئة المبعوثين واصر الوكلاء على تقرير تلك المادة فرفضتها هيئة المبعوثين ثانية رفضاً قطعياً باكثرية الاراء مبينة تفصيل الاسباب الموجبة لذلك فالحضرة السلطانية حينئذ وحدها ان تغير الوكلاء او ان تفض هيئة المبعوثين بشرط انتخاب هيئة جديدة خلافها في المدة القانونية

(٣٦) اذا اقتضت الحال ضرورة في غير وقت انعقاد المجلس العمومي لوضع قانون صيانة للدولة من الخطر او وقاية الامن العام من الخلل ولم يكن الوقت كافياً لجمع المجلس للمذاكرة بهذا القانون فتجتمع هيئة الوكلاء وتقرر ما يلزم من الامور بشرط مراعاة احكام القانون الاساسي وبموجب ارادة سنية يكون لقرارها قوة القانون والحكم موقتاً الى ان تجتمع هيئة المبعوثين وتعطي قرارها بهذا المعنى

(٣٧) يحق لكل من الوكلاء في اى وقت شاء ان يحضر كلتا الهيئتين او ان ينيب عنه فيها احد روساء المامورين تحت ادارته وله التقدم في الكلام على الاعضاء

(٣٨) اذا استدعى احد الوكلاء الى مجلس المبعوثين بموجب قرار الاكثرية لاعطاء ايضاح عن امر ما يحضر الى المجلس بنفسه او يرسل احد روساء المامورين الذين تحت امارته و يجيب عن المواد التي يسال عنها و يحق له ان يؤخر جوابه اذا راى لزوماً لذلك آخذاً المسئولية على نفسه

٤ — في المامورين

(٣٩) جميع المامورين ينتخبون من ارباب الاهلية والاستحقاق للماموريات التي تفوض اليهم بحسب الشروط المعينة في النظام وكل مامور ينتخب على هذه الصورة لا يجوز عزله ولا تغييره ما لم يبد منه حقيقة ما يوجب العزل قانوناً او يستعفي من تلقاء نفسه او يري عزله لازماً لضرورة تقتضيها احوال الدولة ومن كان من اصحاب الاستقامة وحسن

السلوك من المأمورين وعزل ضرورة كما ذكر يكون جديراً بالترقي ويعين له معاش التقاعد او العزل بحسب نص النظام الخصوصي الذي سيصير ترتيبه

(٤٠) سيعين نظام مخصوص لوظائف كل مامورية وكل مامور هو مسئول في ادارة وظيفته

(٤١) من الواجب على كل مامور احترام امره ورعايته الا ان الطاعة لا تتجاوز الدائرة المعينة قانونيا والطاعة للآمر في الامور المخالفة للقانون لا تقي من المسئولية

٥ — في المجلس العمومي

(٤٢) ان المجلس العمومي يركب من هيئتين تسمى احداها هيئة الاعيان والاخرى هيئة المبعوثين

(٤٣) ان كلا من هيأتي المجلس العمومي تجتمع في ابتداء شهر تشرين الثاني من كل سنة وتفتتح بموجب ارادة سنية وتقفل كذلك بارادة سنية في اول اذار ولا يجوز انعقاد احدى هاتين الهيئتين بغير وقت اجتماع الاخرى

(٤٤) اذا رأت الحضرة السلطانية وجوباً تقتضيه احوال الدولة فانها تفتتح المجلس العمومي قبل وقته وتقصر اجتماع المجلس كذلك او تطيله عن المدة المعينة

(٤٥) ان افتتاح المجلس العمومي يتم بحضرة الذات السلطانية او بحضور الصدر الاعظم نائباً عنها او بحضور وكلاء الدولة مع اعضاء الهيئتين ويتلى حينئذ نطق سلطاني في ما يلزم اتخاذه في المستقبل من الوسائل والتدابير بخصوص احوال الدولة الداخلية وصلاتها الخارجية في السنة الحالية

(٤٦) ان الاعضاء الذين ينتخبون او يعينون للمجلس العمومي يحلفون بالامانة للحضرة السلطانية وللوطن وبمراعاة احكام القانون الاساسي والامور المودعة لعهدتهم والابتعاد عن مخالفة ذلك وهذه اليمين بحضور الصدر الاعظم في يوم افتتاح المجلس ومن لم يكن حاضراً من الاعضاء في ذلك اليوم يحلف هذه اليمين بعينها بحضور الرئيس والهيئة التي هو منها

(٤٧) ان اعضاء المجلس العمومي احرار بابراز ارائهم وافكارهم ولا يقيد احد منهم بوعد او تهديد ولا يرتبط بتعليمات البتة ولا يجوز القاء التهمة على احد منهم بوجه من الوجوه بسبب ابراز رأيه او بيان افكاره باثناء مفاوضات المجلس الا اذا بدا منه شيء خلاف لنظامات المجلس الداخلية فحينئذ تجري معاملته بموجب النظامات المذكورة

(٤٨) اذا اتهم احد اعضاء المجلس العمومي من قبل الهيئة المنسوب اليها بجناية ما

او بمحاولة الغاء القانون الاساسي او بالارتكاب وتقررت هذه التهمة بموجب اكثرية تلك الهيئة المطلقة اي بثلثي الاراء واذا حكم قانونياً على احد الاعضاء بالحبس او النفي فتسقط عنه صفة العضوية وتجري محاكمته ويحكم بمجازاته على امثاله هذه في المحكمة التي يتعلق بها ذلك

(٤٩) يحق لكل عضو من اعضاء المجلس ان يبرز رايه بنفسه أو يمتنع عن اعطاء رايه فيما يتعلق برفض او قبول مادة مطروحة تحت المذاكرة

(٥٠) لايجوزان يكون شخص واحد عضواً في كلتا الهيئتين المذكورتين في وقت واحد

(٥١) لا يسوغ الشروع بالمفاوضات في احدى الهيئتين بدون حضور نصف الاعضاء المرتبين وعضو واحد زيادة عن النصف وتقرر كل المواد باكثرية الاعضاء الحاضرين المطلقة خلا الامور المشترط بها اكثرية هي ثلثا الاعضاء واذا تساوت الاراء فرأي الرئيس يحسب مضاعفاً

(٥٢) اذا قدم شخص ما عرض حال الى احدى هيأتي المجلس العمومي بخصوص دعوى متعلقة بشخص ثم ظهر ان ذلك الشخص لم يقدم دعواه الى ماموري الدولة الذين يتعلق بهم رؤيتها ولا الى مرجع اولئك المامورين فان عرض حاله يرفض ويرد له

(٥٣) ان سن قانون جديد أو تغيير بعض القوانين الموجودة متعلق بهيئة الوكلاء الا انه يحق لكل من هيأتي الاعيان والمبعوثين ان تطلب تجديد قانون او تغيير القوانين الموجودة في المواد التي هي ضمن دائرة وظائفهم وحينئذ يستأذن بذلك من الحضرة السلطانية بواسطة الصدر الاعظم فان صدرت الارادة السنيــة بذلك تحال الكيفية الى مجلس شورى الدولة لاجل ترتيب اللوائح المقتضية على مقتضى الايضاحات والتفاصيل التي تؤخذ من الدوائر التي يتعلق بها ذلك

(٥٤) ان لائحة القوانين التي يرتبها مجلس شورى الدولة بعد ان يجري البحث والتدقيق عليها وقبولها في هيأة المبعوثين اولاً ثم في هيأة الاعيان يكون دستوراً للعمل اذا صدرت الارادة السنية السلطانية باجرائها وكل لائحة قانون ترفض رفضاً قطعياً من قبل احدى هاتين الهيئتين لايجوز طرحها ثانية تحت المذاكرة في تلك السنة

(٥٥) كل لائحة قانون لاتعتبر مقبولة مالم تقرأ اولاً في هيأة المبعوثين ثم في هيأة الاعيان بنداً بنداً ويقرر كل منها باكثرية الاراء ثم تقرر بالاكثرية أيضاً في هيأة المجلس العمومية

(٥٦) لا يسوغ لهيأتي المجلس ان تقبلا احداً اتى اليها للافادة عن مادة مابطريق الوكالة ولا ان تسمعا تقريره مالم يكن من هيأة الوكلاء او من حضر بالنيابة او من نفس اعضاء المجلس او من المأمورين الذين استمدوا للحضور رسمياً

(٥٧) ان المفاوضات في الهيأتين تجري باللغة التركية اما لوائح المفاوضات فانها تطبع وتوزع على الاعضاء قبل اليوم المعين للمذاكرة

(٥٨) ان ابراز الآراء في كلتا الهيأتين يتم اما بتصريح الاسماء او بالاشارة المخصوصة او بالطريقة السرية الا ان ابراز الآراء بالطريقة السرية يتوقف على قرار اكثرية الاعضاء الحاضرين

(٥٩) ان ضبط الاحوال الداخلية في كل هيأة منوط برئيسها

٦ — في هيئة الاعيان

(٦٠) ان رئيس وهيأة الاعيان يعينهم حضرة السلطان رأساً ولا يتجاوز عددهم ثلث اعضاء مجلس المبعوثان

(٦١) ان من يعين بصفة عضو في هيأة الاعيان يجب ان يكون قد فعل ما يجعله اهلاً للثقة العثمانية وسبقت له خدمات حسنة مشهودة في الدولة وان لايكون سنه دون الاربعين عاماً

(٦٢) ان مدة العضوية في هيأة الاعيان هي مدة الحياة وتوجه هذه المأمورية لمن هو اهل لها من معزولي الوكلاء والولاة والمشيرين وقضاة العسكر والسفراء والبطاركة ورؤساء الحاخامية والفرقاء البرية والبحرية ولغيرهم من الذوات الحاصلين على الصفات المطلوبة أما من يعين من اعضاء هيئة الاعيان لاحدى مأموريات الدولة بطلبه فتسقط عنه صفة العضوية

(٦٣) ان معاش العضوية الشهري في هيئة الاعيان عشرة آلاف قرش واذا كان لاحد الاعضاء معاش آخر أو غير مخصصات من الخزينة دون عشرة الآف قرش فتزاد الى هذا القدر ان كانت عشرة الاف أو اكثر تبقى على حالها

(٦٤) ان هيئة الاعيان تدقق البحث في القوانين ولوائح الموازنة الصادرة من هيئة المبعوثين فان وجدت بها ما يخل اساساً بالامور الدينية و بحقوق حضرة السلطان السنية أو بالحرية أو باحكام القانون الاساسي أو باستقلالية ملك الدولة او بامنية المملكة الداخلية او بوسائل المدافعة والمحافظة على الوطن او بالاداب العمومية فلها ان ترفضها قطعياً مع ايراد

ملاحظاتها وان تردها الى هيئة المبعوثين لاجل اصلاحها وتصحيحها . اما اللوائح التي تقبلها وتصادق عليها فتقدم للصدر الاعظم وكذلك المعروضات التي تقدم للهيئة تخص بالتدقيق وتقدم لمقام الصدارة اذا وجد لزوم لذلك مع اضافة الملاحظات اللازمة عليها

(٦٥) ان عدد اعضاء هيئة المبعوثين يكون باعتبار شخص واحد من كل خمسين الف نفس من ذكور التبعة العثمانية

(٦٦) ان امر الانتخاب مؤسس على الطريقة السرية وستقرر كيفية الانتخاب في قانون مخصوص

(٦٧) لا يمكن الجمع بين عضوية هيئة المبعوثين ومأمورية اخرى في الحكومة خلا من ينتخب من الوكلاء لهذه العضوية فيجوز له ذلك واما من ينتخب لهيئة المبعوثين من باقي مأموري الدولة فهو في خيار من قبول ذلك او رفضه الا انه اذا قبل العضوية يفصل من مأموريته

(٦٨) لا يجوز ان ينتخب لهيئة المبعوثين اولاً من لم يكن من تبعة الدولة العلية ثانياً من كان حائزاً موقتاً على امتياز خدمة اجنبية بمقتضى النظام المخصوص . ثالثاً من لم يكن عارفاً باللغة التركية . رابعاً من كان سنه دون الثلاثين . خامساً من كان مستخدماً عند شخص آخر في وقت الانتخاب . سادساً من حكم الله عليه بالافلاس ولم يعد اعتباره سابعاً من كان مشهوراً بالتصرفات السيئة . ثامناً من حكم عليه بالحجر حكماً لاحقاً ولم يفك عنه الحجر . تاسعاً من كان ساقطاً من الحقوق المدنية . عاشراً من يدعي انه من التبعة الاجنبية . فجميع هؤلاء لا يجوز انتخابهم لهيئة المبعوثين . اما في الانتخاب الذي يجري بعد اربع سنوات فيشترط على المنتخب ان يكون عارفاً القراءة والكتابة في اللغة التركية نوعاً

(٦٩) ان انتخاب المبعوثين العمومي يجري مرة واحدة في كل اربع سنين ومدة مأمورية كل من المبعوثين هو عبارة عن اربع سنين ويجوز تجديد انتخابه

(٧٠) ان انتخاب المبعوثين العمومي يبدأ به قبل شهر تشرين الثاني الذي هو بداية اجتماع الهيئة باربعة اشهر على الاقل

(٧١) ان كلاً من اعضاء هيئة المبعوثين يعتبر كنائب عن عموم العثمانيين وليس عن الدائرة التي انتخبته فقط

(٧٢) من الواجب على المنتخبين ان ينتخبوا المبعوثين من اهالي دائرة الولاية التي هم منها

(٧٣) اذا فضت هيئة المبعوثين بارادة سنية يبتدأ بانتخاب جميع الاعضاء الجديدة بحيث تتمكن الهيئة من الاجتماع بعد ستة اشهر في الاكثرية

(٧٤) اذا توفي احد اعضاء المبعوثين او وقع تحت الحجز لاسباب قانونية او انقطع عن الحضور الى المجلس مدة طويلة او استعفى لداعي صدور حكم ما عليه او لسبب قبول مامورية اخرى فيتعين عضو خلافه بحسب الاصول قبل الاجتماع التالي

(٧٥) ان مامورية العضو الذي ينتخب عوضاً عن احد المبعوثين تدوم فقط الى وقت الانتخاب العمومي الآتي

(٧٦) يعطى لكل من المبعوثين عشرون الف قرش من خزينة الدولة عن مدة الاجتماع في كل سنة وتعطى له ايضاً مصاريف الطريق ذهاباً واياباً باعتبار كون المعاش الشهري خمسة الاف قرش وفقاً لنظام المأمورين الملكيين

(٧٧) تنتخب هيئة الاعيان ثلاثة اشخاص لرئاسة الهيئة وثلاثة اشخاص لكل من الرئاستين الثانية والثالثة ثم تقدم اسماء هذه الاشخاص التسعة الى الحضرة الشاهانية وبموجب ارادة سنية يعين احد الثلاثة الاولين لرئاسة الهيئة وشخصان من الستة الباقين بصفة وكيلين للرئيس وتجري مامورياتهم على هذه الصورة

(٧٨) ان المذاكرات والمفاوضات في هيئة المبعوثين تجري علناً غير انه اذا وقعت مادة مهمة او عند طلب الوكلاء او خمسة عشر عضواً من اعضاء هيئة المبعوثين اجراء المذاكرة سراً عن امر ما حينئذ تصرف الاشخاص الموجودين في محل اجتماعها خلا اعضائها وبموجب قرار الاكثرية تقبل او ترفض الطلب المتقدم لها وتجري المفاوضة علناً او سراً بحسب القرار المذكور

(٧٩) لا يجوز القاء القبض على احد اعضاء هيئة المبعوثين بمدة اجتماع المجلس ولا محاكمته ما لم يثبت بموجب قرار اكثرية الهيئة وجود سبب كاف لالقاء التهمة عليه قبل الهيئة او ما لم يرتكب جنحة او جناية ويمسك بوقت ارتكابه ذلك او عقيبه

(٨٠) ان هيأة المبعوثين تتذاكر بلوائح القوانين التي تحال لها فما كان منها متعلقاً بالمالية او بالقانون الاساسي يسوغ لها ان ترفضه او تقبله او تصلحه وعقب تدقيق البحث على المصاريف العمومية بالتفصيل كما هو مصرح به في قانون الموازنة تقرر مقدارها بالاتفاق مع هيئة الوكلاء وتعين كذلك مع هيئة الوكلاء انواع الواردات المقتضية لمقابلة المصاريف العمومية ومقدارها وكيفية توزيعها واستحصالها

٧ – في المحاكم

(٨١) ان القضاة الذين ينصبون من قبل الدولة بموجب النظام المخصوص وتعطى لايديهم البراءة الشريفة فهؤلاء لا يعزلون وانما يجوز قبول استعفائهم • اما صورة ترقي القضاة ومسالكهم ومبادلة مناصبهم وكيفية اجراء تقاعدهم وعزلهم عند صدور الحكم عليهم بذنب ما جميع ذلك مصرح في النظام المذكور وهذا النظام موضح به كذلك الاوصاف المطلوبة من القضاة ومن باقي ماموري المحاكم

(٨٢) ان جميع انواع المحاكمات تجري في المحاكم علناً والاعلامات التي تصدر منها مأذون بنشرها غير انه تجري المحاكمة سرًّا في الظروف المعينة بالقانون

(٨٣) يحق لكل احد ان يستخدم لدى المحاكمة جميع الوسائل القانونية للدفاع عن حقوقه

(٨٤) لا يسوغ لاحدى المحاكم لاية علة كانت ان تمتنع عن روئية دعوى هي من متعلقاتها ولا يجوز توقف الحكم بدعوى ما او تأخيره بعد الشروع في روئية تلك الدعوى او بعد اجراء التحقيقات الاولية المقتضية لروئيتها مالم يكف المدعي عن ملاحقة دعوه ولكن حقوق الحكومة في الدعاوي الجنائية تأخذ مجراها النظامي

(٨٥) كل دعوى يجب ان ترى في المحكمة التي تتعلق بها روئيتها اما الدعاوي التي تقع بين الافراد والحكومة فانها ترى كذلك في المحاكم العمومية

(٨٦) ان المحكمة بجملتها تكون عارية من كل نوع من المداخلات

(٨٧) ان الدعاوي الشرعية ترى في المحاكم الشرعية والدعاوي النظامية ترى في المحاكم النظامية

(٨٨) ان انواع المحاكمة ووظائفها ودرجات حقوقها واس توظيف القضاة كل ذلك يرجع به الى القوانين

(٨٩) لا يجوز قطعاً لاية علة كانت ترتيب محاكم غير اعتيادية ولا لجنات لروئية بعض دعاو مخصوصة والحكم بها خلا المحاكم القانونية وانما يجوز فقط التحكيم وتعيين مولين بحسب مفاد القانون

(٩٠) لا يجوز لقاض ان يجمع بين مامويته القضائية ومأمورية اخرى ذات معاش في الحكومة

(٩١) سيجرى تعيين مدعين عموميين للدفاع عن الحقوق العامة في الامور الجنائية

اما وظائف هؤلاء المدعين ودرجاتهم فستقرر في القانون

٨ ـ في الديوان العالي

(٩٢) يتألف الديوان العالي من ثلاثين عضواً منهم عشرة ينتخبون بالقرعة من رؤساء واعضاء مجلس التمييز والاستئناف وهذا الديوان ينعقد عند الاقتضاء بموجب ارادة سنية في دائرة هيئة الاعيان ووظيفته انما هي محاكمة اوكلاء ورؤساء محاكم التمييز واعضائها وكل من اعتدى على ذات الحضرة السلطانية وعلى حقوقها وكل من حاول القاء الدولة في الخطر

(٩٣) ينقسم الديوان العالي الى قسمين يسمى احدهما دائرة التهمة والآخر ديوان الحكم اما دائرة التهمة فاعضاؤها تسعة ينتخبون ثلاثة من هيأة الاعيان وثلاثة من ديوان التمييز والاستئناف وثلاثة من اعضاء شورى الدولة وكلهم ينتخبون بالقرعة من الذين يعينون للديوان العالي

(٩٤) يعطى القرار في هذه الدوائر باكثرية اثنين على صحة التهمة الملقاة على الذوات المشتكي عليهم او عدمها اما اعضاء دائرة التهمة فلا يحضرون في ديوان الحكم

(٩٥) ان عدد الاعضاء في ديوان الحكم واحد وعشرون عضواً من اعضاء الديوان العالي منهم سبعة من هيئة الاعيان وسبعة من ديوان التمييز والاستئناف وسبعة من شورى الدولة وهذا الديوان يحكم حكماً باتاً وتقتضى القوانين المؤسسة في الدعاوي التي قررت دائرة التهمة لزوم المحاكمة عليها ويتم حكمه بموجب قرار اكثرية ثلثي اعضائه اما احكام هذا الديوان فلا تقبل الاستئناف ولا التمييز

٩ ـ في الامور المالية

(٩٦) ان تكاليف الدولة لا يترتب منها شيء ولا يصير توزيع شيء منها ولا جبايته ما لم يتعين بقانون

(٩٧) ان لائحة الدخل والخرج في الدولة هي بمنزلة قانون موضح به مقدار وارداتها ومصارفاتها تقريباً فكل تكاليف الدولة يعول بامر ترتيبها وتوزيعها وجبايتها على هذا القانون

(٩٨) ان اللائحة المذكورة اي قانون الموازنة العمومية يصير البحث والمصادقة عليها بنداً بنداً في المجلس العمومي وكذلك الجداول المرتبطة بها المتضمنة تفاصيل الواردات والمصارفات تقسم الى ابواب وفصول ومواد متعددة وفقاً للاصول المتخذة نظاماً وتجري المذاكرة عليها ايضاً فصلاً فصلاً

(٩٩) ان قانون الموازنة العمومية يطرح امام هيئة المبعوثين عقب اجتماع المجلس

العمومي ليمكن وضعه في موضع الاجراء عند دخول السنة المتعلق بها

(١٠٠) لايجوز صرف شيء من اموال الدولة خارجاً عن الموازنة مالم يعين ذلك بقانون مخصوص

(١٠١) اذا مست الحاجة لصرف مبلغ ما خارج عن الموازنة في غير وقت اجتماع المجلس العمومي وذلك لاسباب اجبارية غير اعتيادية فان هيئة الوكلاء تستأذن من الحضرة السلطانية عن ذلك آخذة المسئولية عليها ولتدارك المبلغ اللازم لصرفه بموجب الارادة السنية التي تصدر وعليها ان تقدم لائحة ذلك الى المجلس العمومي عند اجتماعه

(١٠٢) ان حكم قانون الموازنة هو لسنة واحدة فقط وهو لا يجري في غير تلك السنة غير انه اذا فض مجلس المبعوثين لاسباب غير اعتيادية قبل تقرير الموازنة فيسوغ للوكلاء بموجب ارادة سنية ان يداوموا اجراء حكم موازنة السنة الماضية الى ان يلتئم مجلس المبعوثين بشرط ان لايتجاوز ذلك مدة سنة

(١٠٣) ان لائحة قانون المحاسبة القطعية يتضمن مقدار المبالغ المتحصلة من واردات السنة المعينة لها وحقيقة المصاريف التي صار دفعها بتلك السنة وينبغي ان تكون هيئتها وابوابها موافقة بالتمام لقانون الموازنة العمومية

(١٠٤) ان قانون المحاسبة القطعية يطرح امام المجلس العمومي في كل اربع سنين على الاكثر من ختام السنة المتعلق بها

(١٠٥) يترتب ديوان محاسبات لاجل رؤية حساب المأمورين الموكلين بقبض اموال الدولة وصرفها ولاجل فحص المحاسبات السنوية التي تقدم من الدوائر المختلفة وهذا الديوان يتقدم الى هيئة المبعوثين في كل سنة تقريراً حاوياً خلاصة فحصه وتدقيقاته ونتيجة افكاره وملاحظاته وفي كل ثلاثة اشهر يعرض ايضاً على الحضرة السلطانية بواسطة رئيس الوكلاء تقريراً عن احوال المالية

(١٠٦) ان ديوان المحاسبات يؤلف من اثني عشر عضواً يعينون بموجب ارادة سنية ويستمرون في مأموريتهم مدة حياتهم ولا يعزل احد منهم مالم تصادق هيئة المبعوثين بالاكثرية على لزوم عزله

(١٠٧) سيترتب نظام مخصوص لتعيين الصفات المطلوبة من اعضاء ديوان المحاسبات وتفاصيل وظائفهم وصورة استعفائهم وتبديلهم وترفيهم وتقاعدهم وكيفية تشكيل الاقلام المتعلقة بهذا الديوان

١٠ — في الديوان

(١٠٨) ان اصول ادارة الولايات ستؤسس على قاعدة توسيع دائرة المأذونية وتفريق الوظائف وتعيين درجاتها بنظام مخصوص (١٠٩) سيترتب قانون مخصوص اوسع من القانون الجاري الان لانتخاب اعضاء مجالس الادارة في الولايات والالوية والاقضية ولانتخاب اعضاء المجالس العمومية التي يلتئم كل سنة مرة في مراكز الولايات

(١١٠) ان وظائف المجلس العمومية كما سيصرح به القانون المذكور هي المذاكرة والمفاوضة في الامور النافعة كتنظيم الطرق والمعابر وترتيب الصناديق وترقية اسباب الصنائع والتجارة والزراعة ونشر المعارف العمومية ومن خصائصه ايضاً حق التشكي الى المحلات المقتضية عند وقوع مغايرات للقوانين و النظامات المؤسسة لاجل اصلاح ذلك سواء كان بامر توزيع الاموال الاميرية وجبايتها او بالمعاملات العمومية

(١١١) يترتب في كل قضاء مجلس لكل ملة تنتخب اعضاؤه من افراد تلك الملة ويكون من خصائصه النظر بمداخيل المسقفات والمستغلات والنقود الموقوفة لكي تصرف بحسب شروط واقفيها ومعاملتها القديمة لمن له حق فيها وللخيرات والمبرات والمناظرة ايضاً على صرف الاموال الموصى بها حسبما هو محرر في وصية الموصي وعلى ادارة اموال الايتام وفقاً لنظامها الخصوصي . اما هذه المجالس فانها تعرف الحكومات المحلية ومجالس الولايات العمومية مرجعاً لها (١١٢) ان الامور البلدية تجري ادارتها في مجالس الدوائر البلدية التي سيصير ترتيبها في دار السعادة وفي الخارج وسيصير وضع قانون مخصوص بتنظيم الدوائر البلدية ووظائفها وكيفية انتخاب اعضائها

١١ — في مواد شتى

(١١٣) اذا ظهرت بعض علائم وامارات تنذر بوقوع اختلال ما في احدى جهات المملكة فيحق للحكومة السنية حينئذ ان تعلن الادارة العرفيـة موقتاً في ذلك المحل فقط والادارة العرفية انما هي ابطال القوانين والنظامات الملكية بصورة موقتة وسيترتب نظام مخصوص لكيفية ادارة المحل الموضوع تحت الادارة العرفية اما الذين يثبت بواسطة تحقيقات ادارة الضابطة الصحيحة انهم سبب في اختلال امنية الحكومة فللحضرة السلطانية وحدها الحق ان تخرجهم من الممالك المحروسة وتبعدهم عنها

(١١٤) ان التعليم الابتدائي يجعل اجباريا على كل فرد من جميع الافراد العثمانيين وتفاصيل ذلك تقرر في نظام مخصوص

(١١٥) لا يجوز توقيف او ابطال بند من بنود هذا القانون الاساسي لاية علة كانت

(١١٦) اذا اقتضت الظروف والاحوال تغيير بعض المواد المدرجة في هذا القانون الاساسي او اصلاحها ووجد لزوم حقيقي وقطعي لذلك فيجوز تغييرها على الشروط الآتية وهي انه متى طلبت هيئة الوكلاء وكل من هيئة الاعيان والمبعوثين اصلاح قضية ما فاذا صادقت هيئة المبعوثين على ذلك باكثرية هي الثلثان وصدرت الارادة السنية بشأنه فان هذا الاصلاح يعتبر دستوراً للعمل اما المادة التي يطلب اصلاحها فتبقى مرعية حائزة قوة الحكم والنفوذ الى ان تجري عليها المذكرات اللازمة وتصدر بشأنها الارادة السنية كما ذكر

(١١٧) اذا اقتضى تفسير احدى المواد القانونية فاذا كان ذلك من الامور العدلية يتعلق تفسيره في محكمة التمييز وان كان من امور الادارة الملكية فذلك من خصائص شورى الدولة وان كان من مواد هذا القانون الاساسي فذلك متعلق بهيئة الاعيان

(١١٨) ان القوانين والنظامات الجاري العمل بها الآن وجميع المعاملات تبقى نافذة ومرعية الاجراء ما لم يصر الغاؤها واصلاحها بالقوانين والنظامات التي تسن في المستقبل

(١١٩) ان التعليمات الموقتة التي ترتبت بشأن المجلس العمومي في ٢٠ شوال سنة ٩٣ تبقى احكامها جارية الى نهاية اجتماع المجلس المذكور الاول وبعد ذلك يضحي حكمها باطلاً   انتهى الدستور   في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣

روايات الهلال في لغة التاميل

فكاهة

ذكرنا في مقدمة رواية «عروس فرغانة» ان الشيخ احمد غني مريكر نقل «فتاة غسان» الى اللغة الارويدية الشائعة في سيلان وسنغافوره وتسمى ايضاً لغة التاميل — اخبرنا بذلك السيد محمد بن سالم الكلالي من وجهاء سنغافوره وبعث الينا نسخة من الترجمة فكتبنا اليه نسأله عما قاله المترجم في صدر ترجمته لاننا لم نستطع حل حروفها فاجابنا انه يعزو الاصل الينا والترجمة لنفسه . ثم ارسل الينا بالامس نسخة من ترجمة رواية «المملوك الشارد» الى تلك اللغة بقلم المشار اليه وقرأنا في اعلى الصفحة الاولى منها عبارة انكليزية هذه ترجمتها «امين بك المملوك الشارد هي روايه مهمة في لغة التاميل بقلم احمد غني مريكر مؤلف «فتاة غسان» وقال في ذيل تلك الصفحة «الحقوق محفوظة» واتفق حضور احد الظرفاء عند وصول تلك النسخة فلما اطلع على العبارة الاخيرة قال لنا «اشكر الله ان المترجم لم يطالبك بتعديك على حقه لانك ألفت هذه الرواية قبل ان يترجمها» !!

اليد اليسرى

عثرت في احدى المجلات الروسية على مقالة فريدة في بابها حملني حرصي على فائدتها على تلخيصها معلقاً عليها بعض ما خطر لي . وقلما يطلع قراء العربية على ابحاث علماء الروس لقلة ما ينقل من كتاباتهم الى لساننا

كان فرانكلين يقول بلسان حال اليد اليسرى : « عليكم معاشر ذوي الاظافر الناعمة التي مرت فيها روح الشبيبة ان ترفقوا بي وتتقهقروا خطوة في سوء الخسف . اهوى بكم الغرور حتى جعلتم لليد اليمنى اسبقية علي ؟ ام هو التقليد الاعمى جعل غشاوة على عيونكم لحدوتم حدو « الغلط المشهور خير من الصواب المهجور » بيني وبين رفيقة (اليد اليمنى) عشت واياها زمناً اقاسمها السراء والضراء فلو مشيتم بننا مشية حكيم عادل لاصبتم الرية ولكن دخل عليكم التقليد الاعمي مدخلاً غلب على عقولكم فكانت لي القسمة الضيزى فاصبحت لا اجيد القبض على اليراع ولا اقوى على مسك الدفاتر او الاخذ بآلة من الآلات »

هذه شكوى اليد اليسرى ولكن لا حياة لمن تنادي وكأني وصوتها قد لقي اذاناً صاغية في هذا القرن ملك القرون وسيدها فقام في فنلاندا ارباب الادب واولياء المدارس على اختلاف نزعاتهم وطبقاتهم حاضرين عن ساعدي العمل والاجتهاد (اليمنى - واليسرى) لكي يجعلوا لليسرى الحظ الاوفر بتمرينها على الشغل . فقربوا منها القلم بعد ان ابتذله تناسيها وفتحوا لها في بطون الكتب صحفاً هتك سترها الوهم وتجاوزوا الى ما بعد من الاقاليم زرافات ووحداناً يبثون هذه الروح في الناس فكتبوا ورسموا ونشقوا وصنعوا التماثيل بكلتا يديهم

بيد انه ما عتم صوت فرانكلين ان اتى بالنفع الجزيل للعنصر الاميركي وبعض الاساتذة الذين استعملوا اليدين اصبحوا لا يفرقون بين يمناهم و يسراهم

ومرت هذه الروح بين احياء الانكليز فلقيت منها شقاقاً فكلما فتح النشاط باباً ونشر من طيات الخفاء اسراراً نعرض له البطء في مسيره حتى اشرب قلبهم كراهة استعمال اليدين ظناً منهم ان ذلك يجر الفشل الى المساعي والخلل الى الاعمال فتزعزعت العزيمة وكاد اليأس يغلب على العمل لو لم تتدارك الامر عصابة من نطس الاطباء الذين ناصلت في قلوبهم التربية ولم يصغوا الى سفسطائيات القوم واخذوا يروضون يدهم اليسرى حتى ارتاحت الى اختها . فالفوا ضالتهم وسار على اثرهم كثيرون وقد استولت الدهشة على من

يفكر في استعمال اليد اليمنى دون اليسرى فهل تتب للاولى ان تفوز على الثانية منذ برأ الله الخلق ام هي الطبيعة اكسبتها تلك المزية ... ؟

ان كثيراً من العلماء المبرزين قد تفرغوا للبحث عن السبب في ذلك فأجمع رأيهم على ان الطبيعة تكفينا مشقة السؤال فلنبحث — والحقيقة بنت البحث — فوجدها كما قال برناردين دى سان بيير في كتابه الكوخ الهندي « في الطبيعة » وافتح هذا الكتاب فتجد فيه ما يحرك النفوس وتقف دونه مدارك الافهام ولقد تكبر في عينك ان الطبيعة تقول ان اليد اليسرى مائلة طبعاً الى الحركة اكثر من اليمنى ولكن التقليد الاعمى وسوء التربية اعمتا البصائر • فالمربية او الام تحمل طفلها على ذراعها اليمنى فاذا اخذ الكرى بمعاقد اجفانه كانت يدها اليسرى مهداً له ووساداً

تلك عادة سيئة لأن الطفل يحمل على الذراع اليسرى ويده اليمنى مطلقة اكثر من اليسرى فتتحرك وتداعب وتلاعب وتجاذب واليسرى ملقاة على كتفها مقيدة لا تستطيع حراكاً وقد حاول ان يحركها فما استطاع ولما يقوى الوليد على الوقوف على قدميه وقدهم بالانزلاق من حجر امه تقوده بيده اليسرى تريد تدريبه على السير فيسهل عليه الاخذ والوضع باليد اليمنى واذا بلغ اشده تدفع بيمناه على الشغل بتلك الارادة التي لا تدع في سبيلها ماخذاً لليد اليسرى — ذلك بعض تعاليلهم عن سبب استعمال اليمنى لشاق الاشغال

واما العلم الصحيح المبني على الاستقراء فيستدل من بعض قواعده ان سبب تباين القوة بين اليدين ان الانسان اعتاد في القرون الغابرة حمل اسلحته في يده اليمنى او على كتفه اليمنى حتى اذا اشتبك الجيشان وقام كل على قرنه كان قلبه محصناً وفي مامن من الخطر اذ تكون اليسار حصناً له واليمنى مدافعاً عنه • والقلب كما اشار علماء الحيوان يشغل حيزاً بين الرئتين وينحرف قليلاً الى اليسار • وقد يؤيد ذلك ان امزونات اليونان كان يقطع ثديها الايمن ليكون ذلك عوناً لها على استعمال السلاح ومعنى كلمة امزون « ناقصة ثديا » ماخوذة من اليونان ثم سمى به الاوروبيون المرأة اذا ركبت فرساً بالجلباب المدلار كوب وسمي اللباس بالامازون كما اشار الى ذلك سليم بك عنجوري في « حديقة السوسن »

وفيما نقرأه من اساطير الاولين ان اهود ابن جيرا قتل عجلون ملك الموآبيين بفضل يده اليسرى التي عودها العمل من صباه ولا يخفى على قراء التوراة انه كان في معسكر داوود من هؤلاء الرجال مايفوق عدد الاصابع

نبغ الاستاذ الحاذق الصاوي الشهير غوليين في الجيل السادس عشر وما زال يدرأ

يده اليسرى ويعمل على تمرينها حتى وفاها قسطها فلم يعد يعلم ايهما اليمنى من يديه . وكذا كيثيل العالم المبرز وروغيندال الحاذق في رسم الوقائع الحربيــة وكيو ناردو دي فينشي فانهم كانوا يكتبون و ينقشون بايديهم على السواء . فسقياً لتلك اليد التي اشتغلت فعربت وسطرت فاعربت وواها منا نحن اليوم فقد غدت هذه الروح بين اعجمي ينادي بوأدها وعربي يعمل على زهوقها

وماذا كان يلم بالاستاذ البارع دانيال فيبر ين لولم يعود يده اليسري على الشغل عند ما اقعد الاولى داء الفالج فصدّها عن الشغل ولم ينجع فيه دواء فاخذ يشتغل بيده اليسرى لايعوقه شيء وترى كثيرين يكتبون باليسرى وينقشون لمرض اوضرر عاق اليمنى عن الشغل

وذكر مؤرخو العرب ان عبد الله بن المقفع سمي بذلك لان الحجاج لما ولى اباه على العراق ومد يده الى الاموال ضربه فتقفعت يده وجاء في محيط المحيط البستاني قفعه يقفعه قفعاً ضربه بالمقفعة والمقفعة خشبة يضرب بها الاصابع . وزادوا على ذلك انه ما فتىء يعمل على تمرين يده اليسري حتى ابلغها امنيتها . على ان ذلك لايتأتى في اكثر الاحايين الا بعد شق النفس واجهاد القوى فلو استدرك الامر ونظر في المستقبل نظرة الحكيم العاقل يوم كان ناعم الظفر لوفر عليه بعض ما قاساه من المشقة في جعل يده اليسرى مضارعة اليمنى ليت شعري من يجهل عظم الفائدة التي تنتج عن تعويد اليسرى على العمل مع اليمنى الا يمكننا حينئذ ان نعمل العمل الذي يقتضي لتنفيذه ساعة بربع ساعة

و يسرني كما يسر السواد الاعظم والناشئة الحديثة ان صحافة الفرنسيس اقترحت من مدة التصوير باليد اليسرى . وكان مينيي يقول كيف اتمكن من التصوير باليسري مع اني لم اروضها لكن ما عتم حتى عرض في الجرائد الصور التي صورها بها فنال حسن الاحدوثة وكذا غازي وغيره من مهرة المصورين فان النتيجة قد حققت الامل وما هي الا جولة من جولات الفكر احيت هذا العضو الذي ارهف حده التنامي وكاد يبيده الاهمال

فخذوا ايها القادرون على الاصلاح باليد اليسرى لتخدمكم خدمة صادقة وارجو ان ترعوني الاذن الصاغية كي تقوى اليد اليسرى على ان تخدمكم بكتاباتها بمونة اختها اليمنى أنقضي من الادب لباتنا وفينا من يطوي كشحاً عند سماع هذا الكلام ظنا بانه خارق العادة او رابع المستحيلات ؟ فيا ارباب المدارس اقف منادياً علّه يكون لصوتي صدى بينكم وعليكم بالصبي خذوا يده منذ نعومة اظفاره فان كلمة مستحيل لا توجد الا في معجم المجانين كما قال نابليون

(القدس الشريف) اسكندر الخوري

اكتشاف اميركا والفينيقيون

نشر الهلال في عدده التاسع من السنة الماضية مقالاً لشكري افندي ابي شعر منقولاً عن كاتب اسبانيولي يحاول فيه اثبات وصول الفينيقيين في اسفارهم الى الاطلانتيد وزعم انها اميركا وقد اجبتم على ذلك بكلام جمع فوعى وقلتم ان الاطلانتيد هي جزر في الاوقيانوس الاطلانتيكي وقد خسفت وغارت في الماء . ولما كانت مسئلة عمران اميركا بسكانها الاصليين عقدة من عقد العلم والتاريخ التي حارت عقول الباحثين في حلها وتضاربت الآراء فيها كثيراً تطفلت بكتابة ما يأتي لعله لا يخلو من الفائدة واعتمدت في اكثره على اقوال العلامة دوكاترفاج وهو من أجل علماء الطبيعة الذين بحثوا في هذا الموضوع ووفوه حقه من التدقيق . وسيتضح مما سأورده ان النوع الاميركي يتألف من عناصر مختلفة هاجرت الى البلاد من اسيا وأفريقيا و يقرب ان يكون الفينيقيون بعض اولئك المهاجرين

اذا القينا نظرنا على الخارطة رأينا ان اسيا واميركا تتناخمان عند بوغاز بهرين و رأينا أيضاً سلسلة جزائر هي جزائر الوسيان تمتد من كمشتكا في آسيا الى شبه جزيرة الاسكا في اميركا فهذه المجاورة تسهل على السكان السفر من الشط الواحد الى الشط الآخر لمقاصد تجارية بسيطة وتسهل لاهل اسيا العبور الى اميركا الشمالية في جهات الاوقيانوس الشمالي و باعتبار ذلك يسهل التعليل عن سبب وجود الانسان في اميركا قبل الاكتشاف

والتيارات المعروفة في الابحر الكبيرة تساعد ايضاً على نقل الانسان من اسيا الى اميركا لان تيار تشان (او النهر الاسود) كثيراً مايقذف مراكب أو بقاياها من آسيا الى كاليفورنيا وما يحدث في هذه الايام لابد من ان يكون حدث في القديم والفرق بين العصرين ان القدماء لم يكونوا يستطيعون الرجوع فتوغلوا في البلاد واستوطنوها

وقد ظهر من الاطلاع على بعض الكتب الصينية ان اهل آسيا عرفوا اميركا معرفة حقيقية قبل ان عرفها اهل اوربا و يتضح من تلك الكتب ان بلاداً بعيدة عن اسيا يسمونها الفوسانك الى شرقي الصين كان لها بالصين علاقات تجارية ودينية . ومعلوم ان أهل الصين عرفوا الحك واستفادوا من استعماله قبل التاريخ المسيحي بالفي سنة ورسموا خرائط جغرافية مدققة افضل من خرائط الاجيال المتوسطة وضبطوا قياس الابعاد — ولا ينكر ذلك عليهم — فقالوا عن بلاد الفوسانك انها على مسافة عشرين الف لي

من الصين والي يساوي ٤٤٤٥ متر فاذا سرنا في « النهر الاسود » عشرين الف لي وصلنا تماماً الى كاليفورنيا · وقالوا ايضاً ان الفوسانك تحتوي ذهباً وفضة ونحاساً وهذا يصدق على اميركا ولا يصدق على اليابان كما يزعم البعض · وفي تلك الكتب ايضاً ذكر بعثات دينيــة ارسلت الى الفوسانك للتبشير بالديانة البوذية ويؤيد ذلك صورة اكتشفت في كاليفورنيا تمثل كاهناً بوذيــا · واول ما وطئ الصينيون اقليم لامبابك وجدوا سكانه الاصليين يتكلمون لغة لم يعسر عليهم فهمها كثيراً وهذا دليل على ان اهل الصين هاجروا قديماً الى بيرو واستوطنوها

هذا من جهة آسيا اما من جهة افريقيا فالطريق منها الى اميركا هو التيار الاستوائي الاتلانتيكي لانه كثيراً ما حدث ويحدث ايضاً في هذه الايام ان بعضاً يضلون الطريق فيقذفهم التيار الاستوائي الى اميركا ولذلك ترى فيهــا اناساً يشبهون في سحنتهم وملامحهم اهالي افريقيا

اذ اتخذنا الالوان دليلاً على الاصول التي نشأت منهــا الفروع علمنا ان الاسود والابيض والاصفر في اميركا ترجع الى اصول مختلفة بحسب اختلاف منشاها · فاللون الاسود قليل فيها وينحصر في عشائر متفرقة في البرازيل وخليج المكسيك وفلوريدا وكاليفورنيا واما الابيض فاكثر منه كثيراً لان القبائل القاطنة على طول الشط الشمالي الغربي يظهر انها من سبط ابيض صاف والعشائر التي تقطن اعلى ميسوري لهــا شعر اشقر كشعر الاسباط العالية وهنود خليج بار بالهم نوع من الشعر الاشقر وفي كرينلاند اناس يتكلمون لغة الاسكيمو الا انهم طوال وكبار وشقر واهــل غوايانا يشبهون الكناريين واهل سبانيولا اجمل منهم واشد بياضاً · وقد قال بعضهم كلمــا رايت حولي خدمي من هنود رابنيال ظننت نفسي محاطاً بالعرب لان لهم نفس ما للعرب من اللون والسحنة واللحية · وقال آخر كلما رايت حولي خدمي السياميين ظننت نفسي من اميركا

فهذه الخصائص في سكان اميركا الاصليين اي الصفرة والبياض والسواد انما جاءتها بالمهاجرة لاننا لا نرى السود الا في الاماكن المتصلة اما بالنهر الاسود او بالتيار الاستوائي الاتلانتيكي او فروعه · وهذا دليل على انهم اتوا من جزائر آسيا او من افريقيا واختلطوا بسكان البلاد الاصليين فتولد منهم سبط خاص · واما البيض فهاجروا اليها من افريقيا ايضاً والدليل على ذلك ان تقاليد اهل غوايانا تشبه تقاليد اهل جزائر كناري القريبة من افريقيا و يستعملون اسلحة خاصة باهل كناري القدماء · وقد حدث في القرن الماضي

سنة ١٧٣١ و١٧٦٤ ان مراكب صغيرة كانت ذاهبة في احدي جهات كناري الى جهة اخري دفعتها الارياح التجارية والتيار الاستوائي الى اميركا . وما حدث في هذه الايام لا يبعد ان يكون حدث مراراً في الماضي ولا عجب اذا وجد في نواحي خليج المكسيك قبائل تشبه البيض من اهالي افريقيا . وقد اكتشفوا في السنين المتأخرة اهراماً في المكسيك تشبه اهرام مصر . واكتشف احد الاثريين جعلاً مرسومة عليه صور استدل منها ان المصريين قطعوا بوغاز طارق وطافوا حول الارض بحراً

واما اللون الاصفر فقد اوضحنا فيما سبق سهولة الاتصال المهاجرة من اسيا الى اميركا بسبب مجاورة القارتين . ويظن البعض ان بوغاز بهرين لم يكن قبلاً موصلاً بين البحرين بل كان يبساً وكانت القارتان متصلتين بارض يابسة فاذا صح ذلك فلا اسهل من اجتياز الاسيوي الحدود وتخطيها الى اميركا . على اننا لا نرى موجباً لهذا الفرض . اذ لو كانت الحدود قديماً على ما هي عليه اليوم لم يعسر قط على اهل آسيا ان يجتازوا البوغاز و يطأوا ارض اميركا

يتضح مما تقدم ان اهل آسيا وافريقيا عرفوا اميركا قبل ان عرفها اهل اوروبا ولا سبيل لانكار ذلك لان الاقرار به لا يبخس كولمبوس حقه من شرف الاكتشاف . ودعوى البعض ان وسائل العلم التي للجيل الحاضر وما فيها من تذليل الصعوبات لم تكن للاقدمين فلم يكن في وسعهم اقتحام الاخطار الجمة للوصول الى ذلك العالم البعيد لا تنفي ما تقدم من البيان بامكان الوصول اليه بالطرق المذكورة ولا تثبت عجز الاقدمين عن تجشم الاسفار واقتحام الاخطار لان السر انما هو في همم الرجال ورب ذى همة يفعل بجده ما لا يفعله غيره بوسائطه

على انه من الصعب اثبات كون اهل مصر وفينيقية بعد وصولهم الي اميركا امكنهم الرجوع الى اوطانهم لانهم لم يصلوا اليها الا بالصدف والاقدار على نحو ما ذكر آنفاً . اللهم الا ان يكونوا عرفوا استعمال الحك كما عرفه الصينيون

(مصر) الدكتور امين ابو خاطر

يلزم لادارة الهلال

ان ادارة الهلال ينقصها العددان الاول والثاني من السنة السادسة عشرة . وتشتري السنوات الثالثة والرابعة والسادسة والعاشرة من الهلال باثمان تتفق عليها مع البائع

بلغاريا واميرها



فردينان امير بلغاريا

كثر تحدث الناس في هذه الاثناء بالبلغاريين واعلانهم الاستقلال التام وتسمية اميرهم ملكاً او قيصراً واهتم العثمانيون على الخصوص لوقوع ذلك على اثر اعلان الدستور ولكن الدول ستنظر في الامر بمؤتمر يعقد قريباً لان مركز البلغار مقيد بمعاهدة برلين كما سيأتي وبمناسبة ذلك نذكر شيئاً من تاريخ احوال البلغاريين وامارتهم

بلغاريا

هي من الامارات العثمانية الممتازة واقعة في بقعة من بلاد الروملي يحدها البحر الاسود من الشرق وبلاد السرب من الغرب والفلاخ من الشمال ورومانيا من الجنوب وقد يتبادر الى الاذهان بالنظر الى اقامة البلغاريين بجوار بلاد اليونان انهم يونانيو الاصل و بالنظر الى لسانهم انهم سلافيون . والحقيقة انهم لا من هؤلاء ولا من هؤلاء وانما هم صنف من « الفين » واصلهم من المغول مثل سكان المجر (هونجاريا) واهل لابلاندا

وفنلاندا . وكانوا قبل نزوحهم الى الروملي يقطنون في جهات قازان على ضفاف نهر فولكا في روسيا اوربا . ونهر فولكا المذكور يصب في بحر قزوين على شواطىء استراخان وأقام البلغاريون هناك قروناً متوالية ثم هاجروا جنوباً غربياً حتى نزلوا بلاد البلقان في القرن السابع للميلاد حوالي ظهور الاسلام . وأقاموا هناك وتكاثروا واشتدوا . ولم يكد يدخل القرن العاشر حتى اصبحوا دولة شديدة البطش خافتها دولة الروم البيزنتية وسائر جيرانها . وملك البلغار يومئذ سيمون وهو اعظم ملوكهم . وهم يذكرون فضله خصوصاً في تأييد النصرانية وتعزيز شأنها . وكانت قد دخلت بلغاريا سنة ٨٦٢ م فأيدها ونشط العلم واهله وتوفي سنة ٩٢٧ م وبموته أخذت دولة البلغار في التقهقر فافتتحها الروسيون واستولوا عليها ثم عادت فاستقلت في القرن الحادي عشر . ثم دخلت في حوزة الروم وصارت جزءاً من المملكة الرومانية الشرقية . ثم عادت فاستقلت ثالثة في اواخر القرن الثاني عشر واتسعت سلطتها حتى اذا كانت سنة ١٣٨٢ فتحها العثمانيون وما زالت في حوزتهم الى سنة ١٨٧٨ فصارت امارة ممتازة بمقتضى معاهدة برلين حتى كان الامس فاعلنت استقلالها التام كما تقدم — واليك خلاصة المواد التي جاءت في معاهدة برلين مما يتعلق باستقلال البلغار :

المادة ١ : صارت البلغار الآن امارة مستقلة في امورها الداخلية (ادارة مختارة) تدفع خراجاً في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعية الحضرة السلطانية ويكون لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية (المادة الثانية تتضمن حدود البلغار)

المادة ٣ : يكون انتخاب امير البلغار من اهلها بحرية تامة واقرار الباب العالي برضى دول أوربا العظام ولا يصح انتخاب امير عليها من بيوت الدول (الكبرى) فاذا توفي اميرها بلا ولد ينتخب أمير بعده على الشروط والاصول المقررة

المادة ٤ : بعد انتخاب الامير يجتمع اعيان البلغاريين في طرنوى لترتيب احكام ونظامات تخص الامارة وفي الجهات التي يكون سكانها من الترك واهل رومانيا والروم وغيرهم يجب مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

المادة ٥ : المواد الآتية تكون اساساً للحقوق العمومية في البلغار وهي : ان الاختلاف في المذاهب والاعتقادات لا يخرج احداً من الاهلية ولا يمنعه من تمتعه بالحقوق المدنية والسياسية او انتظامه في الوظائف الميرية او العمومية ونيل الشرف او معاطاة

الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فان الحرية ومباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغي تأمينها لجميع سكان البلغار من اهلها ومن الاجانب ولا يسوغ اتخاذ ما يمنع ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او علاقتهم برؤسائهم الروحانيين المادتان ٦ و٧ عن كيفية ادارة الحكومة

المادة ٨ : جميع المعاهدات التجارية والسفرية والاتفاقات التي ابرمت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالي والتي لم يزل عملها جارياً تبقى مرعية الاجراء مع امارة البلغار ولا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة · بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البلغار وتكون معاملة جميع الاهالي ورعايا الدول وتجارتهم في الامارة على مساواة تامة · وتبقى امتيازات الاجانب المقررة في المعاهدات التي امضيت بين الدول والباب العالي مرعية الاجراء في الامارة مالم يحصل تعديلها برضاء الدول

المادة ٩ : الويركو السنوي الذي يجب على امارة البلغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظاماتها الجديدة باتفاق بين الدول الموقعة على هذه المعاهدة · وهذا الويركو يقدر باعتبار ايراد الامارة وحيث انها ستحمل جانباً من ديون السلطنة العمومية يلزم للدول ايضاً ان يتذاكروا في مقدار الدين الذي يعين على الامارة في اثناء مذاكراتهم في امر الويركو

المادة ١٢ : المسلمون وغيرهم الذين لهم املاك في البلغار ويريدون السكنى خارجاً عنها يبقون متمتعين باملاكهم ويمكنهم والحالة هذه ايجارها الى غيرهم واستخدام من ينتخبونه لادارتها وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغار بين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل املاك الوقف لحساب الباب العالي والمسائل المتعلقة بالذين لهم مصالح فيها · وهذه التسوية تكون في مدة سنتين · ثم ان البلغار بين الذين يسافرون او يقيمون في باقي اطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

المادة ١٣ : تشكل في جنوب البلقان ولاية تحت اسم (ولاية الروم ايلي الشرقية) وتكون تابعة للحضرة السلطانية تابعية سياسية وعسكرية بشرط ان تكون مشمولة باستقلالية ادارتها ويكون واليها نصرانياً

المادة ١٥ : يكون للحضرة السلطانية حق في ان تباشر محافظة الحدود البرية والبحرية بان تبني في تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر · ولتأمين الراحة

العمومية في ولاية (الروم ايلي الشرقية) يشكل فيها ضبطية اهلية وعساكر داخلية ومذاهب الاهالي الذين تؤلف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية و يكون تعيين ضباطهم بامر الحضرة السلطانية . وقد تعهدت الحضرة السلطانية بان لاتوظف في حصون الحدود عساكر غير نظامية كالباشي بوزق والجراكسة . وفي جميع الاحوال لايسوغ للعساكر النظامية المذكورة ان تتعدى على الاهالي . وعند مرورهم في الولاية (لاستقرارهم في الاستحكامات) لايسوغ لهم الاقامة فيها

المادة ١٦ : يكون للوالي حق في ان يستدعي العساكر العثمانية اذا حصل ما يخل بالراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع ما يوجب ذلك يخبر الباب العالي نواب الدول بالاستانة عن قراره وعن السبب الذي احوجه اليه : انتهى

و بعد هذه المعاهدة بثماني سنين الحقت امارة الروملي الشرقي بامارة البلغار (سنة ١٨٨٥) على اثر ثورة انشبت فيها فصار امير البلغار يتولى شؤون الامارتين جميعاً

❋ مساحتها وعدد سكانها ❋ مساحة بلغاريا بما فيها قسمها الجنوبي المسمى الروملي الشرقي ٣٨,٠٨٠ ميل مربع وعدد سكانها بناء على احصاء سنة ١٩٠٥ بلغ ٤,٠٢٨,٢٣٩ نفساً منهم ١,٠٧٤,٥٣٥ في الروملي الشرقي والباقي في بلغاريا وهم اخلاط شتى يقسمون باعتبار الاجناس على الكيفية الآتية :

٢,٨٨٨,٢١٩	بلغار	٨٩,٥٤٩	نور (غجر)
٥٣١,٢٤٠	اتراك	٣٣,٦٦١	يهود
٧١,٠٦٣	رومان	٣,٤٠٧	المان
٦٦,٦٣٥	يونان	١,٦٨٥	روسيون

والباقون من امم شتى

واما ديانة اهل البلغار فمعظمهم من الارثوذكس و يليهم المسلمون ثم الطوائف الاخرى عاصمة البلغار مدينة صوفيا وعدد سكانها ٨٢,٤٠٧ ومن امهات مدنها فيليبة و رشتوك و ورنا وشملا وغيرها وديانة الحكومة الارثوذكسية

❋ جنديتها وماليتها ❋ ان جندية بلغاريا منظمة على الطرز الروسي والتجنيد عام واجباري لمن بلغ الثامنة عشرة من عمره . ثم لايزال في الخدمة الى السنة السادسة والاربعين من عمره و يعفى المسلمون من الجندية اذا دفعوا البدل المالي ومقداره عشرون جنيهاً و يندر ان يستطيعوا ذلك . والجند البلغاري في زمن السلم ٥٢,٥٠٠ مقاتل اما في

الحرب فيبلغ عددهم الى ٣٧٥,٠٠٠ وهو كثير باعتبار احصاء السكان . ولهم مهارة خصوصية باستخدام البنادق

وبلغ دخل مملكة البلغار سنة ١٩٠٦ نحو ١١٧,٩٥٣,٠٠٠ فرنك معظمها من الضرائب . واما النفقات فنحو الدخل ومعظمها تصرف في سداد الدين وفي الجند والاشغال العمومية

امير البلغار

اول امراء البلغار بعد معاهدة برلين البرنس اسكندر بانبرج وكان شجاعاً حبب رعيته اليه بما اظهره من البسالة في حربهم مع السرب . ولكن روسيا لم تكن راضية به فاقلقت راحته بمساعيها ومعاكساتها حتى اضطرته سنة ١٨٨٦ الى الاستقالة فعمل ستامبولوف وزير الامارة يومئذ على انتخاب من يقوم مقامه فقاسى في ذلك مشقات جسيمة لما اشترطته معاهدة برلين من عدم اختيار احد من العائلات المالكة الكبرى . واخيراً اختاروا البرنس فردينان امير البلغار الحالي وهو ابن البرنس اوغسطس سكسبورج وامه من عائلة البربون يتصل نسبها بلويس فيليب الشهير . خدم فردينان في جيش النمسا مدة وله املاك واسعة في المجر وهو كثير الشبه بوالدته من حيث خلقته فانه بربوني القامة والطلعة

على ان دول اوربا لم تقبل به رسمياً الا بعد تسع سنوات من تعيينه . تزوج سنة ١٨٩٣ بالبرنسس ماري لويزا ابنة دوق بارما فولدت له ثلاث اولاد اولهم البرنس بوريس ولي عهد الامارة . وتوفيت امرأته سنة ١٨٩٩ على اثر الولادة الاخيرة

وكان دوق بارما قد اشترط على البرنس فردينان لما طلب التزوج بابنته المشار اليها انه اذا رزق منها اولاداً يربيهم في حضن الكنيسة الكاثوليكية . ولكن الشرط في من يتولى امارة البلغار ان يكون ارثوذكسياً وعليه فلا يكون البرنس بوريس ولي عهد هذه الامارة الا اذا كان ارثوذكسياً . وطال الجدال في هذا الشأن وتعب ستامبولوف كثيراً في التوفيق . وانتهى الخلاف اخيراً بتثبيت الغلام في الكنيسة الارثوذكسية سنة ١٨٩٦ واحتفلوا بتثبيته احتفالاً باهراً . وفي تلك السنة نال ابوه مصادقة الدول على امارته

وقد طمع منذ تولى الامارة ان يسمى ملكاً فاغتنم اشتغال العثمانيين بدستورهم واعلن استقلاله التام وسمى نفسه ملكاً أو قيصراً كما تقدم فاحتجت الدولة العثمانية على ذلك وستنظر المسألة في مؤتمر دولي أو بالتسوية على وجه من الوجوه

صحة العائلة

كيمياء المطبخ

٢ — البيض

قلت في مقالتي السابقة ان البيض غذاء ناقص لافتقاره الى المواد النشوية ولكن هذا العوز يسد بسهولة اذا مزجته باللبن كما في الكريما أو اضفت اليه بعض النشويات كالارز والقمح . والبيض يفضل اللحم لانه اسهل هضماً واوفر تغذية ولا يبقى من الفضلات مقدار ما يبقى من اللحم وهو يساعد في تكوين الكريات الحمراء والعصب

وله مزية في الطبخ لا تجدها في اللحوم وذلك انه يقبل الامتزاج بكل المآكل

ولكن بعضهم يزعم ان كثرة البيض تساعد في تكوين الحصى وتسبب المغص الكلوي بما تولد من الحامض البوريك ولا سيما صفار البيض فعلى اصحاب المزاج البطيء التغذية ان ينتبهوا الى ذلك و يقوموا بواجب الرياضة العضلية اللازمة لاحراق ما يأكلونه

اما الذين يتألمون من الكبد فعليهم ايضاً ان يقللوا من استعمال البيض لما فيه من الدهن وكذلك فليفعل كل من يشكو ارقاً مستطيلاً او سوء هضم . وقد تبين من ابحاث الاطباء في فيشي ان المصابين بهذه الاعراض لا يقدرون على هضم البيض . والذي نراه ان الناس بوجه الاجمال يفرطون في تناول البيض واللبن وهذا خطأ لا مندوحة من التنبيه اليه

البيض يحوي عناصر النمو فهو على الخصوص غذاء الطفل والضعيف المزيل والمسلول اما الرجل القوي فهو في حاجة الى غذاء اكثر ملاءمة لمعيشته التي تقتضي الحركة والعمل وذلك ما يجده في المواد الهيدروكربونية اي النشويات والسكر

وقد يتوهم البعض ان البيض لا ينفع اذا عولج بالنار والصحيح ان منفعة البيض واحدة سواء اخذ نيئاً او مطبوخاً رخواً ام جامداً . ولا يفرق المسلوق مثلاً عن النيء الا لانه اصعب هضماً على المعدة الضعيفة . ولهذا يشترط فيه ان يكون المضغ طويلاً شديداً ليمهد لعصارة المعدة سبيلاً الى الفتك والفعل عليه

وهذه هي العناصر التي يتركب منها البيض والارقام تدل على مقادير العناصر في المئة

	في الصفار	في البياض
ماء	٥٠,٥	٤٨,٨
زلال	١٥,٥	١٢,٠
دهن وما شاكل	٣٠,٠	٠٢,٠
املاح	٠١,٤	٠١,٢
مادة ملونة	٠٢,١	٠٠,٠

ترى من هذا الجدول ان الدهن متوفر في الصفار وقليل في البياض والاملاح الموجودة فيهما تشبه الاملاح التي في الدم وهي في البياض كلور وفي الصفار فصفور

٣ — اللحم

في اللحم تقريباً ٢٠ في المئة من الزلال واكثره ما يسمونه «ميوز ين» وهو الذي يسبب يبوسة الجثة بجموده بعد الموت . والميوزين هذا هو القسم المغذي من عصارة اللحم ويسيل منه بسهولة عند عصره اي اللحم بشرط ان يكون طرياً وهو الذي يستعملونه في بعض الامراض ولا سيما السل للتقوية . ويراد باللحم الطري ما كان حديث العهد بالذبح ولهذا يحسن بنا ان نستبدل هذه اللفظة بغيرها فنقول اللحم الجديد لان هذا النوع من اللحم يكون قاسياً ولا يلين الا اذا تركته يومين او ثلاثة وكذا قل في اللحم المحفوظ في الثلج . وفي اللحوم وخصوصاً الحمراء منها املاح منبهة للاعصاب ولهذا كان من نتائج الافراط فيها تسمم الجسم المستمد كأن يكون الانسان مصاباً بمعدته او احدى كليته

مرق اللحم : هو قليل الغذاء بخلاف ما يتوهم الناس لانه لا يحوي الا املاحاً من البوتاس وغيرها ولعل العادة في اخذه قبل الاكل ناشئة عن الاختبار لانه يهيج بسخونته القابلية . وبعض الاطباء يمنع المرق في الحميات ظنا منهم انه محلول املاح سامة وهذا خطأ مبين لان المواد المذكورة ليست قابلة التحليل في الدم وهي بالعكس نافعة في هذه العلل لانها تعوض على الجسم بعض ما خسره من الاملاح في الحمى . وزد على ذلك ان في المرق باملاحه وروائحه المطربة وسخونته قوة منبهة تنفع في حال الضعف والنقه وهو بما يحويه من ملح الطعام يشبه المصل الاصطناعي الذي نحقن به المرضى تحت الجلد

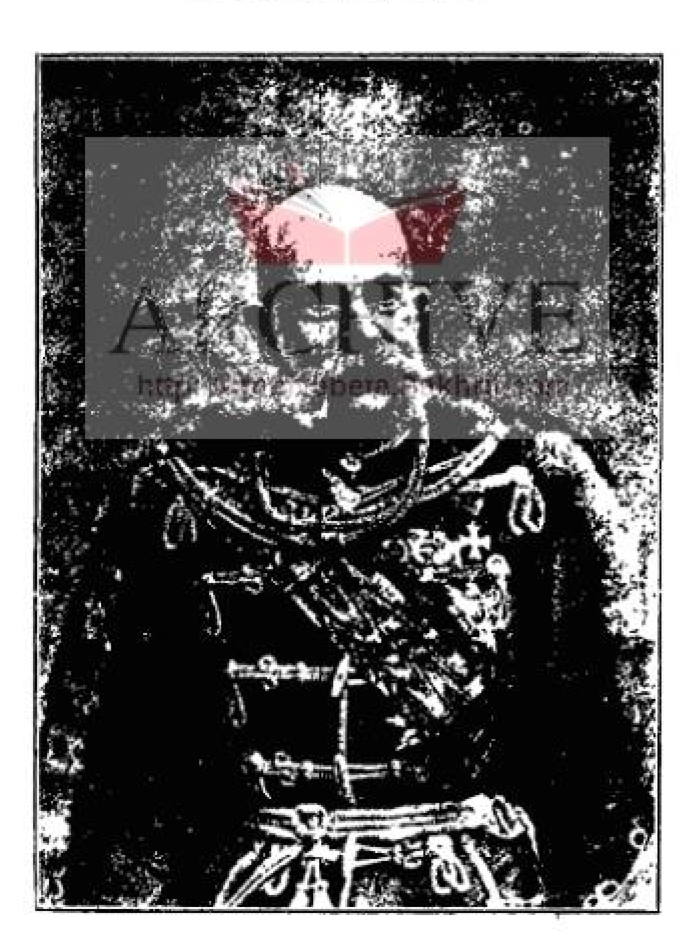
طبخ اللحم — الغاية من الطبخ هي تسهيل عمل الهضم وتقصير مدته بتغيير حالة

تركيبه لان الحرارة تمزق الالياف وتفرقها وتفتح فيها اخاديد وطرقاً تتسرب اليها عصارة المعدة فتفتك بانسجتها وتذيبها . ولكن هناك فائدة ثانية من الطبخ وهي توليد رائحة عطرية تساعد على عمل المضم بما تحدثه من زيادة افراز الغدد اللعابية وغيرها كما يعرف ذلك بالاختبار كل واحد منا عند ما يشاهد الخبز السخن او قطعة روستو محمرة . وخارجه من الفرن فالشم والنظر والذوق شركاء من حيث لاندري في اعمال القناة المضمية . ولذلك وجب على الطاهي العناية بالنظافة ما امكن في نظافة اليد والآنية والعمل وهذا من جملة الاسرار التي تجعلك تستطيب الاكل في محل دون غيره . وهنا لابدَّ لي من الاشارة الى الاهمال الذي نشاهد آثاره في كل منزل من حيث النظافة المختصة بالطبخ فان الطاهي او الخادمة او سيدة البيت التي تقوم بهذه المهمة لا تزال مقصرة في هذا الواجب . وقد فتشت كثيراً فلم اقع على واحد من هؤلاء مستوف شروط النظافة ولا سيما نظافة الاظافر . وكم سيدة يروقك منظرها ويعجبك اهتمامها بامور بيتها واذا تأملت انامليا وجدت اظافرها سوداء مما تحتها من الاوساخ فما قولك بالخدم اذا كانت ربة البيت على هذا النقص ؟ . فعسى ان يكون لكلامي هذه التي لا اقصد بها ذاتاً معينة الفائدة التي اطلبها من ورائها

الملح — والمراد به ملح الطعام اي كلوريد الصوديوم ضروري للتغذية وللهضم في المعدة لانه يكون الحامض الهيدروكلوريك ولكنه غير موجود في الطعام . فالطاهي يسد نقص الطبيعة باضافته الى المأكول . والكمية التي تؤخذ منه تختلف حسب العادة واصناف المأكولات . فان النبات على الاطلاق يقتضي كمية من الملح تزيد عما يحتاج اليه في اللحوم . وقد ظهر من التجارب العديدة التي اجراها الاستاذ بونج الالماني ان الحيوانات التي لا تتغذي بغير النبات تسعى في طلب ملح الطعام وتقطع لذلك مسافات شاسعة ومنها ما يصطاده الانسان بالحيلة اذ يذري في بعض الامكنة من هذا الملح فيسرع الحيوان لتحسه بشراهة فيقع في الفخ . اما آكلة اللحوم فلا حاجة بهم الى الملح والشعوب التي لا تأكل غير اللحم تكره الملح وتنفر منه . وقد علل الاستاذ بونج ذلك بان النبات يحتوي على مقدار كبير من املاح البوتاس فاذا دخلت الجسم حصل تفاعل كيمي بين هذه الاملاح وملح الصوديوم الموجود في الدم وحول الانسجة والحويصلات ونتيجة هذا التفاعل اتحاد الملحين فيقل الصوديوم في الدم ويقوم مقامه ملح البوتاس ولا فائدة منه فتفرزه الكليتان وتظهر الحاجة الطبيعية الى كلوريد الصوديوم لسد عوز الدم اليه . وقداستدل بونج

من المجانه ان الكائنات الارضية كلها كانت فيما مضى عائشة في وسط مالح بمعنى انها كانت من سكان البحر والآن هي تسعى في التعود على العيشة الجديدة فتجتهد ما امكن لتأخذ من اليابسة الاملاح التي تركها البحر بعد انحساره عنها . ومهما يكن من هذا الراي فالحقيقة الواقعة هي ان ملح الطعام ضروري للطبخ وخصوصاً للنبات ولا سيما البطاطس لكثرة ما فيها من البوتاس . وفي الطب طريقة مستجدثة لمعالجة الاستسقاء بمنع الملح من الطعام وتعليلها واضح بعد الذي بسطناه

الاسكندرية الدكتور نقولا فياض



فرنسيس يوسف امبراطور النمسا — عدو العثمانيين الآن

الاغنياء والتعليم

والاستقلال الحقيقي

لاتزال شبيبة مصر في وصاية الحكومة تعول عليها في التعليم والخدمة • وقد آن لها ان تستقل عنها بعد ان قضت الاعوام الطوال تتعلم في مدارسها وترتزق من الخدمة في مصالحها • ونرى مع ذلك شبابنا يطلبون الاستقلال السياسي • وكيف يتسنى لهم ذلك قبل الاستقلال الشخصي • كيف تقدر الامة ان تستقل بحكومتها وجندها وسياستها قبل ان تستقل بتجارتها وصناعتها بل قبل ان تستقل بمدارسها — حدث في مصر نهضة مالية ونهضة صحافية ونهضة سياسية ولكنها لم تحدث فيها نهضة تعليمية • وهذه الاخيرة اولى بالتقدم لانها اساس النهضات الاخرى — لا ننكر شعور بعض الافراد بحاجة البلاد الى مدارس اهلية عالية • ولا سعي بعض الفضلاء في جمع المال لانشاء الجامعة لكنهم بعد الجهد الجهيد لم يجمعوا مبلغاً يذكر بالنظر الى الغرض الذي يقصدونه • حتى هذا المبلغ نخشى ان يذهب ضياعاً او يأتي بفائدة قليلة لاستخدامه في غير الطريق المفيد في رأينا • وقد بينا سبب ذلك في غير هذا المكان مراراً

المصريون اسخياء وقد برهنوا على سخائهم في مشروعات كثيرة لكنهم يفعلون ذلك غالباً بالتقليد اوالقدوة واكثر الاسخياء من اصحاب الثروة المتوسطة الذين لا تسمح لهم ثروتهم بدفع مبلغ كبير يقوم وحده بمشروع كبير • واما الذين يقدرون على الاستقلال بالمشروعات الخيرية الكبرى فقل بينهم من يعرف معنى الخدمة الحقيقية • او من يعمل الخير لاجل الخير نفسه • وسبب ذلك ان اكثرهم لم يذوقوا العلم ولا ادركوا فائدته الحقيقية • فمن كان سخياً من هؤلاء وقف ثروته على اماكن العبادة او اطعام الفقراء والمعوزين وهي حسنات مستحبة • لكنهم لو وقفوها لانشاء المدارس وترقية نفوس الشبان والشابات لاصابوا العصفورين بحجر واحد • لان التعليم يغني الناس عن التسول ويخرج شباناً ينهضون بالبلاد الى اوج السعادة ادبياً ومادياً ودينياً فينشئون اماكن العبادة والاحسان ويعولون الفقراء وذوي الاسقام

لو ان النهضة المالية التي كانت بيننا في الامس خصت احد المتعلمين الذين يعرفون حاجة البلاد بنصيب وافر من المال وكان من اهل السخاء والاريحية لاغنى الامة عن الاستعطاء والاستجداء في سبيل بناء الكلية التي بح صوتنا ونحن نادي بحاجتنا اليها — ان

غنياً متعلماً سخياً يكفي وحده لكشف عار الوصاية عن الامة المصرية يكفي لترقية نفوس شبانها بانشاء المدارس والمكاتب لهذا القصد وقد يقتدي به سواه فتتكاثر المشروعات العلمية — هكذا تمشت سائر الامم المرتقية في تعليم ابنائها · يبذل الافراد اموالهم بالوقف او العطاء لمصلحة الامة · حتى الذين يجمعون النقود باسم الدين فانهم يجعلون العلم سلماً اليه او صاحباً له

وقد حدا بنا الى الخوض في هذا الموضوع ماقرأناه في بعض الصحف عن المبلغ الاخير الذي خصصه كارنجي المحسن الشهير لتنشيط الاعمال النافعة · فوقف مليون جنيه ينفق ريعها في انهاض همم الرجال للاعمال العظمى بالجوائز او المكافئات · سماه « وقف الابطال » وعهد بتدبيره الى طبيب مشهور اسمه الدكتور روس فهو يتولى ادارة هذا المال واستثماره والانفاق من ريعه في هذا السبيل · وهكذا فعل كارنجي في كل ما وقفه من الاموال على ترقية النفوس والتهذيب والتعليم بانشاء المدارس والمكاتب ونحوها · وقلما خصص مالاً لانشاء دار للعجزة او الفقراء او العبادة لانه يرى العلم والتهذيب يضمنان بعضها ويكفيان مؤونة البعض الآخر · وهذا جدول المبالغ التي اوقفها كارنجي لخدمة بلاده :

المشروعات	الاموال الموقوفة عليها	
لانشاء ١٫٤٠٠ مكتبة عمومية	٨٫٤٠٠٫٠٠٠	جنيه
« ١٥ مدرسة كلية	١٫٦٠٠٫٠٠٠	«
« مدرسة تسمى باسمه	٢٫٠٠٠٫٠٠٠	«
« ملجأ للاساتذة المتقاعدين	٢٫٠٠٠٫٠٠٠	«
لاغاثة الملهوفين	٨٠٠٫٠٠٠	«
لتنشيط المشروعات العلمية (وقف الابطال)	١٫٠٠٠٫٠٠٠	«
لانشاء جامعة في اسكوتلاندا	٣٫٠٠٠٫٠٠٠	«
« المدارس الصناعية في بتسبورج	٢٫٠٠٠٫٠٠٠	«
هبات مختلفة	٣٫٤٠٠٫٠٠٠	«
لانشاء بناية الماي في سبيل السلام	٣٠٠٫٠٠٠	«
« نادي المهندسين في نيويورك	٢٠٠٫٠٠٠	«
« معرض الصناعة في بتسبورج	٤٠٠٫٠٥٠	«
مستشفى باسم الملك ادوار	١٠٠٫٠٠٠	«

لانشاء مدرسة صناعية في ايردين	١٠,٠٠٠ جنيه
هبة لمكتبة فلهام	١٥,٠٠٠ «
« « هدلـبروا	١٥,٠٠٠ «
« للدكتور كوخ للانفاق في محاربة السل	٢٥,٠٠٠ «
لانشاء مكتبة في لتن	١٠,٠٠٠ «
« « « غلاسكو	١٥,٠٠٠ «
الجملة	٢٥,١٩٠,٠٠٠ جنيه

هذا غني عاقل سخي ادرك كنه العيش في هذه الحياة الدنيا وعلم ان الثروة لا معنى لها ولا فائدة منها ان لم تنفق في الاعمال النافعة وان الانسان مهما كثر ماله وتعددت شهواته لايحتاج الا الى النذر اليسير من ثروته ولا يرى لذة في اختزانها كلها · وقد يعتذر بعضهم انه جمع المال ليورثه اولاده فاذا كانت ثروته قليلة لالوم عليه · اما اصحاب الاموال الكثيرة الذين لا وارث لهم من عقبهم فليورثوا اموالهم للامة وهي خير الوارثين · واذا كان لهم وارث فلينفقوا بعض مالهم في المبرات فيورثوا ابناءهم محبة الامة ويبقي لهم الذكر الحسن

ابيات في السخاء

من اقوال يحيى البرمكي وقد نظمه له شاعر :

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى ان تجود بها ... فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال آخر :

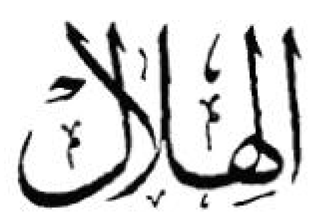
وهبني جمعت المال ثم خزنته ... وحانت وفاتي هل ازاد بها عمرا
اذا خزن المال البخيل فانه ... سيورثه غماً ويعقبه وزرا

وقال آخر :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فليس الى ما تأمرين سبيل
ارى الناس اخوان الكريم وما ارى ... بخيلاً له في العالمين خليل

وقال ابن ابي منن :

ذريني واتلاف المالي فانني ... أحب من الاخلاق ما هو اجمل
وان احق الناس باللوم شاعر ... يلوم على البخل الرجال و يبخل



الجزء الثالث من السنة السابعة عشرة

١ دسمبر (ك ١) ١٩٠٨ و ٧ ذو القعدة سنة ١٣٢٦

الانقلاب العثماني

وتركيا الفتاة

لروحي بك الخالدي المقدسي

نائب القدس الشريف في مجلس المبعوثان

١٢ — صدارة مدحت باشا ثم رشدي باشا

ولد مدحت باشا في القسطنطينية سنة ١٨٢٢ م ووالده حاج علي افندي اصله من روسجق التي كانت مركز ولاية الطونه (بلغارستان) على شاطئه الايمن وحيث كان من صغار المأمورين لم يستطع تعليم ابنه غير مبادىء العلوم وحسن الخط المعدود في ذاك الدور من اكبر العلوم وأهمها للدخول في المأموريات والتقدم فيها وأدخله في حداثة سنه قلم الصدارة فتخرج في أقلام الباب العالي وتعلم بالمشاهدة والتجربة والاختبار وتعين مأموراً في الولايات ومكث سنتين في دمشق الشام وترقى الى باشكتابة مجلس والا وهو شورى الدولة وذهب مرة ثانية الى دمشق وحلب للتحقق على القبرصلي محمد باشا واستلفت باستعداده وقابليته نظر رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا ورفعت باشا ناظر الخارجية فاحضره المكالمة التي جرت بينه وبين البرنس منجيقوف مرخص دولة روسيا وذلك قبيل حرب القرم فاطلع مدحت حينئذ على السياسة الخارجية • وبعد وفاة رشيد سنة ١٨٥٨ م

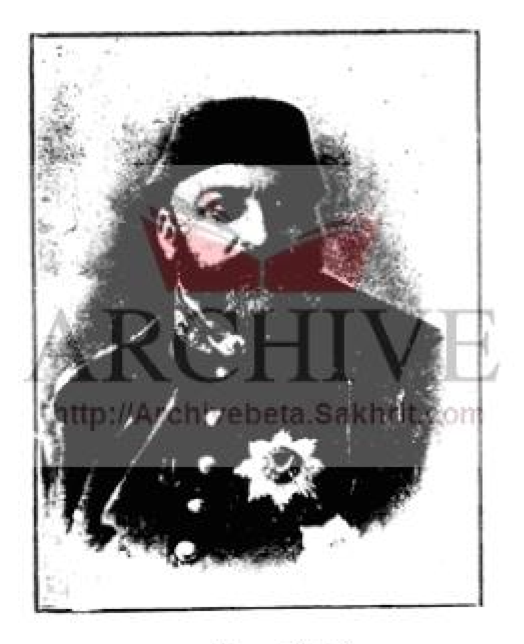
تولى الصدارة عالي باشا فرخص لمدحت بالذهاب لاوروبا مدة ستة اشهر فذهب لباريس ولوندره وبروكسل وفينا وشاهد انتظام الادارة ومحاسن المدنية والترقيات العصرية . وما زال يرتقي في الوظائف حتى صار والي ولاية الطونه (بلغارستان الحالية) فاجرى فيها اصلاحات كثيرة وفتح مجلس الايالة وهو المجلس العمومي الذي فتحه راشد باشا في سوريا . ثم تعين والياً لولاية بغداد ومشيراً لعساكرها فسكن عصيان نجد واهداه السلطان عبد العزيز خان سيفاً مكافأة على خدمه . وحيث كان الصدر الاعظم محمود نديم باشا كثير العزل والنصب والتبديل نقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى ولاية ادرنه فمر بكرسي السلطنة وطلب مقابلة الحضرة السلطانية وأراها طرق الخلل وسوء الادارة وعاقبة الامر فعزل محمود نديم من الصدارة وتولاها مدحت باشا لكنه لم يبق فيها الا ثلاثة اشهر وكان سبب عزله على ما روي ان احدى سراري القصر بعثت اليه مع الطواشي بتعيين احد خدامها قائمقاماً في احد القضوات فاجابه مدحت سلم على الخانم وقل لها ان تعرض هي نفسها لافندينا عن ذلك واشتد غضبه من مداخلة السراري ورجواتهن

فبعد عزل مدحت كثر تبديل الصدور حتى بلغوا نحو العشرة في ظرف سنة او خمسة عشر شهراً ثم عاد للصدارة محمود نديم باشا وكان العود غير احمد حيث زاد الارتكاب وبيعت الرتب والنياشين وأرزلت المأموريات بالمزاد ولم يدها الا صاحب الزيادة واختلت الموازنة المالية حتى استلزمت اعلان الافلاس في ٥ تشرين اول سنة ١٨٧٥ وطمع العدو في البلاد فأوجب ذلك هيجان تركيا الفتاة وعقلاء الامة وكان التجسس غير معروف في ذاك الوقت وللجرائد حرية في الكتابة والانتقاد فشرعت جريدة (وقت) التركية في نشر الحكايات والاساطير عن ملوك الصين واستنتاج الامثال والمواعظ من اغراض ملكهم والتعريض بذلك لوزارة محمود نديم باشا وأخذ فريق من الناس يدورون على المجالس والدواوين والقهوات والمنتديات العامة ويقصون انواع المظالم والارتكابات وسوء الاستعمال فهاجت الافكار العمومية وسيما الصوفتاوات وهم طلبة العلم البالغ عددهم في جوامع الاستانة نحو ١٥ الى ٢٠ الف طالب فاجتمع منهم خمسة او ستة آلاف طالب وهجموا على الباب العالي (٢٢ مايو سنة ١٨٧٦) وذهب الاف منهم لسراي طوله باغجه مقر السلطان عبد العزيز فتشكوا وطلبوا عزل محمود نديم وتولية محمد رشدي باشا فاجيبوا الى ذلك وصدرت الارادة السنية بتشكيل الوزارة وتولى رشدي باشا الصدارة وحسين عوني السرعسكرية وقيصرلي احمد باشا نظارة البحرية وراشد باشا الذي كان

والي سوريا نظارة الخارجية ومشيخة الاسلام خير الله افندي

١٣ – خلع عبد العزيز وموته وتولية مراد ثم السلطان عبد الحميد

وكان حزب مدحت باشا من الاحرار نامق كال بك وضيا بك ورؤف بك واسماعيل بك ولم يرتقوا لرتبة الباشوية واما الذين ارتقوا منهم لهذه الرتبة بعد ذلك فهم حسن فهمي باشا وشاكر باشا وسعد الله باشا ورفعت باشا فكانوا من الوزراء . فلما استلم حزب تركيا الفتاة زمام الامر واستولى على المالية والقوة البرية والبحرية والشرعية خلعوا السلطان عبد العزيز (١٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ هـ ٣٠ مايو سنة ١٨٧٦) بفتوى شيخ الاسلام واجلسوا ابن اخيه السلطان مراد خان وفرح به الناس واستبشروا



السلطان عبد العزيز

وكان أشد السفراء سروراً السير هنري اليوت سفير انكلترة واكثرهم غماً الجنرال اغناتيف سفير روسيا وحبيب محمود نديم باشا والمشير عليه بتلك السياسة العوجاء . ونقل السلطان عبد العزيز من سراي طولمه باغجه الى سراي طوب قبو المقابلة لها على ساحل البحر ثم نقل بناء على طلبه الى سراي جراغان المجاورة لطولمه باغجه على ساحل البوغاز وبعد خمسة ايام وقع الارتحال واختلف فيه هل كان بطريق الانتحار او القتل عمداً فان الذين كشفوا عن الجثة وجدوها في الطابق الاسفل من السراي على سجادة بقرب الباب

ففي انزالها من الطابق الاعلى المعد للسكن الى الطابق الاسفل شبهة فعلى فرض ثبوت الجناية من المتهم بها هل حريم السراي وطواشيها حيث تكثر الدسائس ويصعب التحقيق او مدحت باشا وحزبه الذين لا غرض لهم بذلك وقد توصلوا الى مأربهم بدون اراقة دم واستحقوا تقدير الجميع من العثمانيين والاوروبيين وهم اعقل وادهى من ان يلوثوا عملهم العظيم بدم جناية ودسيسة مثل هذه؟



جلالة السلطان عبد الحميد الثاني سنة توليه الملك

ثم حدثت مسألة جركس حسن بك ياور السلطان عبد العزيز حيث دخل دار مدحت باشا والوزراء مجتمعون فيها وقتل السر عسكر وراشد باشا ناظر الخارجية ووالي سوريا سابقاً واحمد اغا الخادم وجرح ناظر البحرية وبعض الياورية الحاضرين فأثرت هذه الحوادث على السلطان مراد وأوجبت اختلال شعوره فخلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة ايام من جلوسه • وجلس على سرير الملك جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني واشترط مدحت باشا وحزبه ثلاثة شروط :

(١) اعلان القانون الاساسي • (٢) استشارة الوزراء المسؤولين فقط في أمور الدولة (٣) تعيين ضيا بك وكمال بك كاتبين خصوصيين للمابين وسعد الله بك باشكاتباً لانهم من الاحرار الحريصين على اجرآء احكام القانون الاساسي والاولان ممن اشتغل في

تسويده وتنميقه . فلم يعمل بهذه الشروط وتعين الداماد محمود جلال الدين باشامشيراً للمابين وانكليز سعيد باشا للياورية وكجوق سعيد باشا الصدر الاسبق (وكان سعيد بك) باشكاتباً للمابين

وكانت بلاد البلقان في اختلال وهيجان بسبب قيام الهرسك والصرب والجبل الاسود والبلغار وتأففهم من الظلم والاستعباد ومطالبتهم بالاستقلال وتمسك كل منهم بقوميته وادب لغته بعد ان كان الدين الارثوذكسي يجمعهم تحت سلطة بطريرك القسطنطينية . وكانت اوروبا تطالب الدولة العلية باجراء الاصلاحات وتحسين حال المسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاعتساف . وتقرر عقد قونفرانس في الاستانة العلية لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد واصلاحها وكان القونفرانس اى المؤتمر مؤلفاً من ١١ مرخصاً ٢ من انكلتره وهما سفيرها السير هانري اليوت واللورد سالسبوري . و٢ من فرانسا و ٢ من اوستريا هونغاريا وواحد من روسيا وهو الجنرال اغناتيف وواحد من ايتاليا وواحد من المانيا و ٢ من طرف الدولة العلية وهما صفوت باشا وادهم باشا . فعقدوا جلستهم الاولى في (٢٣ كانون اول (دسمبر) سنة ١٨٧٦) في دائرة الترسانة التي على خليج دار السعادة من جهة غلطة ولم يتم افتتاح المؤتمر الا وسمعوا اصوات المدافع وقام صفوت باشا وقال : ايها السادة ان اصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من جلالة سلطاننا الاعظم . وهذا القانون متكفل بالحقوق والحرية المعترف بها لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا استثناء . وبسبب هذه الحادثة العظيمة فاعمال المؤتمر على ظني تكون من قبيل الزائد

١٤ — صدارة مدحت الثانية والقانون الاساسي ومؤتمر الاستانة ولائحته

فبهت القوم وانفضت الجلسة وفي الحقيقة ان القانون الاساسي اعلن في ذاك اليوم واطلق بسبب اعلانه مائة مدفع ومدفع في جميع مدن وقلاع الممالك العثمانية وكان روح هذا الانقلاب العظيم مدحت باشا القابض على زمام الامر في الحقيقة بدون ان يكون صدرًا اعظم منذ خلع السلطان عبد العزيز خان وكان الصدر الاعظم محمد رشدي باشا شيخًا مسنًا منقادًا له ولحزب تركيا الفتاة . فبعد جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني استعفى محمد رشدي باشا بسبب شيخوخته وتولى الصدارة العظمى مدحت باشا وهي صدارته الثانية . فالجنرال اغناتيف لم يقنع بهذه الاصلاحات واصر على عقد المؤتمر فداوم على اعماله وقدم لائحته للباب العالي في ١٥ كانون ثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ وطلب اعطاء

القرار عليها بظرف ثمانية ايام فكانت من قبيل الاولتيماتوم

فشكل الصدر الاعظم مدحت باشا مجلساً عالياً مؤلفاً من الوزراء والمشيرين ورجال الدولة والرؤساء الروحانية واعيان المسلمين والمسيحيين واليهود وعرض عليهم لائحة المؤتمر افهمهم مطالب الدول الاوروبية وان ردها يؤدي الى الحرب . فتشاوروا بكمال الحرية وابدى كل منهم رأيه وقال رؤوف بك بن رفعت باشا ناظر الخارجية الاسبق الحرب كداء الحمى يمكن لنا ان نتخلص من رزئه ولكن لائحة المؤتمر كداء سل الرئة عاقبته القبر لا محالة فلنلبس الصوف ونوقد الشمع الاحمر ونغالب العدو . وقال صاوا باشا في خطبة طويلة نختار الموت على اهانة شرفنا . والقى وكيل بطرك الارمن الكاثوليك مقالة طويلة في رد اقتراحات المؤتمر . فرفض المجلس قبولها بالاتفاق وظهر من هـذا الاجتماع ائتلاف المسلمين مع المسيحيين واليهود واتفاقهم واتحادهم على محبة الوطن وترقيه والغيرة على منافعه وكان اشدهم حماساً الروم والارمن الكاثوليك حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع العساكر العثمانية لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بمصالح الروم لخروجهم عن الكنيسة الارثوذكسية التي هي تحت رئاسة بطريرك الروم في القسطنطينية ورفضهم استعمال اللغة والادبيات اليونانيـة . فبناء على جميع ذلك اجاب الباب العالي في ٢٠ كانون ثاني سنة ١٨٧٧ برد مطالب الدول المذكورة في لائحتهم وانفض قونفرانس الاستانة وخرج منها المرخصون والسفراء اشارة لقطع العلائق بين اوربا والباب العالي

١٥ ـ القانون الاساسي ونفي مدحت

وكان الحزب المخالف للقانون الاساسي يسعى في التخلص من هذا القانون فبعد تعيين مدحت باشا للصدارة انعقد مجلس الوكلاء تحت رئاسته في دار الداماد محمود جلال الدين باشا وتذاكروا في القانون الاساسي فنسب احمد جودت باشا ناظر العدلية تأجيل هـذا القانون لعدم الحاجة اليه بسبب جلوس السلطان الحالي . فاحمـد جودت باشا من منسوبي الداماد محمود جلال الدين ومن كبار العلماء والمؤرخين وكان ارتشاءه مشهوراً في الاستانة والولايات فاذا اعلن القانون الاساسي انسد هـذا الباب على المرتكبين . فباصرار مدحت باشا وحزبه مثـل ضيا بك وكمال بك والمتقدمة اسماهم اعلاه وجريدة (وقت) وجريدة (استقبال) والمقالات الشائقة المحررة فيها صدر الخط الشريف السلطاني الى مدحت باشا الصدر الاعظم بمنح القانون الاساسي وحمله الباشكاتب سعيد بك الى الباب العالي وتلي في

الميدان الواسع الذي امام الباب بحضور جماهير الناس وبعد تلاوته خطب مدحت باشا في الموضوع وتلى الدعاء فوزي افندي مفتي ادرنه وامّن الناس · وما زال مدحت باشا يشدد في طلب اجتماع المبعوثان ويجتهد في تأليفه من الاحرار والمابين يؤخر ذلك ويفرق جمع الاحرار حتى انه اراد تعيين ضيا بك مسود القانون الاساسي سفيرًا في برلين لكيلا ينتخب مبعوثاً لاهل الاستانة · فضاق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة وحرر رأساً للذات الشاهانيـة : « لم يكن غرضنا من اعلان القانون الاساسي الاَّ محو الاستبداد وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات وتعيين وظائف الوكلاء ومسؤوليتهم وتأمين جميع الناس على حريتهم حتى تنهض البلاد في معارج الارتقاء ···· الخ الى ان قال — واني لفي غاية الاحترام لشخص جلالتكم لكن بالنظر لاحكام الشرع يجب عليَّ ان لا اطيع اوامركم اذا لم تكن موافقة لمنافع الامة ··· » ونحو ذلك مما لم يسمع بمثله الاَّ من مصطفى فاضل باشا كما تقدم · وفي الحقيقة ان احكام الشريعة الاسلامية وفتاوي الفقهاء في هذا الصدد لا تترك ادنى شك ولا ريبة لان السلطان بحكم الشرع ليس مطلق الحرية ولا مطلق التصرف باموال الناس ومنافعهم وانما هو في جميع ذلك مقيد بالاحكام الشرعية ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق · فالحكومة المطلقة التي استبدت بها الدول والامارات الاسلامية وتوارثتها من عهد معاوية لا وجود لها على التحقيق في الدين الاسلامي

فعُزل مدحت باشا ونفي على الباخرة عز الدين الى ايطاليا ووجهت الصدارة العظمى الى ادهم باشا والد حمدي بك وخليل بك مديري المتحف ونعين جودت باشا للداخلية واحمد وفيق افندي لرياسة مجلس المبعوثان موقتاً لان انتخاب الرئيس معين في المادة ٧٧ من القانون الاساسي

وبعد خروج السفراء والمرخصين من الاستانة العلية بعث البرنس غورجقوف ناظر خارجية روسيا الى الدول منشورًا مؤرخاً في ٢١ كانون ثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ طلب فيه مداخلتهم بالاشتراك لاجراء الاصلاح في الممالك العثمانية والاَّ اضطر القيصر وحده الى اتخاذ التدابير اللازمة في هذه المسألة · وارسل الجنرال اغناتيف لاوربا بسفارة يقول فيها حيث ان الباب العالي بدأ باخلال معاهدة باريس فتمام استقلال تركيا المشروط في تلك المعاهدة ما هو الاَّ كلمات واهية · فترددت الدول وسيما انكلتره في قبول هذا الكلام

فلما رأت الدولة العلية اصرار اوربا على اصلاح الروم ايلي سارعت في انتخاب المبعوثين وتطبيق احكام القانون الاساسي الذي منحت به الامة العثمانية الحرية وحق الحاكمية ·

فـلم يفقه الناس اذ ذاك معنى هذه الحرية ولا قدروها قدرها وظنوا المبعوثين كبقية المأمورين الموظفين يشتغلون بمصالح الامة تحت سيطرة الوزراء والنظار ليستفيدوا من الرواتب التي يقبضونها فلم يهتموا بأمر الانتخاب كاللازم — حدثني بعض احرار الاستانة قالوا : كنا نحرض الناس على الانتخاب ونسوقهم اليه سوقاً وهم يجيبوننا الم يكفنا مالدينا من المجالس والاقلام المشحونة بالموظفين حتى نزيد عليها مجلساً جديداً وتتكبد النفقة عليه ؟ فان لم يصلح حالنا وتنتظم ادارتنا بجميع ما نراه امام اعيننا من النظارات والدوائر الجسيمة المشتملة على الوف مؤلفة من المأمورين والمستخدمين اتراه يصلح بمجلس المبعوثان ؟ فهذا ما كان يقال في قاعدة المملكة ومقر الخلافة فما بالك في مراكز الولايات والالوية حيث كان المنتخبون لا يوصون مبعوثيهم الا باستحصال الرتب والنياشين والالقاب والمناصب والمخصصات والمعاشات والتعيينات لهم ولاقاربهم وذويهم ولمن لاذ بهم وحام حول حمام او بمعافاتهم من التكاليف الاميرية والخدمة العسكرية وتخفيف الضرائب والمكوس عليهم ونحو ذلك مما يعود على الوطن بالخراب لا بالعمار · كأن خزينة الدولة كنز لا يفنى تمطر عليه الاموال من رحمة الله بغير عد ولا حساب

١٦ — افتتاح مجلس المبعوثان وابحاثه

جرى افتتاح المجلس العمومي المؤلف من الاعيان والمبعوثان في ٤ ربيع اول سنة ١٢٩٤ الموافق ١٩ مارس سنة ١٨٧٧ في بهو الاستقبال الكبير في سراي طولمه باغچه بمحلة بشكطاش · وتلي النطق الشاهاني أمام الحضرة السلطانية وهو :

« ايها الاعيان والمبعوثان

« اني ابدي الامتنان بافتتاح المجلس العمومي الذي اجتمع المرة الاولى في دولتنا العلية · وجميعكم تعلمون ان ترقي شوكة واقتدار الدول والملل انما هو قائم بواسطة العدالة حتى ان ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في اوائل ظهورها كان من مراعاة العدل في امر الحكومة ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف التبعة · وقد عرف الناس اجمع تلك المساعدات التي ابداها احد اجدادنا العظام المرحوم السلطان محمد خان الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب وكافة اسلافنا العظام ايضاً قد سلكوا على هذا الاثر · فلم يقع في هذا المطلب خلل بوقت من الاوقات · وغير منكر ان المحافظة منذ ستمائة عام على ألسنة صنوف تبعتنا ومليتهم ومذاهبهم كانت النتيجة الطبيعية لهذه القضية العادلة والحاصل بينما كانت ثروة الدولة والملة وسعادتهما صاعدتين في درج الترقي في تلك

الاعصار والازمان بظل حماية العدالة ووقاية القوانين اخذنا بالانحطاط تدريجاً بسبب قلة الانقياد للشرع الشريف وللقوانين الموضوعة وتبدلت تلك القوة بالضعف ٠٠٠٠ الخ »

ثم ذكر ازالة السلطان محمود خان غائلة الانكشارية وسبقه لفتح باب ادخال مدنية اوربا الحاضرة الى الممالك العثمانية واقتفاء السلطان عبد المجيد خان اثره واعلانه اساس التنظيمات الخيرية ٠٠٠ الى آخر النطق الشاهاني المعروف

فقابله الجميع بالخضوع والركوع وتخصص لاجتماع المبعوثين بهو كبير في سراي العدلية بالقرب من اياصوفيا تحت رئاسة احمد رضا افندي الذي صار بعد ذلك باشا وتعين للرئاسة بارادة سنية لا بالانتخاب ولذا كان رقيباً على مدحت باشا واتهمه حزب تركيا الفتاة بالاستبداد لان وظيفة رئيس مجلس المبعوثان اشبه بوظيفة رئيس الموسيقى المركبة من آلات كثيرة مختلفة لكل آلة نغم مخصوص ٠ فعلى الرئيس ان يلاحظ موازنة الانغام وائتلافها ببعضها لتظهر جميعاً في صورة مفيدة مطربة وليس عليه ان يأخذ بيده آلة من الآلات الموسيقية و يضرب عليها ليوازن ما بينها

فكانت الجلسة الاولى مخصصة للمذاكرة بالعريضة التي ينبغي تقديمها من مجلس المبعوثان جواباً على النطق الشاهاني ٠ فتحررت مسودة الجواب واسقط الكاتب لفظة « ألسنة » في الجواب على عبارة « المحافظة منذ ستمائة عام على ألسنة ٠٠٠ » المذكورة اعلاه ٠ فقام أحد مبعوثي الاستانة من الروم وقال ما محصله

« لا يمكننا ان نقبل اسقاط كلمة تدل على اثمن امتياز نلناه ٠ لان لساننا معشر الروم هو ثروتنا ٠ ومن عدم الفهم ومن سوء الأدب نحو جلالة سلطاننا الاعظم ان نسكت عن كلمة اثبتتها جلالته بنفسها و كررت منحنا اياها مجدداً ٠٠٠٠ »

فقال الرئيس ٠ — ليس بحثنا في ذلك ٠ لاننا لانعرف في هذا المجلس لساناً آخر غير اللسان العثماني الرسمي

فقال جمهور المبعوثين ٠ — بك اعلا !! بك اعلا !!

فقام مبعوث ارمني وانتصر للمبعوث الرومي في هذه القضية

فقال الرئيس ٠ — ليس بحثنا في ذلك ٠ ومع هذا فاني استشير المجلس اذا كانت اراؤهم موافقة لرأيي

فقال جمهور المبعوثين ٠ — اوت افندم ٠ اوت افندم

ولذا سمي جمهور المبعوثين بعد ذلك (اوت افندم) لتصديقهم على كلام الرئيس

بدون مناقشة ولا مباحثة . لكن الحق يقال كان فيهم فئة عارفون بمصالح الدولة وطرق الاصلاح جسورون على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة عن منافعها غير ان الحال كانت في خطر شديد والعدو متأهب على الحدود . فاراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية حيث ان مرخصي الدول الست الذين عقدوا قونفرانس الاستانة اجتمعوا في لوندرة بدون ان يكون للدولة العلية مرخص معهم ووقعوا بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ على بروتوكول (أي مضبطة) طلبوا فيها من الباب العالي عقد الصلح مع الجبل الاسود والتفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العليـة بداعي ان لسانهم اصلافي ودينهم مسيحي كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعود بها تحت مراقبة الدول ونظارتهم وغير ذلك و بلغوا هذه المضبطة للباب العالي في ٣ نيسان (افريل) سنة ١٨٧٧

فحضر ناظر الخارجية لمجلس المبعوثان وقرأ عليهم ترجمة البروتوكول وشرح لهم احوال السياسة الخارجية وافهمهم ان رد البروتوكول ينتج اعلان الحرب مع روسيا وليس للدولة العلية متفق من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ولا نقود في خزينتهـا وكرر عليهم ما قاله مدحت باشا للمجلس العالي عند مذاكرته بلائحة قونفرانس الاستانة وكانت اكبر الصعوبات من المضايقة المالية وشدة الاحتياج للتجهيزات العسكرية . فاعترض اكثر المبعوثين على قبول البروتوكول واظهروا من الحماس والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه . وكان اشدهم اعتراضاً مبعوثو الارناؤوط المجاورة بلادهم للجبل الاسود وقام مبعوث الاكراد فقال ما ملخصه :

« تزعمون ان المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا تصديق ذلك وانتم في هذه البهرجة والالبسة المزركشة والدور المفروشة باحسن الاثاث والرياش والعربات والخيل المطهمات؟ تعالوا عندنا في كردستان وانظروا بؤس العيش ومرارة الحياة التي نحن فيها . لما كنت في بلادي لم يكن عليّ الا البسة مرقعة بالية كبقية اخواني من الاهالي . تخجلت من نفسي لما رأيتكم بهذه الملابس الرسمية الفاخرة والنياشين المجوهرة واشتريت بكل تكلف من سوق الدلالين لا من المخازن الكبيرة الاثواب التي ترونهـا عليّ . فلاجل سلامة الوطن ومنع الاجانب من المداخلة في شؤون بلادنا فانا مستعد عند اللزوم لبيع هذه الاثواب والاكتساء بلباسي القديم المرقع »

فقال الرئيس في نتيجة المذاكرة . — هل يقبل المجلس ما ذكر في البروتوكول بالنظر لما اخطر به ناظر الخارجية ؟

فرفض المجلس قبوله بالاكثرية . وكانت الاقلية ١٨ صوتاً من الروم المبعوثين عن الروم ايلي ومن الارمن . فنظم الباب العالي نشرة مؤرخه في ٩ نيسان (افريل) سنة ١٨٧٧ احتج بها على مضبطة لوندرة المنظمة بدون اطلاعه وانضمام رأيه وقال ان تكليف الباب العالي باجراء احكام هذه المضبطة مخالف لاستقلال المملكة العثمانية المصدق عليه في معاهدة باريس . فقرئت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنها وصدق عليها وشكر الباب العالي على تنظيمها . فاجاب عليها البرنس غورجقوف من بطرسبرج بنشرة قدمها للدول في ١٩ نيسان (افريل) مضمونها حيث ان الباب العالي رفض اجراء تعهداته بالاصلاح فصارت الحرب ضرورية لان روسيا مجبورة على ايفاء واجباتها نحو الاهالي المسيحيين . فاجاب الباب العالي بنشرة اخرى للدول قال فيها ان تركيا لا ترفض اجراء الاصـلاحات وانما ترفض النظارة والمراقبة على اعمالها مما فيه اخلال بشرفها وباستقلالها المصدق عليـه من الدول الموقعة على معاهدة باريس . وصارت النشرات (سير كولير) والمخطرات (ميموراندوم) والمذكرات وبقية المحررات السياسية تتطاير من عواصم اوربا وتتساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعاً واعلنت الحرب في ٢٤ نيسان (افريل) سنة ١٨٧٧

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتدقيق لائحة نظام الولايات وتشكيل مجالس الادارة وذكر في اللائحة ان مجلس ادارة الولاية يتألف من ستة اعضاء منتخبين نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين فاعترض بعض المبعوثين على هذا التفريق وقالوا ان القانون الاساسي اطلق على جميع الاهالي اسم عثمانيين بدون تفريق بينهم في الدين والمذهب وان الاكثرية في مجالس الادارة تبقى بجانب المسلمين لان المأمورين كالوالي والدفتردار والمكتوبجي ونحوهم اعضاء طبيعية في مجلس ادارة الولاية . وطلبوا اخراج المفتي من بين الاعضاء الطبيعية قياساً على الرؤساء الروحانيين

فقال الرئيس . — ليس للمفتي صفة دينية كصفة الرؤساء الروحانيين رغم انتشار هذا الرأي الفاسد . فالمفتي ما هو الا مأمور القانون اي الحامي عن القانون والشريعة وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحاني وما هو الا من علماء الحقوق المعروفين عند الافرنج باسم (جورس قونسولت) Jurisconsulte . واعترضوا ايضاً على تسمية متصرف وقالوا ان الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد وعلى التذليل والاستعباد ولا يوافق روح الحرية والمساواة . واستعلم بعض المبعوثين عن احوال معسكر الاناضول ونقصان التجهيزات العسكرية وعن تعيين احد الخدمة قائمقاماً وكان شوبقجي اي حامل قصبة الدخان

عند بعض الكبراء وعن غير ذلك

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتحرير الميزانية المالية وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب فتشكل قوميسيون مؤلف من احد عشر مبعوثاً للتحري عن التدابير اللازمة لتدارك المبلغ المذكور • فحاولوا استقراضه من انكلترة بمقابلة واردات مصر كما فعلوا قبلاً ولكنها رفضت اقراضهم لعدم كفاية التأمينات فقرروا عقد قرض داخلي باستيفاء ١٠ في المائة من ورادات اصحاب الاملاك والتجار وأخذ معاش شهرين من اصحاب المعاشات • فصدق مجلس المبعوثان على هذا الاستقراض وعلى كل ما طلبته الحكومة منه وختم جلساته في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٧ وقال الرئيس • — ارجعوا الى ولاياتكم واعيدوا الانتخابات واجتهدوا ان ترسلوا لنا مبعوثين اتم عقلاً واكثر وقوفاً على احتياجات البلاد

فيرى من ذلك ان مجلس المبعوثان على ضعفه وعجزه وجهل اعضائه في السياسة والادارة لم يكن منه قصور في وظائفه ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين وانما كانوا جميعاً متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع سوء الاستعمال وتبذير الاموال وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخصوصية لان معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير ولا رأي ثاقب لبداهتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار غير ان الواقفين منهم على مصالح الدولة العمومية وعلى سياستها الخارجية كانوا اقل من القليل والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ونظرت اليهم نظر الوصي للصبي

١٢ — حرب الروس وانفضاض مجلس المبعوثان

دامت الحرب مع الروس ثمانية اشهر (من نيسان الى كانون اول سنة ١٨٧٧) وابرزت الجنود العثمانية من الشجاعة والصبر والثبات والمتانة ما دل على حياة الامة وفتوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم او المرض الذي يصفها به العدو. لكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الادارة اوجبا انتصار الروس في اوربا واسيا وتجاوزهم نهر الطونة وجبال البلقان واخذ القرص ومحاصرة ارضروم من جهة الاناطول وفتح بلفنه في الروم ايلي واظهار عثمان باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ما حير الروس واوربا فاعترفوا بقدرهم وفضلهم والفضل ما شهدت به الاعداء (١٠ كانون اول سنة ١٨٧٧) • فاستنزفت هذه الحرب ثروة البلاد وقوتها وافرغت صناديق الخزينة من الاموال لكثرة النفقات وانقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم فتقرر اعادة مجلس المبعوثان واستقدام مدحت باشا من اوربا وعقد

قرض في انكلترا وعقد الصلح مع روسيا . تجرى انتخاب ثانٍ باوامر موقتة لا بحسب نظام انتخاب مجلس المبعوثان

فافتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٤ وفي ١٣ كانون اول (دسمبر) سنة ١٨٧٧ فتوجه الوكلاء الفخام والوزراء الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان على يمين الحضرة العلية السلطانية الصدر الاعظم ادهم باشا ووكلاء الباب العالي ثم مأمورو المجالس العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة وعدة من اعيان المأمورين العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم . وكان عن شمالها حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب اميرمكة المكرمة سابقاً ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناطولي ثم الفريقان الكرام ثم عدة من العلماء الاعيان

وكان اعضاء مجلس الاعيان امام الحضرة العلية السلطانية من ناحية اليمين على صفين واعضاء مجلس المبعوثان امامها ايضاً من ناحية الشمال على تسعة صفوف . وفي الساعة السادسة عربية دخل جلالة السلطان الاعظم وسلم الرقيم الذي اشتمل على نطقه الى سعيد باشا باشكاتب المابين فتلاه على الحاضرين وهو :

« يا ايها الاعيان والمبعوثان

« انني اكتسبت الممنونية بفتح المجلس العمومي و بمشاهدة مبعوثي الملة . . » . ثم ذكر الحرب مع روسيا والمحافظة على الملية اي القومية واللغات وحق المساواة وادخال الاهالي غير المسلمين في سائر الصنوف العسكرية والمحافظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والعدل في تحصيل الاموال الاميرية وبتنظيم القوانين وختمه بقوله :

« يا ايها المبعوثان

« ان ايجاد الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وتأمين منافع البلاد يتوقفان على تعاطي ارباب المشورة افكارهم بالحرية التامة . و بما ان القانون الاساسي يأمركم بذلك فلا ارى احتياجاً لامر او لترغيب آخر »

ثم انعقد مجلس المبعوثان في دائرته المعلومة تحت رئاسة حسن فهمي افندي وهو اليوم باشا من النظار وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون اول وثاني واوائل شباط فبراير سنة ١٨٧٨ وكثر الجدال لا بين اصناف التبعة المختلفين بالدين واللسان وانما

بينهم و بين الحكومة وطلب بعضهم تدقيق حسابات المالية وحضور دوكلو افندم ناظر باشا حضرتلري لمناقشته الحساب ومحاكمة المرتكبين وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية وسوء الاستعمالات المختلفة والمتعددة وقام احد المبعوثين وقال ان الجاندرمه في الولاية التي بعثت منها تنهب الاهالي والمحاكم ترتشي على ابطال الحق واحقاق الباطل والضابطة تعذب المحبوسين بالضرب وانواع العذاب · واعترض مبعوث آخر على المذابح التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق فيها · وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء الفخام منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد العساكر وسيما على الاختلاسات والاسرافات التي في نظارة البحرية وغير ذلك

ثم تولى الصدارة احمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا وذكر في فرمان التوجيه « ان اعتزال ادهم باشا مدة عن المشاغل بحسب جسمه وان كان مسلماً بعفته ودرايته ونحن راضون عنه بكل الوجوه اتم الرضا ٠٠٠ الخ » ولم يبق حمدي في الصدارة الابضعة وعشرين يوماً وفي غرة صفر سنة ١٢٩٥ أو ٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ صدر الفرمان بالغاء لقب الصدر الاعظم واستبداله برئيس الوكلاء وتوجيه هذه الرئاسة الى احمد وفيق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة وتعيين مسئولية الوكلاء اي النظار كما هو الحال في وزارات اوربا · فحضر الباش وكيل الافخم لمجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« ان جلالة السلطان الاعظم يريد في الحقيقة باطناً وظاهراً ادارة الملك بمقتضى احكام القانون الاساسي ولذا بدل مسند الصدارة برئاسة الوكلاء · فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسئولية لا تريد الا سلامة الدولة وترقيها · والوكلاء مستعدون للحضور دائماً امام المجلس عند الطلب لكنهم يرجون منه ان يقبل في بعض الاحيان وكلاء عنهم بسبب كثرة مشاغلهم وحرصاً على اوقاتهم الثمينة »

فقام احد المبعوثين وقال ما خلاصته :

« ان مجلس المبعوثان وحده له حق وصلاحية باحداث تغيير مهم مثل هذا التغيير تقولون دائماً انكم تريدون المحافظة على القانون الاساسي · فاحترموا اذاً حريتنا لانه الآن نحن الذين نحافظ على احكام القانون الاساسي وانتم الذين تريدون نقضه ٠٠ »

فاحيلت المسألة للتدقيق في قومسيون مخصوص (٥ شباط)

وكانت الحرب الروسية في منتهاها وعساكر المسكوب استولت على ادرنه وتجاوزتها

وطلبت النمسا ان تجمع في فيانه قونفرانساً من مرخصي الدول الموقعة على معاهدة باريس لدرس المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا وتوفيقها على احكام المعاهدات القديمة وبعث انكلترة اسطولها لبحر مرمره (١٤ شباط سنة ١٨٧٩) وتداخلت اوربا بالمسألة الشرقية بعد ان تركت روسيا تفعل ما تريد في الحرب وعادوا للمناقشات والمحاورات السياسية على عادتهم في هذه المسألة . واعتمد المابين على ما بينهم من الاختلاف واستغنى عن مجلس المبعوثان فجمع في ١١ شباط سنة ١٨٧٨ مجلساً عالياً مؤلفاً من وكلاء الدولة ورجالها واعيانها والرؤساء الروحانيين وطلب من مجلس المبعوثان خمسة اشخاص الرئيس ووكيليه واحد مبعوثي الاستانة وهو الحاج احمد افندي كتخدا الاسترجيه (الكدش) ومبعوثاً آخر يهودياً . فقال لهم الحاج احمد افندي طلبكم رأينا الآن في غير محله واوانه كان يجب عليكم سؤالنا قبل الخراب فمجلس المبعوثان يرفض كل مسئولية عن امر صار بغير علمه ولم يعمل برأي من آرائه . وكرر ان المجلس يرفض كل مسئولية في الحالة الراهنة

فنوى جلالة السلطان الاعظم حينئذٍ على العدول عن سياسة والده الماجد المرحوم السلطان عبد المجيد خان في عمل الاصلاحات باعطاء الحرية وتطبيق احكام القانون الاساسي واستصوب سياسة جده السلطان محمود خان في استعمال الجبر والاستبداد معتقداً ان الشعوب التي وضعها الله تحت يدي جلالته لا يمكن تسييرها الا بالقوة . وحضر المرخص الروسي للاستانة ولم يأنس بالطبع من وجود المبعوثان لخلو بطرسبرج من مثله واستبداد القيصر على رعيته

ففي ١٤ شباط سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي افندي على المبعوثان منطوق الارادة السنية بتعطيل مجلسهم لاجل غير محدود

١٨ – اعضاء المبعوثان بعد حله

فخرج المبعوثون يتعثرون باذيالهم وأمرت الضابطة المتطرفين منهم والجسورين على التكلم وعلى ايقاظ افكار الامة بالمهاجرة من دار السعادة فذهب بعضهم للولايات العثمانية وبعضهم لمصر او للبلاد الاجنبية والناس يضحكون منهم ويهزأون بهم كانهم بعض المأمورين المعزولين (حسب الايجاب) من مأمورياتهم . ولم تفاق الامة من هذا الاحتقار ولا حصل منها هياج ولا اعتراضات ولا مظاهرات كانها جمل المحامل

يصرفه الصبيُّ بكل وجه ويحبسه على الخسف الجريرُ
وتضربه الوليدة بالهراوي فلا غيرٌ لديه ولا نكير

والخسف الوتد والجرير حبل في رأس البعير والوليدة البنت الصغيرة والمراوي العصا الكبيرة

ولم يبق من المبعوثين مصرًّا على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا افراد قلائل كمبعوث القدس الذي كان يتجاسر على تحرير صفة مبعوثيته على ورقة الزيارة ويقدمها لوزراء الدولة ورجالها عند زيارته لهم في الاستانة واسفراء الدول الاجنبية ومأموري الخارجية في اوروبا . ولما اجتمع بصديقه خليل غانم مبعوث بيروت في الاجتماع الثاني وهو صاحب المقالات الرنانة في جريدة الديبا وغيرها من جرائد باريس وذلك قبيل وفاتهما عاتبه على كتابته في ورقة الزيارة المبعوث السابق Ex-depute فمحا منها كلمة سابق . لان صفة المبعوثية انما هي بارادة الامة وانتخابها فلا تزول عن صاحبها الا بانتخاب آخر . ومجلس المبعوثان لم يلغ الغواً وانما عطل لاجل غير محدود . فكان اجتماعه في كل سنة من قبيل الممكن والجائز عقلاً ونظاماً . ولكن اكثر المبعوثين تناسوا وظيفتهم كانها مأمورية عزلوا منها ولم يجسر احد على ذكرها في ترجمة حاله الرسمية ولم يذكرهم بها مذكرٌ ولا وعظهم واعظٌ ولا كتبت في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ولذلك اسباب كثيرة منها ان الحرية امر تستحوذ عليه الامة بالغلبة والاستيلاء فلا ينعم بها انعاماً ولا تعطى جزافاً . وكانت الامة حينئذٍ منهوكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب . لا دار الا وفيها مأتم ولا عائلة الا اصابتها مصيبة . وزاد البلاء بسبب البحران المالي وتنزيل قيم المسكوكات . فكانت العائلة تبعث خادمها للسوق يشتري القوت الضروري فيعود خاوي الوفاض لعدم رواج النقود فتطوي على الجوع وتتفتت اكباد الوالدين ببكاء اطفالهم . ثم ان الامة عبارة عن اهالي العاصمة منبع الاستبداد وعن اهالي الولايات والقرى وعن العساكر المنظمة المدربة على الحرب المسلحة بالاسلحة الجديدة والمدافع . فاهالي الاستانة ولاسيما المسلمون لايتصور قيامهم للاستيلاء على الحرية لان جلهم ان لم نقل كلهم مستخدمون موظفون او عائشون في ظل الموظفين والعساكر المسلحة واقفة لهم ولاهل الولايات بالمرصاد وقادرة على اخماد كل ثورة ومظاهرة وقيام طائفة مسيحية وحدها للاستيلاء على الحرية لايرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية والموسوية كما شاهدنا ذلك في ارمينيا ومكدونيا التي اشتدت فيها الرقابة بين الروم والبلغار والصرب والرومان كما انه لا يرضى به العسكر ولا حزب الاحرار العقلاء لان قيام كل

ملة بمفردها لم يفد غير تقسيم الممالك وتفريقها وضعفها وتحريك العداوة الموروثة من الحروب الصليبية والقرون المتوسطة المظلمة • لاسيما وان هذا القيام كان في الكنائس والاديرة وبواسطة الرهبان والقسيسين والمبشرين والمرسلين وأوجب المذابح والفظائع ومداخلة الأجانب

وحزب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخليل شريف باشا لم يكن في عهد مدحت باشا الا فئة قليلة من صغار الموظفين وضباط العساكر والمتعلمين في المدارس الجديدة والذين قرأوا شيئاً من اللسان الفرنساوي او الانكليزي واشتهروا باسم انكليز بسبب تعلمهم الانكليزية فقط مثل انكليز سعيد باشا وانكليز كريم افندي وانكليز علي بك والد احمد رضا بك روح هذا الانقلاب • او الذين أصلهم من الاوروبيين فاسلموا ودخلوا في الوظائف مثل عمر باشا المجري ونوري بك بن المركيز دوشاتونيف الفرنساوي وكثير غيرهما • او الذين تزوجوا بنسوة أوروبيات وربوا اولادهم تربية افرنجية او غير ذلك • فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في اعجابها بالمدنية الاوروبية وميلها اليها ولم يكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المعنوية الفكرية لانهم موظفون عند الحكومة والوظائف تجبرهم على عدم اظهار الرأي وعلى اطاعة كل مأمور لآمره اطاعة يرفضها العقل والسياسة والا كانت الامور فوضى • والمتعصبون من المسلمين لم يفرقوا بين الدين المسيحي وبين المدنية الاوروبية واعتبروا كل اصلاح صدر من أوروبا المسيحية مخالفاً للدين والآداب الاسلامية • وشتان ما بين المدنية الاوروبية والدين المسيحي

على ان بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا تحت قيادة علي سعاوي افندي وكان من طلبة العلم المعروفين بالصوفتاوات مطلعاً على العلوم العربية والفنون الرياضية وواقفاً على الافكار الجديدة فنفي في ايام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا وفر الى باريس ولوندره ونشر الرسائل والمقالات وكان يتعيش فيهما مما يتكرم عليه بعض رجال الاستانة ثم عاد اليها وصار من حزب مدحت باشا والقانون الاساسي وتعين مديراً للمكتب السلطاني ثم عزل فاتفق مع صالح بك الارناؤط احد الضباط وجمعوا فرقة من المهاجرين نحو مائة نفر مسلحين وهجموا على سراي جراغان لاخراج السلطان مراد منها ومبايعته واعادة الحرية والقانون الاساسي فقابلتهم العساكر بالسلاح وقتلتهم وشتتت شملهم وكانت هذه الحادثة في ١٢ مايو سنة ١٨٧٨ في رئاسة وكلاء صادق باشا

١٩ — صدارة سعيد

ان احمد وفيق باشا لم يقم في الباش وكالة الا مدة قليلة ثم وجهت الى صادق باشا فاقام فيها تسعين يوماً ثم ابدلت الباش وكالة بالصدارة وتعين لها رشدي باشا ودام فيها ثمانية ايام ثم تعين لها صفوت باشا ناظر الخارجية واكتسب ثقة واعتماد الحضرة السلطانية ولم تطل فيها مدته وتعين لها خير الدين باشا الجركسي الاصل والتونسي النشأة وهو مؤلف التاريخ العربي « اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك » وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنساوية وتجوّل في ممالك اوربا فجلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما جلب السيد جمال الدين الافغاني وغيره وعين رئيساً لشورى الدولة ثم صدراً اعظم (١٢٩٥ هـ) ولم يقم في الصدارة الا ثمانية اشهر ثم استعفى ولزم بيته وتوفي (١٣٠٧ هـ) في الاستانة . فكان في جلبه واستخدامه شبه ميل لسياسة بانسلاميزم . لكن هذه السياسة لها معنيان المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني امية والعباسيين . ولا يوافق حقيقة الاسلام ولا روح العصر الجديد والمدنية الحاضرة لما ذكرنا آنفاً . ومعنى حديث يوافق اصل الاسلام والمدنية غير انه يخالف مسلك المستبدين بالامر ويحول بينهم وبين مآربهم وهو أشد عليهم وطأة من القانون الاساسي وحزب تركيا الفتاة

ثم تعين لمسند الصدارة العظمى سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير (كجوك سعيد) لقصر قامته بالنسبة لسميه ناظر الداخلية الكردي الاصل والمتوفى قبل بضع سنين . وكان سعيد باشا الصغير محرراً في جريدة حوادث فانتسب للداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بواسطته المابين وحاز الباشكتابة وكان الواسطة في ابعاد مدحت باشا وتعطيل احكام القانون الاساسي واعلان الحرب وعزل السردار عبد الكريم باشا وتخلية موقع بيله أمام بلفنه ومداخلة المابين في ادارة جميع الحركات العسكرية واعطاء الاوامر من السراي السلطانية اثناء الحرب وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة اياستافانوس التي اصلحتها معاهدة برلين ... الخ فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر بواسطة باشكاتب المابين سعيد بك وبامضائه . ولذا كان مبغوضاً من حزب تركيا الفتاة حيث كان آلة وواسطة للاستبداد ولادارة المصالح بدون رأي الباب العالي . مع ان باشكاتب المابين كان لذاك العهد ينتخب من جانب الصدارة العظمى . ولا تنتخب الصدور العظام الا الذين تعتمد عليهم لعرض المضابط والمقررات والانهاءات واستحصال الارادات السنية عليها ولم يكن للباشكتاب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في ادارة المملكة .

ولاسيما في أيام رشيد باشا وعالي باشا فلما توفي عالي باشا وتولاها محمود نديم تدنت اهمية الصدارة بسبب تملقه للمابين وتقديمه اموال الخزينة بغير عد ولا حساب

ولما تولى سعيد باشا الباشكتابة زالت أهمية الصدارة وانحصرت الاشغال والادارة في المابين وصار للباشكاتب نفوذ يستطيع به ان يستدعي الصدر الاعظم مدحت باشا للمابين و يبلغه الارادة بالنفي على الباخرة عز الدين

ثم تولى سعيد باشا الصدارة واشتهر بالعفة والاستقامة ولم يسمع عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الاموال وادخارها . ولذا فهو أقل الصدور ثروة وكان شديد السطوة على المرتكبين كثير البطش بهم والاستبداد عليهم لكنه عادل في احكامه ومجازاته . وفي مدته وضع نظام المعارف وتأسست المكاتب على النسق الاخير وصار للمعارف ايراد واف بسبب الحصة المخصصة لها على الاعشار . ونظمت نظارة العدلية واصول المالية وتأسست ادارة الديون العمومية . وبوشر في عمل بعض السكك الحديدية والطرق والمعابر بدون ان يحصل في اعطاء امتيازاتها ارتكاب فاحش . فكان اصلح الصدور في الدور الاخير ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة الا استبداده ومقاومته مشروع مدحت باشا وتوقيف احكام القانون الاساسي وجميع ما اجراه وهو رئيس كتاب المابين . ومع ان سعيد باشا من رجال الكامريلا لان منشأه ومرباه في المابين حاول في صدارته الاستقلال في وظيفته واعلاء شأنها واهميتها وتمشية المصالح بالعدل على قاعدة مطردة واصول منظمة كما كانت على زمن عالي باشا فاشتبه في اعمال سعيد وكثرت الوشايات عليه فصار مبغوضاً ووضعت عليه العيون والجواسيس وجرت مراقبة اعماله باحداث قلم للترجمة في المابين وانجمن التفتيش والمعاينة في نظارة المعارف لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها على زعمهم وبحسب اصطلاحهم . وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والمطبوعات الاجنبية في الباب العالي عدا دوائر وشعبات الخفية المتعددة التي مركزها في المابين تحت نظارة الدرخفية . فهذا الذي اوجب سقوط سعيد باشا في الحقيقة ونفس الامر وذهب باصلاحاته ادراج الرياح وان كان عزله في الظاهر نتيجة احتلال البلغار في الروم ايلي الشرقية واصراره على ارسال العسكر كما تقتضيه معاهدة برلين

٢٠ ـ صدارة كامل باشا وما بعدها

ثم تولى مسند الصدارة كامل باشا الصدر الحالي ومولده في جزيرة قبرص ومرباه في مصر ولذا نسب اليها وله معرفة باللغات الاجنبية وبادارة الدولة حيث تقلب في جميع

مأمورياتها من القائمقامية الى المتصرفية فالولاية والنظارة لكنه في نظر تركيا الفتاة كان اقل شهرة من كثير من الوزراء والرجال الموجودين اذ ذاك . ودامت صدارته ست سنوات وهو آلة بيد المابين مطيع لما يلقى عليه من الاوامر . ثم استفحل امره وعاند وعارض فاصابه ما اصاب سعيد باشا من الاشتباه في اعماله وحركاته

ولما تولى الصدارة جواد باشا استغرب الجميع هذا الامر حيث لم يخطر تعيينه ببال أحد لانه من الامراء العسكرية صغير السن غير متمكن من اختبار الادارة الملكية مع انه كان من النشأة الجديدة متخرجاً في المكاتب العسكرية . وربما كان في تعيينه بحسب الظاهر ميل للتجدد والحرية . لكنه في حقيقة الامر لم يكن صدراً اعظم . وانما كان باوراً للحضرة السلطانية مكلفاً بتنفيذ الاوامر التي تلقى عليه كما كان رئيس الوزارة الالمانية باوراً للحضرة الامبراطورية لكنه مسئول امام الريشتاغ . ولم يبق بعد ذلك للصدور اهمية واستولى رجال المابين على كافة الامور وصار بيدهم العزل والنصب والحل والربط واعطاء الامتيازات بالسكك الحديدية والمعادن وسائر الامور النافعة والارتكاب من ذلك بصورة فاحشة والاستيلاء على الاوقاف وتوسيع نطاق الخزينة الخاصة بضبط الاراضي من يد اصحابها بالثمن البخس واقامة المأمورين فيها يعارضون بنفوذهم مأموري الحكومة حتى اصبحت حكومة صغيرة قوية ضمن حكومة كبيرة ضعيفة لان مركز الحكومة انتقل من الباب العالي الى سراي يلديز السلطانية

فمالت ادارة الدولة للتأخر والانحطاط بعد ان اصطلحت بالنسبة الى صدارة سعيد باشا وقطع احرار العثمانيين املهم وخاب رجاؤهم بعد ان كانوا يؤملون تخليص الدولة والمملكة من المرض الذي ابتليتا به قديماً فجرى اضطهاد هؤلاء الاحرار وتحقيرهم ومعاملتهم باسوأ المعاملة حتى ذاقوا اشد العذاب الوجداني والادبي وصار ارباب الدناءة والفساد يتقربون للمابين بالتملق والوشاية والتجسس على اخوانهم واعمامهم وآبائهم . ومنهم من تجسس على أمه وأخيه فنفيا من دار السعادة فكانوا يصورون للمتبوع الاعظم بمفترياتهم التبعة الصادقة بصورة وحوش ضارية تريد افتراسه وغصب تاجه ويزينون في عينيه جلالة الاستبداد ويبعدون عنه الخبيرين بامور الدولة العارفين بطرق الاصلاح بدعوى انهم من اصحاب الافكار المتطرفة وحزب تركيا الفتاة حتى اختل نظام المملكة وبطلت مراعاة الاحكام القانونية والسير في ادارة الدولة على الاصول والتقاليد المتعارفة من القديم وفسد التعليم في المدارس وانحرفت ادارة الامور الداخلية والخارجية عن محورها ومالت الى

الانحطاط رغم الابهة الظاهرية سيما في موكب صلاة الجمعة حيث تصطف العساكر في ساحة المسجد الحميدي امام باب السراي صفوفاً مضاعفة بعضها وراء بعض رجالةً وفرساناً وتتسابق مركبات الكبراء والسفراء الاجنبية وتشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي « والمشيرون وكبار رجال المابين حافون من حول المركبة مشاة تخشع الابصار ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الامامية وهم في غير هذه الساعة اكاسرة الزمان وقياصرة الرومان كبراً وجبروتاً وكلهم في امواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار » . وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والعدلية والمشيخة الاسلامية والمالية وغيرها رجال معروفون يبيعون المأموريات والرتب باسعار معلومة ويقاسمون بها كبار المأمورين فمن اشترى مأموريه بمائة ليرة فاكثر اجتهد بان يستغل منها اضعاف ما بذله بظلم الاهالي او اختلاس الاموال الاميرية

ولما انحرفت سياسة المابين عن انكلترة الملحة في طلب اجراء الاصلاحات وتغيير الادارة المستبدة الظالمة واتجهت نحو المانيا التي لا ترى بأساً في ادارة الدولة بالقوة والاستبداد تصحّب بعض سواس الانكليز الارمن وساعدوا جمعيتهم السرية التي في لوندره[1] واشار عليهم بعض رجال السياسة كغلادستون بالقيام والهيجان حتى اذا حدث في البلاد مذابح كمذابح البلغار تهيجت الافكار العمومية باوروبا وتيسر لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمينيا كما حدث في البلغار والجبل الاسود والصرب . فان المادة ٦١ من معاهدة برلين المنعقدة بعد حرب روسيا تقول ما معناه :

« يتعهد الباب العالي بسرعة اجراء التحسينات والاصلاحات التي تقتضيها حالة البلاد الداخلية في الولايات المسكونة بالارمن ويحمايتهم من الجراكسة والاكراد . ويعطي الباب العالي من وقت لآخر معلومات عن التدابير المتخذة بهذا الخصوص للدول المراقبة على اجراء الاصلاحات »

٢١ — الجمعيات السرية الارمنية وجمعية الاتحاد والترقي

ففي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية انقلابية ارمنية لتحرير الارمن التابعين للدولة العلية وروسيا والعجم وكان رأس مالها ١٣٠٠٠٠ فرنك وميزانيتها اليوم مليون فرنك منها في المئة ٣٠ لاجراء الحركات الانقلابية والسياسية و ٣٥ لتسليح الامة و ٣٠ للنشريات والتبشير . فاحس احرار العثمانيين بذلك وانفعلوا جداً وتجمعوا خفية وتشاوروا وخابر بعضهم كبراء الارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تألفت جمعية هنجاق الارمنية ومعنى اسمها الجرس

وعقلاءهم وقالوا لهم ما محصله :

لا محل لاصلاح ولايات ارمينيا وحدها وترك سائر الولايات العثمانية فينبغي طلب الاصلاح لجميع المملكة العثمانية . نعم ان الارمن يتألمون من الادارة الحاضرة . لكن الظلم والغدر لا يختصان بهم على الانفراد بل هما شاملان للارمن والاتراك ولعموم المسلمين والمسيحيين فانهم باجمعهم يئنون تحت اثقال التكاليف وارتكاب المامورين ومعاملاتهم الكيفية والاستبدادية ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . ويزيد المسلمون على غيرهم باحتمالهم اعباء الخدمة العسكرية التي تقعدهم عن زرع الاراضي واكتساب الثروة



الدكتور اسحق سكوتي احد موسسي جمعية الاتحاد والترقي

والرفاه والنمو والازدياد في العدد . فاتفاق الارمن والاتراك على القيام لاستحصال الاصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مشروطة حرة يعد من الحمية والغيرة الوطنية . ولكن قيام الارمن او طائفة اخرى على الانفراد بمساعدة الاجنبي وتشويقه لا يعتبر في نظر تركيا الفتاة الا خيانة وجناية وضررًا على منافع الوطن المشترك . على ان الارمن عند دخولهم في التابعيـة العثمانية لم يزيدوا على بضعة عشر الفًا وهم اليوم يعدون بالملايين والقاطنون منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب من الغنى والثروة والرفاه ويدهم

التأسيسات المالية والوظائف العالية والرتب السامية وعلى وفاق وائتلاف تام مع الاتراك حتى اذا اطلقت كلمة (ملت صادقه) لا تنصرف الا للارمن . فبناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والارمن وما فيه من الفوائد والمنافع للطرفين طلب بعض احرار الترك من معتبري الارمن وعقلائهم افهام الجمعيات السرية الارمنية التي باوربا هذه المقاصد واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الامنية وعدم التهور في سياستهم



الدكتور جودت بك احد موسسي جمعية الاتحاد والترقي

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحدثت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية والصدر الاعظم جواد باشا لا يهتم بايجاد دواء شاف لحسم المسألة باجراء الاصلاحات في عموم المملكة وانما كانت سياسته عبارة عن ايجاد تدابير موقتة لارجاء الامر وتأخيره واغتنام الوقت وتطويله واوربا ولاسيما انكلترا تفتح المسائل على الدولة واحدة بعد اخرى فاذا سكنت حادثة ارمنيا قامت المسألة الكريدية او المقدونية وهلم جرا ورجال المابين اكثرهم جهلاء اغبياء لا خبرة لهم بالسياسية ولا المسائل الحاضرة وقليل منهم شياطين ابالسة لا يهتمون الا بجمع الاموال وادخارها ولو بخراب الوطن وذهاب

المملكة ويخوّفون المتبوع الاعظم من حزب تركيا الفتاة ومن اجراء الاصلاحات ويشيرون باتخاذ التدابير السيئة حتى تحدث ماحدث من المذابح والفظائع والاسلام بريء منها

والدين انصافك الاقوام كلهم واي دين لآبي الحق ان وجبا
والمرء يعييه قود النفس مصحبة للخير وهو يقود العسكر اللجبا

فتشكلت حينئذٍ في الاستانة جمعية الاتحاد والترقي العثمانية لتسكين الفتن المشتعلة في البلاد وطلب الحرية والعدالة لجميع العثمانيين وتأييد روابط الحب والامنية بين الامة المؤلفة من ألسنة واديان مختلفة و بين الدولة . و بعثت الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤) بوفد من الشبان الاحرار اكثرهم من طلبة المكتب الطبي لتأسيس شعبة للجمعية في باريس ونشر الجرائد والرسائل . وكان في باريس اذ ذاك عدد ليس بقليل من شبان العثمانيين بعضهم يدرس على نفقة الحكومة العثمانية او على نفقته الذاتية وبعضهم يدرس ويشتغل بالمسائل السياسية واشهرهم احمد رضا بك صاحب اللائحة

٢٢ـ احمد رضا بك

ولد احمد رضا بك في الاستانة قبل ٥٠ سنة تقريباً ووالده انكليز علي بك وامه مجرية وسمي انكليز لتعلمه الانكليزية ووقوفه على المدنية الاوروبية والا فهو من الاتراك المسلمين وكان من كبار المأمورين الذين نشأوا في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فتخرج احمد رضا بك في مكاتب الاستانة وتعين مديراً لمكتب اعدادي بروسة فاحس من نفسه بلزوم التوجه لاوربا للاطلاع على علومها ومدنيتها فحضر لباريس سنة ١٨٩٠ وداوم على مكتب الزراعة لاحتياج المملكة الى العلوم الزراعية وتعرف الى علي شفقتي بك الذي كان يصدر جريدة « استقبال » في ايطاليا ثم في فرنسا وهو من رجال السلطان مراد . وكان رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية بباريس فاطلع فيها على اهم الكتب والفنون واشتغل بالمسائل السياسية وحرر لائحة منصلة مشتملة على وسائل في اصلاح الادارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لائحة مصطفى فاضل باشا ووصية فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرهما من اكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على اسباب الانحطاط وعلله الفلسفية . وسلك احمد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك اوكوست قونت وخليفته بيير لافيت وصار اماماً في هذه الطريقة المؤسسة على « الانتظام والترقي » وهي كلمتهم وعليها تبنى اعمالهم وتقرب من قول المؤذن « حيّ على الفلاح حي على الصلاح » ومن تعاليمهم التفاني في حب الوطن وخدمة الجماعة اي وقف

حياة الفرد على خدمة المجموع · وهم يبتعدون عن الانغماس في الشهوات وعن اسرافات الاغنياء المبذرين لان المبذرين اخوان الشياطين ويشددون النكير على الذين يرتكبون من الناس او من الاموال الاميرية والحقوق العمومية فالمرتكب عندهم ساقط مهما بلغ علمه وقدره

فاحمد رضا بك متصف بهذه الاوصاف وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل مبدأه ورفض قبول الالوف المؤلفة والمناصب العالية مع شدة حاجته واضطراره · وتحمل الاذى والمكاره وجاهد في الحرية حق الجهاد وقال لو وضعتم الشمس بيميني والقمر بشمالي لما تحولت عما قصدته · فكان في الحقيقة من اولي العزم ونشر تعاليمه وافكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « التساهل الاسلامي » رد فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتعصب واستدل بكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الدالة على غزارة علمه واما اللائحة المتقدم ذكرها فهي رسالة تركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح ادارة الدولة ولم تنشر · وجريدته (مشورت) كانت تصدر بالتركية والفرنساوية في كل اسبوع او اسبوعين ثم اقتصر منها على الفرنساوية وهي صغيرة الحجم مضى على تأسيسها ١٤ سنة ويتألف منها مجلدان او اكثر وربما كان له غير ذلك من المؤلفات فانه كثير الدرس والتحقيق يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الاهلية · وفي مكتبته الخصوصية عدة مؤلفات في التاريخ والسياسة العثمانية وفي المسألة الشرقية

فلما حضر وفد جمعية الاتحاد والترقي لباريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكناً في شارع مونج في ابارتمان صغير في الطابق السادس فقصده الوفد وذاكره فتردد في بادىء الامر وقال اذا عزمت على شيء لا ارجع عنه مطلقاً · وكان اقدر الموجودين واعرفهم بطرق الاصلاح وحل الخلل لان اصلاح مملكة عظيمة مشتملة على امم متخالفة في الجنس واللسان والمذهب ووارثة للخلافة الاسلامية من جهة وللدولة البيزانتية من اخرى ليس بالامر السهل ولا يشبه اصلاح مكتب ولا ادارة تلامذة وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار ولا يتيسر ذلك لمن درس سنتين او اكثر في مكتب طبي حيث لا تدرس العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين · فقبل احمد رضا بك الدخول في الجمعية وصار رئيساً لشعبة باريس ونشر جريدة « مشورت » بالتركيه والفرنساوية

٢٣ – الحرب بين المابين وتركيا الفتاة

ثم توارد على باريس كثير من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العمائم والفرا ونشروا الجرائد والرسائل والوريقات الكثيرة وأدبوا مأدبة وعقدوا اجتماعات سياسية . فانصرفت همم رجال المابين والسفارات لتعطيل هذه النشريات واسترضاء اصحابها بالمال والرتب والنياشين والمناصب حتى قيل لبعضهم (أطلب تُعط) كما كان ينقل عن الخلفاء في حكايات الف ليلة وليلة وكان العطاء حاتمياً بل اكثر كان سلطانياً شاهانياً وصار المتطلبون للمأموريات أو المعزولون يقصدون باريس للرجوع لوظائفهم ودخل حزب تركيا الفتاة الصبيان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة والتونسيون حتى الاجانب من الطليان واليونان واصبحت سفارة باريس مرجعاً للجميع كأنها اعظم دائرة من دوائر الباب العالي . وأقدم الجرائد المعطلة جريدة المرصد العربية التي تعين صاحبها عضواً في شورى الدولة وأوجب حمد عزتُ باشا العابد حتى صرف قوة عقله وذكائه للوصول الى ما وصل اليه . وظهر عدة جرائد ورسائل ومحررين بالتركية والعربية والكردية والفرنساوية والالبانية وغيرها منهم اصحاب صدق وقناعة ومنهم ذوو طمع وشعوذة ورجال الدولة يتقربون باسترضائهم وجلبهم كما كانوا في الازمان السابقة يتقربون بجلب اهل المظنة من المشائخ واصحاب الكرامات كجلب المرحومين الشيخ ابي السعود من القدس للسلطان محمود خان والشيخ الشلي من صيدا والشيخ العمري من طرابلس الشام وكذا المشائخ الذين كانوا في المابين وخاتمهم استاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر مؤلف الرسالة الحميدية . فلو اطلعت على تراجم هؤلاء الشيوخ ومقدار معارفهم وكيفية جلبهم والاسترشاد منهم لعرفت ارتقاء الفكر التدريجي الذي حدث من عهد السلطان محمود ولرأيت الانقلاب الحاضر يفوح من الرسالة الحميدية التي جمعت خلاصة العلوم العصرية

فنشريات تركيا الفتاة باوربا لم يقصد بها الا ايصال الشكاية من سوء الادارة لمسامع الحضرة السلطانية وتفهيم الدول الاوربية الموقعة على معاهدة برلين بوجود حزبهم السياسي وطلبهم اعادة القانون الاساسي فكادت اوربا تقنع بوجودهم كما ظهر من انتصار الجرائد الباريسية لصاحب جريدة (مشورت) يوم محاكمته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون بيرانجه القاضي بالسماح عنه

فبينما كان المابين يقدم رجلاً ويؤخر اخرى في اجراء مطالب تركيا الفتاة واعادة احكام القانون الاساسي واذا بالمسألة الكريدية وأدت الحرب بين الدولة العلية واليونان

(من نيسان - مايو سنة ١٨٩٧) وتم النصر فيها للعساكر العثمانية فاخذته العزة ودام على سياسته الاستبدادية وانكسرت همة الاكثرين من حزب تركيا الفتاة فخضعوا لاحكام الاستبداد جبراً وقهراً وان لم يرضوا بها وذاقوا عذاباً شديداً بسبب غلاء اوربا وكثرة نفقاتها وعدم وجود صنعة او تجارة بايديهم كما يوجد بايدي الارمن والبلغار سوى تعليم اللسان التركي والعربي والخدمة للاطباء في المستشفيات باجرة قليلة والسهر في الليل على المرضى . والاغنياء من اهل البلاد وكبار الموظفين لم يعينوهم بشيء الا بعض الامراء المصريين الذين نهجوا منهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة فأمدوا البعض منهم بالمال واعانوهم . بخلاف الجمعيات الانقلابية الارمنية والمقدونية فان اصحابهم واغنياء امتهم اعانوهم بالمال . وقد علمت مما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فاين هذا لجمعية الاتحاد والترقي ؟ فان العثمانيين من اتراك وغيرهم لم يعتادوا على هذه الغيرة الوطنية والحماسة القومية ولم يفقهوا معنى الاجتماع والتعاون

٢٤ - ظهور المابين وتفشي الفساد والاختلال

فالحرب اليونانية اظهرت فتوة الامة العثمانية وحيتها وسلامتها من عوارض الهرم او المرض الذي يصفها به اعداؤها واظهرت متانة الضباط العثمانيين ومعارفهم ومحافظتهم على قواعد الانتظام ومقدرتهم على ضبط افراد العساكر ومنعهم من النهب أو ما فيه العار وسوء الادب من الافعال الهمجية مع شجاعة زائدة وصبر وقناعة وعدم ابتلاء بالمسكرات ابتلاء عسكر الروس أو غيرهم من عساكر اوربا . فبعد انتصار العساكر العثمانية في هذه الحرب زاد غرور المابين واستبداده . وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي يلديز واصبح مجلس الوكلاء لا حكم له والنظار ماهم الا منفذون لما يتقرر في السراي . على ان التوجه والاقبال والتقريب والسؤال كان ينتقل من الباشكاتب الى الكاتب الثاني الى الكاتب الشفرة الى الشيخ الى العابد الى الملاحمة الى غني اغا الى لطفي اغا الى فهيم باشا اعظم الجبابرة المتفرعنين الذين ألقوا الرعب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما يدل على استبداد متقلب وهائم حيران حتى اذهب ثقة الجميع وكاد الانقلاب يحدث في نفس السراي . واكثر رجال السراي اميون ويندر في كتاب المابين من يعرف الفرنساوية فضلاً عن غيرها من لغات اوربا . ولا خبرة لهم بالسياسة ولا المسائل الحاضرة . ولذا كثرت الغلطات السياسية وسوء الادارة واختلاس الاموال الاميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل

وصار لهم في الارتكاب وسوء الاستعمال ظرفٌ ورقة وتورية بديعة فلما شكل قضاء بئر السبع في تيه بني اسرائيل وعين له قائمقام من الاستانة قال له دولة الناظر حسبما أفاد: « بالطه كيرمامش اورمانه كوندوريورم » أي اني ارسلك لغابة لم تدخلها بلطة الحطاب . فذهب وحطب في الناس حتى عزل واخذ تحت المحاكمة ثم عين لمحل آخر . وهذا مثال من الف بل الاف امثلة على الارتكاب الذي افسد اخلاق الامة واخرها عن لحوق الامم المتمدنة ويروي عنه الناس نوادر عجيبة واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب والافراغ في قالب قصصي او روائي . وبعد ان كان تعيين المأمورين يجري بانهاء الباب العالي والنظارات صار التعيين وتوجيه الرتب رأساً من المابين . وتهافت الناس على استحصال الرتب مع لقب بك الذي لا وجود له في الحقيقة ونفس الامر بين الالقاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً وانما اشتهر فريق باسم بك وفريق باسم افندي فعند توجيه الرتبة ينظر اذا كان الاسم مقروناً بلقب بك صدرت الارادة السنية بموجبه ونشرت في التوجيهات الرسمية . فصار بائعو الرتب يتعمدون وضع لقب في الانهاء لتصدر على موجبه الارادة السنية وتنشر في القسم الرسمي من الجرائد فتنقلها الجرائد العربية وتقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك لتوهم القارىء ان لقب بك توجيه جديد كلقب قونت اوماركيس عند الافرنج . وامتلأت دوائر الاستانة بالمأمورين بلا تمييز في اهليتهم واستحقاقهم ولياقتهم بالعمل الذي هم فيه . ولم يكن الغرض من التعيين التحري على مأمور قادر على ايفاء الوظيفة وانما ايجاد وظيفة وعمل للمقربين والملتمس لهم او الذين يخشى بأسهم . فزاد عدد الاعضاء في شورى الدولة على المئتين ونظامهم ان يكونوا ٣٧ عضواً . وكذا مجلس المعارف وانجمن التفتيش والمعاينة الضاغط على حرية نشر الكتب وادخالها ومحي من كتب اللغة كلمات كثيرة مثل: حريت وطن ، اختلال ، انقلاب ، جمعيت ، رشاد .... كما غيرت اسماء المأمورين من عبد وسلطاني ونحو ذلك الى اسماء اخرى وبعضها حرفت وكتبت سلتاني . وامتلأت نظارة المعارف بالمأمورين الموظفين حتى قال ناظرها الاخير لما عرضوا عليه الميزانية لولا وجود معاشات المعلمين لامكنني وضع الموازنة . فكانت معاشات المعلمين تضايقهم ويريدون حصر المعاشات بالموظفين من الرؤساء والاعضاء والكتاب والمفتشين . وزاد عدد اعضاء الجمعية الرسومية على ثمانين عضواً وكذا مجلس المالية والاوقاف والعسكرية والبحرية وغير ذلك من انواع المجالس ودوائر الحكومة المركزية والمعية الشاهانية حتى ضاقت المجالس والاقلام بالمأمورين وصار اكثرهم لا يجد له كرسيا للجلوس عليه .

وكانوا يأخذون رواتبهم وهم نائمون في بيوتهم . وصحف المنتقدون مجلس « شوراي دولت » فقالوا « اشراي دولت » و « مجلس معارف » « مجلس مقارف » او مغارف . وقس على ذلك

واختلت الموازنة المالية وصار المتداخل من معاشات المأمورين والعساكر ومخصصاتهم يقرب كل سنة من النصف او يزيد وكثر الظلم في جباية الاموال الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام وتسابق المأمورون الى زيادة حاصلات القضوات والالوية وعدوا ذلك فضيلة وسبباً مشروعاً للمكافأة والترقي والمكلفون من الزراع والفلاحين يئنون تحت أثقال هذه التكاليف والمظالم ولا ناصر لهم ولا مفكر في شؤونهم وقلما يمر على القرية شهر بدون ان يأتيها المعشرون والمحصلون للاموال الاميرية ولحصة المعارف وبنك الزراعة وادارة الرسوم الستة اي الديون العمومية والاعانات المختلفة والمسلمون في ذلك اشد مغدورية من المسيحيين الذين يحتمون باديرتهم ورؤسائهم الروحانيين . وسمعت كثيراً من الفلاحين باعوا اراضيهم وزوجوا بناتهم بالجبر ليأخذوا صداقهن ويسددوا ما قيد عليهم ذمة من الاموال الاميرية فصار الفلاح يتجنب زراعة الارض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيو مؤلف روح القوانين: « ان الاراضي تقل غلتها بالنسبة لحرية سكانها لا بالنسبة لخصبها . فاذا كان الفلاح حراً عمر الارض الموات وجعلها مخصبة بعمله وحراثته . واذا فقد الحرية اصبحت ارضه المخصبة مواتاً بسبب الظلم والاستبداد . فما نشاهده اليوم باوروبا من العمران انما هو نتيجة الحرية . فحيثما توجهت فيها لا ترى الا مروجاً نضرة واشجاراً وكروماً مخضرة وانهاراً جارية كانها بستان عظيم ليس فيه قطعة ارض خراب

وصار رجال المابين يحرضون الولاة والمتصرفين على سرعة تحصيل الاموال وارسالها للاستانة والناس لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية (بودجه) . بخلاف ادارة الديون العمومية التي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي تزيد وارداتها كل سنة فتدفع رواتب مأموريها ومرتبات الديون باوقاتها المعينة حتى تيسر للدولة اعادة اعتبارها المالي واصبح اصحاب الديون في أوروبا يأمنون على اموالهم ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة اسهم الديون لا تنزل الا قليلاً فاذا اردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية وبين نظارة المالية فانظر الى قرية من قرى الالمان او اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي والى قرى الاهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب يتضح لك

الفرق بين الادارتين

واختلت ادارة العساكر البرية والبحرية واصبحت لا تمرن على التعليم الناري واصابة الهدف ولا تساق سوق الجيش خوفاً من الهيجان وحدوث الانقلاب . مع ان دول اوربا ولا سيما المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تجري كل سنة مناورات حربية يحضرها الامبراطور بنفسه مع اولاده وعائلته وجميع ضباط السفارات الاجنبية فيستطلعون احوال الجند و يشوقونهم . وصار الاسطول العثماني الذي انفق على شرائه الملايين كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يقدر عليه لطول مكثه وصدأت آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البحار واختلست اموال كثيرة من التجهيزات العسكرية ولا سيما في تجهيز الاسطول وشراء البواخر والمدرعات . وصار الترقي في المراتب لا يبنى على القدم والاهلية والاستحقاق بل على الالتماس والانتساب والرشوة فيرتقي الضابط المراتب الكثيرة في اوجز مدة ولا يجد وقتاً لادراك ماهية الجندية ولا احترام من فوقه في الرتبة وكان الضباط يبيعون معاشاتهم المتداخلة للسماسرة باثمان بخسة حتى يبعث المائة غرش باربعة غروش ويبع طقم اللباس العسكري الذي تكلفت الدولة على اعماله مئات غروش بعشرين غرشاً . . اي ان المستحق للمعاش واللباس يمضي سند الوصل على القاعدة والاصول كانه استلمه من مخزن الالبسة او قبضه من صندوق الخزينة و يحله للسمسار فيعطيه في مقابلة السند ما يتوافقان عليه ثم يتفق السمسار مع المحاسبجي ومن فوقه ويربحون الفرق و يقيدون ذلك في الدفاتر (ايراد ومصرف) كأنها جرت على القاعدة والاصول . ولذا كانت الضباط في حالة يرثى لها . وكنت ترى ضباط البحرية البالغ عددهم نحو ستة آلاف ضابط في قهوات الاستانة فارغين من العمل ودائرين من حارة لاخرى . واشتبهت الادارة المستبدة في امراء العسكرية الذين حضروا في اوربا وخدموا الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعرفة تامة باحوال الزمان فابعدتهم عن الاستانة واشغلتهم بالوظائف الثانوية بداعي ميلهم للافكار الحرة واعادة القانون الاساسي وبلغ عدد الراجعين منهم للاستانة بعد حدوث الانقلاب ٦٠ نفراً من الباشوات وامراء العسكرية و ٥٠٠ ضابط ومنهم رجب باشا وفؤاد باشا الشهير وناظم باشا وهو صهر عالي باشا . واصبحت قيادة العساكر وادارة المكاتب العسكرية بايدي اناس لا اهلية لهم ولا يهتمون الاّ بالتجسس على اصحاب الافكار المفرطة وابعادهم عن مركز الادارة و يعدون ذلك خدمة لمنافع السلطنة والمحافظة على الخلافة الاسلامية فصارت ادارة التجسس والخفية من اعظم دوائر الدولة لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشات وافرة غير الاحسانات

والانعامات . فكان الخفيـة ينظمون التقارير والجرنالات في كل حادثة ومسألة صغيرة او كبيرة ويختلقون المسائل ويفترونها ويصورونها في قوالب مستحيلة لا تدخل العقل ويأباها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم وما ذلك الا لاظهار خدمهم واثبات تيقظهم ومغالبتهم لنيل المكافأة . والمابين لا يكل من تحقيق مضمون هـذه التقارير والجرنالات عسى ان يجد في مائة منها كاذبة واحدة صادقة فاذا قالوا : « فلان له قصد سيء لحضرة الخليفة » او « له مخابرة مع حزب تركيا الفتاة » او « عنـده اوراق مضرة » كانت كل واحدة من هـذه الالفاظ كافية لدخول منزله وتفتيش اوراقه وهتك حرمته ثم نفيه وحبسه اوعزله وابعاده . فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات الملوكية والمس لحقوق الخلافة الاسلامية . على انهم لم يتخذوا في الحقيقة ونفس الامر سياسة اسلامية وهي المعبر عنها عند الافرنج بقولهم « بان اسلاميزم » كما توجد سياسية سلافية « بان سلافيزم » وسياسة جرمانية « بان جرمانيزم » ولا تجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص لمصالح الاسلامية كما يوجد في باريس وبرلين وبطرسبرج اقلام ودوائر مخصوصة بدرس المسائل الاسلامية درساً تاريخياً سياسياً علمياً للوقوف على افكار المسلمين وهيئتهم الاجتماعية وتلى احوال العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها ليكون الوزراء والمأمورون على بصيرة ويقين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية . فقصدهم من السياسة الاسلامية انما هو اكل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه ببني العباس في الجلوس على الكراسي

ولم تباشر الحكومة امرًا جديًا لعمران البـلاد واستخراج ثروتها الطبيعية ولا لارتقاء الاهالي في معارج التمدن والرفاه وتعليمهم اصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد وقد عاكست جميع المشروعات الوطنية من فتح المدارس الخصوصية او تعليم الاولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلاد الاجنبية وتأسيس الجمعيات واطفأت حمية ارباب الهمم بداعي انها باعثة على الثورة والانقلاب . فكم نظر الولاة والمتصرفون شزرًا الى مدرسة وطنية اسسها الفرد او الى مدرسـة سلطانية اسستها الجماعة او الى شركة صناعية او مالية عقدها الاهالي فلا تلبث حتى تتعطل ويمحي اثرها . وكم منعوا الآباء من ارسال اولادهم للمدارس الاجنبية او لمدارس اوروبا وكم اضطهدوهم من اجل ذلك

وما أجرته الحكومة من مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح المرافيء التجارية وتطهير المستنقعات انما كان بطلب الشركات الاوروبية وتوسط بعض المتنفذين للاستحصال

على امتيازاتها والاستفادة مما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية . فنح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه ويأخذ به الفرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة أجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين اعانوه في استحصال الامتياز ويبقى النصف الآخر ربحاً صافياً له في مقابلة اتعابه بالذهاب من المابين الى نظارة النافعة والصدارة وملاحظة الخدم والكتاب والتقرب بهم الى كبير القلم او الدائرة وكل زيارة تحتاج الى اكرام و (شوقة خاطر) . روى لي أحدهم عن بعض النظار انه اوقف ختم مضبطة امتياز في مد سكة حديد كبيرة على اخذ اربعين الف ليرة عثمانية ولم يقبل اخذ تحويل على البنك او قوائم نقدية خوفاً من ظهور الارتكاب واشترط ان تكون ذهباً عيناً قال الراوي فجاؤا بالمال وصفوه على مائدة كبيرة مرخمة عواميد عواميد في كل عمود خمسون ذهباً فكانت ثمانمائة عمود مصفوفة صفوفاً متوازية ملزوزة وللاصفر الرنان فوق الرخام منظر عجيب . فلما تم العد والحساب قال دولة الناظر وكان ملقى على فراش الموت (تمامي ؟) فقيل له نعم يا سيدي تمام فاخرج الختم من كيسه المعلق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة ايام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا . ولذا كان فريق من الكبراء والمأمورين يتمتع بالقناطير المقنطرة من الذهب ويقبض معاشاته سلفاً وويل للمحاسبجيين ان لم يدفعوها . وفريق يتضور جوعاً وهو ينتظر الى معاشاته المتراكمة المتداخلة من سبعة وثمانية اشهر في السنة والتي يعول عليها في الانفاق على نفسه وعياله النفقة الضرورية وأشدهم مغدورية ضباط العساكر الذين لا تصرف معاشاتهم وتعييناتهم على قلتها وليس تحت ايديهم اموال ينهبونها اورعية يرتشون منها ولقد صدق فيكتور هوكو بقوله :

« ان الجوع يثقب في قلب الانسان ثقبا ويملأه حقداً » وهو من اعظم الاسباب لهذا الانقلاب

فبسبب تشويش الادارة وتذبذبها لم يعد للحكومة قاعدة مضطردة ولا أصول مرعية لا في سياستها الداخلية ولا الخارجية وانما كان لها قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض البعض فكانت تمحو في الغد ما اثبتته في الامس وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الاشخاص والوقائع . ولذا سقط اعتبارها عند الدول الاجنبية حتى تجرأوا على تهديدها في المسائل الطفيفة العادية كمسألة تونني دلوراندو التي أوجبت خروج الاسطول الفرنساوي واشغاله جزيرة مدللي . فصرخ اذ ذاك مارسل سامبا زعيم الاشتراكيين في مجلس النواب الفرنساوي قائلاً : ما هذه السياسة الخرقاء لم تحركوا

ساكناً في المذابح الارمنية ولم تداخلوا حيث معاهدة برلين توجب عليكم المداخلة في طلب الاصلاح واجراء العدالة الانسانية والآن تكبدون النفقات باحراق فحم الامة وارسال الاسطول لحماية نفرين من المرابين اقرضوا اموالهم بعشرين وثلاثين في المائة حتى اصبح ما يطلب لهم تحت السحب ؟ وسقط اعتبارها ايضاً في نظر رعاياها وصار اكثر الموجودين منهم في الديار الاجنبية يأنفون من دخولهم في التابعية العثمانية وبعضهم ابدلها بالتابعية الاجنبية ويبتعدون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقنصلياتها

فارباب الحمية والغيرة الوطنية من العثمانيين كانوا ينظرون الى هذه الاحوال بعيون الاسف والاستياء ويعتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعليم الامة وتنوير ذهنها والرجوع في الاحكام الى الدستور المنسوب لمدحت باشا وان لم يكن كله من بنات افكاره . فكان الاستبداد ضاغطاً على جميع افراد الامة اذ لم يقتصر بضغطه على ضعفائها واحرارها وحزب تركيا الفتاة فقط بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقربين من رجال الدولة والذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال وكافة الوزراء والمأمورين وجميع الاهالي لاسيما في الاستانة حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لعقد النكاح أو الختان . وبطلت السهرات وجمعيات الاحياء . كل ذلك خوفاً من الانقلاب وصار لايؤذن لاحد بالذهاب لاوربا ولو كان مريضاً كما لايؤذن للضباط بالتوجه للاستانة أو المرور بها وصار كبار المأمورين لا بد لهم من اذن مخصوص وارادة سنية لحركاتهم الشخصية واعمالهم البيتية حتى زواج بناتهم واولادهم

دخلت يوماً على السيد جمال الدين الافغاني وهو في قصر لطيف على بابه الخدم وتأتيه سفرة من (المطبخ العامر) فقال وما فائدتي بهذا القصر والخدم والسفرة وانا اذا اشتهيت اكلة بنفسي أو نشر فكر في جريدة أو التنزه في ناحية من المدينة لا استطيع . ايهنأ عيش الانسان بغير الحرية ؟ ولذا فرّ الى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه البرنس صباح الدين بك والبرنس لطف الله بك وفرّ الى مصر السرخفية احمد جلال الدين باشا وكثير غيرهم

٢٥ — اتحاد الارمن والاتراك في طلب الحرية

أما جمعية الانقلاب الارمنية فبعد مذابح ساسون المتقدم ذكرها شكلت فرقة من الثائرين هجموا على البنك العثماني في الاستانة والقوا فيه القنابل سنة ١٨٩٦ ليستلفتوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية لاجراء الاصلاحات وتأسيس الحرية

والمساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس . ثم الفوا لجاناً (قوميته) كثيرة اهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون . ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قافقاسيا الروسية بسبب اضطهاد اميرها البرنس غاليتزين للارمن التابعين لروسيا وتسليط التتر المسلمين عليهم فحدثت مذابح تاكروفظائعها وعدة وقائع ومقاتلات وتصدى الثوار لقتل الرؤساء والقواد والامراء والضباط الذين سببوا المذابح وكان قتل كل منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس فقتل بليف مثلاً سبب هلاك اربعة من اعضاء الجمعية وصرف مائتي الف فرنك وكذا القاء القنبلة في موكب صلاة الجمعة امام سراي يلديز كلفهم خسائر جسيمة . فعدلت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت للاتفاق مع تركيا الفتاة وعقدت مؤتمراً في ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونيين والروم والكرد والعرب واليهود والارناؤط وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلوميان افندي الارمني الشهير فاتفقوا فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الحاضرة والسعي في ذلك بجميع الوسائط (٢) تأسيس حكومة مشروطة دستورية لجميع اقوام المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائط الانقلابية للوصول لهذا المقصد . وذلك لان الحكومة المستبدة استعملت جميع الوسائط لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية . فاقفلت المكاتب وحبست المعلمين ونفت التلامذة وفي الاماكن التي بقي فيها شيء من المكاتب انقصت التعليم فيها بايجاد مراقبة لم يسبق لها مثيل . وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا المأذونة بنشرها بعد التحريف والتغيير او الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلا عدالة لا تصرف على التعليم او تحسين الوسائط النقلية واسباب المعمورية بل على الجواسيس والخفية وعلى الجرائد المعانة من الحكومة لا سيا في البلاد الاجنبية للايهام على الناس ومخادعة اوربا عن احوال الممالك العثمانية . فمنع العثمانيين من التجول والسفر والامتناع من اعطائهم تذاكر الجواز (بسابورطات) أوجبا تعطيل التجارة كما ان استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وعدم وجود الامنية في البلاد وتراكم المحصولات وكثرة المراباة وعدم وجود الوسائط الاختلاطية جميع ذلك كان سبباً قوياً لخراب الزراعة . فاصبحت البلاد التي كانت مزرعة الدنيا في عهد المدنيات السابقة خراباً واراضيها قفراً بلقعاً وهاجر منها اهلها الذين ولدوا فيها لاميركا واوربا ومستعمرات افريقيا ليفتشوا لهم عن قليل من الحرية والامنية واسباب المعيشة فالمهاجرة والقحط اكملا العمل الذي بدىء بالمذابح وانتج خراب البلاد وخلوها من السكان . فلجميع ما ذكر من

الاسباب اصبح الانقلاب السياسي ضروريًا لمنع انقراض المملكة العثمانية ولتوقيف انحطاطها ـ تلك خلاصة المذاكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

٢٦ ـ نهضة جمعية الاتحاد والترقي وانتشارها

وأما شعبة اوربا من جمعية الاتحاد والترقي العثمانية فبعد ان حدث الاختلاف فيها على الرئاسة وانقسمت الى احزاب وفارقها الكثيرون من اعضائها ثبت صاحب جريدة مشورت على نشرياته واصدار جريدته في اوقاتها وبجانبه الدكتور نظمي بك السلانيكي الاصل وغيره من ذوي الغيرة الوطنية لكن لقبل اربع سنوات من حدوث الانقلاب كانت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ضعيفة عاجزة في حكم العدم ولذا لم يعبأ بها ارباب السياسة ولم يعتبروا وجود حزب لتركيا الفتاة وانما هناك بعض المتشردين ينشرون اوراقًا قليلة الجدوى لتخويف المابين واخذ المأموريات والاحسانات و يعتبرون احمد رضا بك معاندًا مصرًّا على طلبه لتقليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين مفضلاً ذلك على حطام هذه الدنيا الفانية

فلما تداخلت الدول الاوربية منذ اربع سنوات في المسألة المكدونية أي في ولايات سلانيك وقوصوه ومناستر وطلبوا اصلاحها فزال منها بعض الظلم وتحسنت ادارتها خوفًا من اوربا ومداخلتها وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية فنفسوا بها عن صدورهم ونظروا لشؤونهم . وكانت البلغار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم (قوميته) والداخل فيها (قوميته جي) باضافة اداة النسبة التركية على كلمة قوميته الافرنجية للمحافظة على قوميتهم وحقوقهم وحريتهم وكانوا يبذلون ارواحهم واموالهم في سبيلها و يظهرون من الحماس والغيرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف . وكانت الحكومة المحلية تهابهم وتلاطفهم وتستجلب رضاهم فعز ذلك على المسلمين من الترك والارناؤط سكان تلك الولايات واعتبروا باخوانهم في الممالك البلقانية المستقلة استقلالاً كليًا اوجزئيًا كرومانيا والصرب والجبل الاسود واليونان والبلغار والبوسنه والهرسك فاستيقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم وقالوا الى متى نبقى في هذا الظلم والاعتساف والجور والاستبداد والذل والتحقير ؟

ولا يقيم على ضيم يراد بهِ   الا الاذلان عير الحي والوتد

مالنا لا نفعل كالروم والبلغار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه ؟ ولما سألوا مشائخهم عن ذلك اجابوهم بان الاسلام يساعد و يحض على ذلك ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الاتحاد والترقي فدخلوا فيها باختيار وشوق حمية عارفين ما ينتجه فعلهم من الفوائد المادية والمعنوية فتشكل لهذه الجمعية مركز في سلانيك وشعبات عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونية وبلغ عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة

آلاف نفر والجواسيس لا يدرون من ذلك شيئاً وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة يعتقدون بانه سيصيب بلادهم ما اصاب كريد والروملي الشرقية والبوسنه والهرسك ... الخ ويريدون في الباطن نجاح الجمعية وان لم يقدروا على التظاهر بذلك

ثم ان البرنس صباح الدين اكب على تحصيل العلم ولاسيما بعد وفاة والده واستنار فكره ومال للحرية والتجدد واسس حزباً سياسياً يعرف بحزب (المشروطية وعدم المركزية مع التشبث الشخصي) ولهذا الحزب جريدة (ترقي) بالتركية تأسست سنة ١٩٠٦ ومحررها كاتب الجمعية احمد فضلي بك . فعدم المركزية (ديسانتراليزاسيون) ينقسم الى قسمين عدم مركزية سياسية مثل مستعمرة كندا الاميركية مع انكلترا . وعدم مركزية ادارية وهو عبارة عن توسيع مأذونية الولايات وتزييد حريتها وانتخاب المجالس العمومية فيها كما اشير اليه في القانون الاساسي مادة ١٠٨ وجرى تطبيقه سابقاً فتشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت في ايام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظراً للخارجية وقتل في وقعة جركس حسن بك . فمراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الادارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتشبث الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في امر معاشهم حتى لايحتاجوا للتسول من حكومتهم والانكباب على طلب المأموريات للتعيش منها لان في الحكومات المستبدة ينتظر الاولاد دائماً الاعانة من عائلاتهم والعائلات من مجالسهم والمجالس من حكومتهم . بخلاف الامم الانكلوسكسونية فان اولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على انفسهم ويختارون الصنعة اللائقة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

٢٧ — نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

وفي السنين الاخيرة زاد البلاء وتعسر تدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين انفسهم في جره فحدث في الاذهان كدر من الامس وخوف من الغد واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء ونفرة زائدة وبغض وحقد كامنان في النفوس . وعلم المقربون انهم على وشك الانقراض فضاق عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال . فاستهلكوا في ادخار الاموال واقتناء العقار وخبأ العارفون منهم ثروتهم في مصارف اوربا واميركا وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فنالوها . واستفادوا من الحال الحاضرة بقدر ما امكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه واولاده ثم بالاقرب فالاقرب من عائلته . واستماتوا في الوصول للسعادة ونفوذ

الكلمة بالتقرب واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشينها والقابها ووجهت رتبة امراء العسكرية ورتبة بالا العلية على المشائخ ذوي التيجان والعمائم ومن جهة اخرى جرت معافاتهم من الخدمة العسكرية ومعافاة من انتسب اليهم من السادات الرفاعية في جميع المملكة بما فيه التناقض وكان اذا انصب الانعام على فرد او عائلة انهمل كالغيث المتواصل وسقط كله في زرع ذاك الفرد اوالعائلة بدون ان يفيض منه شيء الى المزارع المجاورة ولذا قال احد الفضلاء:

امير المؤمنين فدتك نفسي ونفس ابي الضلال لها فداء
اتجبيه وتقتلنا جميعاً لعمرك ان ذا لهو البلاء
فلا والله ما هذا بعدل ولكن انت تفعل ما تشاء

واحتكروا اوقاف الجوامع وجفتلكاتها بل ضبطوها ضبطاً بلا حكر وباعوا امتيازات الامور النافعة للاجانب فانفتح على الدولة بسبب ذلك عدة مسائل مضرة وشرهت نفوسهم للعجب وتطاولت اعناقهم عظمة وكبرياء · ومنهم من يقول يا ارض اشتدي ما عليك الا طولي وقدي وزاد بهم الحرص والطمع حتى فقدوا جميع الحواس الانسانية وصار الواحد منهم كأنه وحش مفترس وانقلب يوم سقوطه وابعاده عن منصب الدولة شيطاناً رجيماً كما ظهر من افعال فهيم باشا وهو منفي الى بروسه واهلكه الاهالي فيها ضرباً بعد اعلان الحرية

كنا اشرنا الى هذه الحالات المكدرة المؤسفة والى قرب حدوث الانقلاب في مقالة عنوانها « حكمة التاريخ » نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها (٥١٧) الصادر في ١٥ تموز سنة ١٩٠٣ بعد ان بدل المراقب فيها وحرف كما اراد وظلها تخفى وربما خفيت على فطنته ودقت عن فهمه ولكنها مابلغت الاستانة واطلع عليها المدوغون الا وصدر الامر بتعطيل الجريدة · فكاد بركان الاستياء ينفجر له فوهات في عدة جهات لان بقاء الحال على ماذكر غير ممكن في القرن العشرين والبلاد العثمانية متوسطة بين اوربا والشرق الاوسط والاقصى · وزاد اختلاطنا تجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الاجنبية على ثغورنا ومشاهدتنا صور السنيماتوغراف وسماعنا اصوات الفونوغراف وركوبنا الترامواي الكهربائي والاوتوموبيل والدراجات مما زاد اختلاط الامم وامتزاجها واصبحت المسافة بين الاستانة و باريس اقل من مئتين ساعة بعد ان كانت تقطع في شهور واعوام

وتزايدت النشأة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والعسكرية أو في المدارس الاجنبية التي افتتحها الاوربيون والاميركيون في الشرق رغم منع الحكومة المسلمين من دخولها والتضييق عليهم وعلى اوليائهم في ذلك أو في المدارس الخصوصية التي

اسستها طوائف الروم والارمن واليهود والبلغار . فتعلمت النشأة الجديدة من الصبيان والبنات اللغات الاجنبية وطالعوا الجرائد والكتب ووقفوا على عورات الدولة وادركوا محل الخلل وصار يتخرج في كل سنة من هذه المدارس عدد عظيم متشربون فكر الحرية ومتخلقون بالاخلاق الاوربية والحماسة الوطنية . فكانوا كلهم موضع شبهة اولئك الجهال المستبدين بالامر فضيقوا عليهم واضطهدوا هذه الشبيبة اضطهادات كثيرة كالنفي والحبس والمراقبة والوضع تحت النظارة وكبس المنازل وتفتيش الاوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين ويكفيهم ان يقولوا : « عنده اوراق مضرة » حتى ينقضوا على الانسان ويقتالوه

فلما حدث الانقلاب في ٢٤ تموز وانفجر في سلانيك وما جاورها من الولايات بركان الاستياء كانت هذه الشبيبة وجميع العثمانيين مساعدين ومعاضدين لحزب تركيا وجمعية الاتحاد والترقي ولم يحصل معارضة ولا مقاومة من احد لان الجميع مستاء حتى المستبدين انفسهم والمستفيدين من الحالة الماضية والوزراء الذين اودعوا السجن واستردمنهم ما اغتصبوه من الاموال لان كلاً منهم كان يتطلب اكثر مما ناله . ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبدل السلطنة ولكان مدهشاً دموياً

٢٨ — انفجار بركان الحرية وحصول الانقلاب في ٢٤ تموز

أما جمعية الاتحاد والترقي العثمانية في سلانيك فبعد ان تيسر لها اخفاء امرها مدة فاحت رائحتها بكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاخفاء فاحسّ بها جواسيس سلانيك وبعثوا بتقارير للمابين وارسل الخفية من الاستانة فقررت الجمعية اعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم للوطن وعينت فدائيين من اعضائها بالقرعة أو بالتراضي

وكان القائمقام ناظم بك قومندان مركز سلانيك يبذل مجهوده في كشف اسرار الجمعية فذهب اذ ذاك للاستانة لعرض معلوماته ورجع منها نائلاً الفي غرش ضماً على معاشه فزاد في اجتهاده وتحرياته وطلب ثانية للاستانة وبينا كان على اهبة السفر جرحه احد الضباط فذهب للاستانة مجروحاً . وحضر لسلانيك صادق باشا وماهر باشا والميرلواء يوسف باشا وبعض الياورية وعدة من المأمورين الملكية ونظموا دفتراً باسماء كثيرين من المتهمين بعضوية الجمعية وحبسوا ونفوا والقوا الرعب في قلوب الناس وكاد اليأس يستولي عليهم

فقام في مناستر صلاح الدين بك قائمقام اركان حرب والبيكباشي نيازي بك الارناؤط لتشكيل فرقة من العساكر الوطنية وذهبوا لناحية رسنه وهي في الغرب الشمالي من مدينة مناستر على مسافة ثلاثين كيلو متراً ولحق بهما كثيرون من الوطنيين وانور بك البكباشي صهر ناظم بك قومندان سلانيك وكان طلب للاستانة ووعد بمكافاة كبيرة فاختار نفع وطنه على منفعته الذاتية

ثم قتل في سلانيك احد الجواسيس وقلقت حكومة الاستانة فاستدعت مفتي الالاي مصطفى افندي لتستفهم منه عن هذه الاحوال وضمت الى معاشه ٥٠٠ غرش . وبينما كان خارجاً من الاوتيل للسفر الى الاستانة جرحه احد الضباط بحضور جم غفير وهرب الجارح بدون ان يعارضه احد من الحاضرين ولا اخبروا عن اشكاله وصفاته . فساقت حكومة الاستانة على رسنه الفريق الاول شمسي باشا قومندانا متروبجه فاختار من يعتمد عليهم من الضباط وطابوراً من العساكر وحضر على القطار الى سلانيك ومنها الى مناستر وذهب تواً لادارة التلغراف لمخابرة المابين فخرج عليه أحد الضباط وقتله وامتنع من معه من الضباط والعساكر عن الزحف على رسنه ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس الملكيين والعسكريين فقرر مجلس الوكلاء إرسال ٣٠ الفاً من عساكر الاناضول . ولما وصل منهم لسلانيك الثلاثة الطوابير الاولى امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم وانضموا اليهم فاحس المابين ان سوق عسكر الاناضول على الروملي موجب لتزييد قوة الجمعية واوقف ارسال بقية عساكر الاناضول لسلانيك . ثم اجتمع في فيرزويك عشرون الفاً من الارنؤط وذهب سبعمائة من رؤسائهم لاسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المشروطة

وفي يوم الخميس ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلانيك صباحاً ووجدوا اعلانات مختومة بختم الجمعية اي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية تدعوهم للاجتماع يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية فلم يمهلوا الغد واجتمعوا بذاك النهار في ميدان اولمبيوس على الرصيف في مدينة سلانيك وضج الجمهور قائلاً إما الحرية واما الموت . واول من خطب من بلكون اوتيل (اولمبيوس بلاس) غالب افندي بالتربية ثم مانويل قره صو باليهودية (الاسبانية) ثم روصو افندي بالفرنساوية وسليمان افندي بالتركية ومحرر جريدة عصر فضلي بك نجيب بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان محكمة فوق العادة بالبلغارية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية وصرخ الجميع « فليحي الوطن ' فلتحي الامة ' فلتحي الجمعية ' فليحي العسكر ' الحرية او الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانغام المرسيلية :

Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé

وكانت ترجمت الى التركية : « قالقك اي اهل وطن شان كو نلري كلدي »

في ليلة الجمعة ورد تلغراف لحلمي باشا المفتش العمومي بصدور الارادة السنية

باعادة القانون الاساسي فاجتمع الناس في دائرة الحكومة واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العمومي ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا ومأموري الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور

٢٩ ـ الخلاصة

حدث الانقلاب العثماني بلا سفك دماء ولا حصول اضطراب او قلاقل في المملكة كما حصل عند باقي الامم من الانكليز والفرنساويين والاميركان والمجر والروس وغيرهم حتى قال بعض رجال السياسة : « لا تنبت الحرية ما لم تسق بالدم » ولذلك أسباب كثيرة منها :

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسميها الافرنج (تيوقراتيك) وانما هي مقيدة باحكام الشرع الشريف الذي يأمر بالمشورة ويحض عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة . فالانقلاب لم يضيع حقوق السلطنة والخلافة كما ضيع انقلاب الفرنساويين وغيرهم حقوق ملوكهم المطلقة المقدسة الالهية حتى انتصر لها فريق من الناس وقاتلوا عليها ولم يزالوا يطالبون بها في هذا القرن العشرين عصر التمدن والعلم والنور

(٢) عدم وجود امتيازات لصنف من اصناف الامة العثمانية كما وجد عند الفرنساويين للاشراف وللرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الاراضي بموجب عرفهم وشرعهم القديم . ولذا قاتلوا عليها لما احدث الانقلاب الفرنساوي وحرمهم من حقهم المشروع بزعمهم واعتقادهم . أما الانقلاب العثماني فلم يضع لاحد حقاً فان الحقوق التي كانت على الاراضي لامراء بكات (دره بكات) المعروفين عند الافرنج باسم (فيوداليته) وهي في المملكة العثمانية حقوق التيمار والزعامة الغيت بعد الغاء وجاق الانكشارية وزوال غائلتهم في عهد السلطان محمود خان وأعطي لاصحاب هذه الحقوق ضمانة ومعاشات استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزينة في كل سنة . ووضع اخيراً قانون الاراضي الموافق لاحكام الشرع وهو من أحسن قوانين الدولة وضعاً وترتيباً كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق . فالمسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والوضيع . وغير المسلمين « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » اما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد الفاتح للروم واقرهم عليها وكذا الامتيازات الاجنبية التي انعم بها سلاطين آل عثمان على الاجانب تفضلاً منهم واحساناً ليس بحرب ولا غلبة فيجري الاتفاق عليها بصورة حبية يرضى بها الجميع

(٣) ان الافراد الذين عزلوا من مأمورياتهم وصودر ما اخذوا عليه من الاموال

المنقولة وغير المنقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يعترفون بعدم حق لهم في ادخار هذه الاموال الكثيرة كما يعترف الاذكياء منهم بمشروعية هذا الانقلاب ولزومه وفائدته وقد صرحوا بذلك واقروا به فلا يتصور قيامهم للمطالبة بشيء او لاعادة الادارة السابقة المستبدة ولا لهم عصبية تساعدهم على ذلك . والامة باجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار . نعم ان المأمورين الذين خدموا مدة والغيت مأمورياتهم او عزلوا منها لهم حق في طلب معاش التقاعد او المعزولية او الاستخدام في مأموريات اخرى . اذ لا يليق بشرف الامة ان تلقي على قارعة الطريق جمًّا غفيرًا قضوا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعيالهم غير ما يقبضونه من الرواتب فان هذا الانقلاب الذي بدأ بالشفقة على الاهالي المظلومين من شانه ان يستعمل الشفقة والحنان ايضاً في حق الظالمين لتتم سعادة الامة ولا يلحق باحد ضرر ولا خسران

فالفضل في حدوث الانقلاب العثماني بغير سفك دم ولا حصول اضطراب وقلاقل في المملكة انما هو للشريعة الاسلامية وما في احكامها من العدالة الانسانية والمساواة في الحقوق . ولذا كان رد العمل (رياكسيون) في هذا الانقلاب غير محتمل لعدم وجود اسباب معقولة او مشروعة . بخلاف ما حدث بفرانسا وامثالها حيث كان للقائمين برد العمل اسباب كثيرة تحملهم على القيام لاعادة الادارة السابقة (انتهى)

الوزارة المصرية الجديدة

استقالت وزارة عطوفتلو مصطفى باشا فهمي في ١٠ نوفمبر الماضي بعد ان تولت أمور مصر ١٣ سنة فانتدب الجناب العالي عطوفتلو بطرس باشا غالي لتشكيل وزارة جديدة فالفها كما يلي :

عطوفتلو بطرس باشا غالي	رئيس النظار وناظر الخارجية
سعادة احمد باشا حشمت	ناظر المالية
« سعد باشا زغلول	« المعارف
« اسماعيل باشا سري	« الاشغال والحربية
« حسين باشا رشدي	« الحقانية
« محمد باشا سعيد	« الداخلية

الشعراء والدستور

٣ ـ قصيدة نقولا رزق الله

يا ايها الناس حيوا ذلك العلما وسبحوا مانح الحرية الامما
وقبلوا البندقيات التي فضلت اقلامنا بعد ما كانت لها خدما
وظاهروا عصبة الاحرار انهم اتوا بما اعجز الابطال والهمما
هم ارسلوا الروح سيالاً يدب الى تلك الجسوم وكادت تحسد الرمما
هيا افتحوا يا بني عثمان اعينكم تدفق النور حتى بدد الظلما
تزينوا بجديد من ثيابكم اوفاخلعوا ذلك الثوب الذي قدما
قد صرتم امة في الارض واحدة من آل عثمان لا عرباً ولا عجما
فلا تفرقكم اجيالكم فرقاً ولا تقسمكم اديانكم قسما
كم قيدوكم بها اسرى وكم سفكوا دماءكم او احلوا فيكم النقما
ولم اجد شركاً كالدين ينصبه من شاء مرتقباً للصيد مغتنما
سوءاكم العدل اخواناً سواسية فليس يظلم فيكم غير من ظلما
ولا يبيع لخبيث من بضاعته ولا يساوم حر في الذي كتما
وليس يقصى اديب عن مواطنه ولا يضام عليم قال ما علما
ولا يكافأ ذو مال لثروته ولا يجازى فقير فقره اثما
ولا يقيم على الذل العزيز كمن قد شفه الداء حتى عاشر السقما
ولا يهاجر مقدام لمكرمة لكن يثاب عليها الجاه والنعما
يا ام لا تندبي ابناً عنك مغترباً . فاليوم موعد جمع الشمل بينكما
لا يذهب الدمع دمع الامهات سدى فكفكفيه كفى ما سال وانسجما
وادعي لمن بعث الدستور من جدث بكت عليه عيون العالمين دما
فقد حرمناه ظلماً وانقضى زمن عليه حتى حسبناه غدا عدما
واليوم جرد سيف الحق صاحبه وهاجم الظلم حتى فر منهزما
تعانق الشيخ والقسيس واصطحبا من بعد ما افترقا ضدين واختصما
تآخيا في حمى الدستور واتحدا ورفرفت راية التوحيد فوقهما

فلينكسر قفص كانت خواطرنا   محبوسة فيه تشكو الضنك والالما

ولينطلق كل شادٍ في الهواء كما   يهوى فيسمع من انغامه نغما

تفتحت لكم الابواب فانطلقوا   وشيدوا ذلك الحصن الذي انهدما

لا يعبثنّ بحق من حقوقكم   ذو سلطة جائر مهما علا وسما

ولا يهولنكم ان تخذلوا احدًا   اذا استبدّ بكم او جار محتكما

سلطانكم بشرٌ يا قوم مثلكم   لا تعبدوه والا فاعبدوا الصنما

وانما بكمُ يعتزّ جانبهُ   ويستقيم له الامر الذي رسما

الحمد لله لا جاسوس يسمعني   ولا اخاف وشاة تنقل الكلما

بات الجواسيس لا يرجون مغفرة   لهم ولا رحم الرحمن من رحما

فارشدوا الناس يا احرار واجتهدوا   واسمعوا الناس حتى من شكا صمما

وايدوا بذباب السيف دولتكم   ولينصر السيف فيها الطرس والقلما

واسترجعوا مجدها الماضي لانكم   ادركتموها وكادت تدرك المرما

يا ارض عثمان ما احلاك من وطن   يشوق نظم القوافي فيه من نظما

اليك يا جنة الاحرار مرجعنا   من بعد ما صرت للاحرار خير حمى

ان مثلت جنة الفردوس في بلدٍ   ففيك جنات فردوس لمن نعما

وخير ما انبتت اودائها علمٌ   يريك ابهى هلال في ابرّ سما

حياكِ ربك بالنعماء ضافية   على بنيك وحيّى ذلك العلما

٤ ـ قصيدة طانيوس عبده صاحب الراوي

يا دعاة الدستور الف تحية   وسلامًا يا دولة الحرية

هكذا هكذا بني الوطنية   هكذا تصبر النفوس الابية

فهنيئًا يا أمنا سورية

انتِ علمتنا المبادئَ حقاً   انتِ علمتنا تجدُّ ونشقى

فضربنا في الارض غربًا وشرقاً   وصبرنا للدَّين حتى استحقا

وبلغنا بصبرنا الامنية

ما رضينا طوعاً بذاك البعاد   بل كرهنا الحياة باستعباد

فعقدنا على الجهاد الايادي وجعلنا شعارنا بالجهاد
يا بني قومنا منى او منية

او لم نمزج المدامع بالدم لنوى الوالدين والخال والعم
واعتساف من ظالم ليس يرحم وحنين لبائس يتظلم
من ذنوب تشوّه البشرية

او لم ينقض الشباب جهاداً او لم نملأ الطروس انتقادا
او لم نجعل النفوس مدادا لا نعادي قوماً ولكن نعادي
في سبيل الدستور والحرية

ان غصبناه فهو بالشعب اخلق او يكن عن رضى فبالملك اليق
وهو في الحالتين صيغ من الحق وحده فالحق ليس يفرق
واجعلوا دينكم به الوطنية

ذاك ما طالما كتبناه قبلا فجزينا عنه اغتراباً وذلاً
وسجوناً ضاقت ونفياً وقتلا فغدا القول نفسه حين يتلى
يتلقونه تلقي التحية

ذلك اليوم يوم نلنا الفخارا وشمخنا بانفنا استكبارا
يوم بات الظلام فينا نهارا يوم كنا نرى الجميع سكارى
لا بخمر بل من حميا الحمية

قد رأينا الفتاة ذات الطهارة خرجت من وراء تلك الستاره
شغلتها عن النقاب البشاره فاستعاضت عنه بتلك الشاره
شارة للهلال عثمانية

ورأينا الاتراك اهل الحماسة ادهشوا الارض بالدها والسياسة
واستطالوا الى مقام الرئاسة فقضوا مأرباً اطالوا التماسه
دون ان يسفكوا دماء زكية

ورأينا بيروت ترقص تيهاً وبنوها يعانقون بنيها
بعد ان كانت التحيات فيها بالمدى اصبحت كأن ذويها
اخوة بالسلام والمدنية

ورأينا القلوب قبل الايادي نزعت للسلام والاتحاد

فغدا الآن كل حر ينادي ... يا لقومي نفسي فداء بلادي

فلنكن واحداً جموع الرعية

هو ذا الخاطبون حطوا الرئيسا ... صيروه بفضلهم مرؤوسا

هو ذا الكاتبون اعلوا النفوسا ... هو ذا الشيخ صافح القسيسا

واصطفاه بقبلة اخوية

يا بني قومنا هذه هناء ... انبذوا ما مضى وحيوا اللواء

قد تحررتم وبتم سواء ... فاضيفوا لمبدأين الاخاء

واجتنوا هذه الثمار الجنية

يا بني قومنا اذا ما ظفرتم ... فبذاك الجيش المظفر فزتم

ولحزب الاحرار فضل عليكم ... فاذكروا الفضل واعجبوا ما حييتم

بجلال الحمية التركية

يا بني قومنا الهلال تلالا ... وهو في افق مجده قد تعالى

فاجعلوا ذكره المقدس فالا ... وانصبوه بقلبكم تمثالا

بعد كم خطة الاخاء السوية

يا بني قومنا سلام غيور ... ما اشتهى غير نعمة الدستور

قد امنا بظله المشهور ... فهنيئاً لكل حر سوري

وهنيئاً يا امنا سورية

قصيدة حافظ في الدستور

سقط من قصيدة حافظ المنشورة في الهلال الماضي بيتان يأتيان بعد قوله :

وعلى رجال الجيش من ماش به ... الخ

وهما :

وعلى « نيازي » المصلحين و « أنور » ... المالكين أعنة الفرسان

الفاتحين ولم تسل ظباهما ... الخالدين على الوجود الفاني

نوابنا في مجلس المبعوثان

هذه اسماء نوابنا العثمانيين الذين حازوا الاكثرية في بلاد الشام الى حين كتابة هذه الاسطر :

ولاية بيروت

سليمان افندي البستاني ورضا بك الصلح	عن بيروت واقضيتها
فؤاد خلوصي بك من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي	عن لواء طرابلس الشام
الشيخ احمد افندي الخماش من علماء نابلس	« « نابلس
اسعد افندي شقير من علماء عكا	« « عكا
الامير محمد ارسلان من سراة لبنان	« « اللاذقية

ولاية سوريا (دمشق)

عبد الرحمن باشا محافظ موكب الحج وشفيق بك المؤيد ورشدي بك الشمعة ومحمد افندي العجلاني

متصرفية القدس

روحي بك الخالدي المقدسي وسعيد بك الحسيني وحافظ بك السعيد

فنهنئ حضرات النواب على ما حازوه من ثقة الامة في علمهم وصدق عثمانيتهم وهم لاريب من خيرة ابناء الوطن فلاغرو اذا علقت الامة آمالها بهم وعولت عليهم في تدبير شؤونها السياسية والادارية . ويجدر بنا ان نقدم حضراتهم الى القراء لولا اننا لا نعرف اكثرهم الا بالشهرة وسنعرفهم باعمالهم وثمار علمهم وصدق وطنيتهم في اثناء هذا الشتاء ان شاء الله وانما نكتفي بتقديم من عرفناهم من ارباب الاقلام

سليمان البستاني

لا نستطيع كتمان ما خامر فؤادنا من السرور لاجماع سراة بيروت على انتخاب صديقنا البستاني . ان البيروتيين لم يجمعوا على خير أجل من اجماعهم على هذا الانتخاب مع ما أُقيم في سبيله من العقبات . ورغم ما نعرفه في صديقنا المشار اليه من التجافي عن وسائل الترغيب أو التحريض . فاجماع البيروتيين على انتخابه بمجرد اختيارهم يدل على ارتقاء الشعور العام وتغلب الحرية الشخصية في تلك المدينة الزاهرة التي استقبلتنا

اطفالاً وكانت ملعب صبانا ومهد شبابنا • وهي أم المدائن السورية في العلم والتجارة



سليمان البستاني

والثروة لكثرة مدارسها واتساع تجارتها ونشاط اهلها • ولكنها اشتهرت في أثناء عصر الاستبداد بكثرة القلاقل والخصومات بين عامتها من المسلمين والمسيحيين • على انا لم يكد يعلن الدستور حتى رأينا اولئك العامة الذين ضربت الامثال بعتوهم ومشاغباتهم قد اصبحوا من حماة الامن ودعاة الحرية وتصالحوا وتعانقوا وتصافحوا مما لم يسمع بمثله في اكثر البلاد مدنية ورقيّاً وكانوا في مقدمة الفرحين بالبستاني

واعتبر ذلك ايضاً في خاصة البيروتيين وادبائهم فقد عرفناهم قبل الدستور فرقاً وطوائف مثل سائر اهل الشرق فرأيناهم في انتخاب البستاني قد نبذوا العصبيات واجمعوا عليه لانهُ في اعتقادهم ادرى المرشحين بحاجاتهم واوسعهم علماً فلم يمنعهم من انتخابه عصبية ولا مذهب ولا جنس اشترك في ذلك المسلم والكاثوليكي والارثوذكسي والماروني واليهودي — فهل اصابوا في ذلك الاجماع ؟ الجواب يكون طبعاً «قلما يتفق الجماعة على خطأ» وهو الواقع • ولكن البيروتيين انما اطلعوا من مناقب البستاني وفضائله على ما قرأوه في الصحف او سمعوه في

المنتديات وقلّ بينهم من عرف حقيقة الرجل . ولو عرفوها كما هي لغبطوا انفسهم على انتخابه

لو كنا في مقام تقريظ لعددنا ما يعرفه البستاني من اللغات او يعيه من العلوم والآداب او ما الفهُ من الكتب او الرسائل او ما نظمه من الشعر. على ان هذه على جلالة قدرها وندرة اجتماعها في رجل لا نعدُّها مزية كبرى بالنظر للنيابة عن الامة في مجلس المبعوثان . وانما مزيتهُ من هذا القبيل بمعارفه الاختبارية عن احوال الدولة مما عاناه بشخصه او شاهده بنفسه في اثناء اقامته السنين الطوال في الاستانة والعراق والشام اقامة وجيه عاقل باحث عرف اكثر رجال الدولة وعاشرهم او خبرهم او عاملهم . ودرس اهم بقاع المملكة العثمانية درساً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً فعرف كنوزها المدفونة . واختبر التجارة بنفسه واستطلع احوال الامة واغراض الدولة وسافر الى اهم مدائن اوربا واميركا واطلع على تقدمات الامم الراقية وعرف ما يمكننا اقتباسه منها . اضف الى ذلك علمه بتواريخ الدول والشعوب واسباب صعودها وهبوطها فتجد لهُ مزية يندر مثالها بيننا . وقد ساعده على ذلك ذاكرة ترتسم فيها الحوادث كما ترتسم الصور بالفوتوغراف

على ان هذه المعرفة ليست كل ما في الرجل من المزايا المؤهلة لهذا المنصب ولا هي اهمها فان المزية الكبرى التي نعلق عليها آمالنا ونرجو الخير من ورائها انما هي اخلاقه وسجاياه لان الذكاء والعلم أن لم يرافقهما اخلاق سامية استخدمهما صاحبهما في منافعه وملاذه ولو اضر بالآخرين . فالبستاني لا يعرف حقيقة اخلاقه الاعشيرة . وقد عاشرناه دهراً طويلا وصادقناه وعاملناه فلم نجد فيه الا صدقاً ووفاءً وحرية في الفكر والقول والفعل . يحاسب نفسه على لفظة فلا يقول جزافاً في جد ولا هزل . لايغتاب ولا يسمح بالاغتياب . لا تخرج الكلمة من فيه الاموزونة محكمة كانهُ سيحاسب عليها في مجلس القضاء

ومن مناقبه التي يسيء بعضهم فهمها انه قليل الكلام . اذا خاطبتهُ اجابك بهدوء وسكينة لا تسمع منهُ تأكيداً أو تشديداً وربما ظهر ذلك لغير العارفين من قبيل التردد او الضعف ولكنهُ فعّال لما يقول . واذا باحثتهُ في موضوع تؤانس منهُ ليناً في جداله فتستضعفه وتحسبه لايلبث ان يتحوّل عن رأيه فاذا خبرته رأيتهُ ثابتاً في ما يراه أو يعتقده مع اعتدال وروية

وهو واسع الصدر كثير الاغضاء ولذلك كثر اصدقاؤه ومريدوه وارتفعت منزلتهُ عند الاكثرين حتى جعلوه مستودع اسرارهم والحكم بينهم في كثير من شؤونهم . وهو لين العريكة مسالم يهمهُ اكتساب قلوب الناس اكثر مما يهمه اكتساب اموالهم شديد المحافظة

على سلامة سمته فتراه مع علو كعبه في العلم ليس له حساد . وترى اصحابه مجمعين على تعظيمه فلما نشر الياذته احتفلت الزالة السورية با كرامه بوليمة ذاع ذكرها في الخافقين وهو اول احتفال علمي بالشرق واصبح الاحتفال بالعلماء بعده عادة متبعة . ولمثل هذه المناقب اتحد البيروتيون في انتخابه فكان اول من جمعهم على خير وسيبقى ذلك جارياً ان شاء الله

هذا هو البستاني كما عرفناه بطول الاختبار. أما تأثيره في مجلس المبعوثان فنرجو ان يكون كبيراً لان اعضاء هذا المجلس على كثرتهم لا يرجى ان يكون بينهم من امثاله الا نفر قليلون عليهم تتوقف ادارة العمل . وليست الغلبة للمقاومة والمشاغبة وكثرة الكلام كما يتوهم البعض وانما هي للمعرفة الحقيقية . فكما كانت كلمة البستاني نافذة محترمة بين أصدقائه بلا صياح ولا جدال فستكون كذلك بين زملائه . ولا سيما في اللجان التي تؤلف لدرس المشاريع او اللوائح اذ يكون مجال الاقناع اوسع فتظهر الحقيقة مجردة عن زخارف الفصاحة او البلاغة

الدولة العثمانية قبل الدستور و بعده

ومما يدل على اهتمامه بشؤون الدولة واقتداره على خدمتها انه حالما اعلن الدستور وقبل ان يرشحوه لمجلس الامة اخذ في تدوين ما يعرفه من احوال الدولة ليعرضه على المجلس عند اجتماعه (بعد ان يترجم الى اللسان التركي) في كتاب سماه « الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده » صدر منه الجزء الاول وفيه خلاصة درسه الطويل واختباره الواسع في احوال الدولة العثمانية كتبه ولم يستشر كتاباً ولا راجع معجماً وانما دون ما حفظه مما خبره بنفسه . وقد حصر بحثه في الدستور وعلاقته بالحرية وموارد الثروة . فنظر اولاً في الدستور من حيث اصله وعلاقته بالاستبداد وبالحرية . واطال الكلام في الحرية وقسمه الى فصول في الحرية الشخصية وحرية الصحافة وحرية التعليم والتأليف والقراءة والمكاتبة والبوسطة وحرية الجمعيات والحرية ورجال الدولة . ثم عاد الى الدستور فنظر فيه من حيث علاقته بالخفية والتعصب ورجال الدين والمهاجرة ومأموري الحكومة ومالية الحكومة وموارد الثروة وتكلم في هذه الموارد من حيث الزراعة والمعادن والصناعة والتجارة والشركات وغير ذلك وختم الكتاب بفصل في نظرة عامة . واخيراً فصل في الدولة بعد ٢٥ عاماً

وقد وفى البحث حقه من كل وجه وسننشر في فرصة اخرى فصلاً منه على سبيل المثال . ونقول بالاجمال انه ضمن كل بحث زبدة ما علمه ان كان من حيث التاريخ او

السياسة اوالاقتصاد او الاجتماع وذكر ما يتراءى له من طرق الاصلاح مما يدل على اعتداله وتعقله . كقوله بعد كلامه عن الصحافة وشدة الضغط الذي كانت فيه قبل الدستور فانه طلب لها الحرية لكنه استدرك بقوله :

« واننا بلا ريب لا نطمع ولا نود ان نتخطى الآن الى ما وراء المعقول فنثب وثبة واحدة من وهدة المسكنة الاضطرارية الى قمة التهوّر الاختياري بل جلّ ما نتمناه ان تباح لنا رواية الاخبار وترديد صدى الافكار والنظر في شوون انفسنا من القاء درس مفيد وعرض مقترح جديد ونقد عامل أو عمل والبحث في كل ما من شأنه ان يلذّ ويهذب ويفيد . وعلى الجملة اطلاق الحرية الى مالا يفضي بها الى مثل الفوضى التي استحكمت بين بعض جرائد مصر لسنين مضت وهو لا شك ما ينظر اليه دعاة الدستور من الآن بعين الروية والتدبير »

وختم فصل حرية التعليم بقوله « ويجب تدريس التاريخ ولا سيما تاريخ البلاد العثمانية وجغرافيتها وتسهيل الطرق لطلبة جميع المدارس من اميرية ووطنية وأجنبية لفتح الاندية وعقد الاجتماعات ليشبوا جميعاً على حب التكاتف متعاضدين على العمل يداً واحدة »

ولما تكلم عن الدستور والتعصب ابدى رأيه في الوسيلة لضمان الاتحاد فقال « لو اتيح لنا ان نضيف رأياً الى تلك الآراء النيرة لقلنا ان اعظم الوسائل لضمان اضمحلال التعصب الديني تجنيد المسيحيين مع المسلمين . واعظم وسيلة لاضمحلال التعصب الجنسي تعميم اللغة الرسمية وجعل تعليم اللغة التركية اجبارياً . فان هاتين الوسيلتين مع تعميم اسباب العلم بالتهذيب يضمنان توثيق عرى التواد والاخاء »

وقس على ذلك آراءه في الزراعة وله فصل طويل فيها وخصوصاً في ري العراق وبين النهرين . ومندوبنا المشاراليه من اعرف الناس في ذلك لانهُ اقام هناك ودرس الري وله فيه مشروعات ومقايسات استفاد منها السير ولكوكس في مشروعه المشهور . واعتبر ذلك ايضاً في سائر موارد الثروة كالمعادن والصناعة وانشاء الشركات والسياحة وغيرها

روحي بك الخالدي

وقد عرفنا ايضاً من نوابنا ارباب الاقلام في مجلس المبعوثان صديقنا روحي بك الخالدي صاحب مقالة « الانقلاب العثماني » في هذا الهلال ويكفي الاطلاع عليها لمعرفة سعة علمه في احوال الدولة ودخائل سياستها . وقد عرفهُ القراء من قبل باسم « المقدسي » كذلك سمي نفسه في كتابه « تاريخ علم الادب » الذي نشر على حدة . غير مقالاته العديدة

في المواضيع المختلفة وكلها ابحاث جليلة تدل على علم واسع ونظر صحيح مع اخلاص في البحث. وكان القراء قبل ان عرفوا اسمه يعجبون بعلمه وفضله ويسألوننا عن حقيقة اسمه ولم يكن يأذن لنا باذاعة ذلك لانه كان قنصلاً جنرالاً للدولة العلية في بوردو بفرنسا . ومع اعتدال لهجته وتجنبه الطعن والقرص فقد كان يخاف تأويل اقواله ولا تطاوعه حميته على السكوت ففضل كتمان اسمه . وقد وقع الانتخاب عليه الآن نائباً عن القدس كما تقدم في صدر هذه المقالة وهو جدير بثقة منتخبيه — ويجدر باهل العلم ان يشرفوا على اعمال اهل السياسة شأن هذا العصر في الدولة العثمانية . ويشرف على الجميع جمعية الاتحاد والترقي التي ادهشت العالم بتعقلها ودهائها وفقها الله الى اتمام رغائبها في مصلحة الدولة والامة

وسنعود الى ابداء ما نرى اتخاذه من وسائل الاصلاح في فرصة أُخرى

باب السؤال والاقتراح

العادات والاخلاق

(مصر) فؤاد افندي الشدياق

اذا تربى الانسان في وسط سافل . ثم ارتقى الى درجة التعليم الصحيح . ايكسبه ذلك التعليم حياة جديدة تقضي على تلك الجذور السافلة ام تبقى آثارها فيه

(الهلال) ان ما يكتسبه الانسان من النشوء في وسط سافل ينقسم الى قسمين كبيرين احدهما يؤثر على اخلاقه والآخر على عاداته . لان الرذائل عديدة منها ما هو من قبيل الاخلاق الراسخة ومنها ما يكتسب بالعشرة الرديئة - فالكذب مثلاً لا يكتسب بالعشرة لانك تجد بين اسفل طبقات الناس المنغمسين في اقبح الرذائل اناساً لا يكذبون وربما جرتهم بعض الاحوال الى الكذب ولكنهم يفعلون ذلك عن كره ولا يعودون اليه الا مكرهين . وتجد من الجهة الاخرى اناساً نشأوا في بيوت الفضل ورضعوا الصدق مع اللبن وشبوا بين افضل الامهات واصدق الآباء وهم مع ذلك من اكذب خلق الله . فالكذب من الرذائل الخلقية بل هو ابو الرذائل كما ان الصدق ابو الفضائل . ومعنى ذلك ان الانسان يولد وفيه ميل الى احد الخلقين والتربية تكيف ذلك الميل تكييفاً ولكنها لا تنزعه ولا تضعه . وقس على ذلك سائر الاخلاق كالنشاط والهمة والكسل والفتور والتأني والتسرع

صحة العائلة

كيمياء المطبخ

٤ — ما بقي منه الاطعمة

مر بنا الكلام فيما مضى عن البيض واللبن واللحم ولكن غـذاء الناس لا ينحصر بهذه الاصناف وامامنا المملكة النباتية على اتساعها وهي تقدم لنا من بقولها وحبوبها واثمارها مالا يتناهى العدد وهو يختلف في تركيبه وطعمه وطريقة علاجه بالنار وله شرح طويل لا يسعنا الالمام به في هذه الفذلكة فمن اراد الوقوف على ما يتعلق به من حيث التركيب الكيمي ودرجة ملاءمته لحاجة الانسان من التغذية فعليه الرجوع الى مظانه الخاصـة في الموسوعات وغيرها . وفي الناس عدد غير قليل يقتصرون من الغذاء على النباتات اما عن عادة واما عن اقتناع بفائدتها وافضليتها ومنهم من يبالغ في تعداد مآثر بعض الاعشاب او الاثمار و يعزو اليها فضائل حبذا لو صحت كلها . فالتفاح على زعم بعضهم مقو للقلب وقد اجمع قوم على استعماله علاجاً لبعض الاحوال الخاصة وفي امركا وانكلترا نجد من الناس من يعالج داء المفاصل بعصير الليمون الحامض وهو امر سهل لولا كثرة المقدار الذي يضطر المريض الى اخذه منه فقد يصل في اليوم الواحد الى ٣٠ ليمونه فتأمل

ومن الامور المقررة ان العنب منق للدم و ربما كان التعليل عن ذلك ان بعض حوامض الاثمار تتحول في الدم الى كربونات بالتفاعل الكيمي ثم تمر في البول جارفة معها السموم وفضلات الاحتراق وهذا ما يدلك على منفعة الاثمار في المزاج الحداري

وقد بينا في غير هذا الموضع فضل الغذاء النباتي وتاثيره في الاخلاق والصحة والجمال واطالة الحياة فلا نعود اليه . ومهما يكن من امرها فالطبخ الذي نحن في صدده فرع من المهيجين اذا لم يعن به ويعمل بقواعده فاتت الفائدة المطلوبة من الطعام وقلت فيه خاصة التغذية او ضعفت

وهذه الفائدة المطلوبة من الطعام تتفرع الى ثلاث فوائد اولاً التغذية ثانياً التنبيه وهذا ما يفسر لك كيف يؤثر الطعام في تنشيط الجسم قبل ان يتم هضمه فقد تاكل احياناً قطعة لحم مستوفاة شروط الطابخ والعناية فلا تكاد تستقر في بطنك حتى تشعر بتجدد

فواك وهذا الشعور ناتج عن الطعم والرائحة وقوام الغذاء وطريقة طبخه لا عن درجة صلاحه للتغذية · ثالثاً تمليح الجسم وهذا ما تجده خاصة في البقول والخضر والاثمار

فالغاية من الطبخ حفظ هذه الخواص الثلاث الموجودة في كل اكلة وانمائها وتطبيقها على حاجات كل فرد من حيث الذوق واستعداد المضم · ولذلك يختلف الطبخ حسب طبقات الناس واحوال المعيشة فلا يكون عند الاغنياء والمترفهين كما هو عند باقي الناس الذين يجهدون اجسامهم وعقولهم في العمل فهم قادرون على هضم ما يأكلون وتمثيل ما يهضمون ولا خوف عليهم ان تصيبهم سلسلة الامراض التي تنتج عن بطوء الاحتراق او التمثيل في الدم كالنقرس والحصى والديابيت وما شاكل

ومما يجب النظر فيه والاهتمام بالاخذ به ان المضغ وظيفة من وظائف المضم مركزها الفم فلا يجب ان نستعيض عنه بالطبخ كما في بعض الاحوال التي تحول فيها المآكل الى كتلة رخوة غير متماسكة الاجزاء لا تستدعي اقل عمل في الفم كما في البطاطس مثلا Purée فان تناول المآكل على هذه الصورة وان كان اخف نزولا على المعدة قد لا يكون اخف هضماً لان سهولة بلعه وعدم الحاجة الى مضغه يقلل مدة مكوثه في الفم فلا يتسنى للعاب ان يفعل عليه ولا للذوق ان يستفيد منه ونتيجة ذلك عدم انبساط المعدة لاستقباله وتكاسل الامعاء في ضمه · اذ لا يخفى ان تهيج القابلية من اعظم الوسائل العاملة في المضم ولا يتم هذا التهيج الا برائحة الاكل وطعمه المتعلق بالذوق وقد عرف فسيولوجياً ان الذوق يتكون وينمو بافراز اللعاب وامتزاجه باللقمة لتذويب خواصها · ولك برهان على ذلك اذا اخذت قطعة من السكر مثلاً وقربتها من طرف لسانك فانك لا تشعر بحلاوتها الا بعد حين اذ يفرز الريق ويمتزج بها فيفعل على عصب الذوق ويكون ما يسمونه الطعم

والسوائل نفسها تستفيد ببقائها في الفم حيناً وهـذا ما حدا ببعض الاطباء الى الاشارة باستعمال الخبز اليابس مع الحساء لان ذلك يقضي بابقاء مرق اللحم مدة في الفم فيفعل عليه الريق قبل البلع · وكما يجب المحافظة على المضغ يحافظ على حالة البقول فلا يبالغ في طبخها لان النار اذا طال فعلها عليها ذهبت بطعمها الطبيعي فيضطر الطاهي الى التعويض عنه بكثرة الملح والبهارات

ولا ريب ان التفنن في الطبخ قد افضى بالناس الى افساد تركيب الطعام ونزع قسم من مواده المغذية · فالمآكل بوجه الاجمال اوفر نفعاً متى كانت على حالها الطبيعية او قريباً منها بشرط ان تكون سهلة المضم · ولا تقتصر صحة التغذية على نفي بعض المآكل دون

بعض بل هناك مبادي تحطها لنا الفائدة المثالة التي نتطلبها من وراء الطبخ اي التغذية والتنبيه والملوحة وعلى هذه المبادىء تفضل الخبز الاسمر على الابيض فان الطحان يبيض القمح كما يبيض الطاهي الخضر وهذا خطأ مبين . ان في خبز الشعير ونخالة القمح التي يحتقرها الناس غذاء للشباب يستفيد منه الفاعل الذي يعمل بيديه والفاعل الذي يعمل بفكره وقلمه فان المادة الليفية الموجودة في النخالة تنبه القناة الهضمية وتحارب الامساك . ناهيك بما فيها من الاملاح النافعة للجسم ولكن لا يجب ان ينتقل المتعود على الخبز الابيض الى الاسمر الا تدريجاً

والبطاطس مثلاً انها خبز الفقير وغذاء المزاج الحداري يجب ان يؤخذ مطبوخاً او مشوياً لا مسلوقاً كي لا يخسر شيئاً من خواصه . وكذا قل عن باقي الخضر فان طبخها يجب ان يحفظ لها عصيرها لا كما تعودنا ان نغسل فتسلق في الاول ثم يرمى ماؤها

اما الاثمار والبقول فلا بأس من اخذها على حالها دون ان تمر على النار بشرط ان تغسل جيداً وتنشف بعد ذلك . ولا نأنف من اكل القشور فهي تحوي اكثر من اللباب املاحاً ورائحة عطرية ثم هي تحمل الآكل على اجادة المضغ . ان الياف النبات الاخضر وغلافه وبزره وقشرة الاثمار كلها من الاهمية بمكان لما يترتب عليها من تنبيه القناة المضمية وما يلحق ذلك من تجديد القوى ولا صحة لما يتوهمه البعض من ضرر حجمها بل بالعكس فهي بشغلها فراغاً كبيراً تساعد عمل المضم والافراز لان الكتلة المتمشية في الامعاء اذا كانت ضخمة كانت اشد فعلاً على تحريك الامعاء واسهل تمشياً فيها فتمنع القبض وتسهل الابراز وعلى هذه الطريقة يداوي بعضهم اليوم الامساك المستعصي . وقشر الاثمار غني بالسكر وافضل طريقة لاخذ هذا الاخير هو اكل الاثمار مع قشرها

هذا ما عن لنا ابداؤه في موضوع الطبخ نقلاً عن ابحاث العارفين ملتزمين جانب الايجاز . وعلى الجملة فالطبخ كالفضيلة يجب التوسط فيه لا تفريط ولا افراط

الاسكندرية الدكتور نقولا فياض

الدولة العثمانية قبل الدستور و بعده

وصفنا هذا الكتاب لمؤلفه البستاني في كلامنا عن نوابنا في مجلس المبعوثان في هذا الهلال وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٢ غرشاً وأجرة البريد غرشان



الجزء الرابع من السنة السابعة عشرة

١ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٩ و ٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٦



مدحت باشا

ابو الاحرار

ولد سنة ١٨٢٢ وتوفي سنة ١٨٨٣

ان ترجمة مدحت باشا عبارة عن تاريخ الانقلاب العثماني لانهُ رحمه الله رافق اهم الحوادث السياسية في زمن السلاطين عبد المجيد وعبد العزيز وعبد الحميد وكان لهُ دخل في اكثرها ولا سيما المطالبة بالدستور ووضع القانون الاساسي وخلع السلطان عبد العزيز . ولذلك سموه ابا الاحرار او ابا الدستور فرأينا ان ننشر ترجمة حاله نقلاً عن اوثق المصادر ومنها الترجمة التي وضعها ابنه علي حيدر مدحت بك بعد اعلان الدستور بالامس وما عرفناه بنفسنا . فنقسم الترجمة الى قسمين الاول سيرته الى آخر زمن السلطان عبد العزيز والثاني سيرته في زمن السلطان عبد الحميد الحالي . ونذيل الكلام بوصف الرجل واخلاقه كما يظهر من سيرة حياته والاسباب التي دعت الى فشله في مشروعه

١ - سيرته الى آخر زمن عبد العزيز

١ — نشأته الاولى

ولد مدحت في الاستانة سنة ١٨٢٢ ووالده الحاج علي افندي اصله من روستشوك . نشأ مدحت في حجر ابيه ولم يتلق من العلم في صباه الا المبادئ الأولية وكان ينتقل مع ابيه ويقيم حيثما اقام حتى استقر في الاستانة سنة ١٨٣٦ وشب هناك وفيه ذكاء وهمة . واهل الهمم والمطامع في ذلك العهد كانت تتوجه رغائبهم الى خدمة الحكومة فأُلحق مدحت اولاً بسكرتارية الصدارة العظمى في الاستانة وتنقل منها إلى مناصب مختلفة في الولايات فاقام في دمشق سنتين ثم عاد الى الاستانة سنة ١٨٤٤ وبرحها الى قونية سكرتيراً لمجلس تألف تحت رئاسة سامي بكير باشا . وارتقى سنة ١٨٤٩ الى سكرتير ثاني لمجلس الولاية وفي سنة ١٨٥١ صار سكرتيراً اول له

واتفق ان قبرصلي محمد باشا قائد جند الشام اساء التصرف في بعض الشؤون المتعلقة بالاموال غير الاميرية في دمشق وحلب فاقتضت الحال انتداب من يتحرى الاسباب و يحكم بما يتراءى له فانتدبوا مدحت فسافر وبعد ستة اشهر عاد وقد نظم مسألة الجمارك هناك وردَّ الى خزينة الدولة ١٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية . واثبت اشتراك القائد المشار اليه في الاضطرابات التي حصلت واشار بعزله . واظهر مدحت في قضاء هذه المهمة ذكاء واقتداراً استلفتا انتباه الصدر الاعظم رشيد باشا فولاه منصباً هاماً في المجلس العالي فبقي في ذلك المنصب اثناء صدارة رشيد باشا وعالي باشا ورفعت باشا . وفي هذا المنصب عرف دخائل الامور واطلع على المخابرات المهمة التي دارت بين رفعت باشا وهو وزير الخارجية والبرنس منتشكوف مندوب قيصر الروس قبل حرب القرم

وفي سنة ١٨٥٤ افضت الصدارة الى قبرصلي محمد باشا الذى كان مدحت قد اشار بعزله عن الشام فاراد الانتقام لنفسه من ذلك الشاب الجريء فعهد اليه حل اعقد المسائل السياسية وادقها يومئذ وهي مسألة البلقان . وكانت ثائرة وقد تكاثرت فيها العصابات المتمردة فوكل اليه تسكين الثورة وتنقية البلاد من العصابات . فذهب في هذه المهمة ونجح فيها نجاحاً باهراً . ولما عاد من سفرته كان رشيد باشا قد رجع الى الصدارة ودارت المداولة بينه وبين عالي باشا بشأن منح الولايات العثمانية استقلالاً اداريًا (decentralisation) واخذ في وضع القوانين اللازمة لذلك . فقدم مدحت تقريره عن مهمته فاعجب الصدر

الاعظم باقتداره فعقد له على اهم ولايات الطونة (بلغاريا) على ان يجرب فيها الاستقلال الاداري فحدث تغيير فجائي في الوزارة حال دون كل اصلاح

وتعين بعد مدة قصيرة مندوباً خصوصيًّا لتفتيش ولايتي ايدين وسيلسترية لانهما كانتا قد تمردتا على الدولة فقضى تلك المهمة كما قضى مهمة سوريا من قبل واطلع بذلك على مواضع الضعف في نظام الولايات ورأى الخلل السائد فشكى الولاة فسعوا لدى الباب العالي في تبرئة انفسهم فامر السلطان عبد المجيد يومئذ باعادة النظر. وخاف العقلاء ان يتغلب الباطل فرفع خير الدين افندي احد العلماء المشهورين في الاستانة تقريراً ايد به اقوال مدحت

وتوفي رشيد باشا سنة ١٨٥٨ وخلفهُ عالي باشا فاعطى مدحت اجازة ستة اشهر يقضيها سائحاً في أوربا يتفقد احوال دولها و يدرس نظام بعض الادارات الاوربية . فسافر وهو في السادسة والثلاثين من عمره فزار باريس ولندن وفينا و بروكسل . وامتاز بين رجال الدولة من ذلك الحين بمهارته الخصوصية في تدبير شؤون الولايات فلا تحدث ثورة او اضطراب او خللٌ في ولاية ويحتاجون الى من يصلحها الا انتدبوه لذلك

فانتدب مرة أخرى لتدبير شؤون بلغاريا وكان اهلها المسيحيون قد خافوا على حياتهم واموالهم فاخذوا يهجرونها بعائلاتهم واموالهم والجند لا يستطيع منعهم . فعهد بذلك الى مدحت ومنح رتبة الوزارة (١٨٦٢) فسافر وفي عزمه ان يصلح الامور بالمسالمة . فحالما وصل الى بلغاريا بعث الى اعيان البلاد وجمعهم في مؤتمر عرضوا فيه شكواهم فطلب اليهم ان يشتركوا معهُ في اصلاح الحالة . وكانت شكاياتهم ترجع الى امرين رئيسيين : الاول خلو البلاد من وسائل النقل والمخابرات التي تساعد الاهالي ولاسيما المزارعين على نقل حاصلاتهم وتصريفها . والثاني شيوع اللصوصية والعصابات المتمردة حتى اصبح الناس لا يأمنون على ارواحهم ولا اموالهم . ولهذين السببين فضل البلغاريون الهجرة الى بلاد الصرب لانها اقرب الى الامن

فرأى مدحت انهم محقون في شكواهم فاخذ يبحث مع اولئك الاعيان في سبل الاصلاح واشار عليهم ان يستخدموا نفوذهم اولاً في ايقاف الناس عن المهاجرة وعاهدهم على اصلاحات وافقوه عليها . وقد برَّ بوعده فاعاد الجند الى معسكراتهم واخذ في تنظيم الطريق الاعظم بين نيش وصوفيا وفروعه الكثيرة . وبذل جهده في مطاردة العصابات وانشأ الجسور وغيرها وبالجملة لم يغادر أمنية يحلم بها البلغاريون الا حققها لهم . واقام نقطاً عسكرية على الحدود تمنع تعدي الصربيين . فلما تمت هذه الاصلاحات عادت العائلات البلغارية

من مهاجرها الى مواطنها · وادخلت اصلاحات كثيرة اثرت في اخلاق القوم وعاداتهم · وألف فرقة الجندرمة ونظم تحصيل الضرائب ومنع الاضطهادات الدينية وانشأ المدارس والمستشفيات للبلغاريين بلا تمييز بين اديانهم او طبقاتهم · فاستتب الامن وتعاقد القوم على السعي في مصلحة بلادهم

٢ — تنظيم اعمال البلقان

ان ما ادخله مدحت باشا من الاصلاح في بلغاريا وفي ايدين وسيلسترية وقع وقعاً حسناً لدى الباب العالي في صدارة فؤاد وعالي خليفتي رشيد باشا · فاستقدماه الى الاستانة سنة ١٨٦٤ للمداولة في نظام جديد يضعونه للولايات وقوانين يجري عليها الولاة · فاعدوا ذلك النظام وقرروا ان يعهد الى مدحت تنفيذه في ولايات سيلسترية وإيدين ونيش على ان تحد كلها باسم ولاية الطونة (١٨٦٥) رغم مقاومة حزب التقهقر بايعاز سروري افندي — ولهذا الرجل شأن في الحكم على مدحت سيأتي ذكره

وخلاصة النظام المشار اليه قسمة الولاية الى سبعة سناجق وقسم السنجق الى اقضية والقضاء الى نواحي وفي كل ولاية مجالس خصوصية لوضع الاموال الاميرية وجمعها وتولى مدحت هذه الولاية على هذا الطرز · والى السخرة ومهد ٢,٠٠٠ كيلو متر من الطرق وبنى ١,٤٠٠ جسر وانشأ سفناً تجري في الطونة (الدانوب) عليها العلم العثماني وابطل اللصوصية ونظم جندرمة وانشأ مصارف وطنية لتسليف فقراء المزارعين

وقاعدة هذا النظام اشتراك الاهالي في تدبير شؤون بلدهم مع الحكومة في تقدير الاملاك وتعيين خراجها فلا يحصل فيها حيف · فباتت تلك الولاية بسعادة استلفتت انظار اهل الاستانة الى مدحت فجاءته التهاني من المابين والباب العالي · وصدرت الاوامر الى سائر الولاة في المملكة العثمانية ان يجعلوا نظامات ولاياتهم مثل نظام مدحت في ولاية الطونة فتوسم الناس مستقبلاً مجيداً لهذه الدولة

وانتبه مدحت ايضاً الى امر ذي بال كان سبباً في اكثر متاعب الدولة في البلقان وذلك ان بعض البلغاريين كانوا يرسلون ابناءهم للتخرج في جامعات اودبسا او خركوف اوكيف وكلها في بلاد الروس فكانوا يتشربون حب الجنس السلافي ويعودون لبث تلك الروح في الاهالي فيثيرون التعصب الجنسي أو الديني فيعود ذلك بالقلاقل والمتاعب على الدولة · فارتأى مدحت ان يتلافى ذلك بانشاء المدارس العالية في الولاية نفسها بحيث يغني

الناس عن ارسال ابنائهم الى الخارج فضلاً عن تآلف الشبان على اختلاف مذاهبهم اذا شبوا في مدرسة واحدة وتربوا تربية واحدة • ورفع بذلك لائحة للباب العالي وقسم النفقات اللازمة لهذا العمل الى نصفين النصف يؤخذ من فضلات الخراج في الولاية والنصف الآخر يكتتب به الاهالي

فلما وصلت هذه اللائحة الى الاستانة علم بها اغناتيف سفير روسيا في لاستانة فقاومها بكل قوته لانها تخالف الترتيب الذي رتبه الروس لتحويل قلوب البلغاريين عن دولتهم • وبذل جهده في ايغار صدر السلطان عبد العزيز على مدحت فاوهمه ان الخطة التي يتخذها في الولايات تنافي سيادة الخليفة المطلقة وتأول الى تشتت شمل المملكة العثمانية باستقلال كل ولاية بشؤونها • فلم يصغ السلطان لوشايته في بادىء الرأي لكنه وفق الى غامطة وقعت في لائحة نشرها مدحت في الجريدة الرسمية يطلب فيها تعيين اعضاء مجالس الاهالي المشتركين مع الحكومة في تدبير شؤون الولاية فسماهم « نواب » ولم يغفل اغناتيف عن تنبيه ذهن السلطان الى ذلك فاقتنع بسوء عاقبة تلك البدع وابى المصادقة على طلب مدحت تجنباً للنفقة ولم يذكر السبب الحقيقي

فذهبت اعمال مدحت في سبيل الاصلاح ادراج الرياح وايد اصحاب اغناتيف غرضه باستنهاض بعض العصابات في البلقان للتعديات ونحوها • فما احس مدحت الا وقد ظهرت عصابات فتكت بالمسلمين وقتلت اطفالاً من الرعاة فنهض المسلمون لمثل هذا العمل في المسيحيين فركب مدحت بنفسه وقبض على بعض المتمردين من النصارى فوجد باستنطاقهم انهم رسل من جمعية السلاف في بوخارست وفي كشنو فحكم المجلس على الرؤساء بالاعدام وعلى الآخرين باحكام اخرى فانقضت الثورة وعادت السكينة • على ان جرائد اوربا شددت النكير على تصرف القضاء العثماني في هذا السبيل وعدوا احكامه بربرية ونسبوها الى مدحت فبرأ نفسه • لكنهم لم يعدموا وسيلة اخرى لنكايته وذلك انه سمع برسل سرية قادمة من غلاتزالى بلغراد لدس الدسائس واعداد مشاكل جديدة فقبض عليهم على ظهر باخرة نمساوية عند روستشوك وبعث صورهم الى قنصل النمسا وطلب اليه ان يأذن بفحص تذاكرهم واخذت الضابطة العثمانية في تفتيشهم ومعها مندوب من القنصلاتو النمسوية فاطلق أحد الرسل مسدساً على الضابطة في قاعة السفينة فاجابهم العثمانيون والتحم الفريقان وانجلت الواقعة اخيراً عن القبض على اولئك الدساسين وقد جرحوا اجراحاً بليغة فكان لهذه الحادثة دوي في اوربا واتخذ اغناتيف ذلك ذريعة لطلب اقالة مدحت

فلم يفلح فاخذوا يسعون في قتله سراً فاطلق عليه احدهم في روسنشوك رصاصة اخطأته . وحاول سربي قتله ففشل ولما قبض عليه وسئل عن سبب عمله قال ان اثنين من كبار السرب اغروه على ذلك فحوكم الرجل وعوقب

وبعد هذه الحوادث بقليل (١٨٦٨) استدعي مدحت الى الاستانة ليتولى رئاسة مجلس انشأوه حديثاً فاتاها ولكن وقع اختلاف في الرأى بينه وبين عالي باشا الصدر الاعظم في بعض الشؤون فاعتزل مدحت باشا الرئاسة على ان يتولى ولاية بغداد سنة ١٨٦٩

٣ — اصلاحاته في ولاية بغداد

شخص مدحت الى بغداد فوجد فيها من المشاكل غيرما في ولاية الطونة اعني مسألة التجنيد . وكانت من المشاكل الصعبة لان القبائل العربية التابعة لولاية بغداد لم تكن ترضخ لحكم التجنيد . وكانت يومئذ قد تمردت على الدولة حتى عجزت عن اخضاعها لتفرق الكلمة بين والي بغداد ومشير جندها . ولم يكن اخضاعها ممكناً الا اذا كانت القوتان العسكرية والادارية في يد واحدة فاخذ مدحت على نفسه الجمع بين القوتين وعزم على اخضاع الثائرين بالقوة ولم يكلفه ذلك الا الحزم والشدة فاذعن الثائرون صاغرين بسرعة ادهشت الباب العالي فسماه مشير الفيلق السادس ووالي بغداد

وكان الولاة قبله يقاسون في تحصيل الضرائب من اولئك العرب عذاباً شديداً فتحدى الشدة في تحصيلها بقوة الجند وقد افلح . ولكنه اعمل فكرته في حال اولئك البدو فوجد اذلالهم بالقوة يفضي الى تجديد التمرد فرأى ان يتخذ في اخضاعهم طرقاً أخرى فعمل على تغيير نظام ملكية الارضين فيهم . وذلك ان الفلاح العربي كان يدفع للحكومة اجرة الارض التي يستثمرها وثلاثة ارباع غلتها وفي ذلك حيف عليه فقسم مدحت الارض الى قطع عرضها للبيع بشروط سهلة فلم تمض مدة يسيرة حتى ذاق ثمر ذلك العمل اذ تكاثر دخل الحكومة وقل تمرد العربان وزادت غلة الارض فزادت حركة الاعمال الأخرى . وكان من نتائج ذلك تسيير السفن في دجلة والفرات وتسهيل المواصلات بين المدن القائمة على ضفافها

وكانت ادارة السفن هناك بيد شركة انكليزية تشتغل بين بغداد والبصرة فالف مدحت شركة عثمانية ورمم السفن القديمة واوصى على سواها واختزن لها الفحم في مسقط وعدن وبندر عباس وبوشهر . وكانت هذه السفن اول سفن عثمانية عبرت قنال السويس الى

الاستانة . فرأى مدحت نجاح ذلك العمل فوسعه واوصل تلك البواخر شمالاً الى آخر ما يستطاع من شواطئ النهرين فعمر كثير من البقاع واتسعت الارض المزروعة . وعزم على ردم البقاع التي كان قد أغرقها الفيضان فعلقت الآمال ان يعود العراق الى خصبه في الدولة العباسية

وانشأ مدحت خط تراموای بين بغداد والكاظمية طوله سبعة كيلومترات وابتنى معملاً للنسج تام الادوات وانشأ المدارس في كل قضاء وشاد المستشفيات والملاجئ . فتكاثرت البيوت المالية كالمصارف ونحوها . وانشأ مطبعة تطبع فيها جريدة الزوراء الرسمية وشكل مجالس بلدية في امهات المدن . واكتشفوا في اثناء ولايته منجماً للبترول فسهل الانتفاع به . فتقدم العراق على يده تقدماً مدهشاً . وقدم شاه الفرس سنة ١٨٧٠ لزيارة النجف وكربلاء مزار الشيعة فاغتنم مدحت تلك الزيارة وقرر اشياء كانت محل نظر بين الدولتين وفي جملتها تعديات الاكراد على ما يمرون به في طريقهم الى تركيا . فاتفقت الدولتان على انشاء نقط عسكرية عند الحدود على نحو ما فعل عند حدود السرب من قبل . وبلغه ان في بعض مزارات الشيعة بنجد كثيراً من الجواهر والتحف اجتمعت هناك من هدايا الهنود والفرس ولا فائدة من اختزانها فاشار مدحت باستخراجها وبيعها وهي تساوي نحو ٣٠٠٠٠٠٠ ليرة عثمانية على ان تصرف في انشاء خط حديدي بين حدود ايران وبغداد او باقامة المستشفيات والمدارس وغيرها فابى علماء الشيعة عليه ذلك فاغفل المشروع

وجملة القول لم يدخر مدحت وسيلة لاحياء العراق اقتصادياً واداريا وادبياً فضلاً عن تحسن العلائق مع الامم المجاورة . من ذلك انه حمل مشائخ الكويت على الاعتراف برعاية الدولة العثمانية بعد ان امتنع ذلك على سلفه نامق باشا . والكويت تبعد عدة اميال من البصرة على شاطئ نجد . وهي فرضة تجارية تحكمها اسرة الصباح واصلهم من نجد لا يداخل في شؤونهم احد وهم يتعاطون التجارة البحرية مع شواطئ الهند وفارس وافريقيا واحتكروا مغاوص اللؤلؤ في البحرين . وكانوا ينصبون على سفنهم علماً خاصاً بهم وربما نصبوا علماً هولنديا او انكليزياً لغرض من الاغراض . فما زال مدحت يخابرهم بالحسنى حتى قبلوا برفع العلم العثماني على شرط الاستقلال بادارتهم وسائر شؤونهم الداخلية فاصبحت الكويت من ذلك الحين سنجقاً من سناجق ولاية بغداد . وفعل نحو ذلك بنجد وغيرها والبحرين مما يطول بنا بسطه . وفي كل عمل منه دليل على علو همة

مدحت باشا ورغبته في تأييد الدولة العثمانية

فزادت واردات العراق وتعددت السفن العثمانية التي تمخر في تلك البحار ولم يكن للدولة هناك قبل فتح قنال السويس الا دارعتان قد افسدهما الاهمال فاصلحهما في بمباي وأضاف اليهما سبعاً أخر وعشراً لسلك الانهر ووسع مرفأ البصرة . فاعترفت له الدولة بالفضل بكتاب جاءه من الصدر الاعظم عالي باشا مؤرخاً سنة ١٨٧١ يثني فيه على همته لتسهيل طريق الحرمين وارسل اليه السلطان سيفاً مرصعاً وقد نقش عليه كلمة « نجد »

واتفق في اثناء ذلك ان الاستانة تبدلت احوالها بموت رجليها فؤاد وعالي وبينهما ثلاثة اشهر وكانا زعيمي الاصلاح ينصران مدحت في مطاليبه واقتراحاته فاتفقت وفاتهما على اثر عودة السلطان عبد العزيز من سياحته في اوربا . ولم تكسبه تلك السياحة شيئاً من رغبة ملوك اوربا في الاحكام الدستورية والرجوع الى الشورى . لكنها اكسبته التصريح بما كان يخالج ذهنه من كره المشيرين من الوزراء وعاد الى تكليف الماثلين بين يديه بما كان يكلفهم به اجداده القدماء . وتوسع من الجهة الاخرى في النفقات الباهظة على الدولة وعلى قصده قام بابتناء الدوارع وانشاء القصور الرخامية على شاطئ البوسفور وهو لا يقدّر للنفقات عاقبة ووافقه على ذلك الصدر الاعظم نديم باشا تملقاً له والتماساً للنفوذ عنده . ففسدت الاحوال وتبدلت النيات وامتد ذلك طبعاً الى الولايات . ولما قلت الاموال في خزائن الاستانة بعثوا يطلبونها من الولايات ويلحون في طلبها ولو ظلموا الاهالي في تحصيل الاموال مضاعفة . فآل ذلك طبعاً الى ايقاف المشروعات النافعة فيها فضاق مدحت ذرعاً عن احتمال ذلك فاستقال من ولاية بغداد ورحل الى الاستانة

وعلم حال وصوله اليها ان الارادة صدرت بتعيينه والياً على ادرنة فعدّ ذلك نفياً لا ولاية فطلب مواجهة السلطان فاذن له وانطلق لسانه في تلك المقابلة فافاض بما يكنه ضميره من الانتقاد على الحكومة وبين ضعف الدولة والخطر المحدق بها . فاثرت اقواله في السلطان حتى عزل الصدر الاعظم نديم باشا وولى مدحت مكانه سنة ١٨٧٣ فوجد حوله اعواناً نشيطين اهل نزاهة منهم رشدي باشا الشرواني وجميل باشا وصادق باشا فشرع قبل كل شيء بتنظيم المالية وهو عمل شاق لاختلال الحسابات وسوء ادارتها وكثرة التلاعب فيها

فاخذ في تحقيق كل حادثة ومن جملة ذلك مبلغ ٥٠٠،٠٠٠ اجنيه خرجت من الخزينة ولم يعرف مصيرها ثم ثبت انها دخلت على الصدر السابق نديم باشا . فطولب بها رسمياً بين يدي المجلس فادعى انه انما اخذها ليدفعها الى القصر السلطاني . ثم سعى نديم

بمساعدة والدة سلطانة واصدقائها في المابين حتى افسدوا نية السلطان على مدحت فامر بنفيه الى ادرنة ومنها الى طرابزون وعاد نديم الى نفوذه . فانقسم رجال الدولة بذلك الى حزبين احدهما مدحت ومريدوه الاحرار وفيهم جماعة كبيرة من العلماء وكل الشبيبة العاقلة في الاستانة والولايات . والحزب الآخر نديم ووالدة سلطانة ورجال المابين . ومن اكبر انصار هذا الحزب اغناتيف سفير روسيا بالاستانة وكان له نفوذ في المابين . ومما جعل السلطان ينفي مدحت ايضاً تصديه لنقد اعمال جرت على يد سلفه وفيها خسارة على الخزينة ومن جملتها امتياز سكة حديدية اعطي للبارون هرش افسد مدحت العقد به

٤ ــ خلع عبد العزيز

غاب مدحت عن الاستانة بضعة اشهر قضاها في سلانيك ثم عاد الى الاستانة وتولى فيها وزارة العدلية ورئاسة مجلس الشورى لكنه اضطر الى الاستقالة لانه رأى الوزارة سائرة على طريق يؤدي الى خراب الدولة . وقد بين ذلك بكتاب بعث به الى سكرتير السلطان (الباشكاتب) في شوال سنة ١٢٩١ (سنة ١٨٧٤) واعتزل الاعمال ولجأ الى منزل له بجوار الاستانة اقام فيها يترصد تبدل الاحوال فلم يرها تزداد الا فساداً وخللاً وكثر تبديل الصدور فلا يقيم الصدر منهم الا بضعة اشهر . وممن تناوبوا الصدارة في ذلك العهد محمد رشدي باشا وشرواني رشدي باشا واسعد باشا ولم يستطيعوا اصلاحاً . ولم يرض بالحالة كما هي الا محمود نديم باشا فتولى الصدارة والمالية في ضيق لا مثيل له . ومع ان الدولة لم تكن دخلت في الدين الاهلي الا منذ عشرين سنة فقد هددها الافلاس وشعر بذلك الخطر اصدقاء الدولة من الدول الاخرى وصرحوا به على منابرهم واشار بعضهم بالمداخلة في شؤونها فخاف عقلاء الامة عاقبة هذا التصريح

وحدث في صدارة اسعد باشا مناوشة على حدود الجبل الاسود آلت بالاهمال الى فتنة او ثورة عامة . وكان اسعد باشا حسن النية لكنه ضعيف الرأي فساء التصرف واظهر الضعف لدى الدول فزادت الثورة سعيراً وتوسطت روسيا والنمسا فاقيل اسعد وخلفه نديم باشا سنة ١٨٧٥ ولم يستطع هذا اخماد الثورة . فما زالت تنتشر حتى بلغت حدود البلغار واحس البرنس ميلان صاحب السرب بضعف الدولة فطلب ان تتحول امارته الى مملكة واخذ يهيء معدات الحرب عند الحاجة وفعل نحو ذلك المرسك . وفي اوائل السنة التالية تضاعف الخطب بثورة البلغار وكان الجنرال اغناتيف لا يترك فرصة في اثناء ذلك لم يغتنمها لتمشية اغراضه . فتفاقم الخطب وساد الاضطراب في المملكة العثمانية واصبح العقلاء

ينظرون الى هذه الحالة نظرة اليأس . فدخل ربيع سنة ١٨٧٦ وبلغاريا والجبل الاسود والهرسك تتقد بنيران الثورة والسرب قد تهيأت لحرب بقيادة ضباط من الافرنج . وهمت رومانيا بان تقتدي بها . والصدر الاعظم يصغي الى دسائس اغناتيف فينقلها الى السلطان وهذا لا هم له الا الانغماس في ملذاته . والدول الاوربية من الجهة الاخرى فتحت المسألة الشرقية وطلبت الاجتماع للنظر فيها واخذت المذكرات والمنكرات تتساقط على المابين كتساقط المطر . ولم تكن تلك الاحتجاجات الخارجية اقل خطرًا على الدولة من الاضطرابات الداخلية

في هذه الظلمات المدلهمة انبثق نور ضعيف من منزل مدحت باشا مجتمع عقلاء الاحرار . وكان مدحت في اثناء تلك الاضطرابات يفكر في وسيلة لانقاذ الدولة وقد لقي سفير انكلترا وامرَّ اليه رأيه في جعل الحكومة العثمانية دستورية لانها اذا ظلت سائرة على هذه الخطة ذهبت الى الدمار لا محالة . واظهر امله ان انكلترا تأخذ بيده في تأييد هذا الطلب وأنه انما يقتدي بها في هذا النظام لانها أم الدول الدستورية . فاجابه السفير جواباً مبهماً لكنه مُشجعه على عادة رجال السياسة في مثل هذه الحال . وعقب هذه الحادثة تجمهر العلماء (الصفتاء) وتصديهم للبرنس يوسف عز الدين بن السلطان في طريقه الى نظارة الحربية وتقدموا اليه ابلاغ والده ان الشعب يطلب عزل محمود نديم الصدر الاعظم وحسن فهمي افندي شيخ الاسلام . فاجاب السلطان هذا الطلب فعزلهما وولى محمد رشدي باشا للصدارة وحسن خير الله افندي للمشيخة . وكان رشدي شيخاً طاعناً في السن واكثر مدحت من التردد اليه ففهم القوم ان هذه الصدارة سيديرها مدحت فاستبشروا ولكن فرحهم لم يطل لان السلطان عين في فروع الادارة اناساً من الطاقم القديم والناس لا يزدادون بذلك الا طلباً للدستور على لسان العلماء . واذاعوا على رؤوس الملأ ان تعاليم القرآن تأمر بالشورى ومن خالفها لا تجب طاعته . فاصبح مركز السلطان في خطر وما زالوا حتى خلعوه

٥ — كيف خلعوه

والعامل الرئيسي في خلعه حسين عوني باشا وزير الحربية وكان جندياً شجاعاً هماماً حازماً شديد الغيرة على دولته مع حدة في مزاجه ومضاء في عزيمته . وكان قد تولى ارقى المناصب العسكرية ثم نفاه السلطان عبد العزيز من الاستانة — وكان يكره محمود نديم ويخافه ولم يكن يدرك حقيقة الحكومة الدستورية كما ادركها صديقه مدحت لكنه كان كثير

الاعتماد على آرائه . وتبادل الوزراء الافكار فاقروا على خلع السلطان ولكي يكون خلعه شرعيا استفتوا شيخ الاسلام حسن خير الله افنــدي فافتاهم بالخلع وهذه صورة الفتوى :

« اذا كان زيد الذي هو امير المؤمنين مختل الشعور وليس له المام في الامور السياسية وما برح ينفق الاموال الميرية في مصارفه النفسانية في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها وقد اخل بالامور الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة وكان بقاؤه مضراً بها فهل يصح خلعه ؟ الجواب يصح كتبه الفقير حسن خير الله »

فلما حصل الوزراء على هذه الفتوى اسرعوا في تنفيذ قرارهم وقام بتدبير ذلك عوني ورشدي ومدحت . واختلف مدحت وعوني في اسلوب الخلع فكان مدحت يرى ان تصادق الامة على الخلع اولاً . وأما عوني فكان يرى ان الخلع يجب ان يكون حالاً على عادة العسكرية في سائر احكامها . فاشار مدحت ان يجتمع العلماء واعيان اسطانبول في مسجد نور عثمانية يبدون اسف الامة ويطلبون ابدال النظام الحالي . فوافقه على هذا الرأي اكثر الوزراء و عينوا لتنفيذ القرار يوم ٣١ مايو وكادوا يعملون به . لكن طرأ امر اوجب الرجوع الى رأي عوني — وذلك ان امرأة من نساء يلدز اتت مدحت في ٣٠ من الشهر المذكور واخبرته ان مؤامرتهم كادت تكتشف للسلطان . فخاف مدحت العاقبة اذا لم يبادر الى العمل . وتحقق قول المرأة لان السلطان دعا عوني باشا اليه مرتين في ذلك النهار مع انه ادعى المرض فلم يقبل السلطان عذره . فاقر الوزراء على المبادرة في تلك الليلة الى خلعه ففي منتصف ليل ذلك اليوم خرج رشيد ومدحت وبين يدي كل منهما خادم يحمل فانوساً والليلة ممطرة حتى اتيا سركجي فركبا قارباً الى باشا لياني حيث يقيم عوني باشا على البوسفور . وكان عوني في انتظارهما على احر من الجمر فتفاوضوا وافترقوا وذهب عوني نحو سراي طولمه بغجه وسار رشدي ومدحت الى السر عسكرية . وكانوا قد قرروا ان يجتمع كبار الموظفين الملكيين والعسكريين في ساحة السر عسكرية ينتظرون مجيء السلطان مراد . وكان عوني مكلفاً باستقدامه . وانهم عند وصوله يبايعونه وينادون باسمه سلطاناً وان يشعلوا ناراً على برج السر عسكرية يعلم منها اهل الاسطول في البحر بتنصيب السلطان الجديد فتطلق الدارعة (احمد باشا) المدافع ايذاناً بذلك .

فمشى عوني الى السراي حيث التقى بسليمان باشا احد مشيري الجند وكانا قد

تواعدا ليتماونا على تدبير امر الخلع • وكان سليمان من اقرب اعوان عوني وانجد انصار مدحت • وكانت الجنود المقيمة في طاش قشله وغيرها قد تلقت الاوامر من رديف باشا قومندان فيلق الاستانة ان تكون على الاهبة لمنع اي اقتراب من جهة البر وكان الاسطول بقيادة ناظر البحرية نفسه قيصرلي احمد باشا وقد اعطي الاوامر بقطع الطريق عن القصر من جهة البحر • واصطحب سليمان نخبة من رجاله الذين يثق بامانتهم وبسالتهم تحت قيادة الضباط احمد بك وبدري بك ورفعت بك • وبعد ان رتب هذا الترتيب توجه الى قصر البرنس مراد • وكان مراد عالماً بما اعدوه وعزموا عليه لكنه لم يعلم بتقديم الميعاد المضروب فلما جاء سليمان في تلك الليلة وطلب اليه ان يخرج معه الى عوني وانه ينتظره بباب القصر ليرافقه الى السر عسكرية حسب الموعد ظن في الامر دسيسة • على انه مالبث ان تحقق الواقع فاطاعهما وسار معهما في طريق السر عسكرية

أما سليمان فتقدمهما لاتمام المهمة الكبرى التي لابد منها قبل كل شيء وهي تبليغ السلطان عبد العزيز الخلع • فلما اتى القصر السلطاني (طولمه بغجه) اعترضه الخدم فاجابهم انه يطلب مقابلة السلطان لامرهام فاخذوه اليه • فبلغه سليمان ماجاء من اجله وقرأ عليه الفتوى بخلعه فغضب السلطان وانتهر سليمان ولكنه ما عتم ان سمع المدافع تطلق من الدارعة (احمد باشا) فتحقق وقوع القضاء وادرك حقيقة مركزه وسلم نفسه لسليمان فابلغه انه مكلف بنقله من سراي طولمه بغجه الى سراي طوب قبو ليقيم فيها

وعند ذلك نودي بالسلطان مراد سلطانا فقر الوزارة كما هي واضاف الى حاشيته الخصوصية كمال بك وابا الضيا بك وكلاهما من كبار انصار الحرية والدستور • وبوجودهما في الحاشية يأمن الوزراء من الدسائس التي تعوّد المفسدون نقلها الى السلطان

وطبيعيٌ ان الاحرار لم يدبروا هذا التدبير الا وقد اخذوا على السلطان مراد المواثيق ان يعلن الدستور الذي اعده مدحت ورفاقه • فكادت تحقق آمال الاحرار ولكن حال دون تلك الامنية عارضٌ أوقفها دهراً طويلاً • وذلك ان عوني باشا لحظ في السلطان مراد في الليلة نفسها التي رافقه فيها من قصره انه مضطرب واصابته نوبة عصبية • وبعد الاحتفال بمبايعته في اثناء رجوعه الى سراي طولمه بغجه زادت فيه الاعراض العصبية وكان معه مدحت باشا فرأى من الحكمة ان لا يفارقه فمكث معه ثلاثة ايام واستشار الاطباء فاشاروا بعلاج وحمية ولم يخبروا العلة فاتفق في اثناء ذلك حادثتان ازعجتا السلطان وزادتا علته وهما :

٦ ـ موت عبد العزيز

الاولى موت عبد العزيز : وذلك ان هذا السلطان اقام بعد خلعه خمسة ايام . وفي صباح ٥ يونيه طلب من خادمه الخصوصي فخري بك مقراضاً ليقلم اظافره ويصلح لحيته . فتردد حيناً في اجابة طلبه ثم عرض الامر على والدة سلطانة فامرت ان يعطى المقراض الذي يطلبه . واتفق بعد حين ان بعض نساء الحاشية اشرفن من احدى النوافذ على المكان الذي كان عبد العزيز فيه فرأينه جالسا على كرسي وظهره محوّل ورأسه مدلى الى الامام فاسرعن الى الباب فلم يستطعن فتحه وظنن سوءاً فابلغن والدته فامرت بخلع الباب فدخلوا فرأوا عبد العزيز ميتاً وقد نزف دمه من جرحين في ذراعيه ورأوا المقراض بجانبه الايسر كانه استخدمه بيمناه لقطع اوعية اليد اليسرى ثم اراد استخدامه باليسرى لقطع اوعية اليد اليمنى فلم تسعفه قواه ان يتم العمل جيداً

فاستقدموا الاطباء حالا فاثبتوا انه ميت وخاف الوزراء العاقبة فامروا بلجنة من الاطباء تتولى فحص الجثة فاجتمع ١٧ من امهر اطباء الاستانة فاقروا بالاجماع ان الموت انما كان بالانتحار ولا يمكن ان يكون بسواه وكتبوا بذلك شهادة مؤرخة في ٤ يونيو سنة ١٨٧٦ ثم دفنت الجثة في مقام السلطان محمود بعد غسلها . فلما بلغ السلطان مراد خبر هذه الفاجعة أثرت على اعصابه تأثيراً كبيراً

٧ — واقعة حسن الشركسي

ثم وقعت حادثة حسن الشركسي فاتمت عليه — وكان حسن هذا من ياوران عبد العزيز واراد عوني ابعاده فامره بالسفر الى بغداد ليلحق بجندها فابى واخذ يشيع اتهام عوني بقتل السلطان كما اتهم بخلعه فامر عوني بالقبض عليه وسجنه . فارسل حسن بعد يومين يقول انهُ مستعد لاطاعة اوامره بالسفر الى بغداد لكنه يستأذنه في البقاء بضعة ايام بالاستانة ليتاهب للرحيل فاذن لهُ . ففي يوم ١٥ يونيو وهو اليوم المعين لسفره ذهب الى بيت عوني وطلب مقابلته بالحاح فقالوا انه سار الى منزل مدحت باشا للاجتماع بسائر الوزراء فذهب الى اسطانبول ونزل في مطعم تناول فيه بعض الخمر ثم تحول الى منزل مدحت في طوخان طاش فوصله نحو الساعة العاشرة وقد اجتمع الوزراء وهم عشرة ومعهم شريف مكة وقد هموا بافتتاح الجلسة

دخل حسن الدار كما يدخل صاحب المنزل الى منزله فسأله الحرس عما يريده فقال انهُ مسافر في الغد الى بغداد وعنده امور هامة يريد عرضها على السرعسكر عوني باشا قبل سفره

فاجابه الحارس ان ذلك لا يتأتى الا بعد انفضاض الجلسة · فوقف حسن ريثما غافل الحرس ووثب الى السلم وتسلقه ليدخل الى قاعة الجلسة فمنعه خادم مدحت ونادى خادم عوني باشا ليشتكي هذا الشركسي لرئيسه · فصعد الخادم لمقابلة عوني وتبعهُ حسن لتحقق مجلس كل من الوزراء ولم ينتظر الاذن · فدخل وسلم سلاماً عسكريًا ثم اشار الى عوني أن لا ينتقل من مكانه واطلق عليهِ المسدس فاصاب صدره فتناثر الوزراء فرارًا من القتل ولجاوا الى غرفة أخرى الا ناظر البحرية فانه حاول ان يقبض على ذراع حسن فافلت منهُ وجرحه جروحاً كثيرة في يديه ومنكبه · وكان عوني لا يزال فيه رمق فنهض يطلب السلم فادركه حسن وطعنهُ طعنات عديدة وعاد الى القاعة وخاطب الصدر الاعظم وهو في الحجرة الاخرى قائلاً : « اني احتاج الى قيصرلي سلمه اليّ فلا أوذيك بشيء » · فلم يجبه فلما يئس ولم يظهر لهُ احد جمع ابسطة القاعة وكراسيها وأوقد فيها النار فادركه رجل من رجال مدحت باشا اسمهُ احمد اغا وطعنهُ في قفاه طعنة مميتة فاطلق عليه حسن المسدس في عينه فاماته واطلق رصاصة ايضاً على ناظر الخارجية · فقضى حسن في هذه المعركة نصف ساعة اجري فيها مذبحة وهو فرد وهم جماعة وعاش الى اليوم التالي واعترف انهُ انما جاء لينتقم من عوني باشا وانهُ يأسف لمقتل رشيد وزير الخارجية فحكموا عليه بالاعدام فمات قبل تنفيذ الحكم

٨ — خلع السلطان مراد وتولية عبد الحميد

فلما بلغت هذه الواقعة الى السلطان مراد زاد اضطراب عقله وبعد ان كان الاطباء يرجون قرب شفائه رأوه بعيدًا عنهُ فانقسم رجال الدولة بالنظر الى هذا الحال الى قسمين قسم يرى استبقاء السلطان مراد وانتظار شفائه وهم الصدر الاعظم محمد رشدي ومدحت واكثر زملائهم · والقسم الآخر اشاروا بخلعه وتولية من يخلفه وزعماء هذا الحزب داماد محمود جلال الدين باشا صهر السلطان ورديف باشا مشير فيلق الاستانة ومشيران آخران ممن يرغبون في الرجوع الى الحال القديم فقد كانوا اصحاب النفوذ فيه والدستور لا يوافق مطامعهم ولا هم يفهمون معنى الدولة والامة · وكان هذا الداماد مجردًا من العلم كثير الحب لذاته يكره الاصلاح لانهُ يرفع اناساً كانوا دونهُ وانما رفعته عنهم المصاهرة · فهؤلاء وغيرهم سعوا جهدهم في خلع مراد لعلة المرض وقد ساعدهم الشرع على ذلك تداخل السفراء وألحوا في تسوية الحالة الحاضرة لانهم لا يأمنون على مصالح دولهم والدولة في هذا الاضطراب واشاروا بخلع مراد وتولية عبد الحميد · وسعى الداماد في اثارة خواطر اهل

الاستانة لتأييد هذا الطلب وان الحاكم اليوم على الامة ليس السلطان خليفة الرسول وانما هو مدحت باشا ورشدي باشا · فلم يبق بدٌّ من خلع مراد · ولكن مدحت ورفاقه رأوا ان يأخذوا المواثيق على السلطان الجديد قبل مبايعته فقرروا ان يذهب مدحت بنفسه الى موصلو اوغلو حيث يقيم البرنس عبد الحميد افندي ويستطلعهُ رأيه في الاصلاح الذي اخذوا في ادخاله من حيث الدستور وغيره حتى اذا خالفهم في ذلك عرضوه على اخيه رشاد افندي · وقد قام باستطلاع رأي رشاد في هذا الشأن امرأة مدحت بطريقة سرية

اما الشروط التي عرضوها على البرنس عبد الحميد اذا تولى السلطنة فهي :

(١) ان يعلن الدستور حالاً

(٢) ان لا يستشير في اعمال الدولة الاَّ مشيريه المسؤولين

(٣) ان يعين ضيا بك وكمال بك سكرتيرين خصوصيين للسلطان مع سعد الله بك رئيس السكرتيرية (الباشكاتب)

فاجاب مطالبهم بكل رضا ووعد باكثر منها وان يوسع النظام الدستوري الى اكثر مما يطلبون · وقال انهُ يتخلى عن العرش حالما يشفى اخوه مراد من المرض · فعاد مدحت الى اسطانبول وبلغ الوزراء نتيجة زيارته فاقروا على خلع مراد وتولية عبد الحميد ولم يكن لهم بدٌّ من فتوى الخلع فاستصدروها من خير الله افندي شيخ الاسلام فخلعوا مراداً وولوا السلطان عبد الحميد الحالي في اول سبتمبر سنة ١٨٧٦

وسنأتي على تاريخ مدحت في عهد السلطان الحالي بالهلال القادم

اهم المؤلفات العربية

في نظر القراء

اقتراح

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما أُلف في العربية من صدر الاسلام الى الآن أي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره أفيد سائر الكتب العربية والذها · ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر اسماء الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

تاريخ الحكومة الدستورية

في اوربا

كثر تحدث الناس بالدستور والحكومة الدستورية على اثر ما ناله العثمانيون من هذه النعمة بكيفية لم تسفك بها دماء ولا ضاعت بها حقوق وقد دخلت في دور جديد واصبحت من الدول الحية بعد ان يئس الناس من حياتها · فرأينا ان نأتي على فذلكة في تاريخ الحكومة الدستورية في اوربا اي كيف نالت دول اوربا الدستور للمقارنة بين احرارها واحرارنا وان كان للبادىء فضلٌ يغتفر بجانبه النقص والكمال لله

١ — تاريخ الحكومة الدستورية في انكلترا

١ — اصل البرلمان

انكلترا اقدم الحكومات الدستورية بلا نزاع ولذلك سموها « ام المجالس النيابية » فالانكليز اول من عقد مجلساً نيابياً في اوربا وسموه بارلمان Parliament وهو لفظ فرنساوي الاصل كانوا يطلقونه في زمن لويس السابع ملك فرنسا باواسط القرن الثاني عشر على مجتمعات رجال الدولة فاستعار الانكليز هذه اللفظة في اواخر القرن الثالث عشر واطلقوها على مجلس نواب الامة · واقدم ما نعلم من امر هذا المجلس انهُ بدأ في الظهور من اواسط القرن الثالث عشر في زمن هنري الثالث اذ تقرر ان ينتخب ١٢ نائباً لينوبوا عن العامة في المجالس النيابية التي تقرر يومئذ ان تلتئم سنوياً · ثم صار ذلك قاعدة واتسعت دائرة ذلك المجلس واختصاصاته بتوالي الاجيال حتى بلغ نحو ما هو عليه الآن في اوائل القرن الثامن عشر على عهد الملك جورج الاول فالثاني · ولم يكن له قانون مدون وانما هو يجري على احكام العادة والتقاليد والقوة فيه موزعة بين ثلاثة عوامل · اولها الملك بحق الارث والثاني مجلس اللوردات او الاعيان وهؤلاء كانوا يتولون مناصبهم بالارث · والثالث مجلس النواب او العموم وهو مؤلف من اعضاء ينتخبهم الاهلون

وكان عمل البرلمان قاصراً يومئذ على سن القوانين وتقرير ميزانية الدولة وللملك الحق بانتخاب الوزراء والقيام بالسلطة التنفيذية ولم يكن مسؤولاً ولا يزال كذلك الى الآن · فاذا

اتى عملاً يخالف القانون كان الحق على مشيريه الذين لم يحسنوا المشورة لان وزراءهم المسئولون دونه لدى البرلمان . فكان الملك يستوزر زعيم حزب الاغلبية في مجلس النواب ويفوض اليه اختيار زملائه وان يبقي متوليًا الحكم مادامت له الاغلبية في البارلمان وهكذا تكون السلطة برمتها للبارلمان وليس الملك والوردات الا صورة

وقد تطرق التغيير الى هذا النظام على عهد جورج الثالث سنة ١٧٦٠ وخصوصاً في خلال الحرب مع فرنسا فانصرف الملك الى القيام بحقوقه وشرع يختار الوزراء على ما يريد ولو كانوا من غير اصحاب الاغلبية في المجلس وقد يفصلهم متى حازوا الاغلبية . وكان يحضر مجلس الوزراء ويجبرهم على الانصياع لما يريد . كان يستعين على ذلك بالاحزاب السياسية التي كانت تأخذ بناصره . وكان الانكليز يومئذ حزبين كبيرين احدهما الاحرار ويسمونهم Whigs والثاني المحافظون وكانوا يسمونهم Tory فاذا تغلب حزب المحافظين تغلب الملك لانهم اشياعه يسلمون له بادارة السياسة واذا تغلب الاحرار ضعف نفوذه

ظلت انكلترا منفردة بهذا النظام الى سقوط بونابرت سنة ١٨١٤ ورجوع ملوك اوربا الى عروشهم واستتباب السكينة بعد تلك العاصفة السياسية التي زعزعت اركان العالم المتمدن وشغلت جنوده وساسته دهرًا خاف الملوك في اثنائه على تيجانهم ورجال الدين على صوالجتهم وشغل كل منهم بنفسه . فلما انقضت تلك العاصفة بعد واقعة وترلو وهدأت الاحوال وعاد ملوك اوربا الى عروشهم اخذوا في اصلاح نظام حكوماتهم فاعجبهم نظام دولة الانكليز الدستوري فاقتبسوه كما سيجيء ولكن للبرلمان الانكليزي تاريخاً جديدًا بعد ذلك التاريخ يحسن ايراده وهو

٢ — البرلمان الانكليزي بعد سنة ١٨١٥

لما حدثت الثورة الفرنساوية في اواخر القرن الثامن عشر وسفكت فيها الدماء وقتل الملك شر قتلة زعزعت اركان الكنيسة وضبطت اموال الاغنياء وقلب النظام والتاج والانكليز ينظرون الى ذلك و يرون هوله فاصبحوا يكرهون كل تغيير . فقضوا ثلاثين سنة لم يدخلوا تغييرًا على نظامهم فظلوا محافظين على شؤونهم الى سنة ١٨١٥ اذ استتب الصلح فاخذ الانكليز في الاصلاح الداخلي بما قام في نفوسهم من الاعتزاز بالتغلب على بونابرت بعد ان اقلق راحة اوربا . فاخذوا يفكرون في تجديد النظام البرلماني بحيث تزيد فيه سلطة مجلس النواب و يقل نفوذ الملك وكانت مطالب الاصلاح ترجع الى اربعة فصلها سينوبوس وهي : [1]

(١) في كتاب تاريخ التمدن الحديث تحت الطبع في مطبعة الهلال

اولاً — اصلاح قانون العقوبات الذي كان منه ما سنّ في القرن السادس عشر وفيه الشيء الكثير من الاحكام الصارمة المملوءة بالقسوة كالعقاب بالوسم والربط بالعامود والجلد وحكمه بالقتل عقاباً على نحو مئتين من الذنوب . وفي جملة ما هنالك ان من الجنايات الكبرى ان يسرق الانسان ما قيمته خمسة شلنات من احد الحوانيت وان يأخذ ارنباً من زريبته او ان يقطع شجرة — فنال الطالبون بعض الاصلاح المقصود سنة ١٨٢٠ .

ثانياً — اصلاح الطريقة الاقتصادية التي وضعها كرومويل وتمت خلال حروب الامبراطورية وبها يحظر على الاساكل الانكليزية قبول غير السفن الانكليزية وكانت الرسوم على البضائع الاجنبية فادحة وفي منتهى التشويش بحيث اقتضى لاستيفاء ذكرها الف ومئتي مادة . ومنع ايضاً استيراد الحبوب الى انكلترا ما لم تبلغ الاثمان حداً مرتفعاً مع انه ليس في البلاد من القمح ما يكفيها . فتمّ اصلاحها بين سنة ١٨٢٣ وسنة ١٨٢٨

ثالثاً — اصلاح الشؤون الدينية لان الاديان كانت تحت طائلة الاضطهاد المسنون في القرن السابع عشر اذ كان الكاثوليك يحرمون من الوظائف ولا ينال احدهم حق التوظف نائباً في البرلمان لانهُ كان يطلب من كل من يتقلد منصباً التصريح بما يخالف شيئاً من معتقد الكاثوليك . فتقرر اعتاق الكاثوليك سنة ١٨٢٩

رابعاً — الاصلاح في الانتخاب وهذا لم ينالوهُ الا بعد مرور زمن طويل . فظلوا على النهج القديم الموضوع منذ القرن الرابع عشر . كان النواب ينتخب بعضهم من جمعيات المقاطعات (الكونتيات) المؤلفة من الملاكين في كل المقاطعات وينتخب بعضهم من سكان بعض المدائن الممتازة . الا انهُ لم يتغير شيء منهُ منذ العصور الوسطى لا في توسيع انتخاب النواب ولا في الطريقة الانتخابية ولهذا كان الانتخاب كله مفاسد واختلال

٣ — اصلاح طرق الانتخاب

كانت مراكز النواب في بادىء الامر موزعة على الاهلين توزيعاً غير منتظم فان ايرلندا كانت تنتخب مئة نائب من اصل ٦٥٨ نائباً . وتنتخب اسكتلاندا خمسة واربعين نائباً وبلاد الغال ٢٤ وترسل انكلترا وحدها ٤٨٩ عضواً . حتى ان التوزيع بذات انكلترا لم يكن عادلاً مضبوطاً فالعشر المقاطعات الواقعة في جنوب انكلترا وليس فيها الا ثلاثة ملايين من النفوس كانت تنتخب ٢٣٧ نائباً بين ان غيرها من البلاد يبلغ عدد اهلها ثمانية

ملايين من النفوس ينتخبون ٢٥٢ نائباً واسكوتلاندا وعدد اهلها مليونان ترسل ٤٥ نائباً . اما بلاد كورنواليس وسكانها ثلاثمائة الف رجل يمثلها ٤٤ نائباً

واغرب من ذلك عدم التساوي بين المقاطعات والمدائن فالمقاطعات وفيها معظم الاهلين لم تكن تستنيب الا ١٨٦ نائباً بين ان المدائن تنتخب ٤٦٧ . وانكى من هذا ان مقاطعة ميدلسكس التي تحتوي تقريباً على كل مدينة لوندرا لم يكن لها من النواب اكثر مما لاهل اولد ساروم التي لم يبق فيها سوى عائلة واحدة . ولم يكن في معظم المدائن من المنتخبين الاعدد ضعيف فكان لستة واربعين مدينة اقل من ٥٠ منتخباً ولتسع عشرة مدينة اقل من ١٠٠ منتخب ولستة واربعين مدينة نحو مئتي منتخب وكان اربع وثلاثون مدينة خالية من السكان منذ العصور الوسطى . ولم يكن بها هيئة انتخابية فهي مدن خربة — اعتبر ذلك بمدينة باراستون فان فيها بيتاً واحداً ومدينة كاتون صارت حديقة وبلدة دينو يش غمرتها المياه منذ عصور . ومع ذلك ظلت جميعها ترسل نواباً عنها (وعادتها ان تستنيب عنها نائبين) . وعلى عكس ذلك المدن التي نشأت منذ القرن السادس عشر كليغربول ومنشستر التي ينيف عدد سكان الواحدة منها عن مئة الف نفس فانها كلها لم تستنب احداً وقد احصوا انه في سنة ١٧٩٣ كان في مجلس العموم ٢٩٤ عضواً انتخبتهم المجالس الانتخابية وعدد المنتخبين فيها بكسر الخاء اقل من ٣٦٠ رجلاً وان اغلبية المجلس كانت منتخبة من اقل من خمسة عشر الف صوت

فنتج من ذلك ان النواب وبالاولى ان يقال نواب المدن لم يكونوا بحقيقة الحال ممثلي الامة وانما كان انتخابهم برأي الحكومة أو اصحاب الاملاك في المدن بحيث كان ٤٢٤ مركزاً من الـ ٦٥٨ في المجلس تحت نفوذ ٢٥٢ شخصاً من النافذين او من الحكومة بحيث اصبح اولئك النافذون سادة يتصرفون بتلك المراكز فيختارون لها من يريدون من النواب اذا لم يختاروا ابقاءها لانفسهم او لاولادهم فيمنحونها لمريديهم . وفي سنة ١٨٢٩ ارغم الدوك دي نيوكاسل (صاحب مدينة نيوارك) احد نواب هذه المدينة على الاستقالة وطلب من الاهلين انتخاب رجل يخصه . وكان المنتخبون من مزارعيه ولكن تجرأ منهم ٥٨٧ منتخباً فاعطوا اصواتهم لمن كان يناظرهم فطردهم الدوك جميعاً من املاكه ولكن تشكى بعضهم الى مجلس العموم فاجاب الدوك على الشكوى قائلاً « الا يحق لي ان اعمل في املاكي ما اشاء واختار » ؟ — وفي الاحايين كانوا يبيعون منصب النيابة . واتفق في نهاية القرن الثامن عشر ان كثيرين من الانكليز اثروا في الهند (ناباب) او بالتجارة فنالوا بثروتهم منصب النيابة

في المجلس اذ طمحت اليه نفوسهم كانها طرفة من الطرف . فكان لنيل ذلك المنصب ثمن يصعد ويهبط حسب الاحوال

وزد على هذا ان المدن والمقاطعات التي كان منتخبوها احرارًا مستقلين يغلب فيهم ان يكون عددهم قليلاً . فلم يكن في كل اسكوتلاندا الا ٢٥٠٠ منتخب . فتجد احدى المقاطعات تعدُّ تسعة منتخبين بينما تجد الاخرى ذات ٢١ منتخبًا ولا يسكن المقاطعة الا واحدٌ منهم فقط . وحدث يومًا ان عقدت جمعية الانتخاب في مقاطعة بوت فلم يحضر لدى المأمور Sherif الا منتخب واحد فترأس الجمعية واعلن افتتاح الجلسة واستدعى المنتخبين باسمائهم فلم يكن من جوابٍ الاعن نفسهِ بنفسهِ ثم تكلم عن ذاتهِ مترشحًا للانتخاب ثم للاقتراع فتم انتخابه بالاجماع !

وكان الانتخاب يجري على الشكل القديم وذلك ان يصعد المترشحون الى دكة عالية ويخطبون في الناس لا يبالون بالصراخ والضوضاء وكان من العادة المتبعة ان يقدموا المشروبات للمنتخبين عند ما يجتمعون ولو من احزاب متباينة في الخلاء ويقع الصخب والتضارب احيانًا كثيرة . وقد يدخل ما بين المنتخبين اناس لا حق لهم بالانتخاب . وطريقته هي ان يدعوهم المأمور للاقتراع برفع اليد ثم يعلن النتيجة التي كانت كثيرًا ما تعرف من قبل اذ ينحصر الترشيح في شخص واحد . ولكن اذا تعدد المترشحون طلب المناظرون الاقتراع كتابةً فيأخذ كل منتخب باعلان اسم منتخبه بصوت جهوري فيدوَّن ذلك في سجل وقد يستمر هذا الاقتراع على مدى اسابيع

وجعلوا منذ القرن الثامن عشر يشكون من فساد هذا الانتخاب وانهُ ازداد فسادًا بازدياد الثروة وان المجلس الذي من خصائصه تمثيل الامة اصبح لا يمثل الا البيوتات النبيلة وذوي الثروة الطائلة وكان الاحرار يطلبون الاصلاح في كل سنة تقريبًا من سنة ١٨٠٧ الا ان المحافظين الذين كانت لهم الاغلبية من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٨٣٠ كانوا يرفضون مايطلب من الاصلاح

فانصرف الاحرار الى اكتساب الرأي العام يستميلونه الى الاصلاح وكان الاوساط الى ذلك العهد قلما يكترثون بالسياسة وكان المجلس يعقد جلساته سرًّا والجرائد قليلة الانتشار . الى ان حدث تغيير مهمٌ في اواخر القرن الثامن عشر وذلك ان سكان المدن اخذوا في النمو السريع منذ انتعشت الصناعات وازدهت باستخدام الآلات فنشأ بين الناس رغبة شديدة في استطلاع الاخبار لذلك وانشئت من سنة ١٧٦٩ الى سنة ١٧٩٢ ست جرائد كبرى

يومية اخذت تروي ما يحدث في المجلس من المباحث والاراء . وفي سنة ١٧٥٣ كانت تبيع من نسخها سنوياً سبع مليونات فصارت سنة ١٨٠١ تبيع ١٦ مليوناً وسنة ١٨٢١ زادت المبيعات الى ٢٥ مليوناً ونشأ سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨٠٩ مجلتان احداها للاحرار وهي مجلة ابدنبرج والاخرى للمحافظين وهي مجلة كوارترلي . وفي سنة ١٨٠١ بدات الصحف تنشر اعمال المجلس وسنة ١٨١٥ شرع اشياع الحزبين يهيجون افكار العامة بعقد اجتماعات سياسية حيث كان الخطباء ينتصبون على الدكاك او على المركبات ويخاطبون الجمهور بما يرون . وكان يسبق عقد تلك الاجتماعات او يعقبها مرور اشياع الحزب موكباً في الاسواق يحملون الاعلام والاعلانات ومن ثم كانوا يؤلفون منتديات سياسية يكتتب اعضاؤها بمال يجمعونه ثم يختارون منهم رجالاً يؤلفون لجنة تقوم بنشر ارائهم واستمالة الجمهور للاصلاح الذي يطلبونه وعلى هذا النمط تأسست عام ١٨٢٣ الجمعية الكاثوليكية لالغاء القانون الذي وضعه البارلمان سنة ١٦٧٣ ضد الكاثوليك واسمه Test Law وفي سنة ١٨٣٠ انشأت جمعية بيرمينهام لاصلاح الانتخاب . وهكذا نشأ في انكلترا قوتان جديدتان هما الجرائد والراي العام فقامتا ازاء نفوذ الملك وكبار النبلاء وصيرتا الاغلبية في جانب الاحرار وايدتا سلطة البارلمان فاصبح الناس لهذا اليوم لا يستطيعون ان يفقهوا للبارلمان معنى من غير وجود الصحف والراي العام ويقولون عن اهم الجرائد الانكليزية (التيمس) انها السلطة الرابعة وعن الراي العام انه ولي الامر

على ان هذا التغيير في العادات والمناهج ادى الى اصلاح الانتخاب سنة ١٨٣٢ لان الملك جورج الرابع الذي اصر على حفظ القديم مات سنة ١٨٣٠ والاحرار انضموا الى المحافظين الغضاب فنالوا الاغلبية وشرعوا يطالبون الاصلاح . وكان رئيس وزارة المحافظين من القادة الطاعنين في السن وهو الدوك دى ولنكتون الظافر في وترلو فصعد يوماً منبر المجلس وقال انه لم يتصل به برهان يوجب تغيير طريقة انتخاب النواب وزاد على ذلك قوله اذا فوضوا اليه وضع شريعة لاحد البلاد فانه لايجد افضل من الشريعة الحاضرة لان الطبيعة الانسانية قاصرة عن الاتيان بما يشبه سموها . وعقب هذا الخطاب اقتراع المجلس ضد الوزارة فاستقالت وخلفتها الوزارة الحرة فظلت سنتين حتى نالت الاصلاح المطلوب مع انها عرضته ثلاث مرات . اما اصلاح سنة ١٨٣٢ فقدتم بالاتفاق لان القوم لم يكونوا يريدون وضع طريقة تؤسس فقط على عدد السكان فاحتفظوا بطريقة التصويت العمومي ولكنهم جزموا ان لا يدوم الاقتراع اكثر

من يومين واحتفظوا بعدد النواب اي ٦٥٨ وعلى ان يكونوا صنفين اي نواب المدن ونواب المقاطعات ولكنهم اخذوا من المدن بعض نوابها واعطوا الحق في انتخابها للمقاطعات وكان ست وخمسون بين هذه المقاطعات قد ضعف حالها وقلّ سكانها عن الالفين عدًّا فسلبوها حق انتخابها ١١١ نائبا عنها وكذلك كان ثمة ثلاثون مقاطعة سكان الواحدة منها يقلون عن اربعة الاف نفس ومع ذلك كانت تنتخب عن كل منها نائبين فجعلوا لها نائباً ووزعوها من جديد بحيث اعطوا منها خمساً وستين منصباً لمقاطعات كان لها من قبل اربع وتسعون نائباً فصار لها عندئذ مئة وتسعة وخمسون منصباً واعطوا اربعاً واربعين منصباً لاثنين وعشرين مدينة كبيرة لم يكن لها من قبل نواب عنها وكذلك خصوا عشرين مدينة متوسطة بعشرين نائباً ومنحوا باقي المناصب لايرلندا واسكتلاندا بالسوية

وظل حق الانتخاب محفوظاً في الذين لهم ريع من عقاراتهم على انهم توسعوا في ذلك فخولوا حق الانتخاب في المقاطعات لكل الملاكين الذين يبلغ دخل الواحد منهم اربعين شليناً ولكل المزارعين ممن يبلغ دخل الواحد منهم خمسين جنيهاً واما في المدائن فلكل من يؤدي عشرة جنيهات اجرة لداره

على ان هذا الاصلاح زاد في عدد المنتخبين خمسين بالمئة فقد كانوا يحسبون منتخباً واحداً لكل ٣٢ شخصاً من الاهلين فصار بعد الاصلاح واحداً لكل ٢٢ شخصاً واصبح سواد المنتخبين الجديدين من المزارعين والباعة في الحوانيت وظل العملة على شأنهم الاول محرومين من حق الانتخاب

فاستاء كثيرون منهم من جراء ذلك وانشاوا جمعية كبيرة من العملة وكان قد ظهر سنة ١٨١٦ وسنة ١٨١٩ حزب الراديكال واجرى مظاهرات يطلب فيها ان يكون حق الانتخاب شاملاً . ففي سنة ١٨٣٧ اخذ العملة القضاب لائحة الراديكال ورفعوا بمؤداها عريضة للبارلمان بينوا فيها مطالب حزبهم وسموها لائحة الشعب يسألون فيها ان يكون حق الانتخاب شاملاً لكل الوطنيين وكذلك حق النيابة وان يعطى للنواب جعلاً وان تقسم البلاد اقساماً متساوية ويكون الاقتراع سرّيًا بالاكر عوضاً عن التصريح والتسجيل

وكان اشياع حزب العامة Chartistes يتظلمون من شقاء الشعب ومن اقوالهم ان الدستور الانكليزي لا يستفاد منه الا الاعمال الشاقة او الموت جوعاً . وتجمهروا جماعات كبيرة مسلحة وطافوا الاسواق ليلاً يحملون المشاعل وعاودوا هذه المظاهرة ثلاثاً (في سنة ١٨٣٩ و١٨٤٣ و١٨٤٨) ورفعوا عريضة وقع عليها ثلاثة ملايين منهم . على انهم لم

ينالوا شيئاً من البارلمان الا في سنة ١٨٧٢ على عهد وزارة غلادستون حين تقرر الاقتراع
وصارت المجالس الانتخابية منذ الاصلاح اكثر قبولاً لدى الرأي العام واشد اهتماماً بمصالح الامة وانشط عملاً منهم. وكانت مطبوعات مجلس الامة ٣١ مجلداً من سنة ١٨٢٤ الى سنة ١٨٣٢ فصار معدلها ٥٠ مجلداً من ١٨٣٢ وصار الناس اكثر اطلاعاً على ما يدور في المجلس من البحث وعلى ما يتداولون به. اما القانون القديم الآمر بوجوب البحث السري فلم يلغ حكمهُ وانما جرت العادة بالاغضاء عن اخذ خلاصة مباحثه بالاختزال Stenographie بحيث تنشرها الجرائد وتوصلاً لذلك بنوا دكة مخصوصة للصحافيين. واما اصوات النواب فقد كانت اذاعة اخبارها محظورة الا ان المجلس نفسه شرع يذيعها منذ ١٨٣٦

على ان الجرائد خفضت اثمانها منذ الغاء رسم التمغة (وكانت تؤدى بنساً) وصارت بواسطة السكك الحديدية وانتظام البريد تصل بسرعة لكل مكان فيطلع الانكليز في كل قطر من بلادهم على حوادث البرلمان التي تجري في ليلتهم الماضية بما تنقله اليهم الصحف في النهار. ومع ذلك ظلت تلك الجرائد قليلة العدد لان عددها في لندن لم يتجاوز السبع الى الثمان. وانما كان يباع من نسخها عدد كبير يزيد في نفوذها. وكثرت الجمعيات واصبحت اشدَّ قوة واكثر انتظاماً

على انهم لم يحدثوا تغييراً البتة في الشكل ولا سنوا لهم دستوراً مكتوباً واستمر المجلس يواصل اعماله على النهج الماضي والاعمال تسير على خطتها القديمة. اما الرئيس فيلبس شعراً مستعاراً ويمشي امامهُ حارس يضع على المائدة عصا الرئاسة

اما النواب فظلوا يتكلمون وهم في مجالسهم الا انهُ لما اصبحت الحياة السياسية اكثر نشاطاً ازدادت اهمية مجلس العموم وصار اللوردة لا يجرأون كثيراً على مقاومة النواب الذين يمثلون الامة تمثيلاً صحيحاً. فصار اكثرهم يتغيبون عن حضور جلسات مجلسهم. وكان يعقد مرة كل اسبوعين. وغلب عليهم ان يقبلوا بما يقر عليه مجلس النواب من غير ممانعة. اما الملك فاحتفظ بامتيازاته لان اعمال الحكومة ما برحت تعمل باسمهِ وبقي له حق اختيار الوزراء وفض المجلس الا انهُ اصبح من العادة المحكمة ان لا يختار الملك وزراءهُ الا من نائلي الاغلبية في المجلس وان تستقيل الوزارة متى فقد احدها عضد الاغلبية. على ان الملكة فيكتوريا منذ تسنمت العرش سنة ١٨٣٧ حتى وفاتها لم تشذ عن تلك العادة ولا يخشى ان يشذ عنها احد الذين يخلفونها

فاصبحت السلطة منذ سنة ١٨٣٢ لا كثرية مجلس النواب وبالنتيجة للشعب الذي انتخبهم • وصارت تنتقل من قوم الى آخرين بحسب تغييرات الرأي العام • ومما يذكر انه من سنة ١٧١٥ حتى سنة ١٨٣٢ تولى منصب الوزارة كل من الحزبين الاحرار والمحافظين مدة نصف قرن • ولكن من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٩٦ تناوب كل فريق منهما استلام الوزارة والاستقالة منها عشر مرات وكلاهما يتبعان خطة واحدة وهي بقاء كل فريق منهما عاملاً مع جميع افراده بالاتحاد وتمام الاتفاق سواء كان في مدى تربعه في دست الوزارة او في حال اعتزالها حين يتألب لمقاومة الحزب الاخر ولذلك يقال لهم المعارضون • ولكل فريق رئيس يعرف بالزعيم يتقلد رئاسة الوزارة حين تنتهي الاغلبية اليه [1] ويكون قد أعدَّ من رجال حزبه من يتقلد مناصب الوزارات الجمة • وهكذا تكمل في القرن التاسع عشر في انكلترا النظام البارلماني القديم الذي بدأت طلائعه عندهم في القرن الثالث عشر • ومنذ حينئذ نشأت تلك المناحي الاساسية التي جرى عليها الاوروبيون حاسبين انها من خصائص النظام البارلماني

وللانكليز ملك يتولى الاريكة كابراً عن كابر فتدار الشؤون باسمه ولكنه في الحقيقة ليس له من السلطة شيء فيصدق فيه قول القائل (الملك يملك ولا يحكم)

• ـ نظام البرلمان الانكليزي

اما البارلمان فيؤلف من مجلسين احدهما المجلس الذي لا ينتخب اعضاؤهُ انتخاباً وهو المجلس العالي • ليس له من الخصائص الا التصديق على القوانين وثانيهما المجلس المنتخب وهو الذي يصادق على الميزانية ويراقب اعمال الوزارة وتوسد الوزارة للرجال الحائزين على الاغلبية في المجلس ويعهد برئاستها لزعيم ذلك الحزب • فان اسم الوزارة في انكلترا ليس بالاسم المتعارف رسماً وهي تؤلف من ثلاثة وزراء وخمسة روساء اقلام ومن روساء بعض الدوائر

ويتباحث الوزراء في ندوة يعقدونها للنظر في ما يريدون اتخاذه من الوسائل ومتى اقرت اكثريتهم على شيء تعين لكل واحد منهم ان يتمسك بذلك القرار ويؤيده او يعتزل المنصب

والوزراء مسؤولون امام مجلس النواب عما يعملون وليس في وسع المجلس المذكور

---

(١) وتلقب حزب التوري Tory بعدسنة ١٨٣٢ بالمحافظ Conservative وحزب الهويكس Whigs بالاحرار Liberal

فقط محاكمة الوزراء بل اذا امسكت اكثريته عن قبول مطالبهم وجبت عليهم الاستقالة وبما انهم متضامنون في المسؤلية يتعين عليهم الاعتزال ولو كانت الاقلية في جانب واحد منهم فقط

وعند افتتاح المجلس يتلى خطاب الملك وتشرع الوزارة باعطاء البيان الكافي باسم الملك عن حالة البلاد والسياسة التي ترمي اليها فيجيب المجلس بخطاب يودعه اراءه وخواطره

وفي كل سنة يقترع على ميزانية السنة التالية . ولا يمكن جباية شيء من الضرائب ما لم يكن المجلس قد قررها . على ان رفض الضريبة ذريعة يتخذها المجلس للتمكن من حمل الوزارة على الاستقالة اذا رآها مصرّة على البقاء بالرغم عن فقدانها الاغلبية — وللوزارة ان تسأل المجلس التصريح بثقته فيها فتغتنم لذلك سنوح كل فرصة كعرض قانون او عقد قرض . والقصد من ذلك بيان عزمها على الاستقالة اذا لم تحصل لها الاغلبية . ويمكن للمجلس حينئذ اعلان استيائه منها بالاقرار على عدم الثقة بها . والاعمال التي يبحث فيها في كل جلسة تعين في قرار الجلسة السابقة الا انه يحق لكل نائب قبل الشروع بالبحث ان يسأل الوزراء ابداء افكارهم وما يعلمون عما يعنّ له من الخواطر . فيختم هذا الاستعلام باقرار المجلس على تجاوز هذا الكلام للبحث في الموضوع المرتب للجلسة على انهُ يغلب في النواب ان يصرحوا برأيهم بالعبارة المألوفة بقولهم « فلنرجع الى موضوع الجلسة » فاذا كانت العبارة التي اوردها النواب لا ترضي الوزارة تعين عليها الاعتزال

ويحق للوزارة ان تطلب الى الملك فض المجلس متى حصلت لها الاقلية وتلك وسيلة يجعلون بها المنتخبين قضاة بين الحكومة والنواب ويلبث الوزراء غضون الانتخاب في مناصبهم حتى اذا تجدد الانتخاب ولم تحصل للوزارة الاغلبية تعينت عليها الاستقالة ويحسبون فض المجلس المنتخب ثانية ازمة سياسية اذ ان الامة جددت انتخابهُ وهي صاحبة الامر . والمدة المعينة في القانون للمجلس بانكلترا سبع سنوات الا انهُ جرت العادة ان يفض قبل انتهاء المدة وما من مجلس تجاوز ست سنوات

العادة الجارية هي ان الوزراء يقترحون على المجلس مشروع القوانين التي يريدون سنها الا انه يحق لكل نائب ان يقترح وضع قانون او اصلاح قانون موجود وهذا ما يقال لهُ الاقتراح البرلماني . وقبل البحث في المجلس في اي سنة كانت تحال تلك السنة الى لجنة مخصوصة تدقق فيها . ويغلب ان يتألف المجلس كله كلجنة للبحث فيقع الجدال ولكن لا يقع عليها اقتراع . واما اللجان الاخرى فتؤلف من بعض اعضاء المجلس الذين يشير اليهم الرئيس

واذا ارادوا سن قانون عرضوه للبحث فيه ثلاث مرات بعد ان يقرأ في كل مرة . وفي كل قراءة يقترعون في كل مادة منهُ لوحدها ما لم يقترع المجلس على الاكتفاء بقراءة واحدة للضرورة القصوى في الحصول عليه

ولا يكون البحث والاقتراع مرعيين يعمل بهما الا اذا كان عدد حاضري الجلسة من الاعضاء كافياً للقيام بالاقتراع

ولا يحسب قرار النواب قانوناً نافذاً حتى يصادق عليه المجلس الاعلى و يوقع عليه الملك الا انهُ لم يكن من عادة الملك ان يرفض التوقيع عليه

على ان كل هذه الشؤون تجري في انكلترا تبعاً لارجحية احد الحزبين على الآخر ولكنها جرت على خطة منتظمة لانه ليس ثمة الا حزبان وكل منهما يحترم العادات فيتخلى عن المنصب لخصمه حين تحصل الاغلبية لذلك الخصم . وهذان الحزبان عبارة عن حكومتين شرعيتين يخيّر المنتخبون لاحداها من غير ان يكون لهم استطاعة الاستغناء عنهما جميعاً . ولذلك يستحيل حدوث تبديل فجائي . ومع ذلك فان كل واحد من الحزبين لا يمكنه تجاوز حدود سلطته زمناً طويلاً لان ذلك التجاوز يكدر المنتخبين ويحملهم على الصيرورة الى الحزب المخالف ولذلك يحسبون الرجحان بين الحزبين شرطاً اساسيًّا للنظام البارلماني

وسيأتي الكلام عن تاريخ الحكومة الدستورية في فرنسا وغيرها

صوت الفقير

زاحفتُ ايامي وزاحفتني	دهراً فلم أنكل ولم تنكلِ
لا عزمها واهٍ ولا عزمتي	تصادم الجندل بالجندلِ
رمتْ فلم تبقِ على مفصل	لكنها طاشت عن المقتل
وليتها اصمت فلا ابتغي	من عيشها ان انا لم اقتل
لا خير في الصبر على غمرة	لا يأمل الصابر ان تنجلي
صبرتُ للبؤساء صبرَ الذي	قيدَ الى القتل فلم يحفل
لا فضل في الصبر لمستسلم	عيَّ عن الفعل فلم يفعل
عشرون عاماً لم تحل حالتي	ما اشبه الآخر بالاول

سلطة الامة

حدودها ومضارها

١ – المسألة في مصر

طلب الدستور النيابي في اول الامر بعض الخاصة الذين احتكوا بالاوربيين وتشربوا مبادئهم وحسبوها ثمرة هذا الشكل من الحكم . وما هي الا نتيجة تربية الايام ايام وعملهم المتواصل في قرون عديدة . طلبوه بصوت ضعيف على صفحات الجرائد ملتمسين منهُ علاجاً لامراض الاستبداد ودواء لدائهم الثقيل . وما زال هذا الصوت يعلو وينتشر حتى صارت له تلك القوة التي تشعربها الآن . وبعد ان كان الدستور يُطلب لمناوأة الاحتلال او تشبهاً بالامم الغربية قام كتاب جريئون يجاهدون في سبيله « لانهُ حق طبيعي للامة ولان السلطة الشرعية الحقيقية لها وما الحكام الا وكلاء عنها ... ولانها الكل في الكل ويجب ان يكون مقامها فوق كل مقام » ... متحدّين في ذلك روسو وغيره من فلاسفة الافرنج الحديثين غير معتبرين بما كان من هذا النظام في البلاد التي اتبعته ولا مستفيدين من تجارب قرن كامل

وفي مقدمتهم حضرة احمد بك لطفي السيد مدير « الجريدة » الذي اظهر من براعة الاستدلال ومتانة الاسلوب والمهارة الصحافية ماجعل لهُ شهرة واسعة ولآرائه انتشاراً عظيماً وهو مخترع كلمة « سلطة الامة » ومروجها في مصر وعنهُ اخذتْ العبارات السالفة الذكر . وهو شديد الثقة بمبدأه شديد التمسك بهِ . ولكن نستأذنهُ في القول ان الدستور النيابي أبعد من ان يحقق اماني دعاته الغيورين ويأتي للامة بالسعادة المنشودة . وبغضّ النظر عن مبلغ استعداد المصريين لهُ وقدرتهم على القيام بهِ حق القيام فان لهُ نقائص كبيرة يعرفها العقلاء المجردون عن اهواء السياسة واغراضها . فهم يخشونه اكثر مما يرجون منهُ لانهم يعلمون ان العامة ليست أقل ظلماً وتعسفاً وعبثاً بمصالح الجميع لجهلها وقصر نظرها من الفرد . وهم لا يفضلونهُ على غيره من النظامات ذلك التفضيل المطلق لعلمهم ان لكل شكل من الحكومات معائب لانهُ انما يطبق على افراد احياء لهم عقل يخترع ونفس امارة بالسوء فيحتالون في قضاء مآربهم تحت ستار القانون . هم يعلمون ان شكل الحكومة

امر ثانوي وان الامر الاول والاهم اخلاق الناس وعاداتهم والافكار السائدة بينهم . فاذا اردنا ان يكون للامة وجود ورأي محترم في المسائل العامة وجب علينا ان نعمل في انماء الكفاءآت المختلفة فيها ونشر العلم الصحيح واتقان التربية لا ان نهيج انانية العامة وننفخ في صدورها الفاسدة كبرياء ليس وراءها الا الشر العظيم . ونبدل شكلاً من الحكومة بآخر فنكون انما استبدلنا سيداً قديماً بسيد جديد .

حدود سلطة الامة

١ — نسمع كل يوم انّا في عصر العلم والتجربة والامتحان وانهُ قد انقضى عصر السفسطة والمجادلات المبنية على التجريد والتقسيم الى الحد الاقصى ولا يروج الآن من المذاهب والاراء الا ما ثبت « بالعلم » اي ما كان منطبقاً على الحقيقة المحسوسة . واني لا اعرف مذهباً اكثر خروجاً عن دائرة العلم الى ميدان الخيال والوهم من مذهب روسو واتباعه . فانهم يبنون معتقدهم على قضايا تناقض على خط مستقيم المعروف من طبيعة الانسان وشهادة التاريخ

يقولون ان الانسان يولد حرًّا وان حريته لا تزول عنه ابداً ولا يمكنه التنازل عنها « اذا وعد الشعب بالطاعة فقد انحلت جامعته بهذا الفعل وفقد صفة كونه شعباً » وان حريته هذه باقية له بتمامها اذا اعترف بالعقد الاجتماعي وقبل ان يخضع لسلطة الشعب او بالاحرى لسلطة الاغلبية من الشعب . ولكنها تتلاشى اذا هو تنازل عنها لحاكم غير الشعب

نقول نعم ان الانسان يولد حرًّا وهذا شرفه وهذه ميزته لانه عاقل ولا معنى للعقل بغير الحرية . ولكن اية حرية يعنون ؟ انّا نفهم ونعني الحرية الادبية اي حرية القيام بالواجب وعدم القيام به — الواجب على الانسان شرعاً نحو الله ونفسه وقريبه . اما فيما عدا ذلك فيمكنه احياناً التنازل عنها او عن بعضها حسب ما تقتضيه الظروف والمصالح . وما التعاقد بين الافراد والوعد « واعطاء كلمة شرف » بفعل كذا وكذا مما لا خير فيه ولا شر (ادبياً) الا تقييد للحرية الظاهرة وربط لاعمال الانسان الخارجة عن الواجب . واحياناً اخرى ترى انه من المحتم عليه التنازل عن حريته لمصلحته ومصلحة ابناء جنسه كما في مسئلة الحكم . فانه يستحيل مادياً على شعب باكمله ان يحكم نفسه بنفسه مباشرة اذ كيف يجتمع للمشاورة وكم من الوقت يلزم لاخذ جميع الآراء ...؟ واذا كان الناس يشكون الآن من كثرة المناقشات في مجالس النواب وبطء سيرها في الاعمال وطول المدة التي

تقضيها في درس مشروع فكم بالحري تكون شكواهم مرة وشديدة اذا تولت امة باجمعها مثل هذا العمل !

ينتج اذاً مما تقدم ان من الواجب على الشعب التنازل عن حريته والوعد بالخضوع للفرد او الهيئة — قليلة كانت او كثيرة — الاقدر على حفظ كيانه وترتيب قواه وملكاته وتصريفها في سبيل الخير والسعادة وهما الغاية من الاجتماع . والاَّ سادت الفوضى وتذرع كل بحريته للجري على ما يهوى من غير مراعاة المصلحة العامة لما طبع عليه من الطمع وحب الذات . ولما كان كل الافراد في حاجة بعضهم الى بعض — فقد قيل الانسان مدني بالطبع — لتحقيق الغاية المذكورة من الاجتماع هلك الشعب لانتفاء ادكان العمل لتلك الغاية

ولكن روسو ينكر على الشعب خضوعه لفرد او لهيئة ما حتى ولو كانت مختارة منه ويقول : « اذا اقام الشعب نواباً عنه فقد حريته في الحال ... وان الشعب الانكليزي يظن نفسه حرًّا ولكنه واهم فان حريته لا تدوم الامدة الانتخابات فاذا تمت رجع الى عبوديته السابقة » [1] . وهذا تطرف لا يصدر من عاقل وعى التاريخ ونظر في احوال الانسان فعلم ان الحرية المطلقة التي يدعو اليها لم توجد قط وان الجماعات من الناس كانت محكومة كما سنبينه ولن تزال كذلك . على ان روسو عاد فاعترف بان رأيه لا يمكن تطبيقه الا على كمية قليلة جداً . ولا يدل هذا — كما يزعم هو — مع فساد مبدأه بل على ان الشعوب الكبيرة غير طبيعية !!

لكن اغلب اتباعه يطرح هذا القول ظهريًّا ويعتقد ان الحكومة النيابية هي المظهر الوحيد الممكن لسلطة الامة . اذ ان الحكم ضروري في الامم كما قلنا على رغم روسو وبدونه لا يتم امر ما — اللهم الا الخراب والدمار . وقد قال روسو بذلك ضمناً لما الزم جميع افراد الشعب بطاعة الاغلبية وتنفيذ ما تقرره ولو خالفت رأي بعضهم فاوجد فريقاً حاكماً وفريقاً محكوماً و بلغ به الحال الى ان قال ان لهذه الاغلبية الحق في اجبار المعارضين على الخضوع بالقوة ! [2] ولما كان حكم الشعب نفسه بنفسه مباشرة مستحيل التحقيق وجب ان نأخذ بما يقرب منه وهو الحكومة النيابية التي لكل واحد من افراد الشعب فيها نصيب مساو لنصيب الآخر ونترك روسو «ينبذ هذا الراي بشدة و يتهكم على اصحابه بلا شفقة » ما اراد

---

(١) العقد الاجتماعي . الكتاب الاول . الفصل السابع عشر

(٢) العقد الاجتماعي . الكتاب الاول . الفصل السابع

٣ — المساواة بين الجميع سياسيا

٢ — وسننظر في هذه الدعوى : المساواة بين الجميع سياسياً . ولنلتفت الآن الى قول آخر في سلطة الامة . فقد بنى روسو مذهبه على حرية الفرد الاصلية فابنأ خطأ في الخلط بين الحرية الادبية المقدسة والحرية السياسية التي يمكن للشعب ان يتنازل عنها او لرجل اجنبي ان يقتضيها بحكم الفتح والاستعمار من غير ان يعد مجرماً وظالماً على شرط العدل والانصاف في معاملة الرعية . اما غير روسو فيقول : ان السلطة لا تخص احداً في البدء فاذاً هي للجميع وحق طبيعي لهم . نرد اولاً باننا رأينا — على فرض التامين على هذا القول — ان الامة عاجزة عن استعمال السلطة مباشرة وسنرى انه في استعمالها اياها لانتخاب النواب نقائص ومعائب عسى ان ذكراها تقلل من غلواء « انصار الامة » وتكسر من حدتهم التي تجاوزت كل حد . فكيف يكون طبيعياً الحق الذي يستحيل العمل به او الذي من وراء العمل به ضرر عظيم ؟ كل امر « طبيعي » سهل النفاذ خال من الضرر بل مساعد على النظام والخير تكفلت الطبيعة بجعله كذلك . اعطت الطبيعة سلطاناً للاب على ابنه وحقاً في تربيته لانه قادر على ذلك وله كل ما يلزم لتادية هذا الواجب . كذلك منحت الزوج سلطاناً على الزوجة لانه اقوى منها جسماً وعقلاً وادارة واقدر على تدبير العائلة . فما القول في سلطة الامة الطبيعية ولم ترَ الطبيعة منحت الامة شيئاً من مزايا الحكم بل بالعكس خصتها بالجهل والتقصير

ثانياً غير صحيح ان السلطة في البدء لا تخص احداً . اذ اصل الجمعيات البشرية عائلات — السلطة فيها بيد الاب وابنه الاكبر من بعده وهكذا كما تفرعت وتفرقت تجد على راس كل منها رجلاً تنتهي اليه الامور ويحكم لتسلطه الطبيعي على من حوله . فاذا نزلت عدة عائلات ارضاً واحدة خصبها فازت بالسلطة على الباقي اكثرها عدداً وثروة وصار ملك الجميع كبير هذه . كذلك غير صحيح ان السلطة للجميع في حالة عدم وجودها في يد احد طبيعياً انما هي للاكفاء والاقدر على القيام باعبائها يستولي عليها و يتنحى عنها له الاخرون كانه وكانهم مدفوعون لذلك . خذ مثلاً ما يتالف امامنا الآن من الجمعيات ادبية كانت او سياسية او اقتصادية — مع ملاحظة الفرق بينها و بين جمعية الشعب لضيق نطاقها وقلة عدد اعضائها — تلق القائمين بها في اول الامر سواء فاذا ما بدا العمل وعرضت الصعوبات ظهر الزعيم — ولم يكن مخفياً — بتصديه لها والتقدم على غيره لمعالجتها لما يؤانسه في نفسه من الكفاءة وفي نفوس اخوانه من هيبته واحترامه لتفوقه عليهم فيلتفون

حوله ويعتمدون على رأيه فتعرف الجمعية لدى الناس بجمعية فلان لانه اوجه اعضائها واشهرهم . انظر كيف انه بعد اعدام لويس السادس عشر ابان الثورة الفرنساوية الكبرى وسقوط كل سيادة قام للاستيلاء عليها الخطباء الجريئون روبسبير ودانتون وغيرهما لقضاء مآربهم الشخصية . وظلوا يتنافسون ويتذابحون يؤيد كلاً منهم انصاره في المجلس . والامة كان ليس لها وجود وكان الفوضى والاستبداد لم تهرق دماء فتخلص منهما الى ان جاء نابوليون الكبير فانتزع الرئاسة انتزاعاً واستبد بالامر ولا استبداد الملوك السابقين والشعب ساكن ساكت بل راقد نائم يؤدي المال ويقدم الرجال فيلعب بهم نابوليون لعباته المشهورة . ثم انظر كيف ان هذه السيادة لما سلم نابوليون الثالث نفسهُ للالمان وسقطت امبراطوريته وقعت للجنرال تروشي ممثل الثورة المادية ولجول فري وليون غامبتا الخطيبين الشهيرين . والعامة في كل الاحوال لا يسعها الا الاعتراف بهذه الحكومات بعد تكونها والخضوع لها . ولا ينكر انها قامت احياناً بثورات وقلبت حكومات ومحقت كل سلطة ولكن هنا ينتهي عملها فانها آلة هائلة للهدم غير انها عاجزة كل العجز عن الترميم والتشييد . نقول كيف يكون طبيعياً الحق الذي لم يستعمل في الماضي ؟

٣ — ارى ان ما حدا ببعض الكتاب الى ابتداع هذا الفكر — المساواة السياسية بين الجميع — ليس الاستقراء العلمي المبني على مقدمات صحيحة بل تألمهم مما في المجتمع من المظالم والفرق الجائر بين رجل ورجل أو طائفة وطائفة فارادوا الاصلاح والتمسوا اساسه والحجة بالجدل فاعماهم الانفعال وقادتهم الحدة الى ابعد من الحق . قال اوجست كونت : لقد كان لهذا المبدأ فائدة في تقويض اركان السلطة الغاشمة الاستبدادية وانما اوجد لهذه الغاية فانتج في حينه ما كان يؤمل منه . أما الآن فيجب تركه كما يترك السيف بعد الحرب لانهُ مناف لكل سلطة وكل حكم »

ارادوا التسوية بين الكل سياسياً كما ارادوا التسوية أمام القانون . وهذه الاخيرة مقبولة معقولة لان المرء ايًا كان يسقط من منزلته بالاجرام ويستحق العقاب لاخلاله بالنظام العام اللازم كل اللزوم للجمعية — ومع ذلك فلها شواذ اشهرها ايقاف التنفيذ على رجل عرف بالاستقامة وحصل على جاه عظيم ثم ارتكب اثماً لاول مرة فرأى الشارع بحق ان اعماله الماضية تشفع له كثيراً وانهُ لا تصح معاملته معاملة رجل خامل

وقد نضج فكر المساواة وقام الاشتراكيون يطبقونهُ على سائر احوال الناس كما يقتضيه المنطق ويطالبون بالتسوية بين الافراد اقتصادياً على النحو الذي يعلمه القراء . ولكن انى لم

جميعاً مايريدون وعدم المساواة هو القاعدة في العالم . كيف يستوي العالم والجاهل الكبير والصغير الغني والفقير ؟ وما استغناء البعض بالمال واستعلاء البعض الآخر بالمناصب او النفوذ الا نتيجة مابين العقول من التفاوت والنفوس من التفاضل فمهما حرروا في النظامات وعدّلوا في اللوائح يبقى عدم المساواة كما كان — الا اذا اطفأوا في الانسان نور العقل واخمدوا حياة النفس وحرموا عليه المرونة وجعلوه آلة صماء لا فرق بينهُ وبين وحوش الفلاة وطيور السماء !

٤ — اذا تقرر هذا سهل ادراك قيمة ما يسمونهُ « حق التصويت العمومي » فانهُ نتيجة لازمة لمذهب سلطة الامة ومصدره فكر المساواة بين الجميع الذي يرجع الى مساواة العلم بالجهل والفضيلة بالرذيلة — مساواة احقر رجل في البلد بعضو جمعية علمية فيجعل خادم تشمبرلن او السير ادوارد جراي مالسيده من التأثير على مصالح البلاد بالانتخاب ! ولما كان الجهلاء القصار النظر في الامور اكثر من العقلاء الخبيرين انتهت ازمة الحكم الى بعض القوالين الذين ينجحون في استمالة العامة بالصخب والضجيج والضرب على النغمات التي تطربها وهم اعجز الناس عن القيام بالسلطة والسير بالامة بمقتضى الحكمة والعقل . وفي هذا ما فيه من الضرر على البلاد فضلاً عن الاجحاف بحقوق الاكفاء والازدراء بمواهبهم ظلماً وعدواناً

ثم ان هذا الحق الموهوم مقصور على الذكور الراشدين مسلوب من النساء والفتيان بتناقض غريب لا يفسره ما يعللونهُ من قصور النساء والفتيان وصغر عقولهم اذ هذا يفتح الباب للاعتراض عليهم بقصور وصغر عقول السواد الاعظم من كل امة ومطالبتهم بالتمييز بين افرادها وضمان فوز رأي عالم واحد على آراء كذا رجال عاديين كما في البلجيك وهذا واجب عدلاً . ولكنهم خائفون على المساواة اللفظية ان تنتهك حرمتها وعلى بنائها الظاهر ان يثلم . وجلون من هذه العامة لا يجرأون على مواجتها بالحق والصياح في وجهها « انك حمقاء لا تفقهين شيئاً » فتضيع مصالحهم وتذهب آمالهم في السلطة اللذيذة فانهم ما اوجدوا هذا الفكر وسنّوا هذا النظام الا بغية استغفال الامة واعمائها بما يحرقونهُ تحتها من بخور التمجيد والتقديس . وهم والفرد المستبد سواء في ارادة التمكن منها : هـذا يذلها ويحطها الى الحضيض فتخضع وهؤلاء يرفعونها الى السماء ويتسلطون عليها بامر منها ! . . . فيخالفون العقل ويجاوزون العدل ثم يحسبون انفسهم حامي المساواة ومؤيديها وما هم الا الد اعدائها لانهم يساوون بين مالا يتساوى

اما اذا رجعوا عن هذا الوهم وكسروا هذا الصنم الجديد الذي يسجدون لهُ صباح

مساه اوقفوا تيار شهوات العامة عند حد وولوا الحكم اهله فاسعدوا البلاد وخدموا الوطن وحسبهم من الحياة الاخلاص والصدق والثمرة الطبيعية لاستعدادهم وقرائحهم

٤ ـ العامة

• العامة — اجارنا الله منها ولا سلطها علينا يوماً — «مجموع اعمى لا يدري ما يريد لانه لا يدري ما يصلح له»[1] سئل الامام علي عن العامة فقال «همج رعاع اتباع كل ناعق» و يشهد التاريخ ان هذا عين الصواب. راجع ما كانت عليه العامة عند اليونان فالرومان فالمسلمين ثم راقب احوالها في هذه الايام تجد ان اخلاقها واحدة لم تتغير وما تغير الا الزمان والمكان والمظاهر العرضية : جهلٌ وكبرياءٌ في آن واحد يصحبهما استبداد. وتعلم ان نقمتها حلت دائماً بالامناء الذين لا يخافون في الحق لومة لائم فابوا مطاوعتها على غيها وتقدموا لارشادها فا كبرت ذلك واعدمتهم او نفتهم ونصبت عليها من تفنن في تملقها والتودد اليها واغدق عليها المال واكثر من الوعود. كم من قائد مغوار وسياسي حكيم وحر كريم ذهبوا ضحية هذه السلطة وما جنى عليهم الا شعائرهم الشريفة وتشددهم في الحق وحبهم للوطن واهله ولكن على غير طريقة العامة ومعرضيها. لذلك ترى اصحاب العقول الراجحة والنفوس العالية يتنكبون عن السياسة ويهربون من المناصب العمومية لما يستلزمه بقاؤها في ايديهم من بذل ماء الوجه وتجرع غصص الذلة لقوم لا يعقلون. فلم يحكم العامة في عهد «تسلطها» الا من سفلت نفسه فتغاضى عن نقائص الشعب حباً بالمنصب بل واراد ان يحولها لمصلحته وينتفع منها فيسر لها السبيل وتركها تنمو وتتعاظم شرها كل يوم الى ان بلغ سيلها الزبى فجرفته مع ما جرفت في الطريق و بئس المصير

ورأى البعض ان افعل وسائل الاستعباد وقتل الشمم والقضاء على كل فضيلة في النفوس اشباع الجسد وارضاء الشهوات فتخمد همة الانسان ويبطر. لذلك اطعمت حكومات اليونان والرومان والمسلمين عامتها ورتبت لها القمح واللحم والزيت. ولا يزال يدوي صراخها في عهد قيصر : الخبز والملاهي ! — الخبز الذي يقيت الجسد والملاهي التي تميت النفس. والحكام يعدون من حسن السياسة اجابتها الى ذلك ولا يتأخرون عنه طبعاً والا سقطت سلطتهم. واليوم تميتها الحكومات الغربية بالقوانين «الاجتماعية» ومعاشات الشيوخ الخ.. فتقعدها عن مناوأتها وتحفظ لنفسها حياة تعيسة لا تلبث ان تزول

من المشاهد انه اذا احتشد الناس كثيراً زال عنهم السكون المعتاد وخلعوا الوقار ودارت برؤوسهم خمرة غريبة تجعلهم يقدمون بلا مبالاة على افظع الجرائم. العامة قتلت

---

(١) العقد الاجتماعي. الكتاب الثاني. الفصل السادس

سقراط وصلبت المسيح وفضلت عليه لصاً سفاكاً وقد كانت قبل ذلك بايام تصرخ له ابتهاجاً عند دخوله الى اورشليم • فسأل الوالي الجموع : واي شر صنع ! فازدادوا صياحاً وقالوا : ليصلب ... دمه علينا وعلى بنينا . » وما ذلك الا لان « رؤساء الكهنة والشيوخ اقنعوهم به » ! — هذا شأن الاحمق يدور مع كل ريح ويزداد صياحاً اذا موقع فيا يشتهي . لم يتعلم المنطق فيجيب على السؤال بما يقتضيه ولا هو يعرف الاجابة بل يصيح كالاطفال ويزداد صياحاً . كانت عامة فرنسا بالامس تطلب بالحاح الغاء عقوبة الاعدام رحمة بالانسانية وابعاداً للهمجية فاتفق ان رجلاً اسمه سوليلان اختطف فتاة وقتلها شر قتلة فهاج احساس العامة وجاش صدرها وقامت وقعدت طالبة ابقاء هذه العقوبة وتطبيقها عليه بمثل الالحاح الاول واشد !!

ولقد عرض شكسبير العامة على انظار القراء والمتفرجين في كل حالاتها وصورها ابدع تصوير فاذا هي هي . اقرأ رواية يوليوس قيصر خصوصاً واعتبر بما اظهرت من الغباوة والتذبذب بين برتوس وانطوان يتغالبان وهما عليها ويترامياتها كالكرة فتنجذب الى اقنعهما لصناعتي الكلام والمداهنة وابرعها في اثارة اطماعها واهاجة شهواتها — شأنها في كل زمن

٥ — السلطة لخاصة العقلاء والعلماء

٦ — هذه هي العامة التي اعطوها السلطة المطلقة فكانت كالسكين في يد الطفل يجرح بها نفسه ويؤذي غيره . فلا عقل لمخالفونا في الرأي ورجعوا الى رشدهم وتحللوا من قيود فلسفتهم اللفظية وسلموا معنا بهذه القضية « العلمية »

ان وظيفة كل شيء تستنتج من حقيقة طبيعته . وان طبيعة العامة منافية لكل حكم لانها متقلبة في اهوائها واغراضها « غير عارفة بما يصلح لها » كما قال روسو نفسه . والا فانهم يلزمونها بمذهبهم هذا ويضطرون للاعتراف بمشروعية كل امر تأتيه مهما كان مخالفاً للعدل والحق لانها صاحبة السلطة كلها . كأن تضيق على الاقليم التي لا تدين بدينها وتسن لها قوانين جائرة وتستغل اعناقها واغتصاب اموالها في مالا دخل له في الحياة المدنية الصرفة كما هو جارٍ في فرنسا الآن . او كأن يقف مسيو فيفياني احد اعضاء وزارة كليمنسو الحالية ويقول بملء فيه وسط مجلس النواب في سياق خطبته الشهيرة « انا اطفأنا في السماء كل نور وقلنا للرجل الساجد على وجهه : قم . ان هذه القبة المضروبة حولك من رصاص لا ينفذ فيه دعاء ولا صلاة وليس وراءها الا الوهم ! » فتصفق له الاغلبية وتقرر نشر هذا القول السمج في بلاد تدعي المدنية . هل يقبل اصحابنا المصريون المسلمين ان تجمع عامتهم

يوماً ما على الكفران ونبذ القرآن !

٧ — ولا انكران بعض الملوك المطلقين طغى وبغى وضرب بالنواهي الالهية عرض الحائط واستباح كل محرم ولكنني انكر عليه مثل هذا التصرف ولا اعترف له بمثل ذلك الاطلاق وان حصل له فعلاً احياناً لسوء الحظ ولا انا من اشياع حكومة الفرد . ولم يقل احد من اشياعها بوجوب الاحتفاظ بها على عيوبها ولا ادعي ان الملوك فوق سائر البشر غير مقيدين بالحق والعدل — الا طائفة فسدت ضمائرها ولأمت طباعها فصرحت بهذا الكذب تقرباً للحاكم وجلباً لمنفعة دنيوية لا رعاها الله . وقولها لا يعتد به

وان ما ذهبت اليه في هذا البحث مبني على ادلة قوية مؤيدة بما قل ودل من الشواهد التاريخية بكيفية يمتنع معها رده على ما اظن . وافضل حكومة في رأيي هي التي يشترك في ادارتها اكابر البلاد عقلاً ومصالح ممن حازوا الرتب العلمية العالية او برهنوا في الحياة على صفات نادرة . لان الفرد قاصر وميال للاستبداد مما لا يحتاج الى شرح ولان الامة بمجموعها قاصرة كذلك وميالة للاستبداد كما بينا نظرياً وكما سنبينه من الوجهة العملية في عدد آتٍ ان شاء الله

يوسف كرم

المركبات الهوائية

ما برح الانسان من اقدم ازمانه يحسد الطير على تحليقه في الجو . لانه اذا استطاع الطيران نجا من الحيوانات المفترسة التي تطارده ولا يقوى عليها ولا يغنيه الفرار من بين يديها . وقد يستعين بالطيران على مطاردة الطيور السابحة في الهواء كما يطارد الاسماك السابحة في الماء والدواب السارحة على الغبراء . على انه ما لبث ان تحقق عجزه عن الطيران حتى يئس واكتفى بما بين يديه واستنبط في دفع الضواري والكواسر حيلاً غلبها بها واذلها . فلما تمدن وابتنى السفن خاض بها البحار وشاد القصور وخطط الشوارع وركب المركبات واقتضى حاله تقريب المسافات وتسهيل الانتقال خطر له ان يركب الهواء كما يركب الماء فيصطنع سفناً هوائية يحلق بها وهو يرى وجه الارض كالخريطة الملونة بما فيها من الجبال الغبراء والمروج الخضراء والانهر البيضاء تتخللها المنازل والقصور او المعاقل والحصون فاخذ يفكر في الطريق المؤدي الى ذلك الطيران فعمد كعادته في اكثر مخترعاته الى تقليد الطبيعة فنظر في الطيور وكيف تطير واخذ في تقليدها

وقد يتبادر الى الاذهان ان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء فجري المركبات الهوائية كجري المركبات المائية ولكن بين الحالين فرقاً كبيراً لان السفينة لا تحتاج في تسييرها الا الى آلة تدفعها الى الامام او تديرها ذات اليمين اوذات الشمال • واما في اختراق الجو فتحتاج اولا الى الصعود • وقد حاول بعضهم اصطناع اجنحة دعمها بقضبان من حديد وشدها الى ساعديه بشكل يشبه الطير فلم يجد في نفسه قوة على الارتفاع لان ثقله اكثر مما يستطيع حمله بقوته ـ ذكروا غير واحد من هؤلاء حاولوا الطيران في أثناء الاجيال الوسطى ولم يفلحوا • ولا نقدر ان نثق بما يروونه عنهم وفي جملتهم باكون الشاعر الانكليزي المشهور وغيره وليس في ما يروى عن هؤلاء خبر صريح الى القرن السادس عشر فذكروا كيماوياً ايطاليا زار اسكوتلاندا على عهد جيمس الرابع وقد اصطنع اجنحة من اصناف الريش وزعم انه يقدر ان يطير بها من اسوار قلعة سترلين الى فرنسا ولما حاول ذلك فعلاً سقط قرب القلعة وكسر فخذه • والف بعض الانكليز على هذه الحادثة رواية محزنة • وفي اوائل القرن السابع عشر نشر عالم اسمه فلايدر مقالة في الطيران وعلله بالعلم فانخدع بادلته راهب اصطنع اجنحة وحاول الطيران بها فسقط وكسر فخذيه ومات • واشتغل غير هولاء في تعديل هذه الطريقة حتى وفق بعضهم الى اختراع البالون

والبالون اوالمنطاد عبارة عن كيس يملأ غازاً اخف من الهواء فيطلب الصعود في الجو بطبيعة الجاذبية فيحمل معه ما يتعلق به من الناس اوالادوات • واقدم من فطن له راهب يسوعي اسمه فرنسيس لانا كتب فيه سنة ١٦٧٠ واصطنع كرات كبيرة من النحاس رقيقة الجدران قطر الواحدة بضعة امتار اذا فرغ الهواء منها خفت وبرهن ان الصعود ممكن باربع كرات قطر كل منها ٢٥ قدما وثخن جدارها ١/٢٢٦ من القيراط يعلق كل واحدة منها بزاوية من زوايا سل مربع بحبل طوله بضعة امتار • وينصب في وسط السل سارية يشد اليها قلع وتفرغ الكرات من الهواء على قدر الامكان فتخف وتصعد وتحمل معها السل وفيه رجل او بضعة رجال • ولما هموا باخراج هذا الرأي الى حيز العمل وجدوه مستحيلاً لان ثخن جدار تلك الكرة الكبيرة أضعف كثيراً من ان يحفظ قوامها فكيف يحمل غيرها

على ان هذا الاختراع وان لم ينجح بنفسه فقد هيأ الاذهان الى تصور البالون الحقيقي • واول من باشره واتقنه اخوان اسماهما اسطفان ويوسف مونكوفليه من اهل انوني بجوار ليون بفرنسا • وقد تنبها الى هذا الاختراع من مشاهدة السحاب معلقاً في الهواء فخطر لهما انهما لو استطاعا وضع ذلك السحاب في كيس صعد الكيس الى اماكن

السحاب • وجربوا ذلك فعلاً وملأوا كيساً من الدخان او من الهواء السخن المتصاعد عن النار وهو طبعاً اخف من الهواء الاعتيادي — جربوا ذلك سنة ۱۷۸۳ بكيس من النسيج محيطه ۱۰۵ اقدام على مشهد من جماهير الناس فصعد البالون في الجو مسافة بعيدة ثم تفنن غيرهم بالغاز الذي يملأ به البالون حتى ملأوه من غاز الهيدروجين وهو اخف من الهواء كثيراً ولا يخشى ان يقلصه البرد ويسقط كما يحصل في البالون المملوء هواءً حاراً

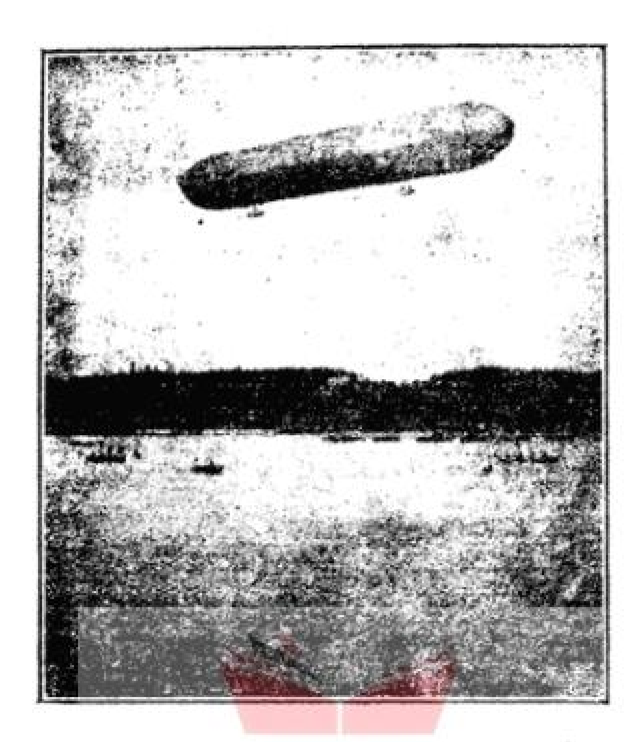
على ان البالون مهما بلغ من اتقان صنعه وتحليقه في اعالي الجو لا فائدة منه اذ لا يمكن ركوبه او الانتفاع من صعوده الا اذا استطعنا ادارته كما تدار السفن المائية بالدفة او المجاذيف • وهذا ما وجه العلماء والصناع انظارهم اليه واخذوا يستنبطون الطرق للسفر في الهواء كما يسافرون في الماء



۱ — البالون ريبوبليك

فاتخذوا في هذا السبيل طرقاً شتى فبعضهم تفنن بشكل البالون وعلق في اسفله آلة قلد بها الآلة التي تحرك السفينة بالدولاب الذي يسمونه « الفراش » وقد نشرنا له غير رسم في بعض اهلة السنين الماضية • ونرى في الشكل الاول صورة اخر ما بلغوا اليه من اتقان هذه المركبة الهوائية البالونية وهو الطراز المسمى ريبوبليك • وقد جربوا تسييرها على عدة اميال على مشهد من جماهير الناس فاتت بالنتائج الحسنة ولا محل هنا لتفصيل بنائها وكيفية تحريك آلاتها ولكنها كثيرة الاتقان • واشهر البالونات التي بنيت من هذا الطراز ونجحت بالون « زبلين »

وقد نال زبلين حظاً وافراً من النجاح منذ بضعة عشر عاماً • ومركبته من النوع



ش ٢ — مركبة زبلين طائرة

البالوني الذي نحن في صدده وهي هائلة الحجم طولها ٣٩٠ قدماً وقطرها ٣٩ قدماً وتظهر لاول وهلة أنها منطاد واحد ولكنها مؤلفة من سبعة عشر منطاداً متحاذية متلاصقة يغشاها كلها غلاف واحد من قماش متين كتيم لا ينفذ فيه الماء ولا الغاز • فالمركبة بهذا الاعتبار مؤلفة من ١٧ غرفة طول كل منها ٢٤ قدماً يفصلها بعضها عن بعض حواجز مستديرة مثل عجلات البيسكل • قضبانها مصنوعة من الالومينيوم لخفته • فاذا ارسلت نظرك في المركبة من احد طرفيها الى الاخر تخيلتها مملوءة بعجلات البيسكل الواحدة وراء الاخرى ولكن كل غرفة بالحقيقة منطاد مستقل • لانها مغطاة بغشاء مستقل من الحرير مبطن بالكاوتشوك بجملته كتيماً يمنع نفوذ الغاز منعاً تاماً • واذا ملىء المنطاد بالهيدروجين ظل هذا الغاز محفوظاً فيه اسبوعاً او اسبوعين

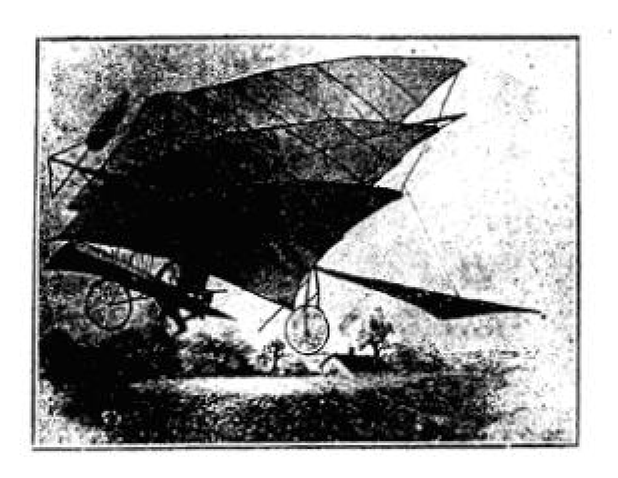
وعلى سطح المركبة من الخارج ملاط يمنع اذى الحرارة والمطر • ومساحة التجويف كله ١٢٫٠٠٠ متر مكعب تبلغ نفقة غاز الهيدروجين اللازم لملئه خمسمائة جنيه ويحملون الغاز اليها في ٣٫٢٠٠ قنينة من الحديد تفرغ فيها على السواء في اثناء خمس ساعات بواسطة انابيب داخلية مصنوعة لهذه الغاية

وليست المشقة في بناء هذه المركبة والانفاق عليها فقط ولكن المشقة في ارسالها الى الجو والقبض على زمامها في اثناء الطيران . وهي الضالة المنشودة التي قضى ارباب العلم والصناعة اعواماً طويلة في البحث عنها حتى وفق اليها الكونت زيبلين صاحب هذه المركبة ولو اردنا تفصيل طريقته في ذلك لطال بنا الكلام فنكتفي بالاشارة الى اهم الآلات المحركة لها : منها اربعة مجاذيف لولبية كبيرة اثنان من جهة مقدم المركبة واثنان من جهة المؤخر . واللولب عبارة عن دولاب انصاف اقطاره عريضة كالمجاذيف اشبه شيء (بفراش) البواخر التي اذا دارت في الماء حركت السفينة الى الامام او الوراء . يدور كل من هذه اللوالب الف دورة بالدقيقة وفي المركبة قاربان خفيفان من الالومينيوم معلقان اسفل اللوالب يحملان ربان المركبة وملاحيها وما يحتاجون اليه من الادوات . وبين القاربين ممشى من الالومينيوم ايضاً

وفي بناء هذا المنطاد من الاجزاء اللازمة لتسييره ماعدا اللوالب والقوارب شيئان مهمان الثقل والدفة . فالثقل عبارة عن كتلة من الرصاص وزنها ثلاثمائة كيلو غرام مشدودة الى اسفل المركبة بحبل تجرُّ به من احد طرفي المركبة الى الطرف الآخر بواسطة آلة خاصة بذلك . والغرض من هذا الثقل خفض مقدم المركبة أو موخرها على ما يراه السائق في خطة مسيره . فاذا جرَّ الثقل الى المقدم خفضه فيرتفع المؤخر والعكس بالعكس

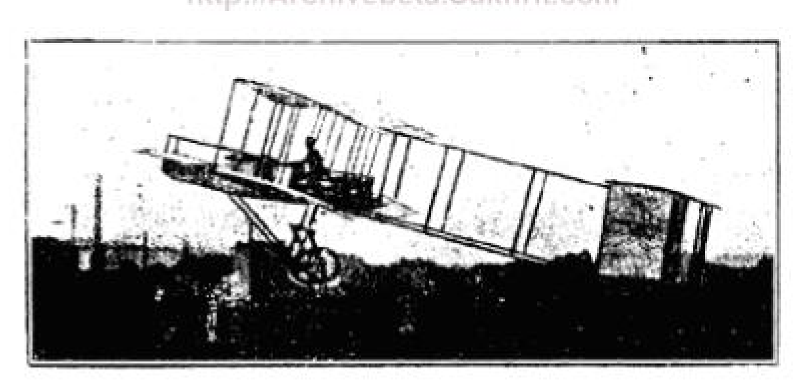
واما الدفة فعليها العمل في ادارة المركبة الى اليمين او اليسار مثل عمل الدفة في سفن البحار . وهما دفتان واحدة في المقدم والاخرى في المؤخر تتصلان بالقاربين باسلاك تساعد ساقة المركبة هناك على ادارتهما عند الاقتضاء . وهما مصنوعتان من قماش متين في اطار من الالومينيوم

واشتغل آخرون في اختراع المركبة الهوائية من غير طريق البالون فاخذوا في تقليد الطبيعة وجعلوا اجنحة الطيور قاعدة العمل فنظروا في فلسفة الطيران وكيف يصعد الطير في الجو وكيف يتحوَّل يميناً او شمالاً وصعوداً أو هبوطاً واخذوا في استنباط الآلات يقلدون بها الطير و يصنعون اجنحة من النسيج كالاشرعة تنصب على آلة تحركها نحو ما يحرك الطير اجنحته بعضله وتفننوا في ذلك وجعلوا في ذيل المركبة شراعاً يقوم مقام ذيل الطير وهو فيه كالدفة للسفينة تديرها شمالاً او جنوباً . واشهر الامثلة على هذا الصنف من المركبات الهوائية مركبة اليهامر ولها عند قاعدتها عجلتان تقف عليهما عند الحاجة أو تمشي عليهما قبل الطيران



ش ٣ — طيارة البهامر

وهناك طرز آخر من المركبات الهوائية قلدوا بها الطيارات الافرنجية المعروفة التي يلهو بها الاحداث فيرسلونها في الهواء مشدودة الى خيط وهي مربعة الشكل اشبه بصندوق وتختلف عن الطيارة الشائعة في الشام ومصر التي هي عبارة عن صحيفة مستديرة او مسدسة او مثلثة . واشهر الباحثين في هذا الشكل من المركبات الهوائية هنري فرمان فانه اصطنع مركبة مؤلفة من عدة طيارات افرنجية على شكل يسهل الطيران بها يجلس السائق او الربان في مقعد وبين يديه آلة يدير بها الدفة وتطيير هذه الآلة يرجع الى البدإ تطيير الطيارة



ش ٤ — مركبة فرمان

فان هذه انما تطير لمقاومتها الهواء وهي على سطح مائل فالولد يشدها بالخيط اليه والهواء يصدها وهي منحرفة نحو الامام والاعلى فتتذبذب بين القوتين وتطير . ومركبة فرمان التي نحن في

صددها قائمة على اربع عجلات اثنتين في الامام واثنتين في الوراء · ولكن الاماميتين اعلى من الخلفتين ببضعة امتار كما نرى في الشكل الرابع فيحرك السائق العجل كما يحركها راكب البيسكل فتجري الى الامام وكلما اسرعت رفعها الهواء الى الاعلى على مبدأ الطيارة التي ذكرناها ولا تزال ترفعها حتى تعلو ويحملها الهواء ومساحة هذه المركبة عبارة عن مساحة اشرعتها وطولها عشرات من الامتار

على ان هذه الانواع وغيرها مما لم نذكره انما يرجى الانتفاع منها في الاسفار المائة المركبة البالونية · وقد تمكنوا من السفر بها في اوربا واميركا بما لم يكن يحلم به الناس من قبل وقد دخل الملوك والامراء في شؤونها ونشطوا اصحابها فركب ولي عهد المانيا بالامس في مركبة زبلين وانعم والده على صاحبها باعظم وسامات المانيا · وقال عنه انهُ اعظم رجل الماني في هذا العصر وانهُ فاتح العالم الهوائي · وقد ذكرنا في غير هذا المكان استخدام الفرنساويين المناطيد في الاشراف على معسكر اعدائهم في مراكش · والدول تتسابق الآن في اجادة هذا الاختراع كما تتسابق في اتقان الاساطيل والبنادق والمدافع وسيأتي يوم يكون للمركبات الهوائية شان كبير فيستغني بها عن كثير من سفن البحر ومركبات البر

المسكر والحياة الاجتماعية

لم ترَ المدنية سوءًا اخر في جسمها من المسكر · وقد يعترض ان الفحشاء والمقامرة اكثر ضررًا واسوأ مصيرًا · لكنك اذا نظرت الى العاقبة وفكرت في الاسباب والمسببات رأيت المسكر اكثرها ضررًا لانهُ كثيرًا ما يكون الباعث على سائر المنكرات لان الانسان يعمل في سكره مالا يجرأ عليه في صحوه ولذلك قالوا « السكر رأس المعاصي » وهي حكمة مبنية على الاختبار وقد يتبادر الى الاذهان انا نريد بالسكيرين الذين يترنحون ويعربدون و يخلطون في اقوالهم او يفقدون رشدهم او يتقيأون ما في احشائهم · نعم اننا نريد هؤلاء ولكننا نريد ايضًا طائفة من الادباء واهل الوجاهة ادمنوا على المسكر بالاقتداء او الاستطراق وهم لايحسبون انفسهم في عداد السكيرين لانهم لا يعربدون ولا يترنحون ولا يفقدون رشدهم بل قد يكونون في حال سكرهم اوعى منهم في حال الصحو · ولكنهم مع ذلك مولعون بالشرب مدمنون عليه فاذا مالت الشمس انقبضت نفوسهم واظلمت قلوبهم ولا يزالون في تلك الظلمة الى ان تشرق شمس الحميا في الكاس ثم تدبُّ في عروقهم دبيب الافعى ولكنها

تطربهم وتفرج همومهم فيعاقرونها ساعات متوالية وهي تزيد وجوههم اشراقاً وقلوبهم انبساطاً وربما دام سرورهم الى آخر الليل . وقد يثابرون على هذه الحال اياماً او اشهراً او اعواماً وهم لا يرون ما يكدرهم ولا ما يدعو الى العدول عن معاقرتها . وقد ترى جماعة منهم يزدادون سمناً وصحة (بحسب الظاهر) فلا غروَ اذا اعدها بعضهم علاجاً شافياً لكل الامراض فاذا اصابته الحمى عمد الى البيرة واذا خاف الوباء الوافد تدرع بالكنياك او الويسكي

وهناك فئة ثالثة من مدمني الخمر يشربونها لتنبيه شهوة الطعام او للمساعدة على الهضم او نحو ذلك من الفوائد الصحية (على زعمهم) . فهم لا يتناولونها الا قبل الاكل او على المائدة ويفاخرون بتناولها ويصفونها لاصدقائهم واخصائهم دواءً شافياً . ولكنهم مع ذلك قد ادمنوا عليها حتى اصبحوا لا يستطيعون طعاماً ولا يهنأ لهم زاد الا اذا جعلوا رأسه كأساً او كؤوساً من العرقي او الكنياك او البيرة

وهناك طائفة اخرى من مدمني المسكر يريدون به ازالة الهموم او استجلاب المسرات وهم السواد الاعظم من المدمنين واكثرهم من اواسط الناس واكابرهم وفيهم جماعة كبيرة من اهل الوجاهة يتنازن منهم من يشرب في منزله ومنهم من يشرب في الحانات واماكن اللهو وهم يفعلون ذلك ولا يعدون انفسهم من المدمنين لانهم لا يسكرون ولا يعربدون . ولكن ضرر المسكر لا يفوتهم واذا فاتهم ضرره الاجتماعي او الادبي فلا يفوتهم ضرره الصحي ان بضعة اقداح من الخمر متى صارت عادة تطلبها النفس ولا ترتاح الا بها يغلب ان تطلب الزيادة منها . نعرف غير واحد من خيرة الادباء ومتخرجي المدارس العالية سيقوا الى هوة المسكر حتى ادمنوه وهم لا يشعرون وكانوا في بادىء امرهم ينتقدون كل شارب ثم اجازوا لانفسهم قدحاً قبل الطعام على اعتقاد انهُ لا يضرُّ وهم في اثناء ذلك يهزأون بالمدمنين ويؤنبونهم ويستخفون احلامهم ويعجبون لتعلقهم بالشرب وكيف انهم لا يستطيعون ابطاله ثم ما لبثوا ان تدرجوا هم حتى صاروا من المدمنين . وسواء زاد مقدار ما يشربونهُ ام ظل قليلاً ان الضرر واقع على الصحة لا محالة لأن كبد مدمني المسكرات تختلف عن كبد سواهم وشرايينهم تختلف عن شرايينهم ومعدهم تختلف عن معدهم كما فصلنا ذلك وصورناه في السنة الثامنة من الهلال

ويقال بالاجمال ان القوة الحيوية في مدمني الخمر اضعف منها في سواهم ولا يظهر ضعفهم من هذا القبيل الا اذا طرأ عليهم مرضٌ يشفى منهُ غير المدمن باسبوع فلا يشفى منهُ المدمن باسابيع . واذا كانت العلة شديدة تقضي على حياة السكير فلو لم يكن سكيراً لشفي

منها · وشواهد ذلك كثيرة يعرفها الاطباء · فقد رأيناهم مرارًا بجانب فراش العليل اذا سئلوا عن حاله وهل على حياته خطر اجابوا « لو لم يكن مدمناً المسكر لكان الشفاء مرجحًا اما وهو من المدمنين فالامل في الحياة ضعيف » ـ ولا يتنبه مدمن الخمر الى هذا الضعف وهو في حال الصحة لانهُ يرى جسمه يزداد سمنًا ووجهه اشراقًا ولو تفحص احشاءه لرأى كبده تضمر وشرايينه تتصلب وامعاءه تضعف فتداهمه الشيخوخة قبل زمن الكهولة · ناهيك بما يظهر من دلائل الضعف في عقله او خلقه او آدابه

لان المسكر لا يقتصر ضرره على الابدان فقط ولكنهُ يتطرق الى العقول والاخلاق والآداب ولا يثبت ذلك صريحًا الا الاحصاءات الطبية والاجتماعية وهي شهادة الارقام لاسبيل الى دفعها · فنقتصر على احصاء اضرارها في العقول والآداب وقد تقدمت الاشارة الى اضرارها البدنية

يؤخذ من الاحصاءات الاخيرة عن حوادث الجنون في العالم المتمدن نقلاً عن كشوف المستشفيات المبينة فيها الاسباب ان الحوادث الناتجة عن ادمان المسكرات تتراوح بين ربع عدد المصابين ونصفهم باختلاف الممالك والاقاليم اقلها في ذلك انكلترا وويلس واكثرها باريس على هذه الصورة نقلاً عن تقارير المستشفيات في البلاد المذكورة

اسم الاقليم	حوادث الجنون الناتجة عن المسكر
الولايات المتحدة	من ٢٥ — ٣٠ في المئة
انكلترا وويلس	١٤٫٦ « «
اسكوتلاندا	٦٢ « «
باريس	٥١ « «
فينا	٤٠ « «
بروسيا	٤٥ « «

واما تأثير المسكر على الاخلاق والآداب فيستدل عليه من احصاء الجرائم التي يسببها السكر وهذا جدول الجرائم الناتجة عن المسكر بالنظر الى مجموعها باختلاف البلاد الآتية :

اسم البلاد	الجرائم الناتجة عن المسكر
انكلترا وويلس	٩٠ في المئة
ماساشوستس باميركا	٥١ « «
أوبورن	٤٢ « «

سكوتلاندا	٩٠	«	«
ايرلندا	٨٠	«	«
المانيا	٤٣	«	«
فينا	٥٨	«	«
باريس	٨٣	«	«

وهناك ضرر عظيم الاهمية يرجع سببه الى المسكر ايضاً نعني الفقر . ويؤخذ من احصاء الفقراء في ماساشوستس ان ٣٩ في المئة من الفقراء سبب فقرهم المسكر وفي سائر الولايات المتحدة نسبتهم ٣٢ في المئة وفي انكلترا بين ٣٣ و ٥٠ وفي المانيا ٧٧ وفي جنيف ٩٠ في المئة

والخلاصة ان نحو ثلث الفقراء المنتشرين في انحاء العالم المتمدن سبب فقرهم ادمانهم على المسكر هم او آباؤهم فولدوا ضعاف البنية لا يقوون على العمل . وان نحو ربع المصابين بالخبل او الجنون سبب جنونهم الادمان على المسكر وقل نحو ذلك في اصحاب الجرائم

ومما ينبغي الالتفات اليه من عواقب المسكر الضرر في النسل . ومن المقرر المشهور ان ابناء السكيرين اهل عاهات و يغلب فيهم البله والجنون والكساح والصرع ويكثر فيهم سوء الخلق والميل الى المنكرات كالسرقة والفسق ويتسلسل ذلك في اعقابهم حتى ينقرض نسلهم

احتفال العثمانيين

بفتح مجلس المبعوثان

تم انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان فبلغ نيفاً ومئتي عضو ومتى وقفنا على اسمائهم ننشرها لتحفظ في بطون التاريخ . على اننا نذكر الاحتفال بافتتاح هذا المجلس فقد جرى يوم ١٧ دسمبر الماضي في قصر بجانب جامع ايا صوفيا بالاستانة يشرف على هذا الجامع من جهة وعلى بحر مرمرة من جهة أخرى . وفيه طبقتان احداهما لمجلس المبعوثان والأخرى فوقها لاجتماع مجلس الاعيان . افتتح مجلس المبعوثان جلسته الاولى بحضور جلالة السلطان في منتصف اليوم المذكور وقاعة الاجتماع لا تزيد مساحتها عن عشرين متراً في مثل نصفها . ولذلك فهي تضيق عن النواب فكيف بمن جرت العادة ان يحضروا الجلسات من كتاب الصحف وغيرهم . في صدرها من الجهة الغربية مجلس الرئاسة يصعد اليه بعدة درجات في وسطه كرسي الرئيس والى جانبيه

يقعد وكيلاؤه وكتاب المجلس - وامام مجلس الرئاسة منبر الخطابة وامامه مقاعد المبعوثين على طول القاعة · والى يسار مجلس الرئاسة اللوج المعد لجلالة السلطان والى يساره لوج اعضاء العائلة المالكة وفوقها لوج طويل يجلس فيه اصهار الحضرة السلطانية و ياورانه · والى يمين مجلس الرئاسة مقابل اللوج السلطاني لوج السفراء وفوقه لوج الصحافيين وتجاه مجلس الرئاسة في الجانب الشرقي للقاعة مكان يجلس فيه كتبة الاختزال (ستينوغراف) ويعبر عنهم في اصطلاح الاتراك بكتبة الضبط · والى كل من جانبي مكان الرئاسة اماكن معدودة لرؤساء الاديان والقواد ورجال الدولة الذين يحضرون الجلسات

ففي نحو الساعة الحادية عشرة جاء هؤلاء واستقروا في اماكنهم المشار اليها وبعد ساعة تقاطر النواب بالالبسة وجلس كل منهم في مكان اعدّ له من قبل · وتولى رئاسة الجلسة موقتاً تقي افندي مبعوث طرابزون لانه اكبر الاعضاء سناً ثم جاء السفراء بملابسهم الرسمية ولبث القوم ينتظرون قدوم جلالة السلطان - ففي نحو الساعة الاولى بعد الظهر سمع صوت النفير المنبيء بقدوم الموكب السلطاني وبعد قليل دخل ستة من انجال جلالة السلطان ليس فيهم البرنس يوسف عز الدين افندي فانه لم يحضر وكذلك البرنس رشاد افندي ولي العهد · ثم ظهر جلالة السلطان في اللوج المعد له فنهض الحضور اجلالاً له فسلم على هيئة النواب والمدعوين باشارة اليد وهو السلام التركي · ووقف جلالته هنيهة ودلائل التأثر بادية في محياه · ثم امر الصدر الاعظم ان يقرأ النطق الشاهاني فسلمه الى جواد بك فقرأه بصوت عال وهذه ترجمته :

« اعيان المبعوثان

« منحت رعيتي القانون الاساسي حينما استويت على العرش ثم اوقفت العمل بهذا القانون بناء على ما عرضه علينا رجال الدولة في ذلك العهد لما لقوه من المصاعب في انفاذه الى ان يرتقي افراد رعيتنا في العلوم والمعارف · فتوقف انفاذ مواده وتأجل اجتماعه الى زمن آخر ومن ذلك الحين وقفت قواي على ترقية الرعية في المعارف في جميع انحاء السلطنة وقد بلغنا والحمد لله الغاية المطلوبة اذ بفضل انتشار المعارف ارتقت مدارك الرعية · وبناء على الرغبة التي عرضت علينا في اعادة انفاذ هذا القانون لم تتأخر عن اعلان الدستور رغم اعتراض المعترضين · وذلك لان هذه الرغبة تضمن سعادة البلاد في الحال والاستقبال · فامرنا باعادة الانتخاب وجمعنا مجلس المبعوثان مرة ثانية · ولما تغير نوع الحكم الاداري عهدنا في زمام الادارة الى الصدر الاعظم كامل باشا · ولكن بينما كانت الوزارة المؤلفة

برئاسته تشتغل بتنظيم الامور على النظام الدستوري الجديد نقض امير البلغار ووالي الروم ايلي حقوق التابعية لسبب من الاسباب واعلن استقلال بلغاريا . واعلنت حكومة النمسا والمجر على اثر ذلك ضم ولايتي البوسنه والهرسك اللتين عهدت اليها ادارتهما موقتاً بموجب معاهدة مؤتمر برلين وابلغت ذلك الى الباب العالي والدول . وقد احدثت لي هاتان الحادثتان اللتان خرقتا معاهدة برلين ومستا علاقاتنا الدولية اسفاً شديداً

« ولما خرقت هذه المعاهدات عهدنا الى وزارتنا في اجراء ما يجب دفاعاً عن حقوق سلطنتنا ونحن نطلب من مجلس المبعوثان ان يساعدنا في ذلك . ولما كانت صلاتنا الودية مع جميع الدول حسنة بتنا نؤمل ان هذه الدول تساعدنا على حل هذه المشكلات . ونحن نرغب من صميم القلب في اصلاح المالية وتنظيم الميزانية وزيادة رفاه الرعية . وزيادة عدد المدارس لانارة الاذهان ونشر المعارف . واتمام ارتقاء نظام الجندية والبحرية واصلاح الدوائر المختلفة التي وضعت لها بعض النظامات . وستعرض هذه النظامات على هذا المجلس ومجلس الاعيان للمصادقة عليها . واملنا وطيد ان النواب يبذلون غاية جهدهم في هذا العمل . فنحن نعلن اليوم افتتاح مجلس المبعوثان ورغبتنا الوحيدة هي سعادة الامة ورفاهها وغايتنا الكبرى هي ان تدير البلاد بحسب القانون الاساسي . بل هذا هو اقصى ما نوده (تصفيق على مقاعد كثيرة خصوصاً في لوج الصحافيين) فنسأل الله ان يوفق مجلس المبعوثان الى خدمة البلاد » . انتهى

وبعد الفراغ من تلاوة النطق المذكور اطلقت مئة مدفع ومدفع ايذاناً بافتتاح المجلس ووقف شيخ العلماء فدعا لجلالته ثم التفت جلالته الى الاعضاء وقال « اني مسرور جداً بوجودكم في هذا المكان واسأل الله ان يوفقكم الى خدمة سلطنتي السنية وادعو لكم من صميم الفؤاد » ثم سلم وخرج وسار بموكبه الى يلدز برًّا كما جاء

ثم حلف النواب اليمين القانونية وهذا نحواها « اقسم اني احافظ على الاخلاص للسلطان ما بقي جلالته محافظاً على الدستور الذي اقسم اليمين بالمحافظة عليه وان اكون اميناً للدستور ولوطني في المهمة التي انتخبت لها والله وبالله » وكان المراد ان يحلف جلالة السلطان اليمين ثانية بالمحافظة على الدستور وفاوضوه بهذا الشان قبل الحفلة فلم يرض اكتفاء بانه حلفها قبلاً بين يدي شيخ الاسلام . ودارت المناقشة في ذلك ثم تراضوا واكتفوا بيمينه الاولى جرياً على سياسة جمعية الاتحاد والترقي في توخي المسالمة والمحاسنة على قدر الامكان

ووردت على مجلس المبعوثان يوم افتتاحه رسائل التهنئة من بعض ملوك اوربا ومجالسها

الدستورية فوصل تلغراف جلالة ملك الانكليز وجلالة السلطان لا يزال في المجلس وفيه تهنئة جلالته بافتتاح مجلس المبعوثان . وجاء تلغراف آخر من البرلمان الانكليزي الى البرلمان العثماني وتلغراف آخر من مجلس الدوما الروسي بهذا المعنى . واشترك العثمانيون في سائر المملكة العثمانية بهذا الاحتفال فاقاموا الزينات وعقدوا الاجتماعات والقوا الخطب والقصائد في معنى الثبات والاتحاد والاستبشار بفاتحة عصر جديد . واطلقت المدافع في الولايات والمتصرفيات كما اطلقت في الاستانة وفي جملتها مصر والاسكندرية

ومن ابهج تلك الاحتفالات في الولايات احتفالٍ بيروت والاسكندرية والقاهرة فقد تليت فيها الخطب الرنانة ورفعت الاعلام والرايات وغيرها من علامات الزينة مما يضيق المقام عن ذكره . ونطلب اليه تعالى ان يتم نعمته علينا و يوفقنا الى ما تقتضيه الاحكام الدستورية لمصلحة الامة والدولة فنكون قد اتينا امرًا لم تستطعه امة من الامم الارض ويحفظ لنا التاريخ ذكرًا ستتخذه امم الاعصر المقبلة مثالاً في طلب حقوقها وقلب حكوماتها بلا سفك دماء ولا نصب عداء



احتفال المصريين

بالجامعة المصرية

واحتفلت الامة المصرية في ٢١ دسمبر الماضي بافتتاح الجامعة المصرية التي اشتركت الامة في انشائها كما ذكرنا في غير هذا المكان وعقدوا لهذا الاحتفال جلسة عامة في قاعة مجلس شورى القوانين حضرها الجناب العالي ووزراؤه وقناصل الدولة ولفيف من الاعيان والعلماء وكبار الموظفين غصت تلك القاعة بهم . وتقدم مجلس ادارة الجامعة الى سمو الخديوي رسمياً بخطاب تلاه البرنس احمد فؤاد باشا رئيس المجلس المذكور ان يفتح الجامعة فاجابه سموه بخطاب هذا نصهُ :

« يادولة الرئيس

« يا حضرات الاعضاء

« لقد حاز مشروع الجامعة المصرية لديَّ ارتياحاً عظيماً منذ توجهت اليه الافكار ولذلك فاني ارحب اليوم بظهوره في عالم الوجود اذ جاءت الجامعة في أوانها مكملةً

تسبيع الدائرة

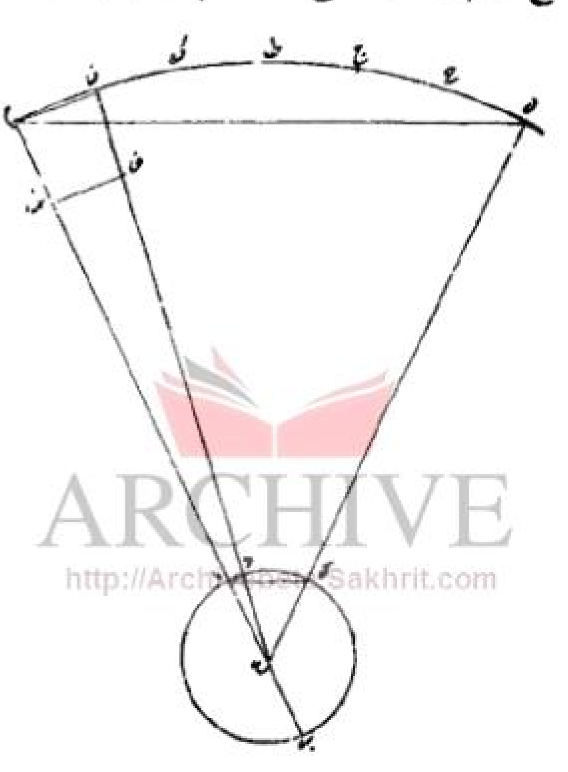
هل هو ممكن ؟

ان تسبيع الدائرة اي قسمتها الى سبعة اقسام متساوية من المشاكل الرياضية التي عرضت على قرائح الرياضيين منذ اعوام متطاولة وفرضت لها بعض المجامع العلمية جائزة ينالها صاحب الحل . وما من رياضي ظهر في هذا العصر الا اشتغل في حلها . والمراد قسمتها رياضياً اي بحسب القواعد الرياضية وان يقوم على صحتها برهان رياضي كما فعلوا في قسمة الدائرة الى ثلاثة اقسام والى اربعة وخمسة وستة . والرياضيون مختلفون في هل تسبيع الدائرة هذا ممكن او مستحيل . فالذين يرون امكانه يشتغلون في قسمتها بالهندسة او الجبر او الحساب او غير ذلك . وكم من رياضي قضى عمره في طلب هذه الضالة وهو يفكر في حلها يشتغل به عن سائر مطالب الحياة . واستغرق بعضهم في ذلك حتى نسي نفسه وسائر اهله واصبح لا يرى بين يديه الا ارقاماً او خطوطاً او اقواساً . وقد يقضي العمر وهو يتوهم انه اوشك الوصول الى الحل المطلوب فيبيت وهو يرجو ان يصبح وقد حلها فينقضي العام والاعوام والعمر ولا يقضي وطراً

واما الذين يرون تسبيع الدائرة مستحيلاً فلهم على ذلك ادلة لا محل لها هنا وانما اشرنا الى ذلك لأن الآن احد الادباء (ج . ا) بعث الينا حلاً لهذه المشكلة الرياضية نعني تسبيع الدائرة وقال أنه عرضها على احد الاساتذة الرياضيين في الاسكندرية فوصلنا رأيناها فرأينا ان لا نستأثر بحكمنا عليها فبعثنا صورتها الى حضرة الرياضي منصور افندي جرداق نائب استاذ الرياضيات في المدرسة الكلية السورية وسألناه رأيه في ذلك . فكتب الينا نقداً ذيله بما يدل على انه يعتقد استحالة حل هذه المسألة وينصح للمشتغلين بها ان ينبذوها ونحن ناشرون في ما يلي صورة الحل وصورة النقد للمقابلة بينهما . وقد كان في امكاننا الاقتصار على تبليغ النقد لصاحب الحل ولكننا اردنا بنشره استلفات نظر المشتغلين بحل هذه المسألة ونعرف جماعة منهم يقضون اثمن اوقاتهم في حلها فاذا اقتنعوا باستحالتها انصرفوا الى ما يفيدهم :

اولا — صورة الحل

لتكن الدائرة اس ب فعلينا ان نرسم فيها شكلاً قياسيا ذا سبعة اضلاع اورسم القطر اب واخرجه الى م حتى ان الخارج منه يعدل ثلاثة امثاله اي من ع مركز الدائرة الى م يعدل سبعة امثال نصف القطر ع ا ثم من المركز ع والبعد م ارسم الدائرة م ل واقطع منها م ن • ن ك الخ ستة اقسام كل منها يعدل نصف القطر للدائرة



المثلث

اس ب وارسم من ل الخط ل ع يقطع الدائرة في س وعند تقاطع الخطين في الدائرة الداخلة ارسم الخط ا س فهو المطلوب اى هو ١/٧ للدائرة اس ب وارسم الخط م ل فهو ايضا ١/٧ الدائرة الخارجة والبرهان على ذلك :

ارسم الخط ن ع يقطع الدائرة في د وارسم الوترين م ن • اد فمن المعلوم ان الضلعين ع د • ع ا هما متساويان وهما ساقا المثلث ادع وكذلك الضلعان م ع • ن ع هما متساويان وعليه فالزاوية ع اد تعدل الزاوية ع م ن والزاوية ع دا تعدل الزاوية ع ن م والزاوية ع

مشتركة بين المثلثين ع اد ، ع م ن فالمثلثان متشابهان فنسبة الضلع ع م : ع ا :: ن م : د ا ولكن الضلع م ع يعدل سبعة امثال الضلع ا ع فاذا ن م = سبعة امثال ا د ولكن ن م هو نصف القطر للدائرة ا س ب فهو سدس الدائرة ا س ب فاذا ا د هو ١/٧ ١/٦ الدائرة المذكورة او ١/٦ ١/٧ فستة امثاله يعدل ٦/٦ ١/٧ اي ١/٧ الدائرة ا س ب ويعدل الخط ف ق لانه ستة أسباع هذا السدس ايضاً فيكون الخط ا س هو ١/٧ الدائرة

ولنا ايضاً برهان آخر وهو ان قطر الدائرة الخارجة يعدل سبعة امثال قطر الدائرة الداخلة وعليه فمحيط الدائرة الخارجة يعدل سبعة امثال محيط الدائرة الداخلة ا س ب وبما ان الدائرة تعدل ستة امثال نصف قطرها (اي محيط) فالدائرة الخارجة تعدل اثنين واربعين نصف قطر الدائرة الداخلة فستة منها تعدل ٦/٤٢ اي ١/٧ فاذا القوس م ل هو ١/٧ الدائرة الخارجة وعليه فالقوس ا س هو ايضاً ١/٧ الدائرة الداخلة ا س ب لانهما اقواس دائرتين لهما مركز واحد فهما متشابهان متناسبان والوتر م ل يعدل سبعة امثال الوتر ا س

(ج · ١)

ثانيا — نقد الحل لمنصور افندي جرداق

اطلعت على الحل و يسوؤني ان اقول انه خطأ وهذا الخطأ ناتج عن التساهل والتسامح في استعمال العبارات وعدم الانتباه لمعانيها الخاصة اوما وضعت لاجله · وبالاخص حينما ينتقل من عبارة الى اخرى

وجل القصد ان اظهر موضع الخطأ الذي اوصل صاحب الحل الى الاعتقاد ان الوتر الحاصل هو ضلع المسبع القياسي المطلوب رسمه وذلك واضح باجلى بيان · حيث يقول « ن م هو نصف قطر الدائرة ا س ب فهو سدس الدائرة ا س ب » فقوله « فهو سدس الدائرة » بعيد عن الصواب والحقيقة انه يقطع سدس المحيط ولكنه لا يساويه لانه وتر (خط مستقيم) بين ان سدس المحيط قوس والوتر يصل بين طرفيها ومعلوم ان الخط المستقيم هو اقصر مسافة بين نقطتين ولذلك لا يساوي القوس (سدس المحيط) فاذاً أجزاؤه لا تساوي اجزاءها أي سدسه لا يساوي سدسها ولا سبعه سبعها الخ

ويقع في ذات الخطاء في برهانه الثاني وذلك قوله « ان الدائرة تعدل ستة امثال قطرها » ثم اعقبها بقوله (اي محيط) وهذا الاخير على اطلاقه مبهم جداً فلا فائدة منه · اما قوله الدائرة تعدل ستة امثال قطرها لا يسلم به احد حتى ولا حضرته لان محيط الشكل القياسي (المسدس) يعدل ٦ امثال نصف القطر بين انّ المحيط يعدل

٦،٢٨٣١٨ امثاله (نصف القطر) تقريباً . وهنالك برهان آخر يظهر عدم صحة الحل وهو ان الزاوية الحاصلة في رسمه اي زاوية س ع ١ تنقص عن الزاوية الحقيقية بنحو ٣/٤ الدرجة

وخاتمة الكلام ان حل المسائل كما هو معلوم عند الرياضيين بالمسطرة والبركار مستحيل لان المسطرة تمثل الخط المستقيم ومعادلته من الدرجة الاولى والبركار محيط الدائرة ومعادلته ابسط انواع الدرجة الثانية ($ك^{٢} + ي^{٢} = ش^{٢}$) بين ان الحل يتطلب خطاً منحنياً معادلته اعلى من الدرجة الثانية ولذلك لا ترى احداً من الرياضيين الذين درسوا الهندسة التحليلية والتمام والتفاضل ووقفوا على برهان عدم استطاعة رسمها بحسب قوانين اقليدس يضيع دقيقة من وقته ليحلها وانصح لكل طالب ان ينبذ من مخيلته التصور بامكانية حلها بالشروط المذكورة واضاعة الوقت سدى والسلام

منصور جرداق (المدرسة الكلية)



الانقلاب السياسي العثماني

هل هو صحيح ثابت

كتب الينا غير واحد من القراء يسألوننا رأينا في الانقلاب العثماني الاخير هل هو ثابت باقٍ ام يخشى ان يصيبه ما اصاب مثله منذ نيف وثلاثين سنة . والذي نراه ان حالنا اليوم غير حالنا يومئذٍ . ان التغيير الذي حصل على يد مدحت باشا ورفاقه في ذلك العهد لا يعدُّ بالحقيقة انقلاباً اذ لم يقم به الا نفرٌ من الخاصة تواطأوا على خلع السلطان واشترطوا على خلفه اعلان الدستور والامة لا دخل لها في ذلك ولا فائدة منها لو علمت لانها لم تكن مستعدة لهذه النعمة بالنظر الى ضعف التعليم والاختلاف بين العناصر والاديان فلما نُفي صاحب المشروع (مدحت) سقط مشروعه (الدستور) . واما الآن فقد قامت بهذا الانقلاب جمعية مؤلفة من ألوف من نخبة الشبان الاذكياء وخيرة الكهول العقلاء الذين حنكتهم التجارب وعلمتهم الايام وفيهم ارقى رجال الامة العثمانية علماً وادباً وتربية واستقلالاً وبينهم جماعة لا يقلون رقيّاً في العلم والاخلاق عن ارقى رجال الامم المتمدنة . ولا غرابة في ذلك لانهم قضوا زهرة اعمارهم في اشهر بلاد الحرية وتفرغوا لدرس احوال الامم واسباب

ارتقائها وسقوطها ولذلك رأيناهم لما افضت ازمة الاحكام الى ايديهم تجنبوا الوقوع في ماوقع به اكثر الذين نالوا الحرية قبلهم من الامم الراقية فجنبوا الدماء وساسوا الامور سياسة لم يسمع بمثلها ولم يأتوا عملاً يلامون عليه ولا ارتكبوا غلطة سياسية الى الآن

فهل يخشى ان يغلب هؤلاء على امرهم او يرجعوا عن عزمهم ? واذا فرضنا المستحيل وانهم غلبوا او رجعوا من عند انفسهم فالامة لا ترجع لان كل فرد من افرادها من التاجر الكبير الى الصانع الصغير العالم والجاهل الغني والفقير قد شعر كل منهم بالحرية الشخصية وتنازلوا في سبيل استبقائها عن كل قديم فنبذوا الضغائن واتحدوا على اختلاف المذاهب — فهؤلاء كيف يمكن ارجاعهم الى سجن الاستبداد

على ان الاحرار العثمانيين اصحاب هذا الانقلاب لم يأتوا امرًا الى الآن يخشى منه على تبديل الاحوال بل بالعكس فانهم اتوا كل ما يثبت اقدامهم منذ قبضوا على ازمة الدولة. وقبل انتخاب مجلس المبعوثان اخذوا يسعون في الاصلاحات التي لا غنى عنها وبدأوا باهمها فاستقدموا الخبيرين من ارباب الفنون الاقتصادية عهدوا اليهم بالاصلاحات الزراعية والمالية وغيرها لم يغفلوا كبيرة ولا صغيرة يفضلون الاهم على المهم ويبدأون بالاسرع استثمارًا ولو كان من قبيل التجارة يستعينون بربحه على اصلاح غيره

ومن اقرب الادلة على ذلك مبادرتهم الى اصلاح شركة البواخر المخصوصة العثمانية التجارية في البحر المتوسط. فقد حدثنا صديقنا اسعد افندي مفرج مندوب الشركة الانكليزية التي كلفتها الحكومة العثمانية باصلاح هذه البواخر وقد ذهب الى الاستانة مع مندوب آخر انكليزي من قبل هذه الشركة (Fenner & Adler Co. Ld) قال انه شاهد اجتهاد الوزراء في الاصلاح بنزاهة وهمة كبيرتين يساومون على الاعمال كأنها لم وقص علينا من حديث البواخر المخصوصة ما لا يخلو ذكره من فائدة — قال انها مئة باخرة لا تكاد تجد ثلاثًا منها على طرز واحد. لانها مجموعة من اماكن شتى على ما اقتضته مطامع الذين كانوا يتولون ابتياعها او اصطناعها في عهد الاستبداد. فكانوا اذا عهد الى احدهم بالتوصية على باخرة او عدة بواخر ابتاعها قديمة واكتفى بدهانها لتظهر جديدة ويقتسم فضلة الثمن بينه وبين الذي عهد اليه تلك المهمة والذي توسط بينهما. فلا يتفق له الجمع بين عدة بواخر على طرز واحد وفي سن واحد. ناهيك بما كانت تقاسيه تلك السفن من الاهمال في طليها والطلاء الذي تكسى به البواخر لمنع الصدأ انواع منها الكثيف الشديد تكسى الباخرة به مرة كل بضع سنوات ومنها الرقيق الذي يجدد كل سنة وبعض السنة. وكانوا يفضلون

الطلاء الاول لطول مكثه يتساعدون بذلك على الاجتزاء بما يقدر للطلاء من الاموال على ما كان جاريًا يومئذ . فاصبحت اليوم وقد تراكم على ظاهرها الصدا او الطحالب او الاصداف البحرية بما يقصر عمرها ويضعف سيرها لان فساد الطلاء وتراكم الاوساخ على سطحها يعيق سيرها فلا تقطع نصف المسافة التي كانت تقطعها قبلاً . ورأت نظارة البحرية ان تبادر الى اصلاح هذه البواخر لسرعة الانتفاع بدخلها واخبرنا صديقنا ان الشركة الانكليزية المشار اليها اوصت مندوبيها ان يتساهلوا في المساومة ولو قلَّ السعر عما يعطى للانكليز انفسهم . وفي عزم الحكومة العثمانية جعل البواخر المخصوصة ادارة مستقلة بنفسها وستبني ست بواخر جديدة يسير منها اثنتان في البحر الاسود واثنتان بين الاستانة والاسكندرية — هذا مثال مما علمناه يضاف الى عشرات من المشروعات التي لم نعلم تفاصيلها بعد كانتداب سابا باشا لاصلاح مصلحة البريد وويلكوكس لري العراق وسواها لاصلاح المالية والحربية وغيرها

وبالجملة لا يخشى على الدستور من الضياع باذن الله وان كنا نتوقع حصول عراقيل واختلافات شأن سائر الامم في تدبير شؤونها



الحلقة المفقودة

يراد بالحلقة المفقودة ما يتوقع العلماء العثور عليه من بقايا حيوان متوسط الشكل بين الانسان والقرد على اعتقاد وحدة اصلهما وانما يقصدهم لاثبات ارتقاء احدهما عن الآخر واشتراكهما في الاصل حيوان وسط بينهما في شكله وقواه . وقد عثر بعضهم على بقايا حيوانات ظنوا لاول وهلة انها الحيوان المطلوب ثم تبين لهم خطأهم ولا يزالون يوالون البحث في هذا السبيل . وقد رفع الموسيو ادمون بريه الى اكاذيمية العلم في باريس مذكرة للموسيو بول بن هيكل عظمي اكتشفه احد رؤساء الدين في الطبقة الثلاثية في دير بالقرب من بريف شكل جمجمته يشبه جمجمة اكتشفوها في مكان بالقرب من

لان اكثرها جديد على القراء . وبالجملة ان صدور هذا الكتاب في العربية يدلُّ على همة عالية وعناية كبيرة . وهو يطلب من حضرة المؤلف بمصر وبدل الاشتراك في الاجزاء الثلاثة معاً مئة وخمسون غرشاً

مطبوعات جديدة

١ — الجرائد

(١) الثبات : جريدة يومية سياسية ادبية تجارية تصدر في بيروت لصاحبها ومدير سياستها اسكندر افندي الحوري ورئيس تحريرها خليل افندي زينية بدل اشتراكها ٩٣ غرشاً في بيروت و٢٥ فرنكاً في الخارج (٢) المحبة : كانت اسبوعية فصارت يومية وهي تصدر في بيروت لصاحبها فضل الله افندي فارس ابي حلقة بدل اشتراكها ٤ مجيديات في بيروت و٥ في بلاد الدولة العثمانية و٢٥ فرنكاً في سواها (٣) المقتبس : هي جريدة يومية اقتصادية اجتماعية تصدر في دمشق الشام لمنشئها ومدير سياستها محمد افندي كردعلي بدل اشتراكها ٤ ريالات في دمشق و٢٥ فرنكاً في الخارج (٤) العدل : هي جريدة عربية تركية سياسية علمية مصورة تصدر في الاستانة مرة في الاسبوع لصاحبها ورئيس تحريرها محمد صفا بك المصري بدل اشتراكها ٤٥ غرشاً في الاستانة و١٥ فرنكاً في الخارج (٥) العصر الجديد : جريدة سياسية تجارية علمية صناعية زراعية تصدر في دمشق الشام مرة في الاسبوع لصاحبها ناصيف افندي ابي زيد بدل اشتراكها ١٠ فرنكات في دمشق و١٥ فرنكا في الخارج (٦) كلمة الحق : جريدة عربية سياسية تصدر بالاستانة ثلاث مرات في الاسبوع لصاحبها ورئيس تحريرها ج . حرفوش ومحررها عزيز افندي صعب بدل اشتراكها ٤ مجيديات في الاستانة و٢٥ فرنكا في الخارج (٧) الرغائب : جريدة عثمانية علمية ادبية تجارية تصدر في طرابلس الشام مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها ومحررها حكمت بك شريف بدل اشتراكها ريالان في طرابلس و٣ في المملكة العثمانية و١٥ فرنكا في سواها (٨) المراقب : جريدة سياسية اجتماعية زراعية تصدر في بيروت مرة في الاسبوع لصاحبها ورئيس تحريرها جرجي افندي شاهين عطية بدل اشتراكها ١٠ فرنكات في بيروت و١٥ في الخارج (٩) الطلبة : جريدة

عمومية تصدر بالقاهرة مرة في الاسبوع لمديرها عبد الحميد افندي حمدي بدل اشتراكها ٤٠ غرشاً للطلبة و٥٠ لسواهم (١٠) حديقة الاخبار : هي اقدم الجرائد السورية لكنها تصدر الآن يومية في بيروت لصاحبها ومحررها وديع افندي الخوري ومديرها حنا افندي الخوري بدل اشتراكها ٢٠ فرنكا (١١) ابو قشة : جريدة هزلية جدية تصدر في تونس الغرب مرة في الاسبوع لصاحبها السيد الهاشمي بدل اشتراكها ١٠ فرنكات (١٢) السعادة : جريدة سياسية ادبية تصدر في طنجة بمراكش مرتين في الاسبوع لصاحبها وديع افندي كرم بدل اشتراكها ١٢ فرنكا (١٣) المارونية الفتاة : جريدة انتقادية خاصة بالطائفة المارونية يصدرها يوسف افندي خطار غانم في بيروت

٢ — المجلات

(١) روضة المعارف : هي مجلة علمية ادبية فكاهية تصدر في بيروت مرتين في الشهر لصاحب امتيازها ومديرها السيد محمد علي بك القباني ورئيس تحريرها الاستاذ عبد الرحمن افندي سلام بدل اشتراكها مجيديان في بيروت و١٢ فرنكاً في الخارج (٢) نور الشرق : مجموعة مقالات ادبية وفوائد صحية ووصفات طبية تصدر في مصر مرة في الشهر لصاحبها حبيب افندي نجار الاجزاجي بدل اشتراكها ١٠ غروش في مصر و ٤ فرنكات في الخارج (٣) النفائس : مجموعة لطائف وفكاهات تصدر في حيفا «سوريا» مرة في الاسبوع لمنشئها خليل افندي بيدس بدل اشتراكها ستة بشالك في حيفا ومجيدي واحد في الخارج (٤) مجلة الاعمال اليدوية للسيدات : هي مجلة نسائية مصورة تصدر في القاهرة بالعربية والفرنساوية مرتين في الشهر لصاحبتها مادموازيل فاسيلا واختها بدل الاشتراك ٦٠ غرشاً بمصر و١٧ فرنكا في الخارج (٥) القرطاس : مجلة علمية ادبية مدرسية تصدرها جمعية الآداب الخيرية في الاسكندرية مرة في الشهر مديرها احمد افندي فائق بدل اشتراكها ٢٠ غرشاً بمصر و١٥ غرشاً في الخارج (٦) سلسلة الروايات العثمانية : هي مجلة روائية ادبية تاريخية تصدر في طنطا مرتين في الشهر لمنشئها جورجي افندي سعادة وشريكه وفي كل جزء رواية مستقلة بدل اشتراكها ٤٠ غرشاً بمصر و١٥ فرنكاً بالخارج

٣ — الروايات والدواوين

(١) بوليس اميركا السري : هي رواية تاليف نقولا كارتر ونقلها الى العربية ديمتري افندي نقولا وطبعت بنفقة المكتبة الشرقية ثمنها غرشان غير اجرة البريد (٢) وفاء

الزوجين : رواية ادبية حكمية في قالب غرامي تأليف س - مسيحة الكاتب بمصلحة الري وتطلب من حضرته (٣) عودة قلب الاسد : رواية كبيرة تاليف السر ولتر سكوت الانكليزي الشهير نقلها الى العربية سليم افندي الخازن اللبناني ونشرت تباعاً في جريدة مرآة الغرب في نيويورك بامركا ثم نشرت على حدة في مجلد كبير يطلب منها وثمن النسخة ريال ونصف ريال اميركاني (٤) بطل المروءة والسيف : هي رواية ادبية تهذيبية تاليف بول فيفال الفرنساوي وقد نقلها الى العربية ادوار افندي مرقص اللاذقي وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثة غروش والبريد غرش (٥) مكنونات باريس : ظهر الجزآن الخامس والسادس من هذه الرواية تاليف اوجين سو تعريب الدكتور شدودي الرمدي الشهير وهما الجزآن ١٩ و ٢٠ من مجلة الفكاهات العصرية لصاحبها عبدالله افندي غزالة ثمن الجزء غرشان (٦) ديوان محرم : صدر الجزء الاول من هذا الديوان لناظمه احمد افندي محرم الشاعر المصري المعروف وقد سماه هدية النيل وفيه طائفة من نظمه تدخل في ٣٠٠ صفحة و يطلب من حضرته (٧) ديوان احمد نسيم : وصدر الجزء الاول ايضاً من هذا الديوان لناظمه احمد افندي نسيم الشاعر المعروف بمصر مصدراً بمقدمة بقلم عبد الرحيم بك احمد ومحمد بك هلال مع رسميهما ورسم الناظم . ويطلب الكتاب من حضرته

٤ — التواريخ وكتب اللغة

(١) الجغرافية التجارية : صدر الجزء الاول من هذا الكتاب تاليف حسين افندي لبيب مدرس بمدرسة المقادين الاميرية وهو اول كتاب صدر على هذا النمط في اللغة العربية ويطلب من مؤلفه في القاهرة وثمن النسخة خمسة غروش غير اجرة البريد (٢) مصطفى كامل باشا : صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب وهو تاريخ المرحوم مصطفى كامل وأعماله واقواله و يطلب من مكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة غروش غير اجرة البريد (٣) تاريخ الحرمين وبيت المقدس : يحتوي على تاريخ المساجد الثلاثة المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي في المدينة والمسجد الاقصى في القدس تاليف احمد افندي حافظ صاحب مطبعة الهداية بطنطا و يطلب منه وثمن النسخة خمسة مليمات (٤) الكشكول الصغير : صدر الجزء الاول من هذا الكتاب الفكاهي لمؤلفه عبد العزيز افندي حمدي و يطلب منه بمصر وثمن الجزء خمسة غروش (٥) سمير العائلات : يشتمل على الاحاديث والروايات صدر الجزء الاول منه و يطلب من مكتبة الفوائد في بيروت (٦) الاستاذ : ظهر الكتاب الثالث من هذا المؤلف لصاحبه جورج افندي ميان وهو جزءان احدهما في الاصول

اللاتينية والآخر في الاصول اليونانية في اللغات الافرنجية وقد اوضح قواعدها باللغة العربية وجمع بين مشتقاتها ومركباتها ليسهل تناولها وهو كتاب لا مثيل له في العربية ويطلب من مكتبة الهلال (٧) اصول لغة الاسبرانتو : هو كتاب في تعليم هذه اللغة لابناء اللسان العربي الفه القس جبرائيل الحداد وطبع في رومية بنفقة حضرة الاباتي يوسف الخازن وهو اول كتاب لتعليم هذه اللغة في العربية

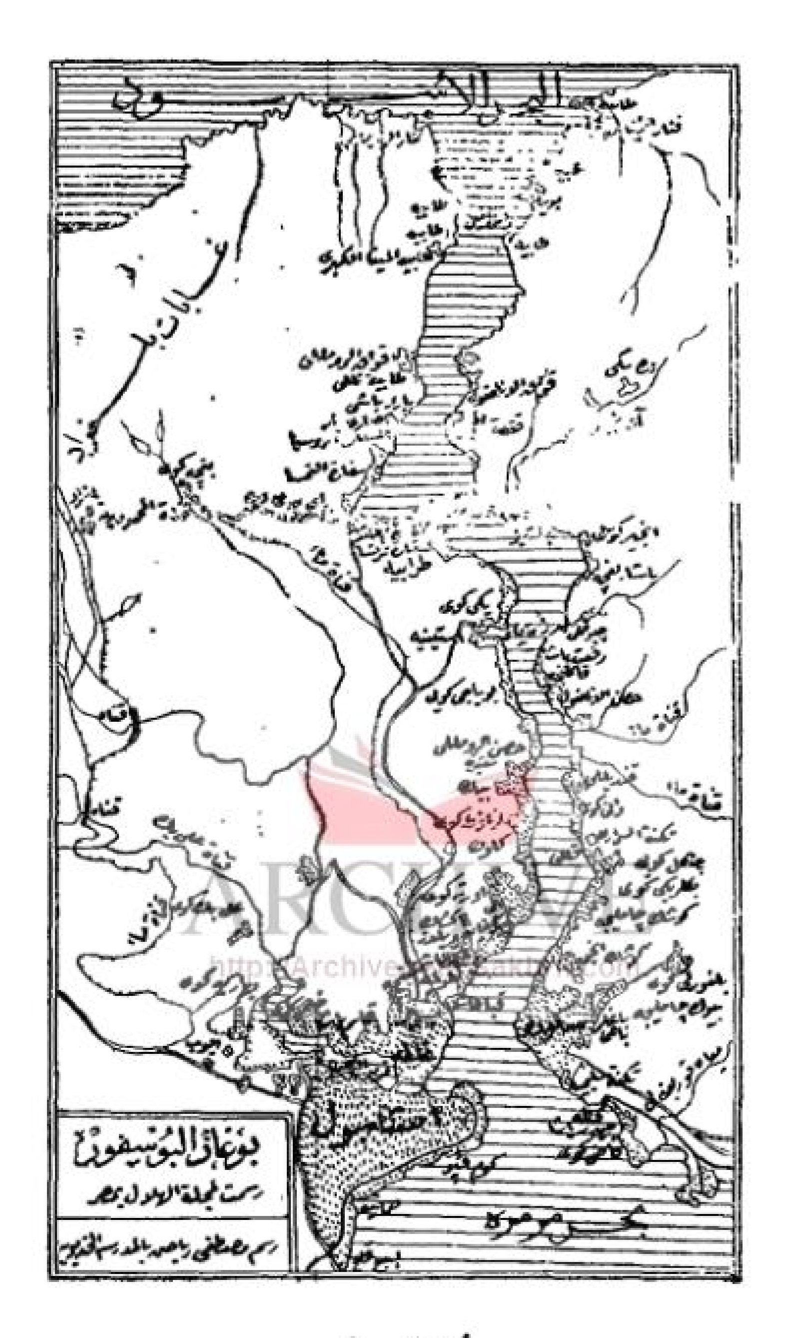
٥ ـ كتب طبية وغيرها

(١) الزنكوغراف : كتاب علمي عملي في صناعة الحفر على الزنك بواسطة الشمس تعريب شكري افندي صادق سكرتير نادي الفنون الجميلة المصرية يشرح كيف تؤخذ الصور وكيف تحفر ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش (٢) المعادن والجواهر : هو خطاب علمي فني القاه محمد افندي حسني العامري بنادي المدارس العليا يبحث فيه عن المناجم المصرية القديمة والحديثة وعين اماكنها وربما نشرنا امثلة منه في فرصة اخرى (٣) الشمس : هي رسالة في الشمس واحوالها ووصف حرارتها وبعدها وآثارها في الارض تأليف بطرس افندي حنا عبود صاحب جريدة الراوي ومؤلف كتاب نظام التعليم وتطلب من حضرته (٤) (Fouilles à Achmounein) : هي رسالة في الفرنساوية عن اكتشاف اثري مصري في الاشمونين لحضرة محمد افندي شعبان الباحث الاثري نشر فيها رسوم ما اكتشفه وقرأه رسماً جميلاً وله مقالة عن القبر الروماني في تل السباخة بالفرنساوية ايضاً وكلاهما مطبوعان (٥) رأس الحكمة مخافة الله : هو كتاب ديني لحضرة الايغومانوس ابراهيم عطا الله رئيس شريعة الاقباط الارثوذكس ببندر بنها ويطلب من حضرته (٦) الروزنامة السورية : صدرت هذه الروزنامة لصاحبها خليل افندي سركيس صاحب لسان الحال عن سنة ١٩٠٩ وهي اشهر من ان تعرف (٧) مفكرة لسان الحال : وصدرت هذه المفكرة لهذه السنة ايضاً وكلاهما تطلبان من مكتبة الهلال

وجاءنا التقرير الخامس عن اعمال مشيخة علماء الاسكندرية . وقانون جمعية التعاون والترقي الاسلامية بمصر . وتقرير جمعية العروة الوثقى الخيرية . وقانون جمعية التآخي والاحسان العثمانية باسكندرية . وقانون ادارة التعاون السورية في سانباولو البرازيل

Arabia Petraea

هي رحلة بالالمانية للدكتور مورتس ناظر الكتبخانة الخديوية دوّن فيها ماشاهده من الآثار وقرأه من النقوش في اطلال بطرا عاصمة النبطيين . والدكتور مورتس من مهرة المستشرقين الذين يقرأون اكثر اللغات الشرقية



بوغاز البوسفور

بين اسيا واوربا وبين بحر مرمرة والبحر الاسود

وعلى شاطئيهِ القلاع والقرى والقصور والحدائق تبتدىءُ في الجنوب بغلطة في الغرب واسكودار في الشرق وتنتهي في الشمال بفنار الروملي بالغرب وفنار الاناطول في الشرق



الجزء الخامس من السنة السابعة عشرة

اول فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ الموافق ١٠ محرم سنة ١٣٢٧



٣ سيرته في عهد السلطان عبد الحميد

١ — جلوس السلطان عبد الحميد وتعيين اعوانه

جلس السلطان عبد الحميد على العرش العثماني في اول سبتمبر سنة ١٨٧٦ واحتفلوا بيعته احتفالاً شائقاً في سراي طولمه بغجه حضره الوزراء والقناصل ورجال الدولة والاعيان . ولما بايعوه خاطبهم قائلاً . اشكر لكم تهانئكم ولا اشتهي شيئاً غير تقدم مملكتنا وراحة رعايانا وسترون من اعمالنا مايؤيد وعودنا بالاصلاح . فعلى رعايانا ان يقوموا من الجهة الاخرى بما عليهم » وخطب في وزرائه خطاباً حثهم به على الاتحاد في الرأي والعمل . وبعد ثلاثة ايام احتفلوا بتقليده سيف عثمان في مسجد ايوب بقرن الذهب على جاري عادتهم في تنصيب السلاطين . ثم عاد الى قصر طوب قبو حيث البسوه البردة وسلموه العلم النبوي . ويذكرون ان رشدي باشا الصدر الاعظم قال لرفاقه ساعة خروجهم من طولمه بغجه « اظننا تسرعنا بخلع مراد فعسى ان لايحدث ما يبعث على الندم »

واول عمل باشره جلالته انه عين الداماد محمود جلال الدين باشا قائداً عاماً للجند (سر عسكر) وعين سعيد باشا (الانكليزي) رئيساً للمابين . فلم يعارضه احد في ذلك كان تعيينهما من حقوق السلطان . ولم يعلق مدحت باشا على تعيينهما أهمية وانما اهتم على الخصوص بتسمية سكرتيرية السلطان لان تقريبهم منه يجعل لهم نفوذاً كبيراً لا يقل عن نفوذ الصدر الاعظم

وقد كان ينبغي له ان لا يستخف بمنصب السر عسكرية ولا يقبل ان يعين له الا واحد من اهل ثقته وقد علم بالاختبار ان خلع عبد العزيز لم يكن ممكناً لو لم يكن السر عسكر عوني باشا في جملة القائلين به والساعين فيه . فهل غفل مدحت عن ذلك او تغافل ؟ او لعله أحسن الظن في مساعي اهل المابين وحسن الظن في مثل هذه الحال من ضعف الرأي ؟

وقد يعترض بان تعيين السر عسكر من حقوق السلطان — فكان الاجدر بمدحت ان يجعل من ضمن الشروط التي اشترطها على جلالته في مقابلته الاخيرة قبل المبايعة ان يكون السرعسكر فلاناً كما اشترط ان يعين كمال بك وضيا بك سكرتيرين وسعد الله بك رئيس السكرتيرية (باشكاتب) وهم من خيرة الاحرار . على ان اشتراطه هذا لم يأت بفائدة لان السلطان وعده بتعيينهم ولم يف فلما قابل جلالته بعد المبايعة اخبره انه عين للباشكاتبية سعيد بك وهو من رجال محمود نديم الصدر الذي تقدم ذكره . فاعترض مدحت واحتج ونصح فلم يجد ذلك نفعاً فاغضى . ولو اصر لانقلب وجه المسألة وربما فاز فيولي في تلك المناصب احراراً يؤيدون الدستور . فباغضائه هذا جعل اهم مراجع النفوذ في قبضة رجال من حزب التقهقر . وقد كانت دسائسهم فاتحة عصر الاستبداد الذي انقضى بالامس . وظهر للناس بعد انقضائه ان السياسة الخرقاء التي اتبعها جلالة السلطان في مقاومة الاحرار انما كانت بدسائس أولئك المقربين وامثالهم

فاغروه اولاً على التخلص من مدحت زعيم ذلك الحزب ولا خوف عليه لان الجند في قبضته وقائده طوع اشارته . لكنه لم يشأ ان يفعل ذلك مصادرة فعمد الى سياسة المقاومة بالمطال والتسويف فجعل يتباطأ في اجابة مطاليب الصدارة ويعترض على اعمالها فبدأ بالاعتراض على الفرمان الذي نصه مدحت وعرضه على جلالته ليخاطب الوزارة به وهو عبارة عن خطة سياسته في العمل بالدستور . فنقحه السلطان وحذف كثيراً من مواده الهامة كما بينا ذلك في مقالتنا « الانقلاب السياسي العثماني » في الهلال الاول من هذه السنة (صفحة ٧) فقبل مدحت بذلك التبديل اعتماداً على ان اعلان

الدستور واجتماع مجلس المبعوثان يعوضان تلك الخسارة

٢ـ تعديل البند ١١٣ من القانون الاساسي

على انه لم يكد يفكر في ذلك حتى جاءه في ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٧٦ كتاب من جلالة السلطان بخط يده يقول فيه « انه مع ما يرجوه من الراحة والسعادة لشعبه بالنظام الدستوري الجديد فهو يطلب ان تكون حقوق السلاطين أيضاً مضمونة فيه ولذلك فهو يرى عرض القانون الاساسي على مجلس الوزراء لتنقيحه » فاجابه مدحت « ان هذا القانون قد يكون في حاجة الى التنقيح ولكن عرضه على المجلس لتنقيحه يستغرق زمناً لا تسمح به حال الدولة لان المضائق الحرجة التي وقعت فيها تدعو الى المبادرة في نشر الاصلاحات وتسكين الخواطر ارضاء للدول التي تهددنا بعقد المؤتمر الدولي الذي قررت عقده في الاستانة حتى اصبحنا وليس لنا الا احد وجهين إما ان نعلن القانون الاساسي وننشر الاصلاحات قبل عقد المؤتمر فلا يبقى للدول حجة علينا او ان نؤخر اعلانه فينعقد المؤتمر ويقرر المراقبة على اعمالنا . فاذا تأجل عقد مجلس المبعوثان لا يبقى لنا بدٌّ من الدخول في وصاية الدول »

فلما رأى اهل المابين قوة حجته في هذه المسألة اتوه من طرق أخرى وذلك أنهم وافقوه على وجوب السرعة في اعلان الدستور لكنهم اشترطوا تعديلاً في البند (١١٣) المتعلق بظهور التمرد او الخلل في بعض الولايات . فقد جاء في البند المذكور « انه يحق للحكومة ان تعلن الادارة العرفية موقتاً أي تبطل القوانين والنظامات » فطلبوا ان يضاف اليه هذه الفقرة « ان الذين يثبت بواسطة تحقيقات الضابطة الصحيحة أنهم سبب في اختلال امنية الحكومة فللحضرة السلطانية وحدها الحق ان تخرجهم من الممالك المحروسة وتبعدهم عنها »

فقبل مدحت هذا التعديل رغبة في سرعة العمل ولان التعديل المشار اليه يتعلق بالولايات . ولم يخطر ببالهِ انهُ سيجري عليهِ هو نفسه لانهُ كان قد احتاط لهذا الامر بالمواد ٣١ و٣٢ و٣٤ وفحواها ان الوكلاء او الوزراء لا يعزلون الا بعد المحاكمة بالمجلس (راجع هذه المواد صفحة ٩١ من هلال هذه السنة) . وهذه نقطة اخرى يلام مدحت على تساهله فيها لانها كانت علة نفيه . وبنفيه تزعزع حزب الاحرار

٣ — اعلان القانون الاساسي

ولكن السلطان لم يدخر وسعاً في تقريب مدحت وترقيته فلما استقال رشدي باشا من الصدارة لشيخوخته في ١٩ دسمبر سنة ١٨٧٦ انتدب مدحت باشا لذلك المنصب . فكان

اول شيء اجراه عند ذلك تعجيل اعلان القانون الاساسي وعقد مجلس المبعوثان لئلا تسيء الدول الظن بالدولة وتقلب لها ظهر المجن . وقد لاقى مقاومة شديدة من المحافظين ومن جملتهم جودت باشا وزير العدلية يومئذ . ففي الجلسة الاولى التي عقدت للوكلاء في بيت الداماد محمود اقترح جودت باشا تأخير اعلان الدستور الى اجل غير مسمى « اذ لم يبق حاجة اليه بعد ان افضت ازمة السلطنة الى جلالة السلطان » فغضب مدحت لذلك الاقتراح غضباً عظيماً وألح في وجوب اعلانه بلا تأخير وهددهم اذا لم يفعلوا وقد افاد تهديده . فلو اتبع هذه الشدة في ما تقدم لغلب الحق على الباطل

على ان الاختلاف بين مدحت ورجال المابين لم يكن قاصرًا على مسألة الدستور لكنهم خالفوه في امور كثيرة . منها مقاومتهم في تعيين ولاة مسيحيين وادخال غير المسلمين في المدارس الحربية . ومنها اصرارهم على تعيين غالب باشا وزيرًا للمالية ونفي ضيا بك صاحب الاستقلال . وقد جاء شيء من ذلك في الهلال الاول عند كلامنا عن الصحافة العثمانية . اما تعيين الولاة من المسيحيين فقد ذهب مدحت الى التعجيل فيه ارضاء للدول التي ستجتمع في المؤتمر فيكون تعيينهم حجة للدولة في ادخال الاصلاح . فاجاب السلطان « انا لا نعرف رأي عامة المسلمين في التغيير الذي سيدخل على الدولة بالدستور فتعيين ولاة من المسيحيين ربما هاج خواطرهم وآل الى ما لا تحمد عقباه » وبعد اخذ ورد اجلوا الاقرار على ذلك كله الى ما بعد اجتماع المؤتمر على ان يبادروا الى اعلان الدستور وانتخاب نواب الامة

فاعلن الدستور رسمياً في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ وتلا سعيد باشا (الباشكاتب) الفرمان باعلانه في حضور الصدر الاعظم مدحت وكبار رجال الدولة والعلماء وغيرهم . ثم تقدم سعيد المذكور وسلم صورة القانون الاساسي الى مدحت بعد ان قبلها وتفرق منها نسخ على الحاضرين . وخطب مدحت خطاباً مآله قبول الدستور وقانونه ثم صلى المفتي واطلقت مئة مدفع ومدفع فعلم الناس ان الدستور قد اعلن . فتهافت الكبراء وفي مقدمتهم شيخ الاسلام خير الله افندي والعلماء ورجال الدين من النصارى مع بطاركتهم والوزراء وغيرهم يرفعون الى مدحت التهاني على فوزه باعلان الدستور وكانوا يصيحون « يحيى السلطان ومدحت » وانهالت عليه الرسائل البرقية من الولايات وغيرها والكل فرحون مستبشرون الا سراي بشكطاش فانها لم تحرك ساكنا لان جلالة السلطان كان يشكو انحرافا . . .

وفي اليوم التالي خف مدحت لزيارة بطريرك الروم وهي المرة الاولى منذ الفتح العثماني

زار فيها الصدر الاعظم بطريرك الروم . وانما اراد بذلك اقناع الدول ان النصارى مشاركون للمسلمين في الدستور واحتفل اليونان بزيارته فخطب فيهم واجابه البطريرك بما يدلُّ على الائتلاف والولاء

٤ – مؤتمر الاستانة

ومن غريب الاتفاق ان اليوم الذي تعين لعقد المؤتمر هو نفس اليوم الذي اعلن فيه الدستور (٢٣ دسمبر) فاجتمع المؤتمر في ذلك اليوم للمداولة مع مندوبي الدولة في ما ينبغي اتخاذه من الوسائل لتسكين الاحوال في الولاية العثمانية باوربا ولم يكد يعلن افتتاح الجلسة حتى دوت اصوات المدافع عن اعلان الدستور . فنهض صفوت باشا احد مندوبي الدولة في ذلك المؤتمر وقال « ايها السادة انما تسمعونهُ انما هو اشارة الى اعلان الدستور الضامن لما تطلبونهُ فلا حاجة الى المباحثة » فوجم الحضور هنيهة ثم تكلم اغناتيف معتمد روسيا فطلب الرجوع الى مدار البحث فعادوا اليهِ فطلب استقلال بلغاريا باحكامها وان يتعين عليها والٍ مسيحي فتباحثوا واتفقوا اخيراً على ان تكون بلغاريا ممتازة باحكامها . وبحثوا مثل ذلك في شؤون الهرسك والبوسنه وغيرها مما لا محل لهُ هنا . واقروا على لائحة عرضها اغناتيف على الباب العالي للمصادقة عليها . فشكل مدحت مجلساً عالياً مؤلفاً من الوزراء والمشيرين وكبار رجال الدولة والرؤساء الروحانيين من كل الطوائف وعرض عليهم اللائحة واخبرهم ان ردها يؤول الى الحرب فتباحثوا وتحمسوا وابوا الا ردها فردها مدحت وانفض المؤتمر وبفضهِ اضطربت العلائق بين اوربا والباب العالي

٥ – نفي مدحت باشا

ولم يكد ينفض المؤتمر حتى عاد رجال المابين الى متابعة ما كانوا فيهِ من معاكسة رجال الاصلاح . فاستأنفوا البحث في ادخال المسيحيين المدارس الحربية وعزل غالب باشا ناظر المالية وكان مدحت يرى عزله لاعتقاده عجزه عن القيام بهذا المنصب . فرضي السلطان بعزله لكنه اشترط ان يجعل عضواً في مجلس الاعيان فطلب مدحت ان تفحص اوراقه وتراجع حسابات اعماله . وكتب اخيراً الى المابين كتاباً بين فيهِ عدم لياقة غالب لهذا المنصب ثم تحول الى البحث في مسألة المدارس وكان يعتقد واعتقاده صواب ان مسألة الاصلاح في المملكة العثمانية لا يمكن حلها الا بتوحيد العناصر على اختلاف الطوائف والنحل ولا يكون ذلك الا اذا نشأ شبانهم في مدارس واحدة وتربوا تربية واحدة فاراد ان يبدأ مشروعه هذا بالمدارس الحربية فطلب ادخال غير

المسلمين فيها لينشأ منهم ضباط غير مسلمين يشتركون مع اخوانهم المسلمين في خدمة الامة . فاجيب بالمدافعة والمماطلة والمعارضة وطال الاخذ والرد بين الصدارة والمابين او بين مدحت وباشكاتب المابين بالنيابة عن السلطان . واخيراً كتب مدحت الى جلالة السلطان كتاباً شديد اللهجة جاء في جملته « اني شديد الاحترام لشخص جلالتكم اما من حيث القوانين والشرع فعليَّ يامولاي ان اعصي كل امر يصدر منكم اذا كان مخالفاً لمصلحة الامة والا فاني اتحمل مسئولية انوء تحت اثقالها واخاف صوت ضميري لاني تعهدت بان تكون اعمالي مطابقة لمصلحة الوطن ورفاهيته ... » الى ان قال « مضت تسعة ايام منذ عرضت على جلالتكم مشروعات لا غنى عنها لسعادة الامة وصيانة الدولة فلم تصادقوا عليها مما يؤول الى خراب لم نكد نجو من مخالبه الا بشق النفس .. »

بعث مدحت كتابه ومكث في منزله ثلاثة ايام فوجد اهل المابين مندوحة للتخلص من هذا العدو القوي . فاوفد اليه السلطان صفوت باشا ناظر الخارجية ان ياتي فابى الا ان يصادق السلطان اولاً على مشاريعه فبعث اليه سعيد باشا (الانكليزي) فاكد له انه اذا اتى السراي فالارادة تصدر حالاً بالمصادقة على مطاليبه فوثق مدحت بقوله وركب معهُ وما عتم ان لحظ وهو في الطريق ان الشوارع غاصة بالجند وخصوصاً حول منزله في طوشان طاش ولم يكن يعلم ان الباخرة « عز الدين » في مرسى طولمه بغجه منذ بضعة ايام لتحمل ابا الاحرار الى منفاه . وهب انهُ علم بذلك حينئذ فلم يكن علمه لينفعه لفوات الفرصة . فجال وصوله لسراي طولمه بغجه استمهلوه ريثما تصدر الاوامر السلطانية لمقابلته فجلس في غرفة الانتظار واذا هو برئيس الياوران جاءه واخذ منهُ ختم الدولة وساقه تواً الى الباخرة عز الدين وكانت على اهبة السفر فاقلعت ومع ربانها اوامر مختومة لا يجوز فتحها الا بعد ٢٤ ساعة . ثم فتحها فاذا فيها ان يحمل مدحت باشا الى المحل الذي يختاره من سواحل اوربا فانزل في برنديزي بايطاليا

ولا يخفى ما كان من تأثير هذا النفي على الاحرار في الاستانة لكن اهل المابين لم يقدموا على نفي زعيم الاحرار وابي الدستور الا وقد مهدوا السبيل واحتاطوا لما يخشى وقوعهُ وكانت حجتهم في نفي مدحت ان « وجوده يسبب اختلال امنية الحكومة » فللسلطان الحق بنفيه كما جاء في المادة ١١٣ من القانون الاساسي . وكان في الاستانة عصابة من اهل الوجاهة لا يرون وجود مدحت نفسه ضرورياً لتأييد الدستور ونشر الاصلاح وكانوا يعتقدون ان السلطان مخلص في اجراءاته وانما يريد بها سلامة الدولة وسعادة الامة وتمكين هذا

من نفوسهم لما رأوه نفي مدحت وظل محافظاً على دستوره وامر بعقد مجلس المبعوثان . وانما فعل ذلك تسكيناً لخواطر الامة أو بالحري لخواطر الاحرار مريدي مدحت وانصاره وكانت الانتخابات جارية فتعجلها لفتح البرلمان في اول مارس سنة ١٨٧٧ . ولم يتم عدد الاعضاء الكافي لعقده الا في ٤ منه فاحتفلوا بافتتاحه في سراي طولمه بغجه بحضور جلالة السلطان نفسه . ولم يطل عمره الاسنة و بعض السنة كما تقدم الكلام عليه في غير هذا المكان من اهلة هذه السنة

٦ — مدحت في منفاه

وكانت الدول في اثناء ذلك تنظر في رفض الدولة العثمانيــة لقرارات المؤتمر المتقدم ذكره وكنَّ يتوقعن اصلاح الاحوال باعلان الدستور فلما نفي مدحت سبق الى اذهانهن سوء الظن ولاسيما روسيا فانها عادت الى العدوان واعلنت الدولة العثمانيــة بذلك في ٢٤ افريل سنة ١٨٧٧ فساعد الاعلان على تغلب حزب المابين فلم يتقرب منه غير الذين يوافقون على سياسته وضعف حزب الدستور بعد نفي صاحبه

انتشبت الحرب بين روسيا والدولة ومدحت منفي في اوربا فلم يدخر وسعاً في مصلحة دولته ولا سيما في لندن وكتب الى البــاب العالي انه سعى في عقد صلح يحجب الدماء وطلب مصادقته فلم يجبه على ذلك لان كفة الحرب كانت لا تزال راجحة في جانب الدولة . ثم مالبث الروس ان اخترقوا البلقان واقبلوا على الاستانه فجدد مدحت الهمة في الدفاع عن حقوق بلاده لدى الدول والباب العالي بالمكاتبات . فوسوس بعضهم لجلالة السلطان ان تصدر مدحت باسم الدولة لدى دول اوربا يخشى منه فعمل على استقدامه الى الاستانة . فكتب اليه رئيس التشريفات الشاهانية كتاباً سريًا يبثه فيه شعور السلطان معه بما يقاسيه في غربته وان جلالته بكى لما بلغه خبر عذابه وانه أمر له بالف جنيه ينفقها في مرافقه المستعجلة ولا يعلم احد بها . وطلب اليه ان يعلمه كيف ينبغي ان يرسل هذا المبلغ اليه . فاجابه مدحت بالرفض واظهر تفانيه في خدمة دولته ووطنه فدعاه للقدوم الى الاستانة لان بعده عنها يوجب المواجس وسوء الظن . وما زال به حتى اقنعه بالمجيء رغم نصيحة اصدقائه ان لا يفعل

فسافر ولكنه فضل النزول في كريد ليمكث فيها بعيداً عن الدسائس وادرك من مجاري الاحوال ان سياسة المابين تقضي بابعاد رجال الاعمال عن الاستانة واستخدام الضعفاء. فقبل السلطان اقتراحه و بعث اليه عائلته الى كنديا في سبتمبر سنة ١٨٧٨ فاحتفل

الكريديون بمدحت وعرفوا قدره على اختلاف طوائفهم واطلقت الدوارع الراسية في مياهها المدافع لاجله فنقل ذلك الى السلطان فاوجس خيفة · وكان في عزمه ان يعقد لهُ على كريد فعقد لهُ عليها وبعد شهرين جاءهُ تلغراف من الباب العالي بتعيينهِ واليًا على سوريا فاطاع وركب اليها مع اهلهِ على الباخرة « فوائد » حتى اتى بيروت وسافر منها الى دمشق مركز الولاية يومئذٍ

٧ — ولايته على سوريا

لم ينس السوريون اعمال مدحت في اثناء تلك الولاية وكانت شهرته في مساعيه الحرة قد بلغت الى مسامعهم فلما وصل اليهم احتفلوا بهِ احتفالاً عظيماً وقد حقق امانيهم بما ادخله من الاصلاح فيها نحو ما فعل في العراق من قبل · فانشأ مدرسة للصنائع والفنون واخرى للايتام وأيد الامن فبات الناس في راحة وعدل وفتح الشوارع في المدن ومهد الطرق بين القرى والبلاد لتسهيل الانتقال وانشأ خطاً للتراموای بين مدينة طرابلس الشام والمينا وقد نجحت نجاحاً باهرًا · ولا ينسى اهل دمشق كيف انشأ لهم الشارع الاعظم · واهم ما كان من تأثير ولايتهِ انه جمع العناصر المختلفة والف بين قلوبهم على اختلاف المذاهب والاجناس على شكل لم يسبق له مثيل في تلك البلاد · واطلق حرية المطبوعات ونشط الكتاب والادباء والشعراء فتألفت الجمعيات السياسية والعلمية

وفي ايامه ظهرت القصيدة السينية المشهورة التي مطلعها « دع مجلس الغيد الاوانس » وفيها تحريض للعرب ان يطلبوا الاستقلال كما فعل اهل الجبل الاسود · وكان السوريون اذا لقوا مدحت في محفل صاحوا ليحيي مدحت باشا وهو لايحاذر الجاهرة بانتقاد الماّبين وربما تغنى بما تمّ على يده من الخلع والتنصيب فساء السلطان الظن بمقاصده وزاد حذرهُ من اغراضه واصبح يخاف ان تنتظم احوال سوريا وتجتمع كلمة اهلها فتخرج من يده فاصبح اذا عرضت عليهِ مشروعات مدحت اجل المصادقة عليها أو رفضها · واوحى الى مشير الفيلق الخامس في الشام ان يكون على حذر منه · فاصبح المشير ينظر اليهِ نظر الرقيب وتباعدت القلوب بينهما وتضايق مدحت من ذلك فعزم على الاستقالة · وبعد مخابرات طويلة خيّر الباب العالي فيها بين قبول استعفائه أو المصادقة على مشروعاته فكانوا يماطلونه ويدافعونه مع حاجتهم الى آرائه يومئذٍ في اثناء تمرد الدروز في حوران · وقد خدم الدولة في اخماد ذلك العصيان خدمة حسنة باعادة الامن الى تلك البلاد مع المحافظة على شرف الدولة ونفوذها · ولما فرغ من هذا الواجب لم يعد يصبر على مضايقة الباب العالي ومعارضته بما يعمله فاستقال بحجة شيخوخته

وضعفه فابت الحكومة اعفاءه ولكنها نقلته من ولاية سوريا الى ولاية ازمير سنة ١٨٨٠

٨ — ولايته على ازمير

ان ولاية ازمير هي ولاية آيدين وعاصمتها مدينة ازمير وكانت في خلل واضطراب مثل سائر الولايات في ذلك العهد بل هي من اكثرها اضطرابا بالنظر الى تكاثر اهل الدعارة واللصوص وقطاع الطرق فيها . ولم يجهل مدحت ان مشروعاته في اصلاح هذه الولاية ستصادف ما كانت تصادفه مشروعاته لاصلاح سوريا لكنه اطاع الامر وقبل المنصب وانتقل الى ازمير . وفكر في تسكين الخواطر واعادة الامن وكان فيها فرقة من الجاندرمة فوجدها غير كافية لحفظ النظام فانشأ الضابطة على النسق الاوربي ولم يكن لها وجود في تركيا من قبل . واخذ في العمل جهد طاقته والسلطان يزداد فيه سوء ظن ويخافه فزين له مشيروه ورجال خاصته ان يتخلص منه ويريح فكره من اخطاره ولم يجدوا شراكاً يأخذونه بها الا مسألة السلطان عبد العزيز فاحيوها . ورغم ما اثبته الاطباء في تقاريرهم عن موت ذلك السلطان بالانتحار ادعى رجال المابين انه مات مقتولاً وان قتلته هم حسين عوني باشا الذي قتله حسن الشركسي في بيت مدحت سنة ١٨٧٦ والداماداان محمود باشا ونوري باشا وانه اشترك معهم ايضاً مدحت باشا ورشدي باشا وخير الله افندي شيخ الاسلام

فلما اعتقد السلطان هذا القول امر بالقبض على الداماديين محمود ونوري ونشرت الصحف عود قضية عبد العزيز الى التحقيق وتزلف بعض كتابها الى المابين فالح بالقبض على كل من اشترك في مسألة عبد العزيز او شهدها فقبض على رشدي باشا زميل مدحت وحكم عليه بالنفي ليقضي شيخوخته في منغيسيا من ولاية آيدين وحكم على خير الله افندي بالنفي الى مكة وابعد سائر من بقي من الاحرار في الاستانة . ولم يبق حول السلطان الا المتملقون الذين اخذوا بناصره او حرضوه على افساد امر الاحرار والتضييق عليهم وفيهم جماعة كانوا يتظاهرون بالحرية ثم انقلبوا طمعاً في الدنيا

٩ — القبض على مدحت

وكان مدحت باشا يومئذ في ازمير وجاءه النبأ انه متهم وان حياته في خطر فاجاب اصدقاءه الذين انبأوه انه لا يجد في ضميره ما يوجب القلق لاعتقاده براءته لدى القضاء اما السلطان فعمد الى المبادرة بالقبض على مدحت فجاة فانفذ اللواء حلمي باشا والاميرالاي رضا بك (ثم صار رضا باشا سرعسكر) مع جماعة من الضباط والضابطان للقيام بهذه المهمة . فوصلوا ازمير على غرة والناس لا يفهمون سبب مجيئهم . اما مدحت فجاءه النذير بامرهم

فبث عليهم العيون يراقبون حركاتهم فتحقق انهم جاؤوا باوامر من يلدز للقبض عليه . عرف ذلك من احد رجال الضابطة التي انشاها في ازمير كان قد تنكر بلباس تاجر ونزل في الفندق الذي نزل فيه حلمي باشا وعاشره وتقرب اليه حتى وثق به واعترف له انه جاء للقبض على مدحت وانه ينتظر اوامر اخرى . فبادر مدحت الى الاحتياط ففتح في قصره باباً سريّاً يؤدي الى الشاطئ . واعدّ هناك سفينة لشركة انكليزية تنقله الى حيث يشاء

ففي مساء احد الايام جاء جاسوس مدحت المشار اليه واخبره ان حلمي باشا دُعي الى مكتب التلغراف على عجل ولما عاد تسلح وذهب الى القشلاق . وكان سبب ذلك ان حلمي باشا تلقى الاوامر بقتل مدحت وذبح عائلته ولم يكن يستطيع ذلك الا اذا كان له من يواطئه عليه من اهل بيت مدحت . وكان قد عرف خادماً من اهل ذلك البيت اسمه نذير فاتفق معه انه حالما يرى الجند قادمين الى القصر يطلق عليهم طلقاً ناريّاً من مسدس فيكون ذلك حجة لهم في الهجوم والقتل . ويؤكدون وقوع هذه المواطاة بما ناله نذير هذا من الحظوة في المابين بعد نفي مدحت

فلما علم مدحت بدنو الخطر اعمل فكرته بتروٍ واطلع اهل بيته على الامر واوصاهم ان لا يبدوا حراكاً واخبرهم عزمه على الخروج من توركيا بحراً من ذلك الباب السرّي والالتجاء الى اوربا . ففي نصف الليل اطلقت الثكنة العسكرية ثلاثة مدافع هي علامة الحريق عندهم فادرك مدحت انهم فعلوا ذلك ليصرفوا اذهان الناس عن اغراضهم الحقيقية فعمد الى الخطة التي كان رسمها للفرار فخرج مع عسكرتيه من ذلك الباب السري يطلب الشاطئ . ولم يبعد بضع خطوات حتى رأى الجنود قائمة على المرفأ تحرسه فركب مركبة وسار الى قنصلاتو انكلترا فوجد قنصلها غائباً فتحوّل الى قنصلاتو فرنسا وطلب حمايتها فآوته

اما حلمي باشا فانه أتى برجاله الى قصر مدحت بحجة انه جاء يستفتيه في امر الحريق الذي شب في المدينة فاجابه اهل المنزل انه خرج الساعة فظنهم يخدعونه . فامر رجاله فكسروا الابواب ودخلوا البيت عنوة حتى فتحوا غرف الحريم للبحث عنه . وكان الخادم نذير جالساً على مقعد والمسدس في يده فهم ان يقوم بمهمته و يطلقه فهجم عليه خادم آخر عارف بغرضه واستخرج المسدس من يده بالقوة وسقط ميتاً من التأثر . ولم يترك الجند مكاناً لم يفتشوا فيه عن مدحت حتى سرير الطفل . فلما رأت امرأة مدحت باشا تطاول القوم الى هذا الحد خاطبت حلمي باشا قائلة « ارجع رجالك عن منزلنا والا فاني افتح النوافذ واستنجد الامة عليهم » فخاف حلمي تهديدها لانه أمر ان يعمل عمله بدون ان يشعر احد به

فصرف رجاله الا جماعة منهم استبقاهم معه وخرج . ثم علم ان مدحت في قنصلاتو فرنسا فذهب الى هناك وسدَّ عليه منافذ الطرق من كل ناحية حتى يقبضوا عليه اذا خرج مهما كانت وجهته وكان قنصل فرنسا المسيو بليسيه قد انبأ سفير فرنسا بالاستانة بما جرى وبعث مدحت الى قناصل الدول العظمى في ازمير يدعوهم الى الاجتماع في قنصلاتو فرنسا فجاؤوا وقص عليهم الخطر الذي يحدق به وطلب اليهم ان يوسطوا دولهم لدى الباب العالي وانه لا يطلب منهم عفوًا ولا رحمة وانما يطلب اذا كان متهمًا ان يحاكم جهارًا في محكمة قانونية قضاتها نزيهون . فجرت المخابرات التلغرافية واخذت الدول المواثيق والعهود على ذلك فلم يبق لمدحت بدٌّ من السفر الى الاستانة للمحاكمة . وبعد ايام جاء اليخت السلطاني فحملوه عليه الى الاستانة وانزله السلطان في كشك مالطة في يلدز ريثما تتألف المحكمة لمحاكمته

١٠ — محاكمته والحكم عليه

واخذوا في استنطاقه وبعد الفراغ من ذلك عقدوا جلسة في سراي يلدز حضرها السلطان من وراء الستار ولم يحضرها الا السفراء وبعض مكاتبي الصحف الافرنجية مع ان الشرط ان تكون المحاكمة في جلسة جهارية . وكان القضاة خمسة ثلاثة مسلمين واثنين مسيحيين برئاسة سروري افندي احد العلماء وقد تقدم ذكره في مكان آخر من هذه الترجمة . وكان في جملة المتهمين مع مدحت الدامادان محمود باشا ونوري باشا وعلي بك ونجيب بك وفخري بك الجزائرلي وبعض الخدم

ولما فتحت الجلسة قرئت ورقة الاتهام ونحواها « انه بعد خلع عبد العزيز ببضعة ايام تواطأ الدامادان نوري باشا ومحمود باشا مع اثنين من المصارعين واحد حرس السراي على قتل السلطان المخلوع ووعدوهم براتب قدره ثلاثة جنيهات عثمانية لكل واحد في الشهر مكافاة على هذه الخدمة فقتلوا السلطان بمساعدة فخري بك احد الحجاب . وان علي بك ونجيب بك ادخلا القتلة الى غرفة عبد العزيز . وانه كان في الاستانة يومئذ لجنة مؤلفة من مدحت ورشدي وعوني وشيخ الاسلام خير الله والداماد محمود لم يكن يصدر امر او يجري حادث ما لم تصادق هي عليه فلا بد ان يكون القتل قد حصل بعلمهم ولذلك كان مدحت مشتركا في ارتكاب تلك الجريمة »

وبعد تلاوة ورقة الاتهام اخذ القضاة يسألون المتهمين اسئلة مختلفة وهم يدافعون عن انفسهم . وتوالت جلسات هذه المحاكمة بين ٢٣ يونيو و ٢٩ منه وانتهت بالحكم على مدحت ومحمود ونوري وآخرين بالاعدام وكانت اخبار هذه المحاكمة تنقل يومياً بالتلغراف

لى صحف اوروبا ولم يستطع المكاتبون انتقادها لان رسائلهم كانت تمرّ على المراقب قبل ارسالها يشهد بذلك رسالة مكاتب التيمس المؤرخة في اول يوليو سنة ١٨٨١ بعد صدور الحكم فقد صدرها بقوله انه لم ينتقد اعمال القضاة في رسالته السابقة خوفاً من المراقبة. ثم افاض في النقد ومآلهُ ان المحاكمة كانت مهياة وانها جرت على رغائب اهل المابين فاكثروا من الشهود وفي جملتهم شاهد لم يذكر اسمه في قائمة الشهود ولم يكن يجوز سماع شهادته واسمه رفعت افندي شهد انه سمع مدحت يقول في دمشق انهم انما قتلوا عبد العزيز لئلاّ يعود الى السلطة ويقتل الوزراء الذين خلعوه . وفي جملة انتقادات مكاتب التيمس ان المتهمين لم يكن يتيسر لهم المفاوضة مع المحامين الموكلين في الدفاع عنهم وان مدحت لم يتداول مع محاميه الأمرتين . وغير ذلك مما يطول شرحه وهو مفصل في رسالة التيمس المشار اليها . ثم توسطت الدول في الحكم فابدل بالنفي وعين لكل واحد منفاه

١٩ - مدحت في منفاه الى مقتله

اما مدحت فتعين منفاه في الطائف بقرب مكة ومعه الدامادان محمود ونوري فحمل مع رفاقه في باخرة انزلته في جدة فالتقى هناك بصديقه خير الله افندي شيخ الاسلام المنفي الى مكة كما تقدم . اما عائلة مدحت فظلت في ازمير تنتظر ما يأتي به القدر . ففي السنة الثالثة من منفى رجلها جاءهم منه كتاب مؤرخ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ يقول فيه انه مصاب بخرّاج في كتفه اليمنى شديد الالم وظهر بعد ذلك انه الجمرة (فرنجي جر) وان طبيبه غلام غير محنك . وذكر ما يقاسيه من العذاب بجهل الطبيب وما اتخذه رفاقه من الوسائل لراحته مع يأسه من الشفاء . وذكر طعامهم فقال انه عبارة عن طبق شوربا لثمانية اشخاص وطبق من ورق الفجل او نحوه . وذكر في كتاب آخر ان الخراج تحسن حاله لكنه يشعر بالضعف . وقال في كتاب آخر انه ربما كان آخر كتبه اليهم لانه لحظ ان القوم يعملون على التخلص منه بواسطة السم وانهُ يقاسي العذاب من شدة التيقظ لنفسه لانهُ محاط باقوام اشرار لا يبالي احدهم من يقتل ولا كيف يقتل . وذكر على الخصوص احدهم بكير الشركسي رفيق حسن الشركسي الذي قتل عوني باشا قديماً وختم كتابه بالدعاء بحفظ العائلة . والكتاب مؤرخ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

فلما وصل هذا الكتاب الى امرأته عرضته على سفير انكلترا في الاستانة فوعدها ببذل الجهد . واجتهد اللورد دفرين بالبحث عن صحة مدحت بواسطة ترجمان قنصلاتو

قرنـا في جدة فاجاب بعد البحث على يد شريف مكة ان صحته حسنة . وتوفي في اثناء ذلك الداماد نوري باشا مجنوناً

وفي ٢٦ افريل سنة ١٨٨٣ كان مدحت راقداً في غرفته فدخلها بضعة رجال قبضوا عليه وعلى رفيقه الداماد محمود وقتلوهما خنقاً . وكتب بذلك خير الله افندي تقريراً مطولاً نشر في تاريخ مدحت الذي الفه ابنه علي حيدر . ولم ينج خير الله من القتل الا خوفاً من نقمة العلماء على الدولة لصبغته الدينية

وجاء في تقريره المشار اليهِ اسماء الاشخاص الذين اشتركوا في ذلك القتل وهم تسعة قتلوا مدحت و ١١ قتلوا محموداً وهذه اسماء قتلة مدحت : اليوز باشي ابراهيم الشركسي والضابط الصغير نوري اصله من كوما والانفار احمد جاويش والانفار قندرجي اسماعيل واحمد ومحمد وكلاهما من كوتاهية ورجب وعثمان من قراحصار واسماعيل البربري واما الذين قتلوا محمود الداماد فهم : الضابط الصغير عميش اصله من سبارطة ومحمد وحسن جاويش من قوتاهية وسليمان جاويش ومحمد الاونباشي وعثمان البلطاجي واحمد وعلي الروملي ومصطفى بربر

ويقال انهم بعد ان قتلوا مدحت ارادوا ان يثبتوا صدق خدمتهم للمابين فارسلوا الجمجمة في علبة عنونوها الى يلدز في الاستانة وذكروا انها تحتوي عاجاً يابانياً وادوات صناعية لجلالة السلطان فلم تفتح الا هناك

وكان مدحت كما رأيت من سياق سيرته ذكي الفؤاد حاد المزاج حراً حازماً همّاماً مستقل الفكر جسوراً يحب وطنه ودولته ويتفانى في مصلحتهما . وكان مخلص النية في اقواله واعماله شديد الرغبة في الاصلاح يكره الاستبداد ولا يبالي بما يلاقيه في سبيل مقاومته بدلك على ذلك انه ذهب ضحية في هذا السبيل . لكنه كان قليل الدهاء يحسن الظن في الناس حتى في اعدائه . ولم يكن كتوماً الى الدرجة التي تقتضيها حاله لما يحيط به من ارباب الدسائس . ولذلك رايته انخدع في مواقف بيناها في اثناء الكلام عنه . فلو كان اكثر دهاء في تفكيره واقل حدة في مزاجه واسوأ ظناً في اعدائه واكتم لاسراره لما انتهت حياته بالكيفية التي ذكرناها . فذهب رحمه الله شهيد الحرية والدستور . فلما حدث الانقلاب الاخير وفاز الاحرار اعترفوا بفضله وسموه اباهم وصاحب دستورهم وسيبقى ذكره ما بقي التاريخ

الجامعة المصرية

والتعليم اللازم للبلاد

تمهيد

لا خلاف في اننا اول من دعا الى انشاء مدرسة كلية كبرى لتعليم ابناء هذا القطر وتثقيف عقولهم وترقية نفوسهم بمقالة ضافية نشرناها في السنة الثامنة من الهلال تحت عنوان « مدرسة كلية مصرية حاجتنا الكبرى » ذكرنا فيها الغرض من هذه المدرسة واشترطنا ان يتولى امرها رجال يتخذهم التلامذة قدوة في الاعتماد على النفس والاقدام وحرية الفكر والقول ومعرفة الحقوق والواجبات . فاذا خرج التلامذة منها انشأ بعضهم المدارس في البلدان والقرى يبثون تلك الروح في ابنائها ويبثها الآخرون في رفاقهم بالاسواق والجمعيات والدواوين وفي المجالس العمومية والخصوصية

ذلك ما نرى مصر في حاجة اليه — نراها في حاجة الى التربية اكثر مما الى العلوم وكنا كلما سنحت فرصة نعيد الكرة ونستحث ارباب الثروة على القيام بهذا المشروع وقد ضربنا لهم الامثال بالمدرسة الكلية الاميركية في بيروت وانا في حاجة الى مثلها . ولكن لسبب لا نعلمه لما قام رجال الهمة لاخراج هذا الفكر الى حيز العمل دعوا الناس الى تأسيس « جامعة مصرية » وهي ترجمة ما يسمية الافرنج University فتوجهت الانظار الى ان تكون المدرسة المطلوبة لمصر على نسق جامعات اوربا وهي ارقى ما بلغت اليه دور العلم عندهم بلا منازع ولكن ما يلائم امم اوربا قد لا يلائمنا لاختلاف احوالنا عن احوالهم . وقد بينا رأينا في هذا الشأن عند اعلان خطة الجامعة في العام الماضي . ونرى ان نعود الى ذلك الآن بعد أن بدأت الجامعة بالقاء دروسها فنبين ما يرجى من الخير على يدها وما قد ينتقد عليها

ولا حاجة بنا الى اثبات حسن قصدنا في هذا البحث فان القراء يعرفون اخلاصنا في خدمة مصلحة مصر بل يجوز لكل من توطن مصر ان يبدي رأيه في هذا المشروع لانهُ شريك في النتيجة فيجب ان يشترك في مقدماتها وقد همنا النظر في هذا الموضوع على الخصوص لانهُ اهم المواضيع التي طرقتها الصحف وقد قضت اعواماً وهي تخوض فيها بلا ثمرة فالبحث في طرق تعليم الامة وترقية نفوس ابنائها اهم تلك الابحاث لان ما يتطلبه المصريون

من الاستقلال او الدستور او الحرية او الثروة او غيرها لا ينال بغير العلم . وذلك هو عذرنا في الرجوع الى هذا البحث غير مرة

فائدة الجامعة المصرية

ان انشاء الجامعة المصرية ينبغي ان ينقل مصر من طور الى طور واذا استطاعت التوفيق بين طرق التعليم فيها وحاجة هذه البلاد اليها نهضت بهذا القطر الى ارقى معارج المدنية . وبما ان التعليم فيها سيكون باللغة العربية فانها ستغني آداب هذه اللغة وتحيي آمال اهلها . فيكثر الكتاب والقراء وترتقي الصحف وتتضاعف المؤلفات فتكون هذه الجامعة خاتمة مساعي اهل هذا العصر في سبيل النهضة العلمية في الشرق . فتتشكل الاندية وتتألف الجمعيات تلقى فيها الخطب باللسان العربي . وتظهر كتب العلم والطب والفلسفة والتاريخ والادب والرياضيات وغيرها في اللغة العربية وتصير مصر بؤرة العلم والعرفان في الشرق الاسلامي . فيتحقق الحلم الذي نتوهمه محالاً — اذ لا يعرض ذكر كاتب افرنجي وما يكتسبه من مؤلفاته الا اسفنا لكساد بضاعة الادب عندنا لقلة القراء فنتحسر على حالنا ونتمنى لو بلغنا الى مثل ما بلغ اليه الافرنج من رواج الادب — فالجامعة المصرية تتكفل بتحقيق هذه الامنية

ناهيك بما يترتب على ذلك من تربية الشبيبة وترقية نفوسهم اذ يتعلمون معنى الوطن والوطنية ويدركون كنه الاستقلال الحقيقي ويفهمون الحرية الشخصية فيعلمون كيف يجتمعون وكيف يطالبون . ولهذا الغرض من التربية فضلنا انشاء الكليات على الكتاتيب يوم اختلفت الاراء في هل الكليات افيد لاهل هذا القطر ام الكتاتيب . وقد بينا رأينا في افضلية الكليات على انها تهذب الاخلاق وترقي النفوس (راجع الهلال الاول من السنة الرابعة عشرة)

هذه هي الفوائد التي تترتب على الجامعة . فهل نرجوها من الجامعة المصرية اذا تمشت على الخطة التي رسمتها وبدأت بالسير عليها ؟ والجواب كلاَّ واليك الدليل

حاجة البلاد الى التعليم والتربية

اذا صح قولنا ان طريقة هذه الجامعة في تعليمها قليلة الفائدة لمصر فلا يستلزم انها لا تفيد غيرها لانها الطريقة التي سارت عليها معظم جامعات اوربا . ولكن المطلوب ممن يريد ادخال حسنة من حسنات التمدن الحديث الى الشرق ان يكيفها حتى تلائم طبائع اهله وتوافق مصالحهم ويسهل عليهم تناولها . لا أن يقدمها لهم كما هي اذ لكل امة احوال تختلف عما الاخرى فانتقادنا مسلك الجامعة المصرية انما نريد به عدم ملاءمته لحاجة هذا القطر

وحاجة هـذا القطر كما قلنا مراراً انما هي الى ترقية النفوس وتدريب الشبيبة على

العمل وتعليمهم قيمة الوقت وتدريب عقولهم على التمييز بين الصحيح والفاسد . وهذه وامثالها لا تنال باستماع الخطب في اداب اللغة او تاريخ الحضارة او الفلسفة ليس لان هذه العلوم لا ترقي العقول بل لان الطلبة عندنا غير مستعدين لتفهمها والاستفادة منها لانها فوق ما يحتاجون اليه . كما انهم لا يستفيدون الفائدة المطلوبة من المدارس الابتدائية والثانوية لانها تحت حاجتهم . فهم مفتقرون الى علوم متوسطة بين مايعلم في المدارس الثانوية المصرية وما يلقى في قاعات الجامعة الآن . وهذا الذي نريده بانشاء المدرسة الكلية العلمية لانها تكفل بسد هذا الخلل . والفرق بينها و بين المدارس الثانوية التي تمنح شهادة البكالوريا بمصر انها ارقى كثيرًا ولاسيما في العلوم الطبيعية والرياضيات التي ترتقي بها عقول الشبان وتتعود النظر الصحيح والحكم المعقول

الطبيعيات والرياضيات

لما عزمنا على تلقي الطب في المدرسة الكلية في بيروت بحثنا عما يقتضي تعلمه استعدادًا لذلك فقيل لنا لابد لطالب الطب من ان يجوز الامتحان في الفلسفة الطبيعية والهندسة والجبر والحساب واللغة الانكليزية والعربية . فلم نستغرب اشتراطهم شيئًا من هذه العلوم الا الجبر والهندسة لاننا لم نر لها علاقة بالطب . ولكننا ما لبثنا ان رأينا لها فائدة كبرى في تدريب العقل على تسلسل الادلة وتنسيقها كما يفعل المنطق فضلاً عن تعويد طالبهما حصر الفكر في الموضوع الذي يريد البحث فيه

اما الطبيعيات ففوائدها اظهر من ان تحتاج الى دليل فهي تكشف للعقل عن اسرار الطبيعة ونواميسها فيرى أسباب الحوادث و يتعود التعليل الصحيح المبني على المشاهدة والاختبار فلا تخدعه الاوهام . ونريد بالطبيعيات هنا الفلسفة الطبيعية والكيمياء والنبات والحيوان والجيولوجيا والفلك والفيسيولوجيا والجغرافية الطبيعية والظواهر الجوية . فهذه العلوم يتلقاها تلامذة كليات العلم في كل بلاد ولا ينال الطالب شهادة البكالوريا مالم يحسنها الا في مصر فان شهادة البكالوريا لا يشترط فيها من هذه العلوم الا مبادىء قليلة في الفلسفة الطبيعية والكيمياء . والعلوم الطبيعية لا غنى عنها في تنوير الاذهان حتى يدرك العقل حقائق الاشياء و يميز الخرافة من الحقيقة فلا يضيع وقته في طلب المحال . ان الشبيبة المصرية في اشد الاحتياج الى هذه العلوم لتسلط الاوهام على عقول عامتها حتى المتعلمين منهم فقد علمنا من المكتبة الخديوية بالقاهرة ان من الالوف الذين يختلفون اليها للمطالعة او النسخ نحو سبعين في المئة منهم يطلبون كتب السحر او الزايرجة او الرمل او التنجيم . فيقضي احدهم ساعات وهو

جالس يطالع او ينسخ . وهؤلاء طبعاً من المتعلمين وتلامذة المدارس ولما رأى ناظر المكتبة ذلك وهو يعلم الضرر الناتج عن التعلق بهذه الترهات امر بالحجر على تلك الكتب فلا يعطى شيء منها لاحد الا اذا ظهر انه يريده للبحث العلمي فقط

فالشبيبة التي هذا حالها لا تفيدها دروس الحضارة وآداب اللغة الا قليلاً وانما هي في حاجة الى العلوم الطبيعية . وما نحن ممن يقول بوجوب الاقتصار على هذه العلوم فقط لانها وحدها الحقيقية لما فيها من المنافع للناس كما يرى صديقنا الدكتور شميل [1] ولكننا نرى للعلوم الادبية والتاريخية والفلسفية فضلاً كبيراً على هذا التمدن بل لا نرى رونقاً للتمدن بدونها وان كنا نعتقد ان العلوم الطبيعية يجب ان تكون اساساً لسائر العلوم . فاذا تلقى الطالب شيئاً من الادبيات بعدها كانت فائدته منه مزدوجة لانه يتلقاها ممحصة فلا يقبلها على عواهنها — واليك امثلة من فوائد العلوم الطبيعية

فوائد العلوم الطبيعية

فالفلسفة الطبيعية تعلمنا نواميس السمع والبصر ونواميس الاثقال والجاذبية والمغنطيسية وان المادة تشغل حيزاً محدوداً . فلا نصدق ان فلاناً دخل البيت وابوابه مقفلة او انه اختفى فجأة . ولا ان الجالس في طنطا يحضر لك عصاك من خزانتك بمصر في لحظة وانت بين يديه ولا ان زرقاء اليمامة رأت جيش العدو على مسافة ثلاثة ايام او نحو ذلك مما يرد في سياق التاريخ او الادب

والكيمياء تكشف اسرار الظواهر الطبيعية بالتحليل والتركيب وتبرهن لنا ان المواد مؤلفة من عناصر محدودة ولها نواميس معينة لا تتغير وان المادة لا تتلاشى . فلا نلتفت الى القائلين بتحول النحاس الى ذهب ولا نضيع دقيقة في سبيله . واذا رأينا بعضهم يحول البيضة الى حية او البصلة الى دجاجة علمنا يقيناً انه يفعل ذلك بالشعوذة

والجغرافية الطبيعية تعلمنا طبائع الاقاليم واسباب اختلافها فنعلم ان سبب ملوحة البحار ما تذيبه مياه الانهر من الاملاح في اثناء جريها الى مقرها في البحر وان الطوفان لم يعم الارض

والظواهر الجوية تعلمنا اسباب المطر والرعد والبرق والرياح والاعصار فلا نخاف الرعد او نحسبه فرقعة لجم الجان ولا نحسب البرق بريق عيون الابالسة . اذ نتحقق بالبرهان انها من تفاعل كهربائية الجو

---

(١) راجع مقالته في المقتطف الأول من المجلد ٢٤

وعلم الفلك يدلنا على عظمة الخليقة وسعة هذا الكون . ويعلمنا حركات الافلاك واسباب الخسوف والكسوف فلا نخاف على القمر او الشمس من ان يبتلعهما الحوت ولا يزعجنا ظهور ذوات الاذناب او نتطير منها لتحققنا ان حركات الافلاك لا علاقة لها باحوال الاجتماع

والجيولوجيا تكشف لنا عن طبقات الارض وما تتركب منه وانها قديمة جداً . وان الفحم الحجري بقايا الغابات تحت الضغط قروناً وان القار الذي يستخرج من باطن الارض ليس من دماء العفاريت ولا انه تحلب من دماء الكفار . وهي تعلمنا بواسطة علم المعادن ان الحجارة الكريمة مقاديرها محدودة فاذا جاء في بعض الكتب ان الملك الفلاني بنى قصراً حجارته من الجزع واساطينه من العقيق مثلاً علمنا انه يرمي الكلام جزافاً . وهي تدلنا على اسباب الزلازل والبراكين فاذا سمعنا ان ارضاً ظهرت في البحر ولم تكن بالامس او ان ارضاً كانت ثم غارت في الماء لم نستغرب القول ولهذه الحقيقة شأن كبير في تفسير بعض الغرائب التاريخية

والفيسيولوجيا تبحث في وظائف الاعضاء وقواعد الهضم والغذاء وكيفية التمثيل والدثور ونواميس الحياة . فنعلم بها ان الانسان لا يعيش خمسمائة سنة او الف سنة . ولا يبلغ طوله عشرين ذراعاً او خمسين . وانه لا يعيش في باطن الارض لحرارته وفساده ولا في قاع البحر لانحباس الهواء عنه . وان الخبل العقلي سببه اختلال في الدماغ لا كرامة ولا ولاية . وان الانسان لا يمسخ حجراً والحجر لا يصير انساناً . وان الحسد لا يؤذي والعين لا تصيب

وعلم الحيوان يبين لنا انواع الحيوانات وطبقاتها وخصائصها وتوالدها . فاذا قيل لنا بعد ذلك ان فار الغيط يتولد من الطين وان في بعض البلاد اناساً لهم رؤوس كلاب او اذناب اسماك نبذنا ذلك القول ولو كان قائله كبيراً او وجيهاً

وعلم النبات يعين اصناف النبات وفصائلها ونواميس غذائها وتناسلها وتنوعاتها وخصائصها . فاذا قرأنا ان في حديقة الملك الفلاني شجرة تثمر طيوراً او حشرات عددنا ذلك من الخرافات . ولا نخاف من اللفاح اذا رأيناه يشبه الآدميين ولا نصدق انه مسخ انسان او فرخ من الجان لعلمنا انه جذر نبات معروف . واذا عرض لنا عرق العقرب الذي يذهب بعض الناس ان من يقتلعه يقع ميتاً اقتلعناه ولم نبال

هذه امثلة من فوائد العلوم الطبيعية في انارة الاذهان . ولهذه العلوم في المدارس الكلية معامل ومعارض ومسارح ومنابت يشاهد الطالب فيها امثلة مما يقرأ عنه او يجري التجارب فيه بنفسه كمعامل التحليل الكيمي للكشف عن المواد المجهولة والمعارض الجيولوجية وفيها

ضروب الاحجار والمعادن حسب طبقات الارض · والمعارض النباتية فيها امثلة من النبات على اختلاف الاقاليم · والمعارض الحيوانية وفيها هيا كل الحيوانات باختلاف اصنافها ناهيك بمسارح الحيوان وحدائق النبات والمعارض الطبية والميكانيكية وغيرها

فالشاب الذي يستنير عقله بهذه العلوم تتسع مداركه ويدرك حقيقة الموجودات فلا يأخذه الغرور ولا تخدعه الاوهام فاذا سمع درساً في التاريخ او الحضارة اوآداب اللغة فهم منه غير ما يفهمه سواه ·

التوسع في العلوم الاخرى

واعتبر ذلك ايضاً في التاريخ والجغرافية وسائر العلوم الادبية فان مايلقى منها في المدارس المصرية اقل مما يطالب البكلوريا في البلاد الاخرى · فالكليات هناك تتوسع في التاريخ العام والجغرافية وتعلم فلسفة التاريخ والاقتصاد السياسي والفلسفة العقلية والادبية والمنطق ومبادىء اللغات القديمة · فهذه كلها لاوجود لها في المدارس المصرية بل هي تكتفي بمبادىء اولية في التاريخ والجغرافيا · واكثر طلبة العلم في الجامعة المصرية من حملة البكلوريا وهم كما رأيت فكيف يستفيدون من خطاب في تاريخ حضارة امة او تاريخ اداب لغتها ولا المام لهم الا بنتف قليلة من تاريخ تلك الامة · فطالب تاريخ التمدن الاسلامي مثلاً هل يستوعبه اذا لم يكن متمكناً من تاريخ الاسلام ؟ وطالب تاريخ التمدن المصري القديم كيف يتفهمه ان لم يكن عارفاً تاريخ مصر القديم · وكذلك طالب تاريخ آداب اللغة ينبغي ان يكون مطلعاً على تاريخ اصحاب تلك اللغة مع المام باللغات القديمة التي تفرعت عنها او اشتركت معها في تاريخها · فطالب آداب اللغة العربية مثلاً يجب ان يكون له المام باخواتها السامية وهي السريانية والعبرانية والحبشية كما يجب على طالب اداب اللغة الفرنساوية ان يعرف مبادىء اللاتينية واليونانية · وكما ينبغي لكليهما ان يلم باداب القدماء التي اخذت هذه الامم عنها · فالباحث في اداب اللغة العربية يجب أن يعرف اداب اللغة الفارسية واليونانية اللتين نقل العرب عنهما · والباحث في التمدن الاسلامي يجب ان يعرف تمدن الامم التي تقدمته كالرومان واليونان والفرس وغيرهم

فالعلوم التي تلقى بالجامعة المصرية الآن هي عظيمة الاهمية في اعتبارنا لكنها موضوعة في غير محلها ـ وقد يعترض علينا باننا اول من نبه الاذهان الى هذه العلوم في اللغة العربية لاننا نشرنا « تاريخ اداب اللغة العربية » في الهلال منذ ١٥ سنة ولم يكن احدٌ فكر فيه ونحن اول من سماه بهذا الاسم · واننا اخذنا في كتابة تاريخ التمدن الاسلامي منذ ثماني سنين ولم يكن

احد ذكره قبلنا — فيتخذ المعترض ذلك حجة لدفع انتقادنا . فنجيب اننا انما نكتب في هذه المواضيع وامثالها لتفقيه خاصة القراء وليس للغرض الذي انشئت الجامعة من اجله . ولما كان الغرض من انشاء هذه الجامعة ترقية العقول وتهذيب النفوس كان الاولى بها أن تبدأ بتعليم العلوم الطبيعية والتوسع في التاريخ والجغرافية والاقتصاد السياسي ثم تبني فوقه الحضارة والآداب وغيرها

وقد يقال ان التعليم الجاري الآن في الجامعة وقتي وانها تنوي تغييره بعد ان يعود التلامذة الذين ارسلتهم لتلقي العلم في اوربا . والجواب ان ذلك قد يكون الواقع ولكننا قرأنا في قرارها الذي اصدرته في العام الماضي قولها « ان الذي ينقص القطر المصري الآن ليست المدارس العلمية او المدارس التي يخرج منها المحامون والمهندسون والاطباء بل ينقصها المدارس التي تعلم العلم لذاته دون مجرد الربح . لذلك ستكون الابحاث التي يتناولها التعليم في الجامعة واسعة جداً و يعلم فيها تاريخ المدنية وتاريخ العلوم والفلسفة والتشريع والطب باوسع التعليم »

فلا نرى هنا ذكراً للعلوم الطبيعية التي تقدم ذكرها فلم تجعلها من ضمن بروغرامها ولا هي موجودة في بروغرام المدارس المصرية . وهذا ما نتقدم الى لجنة الجامعة ان تنظر فيه فانه من الاهمية بمكان عظيم . واذا فرضنا انه من بروغرامها فقد كان الاولى ان تبدأ به

طريقة القاء الدروس

بقي لنا ملاحظة أخرى على طريقة القاء الدروس في الجامعة المصرية فانها تلقى خطباً يسمعها التلامذة وينصرفون . وهي الطريقة المتبعة في اكثر مدارس اوربا العالية ولكنها مع ذلك لا تصلح لنا لان احوالنا تختلف عن احوال امم تلك القارة . هم يحتاجون الى مدارس التعليم فقط ونحن نحتاج الى مدارس التعليم والتربية معاً . ان الاوربي يتلقى مبادىء التربية في حجر والديه لان العائلة عندهم ارقى من العائلة عندنا . فالام تتكفل عندهم بغرس تلك المبادىء في طفلها فتعلمه الاعتماد على النفس والمحافظة على الوقت وتبث فيه استقلال الفكر وحب الوطن . واما نحن فينبغي لنا ان نتعلم ذلك في المدارس لان امهاتنا لا يزلن عاجزات عنه . ولا يتيسر الحصول عليه الا بالمدارس الداخلية التي يقيم فيها التلامذة يتعلمون و يتثقفون و يتربون بطريقة يحمل بها التلاميذ على الدرس كرهاً و ينشأ في وسط يكون اساتذته مثالاً في الآداب الصحيحة والاخلاق السامية فضلاً عن العلم . فتكون المدرسة مدرسة تعليم وتربية يدخلها الطالب لدن العودلين العريكة فلا يزال يتلقى العلم و يتمرس باسباب الترقي و يطبع على الاقدام وسائر الفضائل حتى يخرج متقفاً قوي الارادة نشيطاً مستقل

الفكر هاماً يحب وطنه و يتفانى في خدمته . وهذا لا يتأتى بالحضور الاختياري لسماع الخطب لان معظم هذه المحامد تنال بالقدوة والمباحثة والمعاشرة والمناقشة اناء الليل واطراف النهار . و بالجملة اننا في حاجة الى مدرسة يسبك فيها الطالب سبكاً في قالب جديد يوافق مصلحة بلاده على ايدي اساتذة عقلاء فضلاء يستفيد من اخلاقهم ومناقبهم

نحتاج الى مدرسة اذا فرغ تلامذتها من دروسهم لا يخرجون الى القهوات والبارات واماكن اللهو كما يفعل اكثر الذين يحضرون الدروس الاختيارية بمصر . بل يلازمون اساتذتهم او رفاقهم يباحثونهم في الادب او الفلسفة او الاخلاق و يتنافسون في المسابقة الى الفضيلة او يعقدون الاجتماعات للخطب الادبية او الاجتماعية ويتمرسون بالخطابة على المنابر او المناظرة في المواضيع المفيدة كما يفعل تلامذة المدرسة الكلية السورية وامثالها من الكليات الكبرى التي يشعر اساتذتها انهم مسئولون عن تربية التلامذة مثل مسئوليتهم عن تعليمهم . وليس كما يشاهد بالمدارس الاميرية بمصر لهذا العهد فان الاساتذة يلقون الدروس و ينصرفون الى شؤونهم لا يهمهم ما يكون بعد خروجهم . وربما التقى التلميذ ومعلمه في قهوة واحدة او على مائدة واحدة يشربان و يتمازحان . فيشب التلامذة لا يخافون المسكر ولا ينفرون من اماكن اللهو . وهذه مفسدة تقف في سبيل ما نرجوه من الرقي لابنائنا في عوامل هذه المدنية . وذلك طبيعي في المصالح الاميرية لان العامل فيها انما يهمه الراتب الذي يقبضه على عمل لا يلذ لهُ ولا يصدق انهُ فرغ منهُ حتى يمضي الى شؤونه . ولذلك فالآمال متجهة والابصار شاخصة الى الجامعة المصرية التي انشئت باموال الاهالي لعلها تسد هذا النقص . فنتقدم الى ولاة امرها ان يجعلوها اقرب الى مصلحة البلاد وحاجة اهلها للاسباب التي قدمناها

يطلب لادارة الهلال

زادت طلبات الاشتراك على ما قدرناه في اول هذه السنة من الهلال ولم ننتبه لذلك الا بعد طبع الهلالين الاول والثاني فزدنا عدد ما طبعناه بعدهما . فنرجو ممن يكون عندهُ احد هذين العددين او كلاهما فوق حاجتهِ ان يتكرم بارسالها الى الادارة ولو بالثمن ريثما نعيد طبعها . ومثل ذلك العددان ١ و ٢ من السنة ١٦ والسابع من السنة ١٥ والتاسع من السنة ٤ ونرجو من وكلائنا الكرام بالجهات وعلى الاخص في سوريا ان يتكرموا بارسال ما بقي لهم ايضاً من الاعداد المذكورة

تاريخ الحكومة الدستورية

٣ ــ تاريخ الحكومة الدستورية في فرنسا

١ ــ نظرة في حال اوربا بعد سقوط بونابرت

لما سقط بونابرت ورجع ملوك اوربا الى امتلاك عروشهم سنة ١٨١٤ سعوا جهدهم في اعادة الحكومة الى ما كانت عليه قبل الثورة . على ان بعضهم أراد الرجوع الى الوراء كملك سردينيا الذي خطر له ان يهدم طريق كورنيش لانها من بناء الفرنساويين . وعزم منتخب هيس على تنزيل القادة عن درجاتهم التي نالوها في غضون تغيبه — على ان بعض الحكومات حافظت على شيء من الشؤون التي حدثت في زمن الثورة كحرية الصناعة والزراعة ووحدة الشرائع وتنظيم الادارات على نسق قانون لكنهم صرحوا ان الثورة جريمة غير مشروعة وانه يجب اعادة الملكية المطلقة . وكان لويس الثامن عشر يلقب نابوليون بونابرت بالمغتصب ويحسب سنة ١٨١٥ السنة الحادية والعشرين من ملكه كأن نابوليون لم يكن في أثناء ذلك . ويسمى رجوع الملكية هذا في اصطلاح المؤرخين La restauration

وبعقب الصدمات السياسية غالباً تنبه الاذهان الى الاصلاح فاخذت دول اوربا بعد الملكية تنظر في تنظيم حكوماتها فنشأ من ذلك نظريتان متناقضتان احداهما « الحكومة المطلقة » والثانية « الحكومة الدستورية » فاصبح في كل مملكة حزبان متما كسان احدهما حزب الحكومة المطلقة والثاني حزب الحكومة الدستورية ويسمونه الحزب الحر . وليس الاختلاف بين الحزبين في تشكيل الحكومة لان اشياع الدستور لا يؤثرون الجمهورية على الملكية وانما وجه الخلاف على مبدإ السلطة ذاتها

على ان مبدأ الحكم المطلق يقرب جداً من المبدأ القديم ألا وهو الحق الالهي بحيث يكون للملك وحده كل السلطة على بلاده وان الله أودع السلطة في اسرة الملك ومن ارادته تعالى ان تنتقل من الاب الى الابن وحقوق الملك هذه متصلة به من الدين والتقليد ولكنه لم ينلها من رعيته ولذلك لا يلتزم باداء الحساب عنها بل يحكم فيهم بما يظنه حسناً متبعاً ضميره غير مقيد بشيء من السنن والقوانين . فكل سلطة تصدر عنه وله وحده حق

الحكم واشتراع القوانين ووضع الضرائب . الا ان الرعية حافظت في بعض الممالك على حق انتخاب نواب عنهم يؤلفون مجلسًا ويغلب في الملوك ان يحكموا بالاتفاق مع ذلك المجلس الا انهُ اذا تعذر اتفاق الملك والنواب فعلى النواب الخضوع والتسليم لأن السلطة ليست من خصائص الامة وانما هي من حقوق الامير

ويحسب اشياع الحكومة المطلقة انهُ لا يمكن ان يتقيد الملك بشيء من القيود ازاء رعيته ولذلك ينبذون كل دستور مكتتب ولا يعترفون بقاعدة غير ما في التقليد وارادة الملك ولما كانوا يعتقدون ان الدين يوصي باحترام الملك رغبوا في جعل الدين الزاميًا وحفظوا لكنيسته سلطة سياسية (ذلك ما كانوا يسمونهُ اتحاد العرش بالهيكل) — واذ كانوا يخشون من الجرائد انتقادها على اعمال الحكومة رغبوا في جعلها تحت المراقبة المستمرة فكانوا في اغلب الاحايين يشايعون المراقب الذي يفحص المقالات قبل السماح بطبعها

على ان اشياع الحكومة المطلقة في كل بلاد يكونون من رجال البلاط ومن العمال ويلحق بهم القسم الاكبر من الاشراف والكهنة والفلاحين والعاطفة المتسلطة عليهم هي اعتبار الماضي وحب الترتيب

اما المبدأ الدستوري فقائم على مبداء سلطة الامة وهو قريب جدًّا من مبداء الحكومة الدستورية البريطانية التي تعترف للممالك بحق الملك الا انه لا يملك الا برضا الأمة و بموجب ميثاق . فلا يحق لهُ سن القوانين ولا وضع الضرائب ولا اختيار الوزراء بمجرد ارادته بل لا يستطيع ان يحكم الا بالاتفاق مع المجلس الذي يمثل الامة واذا اختلف الملك والامة فعلى الملك الامتثال والتسليم لان الامة هي السائدة

وتأمينًا للامة على حقوقها يضعون دستورًا مكتوبًا هو الشريعة الاساسية في البلاد ويتعهد الملك ووزراؤه بالعمل به . واذا أخلوا بشيء منه فللامة الحق بمقاومتهم ويكون الوزراء مسؤولين عما يعملون ولما كان من افضل الذرائع المانعة لتجاوز السلطة حدودها هو اشهارها للناس طلب الدستوريون حرية الكلام والكتابة والاجتماع كما طلبوا حرية المعتقد والمساواة بين المذاهب

وكان معظم الدستوريين يقيمون في المدائن وسوادهم من الاوساط والعملة والمشترعين والكتبة وكان شعارهم النجاح والحرية

هكذا بدأ الخصام بين هذين الحزبين عقيب رجعة الملكية وكان معظم الخلاف بينهما في التفضيلين الآتي ذكرهما :

القضية الاولى · طلب الاحرار من الحكومة وضع دستور مكتوب تقرر فيه حقوق الرعية · فابت الحكومة التقيد بحقوق تمس مقام الملوك

القضية الثانية · طلب الاحرار حرية المطبوعات وابت الحكومة ان تسمح بطبع الكتابات المزعزعة للاركان Subversifs والمراد بها انتقادها على نظام الهيئة الاجتماعية والحكومة · فاحتفظت بالمراقبة

وكان اشياع الحكومة المطلقة في سنة ١٨١٥ م ولاة الامر في كل ممالك اوربا تقريباً لذلك اخذوا يتعقبون الكتبة المنتقدين و يقيمون عليهم الدعاوي في المحاكم ويمنعون الكتب والجرائد الاجنبية ويزجون قراءها في السجون · وكانت حكومة المانيا توجس خوفاً من اجتماعات طلبة العلم فاجتمع مؤتمر كارلسباد اجتماعاً مخصوصاً قضى به بفض الاجتماع المسمى Burschenschaft و باقامة مراقبين في المدارس الجامعة يحظرون كل اجتماع يعقده الطلبة وادى ذلك الى اعتقال كثيرين من اولئك الطلبة في القلاع — فشرع الاحرار يؤلفون الجمعيات السرية ومن ثم اخذوا يحاولون بالمؤامرات والثورات قلب الحكومة وارغامها على منح الدستور حسب النظام البارلماني في انكلترا — لان انكلترا هي مهد النظام البارلماني وفيها كانت نشأته كما تقدم وعن قومها الانكليز اخذت الشعوب الاخرى مناهج الشورى

٢ — عهد La charte سنة ١٨١٤ ورجعة الملكية الى فرنسا

لما رجع البوربون الى فرنسا سنة ١٨١٤ وملكوا عليها وعدوا باحترام سنن الثورة والامبراطورية وانهم لا يغيرون من المجتمع شيء فيستمر ديمقراطياً و يظل الفرنساويون سواء في حكم القانون وفي تقلد كل الوظائف وتلبث الامتيازات القديمة ملغاة وتبقى الاملاك الوطنية لمالكيها الحديثين ولا يكون الادارة فتستمر على الرجوع بها الى المركز وتبقى كل المصالح العامة كالمالية والعدلية والادارة والبوليس والجيش حتى تقيم الولايات على ما رتبت الثورة و يحتفظون على مشاريع نابليون مثل القانون ووسام اللجيون دونير والبنك والمدارس الكلية · وكان الشعب قد تمرد على الامبراطورية صائحاً فليسقط التجنيد والحقوق المتحدة واوجبوا على انفسهم الغاء هاتين السنتين القبيحتين وابدالهما بالاكتتاب و بالرسوم غير المقدرة

هكذا كانت فرنسا منذ سنة ١٨١٤ ممتعة بنظام اجتماعي واداري لم يحدث فيه تغيير منذ يومئذ وهذا الترتيب الاجتماعي صار اساساً متيناً في الحياة الفرنساوية الا انه لم يكن في فرنسا ادارة منظمة كما كان لحكومة انكلترا فاضطرت ان تحدد القواعد التي تتوزع

السلطة بحسبها وان تمنح الامة دستوراً تتعوده' فقضت في تدبير ذلك ستين سنة (من ١٨١٤ الى ١٨٧٥) . اما الدستور الاول فتاريخه سنة ١٨١٤ على ان عداة استبداد نابليون من الملوك المتحالفين والساسة الفرنساويين اعجبوا بالنظام البارلماني الانكليزي لانهم حسبوه اكثر حرية من نظام كل الحكومات فنصحوا للويس الثامن عشر ان بدخله في فرنسا حتى ان مجلس الشيوخ (السنا) كتب تقريراً مبنياً على مبدإ تسود الامة قال به « ان الشعب الفرنساوي بملء اختياره يدعو لتبوء العرش لويس ستانيسلاس كزافيليه شقيق الملك الاخير وان الشعب لاقراره على العمل بالدستور يفرض على الملك ان يقسم اليمين على العمل به وان يوقع عليه قبل ان ينادى به ملكاً » فأبى الملك الجديد المصادقة على هذا الدستور لانه رغب في بادىء الامر ان يتبوأ الاريكة فلما نودي به ملكاً اذاع قراراً جديداً تجنب فيه الالماع الى ذكر الدستور ولكنه استعمل بديلاً منه' اسماً مأخوذاً عن العصور الوسطى الا وهو العهد الدستوري Charte Constitutionelle اما الملك فتلقب بلويس الثامن عشر بنعمة الله ملك فرنسا ثم ارخ العهد في السنة الحادية والعشرين من ملكه واستخدم عبارة الملوك المألوفة « تنازلنا ومنحنا » وانما عدل الى هذه الخطة ليظهر للملأ انه لا يعترف لحكومة من الحكومات التي سادت فرنسا منذ وفاة لويس السادس عشر انها كانت شرعية . وان الملك الشرعي الوحيد كان ابن شقيق لويس السابع عشر ومن بعد وفاته اصبح هو صاحب الملك وان السلطة التي اتصلت اليه بالارث هي حق الهي تختص به دون سواه وانها مطلقة وله وحده الحق بالتصرف فيها وتحديدها بمنحة منه يصدره من تلقاء ارادته يريد بذلك ان السلطة في فرنسا من خصائص الملك وليست من خصائص الامة فدعى ذلك الى امتعاض الاحرار واستيائهم الا انه تحت طي هذا الشكل المطلق صدر العهد Charte سنة ١٨١٤ مشيداً النظام الدستوري وبه دخلت الى فرنسا المناهج السياسية التي كان يجري عليها المحافظون وذلك ان الحكومة كانت موزعة على ثلاث سلطات وهي الملك والمجلسان فكان للملك السلطة التنفيذية وحق تنصيب الوزراء واقالتهم وفض مجلس النواب وكان الوزراء مسؤولين عما يعملون . اما المجلس العالي فكان يؤلف من امراء فرنسا الذين يعينهم الملك فينتقل المنصب فيه بالارث الى اعقابهم شأن مجلس اللوردة في انكلترا . ومن خصائصه التصديق على القوانين فكان مجلس النواب مؤلفاً من اعضاء ينتخبون من الامة وله اشتراع القوانين والاقتراع على الميزانية ولم يكن الامراء والنواب يوجرون اما المطبوعات فصارت حرة شأنها في انكلترا . والخلاصة ان النظام الفرنساوي كان نسخة ثانية للنظام الانكليزي حتى في الجزئيات مثل خطاب العرش وجواب المجلس واللجان وغير ذلك

٣ — كيفية انتخاب النواب وحرية المطبوعات

ولقد اغفل العهد القرار على قضيتين عمليتين كان من الواجب ان يبت الحكم فيهما بالقانون : القضية الاولى كيفية انتخاب النواب والثانية كيفية تنظيم حرية المطبوعات . على ان القوانين اللازمة لهاتين القضيتين لم تذكر في العهد فظلت موضوعاً للبحث زمناً طويلاً

على ان النظام الانكليزي كان في عهد اتخاذه انموذجاً للسنن الفرنساوية غير جازم في احدى القضايا وهي : ما هي حقوق الملك تجاه مجلس النواب ؟ هل يفرض عليه ان يتخذ وزراءه من اغلبية اعضاء المجلس ؟ واذ لم تكن هذه القضية قد قطع الجدال فيها في انكلترا لبثت كذلك في فرنسا

وهكذا ظلت مباحث البارلمان دائرة من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨٣٥ على وضع قانون الانتخاب وقانون المطبوعات وسلطة الملك واما بما يختص بنظام الانتخاب والمطبوعات وسائر الدستور فقد اتبع الساسة الفرنساويون النهج البريطاني

على انهم لم يتنازعوا في منح كل فرنساوي حق انتخاب النواب فان الثورة اظهرت لهم الحقوق في الانتخاب العام وقام في الاذهان ان حقاً اعظم الاهمية مثل انتخاب النواب لا يجب ان يخول الا لبضعة مختارة من الرجال الاكفاء على ان تكون الثروة هي الاساس المعتمد في تخويل الانسان حق الانتخاب كما في انكلترا فيعدلون الى دفاتر الجباية وبحسبها يقررون اسماء نائلي ذلك الحق وظلوا على اعتماد تلك الدفاتر حتى سنة ١٨٤٨ على انهم منذ سنة ١٨١٤ جعلوا مقدار الجباية عالية جداً بحيث يتعين على المنتخب ان يؤدي في كل سنة من الضرائب ثلاثمائة فرنك . وأما المنتخب (بفتح الخاء) فيؤدي الفي فرنك . وطريقة الانتخاب هي ان يجتمع المنتخبون في حاضرة الولاية أو المقاطعة . وظل نهجهم هذا جارياً الى سنة ١٨٣٠ على ان عددهم لم يكن يومئذٍ يتجاوز الف مئة وعشرة الاف رجل مع ان عدد الاهلين كان من ٢٥ الى ٣٠ مليوناً من النفوس وكانوا ينقسمون الى قسمين احدهما عامة الشعب الذين لا حق لهم بشيء من الحقوق السياسية . وثانيهما المقيدة اسماؤهم في دفاتر الجباية وهم المنفردون بحق تمثيل الامة جملة . ومن جراء ذلك صاروا يلقبون هؤلاء الواقعين تحت الجباية بعد سنة ١٨٣٠ بالقوم القانونيين وذلك لانهم كانوا ازاء القانون السياسي كانهم كل البلاد [١]

(١) ان الاختلاف الاساسي كان قائماً على طرق اجراء المبداء العام وهو ان

أما المطبوعات السياسية فقد ترتبت ايضاً على نهج الانكليز على ان يضعوا على كل عدد منها تمغة بقيمة ٥ سنتيمات وكانت اجرة البريد عن العدد الواحد ١٠ سنتيمات ولم يكن بيع الاعداد مفردة شائع الاستعمال بل كان تصريفها محصوراً بالاشتراك فيها. فظلت الجرائد كطرفة غالية الثمن لا يتمتع بها الا الاوساط • وكان عدد المشتركين فيها سنة ١٨٣٠ لا يتجاوز الستين الفاً الى السبعين • وأما عامة الشعب فلم يكونوا يقرأون ولذلك لبثوا في جهل مطبق لا يدركون من السياسة شيئاً لان تلك بقيت من خصوصيات الاوساط وكان يتعين على من ينشىء جريدة ان يقدم كفالة مالية مهمة • ولذلك لم يكثر عدد الجرائد بل كان لكل حزب من الاحزاب ثلاث اواربع منها ولكل منها نفوذ عظيم على قرائها . ومما زادها بسطة ان النبذ لم تكن يوقعها كتابها جرياً على الخطة الانكليزية وحالة كون الصحف ظلت مكتنفة بكل هذه المثبطات ابحت لها حريتها كما هو الحال في انكلترا الا انهُ حُظر عليها ان تتكلم بشأن الملك او تنتقد الدستور

٤ ـ الاحزاب السياسية في فرنسا

وهكذا نقل النظام السياسي الانكليزي الى فرنسا الا انهم لم ينقلوا معهُ العادات الانكليزية فكانت نشأة الاحزاب في فرنسا على غير المألوف في انكلترا • فالنواب الفرنساويون لكونهم اصعب مراساً لم يرتضوا ان يتألفوا حزبين بل شرعوا يجتمعون شراذم شتى وكل واحدة منها تنهج سبيلاً خاصاً في السياسة شأن الاحزاب في انكلترا. ولما كانت كل شرذمة منها تتبع سياستها الخاصة وترمي للحصول على السلطة كانت طريقة الرجحان الانكليزية غير معمول بها ما لم تحصل الاغلبية لشرذمة واحدة منها ولذلك لم يكونوا يعرفون اين يجدون زعيم الاغلبية ليعهدوا اليهِ بتأليف الوزارة ولا يمكن ثبوت وزارة اذا لم تجد من يؤيدها من الشراذم المختلفة حتى انها مهما احكمت الاتفاق لا تستطيع ان تبقى في المنصب طويلاً إذ يسهل على رجال الشراذم الخارجة عن السلطة ان يتعصبوا فيحملون على الوزارة ويسقطونها بالاقتراع ضدها فيدفع ذلك بالوزراء الى ارشاد المنتخبين او ارهابهم ليتسنى لهم الحصول على الاكثرية الغالبة • وفوق ذلك ترى الحكومة الفرنساوية اقدر من

الثروة وحدها حق التأهيل للانتخاب اما حق الانتخاب عند الانكليز فقد كان حتى قبل سنة ١٨٣٢ اقل قيمة مما هو عند الفرنساويين ومع ان عدد سكان انكلترا اقل من عدد الفرنساويين فان المنتخبين عندهم يزيد عددهم عشرين ضعفاً عن منتخبي فرنسا فالحياة السياسية عندهم لم تكن محصورة بالاوساط

الانكليزية على اتخاذ وسائل الضغط في الانتخاب ذلك لانه منذ ايام نابليون يتولى المناصب في الولايات عمال كثيرون كلهم يخضعون للوزراء

على ان النظام البارلماني يحتاج الى احزاب معتدلة تحترم المبادات التي بني الدستور عليها • وكان الظن في سنة ١٨١٤ ان العهد يكون مقبولاً لدى الجميع لانه متسع في الحرية بالنسبة لنظام نابوليون • وكان البوربون (الاسرة التي لا تنازع) قد جاؤا بالسلام والناس في اشد الحاجة اليه والرغبة فيه فلم يعزلوا احداً من رجال الحكومة حتى ان لويس الثامن عشر ابقى وزراء نابوليون في مناصبهم • وابقى اربعة وثمانين عضواً من مجلس الاعيان ومجلس النواب برمته • فظهر كأن فرنسا الجديدة قد صالحت فرنسا القديمة بواسطة نظامها البرلماني

على ان غباوة البوربون وعودة نابليون صيرا المصالحة امراً مستحيلاً فان البوربون لم يمسوا النظام الجديد بسوء ولكنهم اباحوا لاصحابهم المهاجرين اتخاذ لهجة ارعبت بل جرحت قلوب جميع الرجال الذين يستفيدون من بقاء الشؤون الحديثة كالذين ابتاعوا الاملاك الوطنية واشراف الامبراطورية والعمال والقادة والفلاحين • وقد اهتاج الجيش كثيراً لان قادته احيلوا على نصف الراتب ولانه اخذت الراية المثلثة من افراده وعوضوا منها بالراية البيضاء

ولذلك كان الجنود والفلاحون من انصار نابليون يوم عودته الى فرنسا فنقض النظام البارلماني المنصوص بالعهد • واستمال نابليون الجمهوريين بجعل حكومته دستورية تصادق عليها الامة بالاقتراع العمومي • على ان هذا النظام سقط بسقوطه بعد موقعة واترلو وارجع نظام العهد • غير ان النظام البونابرتي الذي عاش مئة يوم ترك آثاراً لا تمحى من ذلك ان اشياع الملكية اهتاجوا واخذوا في اضطهاد مريدي نابليون الذين التفوا عليه وظنوا انهم بذلك يقوضون اعمال الثورة • أما مريدو النظام الجديد من اشياع نابليون والجمهوريين فقد حملهم عداؤهم لانصار الملكية على الاتحاد معاً تحت العلم المثلث الالوان حال كون الجمهوريين كانوا يحسبون نابليون مغتصباً فصاروا يعدونه حامي الثورة من البوربون الذين يحاولون ارجاع النظام القديم وهكذا قام في فرنسا حزبان متطرفان الواحد منهما يعرف بغلاة الملكيين Ultra-royaliste وهم الطالبون ارجاع النظام القديم وسلطة الملك المطلقة وامتيازات الاشراف والكهنة • والحزب الثاني الجمهوريون البونابرتيـون (ويلقبونه بالحزب الحر) وهم الراغبون في سقوط البوربون على

ان كلا الحزبين لم يكن راضياً بالعهد · اما الاحرار فكانوا من حزب الثورة على ان مقاصدهم لم تكن تحاكي مطالب حزب الاحرار من الانكليز الذين كانوا يسعون في الاصلاحات الحرة وانما كان الاحرار الفرنساويون يعملون على قلب الملكية التي اوجدها الدستور وكان غلاة الملكيين من مريدي الرجعة لم يقتصروا في رغائبهم اقتصار حزب المحافظين من الانكليز على رفض الاصلاح وانما ارادوا الرجوع الى النظام الذي سقط ولا يستطاع قيامهُ الا بالثورة

وقام من بين هذين الحزبين المتفقين على عداء الدستور حزبان دستوريان هما الملكية المعتدلة (حزب اليمين) وغايتهم البقاء على الحالة القديمة شأن حزب التوريس (Tories) وحزب الملكيين الاحرار (doctrinaires) وغايتهم التحزب للحكومة على النهج الانكليزي

٥ — فوز غلاة الملكية

وفي سنة ١٨١٥ جرى الانتخاب والناس في رعب شديد سيما وان الحلفاء كانوا يكتسحون البلاد فاكتسب حزب غلاة الملكيين الاكثرية في مجلس النواب الذي سموهُ المجلس غير الموجود فطلبوا ان تعاد الاملاك الاهلية الى الاكليروس وان ترفض الديون العمومية ويعزل القضاة الاحرار وتبطل المدارس الجامعة فتحزب الملك ضدهم · واما حزب الملكيين الاحرار فانهم تحزبوا للملك في مضادة المجلس ابقاء على اعمال الثورة فطلب المجلس من الملك ان يستوزر من الاكثرية فيه فخالفهم الملكيون الاحرار زاعمين ان الملك حرٌّ في اختيار وزرائه · وقال رويار كولار سنة ١٨١٦ « انهُ في اليوم الذي لا تتألف فيهِ الوزارة الا من الاغلبية في المجلس او حين يتقرر ان المجلس قادر على عزل وزراء الملك يكون ذلك الوقت يوم سقوط الدستور والملكيَّة المستقلة ومنذ يومئذٍ تصبح حكومتنا جمهورية » ثم ان المجلس رغب في تخفيض فئة الجباية التي بادائها يستطيع الفرنساوي ان ينتخب لمجلس النواب وان يكون الحط منها حتى تبلغ الخمسين فرنكاً فيزيد عدد المنتخبين ويناهزون المليونين · اما الملكيون الاحرار فتمسكوا بالثلثمئة فرنك فئة مقررة للمنتخبين يريدون بذلك ان اهل الطبقة العليا من الاوساط يدافعون عن الحرية اكثر مما يدافع عنها صغار الملاكين فتخلص لويس الثامن عشر من غلاة الملكيين بفض المجلس النيابي بغتة واصدر امرًا ان يعمل حسب قانون الانتخاب لسنة ١٨١٤ فكان بذلك صيانة القوانين الا ان الامة ظلت بعيدة عن السياسة وبقي الملك محتفظاً بادارة الحكومة ذلك ما حال دون

قيام نظام دستوري حقيقي

وظل الدستور بين سنة ١٨١٦ و ١٨٢٩ جارياً في سيره القانوني والاحرار يعملون على اثارة الخواطر في البلاد وينشئون الجمعيات السرية ومؤامرات عسكرية وشرعوا يكتبون الرسائل ويقيمون المظاهرات الا انهم لم يكن لهم في المجلس الا نفر قليل من النواب وكذلك لم يكن فيه من غلاة الملكية الا عصبة صغيرة على ان معظم النواب كانوا من حزبي الوسط الدستوريين اما الوزارة التي اختارها الملك فكانت تعزز بالاغلبية — فوزارة ديكاز اعززها الاحرار الملكيون فاستمرت في منصتها من سنة ١٨١٦ الى ١٨٢٠ وقد قامت في تضاعيف هذه المدة بالاصلاحات الحرة — ووزارة فيلال ساعدها حزب اليمين واستمرت من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٢٧ فتوقفت الاصلاحات خلال هذه الايام بل ان المجلس قرر بعض قرارات من قبيل الرجعة الى الطرق القديمة فلم يرضَ مجلس الشيوخ بعضها فرفضهُ . وفي سنة ١٨٢٧ اتحد كل عداة وزارة فيلال فحازوا الاغلبية في المجلس (٣٦٠ صوتاً ضد ٣٠ صوتاً) على ان شارل العاشر لم يرضَ ان يقيم الوزارة من اليسار بل اختارها من حزب الوسط اليمين فاستوزر مارتيناك غير ان هذا الوزير لم ينل من المجلس الا الاقلية

بيد ان نظام الرجعة تلاشى خلال تنازع الحزبين المتطرفين ولم يكن شارل العاشر رغب في النظام الدستوري . وقد قال اني افضل ان انشر الخشب عن ان اكون ملكاً في حالة ملك انكلترا فان الملك في فرنسا هو الذي يحكم الا ان يستشير المجلسين وينعم النظر في آرائهما وما يعرضان لكنهُ اذا لم يقتنع بقولها فالامر يرجع الى ارادتهِ . وفي سنة ١٨٢٩ استوزر الملك بوليناك من حزب غلاة الملكية فاجمعت على عدوان الوزير سائر الاحزاب من النواب ورفعت عريضة ضدهُ موقعة من ٢٢٢ نائباً فاحتفظ الملك بوزرائهِ وفض المجلس

وكاد يكون المجلس الجديد المنتخب سنة ١٨٣٠ اشد عداء من القديم الا ان شارل العاشر اراد ان يعمل بما نجح به لويس الثامن عشر سنة ١٨١٦ ذلك ان البند الرابع عشر من العهد يقول « ان في وسع الملك اصدار الاوامر اللازمة لانفاذ القانون ولتوطيد الامن في المملكة » وعملاً بحكم هذه السنة اصدر شارل العاشر ثلاثة اوامر احدها يحتم بفض المجلس الجديد قبل اجتماعه والثاني يأمر بتبديل نظام الانتخاب والثالث يقضي بتعيين مراقب للجرائد (تموز سنة ١٨٣٠) وكان الرأي العام ان الملك تجاوز حد سلطتهِ وان الاوامر التي اصدرها ان هي الا قوانين وضعها من عند نفسهِ من غير ان يقررها اقتراع

ومجلس النواب فهي اذاً غير قانونية فنهض الصحافيون الباريزيون ووقعوا على لائحة اعتراضية وعقد النواب الذين كانوا يومئذ في باريز العزيمة على المقاومة القانونية غير ان الوسائل الشرعية لم تكن لتغلب حكومة تعززها القوة المسلحة

وكان قد قام في باريز حزب جمهوري نشأ من بين الطلبة والعملة ومع انهُ قليل العدد (من ثمانية الى عشرة آلاف رجل) ولم يكن له نواب ولا جرائد فقد كان منظماً تنظيماً حسناً ومسلحاً وهو الذي نهض بثورة سنة ١٨٣٠ يومئذٍ ثار رجاله الاشداء فتقلدوا السلاح واقاموا المتاريس [1] في الشوارع الضيقة من شرقي باريز رافعين العلم المثلث الالوان ولم تكن الحكومة محتسبةً لوقوع المرج لذلك لم يكن لديها في باريز من الكتائب الا ١١,٠٠٠ رجل فغلب الثائرون على المدينة في ثلاثة ايام · فهلع شارل العاشر ولم يجسر على محاولة استرجاع المدينة بل فرَّ هارباً من فرنسا · وكان النواب خلال الموقعة قد اجتمعوا في باريز وفاوضوا شارل العاشر ثم اقروا على العهد بالملك الى اسرة جديدة ولذلك ارتضوا بالدوق اورليان ملكاً بعد ان وعدهم باتخاذ العلم المثلث الالوان و بالذب عن النظام الدستوري لان العلم المثلث الالوان كان محبباً للناس مرفوعاً فوق كل المدن · فلما نودي بلويس فيليب ملكاً اعترف بهِ الناس من غير ممانعة

٦ — عهد ١٨٣٠ والملكية التي تأسست في شهر تموز (يوليو)

قامت ثورة سنة ١٨٣٠ باسم سيادة الامة فقبل الملك الجديد بهذا المبدأ وتلقب بلويس فيليب الاول ملك الفرنساويين بنعمة الله وارادة الامة · واذ اقتضت الظروف اشتراع دستور جديد وضعوا عهد سنة ١٨٣٠ على انهُ لم يعط للامة كمنحة من الملك وانما وضعتهُ الامة نفسها وارتضاه الملك واقسم على احترامه والغي البند الرابع عشر الذي كان شارل العاشر قد توكأ عليهِ وكذلك الغيت مراقبة المطبوعات الغاء باتاً ومنح مجلس النواب حق انتخاب رئيسهِ ووعد العهد بسن قوانين للمحلفين (جوري) وللحزب الوطني وللادارة ولحرية التعليم وتم ذلك سنة ١٨٣١ بوضع قانونين ذلك ان عضوية الشيوخ كانت ارثية فجعلوها مدى الحياة والفئة التي تؤهل الفرنساوي لانتخاب النواب كانت ثلثمئة فرنك فحطت الى مئتي فرنك فصار المنتخبون يومئذ مئة الف وخمسين الفاً (وبلغوا سنة ١٨٤٨ مئتي الف)

---

(١) وكانوا قد عملوا المتاريس في سنة ١٨٢٧ وسبق لهم ان اقاموها من قبل في زمن الفروند ولكنهم لم يستعملوها زمن الثورة (والفروند Fronde) هو حرب احزاب جرت في اواسط القرن السابع عشر

واصبحت الامة هي السائدة وليس الملك وصار يُخال ان النظام البارلماني توطد في فرنسا الا انهُ كان لم يزل في البلاد حزبان متطرفان في عدوانهم للدستور احدهما حزب اليمين وهم اشياع الملكية Legitimistes الذين لا يريدون الاعتراف بالملك لانهم يحسبونه مغتصباً والحزب الثاني نواب اليسار وهم الجمهوريون الذين كانوا يشكون من انخداعهم سنة ١٨٣٠ على ان الملك مع كل تظاهره بالانصياع لاحكام الاغلبية لم يكن يسير في شيء مسير الملك الدستوري فكان يريد اختيار وزرائهِ والاشتغال معهم ليدير سياستهم على خاطره وعوضاً عن ان يسلك طبق ارادة الاغلبية كان يبذل قصاراهُ لاتخاذ اغلبية خاضعة للارادة الملكية

ومن سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٣٥ كان الحزبان اللذان أحدثا الثورة وهما الملكيون من حزب الشمال والجمهوريون يتنازعان على السلطة . أما لويس فيليب فتزلفاً للجمهوريين النافذين في المجلس البلدي بباريز قرَّب اليهِ زعيمهم لافايت ولافيت وألف وزارة مختلطة جعل فيها خمسة وزراء من الجمهوريين واربعة من الملكيين فوقع الخصام في الوزارة نفسها فكان الجمهوريون يريدون السياسة الديموقراطية والتداخل لاسعاف الشعوب الثائرة في اوربا . وكان الملكيون يريدون الاحتفاظ بسلطة الاوساط والسلم مع الدول الكبرى . أما الملك فكان متشيعاً لحزب الملكيين . لذلك اراد ان يترك رجال الاحرار يتلاشون من انفسهم فابقاهم وحدهم في الوزارة يتمتعون بها وبالنفوذ في باريز (وزارة لافيت) فظن الناس ان الوزارة ستضرم نار الحرب في اوربا . لذلك استولى الرعب على البلاد وسقط الرنت ٣ بالمائة الى ٥٢ فرنكاً و٣٠ سنتيما والرنت ٥ بالمئة الى ٨٢ فرنكا و٥٠ سنتيما فتخلى النواب عن لافيت واتخذ الملك وزارة ملكية زعيمها كازمير باريه (سنة ١٨٣١) ففقد حزب الجمهورية كل آماله بان ينال منصة الوزارة بواسطة مجلس النواب لذلك صرف قصاراهُ بتجديد ثورة سنة ١٨٣٠ وذلك انهُ انشأ جمعيات للعملة وجريدة وشرع يحدث شغباً وهرجاً في باريز — فاقتصت الحكومة من الجرائد والجمعيات السرية واعانها الحرس الوطني على قمع الفتن . وفي الوقت ذاته سحقت قوة الملكيين في الغرب . وفي سنة ١٨٣٥ استتب الامن عقيب المحاكمات الصارمة والعمل باحكام القوانين المسنونة في ايلول ضد المطبوعات

ومن سنة ١٨٣٥ الى ١٨٤٠ اتصل الخصام الى مجلس النواب بين الحزبين الدستوريين وهما حزب الوسط الايسر (تيرس) وحزب اليمين الاحرار الذي صار حزب الوسط

الايمن (كيزو) على انه كان بينهما عصبة متوسطة هي حزب العامة le tiers Parti وعصبتان اخريان متطرفتان • وفوق ذلك فان الملك عوضاً عن ان يعهد بالوزارة لحزب صاحب الاغلبية ويبقيه فيها حتى يصير الى الاقلية كان يستوزر اصدقاءه من غير الاكثرية او يرفت الوزراء الذين لا يتبعون سياسته • فكانت الوزارة تسقط بسرعة بسبب مساكسة المقاومين او معارضة الملك لها ولذلك سقطت ثماني وزارات من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٤٠ وقد كانت تلك الآونة معترك البلاغة فقد استمر الجدال على جواب المجلس للملك سنة ١٨٣٨ اثنى عشر يوماً تلي خلالها ١٢٨ خطاباً غير ان النظام البرلماني لم يفض الى اقامة حكومة ثابتة

وعقد الملك سنة ١٨٤٠ حلقة وثيقة العرى مع حزب اليمين وعهد بالوزارة الى كيزو وكانت سياسته ترمي الى استحصال عضد المجلس له فجعل ينتخب من النواب من لا رأي له بحيث ينصرفون دائماً الى التصويت للوزارة • فكان يستميل المنتخبين والنواب لا بمجاراتهم في مناحيهم السياسية وانما شرع يسترضيهم بما يدر عليهم من المنافع الذاتية وذلك باعطاء المنتخبين ادارات التبغ والرواتب المدرسية والوظائف ويمنح النواب المناصب اللائقة بهم • وكانت هذه الوسائل فعالة لان النواب لم يكونوا يستوفون رواتب او اجوراً عن نيابتهم فاصبح نصف المجلس من العمال الموظفين وكان من سياسة كيزو تجنب كل عمل في اوربا وكل اصلاح في فرنسا • وظلت الاحوال على هذه الوتيرة ثماني سنين والاغلبية تزداد على كرور الايام حتى بلغت منتهى قواها في انتخاب سنة ١٨٤٦ الا ان سواد الامة كان يزداد استياء فينتقدون على الحكومة سياسة الجمود وتفشي الرشوة بين رجالها ولذلك بدأوا يطالبونها بالاصلاح في الشؤون الآتية :

اولاً : ان تخفض فئة المال المؤهل للانتخاب وان يمنح حق الانتخاب لمن كان من طلبة العلم الذين كانوا قد احرزوا منذ سنة ١٨٢٧ حق الذكر في جدول الذين يختارون منهم جماعة المحلفين Jury

ثانياً : ان يحظر على النواب تقلد الوظائف

فكأن فرنسا كانت قد انقسمت الى فريقين الفريق الاول مؤلف من الملك والوزارة والمجلس النيابي والمنتخبين بحق ما يؤدون من الضرائب • وهذا الفريق اتحدت فروعه كلها واجمعت على رفض كل ما يطلب من الاصلاح وخسيك بهم قوة انهم مستجمعون في قبضة ايديهم كل سلطة قانونية في البلاد • اما الفريق الثاني فهم المعارضون ويؤلفون من سائر

طبقات الامة ولهم في السياسة رأي الا انهم لم يكونوا يحرزون شيئاً من السلطة لانفاذه

وكانت السيادة في ظاهر الامور للنظام البرلماني البحت اذ يرى الملك كأنهُ منفذ لارادة اغلبية مجلس النواب المنتخب الا ان حقيقة الحال هي ان حصر الانتخاب في الاغنياء وتفشي الرشوة فيه جعل المجلس عبارة عن قوم مجتمعين لخدمة الملك لا للقيام بوظيفة النواب عن الامة ومثلهُ اصبح النظام البرلماني الانكليزي في وزارة وزيرٍ كان استاذاً لتاريخ انكلترا في حالة تجمل الحكومة في شخص الملك . وسنأتي على تاريخ الحكومة الدستورية في سائر دول اوربا في مكان آخر

عجائب المخلوقات

البومة في القطب الشمالي

من الخصائص الطبيعية في الحيوان ان يتكيف على ما يلائم الاقليم الذي يعيش فيه والا فانهُ ينقرض . والغالب ان يتكيف عملاً بناموس الانتخاب الطبيعي لحفظ النوع وفي بعض الحيوانات خاصة التكيف لمطابقة ظواهرها على ظواهر ما يحيط بها من التربة او النبات فيتخذ احدها لوناً يشبه ما يعيش عليه من النبات او يسرح فوقهُ من التربة او الحجارة وهذا ايضاً من قبيل الانتخاب الطبيعي يراد به الدفاع عن النفس لان هذا الحيوان اذا طارده عدوٌ يصعب عليه الاهتداء اليه لتشابه الالوان عليه و يظهر هذا التلون على الخصوص بالحشرات وفي الطيور فالحجل مثلاً ترى لون ريشه بلون الحصى التي يتنقل عليها فلا يهتدي الصياد اليه الا بمشقة


بومة القطب الشمالي

ومن هذا القبيل نوع من البومة تعيش في المنطقة الشمالية على الثلوج اذا جاء الشتاء اكتسب شعرها لوناً ابيض كالثلج فاذا جلست اخفت منقارها واغمضت عينيها فلا يشك من يقع بصره عليها انها قطعة من الثلج فلا يهتدي اليها الصيادون ولله في خلقه شؤُون



الدكتور يوحنا ورتبات

استاذ التشريح والفسيولوجيا في المدرسة الكلية السورية

ولد سنة ١٨٢٧ وتوفي سنة ١٩٠٨

١ – فضل الارسالية الاميركية في سوريا

لكل الارساليات الدينية فضل على سوريا ولكن للارسالية الاميركية ما عدا مدارسها العالية التي تخرّج فيها الالوف من الشبان والشابات في العلم والطب والصيدلة والتجارة ومشروعاتها الخيرية التي اعاثت الالوف من المعوزين وذوى الاسقام فضلاً يربو في نظر الباحث الاجتماعي على كل ما تقدم نعني تربية الاخلاق . ان فضل المرسلين الاميركان في هذا السبيل لا يمكن تقديره حق قدره . انهم بالاخلاق من اكبر دعائم هذه النهضة العلمية . ولعلنا لا نغالي اذا قلنا ان هذه التربية كانت في جملة الاسباب التي مهدت السبيل لاعلان الدستور لانها ترقي نفوس الشبان وتعودهم استقلال الفكر والاعتماد على النفس والصراحة في

القول والمجاهرة بالرأي فيخرج الطالب من مدرستهم رجلاً يثق بنفسه فيبث هذه الروح بين اهله وينشأ مقداماً لا يبالي بالاسفار في استدرار الرزق او طلب العلى . ناهيك بما استفاده السوريون من جوارهم بالقدوة ولا سيما في اوائل هذا العصر لمسيس الحاجة الى الاصلاح . ولتفرد بعض المرسلين يومئذ بمناقب تجتذب القلوب وتستهوي العقول فيحلو للنفس تقليدها والاقتداء باصحابها — اذا جمعت هذه الحسنات وغيرها مما لا محل له هنا هان عليك تصور فضل الارسالية الاميركية . وسنفرد فصلاً خاصاً لبيان ذلك الفضل في وقت آخر وانما عمدنا الى ذكره الآن لنتطرق منه الى سبب ظهور صاحب الترجمة استاذنا المرحوم الدكتور ورتبات لان ظهوره من جملة افضال تلك الرسالة كما سترى

٢ — اصله ارمني

كان للرسالة الاميركية عمل في بر الاناطول قبل عملها في سوريا وكان الانكليز قد سبقوها الى هناك وفيهم القسيس والقنصل والتاجر والكاتب فاخذوا بناصرها واصبح مرجع الاميركان في شؤونهم الى سفير انكلترا في الاستانة . ولكن الاباء اليسوعيين كانوا اسبق الجميع الى التعليم والتبشير هناك . ولهم شأن خاص في ارمينيا فقد دخلوها ونشروا الكثلكة فيها من اواسط القرن الخامس عشر فظهرت طائفة الارمن الكاثوليك وعرف الباقون باسم الارمن الارثوذكس وكانوا اقل علماً واضعف عزيمة لتفوق الكاثوليك بالعلم والنظام واجتماع الكلمة مع ارتباطهم برومية . فاضطر الارثوذكس اخيراً الى استنجاد بطرس الاكبر قيصر الروس فحماهم — ولا تزال كنيستهم تحت حماية روسيا مثل سائر الكنائس الارثوذكية في الشرق الاسلامي

والكنيسة الارمنية ثلاث طبقات من الاكليروس وهي الاساقفة والكهنة والشمامسة . والاساقفة ثلاث درجات (١) رئيس الاساقفة (٢) الاسقف (٣) نائب الاسقف ويسمونه في اصطلاحهم « ورتباد » وهو في الاصل يقابل لقب « دكتور في اللاهوت » ففي اواخر القرن الثامن عشر او اوائل التاسع عشر حدث في ارمينيا حادث بعث على مهاجرة جماعة من كبار الاكليروس الارمني نزحوا من ارمينيا الى بر الاناطول ووصل الينا اسماء ثلاثة منهم وهم اسقفان احدهما قرابيت ديونيسيوس والثاني يعقوب ابكاريوس والثالث كان رتبة ورتباد التي تقدم ذكرها ثم قيل بالتحريف « ورتبات » ولم نقف على اسمه

لا نعلم سبب تلك المهاجرة وقد يكون السبب اختلافاً في المذهب او الرأي ويقال ان

الكنيسة الارمنية ادعت عليهم انهم تصرفوا باموال دير او كنيسة هناك . فلم يجدوا من ينصفهم فانضموا الى الكنيسة الانجيلية ولجأوا الى سفير انكلترا في الاستانة اللورد ستراتفورد فلما تفحص قضيتهم أعتقد براءتهم فاخذ بناصرهم وتوسط في اطلاق سراحهم واشار عليهم بالذهاب الى صور باوارفقهم بكتب توصية الى قنصل الانكليز في بيروت واسمه بطرس ابوت وهو حمو استاذنا الدكتور فانديك وجد صديقنا المستر ادوار فانديك لأمه وعليه معولنا في تحقيق اصل عائلة صاحب الترجمة ونشأته الاولى

شخص هؤلاء الى سوريا والمرسلون الاميركان لاول عهدهم فيها فرحبوا بهم فاقاموا فيها وتزوجوا . فاقام يعقوب ابكاريوس في بيروت وعرف بيعقوب آغا واشترى منزلاً قرب الشلاق عرف باسمه . ثم اشتراه الارمن وجعلوه ديرًا لهم ولا يزال الى الآن وعائلة ابكاريوس مشهورة

واما ديونيسيوس فتزوج واولد وعرفت عائلته في بيروت باسم ترابيت . واما ورتبات فتزوج واولد يوحنا صاحب الترجمة وكركور ويعقوب . ومات ابواهم وهم اطفال فعنيت بتربيتهم مسز هوايتن المرسلة الاميركانية احسن تربية وعلمتهم . فلم يصب الى الدين منهم الا يوحنا . واما اخواه فاحدهما يعقوب نزح في شبابه الى اميركا واختفى خبره وكركور تعلم الطب في بلاد الانكليز وتعاطاه في الكرنتينات فاقام رئيسًا لكرنتينا كربلاء عدة سنين ثم نقل الى جدة ومات فيها

٣ — سيرة حياته

اما يوحنا ورتبات فقد ولد سنة ١٨٢٧ وتلقى مبادئ العلم في مدارس المرسلين الاميركان في بيروت وكانوا لا يزالون حديثي العهد في التعليم يعلمون كل شيء في اللغة الانكليزية فساعد ذلك على اتقانه هذا اللسان تفهماً وتلفظاً . وقرأ آداب اللغة العربية على الشيخ ناصيف اليازجي وتفقه بالمنطق والعروض على الشيخ عقل من علماء حلب . وقرأ على المرسلين أيضاً بعض اللغات القديمة كالعبرانية واللاتينية واليونانية في اثناء درسه علم اللاهوت . وكانت التقوى قد ظهرت فيه منذ نعومة اظفاره . فتفقه بالدين على ان يتعاطى التبشير . ورأى ان عمله يكون اكثر نفعاً اذا تعلم الطب فتلقى معظمه على المرحوم الدكتور فانديك ولم يكن يشترط بالطبيب لمعاطاة الطب ان يكون في يده شهادة . فارسله المرسلون مبشرًا الى حاصبيا . فاقام في هذا المنصب مدة طويلة تزوج في اثنائها بسالومي ابنة ترابيت المتقدم ذكره . واشتغل وهو في حاصبيا بالعلوم الدينية ودرس الاديان الشائعة

في سوريا وخصوصاً الدرزية . وقد وفق الى الاجادة في ذلك بمطالعة كتب وقعت لاحد الفرنساويين على اثر حادثة سنة ١٨٦٠ وهو ينهب بعض الخلوات . فوصلت هذه الكتب الى ورتبات واستفاد منها كثيراً في هذا الموضوع

وأدت الحادثة المشار اليها الى تشتت شمل الناس فنزل جماعات من اهل لبنان وحاصبيا وسائر سوريا الى بيروت وفي جملتهم يوحنا ورتبات وترك مهنة التبشير او التعليم . فاشار عليه استاذنا الدكتور فانديك ان يتمم دروسهُ الطبية في بلاد الانكليز فيسهل عليه الارتزاق من الطب فسافر الى ايدنبرج واتم الطب في مدرستها . وعاد الى سوريا و بيده الدبلوما الطبية فاستخدمته جمعية التبشير .C. M. S طبيباً ومبشراً في حلب مكث فيها بضع سنين وعاد الى بيروت . وكانت المدرسة الكلية في أول نشأتها وتعليمها في اللغة العربية فهي تحتاج الى اساتذة من الاطباء يعرفون الانكليزية والعربية جيداً فوجدوا في صاحب الترجمة الرجل المطلوب وانما ينقصه الاختصاص بفن يتقنهُ لاجل التعليم . فاقترحوا عليهِ أن يتخصص للتشريح والفيسيولوجيا واشار عليه الدكتور فانديك أن يتقنهما في اميركا ويتحصل على الدبلوما الاميركية ليسهل على اللجنة تعيينه في عمدة المدرسة فذهب الى نيويورك وتفقه بالتشريح والفيسيولوجيا وعاد الى سوريا فعينتهُ عمدة المدرسة الكلية استاذاً للتشريح والفيسيولوجيا فيها

فقضى في هذا المنصب نيفاً وعشرين سنة وهو موضع احترام التلامذة فتخرج تحت يده مئات من الشبان وكلهم يحبونه و يجلون قداره . وقد كنا في جملة الذين قرأوا عليه التشريح والفيسيولوجيا من سنة ١٨٨١ ــ ١٨٨٣ درسناها في كتابيه اللذين الفهما في هذين الموضوعين باللغة العربية وهما مشهوران وعبارتهما سهلة ممتنعة . وقد عانى المشاق الجسيمة في تأليفهما وان كان اكثرهما منقولاً عن الانكليزية وانما المشقة في ايجاد الاوضاع العربية الملائمة للمصطلحات الافرنجية في ذينك الفنين . وكان يعتقد ان عبارة كتاب الفيسيولوجيا احسن من عبارة كتاب التشريح واكثر التلامذة يرون عكس ذلك فكنا اذا اردنا مداعبته قلنا لهُ « ان عبارة كتاب التشريح احسن » فيظهر استغرابه . وما زال استاذاً لهذين الفنين حتى جرى في المدرسة الكلية الخلاف المشهور بين العمدة وطلبة الطب سنة ١٨٨٣ واستقال الدكتور فانديك من منصبه وكان يعلم الباثولوجيا فعهدوا بتعليمها الى الدكتور ورتبات فعلمها اربع سنوات . اي حتى خرج الطلبة الذين كانوا بدأوا الطب باللغة العربية ثم جعلوا يعلمون الطب في اللغة الانكليزية فلم تبق حاجة الى استاذ يعرف العربية

وقد اولد ثلاثة ابناء هم هنري وامين ووليم توفي هذا الاخير في شبابه وابنتين هما لوسي وادلا ولما توفي في ٢١ نوفمبر الماضي في بيروت لم يكن في منزله من اهله الا ابنته ادلا لان ولديه كانا بعيدين . فتولى نعيه جماعة من نخبة وجهاء بيروت واكثرهم من تلامذته واصدقائه نعوه الى الناس فاحتفل اهل المدينة بتشييع جنازته احتفالاً يليق بمنزلته

وكان له مقام رفيع بين العلماء والوجهاء واحرز من علامات الشرف وسام الاستحقاق الذهبي وساعة من اصحاب المستشفى البروسياني في بيروت بعد تطبيبه فيه ١٥ سنة والمجيدي الرابع من الدولة العثمانية مكافأة على خدمته في الكوليرا التي تفشت سنة ١٨٧٥ ثم العثماني الرابع جزاء عمله في نشر العلم

٤ — مناقبه ومؤلفاته

كان ربع القامة مع ميل الى القصر ممتلىء الجسم . عرفناه في كهولته وقد وخطه الشيب وزاده هيبة ووقارًا وكان ذكي الفؤاد حسن النظر لكنه كان ضعيف الذاكرة الى ما يفوق التصديق ولا سيما في اسماء الاشخاص — فقد يلاقي باحد تلامذته الذين تلقوا العلم عليه وعاشروه سنتين في الصفوف على الاقل وسنتين أخريين في المستشفى ولا يذكر اسمه وانما يذكر صورته فيقول له « انك من تلامذتي ولكنني لا اذكر اسمك » فاذا سمّي تذكر كل ما يعرفه عنه . ومن امثلة ذلك اننا بعد ان تركنا المدرسة الكلية في اثناء حادثتها المشار اليها اخذنا في درس اللغة العبرانية فعلمنا ان عند الدكتور ورتبات كتاباً مطولاً في نحو هذا اللسان فاستعرناه منه للمطالعة ثم دوهمنا بالسفر الى بلاد الانكليز وبقي الكتاب معنا سهوًا . وفي السنة التالية عدنا الى مصر واعدناه اليه مع بعض الاصدقاء لكنه لم يسلمه اليه بيده فلم يكن يعلم انه جاءه . واتفق اننا جئنا بيروت بعد سبع سنوات فالتقينا بالاستاذ في منزل احد الاصدقاء فلم يخاطبنا لانه نسينا على عادته . لكنه لم يكد يسمع اسمنا حتى التفت الينا وقال « ماذا جرى بالكتاب العبراني » فاخبرناه الواقع

وكان طيب السريرة مخلص الطوية يميل الى البساطة في كل شيء حتى في اعتقاده وآرائه وفي عشرته وسيرته . فاذا استوصفه مريض وصف له ابسط العلاجات ولم يكن يعول في الطب الا على الوسائل الصحية كالاستحمام بالماء البارد وتبديل الهواء والاعتماد على التغذية البسيطة ويميل في انذاره الطبي الى التهوين على المريض . وكان قنوعاً في مطالبه لا يهمه جمع المال انما يهمه ان يشفى المريض وان يكون وسيلة لتخفيف الآلام والمصائب . فاذا كان مريضه فقيرًا احسن اليه بما يستعين به على الغذاء والدواء لا يفرق بين المسيحي وغير المسيحي ولذلك

سموه فانديك اشني لاشتهار صديقه استاذنا الدكتور فانديك بهذه المناقب من قبل

وله مؤلفات عديدة بعضها كتب مطبوعة على حدة والبعض الآخر رسائل نشرت في المجلات . او على حدة وكتبه اكثرها طبي وبعضها غير طبي اما الكتب الطبية فهي :

(١) كتاب اصول التشريح . وهو كتاب كبير فيه مئات من الرسوم كان عليه معوله في اقراء هذا العلم بالمدرسة الكلية

(٢) كتاب الفسيولوجيا : وهو مزين بالرسوم وكان يعلم به ايضاً وقد تقدم ذكرهما

(٣) حفظ الصحة : سماه كفاية العوام في حفظ الصحة وتدبير الاسقام وهو مجموع فوائد عامة لحفظ الصحة وتدبير المرض عند غياب الطبيب

(٤) كتاب التشريح الصغير في مبادىء هذا العلم وهو جزيل الفائدة ومعه اطلس كبير فيه صور الاعضاء لافادة غير تلامذة الطب

(٥) رسائل عديدة : اكثرها صدر بالانكليزية وكل رسالة في مرض خاص كالجذام والطاعون والكوليرا والحمى التيفوئيدية والتريخينيا وغيرها

اما مؤلفاته في غير الطب فمنها :

(١) كتاب في اديان سوريا نشر في اللغة الانكليزية واسمه Researches into the religions of Syria وهو بحث في الاديان الشايعة في سوريا بحثاً تاريخياً واعتقادياً ويشمل بحثه بضعة عشر ديناً او مذهباً

(٢) قاموس انكليزي عربي : هو منسوب الى ابيه ولكن له فضلاً كبيراً في تأليفه

(٣) قاموس انكليزي وعربي وعربي وانكليزي له وللدكتور بورتر

(٤) كتاب حكمة العرب في اللغة الانكليزية

(٥) رسائل عديدة في الوصايا والتربية وغيرها نشرت في المقتطف وغيره يضيق المقام عن تعدادها

وله رسائل في اللغة الانكليزية وترجمات كثيرة في مواضيع مختلفة وكان وسيلة في نشر بعض الآثار الشرقية الدينية منها الكتب والاوراق التي استخرج منها كتابه في اديان سوريا فانه دفعها الى جان هندرسن اوف بارك الكويكري في لندن فطبعها

زلزال مسينا

والزلازل في العالم

نكبت ايطاليا بزلزال في المضيق بين صقلية وكلابريا في ٢٨ دسمبر الماضي فاخرب المنازل ودفن الناس احياء فاذكرنا ذلك ما تعودته ايطاليا من امثال هذه النوازل • فانها من اكثر البلاد تعرضاً للزلازل • وفي التاريخ عشرات من امثال هذه النازلة اصابت ايطاليا من اقدم ازمنة التاريخ وراءها الخراب اما بالزلزال فتميد ارضها فتتساقط ابنيتها على سا كنيها فتدفنهم احياء — او تخسف بهم فتغور في قاع البحر او تنقلب رأساً على عقب او يتفجر بجانبها بركان يقذف في جوفه حمماً ورماداً تنصب عليها فتدفنها جميعاً • كما اصاب بومباي في القرن الاول للميلاد

وما في الارض بلد غير معرض للزلازل كثيراً وقليلاً فهي تختلف بذلك باختلاف البقاع ومجاورتها للبحار ونوع طبقاتها • اما اسباب الزلازل فقد بسطناها في الهلال مراراً — وخلاصة ذلك ان الارض تزداد حرارتها بازدياد التعمق في جوفها فلا تتجاوز قشرتها حتى تصير الحرارة عالية جداً تكفي لصهر اصلب المعادن او المركبات المعروفة • ولكن ضغط القشرة يمنع ذلك الصهر • فاذا حدث ما يرفع الضغط عنها ولو قليلاً تحولت المواد الحامية الى سائل يدفع القشرة من فوقه ويقذف من جوف الارض صخوراً سائلة وناراً تعرف بالحمم البركانية يصاحبها دخان ورماد

واسباب رفع الضغط كثيرة اشهرها تبخر بعض مياه البحر بدخولها في شقوق الارض العميقة فيرفع بخار الماء بمرونته بعض الضغط عما تحت القشرة فيتحول ذلك الجزء بغتة الى سائل يقذف ما في طريقه من القشرة ويحصل البركان • او ان ماء المطر يتسرب في شقوق الارض فيخترقها فاذا بلغ مكاناً على عمق تحول بخاراً فجأة فيحصل البركان • واذا كان السبب الذي تحصل عنه البراكين ضعيفاً حصلت الزلازل فمن تفاعل الحرارة تحت القشرة يدفعها ذهاباً واياباً او صعوداً وهبوطاً او يدور بها دوراً رحوياً • ومنها انواع الزلازل الموجية والرحوية والقذفية • وذكروا للزلازل اسباباً أخرى لا محل لها هنا

ومما لا خلاف فيه ان تحت قشرة الارض حرارة شديدة تكفي لاصهار اصلب الصخور متى اتيح لها ذلك برفع الضغط او غيره فتمزق القشرة وتتصاعد منها الحمم او تميد ذهاباً واياباً او تدور دوراً رحوياً او موجياً او تنخسف فتهبط وتغور او تنقلب او تتفتت

ونحن على سطحها تتساقط علينا المنازل فتدفننا او تفيض علينا المياه فتجرفنا او ينهال علينا الرماد والحمم التراب فتغطي منازلنا وحقولنا . ذلك هو شأن الارض من اول تكونها وكانت اكثر تعرضاً لذلك في اول ادوارها فكم تشققت قشرتها وكم غارت الجبال وطافت البحار وكم من يبس هبط فصار بحرًا وكم من بحر ارتفع قعره فانحسر ماؤه فصار يبساً . ورب جزيرة محاطة بالماء من كل ناحية كانت قبل التاريخ متصلة بالقارة . وكم من جزر ظهرت فعمرها الناس اجيالاً ثم غارت بهم وذهب خبرها وكم نرى على قمم الجبال من اسماك محجرة تدل على ان تلك القمة كانت في قاع البحر ثم ارتفعت بتفاعل حرارة جوف الارض للاسباب التي قدمناها والزلازل التي حدثت قبل زمن التاريخ كثيرة لا يمكن حصرها ولا تعيين ازمنتها . ولكنها كثيرًا ما فصلت بين برين واجرت البحر بينهما . وكم جعلت الجزيرة واحة والبرزخ بوغازًا والبوغاز برزخاً مما لا سبيل الى تحقيقه او تعيينه وان كنا كثيرًا ما نرجع اليه في تعليل الحوادث العظمى التي لم يدركها التاريخ كمهاجرة الانسان الى اميركا وتفرقه في جزائر المحيط القاصية مع سائر الحيوانات في زمان لم يكن سلك البحار معروفاً فيها

على اننا نكتفي من اخبار الزلازل والبراكين بما ادركه التاريخ . وهي ايضاً كثيرة يستحيل حصرها ولكنها تعد بالمئات اكثرها في جزر اليونان وايطاليا والقسطنطينية وسائر شواطىء البحر المتوسط اليك اشهرها مرتبة حسب سني حدوثها :

سنة حدوث الزلزل		نتيجته واضراره
٤٢٥	ق م	تحولت به اوبيا في بلاد اليونان الى جزيرة
٣٧٣	« «	غارت فيه هليسيا وبورما في بلاد المورة ولم يبق لهما اثر
٣٤٥	« «	دفنت به دوراس بكل سكانها و ١٢ مدينة حولها
٢٨٤	« «	غارت فيه ليسيماخيا
١٧	ب م	زلزلت افسوس وتخربت مع ما حولها
٧٩	« «	دفنت به بومباي وهركولانيوم بجوار فيزوف
١٠٥	« «	انقلبت اربع مدن في اسيا واثنتان في اليونان و٢ في غلاطة
١١٥	« «	خسفت انطاكية
١٢٦	« «	زلزلت نيقوميديا وقيصرية ونيقية
١٥٧	« «	تخربت بونطس ومكدونيا و١٥٠ بلدًا حولها
٣٥٨	« «	زلزلت نيكوديميا ايضاً ودفن اهلها تحت خرائبها

٥٤٣	ب م	زلزال شعر به العالم كله
٥٥٧	» »	تزلزلت به القسطنطينية وتخرب كثير من قصورها
٧٤٢	» »	في سوريا وفلسطين واسيا الصغرى تخرب بها اكثر من ٥٠٠ بلد
٩٣٦	» »	تصدعت القسطنطينية
١١٣٧	» »	في كاتانيا بصقلية تخربت ومات تحت الردم ١٥,٠٠٠ نفس
١١٨٦	» »	في كالابريا غارت احدى مدنها في البحر الادرياتيكي
١٢٦٨	» »	في صقلية قتل فيها ٦٠,٠٠٠ نفس
١٤٥٦	» »	في نابولي » » ٤٠,٠٠٠ »
١٥٠٩	» »	في القسطنطينية مات فيها الوف
١٥٣١	» »	في لشبونة تهدم ١,٥٠٠ منزل دفن تحتها ٣٠,٠٠٠ نفس
١٥٩٦	» »	في اليابان تهدمت به بلاد كثيرة وقتل الوف
١٦٢٦	» »	في نابولي تخرب ٣٠ بلداً ومات ٧٠,٠٠٠ نفس
١٦٦٧	» »	تخربت به راغوصة
١٦٧٢	» »	في شاماكي دامت ٣ أشهر قتل فيها ٨,٠٠٠ نفس
١٦٩٣	» »	في صقلية أخرب ٥٤ بلداً و٣٠٠ قرية وفي كتانيا اهلك ١٨,٠٠٠ من اهلها وجملة القتلى ١٠٠,٠٠٠ نفس
١٧٠٣	» »	في اليابان هلك ٢٠٠,٠٠٠ نفس
١٧١٦	» »	في جزائر الغرب هلك ٢٠,٠٠٠ نفس
١٧٢٦	» »	في بالرمو بايطاليا هلك ٦,٠٠٠ نفس
١٧٣٠	» »	في الصين باد ١٠٠,٠٠٠ نفس
١٧٤٥	» »	في القاهرة تهدمت نصف منازلها وقتل فيها ٤٠,٠٠٠ نفس
١٧٥٥	» »	زلزال كبير امتد في اسبانيا وانكلترا والمغرب وغيرها
١٧٥٩	» »	في سوريا امتد على ١٠,٠٠٠ ميل واخرب بعلبك
١٧٨٣	» »	في مسيناوما جاورها خربت بها منازل كثيرة وقتل كثيرون
١٨٢٢	» »	في حلب (سوريا) قتل فيها ٢٠,٠٠٠ نفس
١٨٢٣	ب م	في بالرمو وغيرها من مدن ايطاليا
١٨٤٠	» »	في ارمنيا تهدم بها ٣,٢٠٠ بيت وقتل كثيرون

١٨٥١	ب م	في جنوبي ايطاليا تخربت ملفي وقتل فيها ١٤٠٠٠ نفس
١٨٣٧	« «	في كالامبريا بايطاليا قتل ١٠٠٠٠ نفس
١٨٦٨	« «	في بيرو باميركا تخربت عدة بلاد وقتل ١٠٠٠٠ وقدرت الخسارة بمبلغ ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه
١٨٨٣	« «	في مسينا قتل فيها ٦٠٠٠٠ نفس
١٨٨٥	« «	في كشمير وجوارها تخرب فيها ٧٠,٠٠٠ مسكن
١٩٠٢	« «	في المرتنيك قتل بها ٣٠٠٠٠ من الناس
١٩٠٥	« «	كلابريا قتل به ٣٠٠٠ نفس

فاذا اعتبرنا الاضرار الناجمة عن هذه النوازل للاحياء لرأيناها كثيرة ونعجب للانسان كيف ينسى ماضيه ولا يقيس عليه حاضره . ان الزلازل تتوالى على البلد الواحد مراراً فيخرج الناس من تحت الردم ويبنون بيوتهم على اطلالها . لو راجعت ما ذكرناه عن حوادث الزلازل في ايطاليا وحدها لرأيتها تكررت في اكثر البلاد فتحت اهل البلد الواحد مرارًا والناس مع ذلك يعودون فيسكنون ذلك البلد ويعمرونه . واذا اعدت النظر في ذلك الجدول وجدت وادي النيل من اقل البلاد تعرضاً للزلازل والحمد لله

وخراب البلاد بالزلازل يرجع الى كيفيتين : اما ان يكون الزلزال تحت ذلك البلد فيقلبه او يمزقه فيتهدم ما عليه او تطوف عليه المياه فتغرقه . واما ان يأتيه الخراب من بركان مجاور له يقذف عليه الحمم فتغطيه . واقرب امثلة الوجه الاول زلزال مسينا الاخير واشهر امثلة الوجه الآخر خراب بومباي وهركولانيوم . فنأتي على حديث هذين البلدين ثم نعود الى مسينا

بومباي وهركولانيوم

بومباي مدينة رومانية في مقاطعة كمبانية من ايطاليا كانت على شاطىء خليج نابولي عند قاعدة جبل فيزوف . وقد عاصرت دولة الرومان في ابان مجدها وكانت من اشهر مدن مملكتها ثروة وعمراناً وفيها الهياكل والمراسح والقصور والاندية وكانت مجتمعاً للاغنياء ورجال الدولة يبنون فيها المقاصف والحدائق ليقضوا فيها ايام الراحة . ومن اشهر المقاصف التي بلغ خبرها الينا مقصف شيشرون . فقد جاء ذكره في سيرة حياته

وقد ساعد على زهو بومباي وحضارتها موقعها الخصب على مصب نهر سارنوس وكانت قد سارت في ميدان البذخ والترف شوطاً بعيداً . حتى اذا توسط القرن الاول للميلاد

(سنة ٦٣م) اصابها زلزال زعزع اركانها فهدم كثيراً من ضواحيها واخرب بعض قصورها خراباً يقضي باعادة البناء . فاخذ الناس بالترميم . وهم في ذلك ثار بركان فيزوف سنة ٧٩ م بجانبها فقذف عليها الحمم والرماد فدطها . وكان بجانبها مدينة اخرى اسمها هركولانيوم انطمرت معها . وكانت تلك المقذوفات كثيرة حتى لم يبق من مكان في ذينك البلدين ظاهراً ولا قمم الهياكل . فاصبحت الارض قاعاً صفصفاً . لم يخرب من المدينة قصر ولكنها ردمت ردماً فمات اهلها خنقاً وهم مشتغلون في مرافقهم الاعتيادية بعضهم في الاسواق واخرون في الحوانيت وآخرون في المراسح او على الموائد . فلما ثار البركان ما شعر البومبيون الا والرماد يتساقط عليهم وقد حجب السماء عن ابصارهم . فظل كل واحد في مكانه . فلما اتيح للناس كشف تلك الاماكن بعد بضعة عشر قرناً وجدوا تحت الردم اناساً لا يزالون كما تركوا يوم الزلزال بعضهم على المائدة وآخرون في الحمام واخرون على المقاعد في المراسح !



انقاض قصر في بومباي

بقيت بومباي قروناً والناس لا يعرفون مكانها لان مقذوفات البركان غطتها وما يجاورها فلم يبق شيء من ابنيتها او شوارعها ظاهراً . ولم يهتد النقابون الى مكانها الا في اواسط القرن الثامن عشر اذ اتفق لاحد الناس وهو يشتغل في كرم من العنب انه عثر على احجار استدل منها على وجود ابنية تحت الاغراس فاخذ ينقب فوقف على اثار بناء . ثم

اخذوا يجثون من ذلك الحين وينقبون حتى اكتشفوا معظم المدينة باسواقها وهياكلها وقصورها واسوارها . فتبين لهم بعد التنقيب انها كانت محاطة بسور لهُ ثمانية ابواب لكل واحد منها اسم خاص . ونبشوا عن الفورم مجتمع العلماء والفلاسفة وعلى هيكل باسم جوبيتر وآخر باسم هركيل وآخر للزهرة . وعلى مرسح كبير وآخر صغير وامفيتياتر وعلى تكنة لسكنى المصارعين وعلى حمامات كثيرة ومنازل وقصور لا تزال اساطينها قائمة وتماثيلها منصوبة وعلى جدرانها صور ونقوش يقصدها السياح الآن للفرجة

زلزال مسينا

قد رأيت ان بومباي اصيبت بزلزال اخرب بعضها قبل ثوران البركان ومثلها مسينا ايضاً لم يكن زلزال الامس اول ما اصابها وانما هو آخر الزلازل واشدها وطأة ولم يكن قاصراً على مسينا ولكنهُ تناول بلداً يقابلها على الجانب الآخر من المضيق اسمهُ بورجيو وبلاداً على شاطىء مضيق مسينا الواقع بين صقلية وكلابريا . وكان الزلزال شديداً جداً اتصل اذاه الى مسافات بعيدة جداً وهلك فيه اكثر مما هلك في سواهُ من الزلازل حتى الآن . فقد بلغ عدد القتلى فيه نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس ولم يقتل في خطب بومباي وهركولانيوم الا ٣٠ الفاً وربما قارب مصيبة مسينا في اهوال الزلازل زلزال اليابان الذي حدث في سنة ١٧٠٣ فقد قتل فيه نحو ٢٠٠٠٠٠ كما ترى في الجدول . وما من زلزال بلغ قتلاه الى هذا العدد غيرهما

بدأ زلزال الامس في مانيليون في الساعة الخامسة و٢٥ دقيقة صباحاً ثم سار على خط مستدير في تلك البلاد التعسة وبقي ٣٢ ثانية يتردد أي نحو نصف دقيقة بهزات تموجية فتقطعت الاسلاك التلغرافية والتلفونية والخطوط الحديدية فانقطعت المواصلات فلم يستطع الناس تقدير هذا الخطب حق قدره . ثم علموا انهُ من اشد الزلازل هولاً واعظمها تخريباً فان سكان مسينا نحو ١٥٠ الفاً لم يبق منهم الا عشرة آلاف وبورجيا على الشاطىء الآخر من المضيق كان سكانها خمسين الفاً لم يبق الا القليل غير القتلى في الجهات المجاورة . ويقدرون المجموع بنحو ٢٠٠٠٠٠ نفس كما تقدم غير ما تهدم من القصور والقلاع فدفن الناس ودفنت معهم الاموال والاشياء وتشققت الارض حتى اختلطت اليابسة بالبحر وفارت ينابيع مياه حارة وتعطلت الفنارات . وكان يسمع للزلزال دوي كهدير البحر المائج . وقد استولى الرعب على الناس لا يدرون الى اين يفرون فكانوا يرمون انفسهم من النوافذ ويركضون في الشوارع والجدران تتساقط عليهم او تطوف مياه البحر فتغرقهم او تتطاير عليهم النيران من الحرائق التي شبت في المنازل فتحرقهم فمن استطاع الفرار وكتب له البقاء طلب الفلاة ولجأ الى كهوف

الجبال او توسد الرمال . وكانت النازلة اشد وطأة على الخاصة مما على العامة لان الزلزال يهدم البيوت الشامخة باسرع من هدمه البيوت الصغيرة . فاصبح السادة والسيدات من اهل الترف والرخاء اما تحت الردم او يركضون حفاة في الاسواق وقد اخذ الرعب من قلوبهم كل مأخذ فجن كثيرون منهم



قصر متهدم في مسينا

وكان لخبر هذه النازلة وقع شديد على العالم كافة فتألفت اللجان لجمع الاموال لاغاثة المصابين وتبرع الملوك بالمبالغ الطائلة ولاسيما ملك الايطاليان والبابا ولا تزال المساعي متواصلة لجمع المال وارساله . ونختم المقال بقصيدة لحافظ ابراهيم في وصف هذه الفاجعة قال :

نبئاني ان كنتما تعلمان ... ما دهى الكون ايها الفرقدان
غضب الله ام تمردت الارض ... فانحت على بني الانسان
ليس هذا سبحان ربي ولا ذا ... ك ولكن طبيعة الاكوان
غليان في الارض نفس عنه ... ثوران في البحر والبركان
رب اين المفر والبحر والبر ... على الكيد للورى عاملان
كنت اخشى البحار والموت فيها ... راصد غفلة من الربان
سابح تحتنا مطل علينا ... حائم حولنا مناه مداني

فاذا الارض والبحار سواء ... في خـلاف كلاهما غادران
ما لمسين عوجلت في صباها ... ودعاها من الردى داعيان
وعجت تلكم المحاسن منها ... حين تمت آياتها آيتان
خسفت ثم اغرقت ثم بادت ... قضي الامر كله في ثواني
وأتى أمرها فاضحت كان لم ... تك بالامس زينة البـلدان
ليتها امهلت فتقضي حقوقاً ... من وداع الغدات والجيران
لمحة يسعد الصديقان فيها ... باجتماع ويلتقي العاشقان
بغتِ الارض والجبال عليها ... وطغى البحر أيما طغيان
تلك تغلي حقداً عليها فتنشق ... انشقاقاً من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجماً وقذفاً ... بشواظ من مارج ودخان
وتسوق البحار ردءا عليها ... جيش موج ناي الجناحين داني
فهنا الموت أسود اللون جون ... وهنا الموت احمر اللون قاني
جند الماء والثرى لهلاك الـ ... خلق ثم استعان بالنيران
ودعا السحب ماءَها فأمدتـ ... ـه بجيش من الصواعق ثان
فاستحال النجاء واستحكم اليأ ... س وخارت عزائم الشجعان
وشفى الموت غله من نفوس ... لا تباليه في مجال الطعان
أين (رجيو) وأين ما كان فيها ... من مغان مأهولة وغواني
عوجلت مثل أختها ودهاها ... ما دهاها من ذلك الثوران
رب طفل قد ساخ في باطن الار ... ض ينادي أمي ٠ أبي ٠ أدركاني
وفتاة هيفاء تشوى على الجمـ ... ـر تعاني من حره ما تعاني
وأب ذاهل الى النار يمشي ... مستميتاً تمتدُّ منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه ... مسرع الخطو مستطير الجنان
تأكل النار منه لاهو ناج ... من لظاها ولا اللظى عنه واني
غصت الارضُ ـ اتخم البحرُ مما ... طوياه من هذه الابدان
وشكا الحوت للنسور شكاة ... رددتها النسور للحيتان
اسرفا في الجسوم نقراً ونهشاً ... ثم باتا من كظة يشكوان
لا رعى الله ساكن القمم الشـ ... ـم ولا حاط ساكن القيعان

قد أغارا على أكف براها ... باريء الكائنات للاتقان
كيف لم يرحما أناملها الغر ... ولم يرفقا بتلك البنان
لهف نفسي وألف لهف عليها ... منا كيف كانت صناع الزمان
مولعات بصيد كل جميل ... ناصبات حبائل الالوان
حافرات في الصخر أو ناقشات ... شائدات روائع البنيان
منطقات لسان كل جماد ... مفحمات سواجع الافنان
ملهمات من دقة الصنع ما لا ... يلهم الشعر من دقيق المعاني
من تماثيل كالنجوم الدراري ... يهرم الدهر وهي في عنفوان
عجب صنعها وأعجب منه ... صمتها ـ تلك قدرة الرحمن

***

ايه (مسين) آنسي اليوم «ميا ... ي» فقد اوحشت بذاك المكان
آنسي الدرة التي كانت الحلـ ... ـية في تاج دولة الرومان
غالها قبلك الزمان اغتيالاً ... وهي تلهو في غبطة وامان
جاءها الاص والسراة عكوف ... في الملاهي على غناء القيان
بين صب مدله وطروب ... وخليع في لهوه مرخي العنان
فانطووا كانطواء اهلك بالأمـ ... ـس وزالت بشاشة العمران
انت «مسين» لم تزولي كما زالت ... ولكن امسيت رهن الاوان
ان ايطاليا بنوها بناةٌ ... فاطمئني ما دام في الحي باني
فسلام عليك يوم توليـ ... ـت بما فيك من مغان حسان
وسلام عليك يوم تعودين ... كما كنت جنة الطليان
وسلام من كل حي على الار ... ض على كل هالك فيك فان
وسلام على الألى اكل الذئـ ... ـب وناشت جوارح العقبان
وسلام على امرىء جاد بالدمـ ... ـع وثنى بالاصفر الرنان
ذاك حق الانسان عند بني الانـ ... ـسان لم ادعكم الى احسان
فاكتبوا في سماء (رجيو) و (مسـ ... ـين) و (كالبريا) بكل لسان
ههنا مصرع الصناعة والتصـ ... ـوير والحذق والحجى والاغاني



مجلس المبعوثان العثماني يوم افتتاحه في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٨

وجلالة السلطان واقف في لوجه يحيي المبعوثان عند تلاوة النطق وهم وقوف

وفي اللوج الثاني الى جانب جلالته الحجاب · وفي اللوج المواجه بالجهة اليمنى محررو جريدة « تقويم وقائع » الرسمية

اعضاء مجلس المبعوثان

ذكرنا في الهلال الماضي احتفال العثمانيين بفتح مجلس المبعوثان و بسرنا انهُ اخذ في العمل فانتخب احمد رضا بك الحر الشهير احد نواب الاستانة رئيساً لهُ · وأولم جلالة السلطان مادبة فاخرة اجتمع فيها المبعوثون كافة واعرب فيها جلالته عن سروره بذلك الاجتماع بعبارات لم تترك مكاناً للشك في ارتياحه الى ذلك الانقلاب العجيب · واهم ما اتوه من الاعمال انهم صادقوا على الوزارة الحالية التي يرأسها الصدر الاعظم كامل باشا واخذوا ينظرون في شؤون الدولة · وهذه اسماء المبعوثين الذين اجتمعوا في يوم الافتتاح باعتبار البلاد التي ينوبون عنها مرتبة على احرف الهجاء :

الاستانة العلية : احمد رضا بك ، ماتياس زاده رفيق بك ، خواجه مصطفى عاصم افندي ، حسين جاهد بك ، احمد نسيمي بك ، قسطنطين قسطنطيدي بك ، باندلاكي قوزميدي افندي ، خلاجيان افندي ، زهراب افندي ، و يتالي فراجي افندي

ادرنه : رضا توفيق بك ، طلعت بك ، عاصم بك

آيدين : خواجه زاده عبدالله افندي ، نازللى حاجي سليمان افندي

اماسيه : عارف افندي ، قائمقام اسماعيل حقي بك ، جودي افندي ، وزير كوبريلي فاضل افندي

ارضروم : حافظ زاده سيف الله افندي ، حاجي شوكت افندي ، قره كين افندي ، وارته كس افندي ، حاجي حافظ ضيا افندي

ارزنجان : مفتي عثمان افندي

ايچ ايل : مفتي بايرام افندي

ارطغرل : محمد صدقي افندي ، صوفيه لي محمد بك

ازميد : مقبل بك ، حافظ رشدي افندي ، انسطاش افندي

انقره : ماهر سعيد بك ، حاجي مصطفى افندي ، قاسم افندي ، حكمت افندي

ازمير : نسيم افندي ، مازلياخ قاروليدي افندي ، بورغان جوبلو افندي ، مفتي محمد سعيد افندي ، اسيار طليان افندي ، سيد بك ، ار يستيدي باشا

اسكوب : نجيب بك دراغه ، سعيد افندي طودوري ، بالوف افندي ، علكساندر برتيبج افندي

اورفه : صفوت افندي ، محمود نديم افندي

اشقودره : شاكر بك ، مصطفى افندي

ايلصبان : عبدالله ماهر افندي

انطاكية : بركت زاده حاجي رفعت بك

اطنه : علي منيف بك

انطاليه . تكه : ابو الضيا توفيق بك ، الماليلي خواجه نعمان زاده حمدي افندي

اسبارطه : سليمان سامي بك ، اكرديرلي شرف بك

بتليس : عارف بك

بروسه : بيكباشي طاهر بك ، حافظ احمد افندي ، خواجه عمر افندي ، ايلبصان متصرفي صبري بك

بوردور : محدث زاده عمر لطفي افندي

برات : عزيز باشا ، اسماعيل كمال بك

بصره : زهير زاده احمد باشا ، طالب بك

بنغازي : يوسف بك شتوان

بولى : شرف بك ، مصطفى افندي ، عبد الوهاب افندي ، عناز قول اغاسي حبيب بك

بيروت : سليمان افندي البستاني ، رضا بك الصلح

بروزه : عزمي بك

بروشتنه : حاجي مصطفى افندي ، صاوا افندي ، فواد باشا ، ووجتريتلي حسن بك

برزين : مفتي محمد امين افندي ، شرف افندي ، يحيى افندي

توقاد : حاجي مصطفى افندي ، خطاط زاده اسماعيل باشا ، كتابي مصطفى صبري بك

تكفور طاغي : آغوب بابيكيان بك ، عادل بك

جانيك : محمد علي بك ، عبد الله بك ، نائل بك ، جهار شنبه لي خواجه احمد بك

جده : قاسم بك

جبل بركت : راشد بك

جوروم : علي عثمان بك ، منير بك

حما : خالد رازي بك ، الشيخ عبد الحميد زهراوى

حلب : كواكبي زاده مسعود بك ، جابرى زاده نافع باشا ، عينتابلي مصطفى افندي ، ملاح زاده مرعي باشا

حكارى : سيد طه افندي

ديار بكر : برنجي زاده عارف بك

دكرلي : حكاك احمد نجيب بك ، قراه شارلي غني بك

دده اغاج : اسماعيل بك ، بوز باشي سليمان بك

درسم : فكرى باشا زاده ، عمر لطفي بك

دراج : احمد باشا

درامه : اكاه بك ، رضا بك

رودس : قسطنطينيدي بك

زور : لطفي بك

سينوب : حسن فهمي بك ، دوقتور رضا انور بك

سيواس : خواجه شاكر افندى ، دوقتور داغاوريان ، نظرت بك ، ميرالاي عمر شوقي بك قائمقام حسن بك ، مصطفى افندي

صعرد : عبد الرزاق بك

صبروز : مدحت بك ، ناشد بك ، ديبغاس افندى ، والجيف افندي

سلانيك : امانوئل قره صو بك ، رحمي جاويد بك ، بورگي مونه ئوس بك ، آرتاس بك ، ولاصوف بك

سافز : جليدى ميخالاكي بك

سرفيجه : قوزانه لى دريزي بك ، كره بنه لى آندريا بوشو بك

سوريه : شفيق المؤيد بك ، عجلاني زاده محمد بك ، عبد الرحمن باشا ، شمعه زاده رشدي بك

صاروخان : توقاده زاده شكيب بك منصوري زاده سعيد بك ، الماسي بك ، حيدر بك

صامسون : علي تقي بك ، والافنديه نصيب زاده عماد الدين ، مفتي محمد امين ، علي زاده حاجي عثمان ، ماطيو قولنيدي ، خزينه دار زاده محمد ، ايوب زاده عزت ، خطيب زاده امين

طرابلس شام : فؤاد بك خلوصي

صنيجه : مدعي عمومي معاوني حسن بك

طرابلس غرب : يوسف باشا زاده ، صادق بك ، ناجي بك

عسير : احمد بن محمد مشيبيه بك ، علي بن حسن بك

عكا : اسعد افندي شقير

فيزان : فرهاد بك

قره حصار شرقي : فيضي بك ، سردار زاده مصطفى بك

قرق كليسا : امرالله بك ، مصطفى عارف بك

قسطموني : يوسف بك كمال ، اسماعيل ماهر بك ، احمد ماهر بك ، شيخ زاده شكري بك

قونيه : محمد امين بك ، كرد زاده حاجي مصطفى بك ، خادمي زاده محمد بك ، شيخ زاده زين العابدين بك ، قره مان اركليلي صالح بك

قيرشهر : علي رضا بك ، محمود ماهر بك ، مفتي زاده سالم بك

قره سي : علي غالب بك ، عبد العزيز مجدي بك ، محرم حسين بك ، ابراهيم وصفي بك ، بروسه تاني شفيق بك

قيصري : عمر بك ، حاجي قاسم بك

قوزان : حاجنلي بوياجيان حاميا ، رسوم مراد بك

قدس : حافظ بك السعيد ، روحى بك الخالدي ، سعيد بك الحسيني

قلعه سلطانيه : عارف عصمت بك ، سيد علي رضا بك

قره حصار صاحب : سالم افندي ، كامل بك ، رضا باشا

كرمجنه : عارف بك ، اسماعيل بك ، خواجه فهمي افندي

كنغري : محمد توفيق بك ، بهجت بك

كوتاهيه : عبدالله عزمي افندي ، مصطفى صفوت باشا ، جمال بك ، خواجه راسخ افندي

افندي
كور بجه : شاهين نقي بك ، اولاح ميشه افندي
كنج : محمد افندي
كموشخانه: مصرلي زاده صبري افندي، قدربك زاده ابراهيم لطفي باشا
كليبولي : دقتور نازلي افندي
لازستان : ابراهيم فريد افندي ، جور كصولي
لاذقية : مير محمد ارسلان
بنني : فاندي افندي
مدللي : بنابوط بستاني بك ، ميخائيلو صالطه بك
مناستر : محمد واصف بك ، تره يان نالى بك ، بلغار يانجه بك ، يناكي ديتروويج بك
منتشا : خليل بك . حمزه بك
مرسين : حكمت بك

معمورة العزيز : بكراده محمد افندي ، حاجي ضيا بك ، عاصم بك
مرعش : قاضي زاده حاجي حسين فهمي افندي ، بايزيد زاده شكري بك
مدينة منوره : عبد القادر هاشمي بك
ملاطيه : احمد حامد بك ، محمد توفيق بك
مكة مكرمه : حنفي مفتيسي عبدالله سراج افندي
نيكده : محيي الدين بك ، قورد اوغلي بورغا كي افندي ، خيري بك
نابلس: شيخ احمد افندي الخماش
يوزغاد : خيرالله بك ، جبان زاده اديب بك ، علي عثمان بك
يانيه : صور لاديغوس بك ، منيد بك ، مامايولو بك

اهم المؤلفات العربية

في نظر القراء

نشرنا في الهلال الماضي اقتراحاً وعيده الآن راجين من حضرات القراء الاجابة عليه وهو :

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما ألف في العربية من صدر الاسلام الى الآن أي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره أفيد سائر الكتب العربية والذها . ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر اسماء الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

الغازية في العناصر حالة عارضة وما من غاز الا وهو يقبل التحول الى جامد

﴿ سلخ الحيات وهي حية ﴾ من اغرب طرق القسوة التي يأتيها الانسان مع اخيه الحيوان ان بعض السيدات في العالم المتمدن يتخذن من جلود الحيات احزمة وغيرها من ضروب الزينة. ولكن نزع الجلد عن الحية وهي ميتة يخسر شيئاً من متانته وزهوه فعمدوا الى سلخه عنها وهي حية. واكثر ما يفعلون ذلك في حيات الهند الكبيرة وهناك اناس منقطعون لهذه الصناعة. فاعتبر كم يقاسي ذلك الحيوان من العذاب وهم يسلخون جلده. و يفعلون ذلك ايضاً مع بعض اصناف الطير ولا ذنب لها الا ان ريشها جميل يرغب فيه طالبات الزينة من السيدات ربات الثروة والبذخ!

﴿ اعلى حرارة يحتملها الاحياء ﴾ تختلف درجة الحرارة التي يقوى الاحياء على احتمالها باختلاف انواع الحيوان فالانسان مثلاً لا يعيش في وسط حرارة تزيد على سبعين درجة سنتكراد ولكن بعض الحيوانات الدنيئة كالديدان وبعض الاسماك وحشرات البحر تحتمل الحر الى ١٥٠ درجة. والميكروبات تختلف قوتها على احتمال الحرارة فميكروب الطاعون يحتمل الحرارة الى درجة ٣١ سنتكراد فقط (كذا) وميكروب الدفتيريا يحتملها الى درجة ٦٠ واما ميكروب السل فيحتملها الى درجة الغليان (١٠٠) ولا تموت الا على درجة ١٦٠ ولكن من الميكروبات انواعاً تحتمل الحرارة الى درجة ٢٥٢ واكثر

مطبوعات جديدة

نقتصر في هذا الباب على ذكر ما يظهر حديثاً من الكتب او الجرائد او المجلات اعلاناً لظهورها ولا نتعرض لنقدها او تقريظها. واذا دعت الحال الى شيء من ذلك نشرناه في باب التقريظ والانتقاد

١ — الصحف والمجلات

١ المسامرات الاسبوعية : هي روايات ادبية دورية كل عدد منها يحتوي على رواية بأكملها. تصدر في الاسكندرية بدل اشتراكها ٣٠ غرشاً في العام وثمن النسخة نصف غرش

٢ المدرسة : هي مجلة علمية ادبية تاريخية لمؤسسها المرحوم مصطفى كامل باشا تصدر في القاهرة مرة في الشهر ويقوم بتحريرها نخبة من الكتاب قيمة اشتراكها ٤٠ غرشاً وللطلبة ٢٠

٣ المجلة المطبعية : هي مجلة ادبية صناعية انتقادية تصدر بمصر مرة في الشهر لصاحبيها فرنسيس افندي مخائيل واحمد افندي السيد بدل اشتراكها ١٥ غرشاً

٤ الجامعة المصرية : هي مجلة خاصة بنشر محاضرات الجامعة المصرية تصدر في القاهرة مرتين في الشهر لاصحابها محمود افندي شاهين ومحمد افندي كامل فيضي وعبد الله افندي امين بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً لطلبة المدارس و ١٠٠ غرش لغيرهم و ١٢٠ في الخارج

٥ المجلة المصرية : هي مجلة ادبية شعرية لمنشئها خليل افندي المطران الشاعر المشهور وكانت تصدر مرتين في الشهر واحتجبت حيناً ثم عادت الآن للظهور اسبوعية و بدل اشتراكها ١٠٠ غرش بمصر و ٣٠ فرنكاً للخارج

٦ الصباح : مجلة علمية تجارية ادبية تاريخية تصدر في طنجة مرتين في الشهر لرئيس تحريرها وديع افندي كرم بدل اشتراكها عشر بسيطات في المغرب وعشرة فرنكات للخارج

٧ النظام : جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية مستقلة تصدر في مصر لصاحبها ومديرها محمد افندي مسعود الكاتب الصحافي المعروف بدل اشتراكها ١٥٠ غرشاً بمصر و ٥٠ فرنكاً في الخارج

٨ المجلة الصحية : هي مجلة صحية صدرت بمصر منذ تسعة اعوام لمحررها الدكتور زيات ومديرها نجيب افندي غناجة ثم احتجبت فاعادا اصدارها بالامس وبدل اشتراكها ٢٠ غرشاً

٩ فرعون : مجلة اجتماعية ملية قبطية سياسية تصدر بمصر مرتين في الشهر لصاحبها ومحررها توفيق افندي حبيب بدل اشتراكها عشرون غرشاً

١٠ الانصاف : جريدة سياسية علمية ادبية اخبارية فكاهية تصدر في القدس مرة في الاسبوع لصاحبها بندلي افندي الياس مشحور بدل اشتراكها عشرة فرنكات في المملكة العثمانية و ١٢ فرنكاً للخارج

١١ المحروسة : هي جريدة سياسية مشهورة صدرت منذ نيف وثلاثين سنة واحتجبت منذ بضعة اعوام وعادت الى الظهور الآن بعد ان انتقلت ملكيتها الى حضرة الياس افندي زيادة وهي تصدر في القاهرة كل يوم ويتولى رئاسة تحريرها الاستاذ ابراهيم افندي الحوراني الشهير بدل اشتراكها ١٥٠ غرشاً في مصر و ٥٠ فرنكاً في الخارج

٢ — الكتب

١ تدبير صحة الحامل والنفساء والطفل في العامين الاولين : هو كتاب صحي يدل اسمه على موضوعه وضعه في الفرنساوية الدكتور اده الاختصاصي بفن الولادة ونقله الى العربية الدكتور فرًا وطبع بنفقة مطبعة المعارف مزيناً بالرسوم ويطلب منها ومن مكتبة الهلال ومن مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وثمن النسخة عشرة غروش

٢ The History of Sulu : هو تاريخ لبلاد الصولو من جزر الهند الشرقية الفه

بالانكليزية الدكتور نجيب صليبي نزيل مانيلا (فيلبين) واوضحه بالخرائط الوافية فجاء كتاباً مطولاً في نحو ٤٠٠ صفحة كبيرة وطبع بنفقة الحكومة هناك

٣ History of the Resuli Dynasty of Yeman : هو الترجمة الانكليزية لكتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية للمستشرق ردهوس التي تطبع بنفقة لجنة تذكار جيب بانكلترا . وعني بتصحيحها الاساتذة المستشرقون براون ونيكلسون وروجرس . وذكرنا صدور الجزئين الاولين قبلاً وجاءنا الآن الجزء الثالث منها وفيه التعاليق والشروح

٤ Effect of War on Property : هو كتاب انكليزي سيامي يبحث في تأثير الحروب على تملك الارضين تأليف الدكتور الما لطيفي من علماء الهند المتخرجين في جامعة كمبردج وهو يباع في مكتبة مكميلان الانكليزي الشهير في لندن

٥ La Province de Bagdad : هو كتاب في وصف ولاية بغداد قديماً وحديثاً الفه في الفرنساوية حبيب افندي شيحا وضمنه ملاحظات على السكة الحديدية هناك وعن قبائل البادية في مابين النهرين ويطلب من مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

٦ رحلة الحبشة : هي رحلة لسعادة صادق باشا المؤيد العظم فريق اول في الجيش العثماني . كتبها في التركية وقد نقلها الى العربية حضرة رفيق بك العظم وحقي بك العظم وطبعت بنفقة شركة طبع الكتب العربية وزينته بالرسوم والخرائط . ويباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٢ غرشاً واجرة البريد ٣ غروش

٧ فلسفة العمر : هي رسالة حكمية ادبية في اربعة اعمار الانسان وما في طيها بحسب الاحوال الاجتماعية الراقية من عبر وحكم . تأليف الكونت دي سيجر الفرنساوي وقد نقلها الى العربية حضرة صالح بك حمدي حماد وعلق في حواشي الكتاب خلاصة تراجم المشاهير الذين وردت اسماؤهم فيه للاستشهاد باقوالهم . وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومن مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وثمن النسخة خمسة غروش واجرة البريد غرش ونصف

٨ خلاصة ادب اللغة : كتاب مدرسي يشتمل على حالة اللغة العربية في عصورها الخمسة مع منتخبات من اقوال المتقدمين تاليف الشيخ ابراهيم عبد الخالق مدرس العلوم العربية في كلية الفرير . بمصر ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٣ غروش والبوسطة نصف غرش

٩ مصطفى كامل باشا : ظهر الجزء الخامس من سيرة حياة المرحوم مصطفى كامل واعماله ويباع في مكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة غروش

١٠ مكنونات باريس : ظهر الجزء الثامن من رواية مكنونات باريس ترجمة الدكتور شدودي وهو الجزء ٢٢ من الفكاهات العصرية لصاحبها عبد الله افندى غزاله وثمنه غرشان



الجزء السادس من السنة السابعة عشرة

١ مارث (اذار) ١٩٠٩ و ٩ صفر سنة ١٣٢٧

توارث الملك

في الدولة العثمانية



محمد رشاد افندي

ولي عهد السلطنة العثمانية

توارث الملك في الدولة العثمانية

توارث الملك على الاجمال

ان انتقال الملك بالتوارث في الاعقاب كما ينتقل العقار وغيره من الاموال انما هو من بقايا السلطة الملكية المطلقة يوم كان الملوك يعدون سلطتهم الهبة يقبضون بها على اعناق الناس واموالهم يتصرفون بها كما يشاؤون • ولما تقيدت تلك السلطة بتوالي الاجيال ظل التوارث جارياً لانه احسم للنزاع وابقى للسكينة • والا فقد كان للناس اذا اقروا السلطة الملكية دون سواها ان يولوا عليهم من يختارونه ويثقون بتعقله وعدله وسداد رأيه ولكنهم قلما فعلوا ذلك — حتى ارقى الامم مدنية اليوم فانها لا تزال ترضخ لتوارث الملك مع خطر انتقاله الى من لا يصلح له • نعم انهم لا يخافون أذى الملك اذا كان شريراً لتقيده بالدستور والشورى ولكنهم لا يرجون منه عوناً او تنشيطاً • وقد يعترض مسيرهم بمن يلتف حوله من اهل الدسائس وذوي الاغراض

ورضوخ الناس للحاكم المطلق اذا كان ظالماً غشوماً واحتمالهم الضيم وهم سكوت انما سببه وهن العزيمة والاركان الى الذل • ولذلك كان اكثر الامم رضوخاً لنير الظالمين اهل الحضارة من سكان المدن والقرى لبعدهم عن انفة اهل البداوة واستقلالهم • اما هؤلاء فمع شيوع توارث السيادة في امرائهم اذا آنسوا في احدهم ظلماً او خروجاً ابدلوه فاذا ابى قتلوه واختاروا سواه • ولكن ذلك لا يخلو من الخطر اذ كثيراً ما تقوم الفتنة لهذا السبب فتنشب الحرب بين انصار الامير المقتول وقاتليه حتى تؤول الى الخراب • فكانوا يجتنبون الخلع او القتل على قدر الامكان تداركاً للفتنة • ويقال نحو ذلك في انتخاب الامراء بلا توارث فانه من بواعث الانقسام بين الاحزاب لانتصار كل فريق الى امير يريدون انتخابه فيختصمون • ولذلك اقرّ اكثر الناس على توريث الملك لانه حاسم لاسباب الفتن وقيدوا سلطة الملوك بالشورى والدستور على مقتضيات الاحوال

توارث الملك في الاسلام

كانت السيادة في صدر الاسلام رئاسة دينية تشمل السياسة وتعرف بالخلافة ولكنها من افضل انواع الحكومة لاشتمالها على احسن شروط الحكومات المختلفة • فقد كانوا يولون عليهم اهل الكفاية بلا توارث وهم يشترطون في الخليفة ان يكون عالماً عادلا

كفوءا سالم الحواس فاذا توفرت هذه الشروط في ملك كان اطلاق يده في الاحكام افضل لمصلحة الامة من تقييدها بالدستور • وانما عمد اهل الاجيال الاخيرة الى تقييد الملوك بالدستور خوفاً من ان يفضي الملك الى غير الكفاة فيحيدوا عن جادة الحق

وللخلافة في صدر الاسلام شأن خاص لا يقاس به ولا يرجى البقاء على مثله فقد كانت الخلافة شورى وما هي شورى — كان للخليفة ان يسمي من يخلفه ممن يرى فيهم الكفاءة واللياقة • كما فعل ابو بكر في تسمية عمر ولكنه لم يسمه الا بعد ان شاور اصحابه فيه • واذا خاف ان يدعو ذلك الى القيل والقال عين جماعة يختارون من بينهم خليفة كما فعل عمر • ولم يخطر لاحد منهم ان يجعلها ارثاً في نسله • حتى ان عمر لما سمي الشورى لانتخاب من يخلفه منهم سمى ابنه عبد الله في جملتهم ولكنه نهى عن انتخابه • فاختاروا عثمان بن عفان وهذا قتل ولم يوص فاختار الناس علياً بلا شوري• فشق ذلك على كثيرين من كبار الصحابة لانهم كانوا وقت مقتل عثمان متفرقين في الامصار لم يشهدوا بيعة علي فمنهم من بايع ومنهم من امسك حتى يجتمع الناس وتركوا الامر فوضى حتى يكون شورى لمن يولونه • ثم كان ما كان من امر الفتنة المشهورة

فلما قتل علي ارادت شيعته حصر الخلافة في نسله باعتبار انهم بضعة من النبي فسألوه وهو على فراش الموت «انبايع الحسن» فقال «لا آمركم ولا انهاكم انتم ابصر» اما هم فبايعوا ابنه الحسن وهذا تنازل عنها لمعاوية ابن ابي سفيان فصارت في بني أمية

فطريقة الخلفاء الراشدين في انتخاب الخلفاء افضل ما بلغ اليه جهد المتمدنين حتى الآن وهي جامعة بين الجمهورية والملكية والشورية • اما الجمهورية فلان الخليفة ينتخب من جمهور القرشيين بلا حصر ولا تعيين • وهي شورية لان الانتخاب يكون بالشورى • وهي مطلقة لان الخليفة اذا قبض على أزمة الملك كان مطلق التصرف • فاذا اضفت الى ذلك شروطها الاربعة التي ذكرناها كانت افضل انواع الحكومات على الاطلاق • لان الحاكم المطلق اذا كان عادلاً مع علم وكفاءة وسلامة الحواس لم يكن اقدر منه على ترقية شؤون المملكة وتوسيع نطاقها والتوفيق بين رعاياه • ناهيك بما في طريقتهم تلك من أدلة التقوى والزهد في الدنيا كما يتضح ذلك من مراجعة سير الخلفاء

فلما افضى الامر الى بني امية واختلطوا بالروم في الشام واطلعوا على طرق الحكومات عندهم وفي جملتها توالي الملك في الاعقاب رأى معاوية ان يجعله كذلك في نسله • ولكنه تهيب لعلمه بما فيه من مخالفة سنة الراشدين فاستشار بعض خاصته فشجعه المغيرة بن شعبة

وزاده تشجيعاً ما خافه من افتراق الكلمة اذا ترك الامر بعده فوضى فيتطلبه بنو هاشم ولا يرضى بنو امية تسليمه الى سواهم فيؤول ذلك الى الفتنة بعد ذهاب دهشة النبوة وتغلب طبيعة الملك ورجوع الناس الى العصبية . فتجنباً للفتنة بايع ابنه يزيد وخوفاً من الافتتان عليه بعد موت معاوية طلب له البيعة في حياته وتربص ليرى مايبدو من الناس فلم ير شرًا وجرى على ذلك خلفاؤه بعده الا عمر بن عبد العزيز فانه اراد الرجوع الى طريقة الخلفاء الراشدين فلم يوفق الى ذلك بتغلب العامة عليه فلم تطل مدته فعادوا الى طريقة معاوية

واراد مثل ذلك ايضاً المأمون في الدولة العباسية فعهد الى علي بن موسى بن جعفر الصادق من نسل الامام علي وسماه « الرضا » فعظم ذلك على بني العباس ونقضوا بيعة المامون وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي . ولو لم يبادر المامون الى ملافاة الامر لخرجت الخلافة من يده . فعاد الى الخلافة بالارث وجرى عليها العباسيون والفاطميون وغيرهم من خلفاء المسلمين

كيفية التوارث

الاصل في توارث الملك ان ينتقل في الاعقاب من الاب الى ابنه وقد جرى المسلمون على ذلك في نقل الملك الى ابنائهم بعهد كانوا يعقدونه لهم في حياتهم وقد يعقدونه لبعض ذوي قرابتهم . وكثيرًا ما كانوا يعرضون عزمهم في ذلك على اهل الرأي كما فعل المنصور لما اراد البيعة لابنه المهدي وكان جعفر يعترض عليه في ذلك فامر المنصور باحضار الناس وقامت الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فاكثرت في وصف المهدي فبايع له

وكانوا اذا رأوا غير واحد من اولادهم او اخوتهم اهلاً للخلافة بايعوا لاحد اولادهم او اخوتهم وشرطوا ان يخلفه فلان او فلان كما فعل يزيد بن عبد الملك لما اراد ان يبايع بولاية العهد وكان ابنه لا يزال صغيرًا فبايع اخاه هشاماً على ان يخلفه ابنه الوليد بن يزيد . وكثيرًا ما كانوا يغيرون في شروط المبايعة بعد حين اذا رأوا لزوماً لذلك . وقد يبايع الخليفة بولاية العهد لاحد اولاده ويذكر من يخلفه ويخيره في استخلافه كما فعل الرشيد لما كتب بولاية العهد لابنه المأمون ومن بعده للقاسم وجعل امره للمأمون ان شاء اقره وان شاء خلعه . والعهد كتاب يكتبه الخليفة او من يكتب له ويختمه بخاتمه وخواتم اهل بيته ويدفعه الى ولي العهد او من يتولى امره فيحفظه الى حين الحاجة . وقد يحفظه في مكان امين في خزانة او مسجد او في الكعبة كما فعل الرشيد بالكتابين اللذين كتبهما لاولاده بولاية العهد أحدهما للامين والآخر للمأمون وبعد هذا للقاسم

الدول التركية في الاسلام

ظهر الاسلام والاتراك اهل بداوة فلما انتشر العرب في انحاء العالم وطئت خيولهم بلاد الترك وهم يعبرون عنها بما وراء النهر ففتحوا بخارا وسمرقند واشروسنة وغيرها من تركستان في ايام بني امية فاتصل الاتراك من ذلك الحين بالعالم المتمدن وكانوا يمتازون بالشجاعة وقوة البدن والمهارة في رمي النشاب واحتمال الاسفار الشاقة على ظهور الخيل والثبات في ساحة الوغى فاستخدمهم الخلفاء في الجندية . واول من جندهم المعتصم العباسي لاسباب بيناها في تاريخ التمدن الاسلامي (ج ٤ ص ١٥٦) فاشتدت سواعدهم بتوالي الاجيال وتقدموا في المناصب حتى انشأوا الدول وتوارثوها في اعقابهم

واقدم الدول التركية نشأت في عهد الدولة العباسية على سبيل التفرع اذ يكون الامير التركي والياً على عمل تحت سيطرة الخليفة العباسي فيوانس في نفسه قوة على الاستقلال فيعلنه ويطلب من الخليفة تثبيته فيثبته على ان يخطب له ويذكر اسمه على النقود كما فعل مؤسسو الدول الطولونية والاخشيدية في مصر والايلكية في تركستان والغزنوية في افغانستان في القرنين الثالث والرابع للهجرة الى اواسط الخامس . وكانت هذه الدول اقرب الى الامارات منها الى الدول الملكية لانها نشأت فروعاً للدولة العباسية وكان امراؤها او سلاطينها من عمال هذه الدولة او قوادها وخرجوا عن طاعتها

وكان الاتراك في اثناء ذلك ينشطون وينتظمون حتى نشأت فيهم الدول الحقيقية ليس على سبيل التفرع كما تقدم بل من عند انفسهم وحملوا على المملكة الاسلامية من المشرق . واول من فعل ذلك السلاجقة وتعرف دولتهم بالدولة السلجوقية نسبة الى مؤسسها سلجوق وكان اميرًا تركيًا في خدمة بعض خانات تركستان باواسط القرن الخامس للهجرة ورأى المملكة العباسية في ضعف واختلال فحمل عليها بعد ان اعتنق الاسلام هو وقبيلته وسائر جنده ورجال عصبيته دفعة واحدة . ونهض بهؤلاء من تركستان وسار بهم غرباً حتى اكتسحوا المملكة العباسية وحكموها تحت رعاية الخليفة العباسي ببغداد ولهم منزلة عظمى في تاريخ الاسلام

لكن دولتهم لم تكد تنشأ حتى تقسمت وتفرعت . ثم انتقلت الى قوادهم ومماليكهم المعروفين بالاتابكة . فانقسم السلاجقة اولاً الى خمس دول اقتسموا المملكة في ما بينهم فحكمت احداها كرمان والاخرى سوريا والاخرى العراق والاخرى بلاد الروم (آسيا الصغرى) غير الدولة الاصلية . وكان للسلاجقة قواد يولونهم الاعمال يسمونهم الاتابكة

فاخذ هؤلاء يستقلون كل امير بولايتـه فانشأوا عشر دول اخرى وهي الدولة البورية في دمشق والزنكية في الجزيرة والكتيجينية في اربلاء والارتقيـة في ديار بكر وماردين ودولة شاهات في ارمينيا واتابكة اذربيجان والدولة السلغرية في فارس والهزارسبية في لورستان والخوارزمية في خوارزم والقطلقية في كرمان

واغرب من ذلك ان الفرع السلجوقي في بلاد الروم (اسيا الصغرى) انقسم الى ثمانية فروع يرأس كلاً منها سلطان من آل سلجوق . فبسبب هذه الانقسامات لم يطل حكم السلاجقة الا ريثما قام العثمانيون في آخر القرن السابع للهجرة فذهبوا ببقيتها . ولم يطل حكم السلاجقة مع تعدد فروعهم وكثرة دولهم على قرنين ونصف قرن . والسبب في ذلك انهم كانوا يتوارثون الملك بالانقسام فيضعفون وتتشتت قواهم

توارث الملك في الدولة العثمانية

ظهرت الدولة العثمانية في آخر القرن السابع للهجرة (١٢٩٩ م) وقد نشأت مستقلة كالدولة السلجوقية ولم تتفرع من دولة اخرى لان اصحابها اتوا من المشرق وهم قبيـلة عليها امير فقطعوا الفرات الى اسيا الصغرى وفيها ملوك السلاجقة فغلبوهم عليها كما هو مسطر في تاريخ هذه الدولة . وكأنهم استفادوا من اسباب الانقسام التي آلت الى ذهاب دولة السلاجقة فعمدوا الى تداركها

واهم تلك الاسباب اقتسام المملكة بين الاخوة او تنازعهم عليها . فلم يجد العثمانيون سبيلاً للافلات من ذلك الانقسام افضل من حصر السلطة في واحـد من الاعقاب لا يكون له منازع . فكانوا اذا توفي السلطان عن عدة اولاد وتكون ولاية العهد لواحـد منهم فحالما يتولى الملك يقتل اخوته

واول من فعل ذلك منهم رابع سلاطينهم بايزيد الاول بن السلطان مراد (تولى سنة ١٣٨٩) وكان بكر اخوته وله اخ اصغر منه معروف بالشجاعة والنجدة وعلو الهمة فخاف منه على سلطته . فاجمع امراء الدولة على قتله خوف الفتنة وانقسام المملكة . ويقال انهم فعلوا ذلك بفتوى شرعية افتى بها علماء ذلك العهد بناء على الآية «والفتنة اشد من القتل» واصبح قتل الاخوة قاعـدة يرجع اليها العثمانيون عند الحاجة . فكان السلطان حالما تفضي اليه السلطة بعد موت ابيه يعمد الى قتل اخوته ولو كان بعضهم رضيعاً كما فعل السلطان محمد الفاتح وكان له اخ رضيع اسمه احمد فلما مات ابوهما وافضت السلطة الى محمد فاول شيء باشره نقل جثة والده لتدفن في بورصة ثم امر بقتل اخيه

ولما افضت السلطنة الى السلطان سليم الغازي بن بايزيد الثاني عين ابنه سليمان حاكماً على القسطنطينية وحمل بجيوشه الى اسيا لمحاربة اخوته واولاد اخوته حتى يتفرغ لاعماله بعد قتلهم ولا يبقى من ينازعه . وكان من جملة اعماله في هذا السبيل انه عثر على خمسة من اولاد اخوته في بورصة فامر بقتلهم ثم طارد اخاً له اسمه كركود ففرّ منه الى الجبال فما زال يبحث عنه حتى قبض عليه وقتله وهكذا فعل سواه . ومثله السلطان مراد الثالث فكان له خمسة اخوة قتلهم حالما تولى الملك

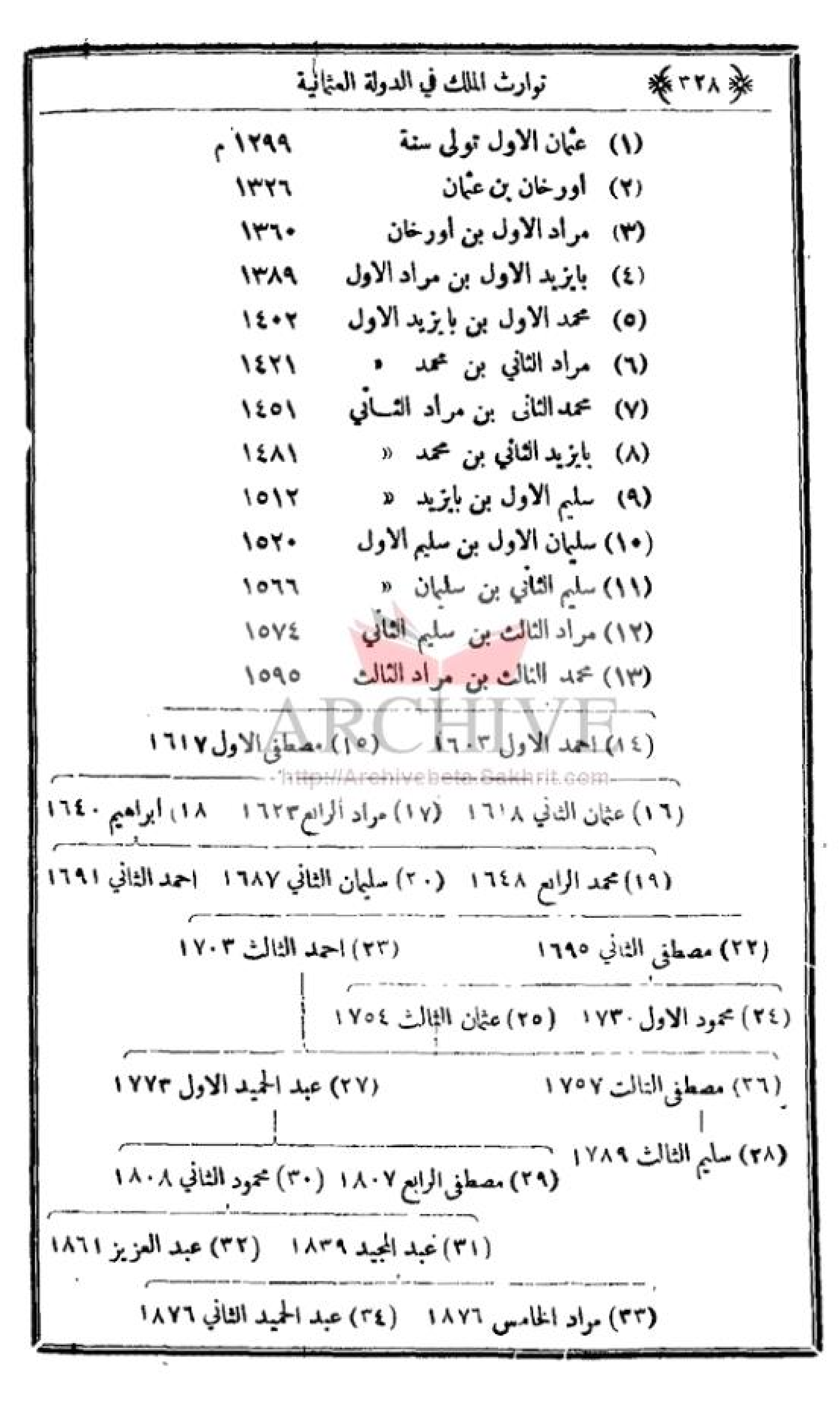
وافظع من ذلك كله ما فعله السلطان محمد الثالث فقد آلت السلطنة اليه سنة ١٥٩٥م وله تسعة عشر اخاً غير الاخوات فامر بخنقهم قبل دفن ابيه فخنقوهم ودفنوهم معاً تجاه ايا صوفيا في القسطنطينية

وكأن هذه المبالغة في الفتك افضت الى رد الفعل بابطال هذه العادة الوحشية فلما انتقلت السلطنة بعد محمد المذكور الى ابنه احمد الاول سنة ١٦٠٣ م لم يكن سنه يتجاوز الرابعة عشرة ولكنه كان عاقلاً وله اخ صغير اسمه مصطفى فلم يقتله بل اكتفى بالحجر عليه في اثناء سلطنته . فاصبح السلاطين بعده يعوّلون في الاحتفاظ بسلامة سلطتهم على الحجر بدلاً من القتل . والفضل في ذلك يرجع للسلطان احمد المذكور فانه اول من فعل ذلك

وله بدعة اخرى ادخلها في توارث الملك لم تكن من قبل . وذلك انه اوصى بالملك بعده لاخيه مصطفى المشار اليه بدلاً من ان يوصي به الى احد اولاده كما كان اسلافه يفعلون . فبعد ان كان الملك ينتقل الى الابناء بالتسلسل في الاعقاب صار ينتقل الى الاخوة ايضاً الارشد فالارشد الا ما قد يعترض ذلك من نفوذ الانكشارية او دسائس الوزراء او غير ذلك

فالعرش العثماني ما زال ميراثه محصوراً في الابناء من السلطان عثمان الى احمد الاول (من سنة ١٢٩٩ — ١٦٠٣) ثم صار ينتقل الى الاخوة ايضاً ولا يزال كذلك الى الآن كما ترى في الجدول الآتي :

انظر الجدول في الصحيفة التالية


(١) عثمان الاول تولى سنة ١٢٩٩ م
(٢) اورخان بن عثمان ١٣٢٦
(٣) مراد الاول بن اورخان ١٣٦٠
(٤) بايزيد الاول بن مراد الاول ١٣٨٩
(٥) محمد الاول بن بايزيد الاول ١٤٠٢
(٦) مراد الثاني بن محمد « ١٤٢١
(٧) محمد الثاني بن مراد الثاني ١٤٥١
(٨) بايزيد الثاني بن محمد « ١٤٨١
(٩) سليم الاول بن بايزيد « ١٥١٢
(١٠) سليمان الاول بن سليم الاول ١٥٢٠
(١١) سليم الثاني بن سليمان « ١٥٦٦
(١٢) مراد الثالث بن سليم الثاني ١٥٧٤
(١٣) محمد الثالث بن مراد الثالث ١٥٩٥
(١٤) احمد الاول ١٦٠٣ (١٥) مصطفى الاول ١٦١٧
(١٦) عثمان الثاني ١٦١٨ (١٧) مراد الرابع ١٦٢٣ (١٨) ابراهيم ١٦٤٠
(١٩) محمد الرابع ١٦٤٨ (٢٠) سليمان الثاني ١٦٨٧ احمد الثاني ١٦٩١
(٢٢) مصطفى الثاني ١٦٩٥ (٢٣) احمد الثالث ١٧٠٣
(٢٤) محمود الاول ١٧٣٠ (٢٥) عثمان الثالث ١٧٥٤
(٢٦) مصطفى الثالث ١٧٥٧ (٢٧) عبد الحميد الاول ١٧٧٣
(٢٨) سليم الثالث ١٧٨٩
(٢٩) مصطفى الرابع ١٨٠٧ (٣٠) محمود الثاني ١٨٠٨
(٣١) عبد المجيد ١٨٣٩ (٣٢) عبد العزيز ١٨٦١
(٣٣) مراد الخامس ١٨٧٦ (٣٤) عبد الحميد الثاني ١٨٧٦



السلطان عثمان موسس الدولة العثمانية

فترى من مراجعة هذا الجدول ان العرش العثماني انتقل في الابناء ١٤ عقباً من عثمان الى احمد الاول في نحو ٣١٦ سنة ثم تولاه الاخوة ايضاً في ثمانية اعقاب توالى في اثنائها ١٩ سلطاناً في ٢٩٢ سنة . فمعدل حكم السلطان في المدة الاولى ٢٣ سنة واما في الثانيــة فلم يتجاوز ١٦ سنة . ومن اسباب ذلك ان السلاطين كانوا في الدور الاول يتولون الدولة وهم في ريعان الشباب فيطول حكمهم . واما في الثاني فكثيراً ما كانت تنفضي الحكومة الى الاخ وهو كهل او شيخ فلا يحكم الاقليلاً - غير استبداد الانكشارية واكثارهم من العزل والتنصيب

فولي عهد السلطنة العثمانية الآن هو اكبر ابناء السلاطين سناً يليه الاصغر فالاصغر على التوالي وهم كثار وكلهم من نسل السلطان محمود الثاني المتوفى سنة ١٨٣٩ وهذا جدول باسماء افراد الاسرة السلطانية الاحياء وكيفية توالدهم ذكوراً واناثاً وسنة الولادة حتى يظهر تفاوتهم في الاعمار . ونفرد لابناء جلالة السلطان عبد الحميد جدولاً آخر[1]

انظر الجدول في الصحيفة التالية

(١) نقلنا الجدول عن مجلة العالم الاسلامي الفرنساوية عدد نوفمبر سنة ١٩٠٨

اولا — اعقاب السلطان محمود الثاني

- محمود الثاني ولد سنة ١٧٨٥ وتولى سنة ١٨٠٨ وتوفي سنة ١٨٣٩
  - عبد المجيد ولد سنة ١٨٢٣ وتولى سنة ١٨٣٩ وتوفي سنة ١٨٦١
    - مراد الخامس ولد سنة ١٨٤٠ وتوفي سنة ١٩٠٤ وتولى سنة ١٨٧٦ وخلع فيها
      - صلاح الدين افندي ولد سنة ١٨٦٦
      - خديجة سلطانة تزوجت واصف باشا
      - بهيمة سلطانة « غالب باشا
      - فاطمة سلطانة « رفيق باشا
    - عبد الحميد السلطان الحالي (انظر اولاده في جدول آخر)
    - جميلة سلطانه تزوجها الداماد محمود جلال الدين باشا
    - محمد رشاد افندي ولي العهد ولد سنة ١٨٤٤
      - ضياء الدين افندي ولد سنة ١٨٧٧
      - نجم الدين افندي « ١٨٨١
      - رفيعه سلطانه « ١٨٨٧
    - احمد كمال الدين ولد سنة ١٨٤٧ (توفي سنة ١٩٠٥) وله ابنة منيه سلطانه تزوجها صالح باشا
    - سنية سلطانه تزوجها الداماد محمود باشا (توفيت في ٢٧ يناير الماضي)
    - برهان الدين افندي (توفي سنة ١٨٨٥)
      - ابراهيم توفيق ولد سنة ١٨٧٦
      - قادرية سلطانه
      - فاطمة سلطانة تزوجها نوري داماد باشا
    - مديحه سلطانه . تزوجها فريد باشا
    - سليان افندي ولد سنة ١٨٦٠ لهُ ولد اسمه عبد الحليم افندي
    - وحيد الدين افندي ولد سنة ١٨٦١ وله فبيرة سلطانة
  - عبد العزيز ولد سنة ١٨٣٠ وتولى سنة ١٨٦١ وتوفي سنة ١٨٧٦
    - يوسف عز الدين ولد سنة ١٨٥٧
    - صالحه سلطانه ولدت سنة ١٨٦٢
    - فاطمة سلطانه ولدت سنة ١٨٦٨ تزوجها خالد باشا
    - عبد المجيد افندي ولد سنة ١٨٦٩ — وله ولد عمر فاروق افندي
    - شوكت افندي (ولد سنة ١٨٧٢ وتوفي سنة ١٨٩٩) ابنهُ جمال الدين افندي ولد سنة ١٨٩١
    - سيف الدين افندي ولد سنة ١٨٧٦
    - امينه سلطانه ولدت ١٨٧٦ تزوجها محمد بك افندي

ثانيا — ابناء السلطان عبد الحميد الثاني

السلطان عبد الحميد الحالي ولد سنة ١٨٤٢ وتولى السلطنة سنة ١٨٧٦

محمد سليم افندي ولد سنة ١٨٧٠
زكية سلطانة ولدت سنة ١٨٧١ تزوجها نور الدين باشا
نعيمة سلطانة ولدت سنة ١٨٧٦ تزوجت كمال الدين باشا
عبد القادر افندي ولد سنة ١٨٧٨
احمد افندي « «
نائلة سلطانة « ١٨٨٤
برهان الدين افندي « ١٨٨٥
شادية سلطانة « ١٨٨٦
عائشة سلطانة « ١٨٨٧
رفيعة «
خيرية « (توفيت)
خديجة « «
عبد الرحيم افندي ١٨٩٢
احمد نور الدين افندي ١٩٠١
محمد عابد « ١٩٠٥
سامية سلطانة ١٩٠٨



اغوات الاكشارية

فاذا نظرت الى الذكور الاحياء من ابناء السلاطين الآن رأيت اكبرهم سناً محمد رشاد افندي بن السلطان عبد المجيد يليه يوسف عزالدين افندي بن السلطان عبدالعزيز ثم سليمان افندي بن السلطان عبد المجيد وغيره على هذه الصورة :

الرقم	الاسم	ابن	ولد سنة	السنة	سنه الآن	العمر
(١)	محمد رشاد افندي	بن عبد المجيد	ولد سنة	١٨٤٤	سنه الآن	٦٥ سنة
(٢)	يوسف عزالدين افندي	« عبد العزيز	« «	١٨٥٧	« «	٥٢ «
(٣)	سليمان افندي	« عبد المجيد	« «	١٨٦٠	« «	٤٩ «
(٤)	وحيد الدين افندي	« « «	« «	١٨٦١	« «	٤٨ «
(٥)	صلاح الدين «	« مراد	« «	١٨٦٦	« «	٤٣ «
(٦)	عبد المجيد افندي	« عبد العزيز	« «	١٨٦٩	« «	٤٠ «
(٧)	محمد سليم افندي	« عبد الحميد	« «	١٨٧٠	« «	٣٩ «
(٨)	سيف الدين افندي	« عبد العزيز	« «	١٨٧٦	« «	٣٣ «
(٩)	ابراهيم توفيق افندي	« برهان الدين بن عبد المجيد	« «	١٨٧٦	« «	٣٣ «
(١٠)	ضياء الدين افندي	« رشاد افندي	« «	١٨٧٧	« «	٣٢ «
(١١)	عبد القادر «	« عبد الحميد	« «	١٨٧٨	« «	٣١ «
(١٢)	احمد افندي	« « «	« «	«	« «	«
(١٣)	نجم الدين افندي	« رشاد افندي	« «	١٨٨١	« «	٢٨ «
(١٤)	برهان الدين «	« عبد الحميد	« «	١٨٨٥	« «	٢٤ «

هؤلاء اربعة عشر بالغاً كل منهم يصح ان يكون سلطاناً وانما قضت قاعدة التوارث المتبعة ان يكون اولاهم بذلك اكبرهم سناً وهو محمد رشاد افندي . فنذكر شيئاً عن السبعة الاولين نعرفهم به الى القراء

محمد رشاد افندي

هو ابن السلطان عبد المجيد وشقيق جلالة السلطان الحالي واصغر منه بسنتين فقط عمره خمس وستون سنة قضى منها نيفاً وثلاثين سنة محجوراً عليه عملاً بالعادة المتبعة في معاملة ولاة العهد بعد السلطان احمد الاول كما تقدم . وذلك انه لما تولى أخوه السلطان الحالي اسكنه في سراي طولمه بغجه وأقام عليه الحرس ودس حوله الجواسيس . وقد بلغ

من امر هذا القصر في ابان عصر الاستبداد ان المار بجانبه لا يجسر على الوقوف عنده او النظر اليه طويلاً ولا التحدث بشأنه . ولم يكن يؤذن لاحد بالدخول على ولي العهد الا طبيبه وخياطه وغيرهما ممن يحتاج اليهم في حاجاته الضرورية . ولا يكون ذلك الا باذن من اهل المابين فيجعلون في ايدي حجاب ولي العهد قائمة فيها اسماء الذين يجوز ادخالهم عليه وكانوا يشددون على الخصوص في منع اخوته وسائر اهله من زيارته — حتى اصبح اذا رأى واحداً من اهله انكره لطول الفراق

ويذكرون من امثلة ذلك ان رشاد افندي وأخاه كمال الدين افندي جاءا سراي يلدز في احد الاعياد الكبرى منذ بضع عشرة سنة لتقديم فروض المعايدة لجلالة السلطان . وهما في حضرته فتح باباً الى جانبه بان من ورائه سيدتان عليهما امارات الجلال والعظمة هما الاميرتان سنية سلطانه وجميلة سلطانة بنتا السلطان عبد المجيد اي أختا السلطان عبد الحميد وأخويه رشاد وكمال الدين . فلما التقت العيون تهيب الاميران وخجلت الاميرتان وأنكر الاخ أخته والاخت أخاها لانهم لم يتقابلوا منذ ١٥ سنة . فاطرقت الاميرتان تأدباً فعمد السلطان الى تعريفهم بعضهم الى بعض فاوماً بيده الى الاميرتين قائلاً « اختاي » والى الاميرين وقال « اخواي » فلم يكن ذلك كافياً ليذهب الدهشة التي تولت الجميع . ثم أقفل الباب وانصرف كل الى حال سبيله

والحجر على رشاد افندي في قصره لم يكن يراد به ان يكون سجيناً لا يخرج مطلقاً فكان يخرج احياناً الى منزله فتسير مركبته في طرق عليها الحرس والرقباء ويحدق بالعربة الحجاب على افراسهم يظهرون لغير العارف انهم يحرسونه وهم في الحقيقة عيون عليه يراقبون حركاته وما يبديه الناس في اثناء مروره . على انه كان يتعمد الاختفاء في المركبة لئلا يكون ظهوره سبباً في القاء الشبهة على بعض اصدقائه

ويغلب على مناقب ولي العهد التقوى وطيب السريرة وصدق اللهجة . لم يسمع انه عورض في قول او كذب في رواية منذ نعومة اظفاره . وكان شديد التعلق بوالده المغفور له عبد المجيد فلما بلغه نعيه اخذه اليأس حتى اوشك ان يلقي نفسه في البوسفور . وهو جريء مستقل الفكر حتى في أضيق أيام حجره فكان لا يبالي ان يصرح بما يجول في خاطره من انتقاد السياسة حتى بين يدي رجال المابين انفسهم

وهو زكي الفؤاد وفيه ميل الى العلم ذكروا انه كان يقضي معظم ساعات احتباسه في مطالعة الشعر الفارسي حتى اصبح قادراً على نظم مثله . ولو أتيح له ان يعمل ما يشاء

لتوسع في المطالعة واستوعب العلم • على انه كان مع التضييق عليه لا يفوته الاطلاع على ماجريات الاحوال في العالم المتمدن • وفيه نزوع الى الحرية الشخصية والحكومة الدستورية فكان في مقدمة الفرحين باعلان الدستور بالامس

يوسف عز الدين افندي

هو ابن السلطان عبد العزيز وقد ادرك الثانية والخمسين من عمره • وكان بعض الناس في اثناء عصر الاستبداد ارادوا تقديمه في الملك على رشاد افندي بان يجعلوه ولياً للعهد بدلاً منه ولكن العقلاء كانوا يخطئون الساعين في هذا السبيل وينسبون عملهم هذا الى اغراض شخصية • لان السلطان عبد العزيز نفسه كان قد اراد في اثناء سلطنته ان يحوّل ولاية العهد عن مراد ابن اخيه الى ابنه يوسف هذا كما اراد جلالة السلطان الحالي



يوسف عز الدين افندي

منذ عهد قريب ان ينقل ولاية العهد الى ابنه برهان الدين • وكان السلطان عبد العزيز شديد الرغبة في نقل الملك الى اعقابه • فلما شخص الى اوربا سنة ١٨٦٧ اصطحب مراداً رغم ارادته لانه ولي عهده ولكنه اصطحب ابنه عز الدين ايضاً ليقدمه للعالم المتمدن ويتوقع ان يحظى برضى ملوك اوربا • فكان يستاء مما يشاهده من احتفائهم بابن اخيه دون ابنه

فلم يزدد الارغبة في نقل الارث الى نسله · ولا يكون ذلك الابتحويل ولاية العهد الى ابنه كما فعل اسماعيل باشا صاحب مصر بالخديوية المصرية اذ جعلها تنتقل الى الابناء بعد ان كان يتولاها الاخوة والاعمام وغيرهم وقد نال ذلك من عبد العزيز نفسه في اوائل حكمه فرأى عبد العزيز ان يعمل مثل عمله — ولعلهُ تساهل معهُ في نقل الخديوية الى نسله تمهيداً لما كان ينويه هو · ووجه عنايته الى هذا الامر حتى اصبح محور حركاته وسكناته وعليه تدور اعماله الادارية واغراضه السياسية · فلا يولي وزيراً او صدراً الا ان وافقه عليه فكثر تبديل الوزارات في ايامه حتى توالى منها ثماني وزارات في خمس سنين · وبذل جهده في رفع منزلة ابنه لدى الناس فاطلق يده في خاصته وجعله نافذ الكلمة ورقاه الى رتبة سر عسكر وعهد اليه قيادة الحرس السلطاني واجاز له حضور مجلس الوكلاء والاشتراك في مباحثه

وكان اهل المابين من الجهة الاخرى يتملقون السلطان باطراء ابنه وتحسين عمله · ويقال انه بلغ من رغبته في مبايعة ابنه انه كاد يهمّ بتسميم ابناء اخيه ولكن كبر عليه ذلك فخطر له ان يسعى سعياً آخر فيعلن انتقال التوارث الملكي في الدولة العثمانية من الاخوة الى الابناء وحصره فيهم كأنه رده الى ما كان عليه قبل السلطان احمد الاول · وعزم على ان يستعين في ذلك ببعض الدول فوافقه اغناتيف سفير روسيا بالاستانة ووعده ان يأتيه بعشرين الفاً من القوزاق الروسي يؤيدون قوله بالسيف ويخمدون انفاس المقاومين اذا مست الحاجة · على ان هذه المساعي ذهبت عبثاً اذ اطلع الاحرار على شيء منها فعجلوا خلعه فذهبت آمال يوسف عز الدين ادراج الرياح

سليمان افندي

هو ابن عبد المجيد وشقيق السلطان عبد الحميد · ولد سنة ١٨٦٠ ويقول عارفوه انه ميال بفطرته واخلاقه الى الاتراك القدماء شديد الحرص على اهله وله ولع بالزراعة فقضى الاعوام الاخيرة من عمره وهو يشتغل في الحقل تلذذاً بالزراعة · وكانت له امرأة نادرة المثال في جمالها مع ميل الى التبرج والظهور بين اقرانها بما وهبتها اياه العناية فلا تنفك ذاهبة جائية الى المصورين تصور نفسها · فعلم الجواسيس على عهد زعيمهم فهيم باشا بترددها على المصورين فوشوا بها وبزوجها الى السلطان فبعث اليه وكلفه ان يطردها فابى فامره ان يطلقها ففعل فاخذها السلطان اليه ليقدمها هدية الى بعض احصائه وشق ذلك على سليمان فعاد الى الحقل يتلاهى بتعهد الزرع والغرس · وذكر الذين يعرفونهُ ان السلطنة اذا افضت اليه بذل جهده في احياء الزراعة

يقيم سليمان افندي في اورته كوي وهو يعرف اللغة الفارسية معرفة جيدة مثل اخيه رشاد افندي وله فيها منظومات مشهورة

وحيد الدين وصلاح الدين وعبد المجيد ومحمد سليم

ويلي سليمان بحق الارث اخوه وحيد الدين آخر ابناء عبد المجيد . وهو الآن في الثامنة والاربعين من عمره شديد الولع بالخيول وله اصطبل عامر في املاكه في جنكل كوي على شاطئ آسيا . وله مهارة في تربية الخيل وتضميرها وفي ركوبها . واذا اجتمع باصحابه كان اكثر حديثه عن الخيول واوصافها وانواعها . ولما بلغه عزم اخيه السلطان الحالي على نقل ولاية العهد الى اعقابه اسرع الى يلدز وطلب الدخول على اخيه فمنعوه بحجة ان السلطان مريض فالح في طب الدخول فالجأه الحرس السلطاني الى قصر هناك على ان يبقى فيه ريثما يصدر امر السلطان بشأنه . ثم صرفوه



صلاح الدين افندي

ويلي وحيد الدين في حق الارث البرنس صلاح الدين افندي بن السلطان مراد وهو في الثالثة والاربعين من عمره . وقد عرف بشدة شغفه بابيه حتى ذكروا انه لما مات ابوه اراد ان يدفن نفسه معه لو لم يمنعه عمه السلطان عبد الحميد من ذلك وقد وعده ان يربيه

مع اولاده فلم يرض · وقضى معظم سني شبابه محبوساً مع ابيه في سراي جراغان او في يلدز

وما كان يزيد صلاح الدين تعلقاً بابيه انه تلقى كثيراً من مبادىء العلم على يده · لان السلطان مراد رحمه الله كان محباً للعلم واهله · ولا يزال صلاح الدين حتى الآن يميل الى الاعتزال حداداً على ابيه يقضي اوقاته في المطالعة · وله شغف كثير باللغة الفرنساوية ويحب التصوير والموسيقى ويمارسهما مع اخواته · ولهن الحان وضعنها من عند انفسهن لم تنشر بعد



عبد المجيد افندي

ويأتي بعد صلاح الدين البرنس عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز المولود سنة ١٨٦٩ وهو كثير الشبه بصلاح الدين في اخلاقه واميااله ومعروف بحرية الفكر وصراحة القول وله معرفة جيدة باللغة الفرنساوية فضلاً عن لغته الاصلية وعن الفارسية · وقد تغير عليه السلطان الحالي بعد مذابح ارمينيا لان الناس تحدثوا يومئذ بتنصيبه في مكانه ولم ينجح المشروع لان قيصر روسيا وامبراطور النمسا افسداه · وكان عبد المجيد هذا متهماً باشتراكه مع العثمانيين الاحرار · فلم يكن يخلو منزله ولا دروبه من الجواسيس يراقبون حركاته وسكناته وهو لطيف المعشر قريب من القلب وقد اجمع الناس على حبه



محمد سليم افندي

ويأتي في الدرجة السابعة من الحق بولاية العهد البرنس محمد سليم افندي بكر جلالة السلطان عبد الحميد فهو في التاسعة والثلاثين من عمره تثقف في المدرسة التي انشأها والده لتعليم ابناء السلاطين · ولا يخفى ما يرجى ان يكون حال من ينشا تحت ذلك النير · يكفي مثالاً على ذلك حكاية اوردها بعضهم عن البرنس المذكور في اثناء تلقيه العلم قال « دخل عليه ابوه مرة وهو ينظر الى خريطة المملكة العثمانية وقد اخذ يعلم بالحبر الاحمر تحت الولايات التي خرجت من تلك المملكة بعد حرب الدولة وروسيا سنة ١٨٧٧ فلما رآه السلطان يفعل ذلك انتهره وصفعه وقال له « كيف تتجاسر على الاشتغال بهذه الامور »

وطبيعي ان امثال هذه المعاملة توجب النفرة وتبعث على اساءة الظن · واوغر بعضهم صدر السلطان فبث العيون على ابنه حتى في سراي يلدز · والبرنس محمد سليم افندي مع ذلك يعتقد ان لا سبيل الى انقاذ الدولة العثمانية غير الاصلاح على الطرق الحديثة وهو عاقل حكيم

هؤلاء سبعة من ابناء السلاطين قد يفضي الحكم اليهم الواحد بعد الآخر ولكنهم لا يتولونه الا وهم شيوخ لاضطرار كل واحد ان يتربص حتى يأتي دوره عملاً بقاعدة التوارث المتبعة · فاذا لم يحدث تغيير فجائي لا يتولى السلطنة سلطان عمره اقل من سبعين سنة

اقتراح

على مجلس المبعوثان

ان الدولة العثمانية اليوم في دور الانتقال وقد اخذ نواب الامة ينظرون في اصلاح شؤونها الادارية والسياسية والاجتماعية يدرسون المشروعات و يضعون التقارير ولا نعلم اذا كانوا ينوون جعل مسألة توارث الملك في جملة مباحثهم وهي من الابهام والاضطراب بحيث تستدعي انتباه مجلس الامة ولا تخفى عليهم فلا يحسن التجاوز عنها . وهم طبعاً في غنى عمن ينبههم او يرشدهم ولكننا رأينا ان نقول كلمة لعلها توافق ما في خواطرهم والا فلا ضرر منها

ان توارث الملك في الدولة العلية يحتاج الى اصلاح وتحديد . فقد رأيت انهُ كان ينتقل في الاعقاب من الاب الى ابنه ثم صار ينتقل الى الارشد . وظهرت رغبة بعض السلاطين في ارجاعه الى ما كان عليه في اوائل الدولة اي ان يعود فينحصر في الابناء دون غيرهم لما في ذلك من رفع التنازع والاستفادة من نشاط السلاطين وهممهم في شبابهم واوائل كهولتهم بدلاً من ان تؤول السلطنة الى الشيوخ . وقد يعترض على ذلك « ان الشيوخ اقرب الى التعقل وصحة النظر ولاسيما بعد ان صارت الحكومة دستورية واصبح الحل والعقد في ايدي الامة فلا يُرجى السلطان ولا يُخاف . لانه هو ووزارته ينفذان قرارات مجلس الامة » . كأن المعترض لا يعلق على منصب الملك كبير اهمية وهو من الاهمية في مكان عظيم ولاسيما في الدولة العثمانية لما في السلطان من الاعتبارات التي لا مثيل لها في سائر الدول الدستورية واخصها الاعتبار الديني في نظر جمهور الامة فضلاً عما لهُ من النفوذ الشخصي على قلوب الناس فيترتب على تلك الاعتبارات النفع او الضرر تبعاً لاخلاق السلطان واهوائه . ما عدا اشتراكه مع الامة في درس الامور النافعة ودخله في اعمال وزرائه . ناهيك بما قد يكون له من القدوة الحسنة او السيئة لان الناس ميالون الى التشبه بملوكهم فاذا كان ملكهم تقيا تدينوا او كان ميالاً الى العلم تعلموا او الى غير ذلك تشبهوا به . غير ما قد يبثه في نفوسهم من الخلال والسجايا لاجتماع الناس حول ملكهم يقلدونه ويتحدثونه

فالسلطان في الدول الملكية الدستورية لا يستخف بتأثيره على الدولة والامة وان كان ذلك التأثير اشد كثيراً في الدولة الملكية المطلقة اذ تكون كلمة الملك شريعة المملكة ولكنها في الدول الدستورية عظيمة الاهمية ايضاً . فاذا خير العثمانيون في توارث الملك في دولتهم

بين ان ينتقل الى الابناء في الاعقاب او الى الارشد على الاطلاق فاي الوجهين يجب ان يختاروا ؟

اذا اختاروا التعاقب في الابناء فقد قيدوا السلطة بشخص معين قد يكون نافعاً وقد يكون ضارًا وربما كان غلاماً تضطر الدولة لاقامة الاوصياء عليه ولا يدري ما يكون من شانه بعد رشده — نقيد انفسنا بذلك و بين ايدينا من اعامه وابنائهم من هو جدير بالملك وقد ظهرت فضائله واتضحت منافبه وظهر للملاً انه لو تولى الملك لافاد الامة والدولة فوائد جمة

واذا اختاروا الارشد فانهم يسلمون من نزق الشباب اذ الغالب ان يفضي الملك على هذه الخطة الى الكهول والشيوخ . ولكن الشيخوخة لا تغير فطرة الانسان فتنقلها من الشر الى الخير . وقد يتفق ان يكون اكبر ابناء السلاطين سنًّا ضعيف الرأي او فيه ميل الى الدسائس او المطامع او نحو ذلك مما يأول الى عرقلة مساعي مجلس الامة فتضطر الى الرضوخ او الخلع او غير ذلك مما يوجب القلاقل

فترى من ذلك ان كلا الطريقين وعرٌ لا يخلو من الخطر . فيتبادر الى الذهن انه' لم يبق للامة خير من ان تغض النظر عن الاسرة المالكة وتختار رجلاً يملكها تعتقد فيه الكفاءة للقيام بشؤونها كما فعل المسلمون في صدر الاسلام . ولكن ذلك لا يتاتى ولا فائدة منه' اليوم ولا سبيل اليهِ . فلا بد لنا من الاحتفاظ بسلالة السلاطين العظام ونعمد الى سبيل وسط بين الحالين فنجعل الملك حقًا لكل بالغ من ابناء السلاطين على ان تتوقف مبايعته لولاية العهد على قرار مجلس الامة ومصادقة السلطان ووزرائه . وطبيعي ان الامة لا تجمع على اختيار واحد ما لم تتحقق انه' افضل سائر المرشحين لمصلحتها ومصلحة الدولة . ومن فوائد هذه الطريقة انها تجعل عرش السلطنة جعالة للسابق من ابناء السلاطين في طريق الفضيلة والتعقل وخدمة مصلحة الامة ورفع شأن الدولة

ذلك هو اقتراحنا نعرضه' على مجلس الامة بالايجاز . ولا نبحث في كيفية الترشيح لولاية العهد او كيفية الانتخاب ولا ما يجب اجراؤه' للترضية او التسوية بين الآخرين فانها من التفاصيل التي يمكن العود الى بسطها وليس الموضوع مما يدعو الى العجلة ولكن يجوز عرضه' للبحث . فاذا وفقت الامة العثمانية الى هذه الطريقة في توارث الملك تكون قد اتت اصلاحاً في الحكومة الدستورية لم يوفق اليهِ سواها والله المستعان

الازهر

تاريخه وعلومه وتلامذته

نهضة طلبة المدارس في الشرق

ضجت القاهرة بمطالب الازهريين واحتجاجاتهم واختلفت اقوال الكتاب بين معجب ومنتقد • وعندنا ان قيام الشبان وتكاتفهم في التماس حق يطلبونه او دفع جور يمتقدونه انما هو من ادلة الحياة الاجتماعية يتعود بها الشبان الاجتماع والاتحاد ومعرفة الحق والواجب وقد يتخللها شطط يصلح مع الزمان وانما العبرة بالاساس • فاذا كان قيام اولئك الطلبة مبنياً على مجرد اعتقادهم انهم مظلومون وان لهم حقاً يطلبونه بلا تغرير او اغراء فتلك هي الحرية الشخصية بشرط أن يكون قيامهم بسكينة وتعقل

وقيام تلامذة المدارس على أساتذتهم او اولياء مدارسهم انما هو من محدثات هذا التمدن • وهو كثير الحدوث في أوربا من عهد بعيد • اما في الشرق فانه حديث العهد وأول من اقدم عليه طلبة الطب في المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت منذ نيف و٢٥ سنة فقد قاموا بصوت واحد يطلبون بعض الحقوق المتعلقة بدروس المدرسه وشهادتها وعددهم ٤٥ شاباً ونحن في جملتهم • فاكبرت عمدة المدرسة احتجاجهم وعدته من قبيل الطيش فانكرتهُ عليهم وكلفتهم الاعتذار او الخروج من المدرسة فابوا الاعتذار • وانتهت تلك الحادثة ببقاء معظم أولئك الطلبة خارج المدرسة وتفرقوا في الارض • فجاء بعضهم مصر وذهب آخرون الى الاستانة نالوا شهاداتها الطبية ونزح آخرون الى أوربا او اميركا وقد عدل بعضهم عن الطب الى التجارة او المحاماة او الصحافة او خدمة الحكومة او غيرها • ولهذه الحادثة تاريخ لا يخلو من العبرة ربما اتينا عليه في فرصة أخرى

ولما أطلقت حرية المطبوعات بمصر في اواسط عهد الاحتلال اخذ الناس يتعودون الحرية الشخصية وانتشرت هذه الحرية في المدارس الكبرى وتعود تلامذتها المجاهرة بافكارهم ورافق ذلك قيام الحزب الوطني المعارض لسياسة الحكومة فانضم اليه تلامذة المدارس الاميرية • وقد احيا هذا الشعور فيهم على الخصوص المرحوم مصطفى كامل بالمعاشرة ايام التلمذة ثم بالخطب في الاندية ثم في اللواء فاصبحوا ينظرون الى اجراءات الحكومة في

مدارسها نظر المنتقد واكثر ما كانوا يفعلون ذلك غيظاً من المستر دنلوب سكرتير نظارة المعارف لاعتقادهم انه مصدر متاعبهم وتوهموا انه يتعمد اذاهم • فترتب على ذلك قيام تلامذة مدرسة الحقوق للاحتجاج او المطالبة منذ بضع سنين والعهد بها غير بعيد

وكنا نحسب هذه النهضة الاجتماعية لم تتجاوز تلامذة الحقوق لانهم يتعودون معرفة الحق ويسهل عليهم المطالبة به فاذا هي قد تجاوزتهم الى المدارس الاخرى حتى بلغت الى الازهر وقد اشتهر تلامذته منذ انشائه بالسكينة والادعان لا يحركون ساكناً فقاموا بالامس يطالبون من ادارة الازهر مطالب سنأتي على خلاصتها في آخر هذه المقالة • ونبدأ بنبذة في تاريخ هذه المدرسة الكبرى ووصف احوالها

تاريخ الازهر وعلومه

بنى الازهر القائد جوهر فاتح مصر للخلفاء الفاطميين في اواسط القرن الرابع للهجرة وكان الغرض الاول من بنائه اقامة الشعائر الدينية وتأييد مذهب الشيعة العلوية لاختلاط السياسة بالدين في الدولة الاسلامية من ذلك العهد[1] وكانت هذه الشيعة قد قاست الامرين تحت سلطة العباسيين من قتل ونفي فلما تأتى لها تغلبها على مصر جعلتها عاصمة دولتها وانشأت القاهرة معقلاً لجندها والجامع الازهر لتأييد مذهبها لان العامة لا تحكم بغير الدين • وكان المصريون يومئذ على مذهب الامام الشافعي لان هذا الامام قضى أخريات أيامه بمصر ومات فيها وقبره معروف في ضواحي القاهرة • وكان الفاطميون يعترفون بهذا المذهب ايضاً وأما العباسيون فكانوا على مذهب ابي حنيفة • فتوافق الفاطميون والمصريون في المذهب فهان على الفاتحين تأييد سلطانهم وتوسيع دائرة نفوذهم فقربوا الفقهاء والعلماء واستقدموهم من سائر اقطار العالم الاسلامي واجروا عليهم الارزاق وفرقوا فيهم الاموال • وكانت اكثر مجالسهم تعقد في الازهر على عادة الفقهاء في ذلك العهد فتزاحم فيه الاقدام وكانوا كلما ضاق بهم وسعوه بابنية ينشئونها بجانبه ويوسعون دوره حتى اصبحت سعته الآن نحو ١٢،٠٠٠ متر مربع وكانت اقل من نصف ذلك • وتضاعفت أساطينه مراراً وكان عددها يوم بني ٧٦ اسطوانة فاصبحت ٣٧٥ اسطوانة متفرقة في أجزائه • وصارت ابوابه تسعة

وكانت أعطية الخلفاء للفقهاء في اول الامر على غير قياس او ميقات • فلما افضت الخلافة الى العزيز بالله ثاني الخلفاء الفاطميين سنة ٣٦٥ هـ امر وزيره يعقوب بن كلس

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٧٩ ج ٤

ان يرتب للفقهاء ارزاقاً معينة وان يبني لهم منازل يقيمون فيها بجانب الجامع • وكانوا يأتون المسجد في بادئ الرأي لصلاة الجمعة وقراءة الفقه على رأي الشيعة والوعظ والمباحثة فتدربوا من القراءة الى التعليم حتى اصبح الجامع مدرسة كبرى اكثر دخلها مما وقفه لها الخلفاء والامراء ويقدر دخله السنوي اليوم بعشرين الف جنيه

علوم الازهر

ظل الازهر مدرسة شيعية طول خلافة الفاطميين (نحو مئتي سنة) حتى غلبهم صلاح الدين الايوبي على مصر سنة ٥٦٧ هـ وكان سني المذهب وليس له بدٌّ من مبايعة خليفة يثبته في منصبه فبايع الخليفة العباسي في بغداد وخطب له في الجامع الازهر • وكان صلاح الدين على مذهب الامام الشافعي فلم يضطر لتبديل كثير من طرق التعليم وقبل الناس سلطته على اهون سبيل • على انه لم ير له مندوحة عن مراعاة مذهب الخلفاء العباسيين وهو مذهب ابي حنيفة ورأى بحكمته وسداد رأيه ان يكتسب ولاء سائر المسلمين فاجاز تعليم المذاهب الاربعة كل مذهب بحضرة اهله • فآل ذلك الى اتساع شهرة هذه المدرسة وتقاطر اليها الطلاب من اربعة اقطار المسكونة • ولم يبق التعليم قاصراً فيها على الفقه وعلوم الدين واللغة ولكنه تناول شيئاً من الرياضيات والنجوم وبعض العلوم الطبيعية

وما زال ذلك شأنها في ايام السلاطين الايوبيين ومماليكهم حتى جاء السلطان سليم العثماني وفتح مصر في اوائل القرن العاشر للهجرة ثم استبد الامراء المماليك في الحكومة واشتغل الناس عن العلم • وكان العنصر العربي قد ضعف شأنهُ في سائر المملكة الاسلامية الا في مصر لان مدرسة الازهر كانت اكبر وسيلة لاستبقاء اللغة العربية حية لتعليم العلوم الدينية واللسانية لكنها اقتصرت يومئذ على هذه العلوم واهملت سواها من الطبيعيات والرياضيات

على ان فضل الازهر في احياء اللغة العربية لم يكن قاصراً على نشرها في الديار المصرية أو ما جاورها من البلاد العربية لكنه شمل سائر البلاد الاسلامية • فقد كانوا يفدون على مدرسته من بلاد الترك والمغرب والشركس والصين وزنجبار والهند وافغانستان وغيرها • وقد رغب الناس فيه لانه كان يعلم الطلبة مجاناً ويقوم بنفقاتهم من الطعام واللباس والمأوى فضلاً عن امتيازه بمهارة الاساتذة • فكان اعظم العلماء المسلمين في الاجيال الاسلامية الوسطى ينبغون من مدرسة الازهر • وكان للمتخرج في هذه المدرسة مزية وفضل على المتخرجين في سائر المدارس الاسلامية

وما زالت علوم الازهر قاصرة على الدين واللغة الى الوثبة الثانية من هذه النهضة بعد الحوادث العرابية اذ اهتم العقلاء من ولاة الامور بادخال بعض العلوم الحديثة ونحوها مما لا غنى عنه في مجاراة تيار التمدن في هذا العصر · ولكنهم خافوا ان يفاجئوا الناس بهذا الاصلاح لما رسخ في اذهانهم من آثار العصور المظلمة من تقبيح العلوم الطبيعية وما يبني عليها واتهام اصحابها بالكفر · فرأت الحكومة ان تمهد ذلك بفتوى من كبار الفقهاء فاستفتت المرحومين الشيخ محمد الانبابي شيخ جامع الازهر والشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية في « هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف » فاجاب الشيخ الانبابي جواباً مؤرخاً في اول الحجة سنة ١٣٠٥ هـ خلاصته جواز تعليم تلك العلوم مع بيان النفع من تعلمها وصادق الشيخ البنا على هذه الفتوى بتاريخ ٧ منه

ثم نهض المرحوم الشيخ محمد عبده لاصلاح الازهر في هذا السبيل كما هو مشهور · ومع هذا وذاك لم يدخل من هذه العلوم الا بعضها من عهد غير بعيد · واليك جدول العلوم التي تعلم في الازهر الآن وهي تقسم الى وسائل ومقاصد · اما الوسائل فهي :

النحو	مصطلح الحديث
الصرف	الحساب
المعاني والبيان	الجبر
البديع	العروض
المنطق	القافية

والمقاصد يراد بها العلوم التي يرجى الوصول اليها بعد التمكن من الوسائل وهي :

علم الكلام والتوحيد	اصول الفقه
علم الاخلاق الدينية	تفسير القرآن
الفقه على المذاهب الاربعة	الحديث

كل هذه العلوم كانت تعلم في الازهر قبل هذه النهضة فاضافوا اليها العلوم الآتية :

صناعة الانشاء	الجغرافية او تقويم البلدان
اللغة متناً وأدباً	التاريخ
مبادىء الهندسة والجبر	علوم عقلية
الكيمياء والطبيعة	الخط

ولو راجعت اسماء الكتب التي تعلم هذه العلوم بها لرأيت اكثرها قديماً يحتاج الى تعديل حتى يوافق روح العصر

على ان ما بذله المرحوم الشيخ محمد عبده في سبيل ترقية الازهر وان لم يأت بالثمر المطلوب فقد نبه اذهان الطلبة لمطالعة كتب التواريخ والطبيعيات وغيرها من العلوم الحديثة فالعقلاء منهم يطالعون تلك العلوم بانفسهم او يقرأونها على اهلها . ونشأ في تلامذة الازهر حزبة البحث وحب الاطلاع والتمييز بين النافع وغير النافع من العلوم . فكأن الشيخ رحمه الله هذب نفوسهم ورقى اخلاقهم وعلمهم كيف يتعلمون ريثما يتم هذا الاصلاح رسمياً في قوانين هذه المدرسة

طلبة الازهر واساتذته وشهاداته

وتلامذة الازهر الآن يزيدون على عشرة آلاف تلميذ ينقسمون الى فرق باعتبار المواطن تقيم كل فرقة بمسكن مؤلف من غرف يعبرون عنه بالرواق والاروقة بالازهر ٢٧ رواقاً ١١ لاهل القطر المصري تقسم باعتبار البلاد او المذاهب كاروقة الصعايدة والبحيرية والفيومية والشراقوة والحنفية والحنابلة وغيرهم و١٦ رواقاً للطلبة الوافدين من خارج القطر وفيهم الشوام والمغاربة واهل الحرمين وجاوه والسنارية والاتراك واليمنية والاكراد والهنود والبرابرة والدكارنة وغيرهم . وقد فصلنا اماكنهم في هلال الثالث من السنة الخامسة عشرة . وتختلف الاروقة سعة باختلاف اهلها على ان اكبرها رواق الاتراك ورواق الشوام ورواق المغاربة والصعايدة . واكثر الطلبة على مذهب الامام الشافعي واكثرهم من المصريين فان غير المصريين لا يتجاوز عددهم ١٧٪ من المجموع

وينقسم التعليم في الازهر الى ثلاث درجات ابتدائية وثانوية وانتهائية كما يستدل من الشهادات التي ينالها الطلبة وهي ثلاث : الاولى شهادة المعافاة ينالها من اقام في الازهر ثلاث سنوات وقدم الامتحان اللازم . والثانية الشهادة الاهلية ينالها الطالب بعد ان يقضي في الازهر ثماني سنوات على الاقل ويقدم الامتحان وهي الشهادة الاصلية التي كانوا يعطونها قبل ادخال النظام الجديد والغرض منها ايجاد ائمة للجوامع وخطباء لهم اطلاع على احكام الدين . ويجوز تعيين اصحاب هذه الشهادة في وظائف الامامة والخطابة والوعظ في المساجد لتعليم العامة وليس لهم حق التدريس في الازهر . والثالثة شهادة العالمية ينالها الطالب بعد ان يقضي في الازهر ١٢ سنة ويجوز لحاملها التعليم في الازهر

ومع كثرة طلبة الازهر لا ينال شهاداته في العام الا نفر قليلون لان اكثر الطلبة يخرجون منهُ قبل اوان الامتحانات . ولا يتقدم للامتحان غالباً الا الراغبون في خدمة

الحكومة بالقضاء الشرعي او التدريس . على ان عدد المتقدمين للامتحان يزداد كل عام والمدرسون في الازهر ثلاث درجات عددهم جميعاً ٢٥٥ مدرساً ولكل درجة علوم يدرسونها . ويقسم المدرسون بالنظر الى المذاهب على هذه الصورة :

١٠٠ من الشافعية
٧٧ « المالكية
٧٦ « الحنفية
٢ « الحنابلة

وكان مشايخ الازهر يتصرفون في شؤونه من تلقاء انفسهم الى عهد غير بعيد فشكلت الحكومة سنة ١٣١٢ هـ مجلساً سمته مجلس ادارة الازهر مؤلفاً من خمسة اعضاء تنتخبهم من كبار العلماء ويكون شيخ الازهر رئيساً عليهم عند الاجتماع للمداولة . ولهذا المجلس النظر في ادارة شؤون الازهر علمياً وادبياً ومالياً

مطالب الازهريين اليوم

وما زال الازهريون سائرين في دروسهم حتى انشأت الحكومة في العام الماضي مدرسة القضاء الشرعي وجعلت علومها على قسمين قسم عال يتخرج فيه القضاة والمفتون وقسم ابتدائي يخرج منهُ كتبة المحاكم الشرعية ونحوهم . وكانت هذه الوظائف قبلاً ينالها تلامذة الازهر فاصبحوا لا يطمعون الا بالوظائف الصغرى التي لا مستقبل لها ورأوا من الجهة الأخرى ان الذين يندرجون في سلك مشيخة الاسكندرية يقبضون من الرواتب اضعاف ما يقتضيه اخوانهم الازهريون . فقام الازهريون واعانتهم الجرائد في طلب الاصلاحات لزيادة العلوم وغيرها فاجريت الاصلاحات فيه وقسم طلابه الى درجات وصفوف وتقررت الكتب التي يطلب منهم الامتحان فيها لكنهم لم يأتوهم بالمعلمين الا كفاء لما ادخلوه من العلوم العصرية . ونظر الازهريون من جهة اخرى الى ما يتناولونه من الجراية او الوظيفة او الراتب بالنظر الى مدرسة القضاء الشرعي وغيرها والى الاوقاف الخاصة بالازهر فاعتقدوا انهم مظلومون . فلهذا السبب ولاسباب اخرى تفهم من خلال مطالبهم اضربوا عن الدروس في اواخر يناير الماضي ورفعوا الى لجنة الازهر المطالب الآتية بنصها :

اولاً : ان يناط التدريس في كل سنة باكفاء ماهرين في العلوم التي يعهد اليهم تدريسها وان يرعى في توزيع الدروس على سنيها قوى الطلبة والزمن الذي تدرس فيه مع بذل الوسع في سرعة الوصول الى النتيجة المطلوبة في تلك العلوم

وبادخال النظام الجديد في الازهر اصبح طلابه في حاجة شديدة الى الحصول

على الكتب التي لم يعهد تدريس علومها بالازهر من قبل والى ادوات فنية · ومعلوم ان العدد الكثير من طلابه قد يكونون في اضطرار الى ما ينفقون في هذا السبيل · وهم يرون ان اخوانهم طلاب المدارس المجانية كالازهر لا يحصلون على تلك الكتب والادوات من غير مقابل الا لانهم طلاب علم فبالحري ان تكون هذه الميزة شاملة لطلاب الازهر الذين قطعوا انفسهم لتحصيل العلوم الدينية واضافوا الى ذلك تحصيل العلوم الحديثة وليس بعسير على حكومة الجناب العالي الخديو الذي يبذل الوسع في ترقية شؤون المعاهد الدينية ان تساعد اولئك الطلبة بمنحهم تلك الكتب والادوات بالمجان حتى تبعد عنهم تصرف الباعة في اثمان هذه الاشياء فيرفعونها متى راوا اقبالاً عليها كما انه ليس بعسير على الحكومة ان توسع نطاق مكتبة الازهر حتى يجد الطلبة فيها الكتب التي تلزمهم لينتفعوا بها على ان يردوها فلا يحرج صدر الفقير من الطلبة اذا ضاقت يده عن الحصول على ثمن ما يريد شراءه من الكتب لهذا يتقدمون الى اللجنة بالطلب الآتي وهو :

ثانياً : ان تصرف كتب العلوم الحديثة والادوات الفنية للطلبة بالمجان وان يوسع نطاق المكتبة الازهرية بحيث يكون فيها العدد الكافي من الكتب التي تدرس في الازهر و يباح لهم الانتفاع بها عارية

وبالرجوع الى النظام الجديد يعلم انه جعل نيل الشهادة الاولية منوطاً باداء طالبها الامتحان في ثمانية عشر علماً وناط نيل الشهادة باداء الامتحان في اكثر من عشرين علماً ومع هذا هو خلو من ان يجعل للحاصل على احداهما اي حق مع ان الحاصل على الاولى يكون قادراً على ان يقوم باعمال المأذونية والكتابة في المحاكم الشرعية المركزية والاوقاف وادارة الازهر مثلا · كما ان الحاصل على الشهادة الثانوية بمقتضى هذا النظام يصح ان يعهد اليه التدريس في مدارس الاوقاف الخيرية والخطابة في المساجد والوعظ في الامصار والكتابة في المحاكم الكلية الشرعية اذ الاول يكون قد جاز الامتحان بنجاح في علوم تجويد القرآن الكريم والتوحيد والفقه والاخلاق الدينية والسيرة النبوية والحديث والصرف وعلم الشعر والبيان والانشاء والخط والاملاء والمنطق والحساب والتواريخ وتقويم البلدان وقواعد الصحة والثاني يكون قد جازه في علوم الحديث والتوحيد والفقه مع حكمة التشريع والتوثيقات الشرعية والنحو مع الوضع والصرف والمعاني والبيان والبديع وادب اللغة والانشاء والمنطق وآداب المناظرة والميقات والحساب والجبر والهندسة ورسم الاشكال والتاريخ وتقويم البلدان ونظام القضاء والادارة والاوقاف والمجالس الحسبية لهذا يبسط الطلبة ايديهم الى

اللجنة بالطلب التالي وهو:

ثالثاً: وضع امتيازات لحامل الشهادتين الاولية والثانوية بان يجعل للاول الحق في أن يعين في وظائف المأذونية وكتابة المحاكم الشرعية المركزية والاوقاف وادارة الازهر ويجعل للثاني الحق في ان يعين في وظائف الخطابة في المساجد — والوعظ في الامصار وكتابة المحاكم

ان مساواة افراد اهل الطائفة الواحدة مهما تباعدت امكنتهم من العدل الذي تنتظره امة مخلصة من حكومة عاملة على رقي امتها فاحر بطلاب العلوم الدينية وهم على تمام الاخلاص لاميرهم المحبوب ساعون في تحقيق رغباته الشريفة عندهم والاقتراب من امانيه العالية فيهم ان يلتمسوا منه العدل بين اهل الازهر الشريف وباقي المعاهد الدينية في مرتبات الطلبة والعلماء لان طلبة اليوم هم علماء الغد ولان اهتمامهم بشان العلماء الآن انما هو اهتمام بشان انفسهم غدا فهم يمهدون لارجلهم مواضعها قبل الخطو ويتزودون في شباب سنهم لسفرهم الطويل الذي سيقطعونه فيما حملوا من امانة الله · وقد رأوا ان لا تناسب بين اهل الازهر وغيرهم من المعاهد الاخرى فيما ذكر فهم اذا قارنوا بين مرتب العالم بالازهر وهو مائة قرش وبين مرتب اخيه الذي تخرج معه في وقت واحد ثم ادرج في سلك علماء الاسكندرية وهو ثمانمائة قرش يجدون ان النسبة بينهما كنسبة واحد الى ثمانية وهو فرق لايبرره تباعد المعهدين · وربما كان هذا من البواعث على غرس ما لا يحمد غرسه بين اهل العلم الديني وهم اول من يجب أن تغرس بينهم الاخلاق الفاضلة وان يربى فيهم حب المساواة ووجود النسبة في مكافاة العاملين على عملهم حتى لا يوجد هذا الفرق العظيم بين مرتب العالم بالازهر واخيه الذي الحق بسواه من جهة ومن جهة اخرى فان مرتب العالم بالازهر لا يقوم بالكفاف من مطالب الحياة ولو كان من المقتشين فلا عجب اذا جرت الحاجة بامثال هولاء الى التبذل في طلب العيش واهراق ماء الوجه في استكمال مطالب الحياة من غير هذا الوشل ومتى وصل الامر بالعلماء الى مثل هذا الحد فقد سقطوا من منصة الاحترام وهو اول العوامل في نفوذ ارشادهم والاستجابة لدعوتهم الى الصلاح وتكون عصارة ذلك ضياع الفائدة من مهمة الازهر الشريف التي يؤديها الى العالم الاسلامي اذ هذه المهمة العظمى لا تؤدى على اكمل وجه على يد مبتذل ساقط الكرامة يلتمس الرزق بكل الوسائل ولو كانت لا تتفق مع شرف العلم وكرامة العلماء · لذا يرون من الواجب عليهم ان يعرضوا الطلب الاتي وهو:

رابعاً : ان تناسب المرتبات بين العلماء والطلبة في كافة المعاهد الدينية تناسباً مقبولاً
(انتهى نص المطالب)

فلما وصلت هذه المطالب الى الحكومة عينت لجنة تنظر فيها فقررت طرد الذين لا يرجعون الى دروسهم لتنظر في مطالبهم . فاقر طلبة السنتين الاولى والثانية على الرجوع فاتوا الازهر في ١٦ فبراير الماضي فراوا اعلاناً ملصقاً على الباب هذه صورته :

« من مشيخة الازهر »

« بناء على استرحام حضرات المشايخ من سمو الجناب العالي قد انعقد المجلس العالي لجامع الازهر الشريف بعد ظهر يوم الاثنين ٢٤ محرم سنة ٣٢٧ وقرر العفو عن الطلاب الذين يقدمون استرحاماً ملتمسين العفو بدون شرط كما تقرر العفو عن الخمسمائة واثنين وخمسين طالباً الذين سبق لهم تقديم هذا الاسترحام وقد تحدد لذلك مدة خمسة عشر يوماً ابتداء من يوم تاريخه فكل من يرغب من الطلبة العودة للدراسة عليه ان يتوجه لجامع المؤيد ويمضي على طلبات الاسترحام المطبوعة الموجودة طرف حضرات مشايخ الاروقة

٢٥ محرم سنة ٣٢٧ »

وهذه صورة الاسترحام

« فضيلتلو افندم مولانا الاستاذ شيخ الجامع الازهر

« نلتمس من فضيلتكم استرحام العفو عنا بعودتنا لتلقي دروسنا كما كنا وندعو لسمو خديوينا المعظم بطول العمر والبقاء ٢٥ محرم سنة ٣٢٧ »

فابلغوا اخوانهم المعتصبين خبره فتوافد جمهور منهم الى الجامع لمعرفة الحقيقة فبلغهم ان الشيخ حسونه النواوي شيخ الجامع قد رفع استعفاءه الى سمو الخديوي فقبله وكلف خليـل باشا حماده ناظر الاوقاف ان ينوب في ادارة شؤون الازهر موقتاً . ورضي بعض تلامذة السنتين الاولى والثانية بالشرط الذي فرضته لجنة الازهر لقبولهم ودخلوا الدروس فاستاء تلامذة السنين الاخرى فدخل بعضهم الجامع واحدث تشويشاً آل الى الصياح والتضارب فدخل الجنود في الامر وقبضوا على بعض التلامذة وساقوهم الى المحاكمة واخذت الحكومة في تحقيق الحادثة ويدعي الازهريون ان حماده باشا امر بضربهم واتهموا سواه ايضاً والمسألة تحت التحقيق الآن وقد اثرت اهانة الازهريين هذه في شعائر كبار المصريين فاحتجوا الى المراجع العالية وتبرع المحامون في الدفاع عن الازهريين وسنذكر ما تنتهي اليه الحادثة

سلطة الامة

٣ ـ مضارها

[اعتمدت في كتابة الفصل السابق على ما تكون لديّ من المعلومات بعد مطالعات كثيرة وخصوصاً في كتاب « المبادىء الاساسية للحقوق » وضعه بالفرنسية الكونت دي ڤاري‌سوميير (De Vareilles-Sommières) — اما هذا الفصل فننقول عن كتاب « الحكومة الحديثة ووظائفها » تأليف بول لروا بوليه (P. Leroy-Beaulieu) العالم الاقتصادي الكبير بشيء من التصرف اقتضاه التركيب العربي وباغفال بعض الاقوال التي ترمي الى اغراض في الكتاب لا محل لها هنا] — قال الكاتب :

للحكومة الغربية الحديثة مميزات خاصة عن الحكومات القديمة او الاسيوية • وهي قائمة على انتخاب المحكومين حكامهم لمدة قصيرة يتغير بعدها هؤلاء كلهم او جلهم

وقد كان للانتخاب شأن يذكر في جميع الحكومات الماضية تقريباً • لكنه لم يكن يتجاوز الاشراف على الاعمال العمومية وتنبيه اولي الامر الى خطأهم ومساعدتهم في مهامهم — اما الآن فهو قوام الحكومة الحديثة التي تسير برأي الاغلبية وتحسب ان اجماعها على امر كاف لجعله مشروعاً • ومن خواصها الازدراء بالماضي والتقاليد والتهافت على كل جديد والثقة العمياء باصلاح الهيئة الاجتماعية وتقليل الادواء فيها بالتغييرات التشريعية

ولا ابحث هنا فيما اذا كان هذا النظام نهائيا وانه المضجع الناعم الذي لن ترتضي الشعوب الحديثة عنه بديلاً فان له بعض المزايا وكثيراً من الاضرار • ويصعب على المفكر الجزم بالايجاب لان التاريخ يدلنا على ان الملوك والاشراف يكونون الحكومات ويوصلونها الى العزة والمنعة وان الشعوب اذا تركوا وشأنهم كما هو حاصل الآن عبثوا بها وقوضوا اركانها • ولا ادعي النبوة • لكن يظهر لي ان هذه الامم الحديثة ستعود بعد زمن ربما كان طويلاً وبعد هزات عنيفة وتجارب مؤلمة الى الحكومات الملكية القديمة مع مراعاة التوازن بين الحاكم والمحكوم كما في بروسيا الآن وقد وقفت سلطة الامة فيها عند حد

محدود بفضل الحوادث الخصوصية التي وقعت لها وبعض كبار الرجال الذين تولوا امرها فقادوها الى المجد والسؤدد — لا بفضل الدستور فانه يشجع اطماعها التي لا بد ان تثور عاجلاً او آجلاً فتنال مشتهاها [1] — او كالامبراطورية الرومانية في ازهى ايامها التي طالت قرنين .... ولكن هذا حدس وتخمين فلننظر الى الحكومة الحديثة ولنقدر ما تستطيع عمله لحفظ الشعوب وانماء المدنية ولنقابل بين الدعاوي الطويلة العريضة التي يدعيها انصارها وبين النتائج التي يمكن أن تصل اليها

الحكومة الحديثة

والانتخابات لا يسبقها صوم ولا صلاة يرجع الانسان بهما الى نفسه يستطلعها الرأي في مصالح البلد بهدوء وسكون بل تجري وسط ضجة غير معتادة وهياج شديد تثيرها الاحزاب المتنافسة فتشوش على الناس آراءهم ويختلط عليهم امر هذه السياسات المتضاربة فتخرج الاكثرية من هذه المعمعة صورة مصطنعة لا تمثل حقيقة آراء مجموع الشعب . يفوز بها الحزب الاعلى صياحاً والاكثر تفنناً في مدح بضاعته والاكرم وعوداً والاسخى مالاً : تسير الحكومة خلف هذه الاكثرية اربع او خمس سنين مع انها خلقت يوم اضطراب وتحمس مضى وانقضى

و ينزل بالامم كما ينزل بالافراد اميال واهواء تمتلك افئدتها وتأخذ بمجامع قلوبها فلا تعود تلهج الا بها ورائدها فيها الاحساس اهاجه المهيجون فتتطرف في الشغف بها وطلب

---

(١) مضى على هذا القول عشرون عاماً وقد اخذ يتحقق وبدت طلائع الحركة في نوفمبر الماضي على اثر حديث الامبراطور المشهور وقد حاول فيه الايقاع بين الدول وتشدده بلا داع مع فرنسا في حادثة البيضاء. فقام الالمان قومة واحدة واجمع الريشتاغ على ذم حكم الفرد ونقد بجرأة نادرة حركات الامبراطور الاوتوقراطية التي تكررت فازعجت النفوس وقد كان في غنى عنها . وطلب جعل الوزارة مسئولة امامه ووجوب مراقبة الشؤون الخارجية بحيث لا ينفرد بتصريفها الامبراطور وجعل اعلان الحرب متوقفاً على المجلس . وما هذه الا البداية . وهكذا احدثت دائماً غلطات الملوك ردّ فعل من جهة الشعب الى ان يستتب له الامر فيخطىء ولا رادع فيتوغل في الخطأ فتعود اليه الملكية الخ . ويجمل تاريخ الحكم جذب ودفع بين الملوك والامم يكاد يكون لها علامات واحدة وأوقات معينة في حياة كل امة .

تحقيقها كالميل الى الغاء عقوبة · والميل الى الحرية الشخصية غير المحدودة · والميل الى نوع من الاعمال العمومية وانشاء سكك حديدية او ترع او تشييد ابنيــة فخيمة — الميل الى الدين او عنــه — الى التعليم العمومي · الى حرية التجارة او تقييدها ··· الخ فتنتهز الاحزاب احدى هذه الفرص السانحة وتتسابق في اكتساب ثقة الشعب بمتابعته في اهوائه والوعد بارضائها

والحكومة الحديثة خاضعة لهذه الاهواء والتصورات الناقصة وهي في كل مرحلة من مراحلها تنقل الميل الذي كان سائداً وقت الانتخاب باشد حالاته لانها حكومة الاكثرية وتمد في اجله اربع او خمس سنين مع انه بطبيعته ابن ساعة ثم يذهب — كالفوتوغرافية تصور جواداً راكضاً فيبقى كذلك على الورق الى الابد

والواجب على الحكومات مقاومة اهواء العامة والحكم بمقتضى العقل الذي لا ينقلب كالاحساس وصد الاندفاع والضغط على الهوى · ولكن الحكومة الحديثة مندمجة في الكل وليس لها شخصية مستقلة حتى تعمل · فينتج عن ذلك ان هــذه الاهواء يكثر عددها لانعدام الوازع وانفساح المجال امامها وشعور القوم بامكان تحقيقها · وهــذا سبب ما تراه في اعمال الحكومات الحديثة من الغلط والتخبط ولهذا يأتي التشريع فيها مضطرباً متناقضاً مبالغاً فيه لجانب الحزب الغالب · فيقضي كل مجلس ثلاثة ارباع وقته في نقض ما ابرمه المجلس السابق · وقد يأتي احياناً على ضد الرأي العام وقد زالت عنه الحمى وعاد اليه السكون وهذا سر انقلابه على الاكثرية المسيطرة يخذلها في الانتخابات الجزئية التي تدور على مسئلة معينة يعلم هو مصلحته فيها بعد ان ايدها في الانتخابات العمومية فوافق على بروجرام سياسي بكل مفصلاته ليس له فيه مصلحة مستعجلة

اضف الى تغير المبادىء في الحكم تبدل الموظفين المتوالي تجد ان الحكومة الحديثة ليس لها سلسلة معقولة منطقية للقوانين واللوائح بخلاف ما يجب ان تكون عليه كل ادارة

---

(١) قال المؤلف في موضع آخر من الكتاب (حاشية ٣١٣) ان الانتخابات في الولايات المتحدة الاميركة اوضحت بما ليس بعده من مزيد شأن الرشوة يتزايد استفحالاً من سنة ١٨٨٩ · فالحزبان الكبيران السائدان هناك يشبهان جمعيتين عظيمتين ليس بين آراء اعضائهما فرق يذكر تتنازعان معه المكاسب المادية التي تأتي من وراء الاستيلاء على الحكومة

كبيرة . وقد كان هذا التبدل قديماً لا يتناول الا الوزراء و بعض ذوي المناصب العالية اما الآن فتراه يمتد الى سائر الدوائر . اذ لما كان النزاع السياسي قائماً بين حزبين او اكثر يمثل كلاً منها جيش من السياسيين الطامعين تعليهم بلا ثروة ولا مورد رزق لزم ان ظهور جيش على جيش تتبعه « تصفية » عمومية لمنفعة افراد المعسكر الظافر القاهر . و يزداد هذا التقلب بازدياد تأثير الانتخاب وكلما قربت الهيئة الاجتماعية من نظام الديمقراطية المحضة شوهد فيها اوضح فاوضح الى ان يصير قاعدة . ولما قال الجنرال جاكسون احد رؤساء الولايات المتحدة السابقين واشدهم حدة : « الاسلاب للظافرين ! » انما كان يتكلم لغة يفهمها سياسيو العالمين القديم والحديث

وعلاجاً لهذا الحال ينبغي اولاً تقليل مدة انعقاد البرلمان فتخف وطأة السياسيين وتحل الراحة والسكينة محل الهياج والاضطراب فيمضي الشعب في عمله هادئاً مطمئناً . واذا صادف ان هذا النظام أخر الاقرار على قانون مفيد الا انه يكون سبباً في القضاء على نسعة مشاريع ضارة او عديمة الفائدة . وتقضي مجالس انكلترا الايام الاخيرة من كل فصل في انهاء اعمالها فتزج بالمشاريع التي لم يتناقش فيها في هاوية النسيان وقد يكون هذا افضل اعمال الفصل كله

وينبغي ثانياً تصديق الامة (اي مجموع من لهم حق الانتخاب) مباشرة على اهم القوانين بعد اقرار البرلمان عليها لان النواب عرضة للتهور والتطرف وفي معظم الحكومات الحديثة ليس للشعب عليهم سلطان [1] ما دامت مدتهم لم تنقض وهذا متبع في سويسرا ومعروف باسم (Referendum)

خصائص الحكومة الحديثة

الحكومة الحديثة — نظرياً — تمثل جميع اهالي البلاد . فهي اذن نظرياً — اعدل هيئة في العالم . ولكنها في الواقع وكيلة الاغلبية — حكومة الحزب المنتصر والعدل فيها وهمٌ لا أثر له في الحقيقة ولا يمكن ان يكون له أثر . وهي دائماً ميالة لتفضيل فريق على فريق . قد تطمع الحكومات الملكية في اعلاء منار الحق واقامة العدل وهي وان لم يقدر

(١) وقال المؤلف في مقالة نشرتها « المجلة » الفرنسوية في ١٥ ابريل سنة ١٩٠٨ اني اعتقد اعتقاداً ثابتاً ان ثلاثة ارباع القوانين التي يصدرها البرلمان تحدث في البلد ارتباكاً واختلالاً اكثر مما تساعده على الرقي » . — وجاء في بحث مستفيض في العدد

تحقيق امنيتها كالواجب الا انه ليس في نظامها ما يعوقها عن ذلك ما دام الآمر الناهي فيها يريد الخير • اما الحكومة الحديثة فاساسها الانتخاب وتعريفها كما يفهم الغربيون الآن وكما اسلفنا انها وكيلة الاكثرية من الامة لا الامة باجمعها • وهذه الاكثرية القابضة على دفة الدولة موقتة وعالمة ان لن يستتب لها الحال الا قليلاً ولها آراء لم تكن سائدة من قبل فهي تعمل بكل قواها على سيادتها وهدم ما بناه الخصوم في الماضي • وهي مهددة كل ساعة بالسقوط والاحزاب المعارضة تسعى جهدها في تعجيله فتصبح هذه الاكثرية وهي خائفة على السلطة التي ما وصلت اليها الا بعض شق النفس اي تفلت من يديها فتخسر شيئاً كثيراً لان ادارة الشؤون العمومية اصبحت مهنة ••• غير مجانية

فلا محل اذن ولا مسوغ لتصورات بعض الفلاسفة الذين ينظرون الى الحكومة الحديثة من الوجهة النظرية البحتة فيتغنون بكمالها وعدلها • فانها في الحقيقة ظالمة ولا تنفك عن الظلم لحظة واحدة • وقد يحاول بعض كبار الرجال ذوي النفوس الكريمة العفيفة ان يتجنبوا هذه الخطة او يلطفوا من سماجتها ولكنهم لا يفلحون ويرون انفسهم

المذكور من « المجلة » لمسيو ريمون بوانكاريه احد وزراء فرنسا السابقين والسياسي المشهور ما يأتي : « لقد اصبحت النيابة السياسية وظيفة جزيلة النفع واقترح بعضهم ترتيب معاشات النواب واعضاء مجلس الشيوخ بعد الجهاد الحسن ! فعوضاً عن ان تكون الحياة العمومية بايدي الجميع اذا بها تحتكر شيئاً فشيئاً لصالح جماعة قليلة • يجب نزع السياسة من السياسيين او ينفرون بلادنا عن قريب من الحرية و يوقظون فيها الغرائز الامبراطورية يجب تقليل مدة انعقاد البرلمان الذي يحسب غالباً انه خسر يومه اذا لم تتحرك اعضاؤه عدة ساعات في الحر والضوضاء كأن تقدم الامة يستلزم كل يوم قواعد جديدة وتشريعاً متواصلاً !

« وهذه الحركة التي لا بركة فيها وهذا الجدال الذي لا ينتهي وحب المناقشة والمنابذة من نتائجها تضاؤل السلطة التنفيذية وتلاشي صورة الحكومة من اذهان الوزراء — تلك الصورة التي ينطوي تحتها فكر التضامن والشعور بالمسؤولية

« ويزداد النواب اعتقاداً بان لهم الحق في السيطرة على المصالح الادارية وتوظيف الاقارب والاصدقاء • اما الوزراء فقد اعتادوا النظر الى المسائل من الوجهة التي ترضي انصارهم • واكثرهم دهاء يستخدم مواهبه في القاء المشاكل يدخرها خلفه وينزوي في نظارته الى ان يعتلي منبر الخطابة فيقابل بالتصفيق ! ••• »

مضطرين لمطاوعة حزبهم الذي رفعهم الى مراتب السلطة ولا يزال يؤيدهم فان لم يظلموا الحبث في النفس ظلموا على كره منهم وعدوا ذلك من حسن السياسة في سبيل استبقاء المنصب • او يلبون نداء الضمير فيستقيلون وليس اظلم من حكومة لا يفوز فيها الرجال العادلون

كذلك اذا قنعنا من المسئلة بالوجه النظري وضربنا صفحاً عن طبائع الانسان وتأثير الاحوال حسبنا الحكومة لا تتعجل في اعمالها ولا تطيش لان الزمن متسع امامها ولان مسؤوليتها كبيرة فتتروى وتقدر كل خطوة من خطاها بحكمة وتبصر ولا تقدم على امر الا بعد الدرس والتمحيص • وهذا ايضاً زعم باطل • فان ازمة الحكم مضطربة ابداً في ايدي سادة اليوم وهم يعلمون ان ليس لهم الا سنتان او ثلاث او اربع لتنفيذ سياستهم وتحقيق أماني حزبهم فيشتغلون آناء الليل واطراف النهار بلا تردد ولا ابطاء قبل ان يسقطهم الحزب المزاحم فانه واقف لهم بالمرصاد يتحين ضعفاً يبدو منهم فيقضي عليهم قبل ان يقضوا بالبانهم • هذا سر العمل المتواصل الذي نشاهده في الحكومات الحديثة فيبهرنا لاول وهلة فاذا ما دققنا النظر وجدناه سطحياً اغلبه من قبيل الحركة الكاذبة ذراً للرماد في العيون وايهاماً للناس بانهم يتفانون في خدمتهم • ومعظم الباقي مبني على آراء خاصة بهم للتطرف فيها نصيب غير قليل فلا يتم حتى تنقضه الحوادث وتعلن ماخفي من عيوبه فيفطن لها الاهالي وقد صدمتهم عواقبها فتهيأ اذهانهم لفكرة النسخ والتغيير وتتجه انظارهم الى حزب آخر وهكذا الى ما يعلم الله

ان الملكية الموقتة لارض او غيرها تطفىء في صاحبها نار العزم وتقعده عن كل سعي ثمرته ذاهبة غداً الى غيره • او تحمله على انتهاز الفرصة لينال جنيه وبطنه ما استطاع الى ذلك سبيلاً • وهذا ينطبق على الحكومات وتختلف نتائجه خفة او خطارة باختلاف دائرة الحكومة صغيرة محدودة او كبيرة قابلة للاتساع — ونحن نرى انها تتسع يوماً فيوماً في الحكومات الحديثة

اعتبر بما يقع في بلاد حكوماتها على غير النظام الحديث : حكومات الشرق المطلقة فانها والحكومات الحديثة تؤدي الى نتائج واحدة • في الحكومات المطلقة يتغيرالنظار كل آن تبعاً لارادة الحاكم المطلق فتسود الفوضى في الادارة ونهب الاموال ولكن النهب والتبذير لا يظهران في أوربا كما في الشرق بل في صور لطيفة « قانونية » [1] يذهب

(١) — لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلماً منظماً (حافظ

المال بانشاء وظائف جديدة اسمية لا حاجة اليها • باحالة موظفين على المعاش قبل الاوان • ويتسرب من طرق اخرى كثيرة اهمها المكافئات والاعانات والاشغال العمومية وقد زاد المبلغ المخصص للمعاشات في فرنسا مائة مليون فرنك سنوياً من خمسة عشر عاماً وزاد عدد الموظفين في هذه المدة مائتي الف على الاقل[1] • فرغماً عن تباين نظام الحكومتين وتضاد وضعهما من مطلقة ونيابية ترى الفساد فيهما متشابهاً وسببه في الواحدة هو الملك ودسائسه وفي الثانية اهواء الشعب وجهله

لم ننته من تعداد مميزات الحكومة الحديثة • ومنها واحدة مجهولة بعض الجهل ولكن اضرارها خطيرة جدًّا وهي كيفية نظر الحكومة الى مصالح الامة والعمل لها • الحكومة الحديثة اساسها الانتخاب والمنازعة العنيفة بين الاحزاب فلا تتجلى المصالح الاجتماعية امام بصيرتها بصورتها العامة بل تظهر لها متفرقة مبعثرة مناقضة بعضها لبعض • او بعبارة اخرى لا ترى الا مصالح خصوصية — مصالح منتخبيها — وتحسب كالرجل الساذج ان المصلحة العمومية تتالف من مجموع المصالح الخصوصية • وهذا صحيح في بعض الاحوال فقط • فاذا عرضت لها مسئلة العلائق الجمركية مع البلاد الاجنبية مثلاً — وهي مسئلة ذات شان عظيم في هذه الايام ويختلف عليها كثيراً — اثرت عليها مصالح من ينتفعون من حماية التجارة او من يظنون انهم منها منتفعون (فان الظواهر تخدعهم في بعض الاحيان) وغفلت عما يعود به على البلد نظام التجارة الحرة من القوة واليسر باستنهاض الهمم[2] • وقس على ذلك الاعمال العمومية والتعليم الخ •

وهي لقيامها على الانتخاب وكونها وقتية ادعى الى تقدير المصالح الصغيرة القريبة دون مصلحة او مصالح اكبر ولكن بعيدة فتهمل واجباً من اهم واجبات الحكومة وهو

---

(١) — ولكل موظف صوت في الانتخاب وهو معرض اكثر من غيره لمراقبة الحكومة وتضييقها تستميله بالترقية او تضطهده فاذا اجتمعت هذه الاصوات كانت قوة في جانبها لا يستهان بها • وتسعى الحكومة الفرنسوية في شراء سكك حديدية في بلادها فاذا نجحت استخدمت في الانتخاب من يدخل تحت حوزتها من العمال العديدين • وفي الولايات المتحدة ترى الرئيس الظافر بعد ان انفق حزبه في سبيل انتخابه ملايين الريالات يجر وراءه في الحكومة اصدقاءه واصدقاء اصدقائه وجيران هؤلاء وجيران جيرانهم • • • • وللمحسوبية في تلك البلد الديمقراطية ما لها في اية حكومة شرقية • وهذا مثل آخر على ان الانسان لا تتغير نفسه بتغير نظام الحكومة

التحوط للمستقبل وتمهيد السبل له مهما كان بعيداً . »

انتهى كلام المسيو بول لروا بوليه . وكتابه كله على هذا النسق من الاستشهاد بالارقام والحوادث وتقديم التجربة وعبر التاريخ على التصورات الخيالية . فقد بحث في جميع وظائف الحكومة بحثاً ضافياً وخرج منه بالنتائج التي اجملها فيما سبق مؤيدة معززة بامثلة عديدة وخلاصتها ان الحكومة النيابية ليست احسن حكومة وان فيها العجز والتعسف والاسراف كما في الحكومة المطلقة وانها لا تغير اخلاق الشعب ولا تهذب طباعه بل تغير مظاهر فساده . ومثله معها كمثله مع سائر النظامات يصبغها بصبغته ويدمغها بطابعه وقلما يتأثر منها الا على قدر معلوم . لقد اساء التصرف في الدين فحول التعلق به الى تعصب اعمى ولم يفده ذلك التعلق شيئاً في تجميل نفسه وقمع شهواته بل اكتفى من الدين ببعض الفرائض الظاهرية او بمجرد الانتساب له — افيريدونه على ان يحسن التصرف بالنظام النيابي ؟

وقد انتبه كثير من الكتاب الى هذا الرأي قبل المسيو بوليه وبعده واخذوا يشكون من عيوب الحكومة الحديثة وقد برزت الى حيز العمل بعد ان اعجبوا بمحاسنها على الورق . قرأت مقالة كتبها المسيو جبربل بوبوا (G. Beaubois) في مجلة « الحركة الاشتراكية » وكان لها صدى في عالم الصحافة الفرنسوية اترجم منها بضعة اسطر لان الكاتب والمجلة بمعزل عن كل ريبة ولا يمكن ان يتهما بميل الى الملكية . « كم من مرة صرحت هذه المجلة بعجز الديمقراطية . . . عن تحكيم المبادىء العالية في امور الحياة . ويظهر ان كل ما يحتمل القول في هذا الموضوع قد قيل ولكن كل يوم يأتينا بادلة جديدة على صحة رأينا ويقنعنا بان الفساد الديمقراطي لم يبلغ في زمن ما مبلغه في هذه الايام المضطربة والسلطة قد احتكرها نفر يحاولون قتل كل ميل الى الحرية في النفوس . . . »

وقال عن طائفة السياسيين انهم « لم يخرجوا من طبقة معينة من الهيئة الاجتماعية بل هم خليط من الهيئات لا تضامن بينهم وبينها لان ليس لهم مصالح واعمال . فيسعون في

---

(٢) دعي الشعب السويسري منذ عامين للتصديق على قانون الغاء تجارة الكحول (Referendum) فعارضه المنتفعون من هذه التجارة معارضة شديدة حتى خشي عليه العقلاء ولكنه نفذ اخيراً بارادة اغلبية بينها وبين الاقلية فرق قليل من الاصوات . ففي هذه المرة ايضاً تصادم مبدأ سام فيه صحة الافراد وخير العائلات ومستقبل الوطن مع مصالح مادية كادت تقهره

تجارتهم و يتظاهرون امام الشعب بالحكمة والارادة الصالحة والقدرة على التاليف بين المصالح المتنافرة وسيادة السلام الاجتماعي وتحقيق الاماني الادبية والعقلية . وما عملهم في الحقيقة الا كذب ورياء » ثم انتقد وزارة كليمنسو من الانتقاد لاستبدادها واستخفافها بالحق والعدل في حوادث كثيرة عددها واحدة واحدة الى ان قال : « لقد هدمنا الباستيل ولكن هل صلحت الحال عن ذي قبل ؟ هل انمحى الظلم ؟ لقد قمنا بعدة ثورات ولكن حكامنا الديمقراطيين اشد وطأة علينا من الملوك القدماء ووزرائهم »

اضرار سلطة الامة

ولم اكن لاشدد هذا التشديد واجمع الاقوال والشواهد من كل طرف لو ان مذهب سلطة الامة قاصر على كونه خطأ عقليًا لا يترتب عليه ادنى عاقبة . ولكنه سبب كثير من البلايا وفي طيه اخطار جمة — انه يشجع الناس على الفتن والثورات ويبررها في نظرهم فيتوهمون انهم ابطال الحرية يعملون لسعادة بلادهم والانسانية . اليس للشعب الحر المطلق الحق في ابدال وكلائه بغيرهم متى اراد ؟ « ان الشعب غير ملزم بترك السلطة المدنية لحكامه ولا السلطة الحربية للقواد . وهو حر في تغيير شكل الحكومة في كل وقت ! » ومن يراجع تاريخ فرنسا في القرن الماضي يتحقق ان هذا القول اتبع بحرفيته فانها قامت بعدة ثورات بعد الثورة الكبرى الى ان اعياها الجهد وذهبت منها الاخلاق فقنعت اخيرًا « بالاستبداد الديمقراطي » . وفي مصر سمعنا غير مرة حديثًا كهذا : « كل حكومة شخصية مهما كانت عادلة تستأثر بحق الحكم فهي حكومة غاصبة حق غيرها وحكم الغصب الرد دائمًا كلما امكن ذلك من غير ان يكون للرد ظرف خاص او زمن معين » (الجريدة) وبين فكرة الرد وفكرة الاسترداد مسافة قصيرة جدًا اذ لكل امرىء الحق في استرداد حقه المغصوب سيما اذا كان ذلك الحق المغصوب ثمينًا وضروريًا له . واي شيء اثمن من الحرية واعز واكثر ضرورة منها لرقي الامم وسعادتها كما يدعون غير مفرقين بين الحرية الادبية والحرية السياسية . وفي جريدة اخرى معروفة نقرأ من حين لآخر تعريضًا بالامير من حيث هو امير لا يمنح شعبه « الدستور » لا من حيث انه اتى عملًا يستحق من اجله الانتقاد كالاستبداد والعبث بالحرية الشخصية . كل هذا من شانه ان يولد الحقد في الصدور والكبرياء في الاذهان ويعدها للثورة مع ان الواجب المتحتم على كل امة ان ترضى بكل حكومة عادلة

اني ابحث بحثًا علميًا ولا دخل لي في السياسة العملية ولكن هذه ملاحظات دخلت

في دائرة الواقع ولا حرج فيها على احد من الناس

وآخر نتائج هذا المذهب الفوضى اي عدم وجود حكومة مطلقاً . وروسو لم يتقدم الى هذا الحد من التطرف ولعله لم ينتبه لجميع نتائج رأيه المنطقية كغيره من الكتاب والفلاسفة يبتدعون رأياً ويطبقونه على ما يتيسر لهم او بالاحري على ما استوقف نظرهم في عالمي الفكر والعمل وحدا بهم الى ابتداع الرأي وهم في الغالب يكملون نقصاً أو يصدون تياراً وعلى كل حال يبتغون اصلاحاً فيحومون حول دائرة النزاع لا يتعدونها ولا يحفلون بتتبع رأيهم في كل مناحيه . ثم يأتي بعدهم من يتناول الرأي ويقلبه من كل جهة ساكن الجأش رابطه ويستخرج منه ما شاءت حيلته وقادته اليه حرأته . قال برودون الفوضوي الفرنسوي الشهير : « بعد ان قرر (روسو) ان السلطة للشعب وحده وان لا يمثله الا جميع افراده وان القانون باجماع الكل ترك هذه القضايا واحل ارادة الاغلبية محل ارادة الكل وأشار بتسمية نواب بواسطة الانتخاب يحكمون باسم الشعب ويسنون القوانين . لقد كان الظلم الصادر من الملوك مكروهاً ممقوتاً لكنه يعيده لنا ويريدنا على احترامه لصدوره عن الشعب كما يقول[٢] » — وقال روسو ان الفرد بخضوعه للقانون في الحكومة الديمقراطية الحرة لا يخضع الا لارادته » كيف تسن القوانين لمن يفكر بنفسه ولا يسأل الا عن افعاله ! — لمن يريد ان يكون حراً ويشعر انه وجد ليكون حراً ؟ اني انبذ القوانين ولا اعترف بواحد منها واحتج على كل قيد تثقل به حريتي ..[٣] وقال روسو وأصاب : لا يطيع احد الا القوانين التي قبلها حراً مختاراً ، وقوانين الاغلبية لا تتوكا على الحق بل على القوة . فلكي أظل حراً يجب ألاّ اخضع لغير ارادتي وان أحكم نفسي بنفسي — يجب العدول عن الانتخاب وعن الملكية[٤] »

---

(١) — العقد الاجتماعي تاليف روسو – الكتاب الثالث — الفصل الاول

(٢) — من كتاب « الفكرة العمومية للثورة في القرن التاسع عشر » صفحة ١٣٠ — وقد عزونا لروسو عكس ذلك في المقال السابق استناداً على كثير من اقواله ولا يطمعن احد في استيعاب ارائه والتوفيق بينها فهذا امر متعذر جداً بل مستحيل لما حوت كتاباته من المناقضات الصريحة والسفسطة والتعمية ساعده على ذلك ما رزق من قوة البيان وبراعة الاسلوب

(٣) من الكتاب المذكور صفحة ١٤٩ (٤) من الكتاب المذكور صفحة ٢٣٥

أي عن الحكومة بنوعها

فالفوضويون ذوو الوجود العابسة والنفوس المضطربة والميشة المنغصة - اصحاب الخناجر والمسدسات والقنابل المدمرة - من ترتعد لذكرهم فرائص الملوك والامراء ورؤساء الجمهوريات وكل حاكم على وجه الارض - ليسوا وحوشاً ولا يقتلون لمجرد القتل - هم تلاميذ روسو ولكن احذق منه في المنطق وأمهر في فن الاستنتاج وأقدم على المخاطر فعلون لما يقولون علامة اليقين الثابت والخدمة الصادقة • ليس من غرضهم اعدام الحياة الاجتماعية ولكن نظاماً جديداً لهذه الحياة قام في عقولهم فحرك ايديهم • انهم يريدون تأسيسها على قواعد أخرى ••• او بالاحرى يريدون القضاء على القواعد والترتيبات - القضاء على الحكومة والقوانين والجيش • يريدون حياة حرة يصرف فيها الانسان مواهبه وملكاته بلا قيد ولا شرط • « الفوضى ادراك للاجتماع لا يبقى معه مجال للاقليات المستبدة كالكهنة والقواد والقضاة - هي ارقى تمثيل للحياة الاجتماعية يحكم فيها المرء نفسه ويتمتع المجموع بكل انواع الحرية ••• [1] »

كلام في كلام شرحنا مقدماته عن روسو والنتائج عن التلاميذ فاذا الثانية من جنس الاولى والكل كتلة واحدة اجزاؤها متناسقة ومحكمة الوضع بدقة هندسية - مما يصح ان يكون عذراً لهؤلاء المجانين ويجعلهم في نظر العاقل الحكم احق بالشفقة منهم بالبغض والاحتقار لانهم يضحون منفعتهم الذاتية ويقدمون انفسهم للموت في سبيل ما يحسبونه خيراً للعالم ومن كان هذا شأنه استحق الاحترام بقطع النظر عن صحة رأيه وفساده وعن نتيجة سعيه حسنة او سيئة اما من اجتمعت فيه النزاهة والهمة العالية والراي الصحيح فحقيق بالاعجاب فضلاً عن الاحترام

***

قال سبنسر : « انا ننسى غالباً ان في كل خطأ روح حق » لولاها ما وجدت الضلالة سبيلاً الى الذهن • وأصل الخطأ حقيقة غولي في تطبيقها او لم تفهم تمام الفهم • ويقضي عليّ الصدق والاخلاص الا أتعامى عن اشعة الحق المتلألئة في ثنايا مذهب سلطة الامة والا أنسى ذكرها - ولا أريد ان أنسى • صحيح ان الشعب لم يخلق متاعاً للملك ولكن الملك وجد لصالح الشعب • وواجب الملك مراعاة الفائدة العمومية في احكامه ليس الا • وللشعب حق واضح في ان يحكم طبقاً لمبادىء العدل والانصاف • وله ان يرفض الطاعة

---

(١) - كروبوتكين • الفوضى وفلسفتها صفحة ١٧

للاوامر التي لا يظهر عليها قصد المنفعة العامة او التي فيها غبن له واجحاف بحقوقه صريحين متوخياً سعادة المجتمع وتقدمه بما ينبغي من التحفظ والحكمة متجاوزاً في بعض الاحيان عن بعض الحقوق درءاً لما يجره دائماً استعمال العنف مع الملك من البلايا التي لم تكن في الحسبان ومفضلاً تحمل اهون الشرين . يحمل ذلك لحفظ كيانه وقضاء حاجته من الحياة لا تطلعاً لحقوق وهمية وتهجماً على سلطة لا قبل له بها

والواجب على الملك اشراك اكابر البلد في الحكم لانهم أدرى بمصالحها وطرق اسعادها فاذا كانت الامة على جانب من العلم والمدنية أشرك معهم الآخرين مانحاً كل فرد منهم من السلطة على قدر كفاءته واستعداده

هذه حقائق معروفة منذ القدم اخذها روسو واطلقها وتشدد فيها كثيراً فصادف كلامه هوى في الافئدة وارضى المبتلين بحب الذات وهم معظم الناس فاقنعهم بان لهم كذا وكذا من المزايا والحقوق فزاد حبهم لذواتهم واعجابهم بانفسهم لان هذا الداء الخبيث ينمو بالتملق والخداع او بمقارنة الانسان نفسه بمن هم دونه فيتراءى له انه شيء كبير

هذا سبب انتشار تعاليم روسو وأصل الكبرياء المتفشية في صدور اهل هذا العصر فاورثتهم الشرور بدل السعادة والتقاطع بدل الاخاء فتراهم قائمين بعضهم على بعض « العمل على رأس المال » و « الافكار الحرة الجديدة » على « الافكار العتيقة القديمة » حتى طغى سيل الفئة الدنيا وتزعزعت اركان كل سلطة وايقنا ان هذا العالم الاوروبي سائر الى الفوضى والخراب . والله يذل المتكبرين يوسف كرم

قصة مجرم

انشأ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي مقالة يخاطب فيها مشنوقاً ويثبت أن لهذا المجرم شركاء في جريمته وهؤلاء الشركاء هم ابواه والمجتمع والحكومة فبعث اليه الناظم وهو صديق له بهذه القصيدة يؤيد فيها رأيه ويستشهد بقصة انها حدثت قبل انها مضى لبعض المجرمين :

يا صاحب النفس الذكية والفتى الـ ... داعي الى الاصلاح والخيرات

لا فض فوك ولا برحت مؤيد الـ ... آراء فينا صادق « النظرات »

---

(١) اشارة الى مقالات ينشرها الكاتب في صحيفة المؤيد تحت عنوان النظرات

اضرب على نغمات (هوجو[1]) انهُ قد كان يألفُ هذهِ النغمات
أو (فيلسوف الروس[2]) أوحد عصره ربّ اليراع الساحر النفّاث
واحمل على اهل المظالم حملة من دونها الحملات في الغزوات
وأعد لنا عهد (المعري) والالى كانوا الى الاصلاح خير دعاة
كانوا لرأفتهم وحسن خلالهم لا يفزعون الطير في الوكنات[3]
ويرون تربية النفوس على التقى اولى من الاعدام بالالات
ولكم أثاروا سخطهم واستصرخوا من جور حكام وظلم قضاة
لا شيء فوق العدل الا رحمة الـ إنسان بالانسان في الزلات
ان تقتلوا يا قوم يوماً فاقتلوا جهلاً غدا مستحكم الحلقات
أو تعدموا شيئاً يضرّ فاعدموا فقر النفوس وطبّبوا العلات
في كل يوم تنصبون مشانقاً وتمكّنون الحبل في الرقبات
ونرى السجون على تعددها قد امـ تلات باهل البغي والنزغات
ونرى لكم خوف الطغام وسطوهم حاواء باسلة بكل جهات
فهل استتب الامن في الدنيا وهل بات المهدَّدُ آمن الهجمات
وهل الجرائم لم تعد تترى وهل كفَّ الجناة وسالموا المهجات؟
لو أنصف الناس استراح قضاتهم والنصف لا يأتي بغير حصاة
والناس ما داموا على جهل فلا عقلٌ يردهموا عن الشهوات
لا تحرموهم نعمة التعليم واهـ دوهم الى الخيرات والحسنات
اعطوهموا بدلاً من الجلاد إنـ ـساناً يقوِّمُ فيهمُ الملكات

(١) فكتور هوجو الشاعر الفيلسوف الفرنسي مؤلف كتاب البؤساء
(٢) تولستوي الروسي رأس الفلاسفة
(٣) اشارة الى بيت المعرّي :

ولا تفجعنَّ الطيرَ في وكناتها بما وضعت فالظلم شرّ القبائح

الله رحمنٌ فكونوا مثلهُ رحماء بالانسان في السقطات
لا تنصبوا هذي المشانق واجعلوا دور العلوم فسيحة الساحات
فلرُبَّ مدرسة تشادُ فتهدم الـ ـسجن الحصين وتقشع الظلمات

***

اني لأذكر قصةً عن مجرمٍ فاضت لدى تذكارها عبراتي
فعسى يرى الآباء فيها عبرةً وتكون للابناء خير عظات
حكم القضاةُ على فتىً بالموت إذ قتل امرءًا ليفوز بالسرقات
فأتوا بهِ عند الصباح مكبلاً ما بين فرسان وبين مشاة
اخذوا مسالكه عليهِ واوصدوا في وجههِ ابواب كل نجاة
ودنوا بهِ من آلةٍ سوداء قد نصبت لاعدام الأثيم العاتي
وتلوا عليهِ الحكم وهو مروَّعٌ تبدو عليهِ صفرة الاموات
سألوهُ قبل الموت عما يشتهي فاجاب هيا عجلوا بمماتي
لكنهُ بين الجموع رأى لهُ أماً تنوحُ باسوإِ الحالات
فبكى وقال دعوا الحزينة لحظةً كيما اقبلها قبيل وفاتي
فدنوا بها منهُ فقال تشجعي يا أم هذي آخر اللحظات
مدّي لسانكِ كي اقبلهُ ولا تبكي فموتي لا محالة آتِ
مدّي لسانكِ انهُ عذبٌ وما اربى الى القبلات في الوجنات
مدّت له منها اللسانَ ولم تكن تدري بما للابن من نيات
فدنا يقبلها ولكن صرخةً منها دوت والناس في دهنات
نظر الجميع الى الفتى فاذا بهِ قطع اللسان وقال ذي الكلمات
لو لم يكن هذا اللسان مشجعاً لي في الجرائم ما فقدتُ حياتي
هذا انتقامي منكِ يا أمي ولا لومٌ عليَّ وهذه ثاراتي
إهمال تربية البنين جنايةٌ عادت على الآباء بالويلات

فؤاد سليم

صحة العائلة

الوقاية من الجدري

نعود في الهلال الى هذا الموضوع الذي تعددت الكتابة فيه لما نراه اليوم من تفشي الجدري في هذا القطر وتهامل اكثرهم في اتخاذ الوسائل اللازمة لتلافي اخطاره وقد رأينا ان نختصر هنا ما كتبناه قبلاً في غير هذه المواضع عن التطعيم وضرورته ونتائجه مستندين في ذلك الى احدث ما نشر في هذا الباب

أصبح التلقيح ضد الجدري من الامور الثابتة نفعها الواجب قضاؤها واعداء هذه الطريقة لا يتجاوزون عدد الانامل • وكفى برهاناً على فائدته ما صار اليه الجدري من التقلص والضعف بعد ان كان من اعظم الآفات التي مني بها الانسان وبعد ان ملأ المستشفيات بالعميان والقبور بالموتى واهان الخليقة بما شوه من محاسن الخلق في اكثر سكان المعمور

ومع ذلك فان كثيرين يحجمون عن قبول التلقيح او تكراره اما تهاملاً واما حذراً معتقدين ان التطعم اثناء الوباء مجلبة للداء وان من أصيب بالجدري او لقح باللقاح الوافي منه كان في أمن من الوقوع فيه ثانية • ولا ريب ان اعتقادهم الاول ان التلقيح في مدة انتشار الداء مساعد على ظهوره ناجم عما يعرض احياناً من ظهور الجدري بعد التلقيح وذلك اذا صادف التلقيح في طور حضانة المرض اي بعد ان يكون دب الى الجسم وقبل ان تظهر اعراضه الخارجية فينسبون الداء الى عملية اللقاح ولا يدرون انه كامن في الجسم قبل ان تجري هذه العملية • والحقيقة ان التلقيح ضروري ولاسيما ايام انتشار المرض وهو اذا لم يقدر ان يوقف سيره في الانسان الواحد كأن يكون التلقيح في طور الحضانة فقد يخفف من وطأته ويقصر مدته

واما اعتقادهم الثاني من ان المناعة المكتسبة بالتطعم مرة تغني عنه ثانية فوهم نزع عنه الحجاب بما أيده الاختبار حتى ان الجدري نفسه قد يعيد الكرة على من أصيب به سابقاً ولا يتوهم من كان الداء عليه شديد الوطأة من قبل انه اقل تعرضاً له من سواه فشدته دليل على ان جسمه اكثر قابلية له من غيره وربما عاوده فكان ايضاً شديد الحملة •

فاذا كانت المناعة المكتسبة بالجدري لاتقوى على دفعه دائماً فما قولك بالتلقيح وهو اخف سبباً واقصر عمراً ولذلك يجب على المرء ان يعيد التطعم كلما دعت الضرورة . وقد قدر عمر المناعة المكتسبة بواسطة اللقاح فكان معدلها خمس سنين يعني انه يجب اعادة التلقيح بعد انقضاء هذه المدة

كان الانكليز يلقحون الجدري نفسه للوقاية منه وقد اخذوا هذه العادة عن سكان القسطنطينية سنة ١٧٢١ وكان جنر من القائمين بهذه الطريقة في موطنه من مقاطعة برستلي . وكان لسكان هذه المقاطعة اعتقاد ثابت ان المعتنين بتربية البقر في مأمن من الجدري فسمع جنر بذلك وسعى في اكتشاف هذا السر فعرف بعد البحث ان السبب في هذه الوقاية بثور تظهر في الايدي اشبه ببثور الجدري ثم تبين له ان هذه البثور منتقلة الى الرعاة بالعدوى من بثور مثلها موجودة في احلاف البقر

وايد له ذلك تجربة اجراها على طفل عمره خمس سنين لقحه من بثور البقر فظهر فيه مرض نفاطي ممتاز بذاته . واراد بعد ذلك ان يحقق اذا كانت هذه البثور تكسب الجسم مناعة دون الجدري فلقح بها صبياً اسمه جامس فيبس في الثامنة من عمره مستمداً اللقاح من فتاة اسمها سارة مصابة بهذه البثور ثم لقحه بالجدري الانساني بعد مرور شهرين على ذلك لم تظهر فيه اعراض الجدري فكان ذلك اليوم المشهور تاريخ اكتشاف جنر (١٤ مايو سنة ١٧٩٩) وقد صادفت طريقته موانع دون انتشارها شأن كل اكتشاف جديد في العالم حتى اضطر البرلمان في انكلترا ان يصدر قراراً رسمياً بوجوب استعمال التلقيح بمادة الجدري البقري وطرح العادة القديمة التي لم تكن تسلم من الخطر

القابلية للتلقيح — ليس في الناس من لا يقبل دمه هذا اللقاح بل كلهم في حالة صالحة لاخذه الا فيما ندر والعامة تسمي من كان في هذه الحالة من المناعة الطبيعة « عظمه اطرش » . والقابلية لجدري البقري او اللقاح اكثر مما هي للجدري البشري الا ان المناعة الباقية بسببها اخف من المناعة التي يخلفها الجدري واقصر مدة فهي على نسبة واحد الى اثنين ولهذا يجب تجديدها . ولا يستثنى الاطفال من هذه القابلية بل ان الجنين للشهر الرابع من تصوره في الرحم قابل ايضاً للتأثر بالتلقيح . ولا تزول مع كبر السن والهرم وهي تزيد على زعم بعضهم ايام الحبل والنفاس والرضاعة كما تزيد القابلية للجدري في مثل هذه الاحوال ايضاً ولا تأثير للسلائل والاحوال الجوية عليها . وظهور المناعة يكون في اليوم الثامن لعهد التلقيح ويمكن للجنين اكتسابها وهو في بطن امه بالعدوى او بانتقال المناعة

اليه سواء كانت مناعة الجدري ام التلقيح وقد تبقى فيه القابلية وان زالت من امه بالتلقيح . وقد بحث بعضهم في تاثير جدري الآباء في الابناء فوجدوا انه قلما تنتقل المناعة بالوراثة اذا تكون الجنين بعد اصابة الاب او الام . وكذا في اثناء الاصابة الا اذا جاءت متاخرة فوافق طور التقشقش وهو الاخير من اطوار الجدري ولادة الولد فان التلقيح حينئذ قد لا ياخذ مجراه

المناعة بعد التلقيح — لا حاجة لظهور النفاط بعد التطعيم لتتم المناعة او بالاحرى لا يمنع عدم ظهور النفاط حصول المناعة فقد جرب بعضهم ذلك بكي موضع الجرح بنترات الفضة قبل الطفح فما ظهر النفاط ولا وقفت المناعة . واخذ غيره قطعة من جلد الثور بعد ست وعشرين ساعة من تلقيحه وخاط الجرح في موضع التلقيح فالتأم بالمقصد الاول بدون حمى واخذت المناعة مع ذلك مقرها في الجسم . اذاً ليست اعراض اللقاح الموضعية من مقتضيات المناعة ويمكن اكتساب هذه عن غير طريق الجلد بوضع حمة المرض على قزحية العين او حقنها في وداجي الثور او سائل العين المائي

تلك هي حال المناعة المكتسبة بواسطة التلقيح ضد التلقيح ثانية . اما ما كان منها ضد الجدري فقد اثبتت تجارب الاطباء انها لا تتم في الايام الاول وقد لقح بعضهم عدداً غير قليل بالجدري البقري ثم بالجدري الانساني فكانت العلتان تسيران سيرهما الطبيعي الواحدة الى جنب الاخرى . مالم يلقح الجدري بعد مضي اليوم الرابع على التلقيح الاول فان الانسان قد يكون حينئذ في مأمن من الجدري بما اكتسبه من المناعة الا ان هذه المناعة لا تكون اكيدة على الاطلاق قبل اليوم الحادي عشر

كيف تحصل هذه المناعة — يغلب القول ان السبب في ذلك وجود مادة جديدة في الدم تغير في كيفيته ولكن هل تحمل هذه المادة جراثيم قائمة بذاتها ام هي سم مستقل بفعله ؟ فقد ظهر بالامتحان ان اعراض التلقيح ليست نتيجة مرض موضعي كالدفتيريا مثلاً فان المكروب في هذا الداء ينحصر في مكان ومنه ينفث سمه في الدم وليس هذا شأن اللقاح بدليل حصول الاعراض دون وجود الاثر الموضعي وعلى ما اظن ان المسألة بعيدة الحل مادام العامل المرضي لهذه العلة اللقاحية مجهول

الاعراض الناجمة عن التلقيح — لها سير معروف لا يتغير اذا روعيت قواعد النظافة وقت التلقيح . ففي الطور الاول وابتداؤه من اليوم الرابع تظهر على الجرح حبة فتكبر وتمتلىء سائلاً شفافاً صافياً ويحوطها هالة حمراء الى اليوم الثامن فيبتدىء طور التلقيح واعراضه

الحمى وانحلال القوى وتلبك المعدة وصداع الرأس واحياناً تضخم الغدد اللفاوية المجاورة ويتحول لون السائل الى الكدورة حتى اذا جاء اليوم العاشر يبتدي الطور الثالث فتأخذ الحبة تنشف حتى لا يبقى منها في اليوم الرابع عشر غير قشرة سميكة ملتصقة تسقط في اليوم الثامن عشر تاركة اثرًا لا يمحى . وقد تكون اعراض التلقيح عمومية فلا ينحصر النفاط في موضع الجرح بل يظهر في جهات مختلفة من الجسم اما التلقيح الذي تظهر بثوره في اليوم الثاني فهو فاسد لا يعطي الجسم ادنى مناعة

وقبل ان نختم هذه الرسالة يجدر بنا التنبيه الى امر عظيم الاهمية وهو ان الطريقة التي تعودها البعض بتلقيح الانسان من الانسان قد تكون شديدة الخطر بنقلها بعض الامراض العائلة فالاحسن ان لا يعتمد بعد اليوم على غير اللقاح المأخوذ من الحيوان

اذا تأكدت ايها القارىء مما تقدم ضرورة التلقيح بالجدري البقري وسهولة اعراضه وتبين لك ان عملية الوقاية سهلة بسيطة تنقضي بوخزة ابرة لا بطعنة سيف قدرت هذا الاكتشاف حق قدره واسرعت الى طبيبك بفرح واستبشار باسطاً له يدك وكاشفاً عن ذراعك

الاسكندرية الدكتور نقولا فياض

متى يجب قلع الاسنان

في الاطفال

لا يجوز قلع اسنان الاولاد في طور الطفولية مالم تنخت وتدرم (اي تتحرك ليستخلفها غيرها من الاسنان الدائمة) وبعبارة اوضح نقول انه لا يسوغ لانسان ان يسرع بقلع سن حليبية مسوسة لولد عمره من ٣ الى ١٢ سنة الا اذا كانت قابلة التبديل ومتخلخلة بل يجب مداواتها وحشوها اذا امكن عند طبيب مدرمي فتبقى لمدة سقوطها وتبدلها الطبيعي حتى ان الاسنان والاضراس التي تصاب بخراريج او التهابات حادة وتحدث انتفاخاً وورماً في الفك كثيرًا ما لا يستصوب قلعها في احوال كهذه بل قد يستسهل فتح تجويف السن وافراغ المادة الصديدة منها ومن ثمة معالجتها بالطرق الفنية وابقاؤها الى مدة التسنين الثاني

ورب قائل يقول ما المنفعة من مداواة اسنان الطفل وتعريضه لاحتمال مشقات التطبيب في حين ان هذه الاسنان على وشك السقوط وقريبة من ان تتبدل فالجواب هي ان استبقاء الاسنان الزمنية تحت مراقبة العلاج واجب لاسباب :

المص

(البك سوريا) سليم افندي رزق

حفرنا بئراً عمقها ١١ متراً فجاء ماؤها غزيراً واردنا نزحه فلم نفلح . فاذا وضع في البئر قسطل يمتد من اسفل البئر في الماء الى اعلاها ثم يمد الى مكان على بعد ٢٠٠ متر من البئر واوطأ من قاعها وسددنا فوهة القسطل المذكور ثم ملأناه ماء يتصل بماء البئر في قاعها . واذا فتحنا الفوهة المشار اليها ينصب الماء منها فهل يبقى جارياً بلا انقطاع

❊ الهلال ❊ نعم ولا يزال جارياً ما دام في البئر ماء بشرط ان يبقى القسطل مضبوطاً لا يدخله هواء . وهذا ما يعبر عنه في اصطلاح الطبيعيات بالمص

غرائب الجراحة

تبديل القلوب والكلى

هل اغرب على السمع وادعى الى الدهشة من قولهم «ان قلب فلان قد تعطل من حؤول او ضمور فابدله بقلب سليم» او «اصاب كليته التهاب حتى عجزت عن تأدية وظيفتها فابدلها بغيرها كما يبدل زنبلك الساعة (الياي) اذا تعطل؟» انها لأمنية يتمناها الناس من قبيل تمني المستحيل و يتعللون بامكانها كما يتعللون باضغاث الاحلام . على ان بعض الاطباء يشتغل الآن بتجارب يرجو ان يتوصل بها الى هذه الغاية او ما يقرب منها . نعني الدكتور الكسيس كرل في معمل روكفلر بامركا . فقد نشرت مجلة مكلور الانكليزية تجاربه من هذا القبيل وهذه خلاصتها :

اهتم الدكتور كرل منذ كان طالباً في جامعة ليون باستخدام اعضاء الحيوانات السليمة للتعويض بها عن اعضاء عليلة في الانسان وكان يرى ذلك ممكناً . فجاء سنة ١٩٠٥ الى الولايات المتحدة باميركا وتعين في جامعة شيكاغو والحق في السنة التالية بمعمل روكفلر فاخذ يشتغل باخراج فكره المشار اليه الى حيز العمل . فاستنبط في خياطة الشرايين والاوردة طريقة جديدة بابرة رفيعة وخيوط حريرية دقيقة وبرع فيها حتى توصل الى قطع الاورطى (الشريان الاكبر) على مسافة قصيرة من القلب وخياطة بدقة بحيث يعود الى اصله وقد

جرب طريقته هذه في الحيوانات فاتى بالغرائب بنقل الاعضاء او بعض اجزائها من حيوان الى آخر · فنقل اورطى كلب وخاطه باورطى كلب آخر · وقطع اجزاء من جدران الاورطى في القطط والكلاب وخاطها في غير امكنتها بسهولة تحت البنج الثقيل · فكان ينبج الكلب تبنيجاً تامًّا ويجري فيه ما يريده من قطع وخياطة والكلب لا يشعر بالم في اثناء العملية ولا بعدها والجروح تلتئم بسرعة ولا يحدث نزف او التهاب · فلا يلبث الكلب او الهر ان يفيق من البنج حتى يعدو ولا يدري ان دمه يجري في وعاء ليس له · وعند الدكتور كرل الآن هرة صحيحة الجسم شريانها السباتي منقول اليها من كلب له في منزله · ونقل قطعة شريان من ركبة احد الناس وخاطها في اورطى كلبه · ونقل بعض معاونيه قطعاً من شرايين الارانب والقطط الى الكلاب

واتصل بتجاربه المذكورة الى استخدام الاوردة في « ترقيع » الشرايين لان الشرايين اذا تعطل احدها واريد ابداله بشريان اخر لايتأتى ذلك اذ لا يمكن الاستغناء عن شيء منها بدون خطر على الحياة · بخلاف الاوردة فان منها جانباً كبيرًا يمكن الاستغناء عنه بسهولة « فيرقع » به ما تعطل من الشرايين · فترقيع الشرايين على هذه الصورة يرى الدكتور كرل انها قد تعيد الحياة الى الميت — قال صاحب المقالة :

« يعترف الاكثرون منا ان القلوب والكلى يمكن اعادة الحياة اليها بحيث ترجع الى عملها بعد ان تكون قد توقفت ومات اصحابها · فاذا استطعنا نقلها وغرسها حالاً في جسم حي يمكن رجوعها الى عملها · وهذه حقيقة طبية ثابتة فقد استخرجوا قلباً بعد موت صاحبه بثلاثين ساعة واعادوا اليه عمله (الانقباض والانبساط) ونقل الدكتور كرل قلب احد الكلاب ووضعه في عنق كلب آخر ووصل بين اورطي القلب المنقول وشريان السباتي من هذا الكلب بالخياطة الرفيعة · وكذلك بين الوريد الاجوف والوريد الوداجي فاصبح الكلب وله قلبان يشتغلان معاً احدهما ينبض ۸۸ نبضة في الدقيقة والآخر ينبض مئة نبضة !

« وعند الدكتور كرل صندوق مبرد في الجليد يختزن فيه قطعاً من الشرايين والاوردة لاستخدامها في « الترقيع » عند الحاجة · وقد استخدم بعضها لهذه الغاية بعد حفظها ثلاثين يوماً في ذلك الصندوق فأتت بالغرض المطلوب كانها قطعت بالامس · كأن الطبيعة تترك بذلك فترة للانسان يفرق فيها بين موت الشخص وموت اعضائه — اذ قد يموت الانسان واكثر اعضائه سليمة كأن يموت من علة في القلب وتكون كبده وكليتاه سليمة او يموت بعلة الكبد وقلبه سليم · فاذا نُزعت الاعضاء السليمة ساعة الموت يمكن حفظها في

الجليد مدة طويلة لحين الحاجة

« وقد تظهر القلوب او قطع الشرايين المختزنة في الجليد ذابلة جافة ولكنها حالما توصل بالحيوان الحي تعود الى الحياة . ورفات صاحبها الاول قد صارت ترابا »

ويرى الدكتور كرل ان دفن الميت برمته اسراف والاولى في اعتباره ان تحول المدافن الى مخازن مجلدة تحفظ فيها الاعضاء السليمة بعد موت اصحابها . وقد اخذ في الاقتناع من تجاربه فعلاً فشفي بعض فقراء الدم من الانيميا الضعفية بنقل الدم الى احد شرايينهم من شريان بعض الاصحاء . ويتوقع ان يشفي الانورزما بابدال الشرايين المتهرئة فيها بشرايين سليمة

ولا يزال الدكتور المشار اليه يشتغل بهذه التجارب النافعة في معمل روكفلر ومعه المعاونون والتلامذة . واكثر تجاربه على القطط والارانب والكلاب ولا يشعر حيوان منها بأذى لانه يجري التجارب عليها بعد التبنيج . واذا مات احدها فيموت مبنجاً فلا يشعر بالالم ويذهب ضحية في خدمة النوع الانساني

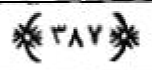


مجلس المبعوثان

بالنظر الى لغات اعضائه ومذاهبهم الدينية وآرائهم السياسية

كتب سانتو سيمو احد كبار الكتاب الذين خبروا احوال تركيا وله معرفة جيدة باحوال البرلمان العثماني مقالة وصف فيها اعضاء مجلس المبعوثان من حيث اللغة والدين والآراء السياسية ــ وخلاصة ذلك ان عددهم ٢٦٠ عضواً يقسمون بالنظر الى اللغات او الاجناس على هذه الصورة :

	عدد	
اتراك	١١٩	عضواً كلهم مسلمون
عرب	٧٢	وصل منهم ٤١ عضواً كلهم مسلمون الا واحداً مسيحياً (البستاني)
يونان	٢٣	كلهم مسيحيون ارثوذكسيون
البانيون	١٥	« مسلمون
ارمن	١٠	« مسيحيون غريغوريون





الجزء السابع من السنة السابعة عشرة

١ افريل (نيسان) ١٩٠٩ و ١٠ ربيع اول سنة ١٣٢٦



الدستور الفارسي

تاريخه

ان اول دولة اسلامية اعلنت الدستور الدولة العثمانية سنة ١٨٧٦ تليها الدولة الفارسية اعلنته سنة ١٩٠٦ وكما تعطل دستور العثمانيين بعد سنة وبعض السنة تعطل الدستور الفارسي بعد نحو تلك المدة . ولا يزال الفارسيون يجاهدون في سبيل استرجاعه ويبذلون اموالهم وارواحهم ويقاسون الاضطهاد من اجله كما نقرأ في صحف الاخبار . فعسى ان يوفقوا الى اعادته كما وُفق العثمانيون الى اعادة دستورهم . وان يكون ذلك بعد فترة اقصر من الفترة التي اضطر العثمانيون لانتظارها . وسبق الدستور الفارسي نهضة سياسية لها تاريخ يحسن ايراده . وتلا اعلانه وتعطيله حوادث غريبة لا يخلو ذكرها من عبرة . وقد عني بهذا الموضوع ووفاه حقه من الدرس صديقنا الدكتور براون المستشرق الانكليزي الشهير محب

الفرس وصاحب الباع الطولى في تاريخهم وآدابهم ولغتهم . وقد كتب في الدستور الفارسي كتاباً بالانكليزية في نيف ومئة صفحة رأينا تلخيصه لقراء الهلال بتصرف قليل على ما يقتضيه المقام قال :

النهضة السياسية في بلاد فارس

تبدأ نهضة الفرس لطلب الاصلاح منذ ثلاثين سنة على الاقل. كأنها شرارة من شعلة الدستور العثماني . فاخذ الايرانيون يتحدثون في الاصلاح والمساواة والحرية الشخصية والفضل الاول في بث هذه الروح بينهم لرجلين احدهما يعرفه المصريون ويعترفون بفضله في نهضتهم نعني السيد جمال الدين الافغاني (١) والثاني البرنس ملكوم خان سفير ايران في لندن من سنة ١٨٧٢ — ١٨٨٩ (توفي في يوليو من السنة الماضية)

واول ظواهر هذه النهضة السياسية اعتراض الايرانيين سنة ١٨٩١ على منح حكومتهم احتكار التبغ الفارسي لشركة انكليزية فاحتجوا على هذا العمل لانه يخالف مصلحة الوطن . قام بالمطالبة عنهم جماعة الفقهاء (الملا) والمجتهدين (الأئمة) وصاحوا بصوت واحد انهم لا يقبلون بذلك الاحتكار لان عقد امثاله يعود على البلاد بالخراب . اذ لا تلبث ان تصير تجارتها وسياستها الى الاجانب . وقد ثبت الفقهاء في مطالبهم وعضدهم الاهلون باصواتهم فاضطرت الحكومة الى موافقتهم . فآل ذلك طبعاً الى زيادة الائتلاف بين الشعب وفقهائهم . لكنه اوجب خسارة الحكومة لانها دفعت نصف مليون جنيه لاصحاب الاحتكار في مقابل تنازلهم عن حقوقهم فاضطرت ان تستدين ذلك المبلغ من البنك الفارسي بفائدة ٦ في المئة فاصبحت مدينة تدفع عن دينها ٣٠٠٠٠ جنيه في السنة. وبما ان الشركة التي قبضت ذلك التعويض انكليزية ومؤسسي البنك الذي سلفها ذلك المبلغ انكليز نشأ في قلوب الفرس نفور من الامة الانكليزية وتحوّل النفوذ الى الروس وهم مناظرو الانكليز على ايران . واخذ الصدر الاعظم امين السلطان جانب روسيا وبالغ بتقربه منها وجاهر بعداوته للانكليز وما زال على هذا الى موته (سنة ١٩٠٧)

وكان من جملة عواقب النفور الذي تولد بسبب الاختلاف على الاحتكار المذكور مقتل الشاه ناصر الدين سنة ١٨٩٦ تخلفه ابنه المرحوم مظفر الدين شاه الى سنة ١٩٠٧ اي نحو ١١ سنة تقهقرت في اثنائها احوال ايران وكثرت ديونها وتمكن الفقر من اهلها فزاد كرههم للدولة ونقمتهم على الظالمين . على ان الشاه المشار اليه كان من تباشير اعماله انه عزل الصدر الاعظم امين السلطان وعين مكانه امين الدولة وهو اكثر حباً لوطنه وحرصاً

(١) راجع ترجمته في كتابنا تراجم مشاهير الشرق ج ٢



امين السلطان

على مصلحة الامة . وعين نصير الملك ناظراً للمالية وهو من المتقفين محبي الاصلاح . لكنه لم يستطع عملاً لان الشاه اعتلت صحته فوصف له الاطباء السياحة في اوربا والاستحمام بمياه كونترا كسفيل فاحتاج الى الاموال فاراد امين الدولة ان يستدين مليون جنيه في لندن فلم يفلح فاستقال فخلفه مناظره امين السلطان سنة ۱۸۹۸

التنازع على النفوذ بين روسيا وانكلترا

وكان امين السلطان قوي العزيمة وفيه ذكاء ودهاء لكنه لم يستخدمهما في مصلحة بلاده فقضى في الوزارة هذه المرة خمس سنوات ساق البلاد فيها الى الخراب وصارت الجمارك في ايامه بقبضة جماعة من البلجيكيين يتولون شؤونها في المملكة كلها . وتخلل ذلك قرض عقده مع روسيا سنة ۱۹۰۰ بمبلغ ۲۲ مليون روبل (او ۲٫٤۰۰٫۰۰۰ جنيه) بضمانة دخل الجمارك في بلاد ايران ما عدا ولاية فارس وخليج العجم . ومن شروط هذا القرض ان يستهلك في ۷٥ سنة بفائدة خمسة في المئة وان يوفى من اصله القرض الاول الذي استقرضته حكومة الفرس من البنك الفارسي (الانكليزي) للتعويض على اصحاب احتكار التبغ . والغرض من ذلك كله ان تبقى روسيا هي الدائنة الوحيدة لبلاد ايران فتستقل بالنفوذ فيها .

ومع ذلك فان معظم هذه الاموال انفق على الشاه في رحلته . وهاج الشعب بطهران في اثناء غيابه وحدث شغب كثير طلباً للقوت وهو يتمتع بالاموال في باريس وبطرسبورج . و بلغت المنافسة بين روسيا وانكلترا على النفوذ معظمها سنة ١٩٠١ وانكلترا مشتغلة بالحروب في جنوبي افريقيا فاغتنم الروس اشتغالها وارسلوا سفينة لهم زارت بوشهر ومسقاط وبندرعباس ولنجه في خليج فارس تستلفت الانظار الى سلطانها . واتفق في اثناء ذلك فتح طريق سجستان من الهند تحت مناظرة الكبتن و بوير . وعاد الاضطراب الى طهران وثار الشعب على الصدر الاعظم وطعنوا في وطنيته وانه يبيع البلاد الى الاجانب

وفي السنة التالية (١٩٠٢) عزمت حكومة الفرس على عقد قرض آخر مع روسيا مقداره مليون جنيه بفائدة ٤ في المئة فدارت المخابرة بشأنه واغتنمت روسيا تلك الفرصة فاشترطت مصادقة الفرس على انشاء طريق من جلفا الى قزوين بطريق تبريز فاجابوها . وعاد الشاه ثانية الى اوربا وجاء لندن فقضى فيها اسبوعاً ومعه وزيره امين السلطان وهو اذ ذاك في ابان نفوذه وحكيم الملك التبريزي طبيب الشاه الخاص وصديقه وهو عاقل مخلص. وذهب الشاه لزيارة الملك ادوار وهو يرجو ان ينال منه وسام ربطة الساق فخاب رجاؤه واهداه الملك صورته فلم يقبلها وجاراه رجال حاشيته فلم يقبلوا الوسامات التي أمر لهم بها

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ رأت انكلترا ان تكتسب قلب الشاه فاهدته وساماً حمله له وفدٌ الى طهران برئاسة الفيكونت داون ولم يعد داون من هذه المهمة حتى عقد مع الشاه وفاقاً تجارياً يقابل الوفاق التجاري المعقود مع روسيا لانه أضرَّ بواردات انكلترا ولا سيما الشاي الهندي . فالتعريفة الجديدة غاظت الاهالي ونهض بعضهم للاحتجاج على الحكومة في طهران و يزد وتبريز وقبضوا في هذا البلد الاخير على مجتهد اتُّهم انه يدعو الى الثورة

واتفق ان اللورد كرزن زار خليج فارس في تلك السنة وقد اشتد النزاع بين امين السلطان وحكيم الملك وانتهى بموت هذا الاخير [1] في رشت واتهم امين السلطان بتسميمه فهاج العلماء والفقهاء في النجف وكربلاء عليه واتهموه بالكفر فاضطر الى الفرار من بلاده الى روسيا اقام فيها مدة ثم رحل الى الصين وغيرها واخيراً نزح الى اوربا فنزل سويسرا اقام فيها الى اوائل سنة ١٩٠٧ فدعي الى وطنه ومات فيه باوغسطس من تلك السنة . وكان قد خلفه عند فراره سنة ١٩٠٤ عين الدولة من الاسرة المالكة وهو جاهل متغطرس فكرهه الناس اشد من كرههم لسلفه تولى هو رئاسة الوزارة ووزارة الداخلية

(١) راجع تفصيل ذلك في الهلال ص ١١٣ سنة ١٠



حكيم الملك

وتعين الموسيو ناوس البلجيكي وزيراً للحبين ومديراً للجمارك وكانوا يكرهون هذا الاخير كرهاً شديداً واصيبت البلاد في تلك السنة بالهواء الاصفر واشتدت وطأة هذا الوباء في شيراز على الخصوص فامات نحو عشر اهلها . ومع ذلك فلم يكن اشد وطأة على الايرانيين من نتائج الحرب الروسية اليابانية التي انتشبت في اوائل تلك السنة لاشتغال روسيا بها عنهم ، وذهب الشاه في السنة التالية (١٩٠٥) الى لندن و بطرسبورج في نحو الزمن الذي عقد فيه السلم بين روسيا واليابان بعد ان غلبت الروس وفازت اليابان وانتعشت امال الشرقيين في استرداد مجدهم . وفي اواخر هذه السنة انف الفقهاء والتجار الايرانيون من استبداد ناوس وكان قد قبض على ست وزارات واصبحت اهم مرافق البلاد في يده . وساءهم ايضاً تصرف عين الدولة فثاروا والتجأوا الى المسجد في طهران جعلوه حرماً لهم . فاضطهدتهم الحكومة ففروا الى مزار شاه عبد العظم على اربعة اميال من طهران . ورافق ذلك سوء حكومة شعاع السلطنة ابن الشاه في ولاية فارس وكان قد تولاها بعدان اخرجه اهلها جبراً منذ سنتين . ناهيك بظلم آصاف الدولة في مشهد ومن امثلة استبداده ان جماعة احتجوا على سوء حكومته واعتصموا في المسجد فامر رجاله باطلاق النار عليهم . فضلاً عن استخدام ظفر السلطنة الجلد في تعذيب كبير المجتهدين في كرمان حاج مرزا محمد رضا وعن جلد وزيرا كرم فقيهاً

آخر في قزوين وبضعة عشر تاجرًا

فآل ذلك طبعاً الى زيادة حنق الفقهاء والتجار . واشتد غضب رجال الدين على الخصوص من صورة فوتوغرافية لمدوم الموسيو ناوس تزيا فيها بلباس الفقهاء وعليه العمامة

فلهذه الاسباب نهضت الامة الفارسية عن بكرة ابيها وظهر فيها الخطباء ودعاة الاصلاح وفي جملتهم السيد عبد الله والسيد محمد وصارا بعد ذلك من اكبر حماة الدستور بين الفقهاء والسيد جمال الدين الخطيب الكبير . على انهم لم يكونوا الى ذلك الحين يطلبون الدستور وانما كان همهم عزل عين الدولة وقد ضافرهم على عزله جماعة ظهر بعدئذ انهم من الد اعداء الدستور ولكنهم كانوا يكرهون هذا الرجل ويحبون اسقاطه وفي جملتهم امين السلطان فانه بذل ٦٠،٠٠٠ جنيه في سبيل ذلك . ومحمد علي شاه الحالي وكان يومئذ ولي العهد وغيرهم فاجتمعت الاموال في ايدي الناهضين وتعززت احزابهم وحاول الشاه اقناعهم بالرجوع من شاه عبد العظيم الى طهران فلم يقبلوا فبعث اليهم امير بهادر في ٣٠ فارساً فعاد خائباً . فاكتفى الشاه بمنع الناس من اللحاق بهم ثم كتب اليهم بخط يده يعدهم بعزل عين الدولة اذا عادوا الى المدينة وانه يعلن المجالس العدلية وكان اعلانها من جملة مطالبهم

فعاد القوم الى طهران باحتفال عظيم واستقبلهم الشاه احسن استقبال لكنهم لبثوا ينتظرون نجاز وعده عبثاً فانه لم يعزل عين الدولة ولا اعلن العدلية و بالعكس انه زاد الناس ضيقاً واخذ في القبض على زعمائهم . فارسل القوزاق وغيرهم من الجند وبث الجواسيس في الشوارع ينقلون اليه اخبار الاحرار ومنع الناس من الخروج في الشوارع بعد الساعة الثالثة من الليل الى الفجر وجعل المدينة تحت الاحكام العسكرية . وكان الاحرار قد انشأوا معهدين سياسيين لخدمة مصلحة الامة يجتمعون فيهما احدهما « انجمن مخفي » (الجمعية السرية) والثاني « كتاب خانه ملي » (المكتبة الاهلية) لتثقيف اذهان الشبان في السياسة ومن مؤسسيها السيد نصر الله احد انصار الاصلاح وقد انتخب بعد اعلان الدستور نائباً عن طهران . ومن نصرائها ميرزا حسن رشدية الذي انشأ بعدئذ جريدة « نداء وطن » وميرزا اقا الاصفهاني انتخب بعدئذ نائباً عن تبريز . ومجد الاسلام الكرماني . فامر عين الدولة بابعاد الثلاثة الآخرين الى « قلعة نادري »

وفي اواخر فبراير سنة ١٩٠٦ وافق اول المحرم فاعاد الزعماء عبد الله ومحمد وجمال الدين وغيرهم النقمة على الحكومة فامر عين الدولة بابعاد جمال الدين الى قم فابعدوه والخطباء ما زالوا يخطبون فامر بالقبض على خطيب آخر اسمه الشيخ محمد واعظ فنصره جماعة كبيرة

وارادوا منع الجند من القبض عليه فحدث نزاع اصيب في اثنائه احد الفقهاء السيد حسين برصاصة فحمل الثائرون جثته وطافوا بها الشوارع وهم يندبون و يقرعون الصدور واجتمع جمهور كبير من الفقهاء (الملا) المعروفين بروضة خوان وجماعة من الطلبة والتجار والباعة والصناع والسوقة ولجأوا الى المسجد الجامع في وسط المدينة . واراد الجند منعهم من هذه المظاهرات فاطلقوا عليهم النار فقتلوا بضعة عشر رجلاً من جملتهم ملاّ اسمه السيد عبد الحميد فتفرقت العامة وخلت منهم الاسواق واحتلتها الجنود وكان ذلك في ٢١ يونيو سنة ١٩٠٦

والذين اعتصموا بالمسجد حوصروا فيه ثلاثة ايام حتى التمسوا الافراج على ان يبرحوا طهران الى قم فاذن لهم فخرجوا وتبعتهم الجماهير حتى وصلوا قم وسموا هذا الخروج « المهجرة الكبرى » واقفلت الاسواق فامر عين الدولة بفتحها وهدد اصحابها بنهبها ان لم يفتحوها

طلب الدستور ونيله

واخيراً توجه وفدٌ ينوب عن كبار التجار والصيارف في طهران الى وكيل انكلترا في قلهك المستر جرانت دف وسألوه اذا لجأوا الى وكالة انكلترا في طهران هل تحميهم فاجابهم انها تفعل . فذهب بعضهم الى الوكالة البريطانية وتبعهما آخرون بالعشرات ثم بالمئات حتى بلغ عددهم ١٥٠٠٠ نفس رتبوا انفسهم جماعات حسب اصنافهم يقيم اهل كل صنف في فسطاط ولهم طعامهم وخفرهم وزينوا الفساطيط بالآيات والابيات واحسنوا الظن في الانكليز واحبوهم وخالطهم بعضهم واخذوا يسألونهم عن مجلس البارلمان وكيف يتألف وكيف ينتخب النواب ونحو ذلك لان مطالب الامة لم تبق محصورة في عزل عين الدولة وانشاء مجالس عدلية . لكنها شملت طلب الدستور وانشاء مجلس الامة واصروا على طلبها وانهم لا يرجعون ما لم ينالوها . فعظم ذلك على الشاه ورجاله لكنه لم يرَ بدّاً بعد المفاوضات والمخابرات من موافقة الامة على مطالبها فاصدر الفرمان باعلان الدستور في ٥ اغسطس سنة ١٩٠٦ فخرج معظم الاحرار من الوكالة البريطانية و بقي بعضهم شهرين آخرين أما الفقهاء المنفيون في قم فرجعوا الى العاصمة يخفرهم عضد الملك والحاج نظام الدولة فاستقبلوا في طهران احسن استقبال

وعمد زعماء الاصلاح حالاً الى مباشرة العمل فطلبوا قانون الانتخاب فصدر به امر خاص على يد لجنة انجزته في ٣٦ يوماً وصادق الشاه عليه . وكان من اعضاء هذه اللجنة مشير الدولة ومخبر السلطنة حفيد العالم الكبير رضا قولي خان وهو من عائلة عريقة في الحسب وكان لها شأن كبير في تلك الحركة الدستورية ولا سيما الاخوة الثلاثة صنيع الدولة ومخبر السلطنة ومخبر الملك — فلما تم قانون الانتخاب طبعوا منه ٥٠٠٠٠ نسخة فرقوها في الناس



مظفر الدين شاه اول من اعلن الدستور في ايران

وفي ٧ اكتوبر سنة ١٩٠٦ تم الانتخاب واجتمع مجلس الامة وباشر اعماله فعارض الحكومة في قرض ٤٠٠,٠٠٠ جنيه ارادت عقده مع انكلترا وروسيا على السواء على شروط لم تعلن جهاراً وانما اراد عقده الشاه ووزراؤه ففهم هؤلاء انهم لا يستطيعون استخدام المجلس لمصالحهم وانه انما يشتغل لمصلحة الامة

وكان اهل تبريز من اكثر الايرانيين رغبة في الدستور وهم يئنون تحت جور حاكمهم وهو يومئذ ولي العهد (الشاه الحالي) وقد اغل ايديهم عن السعي وتواطأ مع وصيه الروسي شبشال خان وياوره علي بك على تشكيل طغمة من الجواسيس مثل جواسيس تركيا في عصر الاستبداد فافضى الامر في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٦ الى التجاء جماعة من الاهالي الى قنصلاتو انكلترا واقفلت الحوانيت • وقام الناس ينكرون اعمال ولي العهد ويطالبون

الحكومة الدستورية فجاء الجواب بعد بضعة ايام من معتمد انكلترا في طهران ان الشاه اعلن الحكومة الدستورية فخرج الملتجئون من القنصلاتو والفوا جمعية سموها « جمعية النظار » لمراقبة الانتخابات التي لم تنته الا في ٢ نوفمبر من تلك السنة ٠ وكان في جملة نواب تبريز السيد حسن بن تقي المعروف بتقي زاده وكان قد شخص الى طهران في ٣ سبتمبر وله شأن كبير في تاريخ الدستور (انظر رسمه في صدر هذا الهلال)

وحدث في أثناء الانتخابات وبعدها اضطرابات عديدة في الولايات ولا سيما في تبريز ورشت وشيراز واصفهان وزنجان وكان الاحرار اذا فشلوا لجأوا الى الوكالات الانكليزية او بيوت التلغراف حتى يفوزوا ولذلك اصبح نفوذ انكلترا في اعلى درجاته ٠ وكانت الانتخابات تسير ببطء فينتخب نواب الولايات بالتدريج ويفدون على طهران واسبقهم في ذلك وكيل الرعايا نائب همدان ثم سيد تقي زاده نائب تبريز

اعمال مجلس النواب الفارسي

كان يجتمع المجلس في الاسابيع الاولى من تألفه في عمارة خورشد ثم انتقل الى قصر بهارستان ٠ وقرروا استقدام المبعدين من نصراء الدستور فاستقدموا سعد الدولة من يزد وميرزا اقا من اصفهان والحاج ميرزا حسن رشدية ومجد الاسلام من قلعة النادري

وأهم المواضيع التي شغلت المجلس في اول امره سن القانون الاساسي وانشاء بنك اهلي ٠ فاعدوا القانون الاساسي وصادق عليه الشاه آخر سنة ١٩٠٦ ووقع عليه ولي العهد وكان قد جاء طهران منذ بضعة اسابيع ٠ اما مسألة البنك الاهلي فقرروا على رأس المال اللازم له فاكتتب فيه نحو مئة كل منهم بخمسة آلاف طومان (الف جنيه) واكتتب بعضهم باكثر من ذلك واكتتب الفقراء حتى باع تلامذة المدارس كتبهم واكتتبوا باثمانها والنساء بعن حلاهن واكتتبن ٠ فبلغ المال المكتتب به نحو مليون طومان في طهران وحدها ووعدت تبريز بمليون آخر منها ومن سائر اذربيجان ٠ ولكن الشاه اشترط للمصادقة على ذلك المشروع انشاء قرض قيمته ٢,٠٠٠,٠٠٠ طومان ٠ ووضع الانكليز والروسيون المقيمون هناك عقبات أخرى في طريق هذا العمل لان ظهور بنك أهلي رأسماله ستة ملايين طومان يوقف حركات اعمالهم حتى يضطروا للانسحاب من ايران

وتوفي مظفر الدين شاه في ٤ يناير سنة ١٩٠٧ وخلفه ابنه محمد علي شاه الحالي ومن أول ادلة كرهه للدستور واهله انه لم يدعُ مجلس الامة لحضور الاحتفال بتتويجه فشق ذلك على الامة ٠ وزاد غضبها لما رفضت الوزارة حضور جلسات البرلمان ٠ واشترك

المتملقون من الحكام في نصرة الشاه ووزارته على الدستور واهله فاخذوا في مقاومة الانتخابات • ووصل نواب تبريز السبعة في ٧ فبراير الى طهران فقوبلوا بالترحاب والاحتفاء وفي أثناء ذلك رفع المجلس الى الشاه أموراً يطلب مصادقته عليها وهي : اولاً ملحق للقانون الاساسي ثانياً الاعلان بان ايران اصبحت دولة دستورية ثالثاً عزل الموسيو ناوس البلجيكي رابعاً منع الاجانب من تولي الوزارة في ايران — رفع النواب مطالبهم هذه الى الشاه وطلبوا الجواب عليها في خمسة ايام فماطلهم ثم وافقهم وعاد المجلس الى اعماله

عزل الموسيو ناوس في ١٠ فبراير وتعينت لجنة اشتغلت في وضع الملحق شهرين ومن اعضائها سعد الدولة وامين الضرب والسيد نصر الله وتقي زاده ومستشار الدولة • ثم رفعوه الى الشاه فلم يصادق عليه الا بعد اشهر (في اكتوبر سنة ١٩٠٧)

وفي مارس سنة ١٩٠٧ تقرر الغاء منصب الصدر الاعظم فاستقال نصر الله خان منه وتشكلت وزارة جديدة برئاسة سلطان علي خان (وزير افخم) • والوزراء يلقبون على هذه الصورة (١) فرمان فرما (وزير العدلية) (٢) علاء السلطنة (وزير الخارجية) (٣) نائب السلطنه (وزير الحربية) (٤) نصير الملك (وزير المالية) (٥) مهندس الممالك (وزير النافعة) • وتقسمت الاعمال على الوزراء واصبح كل منهم مسئولاً عن وزارته • وكان لدى مجلس الامة في الشهرين الاولين من تألفه ست مسائل هامة (١) مسح المملكة ٢) انشاء بنك اهلي (٣) تنظيم مجالس البلديات وقوانينها (٤) قوانين المجالس الفرعية في الولايات (٥) قانون المطبوعات (٦) تحديد اعمال الولاة والحكام • واهم الحوادث التي جرت في أثناء ذلك ان ولاة فارس والعراق واصفهان ابوا الاعتراف بالنظام الدستوري فاشتغل المجلس باقناعهم

مقاومة الدستور

وفي نحو هذا الزمن بدأ نصراء الاستبداد في مقاومة الاصلاح شرع بذلك اكبر شاه و(روضه خوان) واقاسيد محمد وشيخ زين الدين زنجاني وستة آخرون من ضعفاء الفقهاء انحازوا الى حزب التقهقر • فألف هؤلاء عصابة لجأت الى شاه عبد العظيم كما فعل طلاب الاصلاح من قبل وأنشأوا جمعية ضموا اليها كثيرين من الفقهاء (الملا) والطلبة • ويؤكدون ان الشاه كان ينفق عليها ويساعدها بالمال والطعام لكنها لم تات عملاً يذكر لان دعاة الاصلاح غلبوا وتايدوا على الخصوص لانهم نجحوا بعزل الموسيو ناوس •

وتشكلت وزارة رئيسها نصر الله خان مشير الدولة واخذوا باستئصال الولاة الباقين من عصر الاستبداد كاصاف الدولة من خراسان و نصر السلطنة من تنكابون والحج خماني وهو فقيه ذو ثروة وقوة من رشت • واخيراً ظلّ السلطان عم الشاه من اصفهان وقد عزل هذا الاخير بطلب ٣,٠٠٠ من الاصفهانيين لجأوا الى الوكالة البريطانية واستنجدوها وبعث آخرون الى المجلس في طهران يستغيثون به ثم الفوا اندية لمراقبة احوال بلدهم وفعل نحو ذلك اكثر الولايات لجمع الكلمة اشهرها نادي شيراز وجيلان وكان لها تاثير في نصرة الاصلاح وجمع كلمة العقلاء وترقية اذهان الشبان بالتعليم والتدريب على الحرية الشخصية

وبعد اسبوعين (في اواخر مارس سنة ١٩٠٧) قبض الاهالي قرب تبريز على اسلحة فيها ١٠,٠٠٠ بندقية روسية وذخائرها كان الشاه يحاول نقلها الى طهران وقد نبهم الى ذلك رغبة الشاه في قتل رئيس لجنة اذربيجان الحاج مهدي بدسيسة فراش باشي فازداد سوء ظنهم به

وفي ١٩ ابريل بعث الشاه الى امين السلطان استقدمه من منفاه فنزل رشت فاراد اهلها منعه من المسير الى طهران غيظاً مما لاقاه من احتفاء روسيا به في اثناء ابعاده لكن مجلس الامه اذن بمروره تجنباً لمعاداة الشاه • فلما وصل الى طهران عينه رئيساً للوزارة • وفي اواخر مايو شاع ان في عزم الشاه ارسال عشرة آلاف فارس بقيادة رحيم خان على تبريز لالغاء الدستور في تلك المدينة الحرة وأخذ ابنه وهو ذاهب من قارجاداغ يقتل وينهب • ولم يزد عدد الذين قتلهم على خمسين نفساً ولكنه سبب قلقاً عظيماً فاحتج مجلس الامة على عمله وطلب من الشاه محاكمة رحيم خان فاضطر الى الطاعة فحكم عليه بالسجن ثمانية اشهر وقبض على ابنه ايضاً وسيق اسيراً الى تبريز

وفي يونيو منها حدث شغب في كرمانشاه وتبريز وماكو وخوي واهم من ذلك كله قيام اخي الشاه سالار الدولة في الغرب فحاربوه في نهاوند وقبضوا عليه وسلموه الى ظهير الدولة فساقه الى طهران تحت الحفظ لكنه لم يقاصص • وفي يوليو أتم المجلس سنته الأولى فاحتفلوا بعيد انشائه في ٢٥ منه احتفالاً باهراً حضره ١٠٠,٠٠٠ نفس وتليت فيه الخطب ومدت الموائد ولم يكن الشاه حاضراً • وفي الشهر التالي بعثت روسيا مذكرة الى المجلس تشكو فيها من القلاقل في ايران وانها اذا لم يستتب الامن تضطر للمداخلة رغبة في الامن العام ! • فلم يعبأ المجلس بقولها ولا وافقها على هذه اللهجة احد من العقلاء • ورافق ذلك ايضاً تجاوز

الاكراد العثمانيين حدود المملكة ولم يحدث عنه كبير ضرر

وانما اضرَّ المجلس نهوض حزب التقهقر. بدأ بهذا النهوض فضل الله في يوليو سنة ١٩٠٧ غضباً لنفسه بسبب ما لحقه من الاهانة في مجلس الامة لانه سعى في اعادة حشمة الملك حاكماً على قانون ولم ينجح . فلما انكشف سعيه خرج من طهران الى شاه عبد العظيم والتف حوله جمهور من حزب التقهقر واخذوا يدعون الى رفض الدستور ومقاومة اعمال مجلس الامة ولم يفلح فاضطر أخيراً الى مصالحة المجلس والرجوع الى طهران في ١ اكتوبر

مقتل امين السلطان

واهم الحوادث التي تقدمت الحالة الحاضرة مقتل امين السلطان وعقد الوفاق الروسي الانكليزي في ٣١ اوغسطس سنة ١٩٠٧ وكانت الامة قد حنقت حنقاً شديداً على رجوع ذلك الوزير ثم رأته يسعى في عقد قرض فلما اوشك ان ينجح تربصوا له وقتلوه وهو خارج من مجلس الامة ومعه السيد عبد الله الطباطبائي الفقيه العالم المشهور . قتله صيرفي صغير اسمه عباس اقا التبريزي بطلق ناري ثم قتل نفسه . ووجدوا في جيبه تذكرة عليها اسمه ورقم ٤١ وهو نمرته في النادي الوطني (الفدائي) لانه عضو فيه ووجدوا معه سمّاً كان ينوي تناوله لو قبضوا عليه وجردوه من سلاحه . واستعد عباس اقا المذكور لهذا العمل منذ ايام . وذكروا انه ذهب الى مصور فوتوغرافي طلب اليه ان يصوره فلما اتم الصورة قال له « احتفظ بهذا الرسم انه سيطلب منك بكثرة بعد ايام قلائل » وكان له اخ اسمه حسن اقا شاركه في السعي وكان حاضراً القتل وفرَّ الى تبريز ثم قتل نفسه فيها . واصبح اسم عباس اقا في جملة ابطال التاريخ الذين بذلوا حياتهم في سبيل بلادهم . وجعلوا قبره موقفاً للخطباء ومنشداً للشعراء ولكن الشاه لما تغلب في ٢٣ يونيو سنة ١٩٠٨ امر بنسف ذلك القبر

الوفاق الروسي الانكليزي

اما الوفاق الروسي الانكليزي فلم يعلم مجلس الامة به الا في ٢٥ سبتمبر وخلاصته ان تقسم مملكة فارس الى ثلاثة اقسام قسم شمالي يكون النفوذ فيه لروسيا وقسم جنوبي شرقي لنفوذ انكلترا وقسم متوسط يبقى على الحياد . وتبدأ حدود القسم الشمالي من الغرب بقصر شيرين وتسير جنوباً شرقياً الى اصفهان ويزد وتشتمل عليها وعلى همدان وكرمانشاه ثم تدور شمالاً شرقياً بتون في خراسان الى ذو الفقار قرب حدود الافغان الروسية . واما نفوذ انكلترا فيحده خط يبدأ من بندر عباس ويسير شمالاً الى كرمان ويشتمل عليها ومن هناك شمالاً شرقياً الى برجند ومنها الى الحدود . واما الدولة الفارسية فلها ما بين ذلك

فلما اطلع المجلس على هذا الوفاق علموا ان المراد به اقتسام ايران بين جارتيها روسيا وانكلترا وبعد ان تنافستا عليها اتفقتا على اقتسامها ونالت روسيا الحظ الاوفر . ومع ذلك فقد صرحتا ان المراد بهذا الاقتسام حفظ استقلال ايران والمحافظة على سلامتها من تداخل الاجانب في شؤونها !

وفي سبتمبر المذكور انتخب احتشام السلطنة سفير ايران في برلين رئيساً لمجلس الامة بدلاً من صنيع الدولة لانه استقال . وتألفت وزارة جديدة برئاسة مشير السلطنة وحدث في ذلك الشهر ايضاً اضطراب في كرمان سببه استبداد نصرة الدولة حاكم البلد ابن فرمان فرما اذ امر رجاله ان يطلقوا النار على الناس فقتل منهم نحو ١١ نفساً . ورفع اعيان الامة وامراؤها خطاباً الى الشاه بتأييد مجلس الامة فاطاعهم واقسم اليمين على ذلك

وفي ١٤ اكتوبر سنة ١٩٠٧ استقال السير سسل رايس وكيل انكلترا في طهران مراعاة لصحته فخلفه المستر مارلن وعينت فرنسا الموسيو بيزو مستشاراً للمالية ايران بطلب حكومة الفرس فاحسن خدمتها . وفتح الالمان في طهران مدرسة كلية دفع الامبراطور نصف نفقاتها والنصف الآخر من حكومة الفرس وبلغ عدد تلامذتها ٢٠٠ تلميذ

الميزانية الفارسية

وفي ٢٨ اكتوبر تألفت وزارة جديدة برئاسة نصير الملك وفيها مشير الدولة وصنيع الدولة واصاف الملك . وفي اوائل نوفمبر صدرت اول ميزانية فارسية بعد ان اشتغل في وضعها لجنة من كبار العلماء والماليين الايرانيين ستة اشهر وجعلوا نصب اعينهم ان يزيد الدخل على الخرج ولو قليلاً لان زيادة الخرج في الماضي اثقلت كاهل الدولة وكادت تذهب بها . وزيادة الدخل لا بد من مسح الارضين وتعديل الضرائب وهي تفتقر الى وقت ومال ومساعدة الدول . فاشار نصير الملك بالتعويل على الاقتصاد في النفقة وهو ميسور في كثير من الابواب اولها باب رواتب الشاه واهله لان مظفر الدين الشاه السابق كان مشهوراً بالاسراف الكثير يهب ويمنح بلا حساب ولا سبب وخصوصاً لاهله ولا سيما لظل السلطان عم الشاه الحالي وشعاع السلطنة ابن عمه فجعل للاول ١٥،٠٠٠ جنيه في العام والثاني ٢٣،٠٠٠ جنيه . فاقترحت اللجنة ووافق المجلس على تخفيض كل منهما الى ٢،٤٠٠ جنيه . ثم نظروا في الاقتصاد من ابواب أخرى تعرف في اصطلاحهم بالتيولات والتسعيرات وتفاوت العمل وغيرها وعدلت فيها او غيرتها مما يطول شرحه

وعلم مجلس الامة ان من جملة اسباب الاختلال تلاعب جباة الاموال في ما يجمعونه

من المال على الطريقة القديمة ولا يصل منه الى الخزينة اكثر من العشر فالف مجالس (انجمن) للولايات او بلدية لمراقبة ذلك ومنع الشطط فيه . ومما يحسن التنبيه اليه ان المجالس الفرعية (الانجمن) التي نشأت في ايران بعد الدستور ولها تأثير كبير في احوال ايران السياسية قسمان: احدهما رسمي والآخر غير رسمي فالمجالس الرسمية هي التي تقدم ذكرها واما غير الرسمية فيسمونها في اصطلاحهم مجامع وهي اشبه بالاندية وتختلف سبلها في خدمة الامة فبعضها للتثقيف والبعض الآخر للتآلف وغيرها للاعمال الخيرية . وفيها جانب كبير غرضها سياسي محض ولبعض هذه المجامع مدارس ليلية لتعليم الفقراء وتدريبهم على معرفة الحقوق والواجبات وبعضها لتطبيب الفقراء وتخفيف اثقال الحياة . والبعض الآخر اندية تلقى فيها الخطب السياسية ونبغ من بين القوم عدة خطباء شاع ذكرهم في العالم المتمدن منهم ملك المتكلمين واقا السيد جمال الدين وغيرهما

ولنعد الى ميزانية الحكومة — فبالاقتصادات التي ادخلتها اللجنة على ميزانية الحكومة زاد الدخل ٢٣٠,٠٠٠ جنيه بعد ان كان العجز قبلاً ٥٧٠,٠٠٠ جنيه كأنها زادت الايراد ٨٠٠,٠٠٠ جنيه . وليست هي بالحقيقة زيادة في الايراد وانما هي تخفيض في النفقات . فبعد ان كان مجموعها ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه جعلوها ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه . اما الايراد فبقي ١,٤٣٠,٠٠٠ جنيه . فاستاء الشاه من هذا الاقتصاد لتقييد يديه عن النفقة وحصر حقه في ١٢٠,٠٠٠ جنيه ينفقها عليه وعلى حاشيته وقصوره وبيوت السلطنة . فعزل كثيرين من رجاله واعوانه واعلنهم انه فعل ذلك « لان مجلس الامة قطع رواتبهم » يريد ان يثير نقمتهم فاجتمعوا في الجامع قرب بهارستان (محل اجتماع المجلس) وتظاهروا بالضوضاء وانهم ينوون شراً فاخذ المجلس الاحتياط لمنع ذلك فزاد التنافر بين المجلس والشاه رغم ذهابه لزيارة المجلس في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٧ وتأكيده صدقه لهم باليمين وهي المرة الرابعة لهذا القسم على ما يظن

مجاهرة الشاه ضد الامة

وكثرت الاضطرابات في الجيش الايراني بطهران واهمها اختصام بين القوزاق والسلاح خورية انجلت عن مقتل بضعة من كل جانب . وحدث نحو ذلك في شيراز واستقالت وزارة نصير الملك لعجزها عن عزل امير بهادر جنك عن قيادة الجيش وهو من حزب التقهقر ولانها لم تستطع ادخال فرقة القوازق تحت احكام نظارة الحربية فاغتنم الشاه تلك الفرصة للشروع بما كان ينوي به من الغاء الدستور والفتك باهله فاوعز الى بعض الغوغاء من اهالي

طهران برئاسة اثنين من زعماء الترسانة يسميان مقتدر نظام وصنيع حضرت فهجموا على بهارستان واطلقوا عليه النار والمجلس منعقد فيه فردهم خفر المجلس فرجعوا الى ميدان الطبخانة وتجمهروا وعلا الضجيج . فبعث الشاه الى نصير الملك وعلاء الدولة ومعين الدولة اخوي احتشام السلطنة وفي حال وصولهم امر بالحجر عليهم كل واحد في غرفة على حدة . وعلم احد اتباع نصير الملك سرًا ان الشاه ينوي قتل سيده فاسرع على جواده الى الوكالة البريطانية وشكا اليها ذلك فركب المستر تشرشل سكرتير الوكالة الى سراي الشاه وقابل الشاه وهدده اذا هو الحق اذى بنصير الملك كانت التبعة عليه لان نصير الملك نشأ في جامعة انكلترا وتشرف بوسامات انكليزية فاصبح الشاه يرتعد من الغضب وامر باحضار الرجل فاخذه تشرشل معه الى منزله وسافر في الغد الى اوربا

واما العامة والغوغاء فظلوا يتجمهرون ويهمون بالهجوم على بهارستان والمتطوعة نصراء المجلس من الجهة الاخرى وعددهم ثمانمائة بقيادة ظهير السلطان ابن عم الشاه واقفون للدفاع اذا رأوا من الغوغاء تعديًا على المجلس . وفي جملة المتطوعة جماعة من المتعلمين والادباء مثل جهانكير خان منشئ جريدة صور اسرافيل والسيد محمد رضا الشيرازي صاحب جريدة المساواة والجريدتان من خيرة الصحافة الفارسية نشرتا في عهد الدستور . وكان للمتطوعين نظام خاص لهم عمدة لتدبير شؤونهم يسمونها « ادارة الرئاسة » ومجلس للجيش اسمه « ادارة النظامي » ولجنة للنفقة والايراد واخرى للمطبوعات . ظلت الثورة اسبوعين وكل من الجانبين واقف بالمرصاد واضطر الشاه اخيرًا للتساهل فبعث الى نصير الملك تلغرافًا يدعوه به الى ايران ان شاء ولم يأت . واستقدم علاء الدولة ومعين الدولة من منفاهما وبعث الى مجلس الامة مصحفًا مختومًا يجدد به يمينه للمحافظة على الدستور . وزاد على ذلك قوله « انه اذا اخلف هذه المرة كان مسئولًا امام الله والناس » فخطب السيد تقي زاده خطابين شائقين في اثناء هذه الحركة احدهما يوم هجوم الرعاع على المجلس واطلاق الرصاص عليه والآخر عند انقضاء الازمة وبين في هذا الآخير القوة التي اكتسبها الشعب بالاتحاد وقال « يد الله مع الجماعة » والح عليهم ان ينسوا ما لاقوه في الايام والاخيرة ويزيلوا من اذهانهم كل شك اوسوء ظن وخطب ايضا السيد عبد الله البهبهاني

وسعى عضد الملك رئيس القاجار وشعاع السلطنة شقيق الشاه في تأييد الوفاق بين المجلس والشاه فاغتنما الاحتفال بالعيدين عيد الغدير وعيد الاضحى . واستقبل الشاه الوفد الذي اتى من النواب لمعايدته احسن استقبال . وعقب ذلك حادث اعاد النفور (في اخر فبراير سنة ١٩٠٨) وذلك ان بعضهم رمى قنبلة على اتوموبيل الشاه فقتل سائقه وانفجرت

قنبلتان في اليوم التالي بقرب ذلك المكان فقتلتا رجلين · فقبضت الحكومة على صاحب البيت الذي خرجت القنابل منه واسمه السيد غلام رضا من مرند وهو حداد واستنطقوه بلا فائدة ووقعت الشبهة على ثلاثة القوا القنابل وفروا ونجوا · و بالطبع ان الشاه ورجاله اتهموا النواب بهذه الجريمة فا كد له هؤلاء صدق مودتهم وان الذين رموا القنابل من رجال وصي الشاه الروسي شبشال خان

التوسط في الصلح

وفي اوائل ابريل سنة ١٩٠٨ استقال احتشام السلطنة من رئاسة مجلس النواب وقد كرهه الاعضاء لانه عارض بعض الاصلاحات كتشكيل البوليس المحلي واطلاق حرية المطبوعات فخلفه ممتاز الدولة والعلائق بين المجلس والشاه لا تزال مشوشة وعضد الملك يسعى في التوفيق بينهما · فاشترط الشاه للمصالحة ان تكف الصحف عن الطعن فيه واشترط المجلس عزل ستة يعتقدون انهم سبب سوء التفاهم بين الشاه وامته وهم امير بهادر جنك وشبشال خان ومفاخر الملك وامين الملك وموقر السلطنة ومجلل السلطان · فوافق الشاه على هذا الطلب بشرط ان ينفذ المجلس مطالبه اولاً · واتفقوا اخيراً على العمل معاً فعين المجلس لجنة من جمال الدين وجهانكير خان والسيد محمد علي الشيرازي وغيرهم من النواب ارباب الادب والنفوذ لتعديل لهجة الصحف والخطباء عن الشاه اما هذا فابي عزل الستة المشار اليهم فهض اعيان الامة واجبروه على الرضا فرضي في اول يونيو سنة ١٩٠٨ لكنه لم يبعد المعزولين عن طهران فاقام امير بهادر جنك في وكالة روسيا وظل شبشال خان يزور الشاه مع قائد القوزاق

وفي اليوم التالي اتحد سفير روسيا ووكيل انكلترا على التوسط في حل ذلك الخلاف · ويؤخذ من رواية تقي زاده انهما تلفنا (ارسلا تلغرافاً) الى ناظر الخارجية مشير الملك بقدومهما اليه لان الحالة صارت تدعو الى القلق وطلبوا اليه ان يدعو الى المفاوضة ايضاً مختار الدولة رئيس المجلس وعضد الملك فلم يأت هذان لان المخابرات يجب ان تكون على يد ناظر الخارجية (في اوربا) · واجتمع السفيران بمشير الملك وطفق سفير الروس يهدد ناظر الخارجية وصرح له « ان حياة الشاه اصبحت في خطر ووجود امير بهادرجنك لازم لحمايتها وان اندية الحزب الوطني قد تجاوزت الحدود · ولا غرض لها الا خلع الشاه فهذا لا يمكننا احتماله واذا وقع تضطر روسيا للمداخلة بموافقة انكلترا » وخرج السفيران من هناك وابلغا نحوى هذا الانذار الى سائر المراكز الرسمية

اما مشير الملك فحالما فارقه السفيران اسرع الى مجلس الامة وقص الحديث على الرئيس

وعلى السيد تقي زاده ومستشار الدولة النائبين عن تبريز وهما يخافان مداخلة الاجانب أكثر من سائر النواب فخافوا ان يأول تمسكهم الى ضياع بلادهم ففضلوا اعتلال الامة على موتها واقروا على الكف عن كل حركة عدوانية ضد الشاه

اما هذا فانه فرّ في ٣ يونيو خوفاً على حياته ونزل « باغ شاه » قصر الملك في ضواحي طهران ومعه فرقة من القوزاق قائدها الكولونل لياخوف ووصيه شبشال خان وابنه ولي العهد وعمره ١١ سنه . ولما استقر الشاه في قصره كتب الى مشير السلطنة رئيس الوزراء انه خرج لتبديل الهواء لا لغرض سياسي ولم يفد هذا القول لان الامة ثارت خواطرها وخافت على المجلس . فاجتمع حول بهارستان نحو الف من المتطوعة وجاهروا بسوء ظنهم وامروا باقفال الابواب وقبضوا على الذخائر واعلنوا خلع الشاه . واجتمع تقي زاده والحاج مرزا ابراهيم اقا مدير نادي مظفري وابواب النادي بجانب مدخل بهارستان فاستخدموه لاجتماع نواب الاندية واللجان والمجامع الوطنية من المدينة واطراف المملكة يلقون فيه الخطب يحرضون المتطوعة على نزع السلاح والتفرق اذ لا باعث لهذا القلق . فتفرق القوم وعادت السكينة

وفي ٤ يونيو ارسل الشاه الى عضد الملك ان يتوسط لدى الاعيان والاشراف بشأن بضعة عشر منهم كانوا الحوا في عزل شبشال خان وأن يرسلهم الى قصره « باغ شاه » للبحث في هذه المسألة فابى الاعيان الذهاب لاول وهلة لسوء ظنهم في الشاه فاقنعهم عضد الملك فذهبوا وفيهم البرنس جلال الدولة وعلاء الدولة ووزير همايون ومعتمد خاقان وسردار منصور ومعاون الدولة . فلما وصلوا الى القصر تفاوضوا مع الشاه ولما ارادوا الخروج قبض عليهم القوزاق وحجزوهم الا معتمد خاقان فانه تمكن من الفرار واسرع الى مجلس الامــة فابلغهم ما وقع وكان المجلس مهتماً بتسكين خواطر الشعب وتخفيف لهجة الصحف والخطباء للمصالحة مع الشاه فلما بلغهم ذلك غضبوا وكتبوا يطلبون اطلاق الاسرى . وكان الشاه من الجهة الاخرى يحشد الرجال وقد قطع عن مجلس الامة كل المواصلات التلغرافية وغيرها بين طهران والولايات وعزل حاكم طهران وولى مكانه بعض رجاله واعلن انه ينوي استئصال بعض اهل الاذى في البلاد

وبعد بضعة ايام قبض الشاه على رئيس الاخوة بقزوين ميرزا سليمان خان (وكان معاوناً لناظر الحربية) لانه ساعد اهل الدستور باسلحة الدولة وسجنه في باغ شاه . واعلن الاحكام العسكرية وملأ المدينة بالفرسان القوزاق بقيادة الكونل لياخوف وجرد الاهلين من الاسلحة على قدر الطاقة . وبعث في ١١ يونيو ضابطاً و٢٥ جندياً الى المجلس

بالبلاغ الاخير يقول اذا لم يتفرق المجتمعون في المسجد بعد ساعتين فرقهم بالقوة ولو اضطر الى استخدام المدافع

استفحال الخلاف

ولما استفحل الخلاف الى هذا الحد داخلت لجنة التوسط التي كانت تسعى في التوفيق بين الشاه ومجلسه وهم ١٢ المتقدم ذكرهم ووجدوا من مصلحة الامة ان يقنعوا الشعب بالتفرق فذهب بعضهم الى المسجد وفيهم تقي زاده وممتاز الدولة ومستشار الدولة فوجدوا فيه عشرة آلاف نفس فاشاروا عليهم بالذهاب الى منازلهم فابوا أولاً ثم خطب فيهم تقي زاده فاقنعهم بالتفرق فذهبوا وهم يبكون و يولولون وزاد اليأس في أحدهم حتى قتل بنفسه واسمه مهدي جاوكوش قال انه يخجل ان يقابل امرأته ناكصاً على هذه الصورة

ولم يقنع الشاه بتفرقهم فطلب نفي ثمانية من زعمائهم وهم جهانكير خان صاحب جريدة صور اسرافيل ومحمد رضا صاحب مساواة وملك المتكلمين الخطيب الشهير والسيد جمال الدين وداود خان والبرنس ظهير السلطان والحاج يحيى دولتابادي وعلي محمد برادر . وامر بتقييد الصحافة وتجريد الاهالي من السلاح ـ دارت المخابرة بشان هذه المطالب والشاه مجد في نقل الذخائر من المدينة الى معسكره في باغ شاه

وفي ١٧ يونيو اقفلت الحوانيت وتجمهر التجار والباعة والصناع وغيرهم وطلبوا الى المجلس أن يأذن بمكان يجتمعون فيه . فعين لهم مسجد سبهسلار بجانب بهارستان بشرط أن لا يحملوا سلاحاً فكانوا يجتمعون هناك في النهار و يتفرقون في الليل الى منازلهم الا جماعة ينوبون عنهم و بعض الخفر تحت السلاح . وشاع خبر هذا الاستبداد في الولايات فتألفت العصابات خصوصاً في رشت و كرمان واصفهان وتبريز وعين هذا البلد الاخير لجنة اقرت على خلع الشاه و بعثت الرسائل البرقية بذلك الى الاطراف واخذوا في جمع الاموال لنجدة اخوانهم فجمعوا في ليلة وصباحها نحو ٢٠٠٠ جنيه اكثرها من الفقراء اعدوا بها ٣٠٠ فارس بقيادة رشيد الملك انفذوهم لمساعدة اهل الدستور في طهران . وفي جملة قواد هذه الحملة ستار خان و باقر خان . ووعدت سائر الولايات بمثل هذه الامداد لكنها لم ترسل شيئاً

حادثة ٢٢ يونيو

وفي أثناء ذلك لم تكف رسل الشاه عن القدوم على المجلس بالمطالب و بعضها مستحيل ولم يعد يسمح لاحد بمقابلته غير مشير السلطنة . وفي مساء ٢٢ يونيو بعث الشاه الى النواب واحزابهم أنهم في أمان وكان الجانبان قد اتفقا ان يسوى الخلاف بينهما على يد لجنة مؤلفة من الحزبين حزب الشاه وحزب الامة . وفي ذلك المساء جاء صنيع الدولة (وزير

المالية) ومشير الدولة (وزير المعارف والفنون) ومعتمد الملك (وزير التجارة) الى المجلس واعلنوه ان الشاه رضي بتحكيم اللجنة المشار اليها • فتفرق النواب على ان يأتيهم في صباح اليوم التالي من ينوب عن الشاه في تسوية الخلاف • وفي نصف الليل كتب مشير السلطنة رئيس الوزارة الى ممتاز الدولة رئيس مجلس الامة يقول « ان الشاه قبل كل مطالبكم » فاطمأنت الخواطر لكنها كانت دسيسة من الشاه للفتك بدعاة الاصلاح فما اصبح يوم ٢٣ يونيو حتى اتت كوكبة من القوزاق الى ساحة مدرسة السبهسالار وفيها بعض المجندين من الوطنيين وتقدموا اليهم بالمحاسنة ان ينسحبوا فانسحبوا وأقفلت الابواب • واحدق نحو الف من القوزاق والجند بهارستان والمسجد وتفرقت جنود الشاه في المدينة تقطع الطرق على المارة • وكان الثمانية الذين طلب الشاه نفيهم قد اقاموا في غرفة بجانب قاعة المجلس • فادرك العقلاء الدسيسة تخابروا الفقهاء والنواب بالتلفون فاسرع رئيس المجلس ومرزا محمد صادق محرر جريدة مجلس وبضعة آخرون من جملتهم المجتهدان البهبهاني والطباطبائي فاذن لهم بالدخول • وكان السيد تقي زاده مريضاً فتأخر عن الحضور فلما جاء لم يؤذن له • وكان الجند يأذنون بالدخول ويمنعون من الخروج

وبعث رئيس المجلس والطباطبائي الى قائد القوزاق يسألانه عما يريده فاجاب انه جاء لتفريق الجماهير • فاجابا أنهما يفرقان الناس بالحسنى فلم يقبل • ثم جاء الكولونل لياخوف ومعه ضباط روسيون في مركبة وتفرس في المكان ونصب ستة مدافع في اماكن متفرقة وطلب الطباطبائي مخاطبته فلم يقبل فاراد بعض المتطوعة اطلاق الرصاص على لياخوف فنعهم العقلاء لئلا يأول قتله الى مداخلة روسيا فعاد لياخوف الى مركبته وانصرف • وفي حال رجوعه اطلقت المدافع على بهارستان بامر الضباط الروسيين فذعر الناس وحاولوا الفرار حتى القوزاق اخذوا بالتفرق ولكن الضباط الروسيين كانوا يختطفون بنادقهم ويطلقونها على الفارين من الاهالي وغيرهم فقتلوا بالطلقة الاولى ١٢ من المتطوعة ولم يكن فيهم الا مئة تحت السلاح وليس مع احدهم اكثر من ٥٠ الى ١٠٠ طلق • لكنها افادتهم فعطلوا بها ثلاثة من المدافع التي نصبت لضرب المجلس • وحاول مجمع مظفري ومجمع اذربيجان من مجامع الحزب الوطني القبض على الثلاثة المدافع الباقية فطردهم القوزاق

طالت الواقعة ثماني ساعات وانتهت بهدم ذينك البنائين الفخيمين اللذين كانا مجتمع الاحرار ومستودع آمالهم وهما بهارستان ومسجد سبهسالار ولم يعرف عدد القتلى من الفئتين وتمكن تقي زاده من النجاة والتجأ نحو ثلاثين من الزعماء الى الوكالة البريطانية • ولم يكن

يؤذن لها بحماية غير الذين في خطر القتل • اما الثمانية المحكوم عليهم بالنفي فالتجأوا الى منزل امين الدولة فاقفل عليهم ونقل خبرهم بالتلفون الى قراقول القوزاق فبعثوا جنداً قبضوا عليهم • فحاول احدهم الحاج ميرزا ابرهيم الامتناع عن الذهاب فقتل وسيق الباقون الى باغ شاه فامر الشاه في صباح اليوم التالي بشنق جهانكير خان وملك المتكلمين وظهير السلطان • فشنقوا الا ظهير السلطان لان والدته اخت مظفر الدين شاه صاحت باخيها انه اذا قتله قتلت نفسها فعفا عنه واطلقه ففرّ الى اوربا • اما بقية الثمانية فهم محمد رضا

محمد وليخان حاكم رشت

تمكن من الفرار وقاسى في فراره جوعاً وخطراً عظيمين حتى بلغ الى القوقاس • وجمال الدين فرَّ ايضاً ولكن يقال انهم قبضوا عليه في همدان وقتلوه • وظل الاثنان الباقيان في الاغلال بقصر الشاه « باغ شاه » مع آخرين

وقضى جند الشاه اياماً يخربون ويقتلون وينهبون لا يوقرون عظيماً ولا اميراً • وتعين الكولونل لياخوف حاكماً على طهران فوضعها تحت الاحكام العسكرية واصدر منشوراً بهذا المعنى وأحاط بالوكالة البريطانية لمنع الاهالي من الالتجاء اليها • ولا يزال لياخوف على طهران يتصرف بها كما يشاء

اما الولايات فان الشاه بعث الى حكامها ان يقاوموا الاحزاب الوطنية فاطاعه بعضهم واضطهد الاهالي وظل البعض الآخر اميناً للدستور • وممن نصر الدستور بنفسه ورجاله حاكم رشت فان دارعة روسية رست في ميناه وهددته فلم يخف تهديداً في الدفاع عن مصلحة أمته

واكثر الولايات الايرانية مقاومة للاستبداد ونصرة للدستور ولاية اذربيجان وخصوصاً القصبة تبريز ولا تزال رافعة علم الحرية الى الآن وقد قاسى اهلها عذاباً عظيماً ولايزالون يقاسون وهم ثابتون في مطالبهم • ومن نصراء الوطنية وكبار قوادها ستارخان فانه عمل في تبريز اعمالاً عظيمة واخرج جند الشاه منها وجعلها خالصة للمصلحين

وقبض على مكتب التلغراف فوجد فيه صور الرسائل التي كان يرسلها نصراء الاستبداد الى الشاه ضد طلاب الدستور فثبت عندهم من هم الخائنون — وقد اتى الدكتور براون على نصوص تسعة منها في بضع عشرة صحيفة لا محل لها هنا

اهم المؤلفات العربية

في نظر القراء

اقتراح

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما الف في العربية من صدر الاسلام الى الآن أي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره افيد سائر الكتب العربية والذها • ومتى تمت الاجوبة على ذلك تجمع اصوات كل مؤلف وتنشر اسماء الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

العرب والترك

قبل الدستور وبعده

كتب الينا كثيرون يسألوننا رأينا في ما دار بين صحف الاخبار من المناقشة في تبادل العلائق او التفاضل بين العرب والترك فرأينا ان نكتب فصلاً في تاريخ هذه العلائق من صدر الاسلام الى الآن :

١ - العرب والترك قبل الدستور

كيف التقت الامتان

لم يكن بين العرب والترك علاقة قبل الاسلام وكان كلاهما اهل بادية وسطو وغزو. ولم تلتقيا قط لما بينهما من الابعاد الشاسعة . فالعرب كانوا في جزيرتهم والترك في جبال الالطاي او جبال الذهب في اواسط اسيا بين الهند والصين وسيبيريا وبينهم وبين جزيرة العرب مفاوز واودية وجبال . وهم يختلفون عن العرب في تكاوينهم واخلاقهم وآدابهم ولغتهم اختلافاً كبيراً . ويستحيل التفاهم بينهم لتباعد اللغة التركية الاصلية في تركيبها والفاظها عن اللسان العربي يوم لم يكن فيها كلمة عربية ولا في اللغة العربية كلمة تركية فضلاً عن اختلاف اسلوب التعبير

فلما قام العرب بالاسلام واخذوا ينتشرون بالفتح او غيره وطئت حوافر خيولهم بلاد الترك وهم يعبرون عنها بما وراء النهر ففتحوا بخارا وسمرقند وفرغانة واشروسنة وغيرها من تركستان في ايام بني امية . وكان اهل تلك البلاد قبائل يتولاهم امراء او ملوك يعرفون باسم خاقان او اخشيد او غيرهما . وكانوا لا يزالون على عبادة الاوثان فدخولهم في حوزة المسلمين بعث على احتكاكهم بالعالم المتمدن في ذلك العهد فاعتنقوا الاسلام وظهرت مواهبهم ونبغ منهم القواد العظام وانشأوا دولاً حكمت العالم الاسلامي قروناً متوالية . وتقسم علاقة الاتراك بالعرب في الاسلام الى دورين الاول دور الخدمة والثاني دور السيادة . ونعني بدور الخدمة دخول الترك في خدمة العرب في صدر الاسلام . وبدور السياده سيادة الترك على العرب بعد ذلك

سيادة العرب في صدر الاسلام

فطر العرب على الانفة والاستقلال فلما قاموا بالاسلام وفتحوا العالم زادوا عظمة واعتقدوا الفضل في انفسهم على سائر الناس وانهم من طينة غير طينتهم ٠ واصبح العربي يعدُّ نفسه سيداً على غير العربي ويرى انه خلق للسيادة وسواه للخدمة ٠ ولذلك لم يكن العرب يشتغلون في صدر الاسلام بغير السياسة والحكومة وتركوا سائر الاعمال لسواهم ٠ ولم يكن ينازعهم في تلك السيادة احد فكانوا يزدادون افتخاراً وخصوصاً على المسلمين غير العرب ويسمونهم الموالي يريدون انهم كانوا عبيداً لهم واعتقوهم — وهم غير اهل الذمة ٠ ويدخل في جملة الموالي الفرس والترك وغيرهم من المسلمين غير العرب ٠ وبلغ من ترفعهم عنهم انهم كانوا يكرهون ان يصلوا خلف المولى واذا صلوا قالوا انما نفعل ذلك تواضعاً لله ٠ وكانوا لا يكنونهم بالكنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون في الصف معهم ولا يتقدمونهم في المواكب الى غير ذلك مما تراه مفصلاً في تاريخ التمدن الاسلامي

وكأن العرب سكروا بخمر السيادة والنصر لارتقائهم من رعاية الابل الى سياسة الممالك في بضعة عشر عاماً فتوهموا في فطرتهم ما ليس في سواهم من المناقب والسجايا كما توهم الرومان قبلهم وكما يتوهم اهل هذا العصر في بعض الامم السائدة فيعتقدون امتيازها باصل فطرتها عن سائر الامم — وكان فضل العرب على سواهم يعدُّ قضية مسلَّمة لا تحتاج الى دليل ٠ فلما بالغ بنو امية في الاستخفاف بغير العرب بعد ان ذهبت دهشة النبوة اخذ هؤلاء في التذمر ونصروا آل علي وغيرهم من اعداء الامويين ونشأت طائفة لا تعترف بفضل العرب تعرف بالشعوبية لم تظهر الاَّ في الدولة العباسية بعد ان انحط شأن العرب

وبدأ انحطاط شأن العرب على الخصوص بعد الاختلاف الذي وقع بين الامين والمأمون اذ استنصر المأمون الفرس على العرب رجال اخيه وكانت الغلبة للمأمون ٠ فانحط شأن العرب وصار الخلفاء يعوّلون بعده على الاستعانة بالاعاجم وخصوصاً الاتراك واخذوا يجندونهم

خدمة الاتراك في الجند الاسلامي

يبدأ دور الخدمة منذ فتحت تركستان على عهد الامويين فكان القواد اذا فتحوا بلداً حملوا اسراه وسباياه الى اهلهم او باعوهم لمن يحملهم الى الاطراف فيباعون بيع الرقيق ٠ ولما افضت الدولة الى العباسيين كانت تركستان تؤدي الجزية والخراج فكان العمال يحملون في جملة الجزية اولاداً من اهل بادية تلك البلاد يبيعونهم للرق وهم في الغالب من السبي

او الاسرى على جاري العادة في تلك الاعصر . وقد يختص الامراء باحسنهم فيخدمونهم في دورهم مع غيرهم من ارقاء الامم الاخرى ويعرفون بالمماليك

وكان الاتراك يمتازون عن سائر الامم التي دانت للمسلمين بقوة البدن والشجاعة والمهارة في رمي النشاب والصبر على الاسفار الشاقة فوق ظهور الخيل والثبات في ساحة الحرب فاتخذ منهم الخلفاء بالتدريج جنداً واول من استخدمهم في الجندية من الخلفاء المنصور العباسي ولكنهم كانوا شرذمة صغيرة لا شأن لها في الدولة وانما كان الشأن الاكبر يومئذ للخراسانيين (الفرس) والعرب . ولما اشتد التنافس بين العرب والفرس في ايام الرشيد وذهبت سطوة العرب بذهاب دولة الامين وتسلط الفرس انصار المأمون واخواله واستبدوا في الدولة كانت الحضارة قد اضرت بالمسلمين واذهبت منهم قوة التغلب والفتح . ففكر المعتصم اخو المأمون في ذلك قبل ان تفضي الخلافة اليه وكانت امه تركية وفيه كثير من طبائع الاتراك التي ذكرناها مع الميل اليهم لانهم اخواله كما كان يميل المأمون الى الفرس

وشاهد المعتصم جرأة الفرس وتطاولهم بعد قتل اخيه الامين فاصبح يخافهم على نفسه ولم يكن له ثقة بالعرب وقد ذهبت عصبيتهم واخلدوا الى الحضارة والترف وانكسرت شوكتهم فرأى ان يتقوى بالاتراك وهم لا يزالون الى ذلك العهد اهل بداوة وبطش مع الجرأة على الحرب والصبر على شظف العيش . فجعل يتخير منهم الاشداء يبتاعهم بالمال من مواليهم في العراق او يبعث في طلبهم من تركستان وغيرها فاجتمع عنده عدة آلاف وفيهم جمال وصحة فالبسهم اثواب الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وميزهم بالزي عن سائر الجنود وبذل العناية في تدريب جنده هذا وبنى لهم مدينة سامرا واطلق لهم الاعطية فاعتنقوا الاسلام وتحضروا ولم يقتصر على اقتناء المماليك لكنه رغب كثيرين من الامراء واولاد الملوك في القدوم اليه فاشتد ساعد الاتراك وقويت شوكتهم وغلبوا على امور الدولة خصوصاً بعد ان انقذوا المملكة من بابك الخرمي وفتحوا عمورية في عهد المعتصم . فبعد ان كان النفوذ للوزراء الفرس صار الى الاتراك واصبحت ازمة الدولة العباسية بعد المعتصم في ايديهم ولا سيما بعد ان قام المتوكل لمقاومة الشيعة فزاد في تقديم الاتراك لانهم كانوا عونه على ذلك . ثم اغراهم ابنه المنتصر (او هم اغروه) على قتله فقتلوه وكان ذلك اول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه اكثر من بضعة اشهر فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ وقد استفحل امر الاتراك استفحالاً عظيماً — ومما يحكى عن استبدادهم في الخلفاء انه لما تولى

المعتز فجمع خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال « انا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له « فكم تقول انه يعيش وكم يملك » قال « مهما اراد الاتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك

وقد قتلوا المعتز هذا شرَّ قتلة فانهم جرُّوه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه في الشمس بالدار فكان يرفع رجلاً ويضع اخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده . والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس وبلغ من فقر القاهر بالله انهم حبسوه وهو ملتف بقطن جبة وفي رجله قبقاب خشب — فلا غرو اذ اصبح الخلفاء آلة في ايدي الاتراك اذا تنازعوا على السلطة كان الخليفة مع الحزب الغالب وبعد ان كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة صار الخليفة يحلف لهم

فبهذا وامثاله انحط شأن العرب وقيل عنهم « لا يفلح العربي الا اذا كان معه نبي ينصره » واشتد ازر الاتراك فتدرجوا من الاستبداد في دور الخلفاء الى انشاء الدول المستقلة فانتقلوا من الخدمة في دول العرب الى السيادة على العرب وغير العرب

سيادة الاتراك في القرون الوسطى

بدأت سيادة الاتراك بانشاء الامارات في ظل العباسيين واقدم اماراتهم الطولونية فالايلكية فالاخشيدية فالغزنوية ثم انشأوا الدول الكبرى واولها الدولة السلجوقية وفروعها في فارس وتركستان واسيا الصغرى والشام والعراق وغيرها ثم دول السلاطين المماليك في مصر والشام واخيرًا الدولة العثمانية وبها يدخل تاريخ الاسلام في دور جديد . لانها اتت والعالم الاسلامي قد تمزق وتضعضع بما انتابه من صدمات المغول وغيرهم فجاءت هذه الدولة في ابان الحاجة اليها فافتتحت القسطنطينية وقد يئس المسلمون من فتحها بعد ان حاولوه مرارًا . وحارب العثمانيون اعظم ملوك اوربا وطاردوهم الى بلاد المجر وحاصروا فينَّا عاصمة النمسا واخذوا الجزية من الارشيدوق فردينان واكتسحوا البحر الابيض الى شواطىء اسبانيا فارتعدت اوربا خوفًا منهم . وفتحوا المشرق الى العراق ثم ساروا جنوبًا غربيًا حتى فتحوا الشام ومصر وفيها بقية الدولة العباسية فتنازل العباسيون لهم عن الخلافة فامتدت مملكتهم في ايام السلطان سليمان (سنة ٩٢٦ — ٩٧٤ هـ) من بودابست على ضفاف الطونة الى اصوان على ضفاف النيل ومن الفرات بالعراق الى بوغاز جبل طارق . فاجتمع العالم الاسلامي الغربي تحت جناح الدولة العثمانية ولا يزال . وكان اجتماع الخلافة والسلطة

فيها سبباً لطول بقائها اكثر مما تقدمها من الدول الاسلامية حتى العباسيين مع طول مدة ملكهم لان سلطتهم اصبحت بعد القرن الثالث من انشاء دولتهم اسماً بلا رسم . والدولة العثمانيـة اول دولة اسلامية غير عربية جمعت بين الخلافة والسلطة ووافقها المسلمون عليه

اما العنصر العربي في اثناء ذلك فقد كان ضعيفاً الا في الاندلس الى زمن محدود . وحاول النهوض في اثناء الدولة الفاطمية بمصر فلم يكد ينهض حتى غلب عليـه الاكراد فالاتراك فسقط ولم يقم للعرب قائمة في الدولة الاسلامية من ذلك الحين — الا ما ابدته بعض القبائل من النهوض في بلاد العرب او غيرها بدعوة سياسية او دينية كقيام الوهابية في نجد والدراويش في السودان . ولما عزم محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية على انشاء دولة اسلامية كبرى في اوائل القرن التاسع عشر اراد ان يستعين على انشائها بعصبية اسلامية واقوى العصبيات بمصر يومئذ الترك والعرب وكانت العصبية التركية للدولة العثمانية فاختار عصبية العرب فحامت الآمال حوله وخصوصاً بعد حربه الوهابية واجتماعه بشريف مكة وغيره من رؤساء القبائل . فاحيا العنصر العربي ونشط العصبية العربية بما انشأه من المدارس والمطابع او نشره من الكتب . فكان للعرب نهضة قلما افادته في غرضه السياسي لما حال دون مطامعه من اغراض دول الافرنج في المملكة الاسلامية . ولكنها افادت اهل الشرق من العرب فائدة ادبية علمية بتمهيد السبيل للنهضة التي نحن فيها

٢ — العرب والترك بعد الدستور

جامعة المصلحة

قد رايت في ما تقدم ان الملك في عصر الاستبداد كان يتسلق عرش سلطنته على جثث اهل عصبيته وهم لا يرون في ذلك غرابة ولاحيفاً لتغلب الذل على نفوسهم . وقد رسخ في اعتقادهم انهم خلقوا اتباعاً للملك يفعل بهم ما يشاء — اما في هذا العصر عصر الدستور والحرية فقد اصبح للامة صوت في سلطة الملك ورايٌ في تدبير حكومته . وآن لهم ان يقلعوا عن تلك العصبيات الصماء . وليست العصبية أو الجامعة الحقيقية في اعتقادنا الا « جامعة المصلحة » نعني ان الانسان لا يطالب بجامعة لا توافق مصلحته او مصلحة امته وكما كان الملوك يحيون العصبية التي توافق مطامعهم ليغلبوا بها على اعدائهم فعلى الامة التي جعلها الدستور حاكمة ان لا تتخذ من العصبيات او الجامعات الا ما يوافق مصلحتها

لكل منا اسباب متعددة يربطه كل واحد منها بعصبية من العصبيات وهو يلجأ الى العصبية التي يرى في انتسابه اليها نفعاً . فالسوري المسيحي مثلاً تجمعه بالافرنج وبالاقباط الجامعة الدينية وتجمعه بمسلمي سوريا ويهودها وسائر طوائفها جامعة الوطن . وتضمه مع مسلمي مصر والحجاز والمغرب والعراق جامعة اللغة . وتجمعه بالاتراك والارمن والاروام جامعة الدولة وتجمعه باهل الهند والفرس جامعة الشرق . واذا كان تاجراً فهو معدود من جماعة التجار او كان صحافياً فهو من الصحافيين تجمعه بهم جامعة الصحافة وهكذا في سائر اسباب الاجتماع . واعتبر ذلك ايضاً بالتركي المسلم بمصر فتجمعه جامعة الدين بمسلمي مصر وجامعة اللغة باهل الاناطول وتركستان والاستانة وجامعة الدولة باهل سوريا والعراق وارمينيا ومكدونيا . وهكذا يقال باليوناني من اهل مكدونيا تجمعه جامعة الدين مع اهل اوربا المسيحيين وجامعة الجنس بالدولة اليونانية وجامعة الدولة بالاتراك والسوريين والارمن وغيرهم

فكل من هؤلاء وامثالهم مخير في الظهور بالعصبية او الجامعة التي يتوسم بها النفع او يرى فيها المصلحة الغالبة على مقتضى الاحوال . وهو ما عبرنا عنه بقولنا ان الجامعة الحقيقية انما هي « المصلحة المشتركة » فيظهر الناس باحدى العصبيات الاخرى في سبيل خدمتها . وقد يعدل الرجل عن عصبية الى عصبية حسب الاقتضاء . فالعرب مثلاً قاموا في صدر الاسلام بعصبية الدين فعصبية الجنس فلما توطنوا واستقروا في المدن نشأت عندهم العصبية الوطنية فتولدت احزاب اهل الحجاز واهل الكوفة والبصرة والشام وغيرها

كان السلاطين الاتراك في ابان الدولة العثمانية يظهرون بعصبية الجنس رغبة في ضم كلمة الاتراك لتوسيع نطاق دولتهم بالفتوح . وكانوا يستنجدون العرب وغيرهم من المسلمين باسم جامعة الدين ورعاياهم راضخون صاغرون . فلما فسدت احكام هذه الدولة واستنار شعبها بنور التمدن الحديث جعلت كل طائفة منهم تلجأ الى الجامعة التي تظنها تنقذها من ذلك الظلم فالمسلمون اغضوا عن عصبية الدين لانها تجمعهم باهل الدولة وهم يتظلمون منهم وعمدوا الى الجنسيات او اللغات . فالعرب رأوا المصلحة في العصبية العربية لانها تجمع اهل جزيرة العرب ومصر والشام والعراق والمغرب والسودان وغيرها وهم يعدون بالملايين . فاخذوا يتحدثون بها وقد نشطها على الخصوص محمد علي باشا كما تقدم . ووجد الارمن مصلحتهم بالجامعة الجنسية فاجتمعوا باسم الارمن ثم تقربوا من اوربا بالجامعة الدينية لينصروهم على الاتراك كما كان السوريون المسيحيون احيانا يلجأون الى بعض دول اوربا لتحميهم باسم الدين . وقد كانت هذه الامم تجتمع كلها في جامعة واحدة هي « الجامعة العثمانية » لكنها لم تفعل لسوء الاحكام

وفساد النيات بين الحاكم ورعيته

الجامعة العثمانية

والحاكم العثماني تركي لكن فساد حكومته اساء رعيته حتى ابناء عصبيته الاتراك فتباعدوا عنه وانكروا سيادته فساء الظن بهم واراد ان يغتص آثارهم ويعرقل مساعيهم ويضعف اصواتهم فاستعان عليهم بعصبية أخرى افسد بينها وبين الاتراك بعد ان كان يخاف اهلها على منصبه لتحدثهم بالخلافة — نعني العرب فقدم رجالاً منهم جاروه وسايروه • فرأى الاتراك العقلاء ان امرهم لا يستقيم ومساعيهم لا يفلح الا اذا توسعوا في العصبية او الجامعة • وعلموا ان العصبيات الدينية او الجنسية انما يستفيد منها الملوك المستبدون للتغلب على الامم • وكانوا قد خالطوا المتمدنين باوربا ورأوا قيامهم بالجامعة الوطنية باسم الدولة فاختاروا الجامعة العثمانية عصبية لهم • وهي تضم الترك والعرب والارمن والروم والالبان وغيرهم • فنادوا بذلك فقويت شوكتهم واستحسنت الدول مساعيهم فنشطتهم حتى نالوا الدستور باسم العثمانيين • وجاهر الاتراك وهم اهل الدولة بانهم يتنازلون عن جنسيتهم ويتغاضون عن حقوقهم السياسية ولا يعرفون غير الجامعة العثمانيـة لاعتقادهم انهم اذا لم يفعلوا ذلك تمزقت دولتهم وذهبت ضياعاً • فوافقهم العرب وفيهم من لم يصدق اخلاص التركي في وعده لانه لم يتعود ذلك منه ولا من غيره من أمم الشرق • وانضم بعضهم الى تلك الجامعة طمعاً بمنصب يناله او نفع يجره فلما استبطأ نيل ما يرجوه نقم على الاتراك واتهمهم بسوء القصد • وحمل جماعة من نصراء العرب على جمعية الترقي والاتحاد ونسبوها الى التعصب الجنسي وانها انما اتخذت الجامعة العثمانية ذريعة لاسترجاع سلطة الاتراك وامتيازاتهم وانها لم تخلص النية في سعيها الى غير ذلك مما يوجب الشقاق ويبعث على القلاقل

واقوى حججهم التي يعولون عليها في هـذا الشأن ان الانتخابات لمجلس المبعوثان لم تكن حرة مستقلة بل جرت تحت سيطرة جمعية الترقي فكان النواب العرب اقل كثيراً مما يقتضيه احصاؤهم وليس فيهم مع ذلك الامسيحي واحد • فاصبحت الاكثرية في المجلس لهذه الجمعية فلا يتقرر الا ما تريده • وان الدستور يقضي بالمساواة بين الملل المختلفة في الحقوق فكان يجب على الدولة ان تعين بعض العرب في الوظائف الكبرى كالولاية والوزارة ونحوهما وهي لم تفعل بعد — فهذه الاعتراضات تظهر لاول وهلة وجيهة وما هي كذلك

نحن يهمنا شأن العرب طبعاً لاننا ننتسب اليهم ونتكلم لسانهم وقد تخلقنا باخلاقهم • ويهمنا ذلك على الخصوص بالنظر الى مصلحتنا الخصوصية لان عملنا قائم بالعرب ونحن نشتغل بآدابهم وتاريخهم • ونبذل وسعنا في ترقية شؤونهم ومن اقصى امانينا ان يكون للعرب دولة عظيمة • ولذلك فلا يمكن ان يحمل كلامنا في هذا الشأن على غير الاخلاص والرغبة في المصلحة الحقيقية فنقول :

استبداد جمعية الترقي والاتحاد

لا ننكر استخدام جمعية الترقي نفوذها في الانتخابات حتى جعلت الاكثرية من حزبها واصبحت صاحبة الكلمة النافذة في مجلس الامة • وانها تلكأت في اسناد الوظائف الكبرى الى العرب • ولكننا لا نحمل ذلك على رغبتها في الاستئثار بالسيادة دون العرب او غيرهم لان الجمعية التي بهرت العالم بتعقلها وحكمتها وصدق نيتها في طلب الاصلاح وقد اشتملت على خيرة الادباء والعلماء والفلاسفة واتت اعمالا سيخلد ذكرها التاريخ ما بقي الدستور اذ قلبت الحكومة على كيفية لم يسبق اليها سواها بشهادة التاريخ من من اقدم ايامه الى الآن وتزكية كبار الساسة المعاصرين — ان الجمعية التي هذا شأنها لا يعقل انها ترتكب هذا الخرق في السياسة وهي تعلم انه قد يأول لا الى تضعضع الدولة بل الى ضياعها — يدلك على ذلك استخدامها الحكمة والتعقل في كل تصرفاتها • ولكنها فعلت ذلك على ما نظن رغبة في سلامة هذه الدولة وصيانة للدستور الذي نالته بعد شق الانفس من ان تعبث به الايدي اذا تولاه غير اهله

كيف يجوز لنا ان نلوم جمعية الترقي (الاتراك) على سوء ظنهم فينا ونحن لم نبرهن لهم حتى الآن على الرغبة في الاتحاد معهم قلباً وقالباً • كان نصراء عصر الاستبداد من العرب • ولما قلبت الحكومة وأعلن الدستور وجاهر الاتراك أنهم يتنازلون عن جنسيتهم وامتيازاتهم رغبة في الوفاق ما كان من العرب الا السعي في تأييد الجامعة العربية فالفوا جمعية التآخي العربي بالاستانة وقد انتقدناها في غير هذا الهلال • وانشأوا الصحف للدفاع عن العرب والتنديد بالاتراك والتفاخر بمجد العرب ودول العرب وعلوم العرب • وكتب آخرون يدعون الى جامعة سورية (عربية) التماساً للاستقلال الاداري واتابوا انفسهم عن السوريين وهؤلاء لا يعلمون — كيف يلام الاتراك على سوء ظنهم في العرب بعد ذلك وكيف يحق لنا ان نستبطئهم في اسناد المناصب الكبرى الى العرب — اذا صح انهم فعلوا ذلك عمداً • اذ قد يكون السبب في ذلك التباطؤ اعتقادهم عجز العربي عن القيام

بالمناصب السياسية او الادارية الآن ليس لعدم استعداده ولكنه لم يتهيأ لهذه المناصب بعد كما تهيأ لها التركي بتوالي الحكم قروناً متوالية · والحريص على سلامة الدولة العثمانية وهي في طور تكونها يوافق على اسناد المناصب الى الاتراك او غيرهم من الامم العثمانية التي تعودت السياسة وتدربت على الحكم ريثما يستعد لها العرب وغيرهم — وهذا لا يكون فجأة

لا خلاف ان خاصة الاتراك اقدر من خاصتنا في السياسة والحكومة · والدولة في هذا الانقلاب تحتاج الى دربة وحنكة ودهاء في السياسة ريثما تتوطد دعائمها فليس من الحكمة ان نعهد في ذلك الى غير المحنكين من رجالها

وقد يعترض بان استبداد جمعية الترقي في النفوذ يخالف روح الدستور · فنقول نعم الاستبداد استبداد العاقلين العادلين · واجمع العقلاء على ان الشرق لا ينهض به الا حاكم مستبد عادل عاقل بل هو افضل ضروب الحكومة لسائر الناس وهم انما قيدوا الملك بالدستور لقلة العاقلين العادلين فكيف وقد وفقنا الى جمعية جمعت خيرة العقلاء العادلين وهي اذا استبدت كان استبدادها مقروناً بالشورى لانها مؤلفة من عشرات اومئات فيكون استبدادها ابعد عن الخطأ من استبداد الفرد · ولو خيرنا لاخترنا ان تتولى هذه الجمعية امور الدولة وحدها بلا شورى بضع سنوات ريثما تتوطد دعائم البناء الذي تفانت في اقامة جدرانه · وهب انها ارتكبت خطأ او اتوقت حيفاً بالعرب او بغيرهم فالحكمة تقضي علينا بالكظم والتسامح رغبة في مصلحة الدولة الا اذا تحققنا سوء القصد فعلاً لا لمجرد الظن

فنتقدم الى اخواننا العرب ان يحسنوا الظن باخوانهم الاتراك وينبذوا عصبيات زمن الاستبداد فانها من عصبيات الجاهلية ولينظروا الى « جامعة المصلحة » وهي اليوم « الجامعة العثمانية » التي نلنا الدستور بها فلا نقوى على حفظه وتأييده الا بها · ولا بد من اتفاقنا والاتفاق لا يتم بين اثنين الا واحدها مظلوم وهو دائماً اعقلهما · لانه يتحمل الضيم بصدر رحيب وعقل كبير رغبة في الوفاق الذي يعود بالنفع على كليهما. وما يصح على الفرد يصح على الجماعات فلا بد من الوفاق لبقاء دولتنا فعلى العاقل ان يغضي عما يتوهمه من الشطط في صاحبه مالم يخش ان يأول ذلك الشطط الى الضرر بالمصلحة العامة فيجادله بالحسنى ويباحثه مباحثة الشريك العاقل · ومتى تأيدت هذه الدولة وانتظمت شؤونها طالب كل بحقوقه ووقف عند حده · والافمن ضعف الرأي ان نتهم شريكنا بالخيانة لمجرد الوهم او نحاسبه على خطأ اذا صح انه فعله عمداً لا ضرر منه على المصلحة العامة · لاسيما وان ذلك الشريك هو صاحب المشروع وواضع اساسه وباني جدرانه لم نساعده في تشييده الا قليلاً ولما تم

البناء أشركنا في الاستظلال به وجعل لنا فيه حقاً مثل حقه على ان نتضافر على حفظه ألا نغتفر له استئثاره ببعض مرافقه بغير ان يحرمنا التمتع بما قضينا العمر ونحن نتحسر على عشر معشاره

قانون المطبوعات

وحرية الصحافة

قرر مجلس النظار في جلسته المنعقدة في ٢٥ مارس الماضي احياء قانون المطبوعات المسنون سنة ١٨٨١ قبيل الحوادث العرابية وفيه تقييد لاقلام الكتاب وحجز لافكارهم وهذا ما كنا نخافه على صحافتنا بعد ان تطرف بعضها في لهجته • ويسوءنا ان يكون تخوفنا في محله وان تصح نبوتنا فيه • فقد ذيلنا مقالة كتبناها عن حرية الصحافة بمصر في الهلال الاول من السنة الماضية بقولنا :

« فالصحافة أن مصر ناضجة تامة النمو وانها حرية المطبوعات عفواً لم تسفك في سبيلها دماً ولا انفقت عليها درهماً • فعسى ان نحسن استخدام هذه الهبة لئلا تذهب من يدها • ولا يحسن بنا التمثل بدول أوربا في كل شيء لان احوالنا غير احوالهم • وتلك الدول أعطت رعاياها حرية المطبوعات مضطرة بعد جدال وحرب انتهت بتغلب الشعب فاذعنت الحكومة وكتبت لهم بذلك عهوداً دونتها في قوانينها وشرائعها ولا يسهل الغاء شيء منها الا بعد مصادقة مجالس الامة • واما مصر فقد نالت تلك الحرية بارادة شخص اللورد كرومر فهي حرة عرفاً لا قانوناً • وقانون المطبوعات المتقدم ذكره لايزال قابلاً للتنفيذ واذا أرادت الحكومة تنفيذه فمن يمنعها ؟ واذا صاحت الجرائد وشكت فمن ينصرها ؟ »

قلنا ذلك من قبيل التهديد او الذكرى لعل كتابنا يعتدلون ولم يكن يخطر لنا ان الحكومة ستقدم عليه فعلاً • ولا نزال نعتقد انها ستعدل عنه او تعدله على الاقل بما يكفي لكبح جماح المتطرفين لا ان تعود بنا ربع قرن الى الوراء فيذهب البريء بجريرة المذنب

ولكي يحقق القراء ان قانون مطبوعات سنة ١٨٨١ ثقيل على اقلامهم كتاب هذا اليوم نورد نصه وهو :

المادة الاولى — لا يسوغ لاحدٍ ان يكون صاحب مطبعة الا بعد ان تسلم اليهِ رخصة من نظارة الداخلية و بعد ان يودع عشرة الاف قرش بصفة تأمين. وللحكومة في كل حال ان تنزع منهُ هذه الرخصة عند الاقتضاء

المادة الثانية — المطابع السرية تقفل وتضبط ادواتها ويجازى مالكها أو المودعة عندهُ بغرامة من خمسة الاف قرش الى خمسة عشرة الف قرش

المادة الثالثة — لا يجوز لاحدٍ من أرباب المطابع ان يطبع صحفاً قبل ان يقدم لادارة المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة معلنة بعزمه على طبعها وكذلك لا يجوز لهُ إي طريقة كانت بيع أو نشر تلك الصحف بعد طبعها الا بعد ان يقدم خمس نسخ منها للادارة المذكورة

المادة الرابعة — يصير حجز وضبط أي مطبوع كان في الاحوال الاتية :

اولاً : اذا لم يبرز صاحب المطبعة وصلاً من إدارة المطبوعات بتقديمه الكتابة والنسخ المقررة في البند السابق

ثانياً : اذا لم يتوضح في كل نسخة اسم ومحل سكن صاحب المطبعة الحقيقيين

ثالثاً : اذا اقيمت أمام احدى المحاكم دعوى تتعلق بمضمون ذلك التأليف

وفي هذه الحالة الاخيرة لا يكون الحجز والضبط قطعيين الا بعد صدور الحكم على صاحب التأليف المذكور من المحاكم المقامة أمامها الدعوى

المادة الخامسة — عدم تقديم الكتابة قبل الطبع أو عدم تقديم النسخ اللازمة قبل النشر يوجبان مجازاة صاحب المطبعة بدفع غرامة من الف الى الفي قرش

المادة السادسة — اذا لم يضع صاحب المطبعة اسمهُ ومحل سكنه على كل نسخة فيجازى بدفع مبلغ من الف الى الفي قرش غرامة واذا وضع اسماء ومحل سكن مفتعلين يغرم بدفع مبلغ من الفين الى اربعة الاف قرش

المادة السابعة — يجوز في الاحوال المبينة ببندي ٥ و ٦ استبدال الغرامة بنزع الرخصة وقفل المطبعة

المادة الثامنة — يصير اثبات المخالفات بموجب محاضر يحررها مأمورو الأثمان او

مأمورون مخصوصون يتعينون للتفتيش على المطابع

المادة التاسعة — يسري هذا القانون على مطبوعات الحجر وباقي المطبوعات بسائر انواعها مهما كانت الطريقة المستعملة لطبعها

المادة العاشرة — يجوز للحكومة في كل الاحوال حجز وضبط جميع الرسوم والنقوش مهما كان نوعها أو جنسها وسواء كانت معلنة أو معرضة لنظر العامة أو للبيع وذلك متى ترآى لها ان الرسوم والنقوش المذكورة مغايرة للنظام العمومي أو للآداب أو للدين ويجازى من نشرها أو حملها أو عرضها للبيع بغرامة من مائتين الى الفي قرش

المادة الحادية عشرة — كل جريدة أو رسالة دورية تشتغل بمواد سياسية أو ادارية أو دينية وتصدر بانتظام واطراد في ايام معلومة أو بدون انتظام واطراد لايجوز ايجادها أو نشرها الا باذن من الحكومة

والاذن يكون مخصوصاً بشخص المعطى لهُ ويجب تجديدهُ متى حصل تغيير في صاحب امتياز الجريدة أو النشرة أو رئيس محرريها أو صاحبها أو مديرها

المادة الثانية عشرة — على أرباب الجرائد أو الرسائل المذكورة في البند السابق ان يدفعوا قبل صدورها مبلغاً بصفة تأمين كما يأتي :

اذا تجاوز صدور الجريدة أو الرسالة ثلاث مرات في كل اسبوع وان كان صدورها في يوم معلوم أو بكراريس على غير اطراد فيكون مبلغ التأمين مائة ج مصري

واذا كان صدورها ثلاث مرات في الاسبوع أو أقل فيكون خمسين ج مصرياً

المادة الثالثة عشرة — يسوغ محافظة على النظام العمومي أو الدين أو الآداب تعطيل أو اقفال أي جرنال أو رسالة دورية بامر من حكومتنا بعد انذار أو بقرار من مجلس النظار بدون انذار

ويسوغ اضافة غرامة من خمسة جنيهات الى عشرين ج لكل انذار يصدر

المادة الرابعة عشرة — جميع التبليغات التي تصدر من نظارة الداخلية بقصد نشرها يجب درجها مجاناً في صدر اول صحيفة تصدر من الجريدة المذكورة

المادة الخامسة عشرة — على صاحب الجريدة أو الرسالة أو من تطبع على نفقته أن يدرج فيها الرد الذي يرد اليهِ من الشخص الذي حصل التعريض بهِ او ذكر اسمهِ في تلك الجريدة او الرسالة ويكون نشر الرد في الثلاثة الايام التالية ليوم وروده او في اول عدد يصدر اذا كان ميعاد صدوره بعد انقضاء الثلاثة الايام ومن خالف ذلك يجازى بدفع غرامة من ٢ ج الى ١٠ ج وهذا مع عدم الاخلال بما يترتب على تلك المقالة من العقوبات والتعويضات ويكون نشر ذلك الرد بدون اجرة ويجوز ان يكون مطول الشرح خمسة اضعاف المقالة المردود عليها

المادة السادسة عشرة — اذا استمر صدور الجريدة أو الرسالة بعد تعطيلها أو توقيفها تحت عنوانها الاصلي او تحت عنوان آخر فيعاقب كل من محررها وصاحب امتيازها وصاحب المطبعة بدفع غرامة من ٥ الى ٢٠ ج مصرياً عن كل عدد اوصحيفة تصدر منها . وهذا فضلاً عن نزع رخصة صاحب المطبعة واقفال مطبعته

المادة السابعة عشرة — لناظر داخلية حكومتنا ان يمنع دخول وتداول وبيع الجرائد والرسائل المنشورة في خارج القطر المصري وكل من ادخل أو وزع أو باع أو وُجدت عنده بنوع الوديعة جريدة أو رسالة دورية منشورة في خارج القطر المصري وممنوع دخولها يعاقب بغرامة من جنيه الى ٢٥ ج مصرياً

المادة الثامنة عشرة — كل كتابة غير صادرة من الحكومة سواء كانت بالخط او بطبع الحروف او بالنقش او بطبع الحجر لايجوز نشرها او لصقها بالشوارع والميادين والمحلات العمومية متى كانت تلك الكتابة تحتوي على اخبار سياسية ومن خالف ذلك يعاقب بغرامة من جنيه الى عشرة جنيهات يلزم بها بطريق التضامن كل من الفاعلين لذلك العمل والمشتركين فيهِ . وهذا مع عدم الاخلال بالعقوبات التي تترتب على الجناية او الجنحة الناشئة عن الكتابة المذكورة

المادة التاسعة عشرة — على موزعي الكتب والصحف والرسائل والنقوش وعلى الذين يسرحون بالكتب المبيع ان يستحصلوا اولاً على رخصة تعطى اليهم بلارسم في المحروسة والاسكندرية من مأموري الضبطية وفي باقي المحافظات والمديريات من

المحافظ أو المدير ويجوز لجهات الحكومة المعطاة منها تلك الرخص ان تنزعها عند الاقتضاء ومن يخالف ذلك يعاقب بدفع من عشرة قروش الى مائة قرش فضلاً عن محاكمة محرري وموزعي وبائعي تلك الصحف بالنسبة للجنحة او الجناية التي يكونون ارتكبوها

المادة العشرون — تؤخذ الغرامة من مبلغ التأمين وكلما نقص لزم تكميله في ظرف ١٥ يوماً لاجل ابلاغه قيمته الاصلية والا فيعتبر كأنهُ غير موجود والحجز والضبط يكون اجراؤهما بالطريقة الادارية وكذلك التغريم او توقيف الجريدة او الرسالة وتعطيلها في الحالات المبينة بهذه اللائحة يكون بامر من ناظر داخلية حكومتنا والامر المذكور يكون بتاً لا مراجعة فيهِ وجميع هذا لا يمنع من محاكمة من يستحق المحاكمة امام جهات القضاء

المادة الحادية والعشرون — يعفى اصحاب المطابع والجرائد والرسائل الدورية الموجودة الآن من طلب الرخصة ويعطى لهم مهلة شهرين لتقديم مبلغ التأمين

المادة الثانية والعشرون — كل قانون او لائحة او امر او منشور مخالف لامرنا هذا صار ملغى

المادة والعشرون — على ناظر داخلية حكومتنا تنفيذ امرنا هذا

صدر بسراي عابدين في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ الامضاء

محمد توفيق

بأمر الحضرة الفخيمة الخديوية ورئيس مجلس النظار وناظر الداخلية

شريف

ثم ذيل القانون المذكور بما يأتي :

اولاً (المادة الثالثة من تلك الحدود) لا يجوز لاحد من ارباب المطابع ان يطبع صفحاً قبل ان يقدم لادارة المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة معلنة بعزمه على طبعها الخ المراد من الصحف الكتب والرسائل المؤلفة الغير دورية والمؤلفات الدورية التي يكون ميعاد صدورها شهراً فازيد اما الجرائد والرسائل الدورية التي يكون ميعاد صدورها اقل من شهر فانه يكفي في جواز طبعها اصل الرخصة المعطاة له في اصدار الجريدة او الرسالة ويكفي في جواز نشرها توصيل الخمس نسخ الى الادارة نفسها او الى البوسطة ان كان المحل بعيداً من جهة الادارة

ثانياً (المادة الرابعة) يصير حجز وضبط اي مطبوع كان في الاحوال الآتية الخ المراد من اي مطبوع من التآليف والكتب والرسائل الغير الدورية او الدورية التي يكون ميعاد صدورها شهراً فازيد تشملها الاوجة الثلاثة المذكورة في هذه المادة اما الجرائد والرسائل التي يكون ميعاد صدورها اقل من شهر فلا تدخل الا في حكم الوجه الثاني والثالث من هذه المادة

ثالثاً المادة الحادية عشرة · المقصود من صاحب الجريدة ما يشمل الشركات التي تمنح من الحكومة امتيازاً بانشاء جريدة على طريق المساهمة فلا تحتاج الى تغيير الرخصة الا اذا تغير عنوان الشركة

رابعاً المادة الثامنة عشرة · كل كتابة غير صادرة من الحكومة سواء كانت بالخط الخ المقصود من الكتابة عمومها باي طريقة كانت وتعديد الطرق الموضحة بالمادة المذكورة للتعميم وليس المراد منه الاقتصار على الانواع المسرودة فيها

في ٢٧ محرم سنة ٩٩ الموافق ١٩ دسمبر سنة ٨١ الامضا

شريف

اما القرار الرسمي الذي اصدرته الحكومة في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ باعادة قانون المطبوعات فتجد نصه في مكان آخر من هذا الهلال

شروط التعريب

نقلا عن كتاب الاشتقاق والتعريب

للشيخ عبد القادر المغربي احد محرري المؤيد

قلنا اولاً ان حد التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية · والعرب لم يكونوا يخالطون الاعاجم كما نخالطهم نحن لهذا العهد · ولم يكونوا يعرفون من لغاتهم كما نعرف منها نحن · لذلك كانت السنتهم غير ممرنة على النطق بالكلمات الاعجمية · واسماعهم غير مستأنسة بلهجتها ونغمها استئناسنا نحن بهما · فمن ثمّ كانوا اذا عربوا كلمة افرغوها في قوالب كلماتهم العربية · وردوها الى صيغها واوزانها · الا ما ندر

من ذلك النادر كلمات خراسان وابراهيم والمرزنجوش واهليلج وابريسم وأجرّ وشطرنج بفتح الشين · فانه لا يوجد في الاوزان العربية فعالان وافعاليل وأفعيلل وفاعلّ وفعلل

وكانوا مع ذلك ينطقون بتلك الكلمات المغايرة لاوزانهم • ولا يتحرجون من تكرارها في كلامهم

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

ووردت كلمة ابراهيم العبرانية في القرآن الكريم مرات عديدة • وبهذه المناسبة نقول ان ابليس اليونانية ذكرت في القرآن تسع مرات • وشيطان اليونانية ايضاً ذكرت اثنتين وخمسين مرة

ولما رأى الجوهري ان العرب قلما يعربون كلمة مالم يردوها الى كلمة توازنها في لغتهم — جعل ذلك شرطاً في التعريب وفي صحة اطلاق « المعرّب » على الكلمة المنقولة الى العربية وزاد في تعريف التعريب قيداً فقال « أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية على نهجها وأسلوبها » فقوله نهجها وأسلوبها ناظر فيه الى ما قلناه • وهذا ما عناه المرحوم جمال الدين الافغاني بقوله : اذا اردنا استعمال كلمة أعجمية في اللغة العربية فما علينا الا ان نلبسها مشلحاً وعقالاً فتصبح عربية • وقد أراد بالمشالح والعقال ما اراده الجوهري بالنهج والاسلوب • وتبع الحريري الجوهري في زيادة هذا القيد حتى قال في كتابه درة الغواص ان فتح الشين من شطرنج خطأ والصواب كسرها لتصير على وزان قرطعب وجردحل

ولا يمنع الجوهري والحريري ورود مثل خراسان واهليلج وآجرّ في كلام العرب وانما يمنعان جريان التعريب فيه واطلاق اسم المعرب عليه فهما واشياعهما يقولون ان خراسان واخواتها كلمات اعجمية وردت في كلام العرب وليست معربة الى لغتهم فالكلمات التي تنطق بها العرب في اعتبار هؤلاء ثلاث مراتب : عربية ومعربة واعجمية • اما سيبويه وجمهور اهل اللغة فقد ذهبوا الى أن التعريب ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية مطلقاً : فهم تارة يلحقونها بأبنية كلامهم كدرهم وزبرج • وطورا لا يلحقونها بها كابراهيم وآجر وشطرنج (بفتح الشين) وابريسم • ومن هذا القبيل « سمندو » و « قندو » اسمان اعجميان لمدينتين فان العرب عربوهما ونطقوا بهما وبواوهما الساكنة في آخرهما كما هما في الاعجمية • مع انه لم يوجد في اوزان كلامهم اسم على هذا المثال قط : اي بواو ساكنة في الآخر • فرتب الكلم اذاً عند سيبويه اثنتان : عربية ومعربة • ومدار التعريب على الاستعمال وحده • وقد ذهب مذهبه عامة اهل اللغة • فصرحوا بانه لا يلزم في المعربات ان تجري على امثلة الاوزان العربية • بل ان جاءت فحسن لتكون مع اقحامها على العربية شبيهة باوزانها

وقد يتفق ان تغير العرب الاسماء الاعجمية التي تعربها تغييراً لا يكون معه الحاق باوزانها ومناهج كلامها : كقول الاعشى « وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه » اصل الكلمة « شاهان شاه » اي ملك الملوك • فقد حذف منها الالفين الاولين حتى صارت شهنشاه • وبقيت بعد هذا التغيير غير منطبقة على وزن من اوزان العرب • قد يقال ان مذهب سيبويه هذا ارفق باللغة والمتكلمين بها • واعون على حياتها • واتساع دائرتها لا سيما زمناً كزمننا هذا : انتشرت فيه اللغات الاعجمية بيننا • ومرنت على النطق بكلماتها السنتنا • ولا مجامع لغوية لدينا تعتني بنقل تلك الكلمات وردها الى ابنية عربية وامرنا في التعريب على العكس من امر العرب : هم كانوا قلما يبقون الكلمة الاعجمية على هيئتها الاصلية ونحن قلما نحولها الى اوزان لغتنا : فتلغراف وتلفون وفونوغراف واتوموبيل وتياترو وسيناماتوغراف وبرجرام في كثير من نظائرها نكاد ننطق بها كما أنزلت على لسان اهلها ويسمى استعمالنا لها — وان لم نغيرها او نلحقها — تعريباً على ما ذهب اليه سيبويه

وكأن سيبويه واشياعه نظروا الينا والى ما يطرأ على لغتنا بعين الغيب : فلم يشترطوا في التعريب سوى الاستعمال • ولو اشترطوا فيه تغيير الكلمة والحاقها باوزاننا — لضقنا ذرعاً بتلك الكلمات الاعجمية الكثيرة التي تنهال على لغتنا ايما انهيال • وليس لنا من العناية وانشاء المجامع ما يقوم بهذا الشرط ويفيه حقه • فنكون اذن في اعتبار اولئك الجهابذة المشترطين — اعاجم نكلم الطمطمانيه • ونتراطن بلغتنا تراطنا

على اننا مهما استحسنا راي سيبويه في عدم اشتراطه رد الكلمة المعربة الى مناهج اللغة واوزانها — ينبغي ان نقف في ذلك عند حد محدود • والا تكاثرت الكلمات الاعجميه ذات الاوزان المختلفة والصيغ المتباينة في لغتنا الفصحى • وخرجت على تمادي الايام بذلك عن صورتها وشكلها • وعادت لغة خلاسية : لا عربية ولا اعجمية • كاللغة المالطية • او كسائر اللغات العربية العامية • في مختلف الاقطار الاسلامية

فكم نحن إذن في حاجة الى مجمع لغوي يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذي يتهددها وينتشلها من هذه الهوة التي نخشى ان تواقعها

هل السوريون عرب

او ما هم

فاضت صحف الاخبار بعد الدستور في السوريين هل هم عرب واختلفت الآراء في ذلك فكتب الينا غير واحد يسألوننا رأينا فيهم فنقول:

السوريون قبل الاسلام

ان السوريين ويراد بهم غالباً اهل الشام والعراق وما بين النهرين وفلسطين يصعب تعيين اصولهم لكثرة ما توالى عليهم من الدول قديماً وحديثاً فقد كانت هذه البلاد في اقدم ازمنة التاريخ مأهولة بشعوب سامية تتقارب نسباً ولغة . أما قبل نزول الساميين فكانت مقاماً لامم لا يعرف اصلها وكان الساميون اقوى منهم فغلبوهم على بلادهم واستقروا فيها واخذ اولئك بالانقراض قبل الميلاد بعدة قرون . وهاك ترتيب مساكن الساميين هناك من الشمال الى الجنوب — الآراميون (السريان والكلدان) فالفينيقيون فالعبرانيون فالانباط . وخالطتهم امم شتى غير سامية اقامت بين اظهرهم في بقاع مختلفة من بلادهم غير بقايا الشعوب الاصلية مما يطول بيانه ولكن الساميين تغلبوا عليهم جميعاً وعاشت اديانهم وآدابهم وعاداتهم

على ان مركز هذه البلاد الجغرافي جعلها عرضة لمطامع الفاتحين من الامم القديمة كالحثيين والمصريين والاشوريين والفرس فكانوا يتناوبون فتحها او اكتساحها وتتقاطر شعوبهم اليها ولكن الامر لم يستقم لدولة من الدول في سوريا كما استقام لليونانيين خلفاء الاسكندر . فان هذا القائد العظيم فتح هذه البلاد في القرن الرابع قبل الميلاد واوغل فيها ثم صيرها خلفاؤه يونانية وتوافد اليها اليونان واقاموا فيها واختلطوا باهلها ولا سيما بعد ظهور النصرانية . وقد دخلت في سلطة الرومان ولكن العنصر اليوناني ما زال متغلباً عليها واكثر تغلبه على سواحل بحر الروم ويضعف شأنه في الداخلية تدريجاً

ومع ذلك الاختلاط ظلت الشعوب السامية محافظة على آدابها وعاداتها ولغاتها ولاسيما اليهود فانهم مع ما اصابهم من الاضطهاد والسبي ظلوا من حيث الآداب والدين نحو ما كانوا عليه في ايام داود وسليمان الا ما اصاب لغتهم من التغيير في اثناء السبي ببابل فانها اختلطت بالسريانية والكلدانية وعرفت باللغة الآرامية او الكلدانية وبها كتبوا

التلمود وانقسموا الى اليهود والسامريين . أما من بقي من الشعوب السامية ولاسيما الآراميون فتنصروا وانفردوا بآدابهم وعاداتهم واكثرهم كانوا يقيمون في العراق وما بين النهرين واعالي سوريا الى فلسطين

فكانت حدود الشام الغربيـة على سواحل بحر الروم يغلب فيها العنصر اليوناني. وحدودها الشرقية مما يلي البادية يغلب فيها العنصر العربي . وكان هناك من اوائل القرن الرابع قبل الميلاد امة عربية عرفت بالانباط أو النبط كان مقامهم وراء فلسطين شرقاً جنوبياً على انقاض الادوميين وهي دولة بطرا التي فصلنا اخبارها في كتابنا « العرب قبل الاسلام » فانهم اختلطوا باهل الشام وفلسطين اجيالاً متوالية . ولما ضعف شأنهم ظهر مكانهم على حدود الشام والعراق اجيال جديدة من العرب اتخذهم الفرس حلفاء يردون غارات اخوانهم اهل البادية او ينصرونهم في الحروب التي كانت تنتشب بين تينك الدولتين قبيل الاسلام . فاقام حلفاء الروم في جهات حوران وهم الغساسنة واقام حلفاء الفرس على شاطىء الفرات في الحيرة وهم المناذرة . فاذا انتشبت الحرب بين الروم والفرس تجنـد الغساسنة للروم والمناذرة للفرس ودافع كل منهما عن اصحابه . ولنحو هذا السبب اقام العرب على الحدود بين الفرس والروم في ما بين النهرين والعراق وفيهم بطون من اياد وربيعة

فسكان الشام والعراق عند ظهور الاسلام كان معظمهم من بقايا الاراميـين الاصليين في الشمال والشرق واليهود والسامريين في الجنوب وبقايا الانباط في الجنوب الشرقي يليهم العرب الغساسنة والمناذرة ثم قبائل اياد وربيعة بين النهرين . ويتخلل هذا المجموع شتات من امم اخرى كالجراجمة في جبل اللكام والجرامقة في الموصل واخلاط من مولدي اليونان الرومان على الشواطىء ومولدي الفرس والاكراد في الشمال

السوريون بعد الاسلام

ولما رسخت قدم العرب في الشام والعراق اختلطوا باهلها واقاموا في مدائنها ثم نزح اليها غيرهم طلباً للرزق ونزلوا الارياف . ولما قامت الدولة العباسية وعظم شأن الفرس وتولوا الاعمال في المملكة نزح جماعة منهم الى الشام والعراق . ثم تكاثر الجند التركي في الدولة فكثر تقاطر الاتراك واقاموا فيهما وكانت الدولة تستعين في حربها برجال من الاكراد والديلم والارمن وتزايد الاكراد على الخصوص في عهد الدولة الايوبية ثم تكاثر الاتراك والجركس في عهد الدولة السلجوقية والنورية والسلاطين المماليك . فلما تسلطت الدولة العثمانية اضيف اليهم جماعة من الانكشارية وهم اخلاط من امم شتى وجماعة الارناؤط وغيرهم — ناهيك

بتقاطر الافرنج الى سوريا في اثناء الحروب الصليبية وما بعدها وفيهم الفرنساوي والانكليزي والالماني والايطالي . وقد اجتاحوا الثغور والاراضي المقدسة واقاموا ردحاً من الزمن في مملكة معززة الاركان بمن كان يأتيها من نصارى الافرنج وقد بقي منهم جماعة توطنوا وتناسلوا

وكانت المهاجرة متواصلة الى سوريا من جيرانها سكان شواطىء البحر المتوسط من الغرب وسكان البادية من الشرق ولا سيما اليونان وعرب حوران فان مهاجرتهم اليها لم تنقطع حتى الآن . وفي سوريا كثير من العائلات المسيحية ترجع بانسابها الى احدى هاتين الامتين

فالسوريون الآن يقسمون من حيث اصولهم الى قسمين كبيرين المسلمين والمسيحيين . فلننظر في انساب كل منهما على حدة . أما اليهود فانسابهم محفوظة قلما طرأ عليها تغيير

انساب المسلمين في سوريا : ان انساب مسلمي سوريا ترجع بالاكثر الى العرب لانهم اول من نزلها من اهل الاسلام بعد الفتح كما تقدم . وخالطهم بعد ذلك من جاءها من الامم الاسلامية كالترك والجركس والاكراد والفرس والديلم ونحوهم ومن اعتنق الاسلام من مسيحييها أو يهودها أو اليونان أو غيرهم فممن حفظوا انسابهم العربية بيوت الخالدي والحسيني والمخزومي وغيرهم وفيهم بيوت يخالطها شيء من الدم الارامي أو اليوناني أو الاسرائيلي

انساب نصارى الشام

أما نصارى سوريا وهم المراد من البحث الذي فاضت به الصحف فقد كان معظمهم عند ظهور الاسلام من الاراميين والعرب واليونان كما رأيت . والاراميون هم سكان البلاد الاصليون وجاءهم اليونان بحراً من الغرب فنزلوا سواحل بحر الروم ودخل عليهم العرب براً من الشرق والجنوب واكثرهم من غسان في حوران وتغلب واياد والنمر في ما بين النهرين . وكانت هذه القبائل عند ظهور الاسلام تدين بالنصرانية لكن قبائل ما بين النهرين نصرت العرب بجامعة الجنس أو اللغة لانها كانت ناقمة على الفرس فعرف العرب المسلمون لها فضلها في ذلك . فلما هموا بوضع الجزية على اهل الذمة بعد الفتح ابت قبائل تغلب واياد والنمر اداءها و بلغ عمر بن الخطاب ذلك فاستشار اصحابه فقال له بعضهم « انهم عرب يأنفون من الجزية وهم قوم لهم نكاية فلا تعن عدوك عليك » فوافق ذلك ما في نفسه ففرض عليهم الصدقة كما تفرض على المسلمين ولكنه اشترط عليهم أن لا ينصروا اولادهم فآل ذلك طبعاً الى دخولهم في الاسلام . وكان عمر شديد المحافظة على الجامعة العربية لا يأذن للعرب النصارى في التوغل ببلاد الروم واذا فعلوا استرجعهم وخاطب ملك الروم بشأنهم لانه يرى

ذلك حقاً له . ذكروا ان الوليد بن عقبة لما سار لفتح العراق والجزيرة انضم اليه عربها النصارى الا قبيلة اياد فانهم تحملوا الى بلاد الروم فكتب الوليد الى عمر بذلك فكتب عمر الى ملك الروم « بلغني ان حياً من احياء العرب ترك دارنا واتى دارك فوالله لتخرجنه او لنخرجن النصارى اليك » فاخرجهم ملك الروم

فلم يبق على النصرانية من عرب الشام بعد الاسلام الا بقايا الغساسنة في حوران ونتف من أتباع المناذرة عرب العراق او من جاءهم من كندة ونحوها . فما كان في نصارى الشام من دم العرب او النسب العربي مرجعه بالاكثر الى الغساسنة . اما العرب الفاتحون الذين نزلوا الشام والعراق فكلهم مسلمون وندر فيهم من تنصر فلم يدخل انساب السوريين المسيحيين شيء من انسابهم ولا دخلها شيء من انساب الامم الاسلامية التي نزلت الشام بعد العرب كالاتراك او الاكراد او الفرس او الجركس او غيرهم . ولكن خالطها كثير من انساب الامم النصرانية التي نزلت هناك كالارمن والروم والافرنج من زمن الصليبيين وما بعده . لان هؤلاء كانوا اذا جاؤا سوريا استقروا فيها وتناسلوا ونسيت انسابهم وتكلموا العربية وتخلقوا باخلاق السوريين وعاداتهم وصاروا منهم

فانساب نصارى الشام الآن ترجع الى انساب اصلية وهي الآرامية (السريان والكلدان) وانساب دخيلة اقدمها واكثرها شيوعاً على سواحل البحر المتوسط اليونانية لان اليونان جاءوا سوريا واختلطوا باهلها من اقدم ازمنة التاريخ وكانوا ينزلون شواطئها وزاد نزوحهم بعد زمن الاسكندر حتى صارت سوريا لهم وطناً ثانياً كما تقدم . وظلوا يتوافدون اليها بعد الفتح الاسلامي وما زالوا على ذلك الى الآن . وفي سوريا بيوت كثيرة تنتسب الى اليونان واسماؤها تدل على أصولها كبيت يني وماولي وكتسفليس وبابادوبلس وفيليبيدس وغيرهم . ومنها بيوت تبدلت اسماؤها باسماء عربية وحفظت انسابها عند اهلها كبيت مشاقة في دمشق الشام فهم يرجعون بنسبهم الى يوسف بركي من كورفو ببلاد اليونان نزل طرابلس الشام وكان تاجراً بالمشاقة فعرف اسمه بها . وبيت مسرة فرع من اسرة يونانية نشأت في طرابزون جاء جدها الى ديار بكر فحلب وتفرعت في دمشق ومصر

اما النسب العربي في السوريين فانه قديم وعريق فيهم ايضاً لكن اكثره في شرقي الشام وجنوبها مما يلي جزيرة العرب لان اهل هذه الجزيرة كثيراً ما كانوا ينزلون ماجاورهم من القرى ويتحضرون . ولكن تلك الاصول القديمة قد ضاعت الآن واكثر ما يعرف

من النسب العربي في السوريين يرجع الى الغساسنة وهو متأصل فيها قبل الاسلام. ثم توالى دخول الغساسنة الشام واندماجهم باهلها جيلاً بعد جيل اما التماساً للرزق بالزرع أو غيره اوفراراً من العرب المسلمين في مشارف الشام • واحدث ما يذكرونه من توافدهم الى سوريا مهاجرتهم في اواسط القرن الخامس عشر على اثر خصام وقع في حوران حملهم على الالتجاء الى المدن فتفرقوا في سوريا ونزل منهم جماعة كبيرة في جنوبي لبنان • وكثيرون من نصارى هذا القسم الروم الارثوذكس وغيرهم ينتسبون الى الغساسنة وقد نزل بعضهم المدن وتناسلوا فيها • وهناك عشائر نصرانية كبيرة ترجع باصولها الى حوران فشائخ بيت الخازن في لبنان ينتسبون الى اصل حوراني ويقولون ان جدهم جاء من اذرع في حوران في اواسط القرن الخامس عشر • وكذلك اسرة المطران في بعلبك وزحلة فانهم في الاصل من جالية حوران • وهكذا يقال في بيوت جبارة وغنام وحوراني وعطية وشقير وطراد وحداد وصفير وغصن وغيرهم

وأما سائر الانساب النصرانية فمنها الاصول الارمنية وهي كثيرة وكلها تعد من جملة السوريين كبيوت هندية وخياط باشا وابكاريوس وورتبات وقرابيت وغيرهم • ومنها الاصول الافرنجية وقد ضاعت اسماؤها الا قليلاً منها كبيت ابيلا من الاسبان وبيت طاسوس الايطاليان وبيت شرشل من الانكليز • وينتسب بيت كرم في اهدن الى كولونل فرنساوي • وبيت طربيه في طرابلس ينتسبون الى الفرنساويين من زمن الصليبيين • وقس على ذلك سائر الامم المسيحية التي نزلت الشام واختلطت باهلها مما يطول شرحه

فالسوريون المسيحيون ليسو عرباً من حيث النسب وان كان فيهم شيء من دم العرب بل هم اخلاط من امم شتى ولكنهم يعدُّون عرباً لانهم يتكلمون العربية وقد توالدوا في بلاد عربية وتخلقوا باخلاق العرب • فسوريا اصبحت بعد الفتح الاسلامي عربية لنزول العرب المسلمين فيها واتخاذها وطناً لهم وقد نشروا فيه لسانهم وعاداتهم وآدابهم فسكانها يعدون عرباً وان لم يرجعوا بانسابهم الى قبائل العرب

والعرب بهذا الاعتبار ثلاث طبقات (١) اهل البادية الذين ينتسبون الى القبائل العربية ولا يزالون محافظين على انسابهم (٢) العرب المسلمون الذين نزلوا الارياف واختلطوا بغير العرب بالتزاوج واندمج فيهم سواهم من الامم الاسلامية غير العرب وهم سكان المدن في الشام والعراق ومصر والمغرب تجمعهم اللغة العربية والدين الاسلامي (٣) العرب المولدون المنتسبون الى العرب وهم المسيحيون من سكان هذه البلاد فانهم

يعدون عرباً باعتبار لغتهم وعاداتهم وآدابهم لا من حيث انسابهم · ومنهم نصارى الشام والعراق واقباط مصر · وعلى هذا القياس يعد نصارى بر الاناطول الذين يتكلمون التركية اتراكاً وا كثرهم من اليونان وقس عليه

قانون المطبوعات

قرار مجلس النظار في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ باعادة قانون المطبوعات

حيث ان الحكومة لم تنفذ منذ سنة ١٨٩٤ قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفبر سنة ١٨٨١

وحيث ان الجمعية العمومية طلبت من الحكومة في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٣ ردع الجرائد عن تجاوزها الحدود وعن الفوضى التي وصلت اليها وأرسل اليها مجلس شورى القوانين طلباً مثل هذا في ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٤

وحيث ان عدم تنفيذ قانون المطبوعات لم يزد هذه الجرائد الا تمادياً في التطرف والخروج عن الحد حتى ادى ذلك لشكوى الناس بلسان الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين من هذه الحالة التي اضرت بمصالح البلاد ضرراً بليغاً

فقد قرر مجلس النظار ما يأتي :

اولاً : يعمل باحكام قانون المطبوعات (الصادر بتفسيرها وتوضيحها القرار الوزاري الرقيم ١٩ دسمبر سنة ١٨٨١) فيما يتعلق منها بنشر الجرائد في القطر المصري · وكل جريدة يثبت صاحبها بالكيفية التي تقررها نظارة الداخلية ان اصدارها كان مطرداً حتى صدر هذا القرار تعتبر كانها حاصلة فعلاً على الرخصة التي نص عليها القانون · وكل جريدة من هذه الجرائد لم يسبق لها ايداع التأمين المنصوص عليه في القانون تعفى من ايداعه أيضاً

ثانيا : تسري أحكام القانون المختصة بالمطابع على المطابع الجاري طبع جرائد فيها وذلك فيما يختص فقط بالمخالفات المتعلقة بطبع هذه الجرائد غير انه

ا : لا يطلب ايداع التأمين المنصوص عليه في القانون

ب : وتعتبر الرخصة كانها اعطيت فعلاً لكل مطبعة يكون مطرداً طبع الجرائد فيها

ثالثاً : يجوز في كل وقت للحكومة عند الاقتضاء استعمال السلطة المنصوص عليها في المادتين العاشرة والسابعة عشرة من القانون

سكسافون

آلة تميز الذكر من الانثى

اكتشف علماء هذا العصر كثيراً من اسرار الطبيعة ونواميسها بما لم يسبق له مثيل في تواريخ العصور حتى سموه عصر الاكتشاف والاختراع. لكن ما بقي غامضاً عن اهله اكثر كثيراً مما عرفوه اذ لا يمضي يوم لا تعرض لنا حوادث يعجزنا تفسيرها ونذهب في تعليلها كل مذهب بما لا يخرج عن حدود التخمين. ومن اغمض الظواهر الطبيعية ما كان متعلقاً منها بالحياة واغمضها ما كان من اعمال العقل أو المخيلة. وهذا ما حدا بالناس الى التحدث بالارواح فانكر العلماء وجودها واستنبطوا الفاظاً يغطون بها جهلهم فقالوا تليباتي وهبنوتزم وقراءة الافكار ونحو ذلك وهي لا تشفي غليلاً. وكلما تعمقنا في التفكير زدنا شعوراً بعجزنا لكن الانسان مفطور على البحث والاستنتاج فلا ينفك يراقب الحوادث ويستخرج اسبابها ويتعلق بالدليل ولو كان ضعيفاً لتعليل ما شغل خاطره من الغوامض

ومما شغل الخواطر وتاقت الى معرفة حقيقته النفوس سبب الذكورة والانوثة في الحيوانات وخصوصاً الانسان واقل منها معرفة ما في بطن الحامل قبل الوضع ذكراً هو او انثى. وقد ذهب الناس في ذلك مذاهب اكثرها من قبيل الخرافات ولا تزال هذه المسألة تحت البحث وما برحت تعدُّ من الغوامض

غير ان بعضهم وفق الى اكتشاف يرجى الوصول به الى تلك الامنية. ذلك ان مهندساً انكليزياً اسمه وليمس يشتغل بتربية الفراخ وتوليدها. اتفق انهُ كان في احدى غرف معمله كرة صغيرة من الفولاذ معلقة بسلك رفيع الى وتد في الحائط. فرأى هذه الكرة ذات يوم تتحرك كالرقاص ذهاباً واياباً بلا سبب ظاهر. ولما طال تحركها اصبح شديد الميل الى استطلاع سببه فرأى تحتها قفصاً من بيض الدجاج فخطر له ان يزيح القفص لعلهُ يجد تحتهُ قطعة من المغناطيس فلم يجد شيئاً. لكنه ما عتم ان رأى ذلك الرقاص قد كفت حركته فاعاد القفة فعادت الحركة فتحقق ان بين وجود البيض وتلك الحركة علاقة. فاخذ يبحث في تفاصيل تلك العلاقة لعله يستفيد منها. فوجد للرقاص حركتين احداهما خطرانية ذهاباً واياباً مثل حركة الرقاص والاخرى مستديرة ترسم دوائر تامة. وتحقق بعد تجارب عديدة ان ذلك الرقاص الفولاذي لا يتحرك ما لم يكن تحته بيض أو غيره من الاجسام الحية

ولا يتحرك فوق البيض الفاسد · وان حركته تكون خطرانية اذا كانت البيضة انثوية أي تنقف عند الفقص عن دجاجة · وتكون مستديرة اذا كانت تنقف عن ديك · وقد جرب ذلك مراراً عديدة واستفاد منه فائدة مادية فاصبح قادراً على التفريق بين البيض الفاسد والصحيح وفي هذا بين الانثى والذكر فيولد المقادير التي يريدها من كل منهما

ثم وجد هذا التمييز في الحركة ينطبق على الذكور والاناث في سائر الحيوانات · فاذا علق الرقاص المذكور فوق رأس رجل أو غلام تحرك حركة مستديرة واذا علق فوق امرأة أو فتاة كانت حركته خطرانية · وجرب ذلك بجماعة من علية القوم احدهم السير الفرد ترلر كما ترى في هذا الرسم

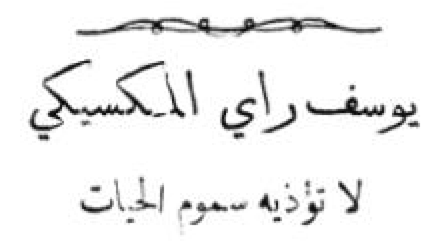


السكسافون اوالرقاص الفولاذي فوق رأس السير الفرد ترلر يتحرك حركة مستديرة

وقد ذكر المستر ستيد انه قابل المستر وليمس في مكان سماه وسأله عن صحة هذا الاكتشاف فاكد له انها حقيقة ثابتة وهو يبني اعماله على هذه الحقيقة وقد جربها الوفاً من المرار حتى اصبحت معوّله في توليد الفراخ او الديوك في معمله على ما يختاره · وانه تعوّد الاسراع في استخدام هذا الكاشف حتى صار يكشف عن ٢٠٠ بيضة كل ساعة ولا تخل هذه القاعدة مرة واحدة كل مئة مرة

وقد جربها فوق حيوانات مخبأة او مغطاة لا يظهر جنسها للناظر فاذا تحرك الرقاص علم انها ذكر أو انثى ويكون كذلك

هذا ما ذكره المستر سنيد في مجلته ووعد ان يزيد القراء تفصيلاً عنه . ولكنهُ لم يذكر اذا كان المستر وليمس جرب آلته هذه على الاجنة لمعرفة جنسها من الانوثة او الذكورة لعلها تكفي الناس مؤونة التحسر على معرفة ما في بطون الحوامل — ولله في خلقه شؤون



يوسف راي المكسيكي

لا تؤذيه سموم الحيات



يوسف راي يلاعب الثعابين السامة

الحيات السامة كثيرة وهي انواع متعددة ترجع الى قسمين عظيمين وكلها اذا لسعت تقتل ومنها حيات تقتل الملسوع في بضع دقائق لقوة سمها وهي كثيرة الاذى ولا سيما في الهند لكثرة انتشارها هناك . ومنها نوع يعرف عندهم باسم (ناجا) يعشش في المنازل فتبلغ الوفيات بسمه في العام من ١٦,٠٠٠ الى ٢٠,٠٠٠ نفس من الناس ونحو ٤,٠٠٠

باب السؤال والاقتراح

مناجاة الارواح

(بيروت) خليل افندي ابراهيم دبوس

قرأنا في بعض جرائدنا المحلية مقالة ضافية للدكتور ابرهيم يوسف عربيلي عن استحضار الارواح ومناجاتها . وعدَّد الكاتب اسماء جمعيات كثيرة ترمي الى هذه الغاية . وآخر ما شاهده بعيني راسه في البلاد الاوربية من مدام « توسون » العرافة او « الوسيطة » انها احضرت له والدته « مريم » المتوفاة من زمن بعيد وكلّمها بحضور جم غفير من الناس ثم توارت عنه . انتهى

وقد قصصت هذه الرواية على لفيف من الاصحاب فبعضهم اقر بصحتها وآخرون كذبوها اشد تكذيب بقولهم انها « شعوذة » واخيراً اتفقنا على ان يكون الهلال حكماً بيننا مع الاذعان لما يبديه

(الهلال) وجاءنا سؤال آخر بهذا المعنى من سليم افندي فواد في كفركلا الباب بالسلطة وآخر من ح . ع . ج في المطرية دقهلية

والجواب على ذلك ان مسألة الارواح لا تزال من المسائل الغامضة التي لم يقطع العلم بصحتها او فسادها مع انها تخالف النواميس الطبيعية المعروفة . وانما تركت بين المعضلات التي لم يقطع فيها لان العلماء الطبيعيين لا يدعون الاطلاع على نواميس الكون كلها بل هم يعترفون بعجزهم عن تعليل كل حوادثه فاذا عرض لهم حادث لم يستطيعوا تعليله بما يعرفونه من النواميس الطبيعية تركوه معلقاً حتى يكشف الزمان حقيقته . لان الطبيعيات لا تزال قابلة للتعديل والتصحيح بخلاف الرياضيات فانها لا تقبل تعديلاً . اذا قلت للرياضي مثلاً الا يمكن ان تكون الزوايا الثلاث من مثلث في بعض الاحوال اكثر من زاويتين قائمتين بل لو اتيته بمثلث وقست زواياه بين يديه وبينت له انها اكثر من قائمتين فانه لا يكلف نفسه النظر في برهانك بل يحتم قطعياً انك مخطئ . وربما كان الخطأ من

الآلة او غيرها لان اعتقاده بصحة تلك القضية الهندسية لا يقل عن اعتقاد كل انسان ان مجموع الاثنين والاثنين اربعة

وليس الحال كذلك في المسائل الطبيعية فان الاكتشافات المتوالية تأتينا كل يوم برأي جديد فلا يجوز لنا الاعتقاد اننا بلغنا الحقيقة التي لا يمكن نقضها . فقد مرَّ على العلوم الطبيعية ادوار وكان اهل كل دور يعتقدون انهم بلغوا الكمال في تفسير الحوادث وتعليلها فيخلفهم عصر آخر ينتقد آراءهم ويضحك من تعاليمهم وهكذا على توالي الاجيال

كان العلماء في القرن السادس قبل الميلاد يعتقدون ان الماء اصل كل مواد هذا الكون من الجوامد والسوائل والغازات وهو رأي الفيلسوف طالس . ثم زعم من جاء بعده ان تلك المواد ترجع الى العناصر الاربعة الماء والنار والهواء والتراب . وهو ماجرى عليه علماء اليونان والرومان والعرب والافرنج الى عهد غير بعيد . وكانوا يعللون كل ظواهر الكيمياء والطبيعيات بهذا الرأي لا يلاقون صعوبة ولا اشكالاً . ولا يخفى عليك ان هذا القول يعدُّ اليوم من الخرافات بعد ان انقلب علم الكيمياء انقلاباً كليًا بما توصلوا اليه من التحليل والتركيب . فوجدوا ان مواد الكون مؤلفة من عناصر بسيطة عددها زهاء ثمانين عنصرًا وهي تزداد يوماً عن يوم بما يكتشفونه منها . ولا يبعد ان يتصل اهل القرن العشرين الى تحليل هذه العناصر الى بسائط اخرى ترجع الى مادة واحدة يتكون من تركبها بعضها مع بعض على نسبٍ مختلفة كلُّ هذه العناصر . فيكون الكون مؤلفاً من مادة واحدة وقوة واحدة

ويقال مثل ذلك في علم الطب . فقد كان مدار التشخيص والعلاج عند الاقدمين على الاخلاط والامزجة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك . وكانوا يعللون به كل الحوادث التي تقع لهم تعليلاً مقبولاً بالنظر الى تلك العصور . ولم يخطر ببالهم الميكروب ولا الاكسجين ولا افتقروا اليهما في التعليل

فكان الشيخ الرئيس يعلل اسباب الحميات وسائر الاوبئة تعليلاً يقبله اهل عصره كما نقبل تعليلها اليوم بما نعرفه من النواميس الحديثة . فلا يبعد ان يأتي بعدنا اناس تنكشف لهم نواميس لم تنكشف لنا فينظرون في الحوادث الطبيعية غير نظرنا فتختلف فيها اراؤهم عن آرائنا . وربما ضحكوا من جهلنا كما نضحك من جهل سلفائنا . فالطبيعيون الذين استوعبوا العلم لا ينكرون وجود الارواح انكاراً قطعياً لانهم لا يدعون الكمال في علمهم وادعاء الكمال من شأن ناقصي العلم . ويكثر ذلك في الشبان عند اول طروقهم ابواب

العرفان فلا يكاد احدهم يتعلم مبادىء الطبيعيات حتى يتبادر الى ذهنه انه اوتي العلم والحكمة فيعتقد ان كل ما يبدو من حوادث هذا الوجود مخالفاً لما تعلمه انما هو من قبيل الخرافات

نعم ان القول بوجود الارواح يخالف العلوم الطبيعية على ما بلغت اليه حتى الآن . ولكن العاقل البصير لا يقول باستحالة وجودها لاننا نرى كثيراً من الحوادث التي تجري معنا لا تعلل تعليلاً واضحاً الا بها كالاحلام والتنويم المغنطيسي وقراءة الافكار والتلباثي . ثم هو لا يجوز له الاعتراف بوجودها لانه يخالف كثيراً من النواميس الطبيعية الثابتة من حيث المكان والمادة والقوة . فالمعول عليه اليوم ان المادة تشغل كل مكان في هذا الوجود فاين تكون الارواح . واين تكون قبل الولادة ومتى تحتل الجسم او تنفصل عنه الى غير ذلك

على ان في العلوم الطبيعية الى اليوم آراء يعدونها من اسس هذه العلوم وتظهر عند التدقيق انها غامضة كالراي الجوهري مثلاً وخلاصته ان المادة مؤلفة من اجزاء صغيرة لا تقبل الانقسام سموها الجواهر الفردة وهم يسلمون به لانه يعلل كثيراً من الحوادث الغامضة في الكيمياء والطبيعيات وغيرها ولو اعملت الفكرة في حقيقة تلك الجواهر لتعذر عليك تصورها كما يتعذر تصور الارواح . فاصحاب الرأي الجوهري حملوا الجواهر الفردة حركة ليعللوا الظواهر الطبيعية بها ولكن الحركة تستلزم المكان والمكان في اعتقادهم لا يكون فارغاً ففرضوا اشتغاله بمادة لم تسمع بها اذن ولا خطرت على قلب بشر سموها « الا يثير » وبها يعللون انتقال النور وغيره من القوى الطبيعية وهم يرتاحون الى ذلك التعليل . ولكن هذا الا يثير مادة فهو بمقتضى الرأي الجوهري مؤلف من جواهر بينها حيز لا يكون فارغاً فبماذا نملأه ؟ هل نملأه بمادة اخرى اخف من الا يثير ننتحل لها اسماً آخر ؟ ثم ان هذه ايضاً يجب ان تكون مؤلفة من جواهر متحركة وهكذا الى ما لا نهاية له . ولكنهم قد يقولون أن الا يثير مؤلف من مادة متلاصقة لا تجزأ وهذا فرض لا يتصوره العقل اكثر مما يتصور الارواح . وبعد اكتشاف خصائص الراديوم عدلوا اقوالهم في الرأي الجوهري فقالوا ان الجوهر مؤلف من اجزاء صغيرة سموها اليكترون وقدروا قطر الجوهر الواحد جزءاً من مليون من القيراط وان الاليكترون عبارة عن احاد كهربائية بعضها سلبي و بعضها ايجابي فيكون الجواهر على زعمهم هذا مؤلفة من القوة .. وهذا ابعد عن التصور من الارواح

وخلاصة ما يقال في هذا الموضوع ان وجود الارواح ممكن ولكن لا يجوز القطع بوجودها او عدمه لنقص ابحاثنا حتى الآن ولان ما يروى لنا من احاديثها اكثره معرض للمبالغة

فيخرج عن اصله ولا يستطاع التعويل عليه

اما ما ذكره الدكتور عربيلي في جرائد بيروت عن الحوادث التي شهدها بنفسه فقد سمعناها من فيه هنا وظهر لنا من مجمل حديثه انه يعتقد ما يقوله فهو صادق لانهُ قال ما يعتقده بلا تمويه او كذب. ولكن صدقه لا يستلزم صحة ما يرويه اذ كثيرًا ما يرى الناس اشياء لا وجود لها وانما يصورها لهم الوهم واكثر ما يعرض ذلك لاصحاب المزاج العصبي فان للاوهام سلطة كبيرة عليهم ولا يفلح اصحاب الارواح غالبًا الامع هؤلاء لانهم يتسلطون على اعتقادهم بالتنويم المغنطيسي او الايهام فيجعلونهم يرون اشياء لاوجود لها الافي مخيلة المنوم

الحواة واستخراج الثعابين

معقلة زحلة — الياس افندي يوسف

جاءنا رجل مصري مهنته التقاط الحيات فاذا دخل بيتًا تمتم وعزم وذكراسم الله واسم سليمان الحكيم والرفاعي فتنزل الحية فيلتقطها ويقلع اسنانها ويسلمها الينا ولا خوف منها فنقلبها اذا هي كسائر الحيات وقد ادهش الناس باعماله. فكيف يتسلط على الحية ولا يخاف لسعها وقد بذلنا الجهد في كشف هذا السر واختلفنا في تعليله لكن اتفقنا على استفتاء الهلال

الهلال — الحواة مشعوذون ليس فيهم من القوى ما ليس في سواهم غير الخفة والبافة في ايهام الناس انهم يلتقطون الثعابين في المنازل والغالب ان يأتي الحاوي بالثعبان معه وكثيرًا ما سمعنا بهؤلاء الحواة واعمالهم فافضى بنا حب البحث الى تجربة الامر بنفسنا فاستقدمنا أمهر حواة القاهرة وطلبنا اليه أخراج حية قلنا له اننا سمعنا حفيفها في سقف المطبخ . فجاءنا ذات يوم حاملاً جرابه ومتشحًا بجلابيته ولم يشأ ان يدخل المطبخ قبل ان نتفحص ثيابه ونتحقق خلوها من الحيات . فادخلناه غرفة وجردناه من ثيابه حتى وقف فينا عريانًا وبداه خاليتان فلم نر معه شيئًا . ثم لبس جلابيته ودخل المطبخ وجعل يعزم ويتمتم ونحن نراقب حركاته وسكناته ولم نر فيها ما يوقع شبهة في صدقه . ثم مد يده الى احدى زوايا المطبخ واستخرج حية رأيناها رأي العين كانها تنساب بين الاواني فعجبنا غاية العجب لانطلاء تلك الحيلة علينا

ولكننا استعدنا العمل ثانية والتمسنا من الرجل استخراج حية أخرى فاستخرجها من زاوية أخرى ونحن ننظر اليه ولا نشعر بالحيلة . ولكن اعتقادنا شعوذة الحواة ما زال ثابتًا فينا وازداد ميلنا الى استطلاع كنه حيلهم فتقدمنا الى الرجل ان يطلعنا على

في اصل الامة العربية وكيف تكونت بالتجنس ودخول الاجانب في جنسيتها قبل الاسلام وبعده فصلاً عن التوالد فصل ذلك تمهيداً للقول بجواز نمو لغتهم بالتجنس اي بقبول الدخيل فيها خلافاً لزعم القائلين بجمود اللغة وتحريم النمو عليها ثم عمد الى تأييد ذلك بفصول في الاشتقاق والقلب والابدال والنحت بين تأثيرها في تعدد الالفاظ. وكتب فصلاً في التعريب عارض به من يزعم ان وجود اللفظ الغريب في اللغة كوجود مادة غريبة في جسم الانسان. ودفع حجة القائلين ان اللغة توقيفية بتفسير الآية التي يعولون عليها في ذلك «وعلم آدم الاسماء كلها» تفسيراً معقولاً . ثم تكلم عن تكوّن الجنس العربي ونسبته الى الامم السامية وشفع ذلك بفصل في نمو اللغة بالدخيل كما تنمو الاجسام الحية بتوالي التحليل والتركيب اذ يندثر القديم ويخلفهُ ما يقوم مقامه من الدقائق «الدخيلة» . وأيد ذلك بنمو الامم بالدخيل كما حدث في اميركا وغيرها

ثم أتى بفصول في وظيفة التعريب وشروطه واورد طائفة من المعربات ردها الى اصولها. وتكلم في التعريب ومعربات السنة وافرد فصلاً عنوانه «المعرب عربي او بمنزلته» واتى بالادلة على ذلك وافاض في الكلام عن المولد والمحدث والعامي وختم الكتاب بفصل في نتائج وملاحظات

فالكتاب فريد في بابه وأسلوبه نرجو ان ينسج الكتاب على منواله و يطلقوا هذه اللغة المسكينة من قيود التقليد فتسعفهم في تأدية ما حدث من المعاني بحدوث هذه المدنية بين اظهرهم

مطبوعات جديدة

نقتصر في هذا الباب على ذكر ما يظهر حديثا من الكتب او الجرائد او المجلات اعلانا لظهورها ولا نعرض لنقدها اوتقريظها . واذا دعت الحال الى شيء من ذلك نشرناه في باب آخر

١ — كتب تاريخية

١ دوالي القطوف في تاريخ بني المعلوف : هو كتاب تاريخي الفه عيسى افندي اسكندر المعلوف في تاريخ اسرته ولكنهُ ضمنه كثيرًا من التعاليق والحواشي ملأها بالفوائد التاريخية العمومية كوصف الوقائع والعادات والاخلاق والشؤون العمرانية واصول كثير من الاسر الشرقية وفروعها ومشاهيرها ومواطنها في زهاء ٨٠٠ صفحة مما لا يتيسر الوقوف عليه في كتاب وفيه مباحث علمية وجغرافية واحصائية وذيله بخمسة فهارس وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٤٠ غرشاً

٢ مصطفى كامل باشا : صدر الجزء السابع من سيرة هذا الفقيد العزيز وهو يتضمن تاريخ المسألة الشرقية ويباع في المكاتب الشهيرة وثمن النسخة خمسة غروش

٣ عقود الجوهر : هو كتاب الفه جميل بك العظم محاسب المعارف في بيروت جمع فيه تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فاكثر . وصدر الجزء الاول منه وهو يطلب من مكتبة الهلال بمصر

٤ لبنان والدستور العثماني : وهو بحث سياسي قانوني تاريخي في موقف لبنان الحاضر ازاء الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده تأليف بولس افندي مسعد ويطلب من مكتبة المعارف وثمن النسخة خمسة غروش

(٥) Der Islamische Orient : هو كتاب الفه بالالمانية صديقنا المستشرق الالماني الاستاذ هرتمن جاءنا الجزء الثاني منه وفيه ابحاث علمية اجتماعية في العرب واصولهم وطبقاتهم الى اليوم وفيه تعاليق جاء فيها ذكر كثير من مشاهير الشرق يدخل في نحو ثمانمائة صفحة كبيرة ويطلب من Verlag Rudolf Haupt, Leipzig

٦ تحفة الانام في مختصر تاريخ الاسلام : تاليف المرحوم الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت السابق ضمنه مختصر تاريخ الاسلامية الدول من ظهور الاسلام الى الآن في نحو ٣٠٠ صفحة وهو يطب من المكتبة الاهلية في بيروت

٧ A brief narrative of recent events in Persia هو كتاب انكليزي في تاريخ الدستور الفارسي لصديقنا الدكتور براون المستشرق الانكليزي الشهير وقد لخصناه في صدر هذا الهلال

٢ — الكتب العلمية وغيرها

١ احصاء المدارس المصرية : هو كشف باحصاء التلامذة الموجودين في المدارس العمومية والخصوصية بالقطر المصري سنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨ وضعته ادارة عموم الاحصاء بنظارة الداخلية في ٣٣٠ صفحة كبيرة كلها جداول وفهارس وهو يصدر كل عام

٢ دليل بيروت : هو تقويم يصدر في بيروت في اول كل عام هجري لمؤلفه عبد الباسط افندي الانسي . وبين يدينا التقويم الاول لعام ١٣٢٧ هجرية في ٢٢٠ صفحة تشتمل على كل ما يشتاق زائر بيروت الى معرفته من اسماء الاماكن والاشخاص والمشاهد وغيرها ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش

٣ تفصيل وخياطة الملابس : هو اول كتاب وضع في العربية بهذا الموضوع لانه يشتمل على قواعد التفصيل والخياطة للسيدات نقله الى العربية رزق افندي عبد الله بمكتب هندسة وابورات السكة الحديدية ٠ وفيه كثير من الرسوم التي توضح كيفية التفصيل على اسلوب جلي وهو يطلب من مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز ومن الهلال وثمن النسخة ٤٠ غرشاً

٤ مديحة وطنية دستورية عثمانية : هو لحن جديد وضعه الموسيقي السوري الشهير وديع افندي صبرا نزيل باريس لنشيد نظمه الشيخ ابو نضاره المعروف بشاعر الملك ٠ ولصبرا افندي الحان كثيرة وضعها من عند نفسه تغنى في باريس والاستانة وبيروت ومصر وغيرها وهو من نوابغ الموسيقيين في هذا العصر

٥ The religious attitude and life in Islam هو كتاب في الدين الاسلامي تأليف الاستاذ مكدونلد المستشرق الاميركاني استاذ اللغات السامية في مدرسة هرتفورد ٠ وله مؤلفات عديدة في الفقه الاسلامي وغيره والكتاب في ٣٢٠ صفحة ويطلب من The University of Chicago Press, U. S. A. وثمن النسخة ريال و٨٨ سنتاً خالص اجرة البريد

٦ الجوهر اللماع فيما ثبت بالسماع : هو مجموع حكم للامام الشافعي المنظومة والمنثورة جمعها حسين بن عبد الله بالسلامة نزيل مكة وقد طبعت بمطبعة كردستان بمصر وتطلب منها

٣ ــ الجرائد والمجلات

١ العائلة القبطية : هي مجلة تهذيبية فكاهية تصدر في الاسكندرية من جمعية الاتحاد القبطية الخيرية الارثوذكسية بدل اشتراكها عشرون غرشاً

٢ الاستاذ : مجلة سياسية علمية ادبية تاريخية تصدر في مصر مرتين في الشهر لصاحبها ومحررها عبد المجيد افندي كامل بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً بمصر و١٥ فرنكا في الخارج

٣ النتيجة الشرقية : هي تقويم تجاري تصدر بالاسكندرية مرة في السنة لمنشئها يوسف افندي الخوري الصيدلي الكيماوي وقد صدرت نشرة سنة ١٩٠٩ في كراس كبير وهي سنتها التاسعة

٤ العصر الجديد : جريدة سياسية تصدر في طرابلس الغرب مرة في الاسبوع لصاحبها محمد افندي علي البارودي بدل اشتراكها عشرة فرنكات



الجزء الثامن من السنة السابعة عشرة

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٩ و ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٢٦

تاريخ الجند العثمانى

منذ نشوء الدولة العثمانية الى اليوم

١ — الجند الاسلامي على الاجمال

جند العرب

كان العرب قبل الاسلام اهل بداوة لا نظام للجند عندهم وانما كانوا قبائل اذا أرادت احداهن حرباً جردت رجالها وفيهم الفرسان والمشاة ومعهم الاسلحة المعروفة في الجاهلية كالقوس والرمح والسيف . الا ما كان من نظام الجند في الدول العربية التي تمدنت قبل الاسلام كالتبابعة ملوك حمير والمناذرة ملوك الحيرة . فقد ذكروا للمناذرة كتيبتين من الجند تسمى أحداها الدوسر والاخرى الشهباء . واما عرب الحجاز فقد كانوا قبل الاسلام على الفطرة البدوية

فلما ظهر الاسلام انفرد المسلمون عن سائر العرب واتحدوا بجامعة الدين يداً واحدة في محاربة اعدائهم فكانوا كلهم جنداً كبيرهم وصغيرهم . واول جنود المسلمين المهاجرون فلما جاؤوا المدينة اتحدوا بالانصار وصاروا جميعاً جنداً واحداً قائدهم النبي بنفسه ورابطتهم المعاهدة والمواخاة وعددهم يومئذ قليل جداً

ثم جعلوا يزدادون بالفتح والغزو في ايام النبي وأبي بكر بما انضم اليهم من قبائل العرب

في الحجاز واليمن ونجد واليمامة كباراً وصغاراً تجمعهم جامعة الاسلام حتى تكاثروا فتكاتفوا وحملوا على الشام والعراق ومصر ففتحوا البلاد ومصروا الامصار وانقسموا الى اجناد يقيم بعضها في مصر وبعضها في الشام وبعضها في العراق في محطات خاصة بهم وكان جند كل محطة ينقسم باعتبار القبائل والبطون فكانت البصرة مثلاً خمسة اقسام تسمى الاخماس يقيم في كل خمس منها قبيلة من قبائل المسلمين وهم الازد وتميم وبكر وعبد القيس واهل العالية . وكان على كل خمس امير من امراء تلك القبائل . وقس على ذلك سائر اجناد المسلمين في الكوفة والفسطاط مما مصره المسلمون او في غيرهما من مدن العراق والشام ومصر فقد كان لهم في كل اقليم جند ينقسم على نحو هذه الكيفية

ذلك والمسلمون كلهم جند محارب لا يعمل احد منهم عملاً وقد نهاهم عمر بن الخطاب عن الزرع كأنه رآهم بعد ان فتحت لهم الامصار ورأوا خصب الارض قد مالوا الى الرخاء والتقاعد عن الحرب فأمر مناديه ان يخرج الى امراء الاجناد يتقدمون الى الرعية ان عطاءهم قائم وان رزق عيالهم سائر فلا يزرعون . ولعله اراد بذلك ان لا يتوطنوا في بلد اذ ربما مست الحاجة الى تجنيدهم لنجدة اخوانهم في بلاد أخرى او لحماية بعض الامصار فلا يثقل عليهم ذلك

اما تنظيم الجند فئة خاصة دون سائر فئات المسلمين فقد بدأ بايام عمر عند تدوين الدواوين وتم في ايام بني أمية . و يظهر ان التجنيد الالزامي بدأ في اواسط هذه الدولة وكان الناس من قبل يذهبون الى الحرب جهاداً في سبيل الدين فيصيبون الغنائم والفيء . فلما قامت الفتنة بعد مقتل عثمان (سنة ٣٥ هـ) اشتغلوا بالحرب فيما بينهم مدة وكل طائفة تندفع الى ذلك دفاعاً عن رأيها واعتقادها بانها تذود عن الحق فلما افضى الامر الى بني امية وصار المسلمون دولة واحدة وضعفت قوة الاحزاب بتغلب العنصر الاموي لم يعد الناس يرون ما يدفعهم الى الحرب طوعاً فجعلوا يتقاعدون فاضطر الخلفاء الى التجنيد بالالزام . ولعل اول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف على عهد عبد الملك بن مروان . وكانت الدولة الاموية قد بلغت ذروة مجدها وكثر المسلمون ومالوا الى العمل في الارض واطلق لهم السراح وكانوا قد هموا بالتقاعد عن الحرب ايام معاوية فغلبهم بدهائه وعطائه فلما تولى ابنه يزيد ثم معاوية الثاني ثم مروان بن الحكم ولم يكن فيهم من يملك القلوب او الاعناق تجرأ الجند على التقاعد فتولى عبد الملك الخلافة والجند على ما تقدم لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله فشكا ذلك الى روح بن زنباع صاحب شرطته فاجابه « يا امير المؤمنين ان في شرطتي رجلاً

لو قلده امير المؤمنين عسكره لارحلهم برحيله وانزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف» فاطاعه عبد الملك وقلد الحجاج امر العسكر . وكان شديداً عاتياً فلم يعد أحد يتخلف عن الرحيل والنزول الا اعوان روح بن زنباع . فوقف الحجاج عليهم يوماً وقد رحل الناس وهم على طعام . فقال لهم « ما منعكم ان ترحلوا برحيل امير المؤمنين » فقالوا له « انزل يا ابن اللخناء فكل معنا » فقال « هيهات ذهب ما هنا لك » ثم امر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وامر بفساطيط روح بن زنباع فأحرقت بالنار . فدخل روح بن زنباع على عبد الملك بن مروان باكياً فقال له « مالك » فقال «يا امير المؤمنين الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شرطتي ضرب عبيدي واحرق فساطيطي » قال « علي به » فلما دخل عليه قال « ما حملك على ما فعلت » قال « ما انا فعلته يا امير المؤمنين » قال « ومن فعله » قال « انت والله فعلته انما يدي يدك وسوطي سوطك وما على امير المؤمنين ان يخلف على روح بن زنباع للفسطاط فسطاطين وللغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدمني له » فاخلف الخليفة لروح بن زنباع ماذهب له وتقدم الحجاج في منزلته وكان ذلك اول ماعرف من كفايته

فيشبه ان يكون ذلك اول تاريخ التجنيد الالزامي . ثم صار سنة واصبح الجند الاسلامي فئتين المرتزقة والمتطوعة وكلاهما عرب يرجعون في انسابهم اما الى قحطان وهم اليمنية او الى عدنان وهم المضرية وفيهم جماعة من الموالي او العبيد

جند الاعاجم في الاسلام

فلما تولى بنو العباس واحتاجوا الى موازرة الاعاجم في تأييد سلطانهم دخل في جند العرب جماعات منهم . واول من دخل في الجند الاسلامي منهم آل خراسان لانهم هم الذين نصر العباسيين في دعوتهم بقيادة ابي مسلم الخراساني وسلموا اليهم الخلافة . وكانت فرق الجند في ايام المنصور ثلاثاً اليمنية والمضرية والخراسانية . ثم اضيف اليها فرقة رابعة هي فرقة الحرس الخاص اتخذها الخلفاء خوفاً مما كانوا يتعصبونه لهم من الحبائل و يقيمون عليهم من الثورات . ومن غريب هذه الاعمال ان الامر الذي اراد الخلفاء ان يحفظوا سلطانهم به كان علة خروج ذلك السلطان منهم

ولما افضت الخلافة الى المعتصم بالله (سنة ٢١٨ هـ) كانت العناصر الاجنبية قد تمكنت من الدولة وزاد الخلفاء خوفاً على انفسهم فخاف المعتصم من جنده على نفسه فاصطنع قوماً من اهل الحوف بمصر (الشرقية والدقهلية) واستخدمهم في بلاطه وسماهم المغاربة ولعل فيهم بعض اهل المغرب . وجمع خلقاً من اشروسنة وسمرقند وفرغانة ابتاعهم من اسواق

بغداد تدريجاً وجند منهم جنداً سماه جند الفراغنة ثم سموا الاتراك ٠ وقد كانوا أشد خطراً على الدولة العباسية من سائر فرق الجند وآل الامر بهم الى الاستبداد في اهل الدولة واحتقار الجند العربي الاصلي واساءة سائر اهل بغداد ٠ حتى كثيراً ما كانوا يركبون الدواب في شوارع بغداد ويركضونها فيصدمون الرجل والمرأة والصبي ٠ فتأذى الناس وشكوا امرهم الى المعتصم فلم يرَ سبيلاً الى ملافاة ذلك الا باخراج جنده من بغداد فبنى لهم سامرا (سنة ٢٢١ هـ) واقام معهم فيها ٠

وكانت خلافة المعتصم بدء نفور العرب من خلفائهم وشكواهم منهم ٠ وكانوا يعبرون بالجند يومئذ عن الاتراك وغيرهم من الاعاجم و بالحربية عن جند العرب وكلهم مشاة ٠ ثم المتطوعة وهم الذين يقدمون على الحرب من تلقاء انفسهم و يغلب ان يكون المتطوعة في الجهاد خارج حدود المملكة الاسلامية ٠ وكان من فرق الجند عند الخلفاء النشابون الذين يرمون النشاب والنفاطون الذين يرمون النفط لاحراق حصون الاعداء والمنجنيقيون رماة المنجنيق وهم مثل طبجية هذه الايام والعيارون وهم رماة الحجارة من المخالي ٠ وكان للجند عندهم اطباء وصيادلة يرافقونه في الحرب والسلم كما تفعل الدول المتمدنة اليوم

عدد الجند ورتبهم ونظامهم

كان المسلمون في صدر الاسلام وهو الجند العربي قليلين يعدون بالمئات واخذوا يزدادون بزيادة العمارة واتساع الفتح حتى صاروا يعدون بعشرات الالوف ثم بمئات الالوف ٠ ولا يسهل تعيين ذلك بالضبط وانما يستدل عليه من عدد ما كانوا يجندونه الى الحرب فقد ذكروا ان يزيد بن المهلب في عهد بني امية حمل على جرجان وطبرستان بجند عدده ١٢٠,٠٠٠ من المرتزقة سوى الموالي والمتطوعة ٠ وحمل الرشيد على هرقلة بجند عدده ١٣٥,٠٠٠ من المرتزقة ما عدا الاتباع والمتطوعة ٠ وكان جند محمد بن طغج مؤسس الدولة الاخشيدية بمصر (سنة ٣٢٣ — ٣٣٤ هـ) ٤٠٠,٠٠٠ جندي وثمانية آلاف مملوك يحرسه منهم الفان كل ليلة على التناوب ٠ وروى ابن خلدون ان المعتصم نازل عمورية في جند عدده ٩٠٠,٠٠٠ ولا غرابة في ذلك اذا اعتبرنا عدد الحامية في الثغور الدانية والقاصية شرقاً وغرباً فضلا عن المصطنعين والموالي والخاصة [١]

اما الرتب العسكرية فلم تكن معروفة عند العرب في الجاهلية ٠ ولكنهم كانوا يولون على القبيلة الامير واذا احتاج الامير الى من ينوب عنه على فصيلة ارسلها الى غزو ولى رجلاً

(١) راجع تفصيل احوال الجند الاسلامي في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي

كانوا يسمونه المنكب وتحت المنكب العريف والمنكب يكون على خمسة عرفاء . والعريف على نفير او نفر

وظل العرب في اوائل الاسلام على نحو ما كانوا عليه في الجاهلية فقسموا الجند الى عرفاء تحت كل عريف عشرة رجال وسلموا القيادة الى اناس من اهل السابقة وكذلك كان نظامهم في اثناء الفتوح . ثم جعلت العرفاء اسباعاً وجعلوا مائة عريف بعضهم على ثلاثين او اربعين رجلاً وبعضهم على ٢٠ حسب طبقات الجند من حيث السابقة ونحوها . وكان على العرفاء امراء يقال لهم امراء الاسباع هم يتولون تفريق العطاء في العرفاء وهؤلاء يفرقونه في الجند

وقلما حدث تغيير في رتب الجند في ايام بني امية اما في الدولة العباسية فكانت رتب الجند ان على كل عشرة رجال « عريف » وعلى كل خمسين « خليفة » وعلى كل مائة « قائد » ثم تنوع الترتيب فصار العريف على عشرة وعلى كل عشرة عرفاء (او ١٠٠ نفر) « نقيب » وعلى كل عشرة نقباء (او ١٠٠٠ رجل) « قائد » وعلى كل عشرة قواد (او ١٠,٠٠٠ رجل) امير . ولا يخلو الامر من وقوع التبديل في هذا النظام بالنظر الى الدول

٢ — الجند في الدول التركية

جند المماليك

يغلب في الدول التركية ان يكون جندها من المماليك المبتاعة منذ الصغر واكثرهم من الاتراك والجراكسة والاكراد والروم والارمن والتركمان وكانوا يبتاعونهم صغاراً من النخاسين فيربونهم ويثقفونهم ويدربونهم على الحركات الحربية وركوب الخيل . واشهر من فعل ذلك دولة المماليك بمصر وكانوا يقيمونهم في قصور او قلاع يختص كل منها بفرقة حسب اجناسهم وقد بلغت المماليك السلطانية في ايام الملك المنصور قلاوون ٦,٧٠٠ ثم تمها ابنه عشرة آلاف وجعلهم طوائف فافرد طائفتي الارمن والجركس وسماها البرجية لانه اسكنها في أبراج بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعماية وافرد جنس الخطا والقبجاق وانزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمردية وجعل منهم جمدارية وسقاة وسماهم خاصكية وعمل البرجية سلاحدارية وجمدارية وجاشنكيرية واوشاقية . ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاون بجلب المماليك من بلاد أزبك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث في طلبهم وبذل الرغائب للتجار في حملهم اليه ودفع فيهم الاموال العظيمة ثم افاض على من يشتريه منهم انواع العطاء من عامة

الاصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم يراع عادة ابيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل المماليك في اطوار الخدم حتى يتدربوا و يتمرنوا

اما تدريبهم فكانوا يبدأون به منذ دخول المملوك في ملك السلطان . فاذا قدم تاجر عرض مملوكاً على السلطان فيشتريه ويجعله في طبقته و يسلمه الى الطواشي برسم الكتابة فاول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج اليـه من القرآن وكانت كل طائفة لها فقيه يأتيها كل يوم و يأخذ في تعليمها القرآن ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة الاسلامية وملازمة الصلوات والاذكار . وكان الرسم اذ ذاك ان لا تجلب التجار الا المماليك الصغار . فاذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئاً من الفقه واقرأه فيه مقدمة . فاذا صار الى سن البلوغ اخذ في تعليمه فنون الحرب من رمي السهام ولعب الرمح ونحو ذلك فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج اليه واذا ركبوا الى لعب الرمح أو رمي النشاب لا يجسر جندي ولا امير ان يحدثهم او يدنو منهم فينقل بعد ذلك الى الخدمة ويتنقل في اطوارها رتبة بعد رتبة الى ان يصير من الامراء فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت اخلاقه وكثرت آدابه وامتزج تعظيم الاسلام واهله بقلبه واشتد ساعده في رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل ومنهم من يصير في رتبة فقيه عارف او اديب شاعر او حاسب ماهر

فاذا صاروا جنداً انزلوا في قلعة الجبل وفيها ديوان معد لهم . وكانت الجيوش التركية بديار مصر على قسمين منهم من هو بحضرة السلطان ومنهم من هو في اقطار المملكة و بلادها وسكان بادية العرب والتركمان وجندها مختلط من اتراك وجركس و روم وأكراد وتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين . وهم طبقات من اكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة الف فارس ومن هذا القبيل تكون اكابر النوّاب و ربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم امراء الطبلخانات ومعظهم من تكون له امرة اربعين فارساً وقد يوجد فيهم من له ازيد من ذلك الى السبعين ولا تكون الطبلخانة لاقل من اربعين ثم امراء العشراوات ممن تكون له امرة عشرة وربما كان فيهم من له عشرون فارساً ولا يعدون في امراء العشروات . ثم جند الحلقة وهؤلاء لا تكون مناشيرهم من السلطان كما ان مناشير الامراء من السلطان وأما اجناد الامراء فمناشيرهم من امرائهم وكان منشور الامير يعين فيه للامير ثلث الاقطاع ولاجناده الثلثان فلا يمكن الامير ولا مباشريه ان يشاركوا احداً من الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم وكان الامير لا يخرج احداً من اجناده حتى يتبين للنائب موجب يقتضي اخراجه

وكانت رواتب تلك الاجناد اقطاعاً يورثونه لاولادهم ولهم مرتبات في الاطعمة والالبسة

وانعامات في الاعياد والمواسم فيها تفصيل لطيف لا محل لهُ هنا

٣ - الجنود العثمانية

قبل الانكشارية

ظهرت الدولة العثمانية والجند الاسلامي اكثره على الشكل الذي لخصناه اي انهُ مؤلف من المماليك المبتاعة بالمال او المقتناة بالاسر او نحو ذلك وكان العثمانيون عند قدومهم اسيا الصغرى لا يزالون على البداوة يحاربون تحت راية اميرهم و يقتسمون الغنائم في ما بينهم كما يفعل سائر قبائل البادية فاذا فرغوا من الحرب عادوا الى شؤونهم فلم يكونوا جنداً منتظماً قائماً تحت السلاح وانما كانوا يقدمون على الحرب من عند انفسهم . فلما وضع عثمان اساس الدولة العثمانية على انقاض دولة السلاجقة في اسيا الصغرى اصبح العثمانيون في حاجة الى من يحارب معهم لتوسيع نطاق الدولة . فكان يأتيهم المتطوعة ينضمون اليهم رغبة في الفتح او الغنيمة او الفخر ولم يكونوا يحاربون الا على ظهور الخيل وكذلك من تطوع في نصرتهم وكانوا يسمون اولئك المحاربين « اكينجي » ولم يكونوا يمتازون بشيء من اللباس او الطراز مثل جنود هذه الايام . يلبس كل منهم اللباس الذي يختاره لكنهم كانوا يتدربون على الحركات العسكرية تدرباً حسناً واشتهروا على الخصوص بانتظامهم في الصفوف فاذا مشوا كانت افراسهم صفاً واحداً كالحائط فكان عثمان اذا عزم على تجريدة بعث المنادين الى القرى والبلاد يعلنون عزمه و يدعون من شاء للاشتراك في ذلك ان يأتي الى معسكر الامير في الاجل المضروب . واذا اراد التستر في حركاته الحربية بث تلك الاوامر سرًّا على ان عثمان لم يكن مع ذلك يخلو من حرس قائم يلازم فسطاطه او قصره

توفي عثمان بعد ان فتح معظم ولاية بروسة (خداوندكار) فخلفه عليها ابنه اورخان واتخذ اخاه علاء الدين وزيراً . فرأى علاء الدين ان الدولة نظرًا لاخذها بالاتساع لاغنى لها عن الجند المنظم فاشار على اخيه بذلك ووافقه جندرلي قره خليل أحد كبار رجال الدولة وصار بعدئذ وزيراً شهيراً وعهدوا اليه بتنظيم الجند فنظم جنداً افرض له اعطية وسماه «يايا» او « پياده » المشاة ورتبه عشرات ومئات على نحو ما كان في الدولة العباسية . وجعل عليهم رؤساء سماهم باسماء تركية . فكان رئيس العشرة يسمى في الدولة العباسية « عريف » فسماه « اون باشي » اى رئيس عشرة وسمى رئيس المئة « يوز باشي » وكان اسمه « نقيب » وسمى رئيس الالف « بيكباشي » وكان اسمه « قائد » ولكنه مالبث ان خاف تمرد ذلك

الجند او عصيانه لاختلاف عناصره اغراضه ولم يكن يدفع اليهم الرواتب الا في زمن الحرب وهم يحتاجون اليها في حال السلم ايضاً فارتأى انشاء جند الانكشارية

الانكشارية

١ـ اصلهم

لفظ الانكشارية محرف عن «يكي چري» في التركية ومعناها الجند الجديد وقد نظر قره خليل في تنظيمه الى خلوه من عصبية تبعث على التمرد . وكان العثمانيون يومئذ يفتحون البلاد وا كثر اهلها مسيحيون فيدخل في حوزتهم جماعة من غلمان النصارى الذين قتل آباؤهم واصبحوا لانصير لهم ولا مرجع لآمالهم فارتأى ان يربي اولئك الغلمان تربية اسلامية ويدربهم على الفنون الحربية ويجعلهم جنداً دائماً لا يخشى منه التمرد لانه لايعرف عصبية غير الدولة ولا عملاً غير الجندية ولا ديناً غير الاسلام . فجندهم وسار بهم الى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية باماسية ليدعو لهم فدعا لهم وسماهم «يكي چري»

ولم يكن قره خليل هذا اول من جند غلمان النصارى كما يظن اكثر مؤرخي الاتراك فان الملك الظاهر صاحب مصر فعل ذلك قبل تاسيس الدولة العثمانية وهو متوجه الى دمشق سنة ٦٦٥ هـ لملاقاة عساكره العائدة من غزوة بلاد سيس فنزل بلداً اسمه قارا بين دمشق وحمص فامر بنهب اهلها النصارى وقتل كبارهم لانهم كانوا يسرقون المسلمين ويبيعونهم سرًّا للصليبيين واخذ صبيانهم مماليك ربّاهم بين الاتراك في الديار المصرية فنشأوا على الاسلام وتجندوا في الجيش التركي

على ان قره خليل جعل شروطاً للانكشارية لم يسبق لها مثيل فقسمهم الى وجاقات واحدها وجاق والوجاق . يقسم الى اورط احدها اورطة ولكل اورطة عدد تعرف به ولبعضها اسماء خاصة . ويختلف عدد الجند في كل اورطة حسب الاعصر من ١٠٠ الى ٥٠٠ ويختلف عدد الاورط في الوجاق وعدد الوجاقات بمقتضي ذلك . واكبر ضباط الوجاق اوقائدها الاكبر يسمى «آغا» تحته سكبان باشي تحته غيره فغيره على هذه الصورة :

الاغا	قائد الوجاق ويقابل اللواء في هذه الايام
سكبان باشي	ينوب عن الاغا في الاستانة ويقابل القائمقام اليوم
قول كخيا اوكخيا بك	نائب الآغا او السكبان باشي
سمسونجي باشي	قائد اورطة نمرو ٧١

زغرجي باشي	قائد الاورطة نمرو ٦٤
محضر اغا	ينوب عن الانكشارية عند الصدر الاعظم
خصكي	ينوب عن الآغا في القيادة على الحدود
باشجاويش	قائد الاورطة الخامسة
كخيا يري	ينوب عن الوجاق لدى الآغا
الافندي	الكاتب

ولكل اورطة ضباط يقتسمون قيادتها وادارة شؤونها على هذه الصورة :

١ الجوربجي	رئيس الاورطة يشبه الكولونيل
٢ اودة باشي	نائب الجوربجي في المناورات العسكرية وغيرها
٣ وكيل الخرج	يتولى امر الطعام والشراب
٤ بيرقدار	يتولى الاعلام والبيارق
٥ باش اسكي	يتولى قيادة القراقولات
٦ اشجي	الطاهي

٢ — قوانين الانكشارية

قد رأيت ان جند الانكشارية تشكل في زمن السلطان أورخان ولكن الفضل الاكبر في تنظيمه وترتيبه يرجع الى السلطان مراد الأول (تولى سنة ٧٦١ هـ) وهذه خلاصة قوانينهم :

(١) الطاعة المطلقة لقوادهم وضباطهم او من ينوب عنهم

(٢) تبادل الاتحاديين سائر الفرق كانها فرقة واحدة وتكون مساكنها متقاربة

(٣) التجافي عن كل ما لا يليق بالجندي الباسل من الاسراف اوالانغماس ويكون معوّلهم على البساطة في كل شيء

(٤) الاخلاص في الانتماء الى الحاج بكطاش من حيث الطريقة مع القيام بفروض الاسلام

(٥) لايقبل في سلك الانكشارية الا الذين يشبون من غلمان الاسر على التربية الخاصة بين الغلمان الاعاجم الآتي ذكرهم

(٦) ان الحكم عليهم بالاعدام ينفذ بشكل خاص

(٧) يكون الترقي في المراتب حسب الاقدمية

(٨) لا يجوز ان يوبخ الانكشارية ولا يعاقبهم غير ضباطهم
(٩) اذا عجز احدهم عن العمل يحال على المعاش
(١٠) لا يجوز لهم ارسال لحاهم
(١١) « « « ان يتزوجوا
(١٢) « « « الابتعاد عن ثكناتهم
(١٣) « « « ان يتعاطوا عملاً غير الجندية
(١٤) يقضون أوقاتهم بالرياضة البدنية والتمرين بالحركات العسكرية

فاذا تدبرت هذه القوانين هان عليك تصور الاعمال العظيمة التي اتاها هذا الجند في مصلحة الدولة العثمانية من الفتوح العظام • وقد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ترفع الناس عن الانتظام في هذا الجند لانه مجموع لقطاء لا يعرف لاحد منهم اب ولا ام ولكنك تفهم من البند الخامس من قوانينهم انهم كانوا يحظرون على غير اللقيط او المملوك الانتظام في جندهم وكان السلاطين يشددون في تعظيم هذا الامر في عيونهم - يروى ان السلطان سليماً الفاتح احتاج في أثناء فتوحه بين حلب ومصر الى المال فاقترض دفترداره مبلغ ٦٠,٠٠٠ ريال من احد التجار ريثما تصل الحملة ومعها النقود • فلما وصلت بعث الدفتردار الى التاجر ان يأتي لقبض المال فأتى الرجل وقال « اني غني من فضل الله واحب ان أتخلى عن هذا المال للخزينة السلطانية بشرط ان يقبل ابني في جند الانكشارية »

فرفع الدفتردار الامر الى السلطان سليم فاكبر السلطان ذلك وبالغ في انتهار الدفتردار حتى قال له « وتربة اجدادي لولا خوفي من ان يقول الناس ان السلطان سليماً فاتح الحرمين الشريفين قتل تاجراً طمعاً بماله لامرت بقتلك وقتل ذلك التاجر بهذا السيف • ادفع النقود الى صاحبها حالاً ولا تمد الى مثل هذه الجسارة مرة أخرى وكل من يتجاسر ان يدخل غريباً في جند الانكشارية يقتل •• »

٣ - عددهم

كان الانكشارية يتألفون اولاً من ابناء النصارى فقط يجمعونهم في ثكنات يعلمونهم فيها ويدربونهم كما تقدم ويعرفون قبل انتظامهم في الجندية بالغلمان الاعاجم (عجمي اوغلانلر) فاذا نالوا قسطهم من التعلم في المدة المعينة لذلك تقدموا للامتحان في الحركات العسكرية فمن جاز الامتحان ادخل في احد الوجاقات • ولم يكن عددهم في اول الامر

يتجاوز الف جندي واخذ يتزايد مع الزمان بمن كانوا يجمعونهم من اطراف المملكة بآسيا وأوربا وخصوصاً بعد ان عادت الدولة الى اعطاء السلطان خمس الغنائم وفي جملتها الاسرى والسبايا . فالاسرى من الغلمان كانوا يتخذونهم للخدمة ثم جعلوا يضيفونهم الى الغلمان الاعاجم في التكنات لينتظموا في الوجاقات . فلما تولى السلطان مراد الثالث لم يكن عدد الانكشارية يتجاوز عشرين الفاً ولا كان معول الدولة عليهم في حروبها وانما كان المعول على فرق أخرى من الجنود التي كان الامراء والعمال يأتون بها من الولايات وتعرف كل منها باسم خاص كالترجية والعزب وغيرهم ويسمون « يرلي قولي » اي الجند المحلي

اما الانكشارية فزادت اهميتهم وتكاثروا على الخصوص في ايام السلطان مراد المذكور (سنة ٩٧٦ هـ) وسبب ذلك انه احتفل بتطهير ابنه محمد احتفالاً دام شهرين وتقاطر اليه الناس من اطراف المملكة وتزاحمت الاقدام حتى مات كثيرون تحت الارجل . فسعى بعض الموجودين من اهل الخفة واللباقة بعلاقة تلك الاخطار وافلحوا . فلما انقضى الاحتفال اراد السلطان مكافأتهم فطلبوا ان يكافأوا بالانضمام الى جند الانكشارية . فامر فرهاد آغا وهو زعيم الانكشارية يومئذ ان يلحقهم بجنده فابى ذلك لمخالفته القوانين فالح عليه السلطان فاستقال وخلفه آخر اسمه يوسف اغا وافق السلطان على طلبه

فادخل في الانكشارية غير الغلمان وصار ذلك عادة جارية فبعد ان كان الانكشارية من عهد نشأتهم سنة ٧٣٠ هـ الى زمن السلطان مراد الثالث (سنة ٩٧٦) لا ينتظم في سلكهم الا الغلمان الاعاجم كما تقدم صاروا يقبلون سواهم ولو كان الطالب تاجراً اوصانعاً اوحارثاً فآل ذلك الى فساد امرهم وذهاب انفتهم اذ انتظم فيهم كثيرون بالرشوة والهدايا

على ان بعض السلاطين اهتموا بتنقية الانكشارية والتدقيق في طرق الدخول فقل عددهم ثم عادوا الى التكاثر وهذا احصاؤهم في اهم نقط التاريخ مع اسماء السلاطين وسني الاحصاء :

عدد الانكشارية	تاريخ الاحصاء		زمن السلطان
١٢,٠٠٠	٩٣٠	هـ	سليمان القانوني
١٣,٦٠٠	٩٨٢	»	مراد الثالث
٢٧,٠٠٠	»	»	» »
٤٨,٠٠٠	١٠٠٢	»	» »

٤٥,٠٠٠	١٠٠٤	«	محمد الثالث
٣٧,٦٢٧	١٠١٨	«	احمد الاول
٤٦,١١٣	١٠٤١	«	مراد الرابع
٤٤,٨٠٠	١٠٣٣	«	« «
٧٠,٠٠٠	١١١٠	«	مصطفى الثاني
٨١,٠٠٠	١١٤٠	«	احمد الثالث
١١٠,٠٠٠	١٢٢٠	«	سليم الثالث
١٤٠,٠٠٠	١٢٤٠	«	محمود الثاني (وهو ابادهم)

٤ـ رواتب الانكشارية (العلوفة)

الاصل في ترتيب العلوفة ان تدفع يومياً ولكنها لم تكن تدفع الا مرة كل ثلاثة اشهر تخفيفاً للثقلة فكانوا يؤدونها على اربع مرات في السنة وتعرف كل مرة باسم مؤلف من ثلاثة احرف مقتطعة من اسماء اوائل شهورها . فالربع الاول من السنة مؤلف من محرم وصفر وربيع فالاحرف الاولى من هذه الاشهر اذا جمعت على هذا الترتيب كانت « مصر » وعلى هذا النسق كانوا يسمون الربع الثاني « رجج » وقد يقتطعون من اسم الشهر غير حرفه الاول مراعاة للفظ فالربع الثالث (رجب شعبان رمضان) يسمونه « رشن » باقتطاع النون من رمضان بدل الراء وقس عليه . وكانت لهم رسوم في كيفية تفريق العلوفة لامحل لها هنا

اما مقدار العلوفة فقد كان لاول انشاء هذا الجند درهماً واحداً لكل انكشاري في اليوم ثم ارتفعت الى ثلاثة دراهم . وفي ختام سنة ١٠٠٠ هـ صارت العلوفة خمسة دراهم في اليوم . وكان السلاطين يزيدون رواتب بعض الاورط دون البعض الآخر لاسباب موضعية كأن تكون اورطة في حرب فتفتح حصناً او بلداً او تعمل عملاً عظيماً فيزيد السلطان علوفتها الى ضعفيها او اكثر او اقل . وربما اقترح السلطان على جنده وهم في حصار ان الارطة التي تفتح هذا الحصن تزيد علوفتها الى كذا فنتج عن ذلك تفاوت الرواتب بين الاورط المختلفة

وكان للانكشارية هدايا ينالونها في الاعياد او عند تولية السلاطين فقد كان على السلطان مال يفرقه عند تسنمه عرش السلطنة يقال له « بخشيش الجلوس » وقد يزيد رواتبهم اكراماً لذلك الجلوس فضلاً عن البخشيش . ولهم اعطيات أخرى ينالونها في احوال اخرى . ولكي تظهر قيمة الدراهم بالنظر الى نقود هذه الايام نقدرها بما يبتاع بها من ضروريات العيش فقد

كانت اقة اللحم الضاني سنة ١٠٠٠ هـ تباع بثلاثة دراهم وكل اربع أقات من الخبز بثلاثة دارهم . وكانت تزداد العلوفة وتغلو الاشياء معاً كما حصل بمصر لهذا العهد

ولم يكن بخشيش الجلوس يعطى للانكشارية فقط بل كانت العادة ان يعطى لسائر الجند ولكبار الموظفين ومقاديره معينة فكان بخشيش الصدر الاعظم ٣٠،٠٠٠ درهم وشيخ الاسلام مثله . وقاضي العسكر ٢٠،٠٠٠ والقاضي ١٥،٠٠٠ والاستاذ ٥،٠٠٠ والدفتردار ٣٠،٠٠٠ درهم وقس على ذلك وكانت بخاشيش اغوات الانكشارية تختلف باختلاف مناصبهم فالآغا الاكبر بخشيشه ١٠،٠٠٠ درهم وآغا الاستانة ٦،٠٠٠ درهم ومثله آغا غاليبولي . وكل من آغا الاناطول والروملي ٥،٠٠٠ وهكذا الى الانكشاري النفر البسيط فكان بخشيشه ٣،٠٠٠ درهم فيبلغ مجموع ما يعطى يوم الجلوس مالا طائلاً قد يزيد على ٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم

واعتبر ذلك ايضاً في ما يصرف لهم من الاطعمة كاللحم او الخبز او القمح فقد كان الانكشارية في زمن السلطان محمد الثالث ٤٥،٠٠٠ مقاتل فبلغت اثمان ما صرف لهم من اللحم نحو ١٧٠، ٩،٢٠٤ درهماً ومن الخبز ١٥،٠٠٠،٠٠٠ درهم ومن سائر لوازم الطعام ١،٢٠٣،٠٠٠ درهم

٥ ــ ملابس الانكشارية

كان المعوّل عند العثمانيين في التفريق بين الرتب وتمييز اصحابها بعضهم من بعض باشكال القلانس (القاووق) او الاقبية (القفطان) او الاحزمة (الكمر) او الوانها فكان لكل طائفة من رجال الدولة قلنسوة شكلها خاص بهم وكذلك الاقبية والاحزمة وغيرها على اختلاف في ألوانها واشكال ازرارها فضلاً عن الاعلام . واختلف المؤرخون في وصف هذه الالبسة ، واختلفوا في اسمائها واشكالها فسموا القباء او الرداء قفطان او تنورة والحزام كمر وقس عليه . واختلفت هذه الملابس على الخصوص في ضباط الانكشارية ورؤسائهم وكانت تختلف باختلاف السلاطين وباختلاف العصور وباختلاف الرتبة . ولو اردنا تفصيلها لضاق بنا المقام فنقتصر على تصوير بعض كبار الضباط بملابسهم كما ترى في الشكل الاول بالصفحة التالية

فالصورة الوسطى التي تحتها نمرة (1) هي صورة اغا الانكشارية وعمامته كبيرة منفوخة وعليه القفطان والجبة وحول وسطه الحزام وفيه الخنجر وفي قدميه نعال مكشوفة . والى يمينه في الطرف نمرة (2) نائبه المسمى « قول كخيا » وقاووقه يختلف عن ذاك اختلافاً عظيماً



2 4 1 3

(ش ١) اغا الانكشارية ونائبه وخادمه

وفي قمته شبه المروحة من الريش وبجانبه نمرو (4) خادم الاغا وعمامته كالعمائم المعروفة . والى يسار الآغا نمرو (3) الباشجاويش ويختلف لباسه عن اولئك من كل جهة وخصوصاً قاووقه وقفطانه وازاره ونعاله

وترى مثل هذا الاختلاف في صغار الانكشارية ايضاً على تفاوت في الرتب والاعمال فترى في الشكل الثاني بالصفحة المقابلة

ان نمرة (3) صورة جندي انكشاري واقف وعليه الجبة والقفطان والقاووق بشكل خاص وهو منثن الى الوراء ونمرة (4) انكشاري واقف وقفة الاحترام و (1) ضرب آخر من الانكشارية يعرف بسلاق و (5) نوع آخر جيولك . وانتبه الى نمرة (2) فانها صورة احد الغلمان الاعاجم الذين يخرج الانكشارية منهم و نمرة (6) انكشاري مدرع

وكان للانكشارية اسلحة خاصة وموسيقى خاصة بهم

٦ـ الغلمان الاعاجم

يراد بالغلمان الاعاجم الصبيان الذين يقيمون في التكنات للتمرن على الحركات العسكرية استعداداً للدخول في الوجاقات وكانوا على زمن اورخان الف غلام من النصارى ثم اخذ السلاطين يستكثرون منهم ويبنون التكنات او القلاع لاقامتهم . وكان لهم



6 5 4 3 2 1

(ش ٢) اغار الانكشارية

في اختيارهم شروط من جملتها ان يكونوا صحاح الابدان والعقول فلا عجب اذا تألف منهم جند كاد يفتح اوربا ويكتسح العالم المتمدن

ويجتمع اولئك الغلمان من خمس السلطان في الغنائم ثم صاروا يجمعونهم بالشراء ولهم ديوان تقيد فيه اسماؤهم ومدارس يتعلمون فيها الحركات العسكرية واساتذة يعلمونهم كل ما يلزم للجندية على اصطلاح تلك الايام · وكان من اولئك الغلمان جماعة يختصونه بخدمة السلطان يقيمون في قصور خاصة بهم ويتعاطون الخدمة اما في القصور او في الحدائق · فالذين كانوا يقيمون في الحدائق عرفوا بالبستانجية ورئيسهم يقال له بستانجي باشي · ثم تدرج البستانجية مع الزمان حتى صاروا حرس السلطان الخاص · واشتغل آخرون باعمال اخرى في خدمة السلطان وعرفوا باسماء اخرى · غير الذين كانوا ينتظمون في الجندية الانكشارية ومنهم جماعة كانوا يشتغلون بالنجارة لاصطناع السفن ولهم ثكنات خاصة بذلك · ومنهم فئة قليلة يلحقون باغا الانكشارية لخدمته في الحلاقة وغيرها و يسيرون وراءه اذا مشى في المدينة · والذين يعرفون التركية منهم كانوا يلحقونهم بالقصر السلطاني للخدمة في المطابخ

وكان الغلمان اخلاطاً من الالبان والبوسنة واليونان والبلغار والارمن سكان الروملي

فهم على الغالب من سكان تركيا اوربا . فكانوا يرسلون القواد لجمع اولئك الغلمان من ضفاف الدانوب وغيرها وكلهم مسيحيون . ويظهر انهم ما زالوا يجمعونهم من ابناء المسيحيين الى اواسط القرن الحادي عشر للهجرة ثم صاروا يدخلون فيهم اولاد الاجناد او غيرهم من المسلمين

وكان للغلمان الاعجم ضباط ورواتب واطعمة والبسة وكانوا يقسمون الى اورط بلغ عددها احياناً ٥٠ اورطة . ولكل اورطة ثلاثة ضباط يسمون جوربجي وميدان كحيا والقوبجي وبلغ عددهم جميعاً نحو ١٠,٠٠٠ نفس مبلغ علوفتهم كل ثلاثة اشهر ٦,٨٣٢,٣٠٢ درهماً

٧ — طعام الانكشارية

كان للانكشارية عادات خاصة نشأت فيهم من اختلاف عناصرهم ومن طبيعة نظامهم ومن اغربها عندنا عاداتهم في الطعام وادواته وكيفية توزيعه . واهم اصنافه الشورباء فقد كانت تصنع في حلل خاصة ترسل الى الاجناد في قدور كبيرة يحملونها معلقة باعواد مستعرضة كما ترى في الشكل الثالث



(ش ٣) توزيع الشورباء على الانكشارية

يحمل الحلة اثنان من الجند يقال لهما « قراقول انجي » يتقدمهما ضابط اسمه باش

قراقول اقجي يحمل على كتفه ملعقة كبيرة من الحديد . فيمر بالاماكن التي فيها عساكر من اورطتهم وهم في انتظار وصوله فيحطون القدر على الارض ويغرفون منها بالملعقة لمن ياتي بطبقه على قدر حاجته

وللطعام شان كبير عند الانكشارية وفي مطبخ كل اورطة قدر كبيرة هي مثال لقدر يحترمونها اعتماداً على حديث يتناقلونه بينهم عن الحاج بكطاش صاحب الطريقة البكطاشية التي ينتسب اليها الانكشارية انه طبخ شوربا في فيها ويعتقدون انهم اذا نقلوا هذه القدر من مكانها وصبوا هناك ماء زلزلت الارض

وكانت هذه القدور ملجأ للمجرمين فمن اتى اليها وجب على الانكشارية حمايته والدفاع عنه كما كان يفعل العرب في حماية من يستجير بهم . وفي الحوادث الكبيرة التي تتفق لهم كقيامهم بثورة او مفاوضتهم في امر يهمهم كانوا يجتمعون حول هذه القدور للمفاوضة بجانبها تبركاً بها

٨ – اهم حوادثهم

كان الانكشارية عوناً للدولة العثمانية في فتوحها فتاريخهم عبارة عن تاريخها العسكري لكنهم تقلبوا على احوال مختلفة باختلاف العصور . فكانوا في القرن الاول من تألفهم على اتم ما يكون من النظام والطاعة للسلاطين ثم تمردوا لمرة الاولى عند مبايعة السلطان محمد الفاتح . وسبب ذلك ان السلطان مراد الثاني آنس في ابنه محمد اللياقة للسلطة فاحب ان يتنازل له عن الملك وعمره لم يتجاوز الرابعة عشرة . فشاور وزيره خليل باشا بهذا الشان فاستقبح عمله واراد ان يثنيه عن عزمه فلم يفلح . وتنازل السلطان لابنه فاستصغر الوزراء سلطانهم وطمعوا باستخدام نفوذهم فخاب رجاؤهم لان محمداً كان مع صغره قوي الارادة كبير العقل فاخذوا يسعون في خلعه . واتفق زحف هونيادس المجري على المملكة العثمانية فبعث الوزراء الى مراد في مغنيسيا وكان قد شخص اليها للراحة ان يسرع لانقاذ الدولة فاعتذر انه يثق بابنه . فكتب اليه ابنه ان ياتي فاتى وعاد الى الملك حتى زالت تلك الازمة فرجع الى مغنيسيا . فلم يشتف الوزراء من ذلك فحرضوا الجند على التمرد فتمردوا وبعث خليل باشا الى السلطان مراد بذلك فاضطر الى المجيء وعاد الى عرشه وارسل ابنه الى مغنيسيا مكانه . وهكذا فاز الوزراء بدسائسهم وكان ذلك فاتحة تمرد الانكشارية واصبحوا بعد هذا الفوز يتطلبون الهدايا عند مبايعة السلاطين وصار ذلك سنة متبعة . وتوالى تمردهم حتى اصبحوا ثقلاً كبيراً على كاهل الدولة وصارت تحب التخلص منهم او استبدالهم واشهر من عزم على

ذلك السلطان سليم الثالث (تولى سنة ١٢٠٣ هـ)

كان السلطان سليم عاقلاً حكيماً محباً للاصلاح ورأى ما بلغ اليه اختلال الاحوال بسبب استبداد الانكشارية في امور الدولة حتى صاروا يعزلون و يولون كما كان يفعل الجند التركي في الدولة العباسية فعزم على التخلص منهم واستبدالهم بجند منظم مثل جند اوربا في ذلك العهد. لكنه لم يكن يستطيع مباشرة ذلك وهو في حرب مع روسيا والنمسا فعمد الى اصلاح شأن هذا الجند فاصلحه ونظم احواله على قدر الامكان فاثار فيه حمية ونشاطاً ساعداه على الظفر. واختبر السلطان في اثناء تلك الحرب ضعف النظام القديم للحكومة والجيش فاغتنم الصلح الذي عقد بعد الحرب واخذ يفكر في الاصلاح وفي جملته تنظيم جند على النظام الجديد فوجد في طريقه عقبات جمة اهمها ان الانكشارية لم يكونوا محصورين في الاستانة بل كانوا مفرقين في كل الولايات فاذا اراد مناوأتهم لا يستطيع ذلك. وبقاؤهم يقف عثرة في سبيل النظام الجديد لانه يحط من منزلتهم و يأول الى الاستغناء عنهم فعمد الى اختيار جماعة منهم يدربهم على النظام الجديد في البيادة او الفرسان من الجند الذي اخذوا بجمعه من الاهالي. فلم يجبهم ذلك وتمردوا وظل السلطان ثابتاً في عزمه مع الحماسة والسياسة ولكن الاضطرابات السياسية التي كانت تنتاب الدولة من كل ناحية حالت دون المرغوب في ايام السلطان سليم وفي ايام خلفه مصطفى الرابع فكان الفضل في ابادة المماليك وتنظيم الجند الجديد عائداً الى السلطان محمود الثاني

٩ — ابادة الانكشارية

تسنم هذا السلطان عرش الدولة العثمانية سنة ١٢٢٣ هـ والسياسة في اضطراب وشعر بشدة الحاجة الى الاصلاح وادخال النظام الجديد الى الجندية العثمانية وهو يومئذ النظام الفرنساوي وقد علم بما يحول دون ذلك فجمع اليه رجال دولته بحضرة المفتي افندي وخطب الصدر الاعظم اذ ذاك محمد سليم باشا خطاباً عدد فيه ما وصلت اليه فئة الانكشارية مع ما هم فيه من القصور في الفنون الحربية الجديدة وطلب اليهم ان يبدوا رأيهم في ما يجب اتخاذه من الوسائل للاقاة ما يهدد المملكة العثمانية بسبب ذلك . فاقر الجميع وفي جملتهم آغا الانكشارية على اتخاذ الوسائل الفعالة . فتلا المكتوبجي امراً قاضياً بتنظيم جيش جديد باسم (اكينجي) وتهذيبه فوافق الجميع على وجوب تنفيذ هذا الامر وتلي ذلك بعدئذ على ضباط الانكشارية فقبلوا به فاخذوا في تنظيم الجيش وفي ٦ ذي الحجة سنة ١٢٤١ (١٨٢٦ م) استعرضوه وشرعوا في تهذيبه للمرة الاولى في ساحة آتميدان

اما الانكشارية فحالما شاهدوا ذلك النظام نسوا عهودهم لما رأوا في الامر ما يحط من سطوتهم ونفوذهم واخذوا يتحدثون سرًا وينقمون على تلك البدعة فحاول الصدر الاعظم قمعهم سرًا وجهرًا فلم يزدادوا الا عناداً حتى هجموا اخيراً على منزله للايقاع به فلم يظفروا بشخصه لانه لم يكن هناك فتفرقوا في المدينة يصادرون المارة والباعة فبعث الصدر الى السلطان بالامر وامر ضباطه وجنده الخصوصيين فحضروا في السراي ٠ اما الانكشارية فاصروا على اعمالهم وجاهروا في طلب رؤوس الذين اشاروا بتنظيم ذلك الجيش فوقف الصدر الاعظم وحوله من رجاله والعلماء والمشائخ عدد غفير في انتظار مجيء السلطان وكان في بشكطاش فاسرع الى السراي وخطب في الجماهير فانهض هممهم فاقسموا على الثبات حتى يفوزوا او يقتلوا فداه عن سلطانهم وطلبوا اليه ان يرفع العلم النبوي الشريف فرفعه ومشى فتبعه الناس وتقاطروا من انحاء المدينة للدفاع عن السلطان والسنجق الشريف ففرق فيهم الاسلحة ثم سلم العلم الى المفتي وجلس في قصر (كشك) فوق باب السراي حيث يشرف على الساحة ويشاهد الجماهير

ثم اجتمع الصدر الاعظم والمفتي والعلماء في جامع السلطان احمد وتلوا الفاتحة وسوراً أخرى بالخشوع التام ثم نهضوا في هيئة الحرب وفيهم العساكر واهل المدينة فادركوا الانكشارية وقد تجمهروا في ساحة الميدان فحاولوا ردهم بالحسنى فابوا فاطلقوا عليهم الرصاص والتحم الفريقان وكانت المذبحة هائلة عادت فيها العائدة على جند الانكشارية ومن لم يقتل منهم قيد اسيراً فنجت البلاد منهم وهدأت الاحوال واخذ السلطان في تنظيم الجند الجديد الذي هو باق الى الآن

وسنأتي على تاريخه في فرصة اخرى

الهلال الاول من السنة السابعة عشرة

الطبعة الثانية

فرغنا من اعادة طبع الهلال الاول من السنة السابعة عشرة الحالية فنرجو ممن اشترك بعد نفاد طبعته الاولى ولم يصله هذا الجزء ان يخبرنا فنبعث به اليه ٠ وقد اخذنا في اعادة طبع الهلال الثاني وسنعلن ظهوره في حينه

باب السؤال والاقتراح

هل في الوجود عالمٌ آخر

{ بيروت } جورجي افندي الخوري

قرأت ما كتبتموهُ في الهلال الماضي عن مناجاة الارواح وقد اعجبني اعتدالكم في الحكم لان ما نجهله اكثر كثيراً مما نعلمهُ كما قلتم فلا يحق لنا انكار ما يغمض علينا فهمهُ انكاراً قطعيًا إذ قد تكون علة الغموض فينا لقصر مداركنا أو قلة معرفتنا . ولا يجوز من الجهة الاخرى ان نسلم بكل ما يقال لنا تسليماً اعمى . وقد اذكرني هذا البحث بمسألة من اشكل المسائل واهمها لانها تتعلق بنا رأساً نعني « ما يكون من امرنا بعد الموت » أي هل في الوجود عالمٌ آخر غير الذي نحن فيه وهل بين ذلك العالم وعالمنا علاقة أو اتصال وهل نفوسنا أو ارواحنا أو ما نعبر عنهُ بقولنا « انا » يفنى بعد الموت أو يبقى ليعاقب أو يثاب — نعم ان الاديان الالهية حلّت هذه المشكلة وقالت بالمعاد الخلود ولكنها قالت ذلك بصيغة الخبر كانهُ قضية مسلمة مثل قولها عن الارواح . فبالنظر الى الدين لم يبق مجال للبحث في صحة هذا القول ولكننا نريد النظر فيهِ من حيث العلم أي هل يدل العلم على وجود عالمٍ آخر فيه معاد وخلود أم نحن اذا متنا صرنا الى العدم

{ الهلال } لا يخفى على حضرتكم ان البحث في المعاد من اقدم ابحاث الانسان . وما من امة ارتقت مداركها الا فكرت في مصيرها بعد الموت وذهب الاكثرون على ان في الوجود عالماً آخر ينتقل اليه اهل هذا العالم يعاقبون فيهِ أو يثابون . وقد اسندوا احكامهم الى العلم المعروف عندهم ولذلك كانت كتب الاقدمين

مشحونة بالادلة المبنية على فلسفتهم وعلومهم مما لا نفهمه لبعد مصطلحاتهم عن مصطلحاتنا واختلاف قواعد علومهم عن قواعد علومنا . كان مدار الاقدمين في اثبات المعاد على البراهين الجدلية التي هي من قبيل علم الكلام واكثر المعوّل فيها على الالفاظ . أما اليوم فان علومنا مبنية على المحسوسات ومرجعها الى العلوم الطبيعية المؤيدة بالتجارب التي لا يبقى معها مجال للريب . ونظنكم تطلبون الاستدلال على هذه الحقيقة بطريق هذه العلوم وهو عمل شاق لا يتيسر الوصول اليهِ ولكننا نبحث فيهِ على سبيل الاستنتاج العقلي فلا تتوقعوا وصولنا الى برهان صريح

يختلف النظر في هذا الموضوع عنهُ في مسألة الارواح ان هذه لا نرى اثباتها ضروريًّا لتكملة النظام واما الخلود والمعاد فوجداننا يدلُّ على حاجة الطبيعة اليهما . إذ لا يمكننا ان نتصور هذا الوجود صائراً الى العدم . واذا كنا قد اتينا هذا العالم لنقضي فيهِ اياماً ثم نتلاشى كان وجودنا عبثاً وكانت الخليقة برمتها العوبة لا معنى لها ولا فائدة منها

واذا بحثنا في المعاد والخلود بالنظر الى العلم الطبيعي لا نراهما يخالفان النواميس الطبيعية لان الخلود خاصة من خصائص مادة هذا الكون اذ قد ثبت بالكيمياء والطبيعيات ان المادة والقوة وهما اساس الموجودات لا تتلاشيان وانما تتحولان من صورة الى صورة باختلاف التركيب والتحليل على نسب متفاوتة . وما الموجودات على اختلاف احوالها من الجماد والنبات والحيوان الا من ظواهر ذلك التحول . فمقدار المادة أو القوة في هذا الكون واحدٌ منذ الخليقة الى الآن وسيبقى كذلك الى الابد لا يزيد قمحة ولا ينقص قمحة . فاذا كان الخلود من خصائص المادة الاصلية المكونة منها الموجودات فهل يستحيل ان يلازمها في بعض صورها ؟

بقي ان ننظر في هل هناك عالمٌ آخر غير هذا يجري فيهِ العقاب أو الثواب ؟ ويدلنا النظر في نظام الموجودات ان هذا العالم الذي نحن فيهِ لا يكون تاماً أو معقولاً الا اذا فرضنا عالماً آخر متصلاً بهِ ويكون متمماً لهُ — واليك البيان :

اذا تدبرنا حوادث الطبيعة رأيناها تجري على قواعد ثابتة ضمن حدود معينة

فالسيارات تجري في افلاكها بازمنة ومسافات محدودة بنظام تام بحيث نستطيع التنبؤ عن مسير كل منها وتعيين المكان الذي يبلغهُ بعد مئة أو الف سنة أو اكثر . ونعرف اوقات الكسوف والخسوف بالدقيقة والثانية والثالثة . ونرى الفصول الاربعة تتوالى باوقاتها على نظام معلوم . واذا نظرنا الى سائر الحوادث الطبيعية لا نعدم لها تعليلاً يرتاح اليهِ العقل ويستنير بهِ الذهن . فاذا تساقط المطر علمنا انهُ بخار الماء الذي تصاعد بحرارة الشمس عن سطوح البحار ثم تكاثف ببرد الجو فعاد ماء وتساقط مطراً ثم يجري جداول وانهاراً تصب في البحار فترجع الى حيث اتت فتعود الشمس فتبخرها فيتصاعد بخارها في الجو حتى يتكاثف بالبرد وينزل مطراً وهكذا على توالي الادهار

واذا اشعلنا شمعة حتى احترقت كلها علمنا انها لم تتلاش ولكنها تحولت الى مواد غازية لا تدركها ابصارنا . واذا استقبلنا حبلاً من نور الشمس بموشور فانحل الى الوان النور السبعة علمنا ان النور مؤلف من هذه الالوان واذا مزجناها عاد النور الى ما كان عليهِ

ولو صببنا حامض الكبريتيك على كربونات الكلس لا نرتاب مطلقاً ان المركب الحاصل من ذلك انما هو كبريتات الكلس وقد افلت غاز الحامض الكربونيك في الهواء ومثل ذلك يقال في سائر التفاعلات الكيماوية فان نواميس تركيبها وتحليلها من ادق النواميس واضبطها . وشاهد النظام في ذلك انك اذا عمدت الى عمل تنبأت عن عواقبه قبل وقوعها أو لو رأيت حادثاً استطعت تعليلهُ بما يرتاح اليهِ عقلك ولا يبقى لديك مكان للابهام أو الالتباس

واعتبر ذلك في ظواهر الحياة فاننا اذا غرسنا بزرة زيتون في الارض علمنا يقيناً انها لا تنبت الا زيتوناً وبزر الليمون لا ينبت الا ليموناً وهكذا في سائر انواع النبات . ونعلم يقيناً أيضاً ان النبات لا يولد حيواناً ولا الحيوان نباتاً . وان لكل نوع من النبات والحيوان عمراً لا يتعداه . وفي اعمال الحياة نواميس جارية بغاية الدقة فالحيوان يتولد من جنين والجنين من بيضة وكل ذلك بنواميس جلية يرتاح اليها العقل . ولو اردنا تعداد الامثلة لضاق بنا المقام

فالنظام شامل للكائنات وهي مرتبطة بعضها ببعض بسلاسل من الاسباب والنتائج لا يسع العقل الا التسليم بها والرجوع اليها . فاذا سقط حائط على مارّ فقتلهُ ظننا لاول وهلة ان ذلك حدث بالصدفة ولكن الصدفة اسم لامعنى لهُ لان الحائط لم يقع الا بعد ان اثرت فيهِ فواعل الرياح والحرارة والمطر اعواماً والريح لم تمر بهِ الا مدفوعة بعوامل طبيعية معلومة اقتضتها نواميس الرياح المقررة . والرجل لم يمر بجانب ذلك الحائط الا لاسباب اقتضت مسيره ولو بحثت عنها لرأيتها مبنية على نواميس طبيعية راهنة لا مناص لهُ منها . واذا مات واحدٌ بغتة يتبادر الى ذهننا ان موتهُ كان صدفةً أو لغير سبب ولكننا لو فتحنا الجثة لوجدنا في بعض اعضائه الرئيسية مرضاً تمكن بهِ لاسباب مبنية على نواميس طبيعية

وخلاصة القول اننا نرى الحوادث الطبيعية مما يتعلق بالمادة والقوة على اختلاف مظاهرها جارية بكل دقة ونظام ولكل منها نواميس وقواعد وتعاليل يرتاح العقل اليها ويعجب بدقة نظامها وصحة مقدماتها ونتائجها

ولا نزال نرى ذلك النظام مرعيًّا حتى نصعد من الاعمال المادية الى الحوادث النفسية المعنوية أو الادبية المتوقفة حسب الظاهر على الحوادث الطبيعية فنرى فيها نقصاً أو خللاً يقف بنا حيارى لا نعلم وجه الحكمة أو العدل في وقوعه

فاذا اصيب احدنا بمرض وتمكن فيهِ حتى قضى نحبهُ فلا نعدم وسيلة في تعليل سبب المرض وكيفية الوفاة والرجوع في ذلك الى نواميس طبيعية مقررة . واذا اصابت احدنا مصيبة من فقرٍ أو شقاء لانعجز عن تتبع ذلك الى اصوله واسبابه ونعللهُ تعليلاً يقبلهُ العقل . وكل ذلك راجع الى النواميس الطبيعية المتعلقة بالمادة والقوة ولكننا لو نظرنا الى مجمل هذه الحوادث من وجهها الادبي أو قسناها بمقياس العدل أو حاولنا تطبيقها على احكام العقل لرأينا فيها خللاً أو نقصاً لا يزيدنا الاّ جهلاً ولا يزداد بحثنا فيها الا تعقيداً حتى يقودنا ذلك الى الشكوك وتضارب الظنون

ولايضاح المراد نقسم حوادث هذا الكون الى مادية وادبية او معنوية . فالحوادث المادية نريد بها ما هو جار من تفاعل المادة والقوة كالحوادث الفلكية والظواهر الجوية

والافعال الكيماوية ونواميس النمو في النبات والحيوان وما جرى مجرى ذلك من الحوادث الجارية في الطبيعة . ونريد بالحوادث الادبية او المعنوية افعال النفس بالنظر الى احكام العقل على ما يظهر لنا من مجمل حوادث هذا الكون ونسبتها الى ما نشعر به او نتوقعه من الحكمة في الخلق . ومن امثلة اعمال النفس المشار اليها حكمنا على بعض الحوادث من حيث انطباقها على العدل أو الشفقة أو الحنو أو عدم انطباقها . مثال ذلك اذا سمعنا أو قرأنا ان رجلا قتل ابنهُ عمداً فاننا نشعر بانقباض ونتمنى الانتقام من القاتل ولو كنا لا نعرفهُ أو لم يكن لنا علاقة بالمقتول . وبالعكس اذا سمعنا ان رجلاً انتصر لمظلوم فانجدهُ وانقذهُ من يد ظالم فاننا نشعر بارتياح الى هذا العمل ونرى في انفسنا ميلاً الى الفاعل ورغبةً في الثناء عليه أو مكافأته فيدل ذلك على ان في طبيعتنا قوة تقيس بها الحوادث المعنوية وتحكم بصوابها او خطأها بلا تعليم ولا تدريب . فوجود هذه القوة الفطرية فينا يقتضي انطباقها على سائر القوى

واذا تأملنا في ماجريات هذا الكون نرى المادية منها منطبقة على احكام العقل ونرى في انفسنا ارتياحاً اليها لانها جارية على نواميس مقررة مرتبطة بعضها ببعض بنظام معلوم وعلى وتيرة واحدة بحيث اذا علمنا مقدماتها تنبأنا بنتائجها بناء على علمنا ان للسبب الواحد نتيجة واحدة دائماً

أما الحوادث الادبية المعنوية أو النفسية فعلى خلاف ذلك وقلَّ ان نرى فيها ما ينطبق على احكام العقل أو ترتاح اليهِ النفس . مثال ذلك رجل قضى حياتهُ في عمل البر والاحسان الى الفقراء واعالة المصابين عاملاً على التقوى والورع ونرى النكبات مع ذلك تتوالى عليه والضيق يحدق به فلا يكاد ينسى مصيبة حتى يصاب باخرى فيقضي حياتهُ آسفاً كئيباً وربما مات كمداً وحزناً . ورجل لا ديدن لهُ الا ارتكاب المحرمات واتيان الموبقات لا يفتر عن الاذى والظلم ونرى الخيرات تنهال عليهِ والسعد يخدمه فيقضي حياتهُ سعيداً متمتعاً بملاذ الدنيا ونعيمها

وهناك فتى غض الشباب يانع الفؤاد ذكيٌّ فطنٌ يتوقع الناس منه خيراً وهو راغب في خدمة بني الانسان أخذ يهيئ نفسهُ للعمل وآمالهُ واسعة وصدره رحب

وقلب والديهِ عالق بهِ يعدّان الساعات لجني ما غرساهُ فيه من العلوم والآداب للتمتع بثمر اتعابهما · ولكنهُ لا يكاد يبدأ بالعمل حتى تداهمهُ المنية فيقضي نحبه فتضيع بموته الآمال ويذهب تعبهُ واستعدادهُ ادراج الرياح

وهناك شاب آخر ينشأ على المنكرات وأذية اهلهِ ومعارفهِ فيطلب الناس موتهُ ويتمنون قضاء نحبه ولكنهُ يعمر طويلاً ويتمتع بثمار تعبهِ وربما بتعب سواه

وهناك طفل وُلد مريضاً بمرض ورثهُ عن والدهِ فقضى حياتهُ (القصيرة) يقاسي مرّ العذاب من المرض حتى مات وهو لم يقترف ذنباً . وقد يتفق ان والدهُ الذي جرَّ عليهِ هذا الوبال لم يقاسِ من عواقب مرضهِ أمراً يسوءهُ · وآخر ورث عن والده ثروة طائلة وصحة جيدة فعاش في رغدٍ ورخاء متنعماً منغمساً في الترف عاكفاً على الملاهي وقد يكون شريراً فيستخدم اموالهُ ونفوذهُ للاضرار في الناس . وآخر ورث عن والده الفقر أو مات والدهُ مديوناً وقضى هو كل حياتهِ يعمل ويجد لوفاء الدين حتى مات من عظم الشقاء والبلاء

وهناك أرملة احبت البقاء من اجل ولد وحيد ربتهُ بدموع عينيها وعمل يديها منذ دب الى ان شب اذا مشى راقبتهُ عيناها أو تكلم خفق لهُ قلبها واذا تبسم انشعت جوارحها واذا غاب شغلهُ عقلها فاذا دنت ساعة عودتهِ جعلت تطل من النوافذ وقد شاعت عيناها وكلما رأت شبحاً ظنتهُ ابنها فلما ابطأ قليلاً خارت قواها وجثت تصلي وتطلب الى الله ان يحرسهُ من نائبات الزمن فاذا عاد نسيت كل اتعابها وقامت بخدمتهِ تحمد الله على نعمهِ · فلما شب لم يعد همها الا الاهتمام بزواجه فكلما رأت فتاة نظرت اليها من وجه المناسبة بينها و بينهُ وهي تظن ان ليس في الدنيا فتاة تليق بابنها حتى وقع اختيارها واختياره على عذراء تنطبق اوصافها على ما يريدان فخطبتها له وأخذت تعد معدات العرس فاستقدمت الفراشين والنجارين وابتاعت احسن الاثاث وهي تعد الايام والساعات منتظرة يوم الفرح وهي في ذلك اصيب العريس بمرض لم يمهله ليلة فقضى وترك والدتهُ في حال انت ادرى بها

وهذا خريستوفورس كولومبوس مكتشف اميركا جاء العالم بخدمة لا تعادلها خدمة

ولكنهُ قضى حياتهُ في الخطر والمشقة ومات حزيناً يئساً وكم من المخترعين والمكتشفين الذين يذيبون ادمغتهم وينهكون اجسامهم في البحث والتنقيب حتى يخترعوا آلة أو يكتشفوا مخبأً ولكنهم يموتون من عواقب الشقاء والتعب وهم لم يذوقوا ثمرةً اعمالهم

هذهِ امثلة قليلة تذكّر القارئ بحوادث كثيرة أغرب منها سمعها أو شاهدها وكلها تدل على اختلال الحوادث الادبية وعدم انطباقها على احكام العقل وشعور النفس . فهذه الامثلة وامثالها لاتدل على نظام عاقل ولا نرى فيها حكمة أو رابطة كما نرى في الحوادث المادية لان احكام عقولنا تقضي على فاعل الخير بالخير وفاعل الشر بالشر وتعلمنا الشفقة على المصابين والحزانى ونصرة المظلومين والنقمة على الظالمين مما لا نراهُ فيها

فنظام هذا الكون يدل على حكمة فائقة في وضعهِ ونرى آثار هذه الحكمة في كل عمل من الاعمال المادية أما الاعمال الادبية فقلما نرى حكمة فيها . فيظهر ان في هذا النظام نقصاً من جهة معلومة هي الحوادث الادبية او المعنوية . ولا يعقل ان الذي اوجد هذا النظام المحكم أراد ان يكون فيه نقص أو ظلم أو اجحاف الا ان يكون قد جعل لهذا الكون تتمة تسد هذا النقص . ولا يمكن ان يكون ذلك الا في عالمٍ آخر نظامهُ متمم لهذا . وبما ان ذلك النقص متعلق رأساً بالانسان فلا يسد ذلك الخلل الا اذا وُجد الانسان في ذلك العالم وهو لا يكون هناك الا مبعوثاً . وهو المعاد

فهل في الحوادث الطبيعية ما ينافي هذا القول وهل يترتب على فرض المعاد منافضة لنظام الكون المعروف . كلا . لاننا لم نستطع حتى الان إدراك حدود هذا الكون ولا الزمان الذي وُجد فيه فكيف يمكننا الحكم قطعياً على ما وراءهُ أو على ما لا يقع تحت حواسنا منه ومثلنا في ذلك مثل رجل مغمض العينين حمل الى حديقة ثم رُفع الغطاء عن عينيهِ فتنبه في الحديقة فاذا هي محاطة بسور عال لا يمكنه تعديه ولا ان يرى ما وراءهُ فلو جاءهُ مخبرٌ بان وراء ذلك السور بحراً أو برًّا او وادياً او جبلاً او مدينة فلا يمكنهُ ان يكذبهُ ولا هو مكلف بتصديقهِ حتى يعتقد صدق قولهِ الا اذا اقام لهُ دليلاً يقبلهُ عقلهُ

فوجود العالم الآخر لا ينافي نظام هذا العالم بل هو متمم لهُ كما تقدم والله اعلم

قياس الابعاد الفلكية

(القاهرة) حسن افندي طلبات

نقرأ في كتب الفلك ان النجم الفلاني يبعد عن الارض كذا وكذا من ملايين الاميال وان طول قطره كذا ووزنه كذا الخ فكيف يعرفون ذلك

﴿ الهلال ﴾ يعرفونه بآلات خاصة بذلك مبنية على اساسات في غاية البساطة يشاهدها كل واحد منا. فالقادم بالقطار الحديدي من الاسكندرية الى القاهرة اذا أطل من نافذة القطار الى احد جانبي الطريق واشرف بنظره الى سهل واسع والقطار يسير سريعاً يظهر له السهل كأنه يدور دوراناً لولبياً حول المكان الواقف هو فيه وذلك عادي يشاهده المسافرون في اي قطار حديدي. وكذلك المسافرون في البواخر البحرية فأنهم يشاهدون البر يدور مثل ذلك الدوران. و يشاهد مثله ايضاً المسافرون على ظهور الخيل او النوق في السهول الواسعة. واذا ظهر للمسافر بالقطار جسم بعيد جداً او كان الوقت ليلاً ونظر الى الكواكب فانه يراها مسرعة كأنها تسابقه. واذا نظر الى الاشباح القائمة في ذلك السهل متناسقة الواحد بعد الآخر بالنسبة الى موقفه لرأى ابعدها عنه اكثرها سرعة في الجري معه والمسافرون بالقطار ليلاً لا يميزون بين ما يتراءى لهم من الانوار البعيدة والاجرام السماوية الا بما بينهما من الفرق العظيم في السرعة. وقلَّ ان ينكر احد في سبب هذه المظاهر او اذا فكر فقلَّ ان يهتدي الى قاعدة يعلل بها كل ما يظهر له. على انه لو امعن النظر قليلاً لتبين له من وراء ذلك قاعدة هي اساس لمعظم الآلات التي تقاس بها ابعد المسافات بين الاجرام السماوية

ولا يضاح ذلك وتعليله اغرس ثلاث عصي في سهل منبسط على خط واحد من الشرق الى الغرب واجعل بين الاولى والثانية مئة خطوة و بين الثانية والثالثة ١٠٠٠ خطوة وقف انت عند العصا الاولى الغربية بحيث تظهر لك العصي الثلاث على خط واحد الى شرقيك. ثم اخطُ مئة خطوة نحو الجنوب تماماً فتظهر لك العصي وقد تغيرت جهاتها بالنسبة اليك ولو قست ذلك الميل بالزاوية المقسمة الى درجات تساوي الدرجة منها $\frac{1}{360}$ من الدائرة بان تجعل احد ضلعي الزاوية موازياً للخط الذي مررت فيه وتصوب الضلع الاخر الى كل من العصي على حدة لرأيت العصا الوسطى قد مالت ٤٥ درجة نحو الشمال واما الثالثة فلم تمل الا خمس درجات تقريباً. وفي حساب المثلثات قواعد في غاية البساطة نستخرج بها

الابعاد متى علم مقدار ذلك الميل

فقد تبين لك مما تقدم تعليل ما يظهر من دوران السهل وانت سائر في القطار الحديدي لان ما عليه من البيوت والاشجار وسائر الاشباح لا تبقى كلها الى جهة واحدة من نظرك لاختلافها في البعد عنك بل اذا تم اقربها اليك اكثرها ميلاً عن جهة اتجاهك ويتدرج ذلك لديك حتى يظهر كالدوران

وعلى هذه القاعدة يبنون قياسهم ابعاد الاجرام السماوية . ويشترط في كل ذلك ان تكون المسافة بين مكان الرصد الاول ومكان الرصد الثاني معلومة فلو اردنا قياس بعد الشمس عن الارض فانا نعين موقعها او ميلها في وقت واحد من مكانين بينهما مسافة معلومة كان يتوطأ فلكيان الواحد في القاهرة والآخر في لندن على تعيين موقعها في زمن معين فاذا عرفوا الفرق بين الموقعين مع علمهم بالمسافة بين القاهرة ولندرا استخرجوا بعدها على انهم يحتاجون للدقة في ذلك الى رصدها عند توسط جرم آخر بينها وبين الارض كتوسط الزهرة احياناً بينها فيكون الرصد اكثر دقة

وقد علموا بهذه القواعد ان البعد بين الشمس والارض ٩٣,٠٠٠,٠٠٠ ميل تقريباً واذا عرفنا بعد الشمس هان علينا معرفة حجمها بمقتضى ناموس مشهور ومعلوم وذلك ان الاجسام تظهر للعين اصغر مما هي بنسبة بعدها عنها وعندهم قواعد مدققة لبيان تلك النسبة . فوجدوا بناء على ذلك ان قطر الشمس يساوي ٨٨٠,٠٠٠ ميل وان نسبة حجمها الى حجم الارض كنسبة ١,٣٨٤,٠٠٠ الى واحد وبمعرفتهم جرمها ومقدار بعدها استخرجوا وزنها بناء على ما يعلمونه من نواميس الجاذبية ومقدار تأثير ذلك الجرم على تلك المسافة فوجدوا ان نسبة وزن الشمس الى وزن الارض كنسبة ٣٥٤,٩٣٦ الى واحد . وبهذه القواعد نستطيع استخراج ابعاد السيارات الاخرى واجرامها واوزانها

ومعلوم ان الارض تدور حول الشمس مرة في السنة فيكون بين موقعها في منتصف الشتاء وموقعها في منتصف الصيف مضاعف بعدها عن الشمس أي ١٨٦,٠٠٠,٠٠٠ ميل وهي مسافة طويلة لكنها لا تعد شيئاً بالنسبة الى ابعاد الثوابت ويتضح ذلك مما يلي :

عرفنا بعد الشمس الشاسع بتعيين موقعها من نقطتين على سطح الارض لا تزيد المسافة بينهما عن بضعة آلاف من الاميال ولكن هذه المسافة لا تفيدنا شيئاً لو اردنا تعيين موقع نجم من النجوم الثوابت لعظم بعده عنا لان الفرق بين الموقعين يقل ظهوره كلما بعد الجرم المراد قياس بعده . على انهم قد جعلوا المسافة بين نقطتي الرصد في تعيين موقع بعض

الثوابت ٠٠٠و٠٠٠و١٨٦ ميل وهي المسافة بين موقع الارض في منتصف الصيف وموقعها في منتصف الشتاء اي انهم رصدوا الثوابت والارض في احدى هاتين النقطتين ثم رصدوها وهي في النقطة الاخرى فلم يظهر في موقع الثوابت فرق يذكر ولكنهم استنجدوا آلات حديثة في غاية الدقة يظهر بها الفرق ولو كان ثانية واحدة اي جزءا من ٣٦٠٠ جزء من الدرجة فاستطاعوا بعد الجهد الكلي ان يعرفوا بعد نجم هو من اقرب النجوم الثوابت اسمه (الفا) فوجدوا فرقاً في موقعه لا يبلغ الثانية وعلموا بذلك انه يبعد عن الارض ٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠و٢٠ ميل اي ٢٠ مليون مليون ميل وقد حسبوا المدة اللازمة لوصول النور منه الينا فبلغت ثلاث سنين و٨٣ يوماً باعتبار مسير النور ٠ و ١٩ ميل في الثانية

القصيدة الحكمية للبستي

(نيويورك) يوسف افندي سليمان

من هو قائل هذا البيت :

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسانُ

وهل هو من قصيدة وما هي :

❊ الهلال ❊ ان هذا البيت من قصيدة للشيخ ابي الفتح البستي وهذا نصها :

زيادة المرء في دنياه نقصانُ وربحه غير محض الخير خسرانُ
وكل وجدان حظ لا ثبات له فان معناه في التحقيق فقدانُ
يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً بالله هل لخراب العمر عمرانُ
ويا حريصاً على الاموال يجمعها أُنسيت ان سرور المال احزان
زع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها فصفوها كدرٌ والوصل هجران
وأوعِ سمعك امثالاً افصلها كما يفصل ياقوت ومرجان
احسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسانَ احسان
وان اساء مسيءٌ فليكن لك في عروض زلته صفح وغفران
وكن على الدهر معواناً لذي امل يرجو نداك فان الحرّ معوان
واشدد يديك بحبل الله معتصماً فانه الركن ان خانتك اركان
من يتقِ الله يحمد في عواقبه ويكفه شر من عزّوا ومن هانوا

يريد وشرنه او شرابا — وآخر

شقائق النعمان ألهو بهـا ٭ ان غاب من أهوى وعز اللقا
والخد بالقرب نسيمي وان ٭ غاب فاني اكتفي بالشقا

يريد بالشقائق ولابن نباتة يخاطب النيل

يا نيل يا ملك الانهـار قد رزقت ٭ منك الاراضي شراباً سائغاً وغذا
وقد اتيت القرى تبغي منافعهـا ٭ فنالها بعد فرط النفع منك أذى
فقال تذكر عني انني ملك ٭ وكيف تنسى به ان الملوك اذا

اشارة الى الآية — ان الملوك اذ دخلوا قرية افسدوها

وثوب المستبدين باهل الدستور

صحوة الموت

اضطربت المملكة العثمانية في اثناء الشهر الماضي بحركة ظنها الناس لاول وهلة القاضية على الدستور ولكنها عادت بالخير عليه وعلى اهله لانها ايدته . وخلاصة ذلك ان جمعية الاتحاد والترقي لما وافقها السلطان عبد الحميد على اعلان الدستور دخلت الاستانة وقبضت على ازمة الاحكام لكنها خالفت قواعد الانقلاب السياسي فعاملت بقايا عصر الاستبداد معاملة الاخوة اذا تصافحوا وتسامحوا حجباً للدماء . ففرح الناس بذلك واعجبوا بما اظهره السلطان من الولاء للجمعية حتى شكا اليها ما كان يقاسيه في العصر السابق من دسائس اصحاب الاغراض وان الدستور جاء نعمة عليه كما هو على رعاياه

فقلنا ان الجمعية اتت عملاً لم يسبق له مثيل (انقلاب بلا سفك دماء) ولكن يظهر ان ذلك يخالف طبيعة السياسة . فما لبث ان وثب بها اهل التقهقر يريدون اغتيالها واليك الاسباب .

١ لما انتصرت الجمعية ودخلت الاستانة وسيطرت على اعمال الحكومة كان في الاستانة جماعة من اعضائها القدماء الذين تخلوا عنها وانحازوا الى المستبدين وخانوها

بالوشاية أو غيرها مما آل الى قتل كثيرين منهم أو نفيهم كما ترى ذلك مفصلاً في كلامنا عن تاريخ الانقلاب العثماني في الهلال الاول من هذه السنة . فلما رأوا الجمعية فازت طلبوا الرجوع اليها واخذ كل منهم ينتحل سبباً حمله على التغير وفي مقدمتهم مراد بك الداغستاني . فالمذكور كان قد تولى رئاسة هذه الجمعية في باريس ونشر جريدته ميزان لنصرة الدستور . وسعى اهل المابين يومئذ على يد احمد جلال الدين باشا في افساد امر الجمعية فطلبوا اليهم هدنة فاشترطوا شروطاً رضي السلطان بها وجاء مراد بك الى الاستانة ليشهد تنفيذ تلك الشروط فلم ينفذ منها شيء بل آل ذلك الى القبض على كثيرين من الاحرار ونفيهم وقتلهم وصار مراد بك من الموالين للمابين [1] وهم يتهمونه بانهُ وشى بكثيرين وألحق الاذى بهم

فلما دخلت الجمعية الاستانة فائزة بنيل الدستور أراد مراد بك الرجوع اليها فابت عليه ذلك والشاعر يقول « احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة » فاخذ يتحين الفرص للانتقاد عليها في ظل الحرية التي هي اوجدتها . فالتف حوله كثيرون من الناقمين لمثل نقمته أو لانهم كانوا يرجون نفعاً لم ينالوهُ فاخذوا يطعنون في استبدادها ويختلقون عليها الاكاذيب وسموا انفسهم « الاحرار » وفيهم البرنس صباح الدين

٢ وفي الاستانة حزب ديني ساءه الدستور نعني طائفة المشايخ (الصوفته) فهؤلاء لايهمهم الا نصرة الدين لانه مصدر تعيشهم ورأوا جمعية الاتحاد والترقي تدعو الى جمع العناصر العثمانية بلا تمييز بين الاديان فساءهم ذلك فاغتنموا تطرف بعض اعضاء الجمعية في كلامه عن الاسلام ومبالغته في التساهل فاخذوا ذلك حجة على الجمعية وانضموا الى جمعية اسلامية اسمها « الجمعية المحمدية » أو اشتركوا في تأليفها

٣ أرادت جمعية الاتحاد تعجيل تنظيم الجند فولت عليهم ضباطاً تعلموا الفنون الحربية في اوربا فعاملوهم بما تقتضيه الحرية الدينية — قالوا انهم ابطلوا النفير الذي يضرب للصلاة وتركوا الناس احراراً يصلون متى شاؤوا . وادخلت نظارة الحربية قوانين تمنع ترقية العساكر وتقيد حركاتهم فاغتنم المشائخ ذلك واثاروا خواطر الجند على

(١) راجع الهلال الاول من سنة ١٧ صفحة ٢٣

ضباطهم وانهم يريدون إهمال الشريعة وان الدستور يخالفها ووافقتهم على ذلك الجمعية المحمدية

٤ اخذت هذه الاحزاب تنقم على الجمعية وتخطئ أعمالها جهاراً على صفحات الجرائد التي تنتسب اليها وفي مقدمتها جريدة سربستي ورئيس تحريرها حسن فهمي بك فانه انتقد الجمعية ووزارتها انتقاداً جارحاً تطرق فيه الى الاشخاص . واتفق ان فهمي المذكور قتل ولم يعرف قاتله فتوجهت التهم الى جمعية الاتحاد . فاظهر السلطان اسفه لموته وامر ان يكرم بدفنه في المدفن السلطاني فعظم امره في عيون اعداء الجمعية فقام الجند ووافقهم الاحرار الناقمون واعضاء الجمعية المحمدية وتجمهروا حول مجلس المبعوثان في ١٣ افريل الماضي يطلبون اسقاط الوزارة لانها من حزب الاتحاد وعزل احمد رضا بك عن رئاسة المجلس . فنشل الاتحاديون لان جيش الاستانة كله ضدهم وليس لديهم هناك قوة يدافعون بها فتفرقوا واختبأوا ريثما خابروا سلانيك وفيها الفيلقان الثاني والثالث على ولائهم فحملت تلك الجنود على الاستانة وما زالوا حتى دخلوها ظافرين وعادت السيادة اليهم فاضطروا الى اعلان الاحكام العرفية للتخلص من بقايا العهد القديم سريعاً . وانضم مجلس الاعيان الى مجلس المبعوثان ونظروا في حال السلطان بعد هذه الفتنة فقرروا خلعه وبايعوا اخاه محمد رشاد الدين افندي في ٢٧ افريل الماضي واخرجوا السلطان السابق الى سلانيك مع بعض اهله

ولما اعلنت الاحكام العرفية قبضوا على نحو عشرة آلاف من مسببي تلك الثورة وفي جملتهم مراد بك الداغستاني وصباح الدين (ثم اطلقوه) واخذوا في محاكمتهم محاكمة عرفية . فخطأ الجمعية بالاغضاء عن بقايا العصر القديم كاد يذهب بالدولة أو يمزقها ولكن التوفيق خدمها بتمرد جند الاستانة قبل اوانه لان اعداء الدستور اظهروا الولاء للدستوريين وأخذوا يسعون سراً في إيغار صدور العامة عليهم وخصوصاً الجند فبدأوا بجند الاستانة ولا بدّ من انهم أخذوا يسعون في بث ذلك سراً بالفيالق الاخرى في سلانيك وأدرنه والشام وغيرها وبثوا الجواسيس في الاطراف يحرضون عامة المسلمين على الثورة ضد المسيحيين . والمفهوم ان ذلك جرى بايعاز من السلطان عبد الحميد

فأفلحوا في اطنه واسكندرونة ومرسين وطرسوس فجرت فيها مذابح يعد قتلاها بعشرات الالوف وكادت تفلح في حلب والشام . وأما البيروتيون فانهم قبضوا على بعض القادمين بتلك الاوامر وجددوا التحالف بين الطوائف واقسموا انهم باقون على الاتحاد ولو خالفهم فيه أهل المملكة العثمانية كافة

فظهور الثورة في الاستانة عاجلاً نبه العقلاء الى مقاومة مساعي أهل الاستبداد . فلو تأخرت حركة جند الاستانة سنة أو بعض السنة ريثما تنتشر تلك الروح في سائر الفيالق لذهب الدستور واهله هدراً والعياذ بالله



السلطان محمد الخامس

سلطان الدولة العثمانية الجديد

لما تغلب رجال الاتحاد والترقي على المتمردين ودخلوا الاستانة عقدوا في سانستفانو بضواحي الاستانة جلسة كبيرة ضمت اعضاء مجلسي الاعيان والمبعوثان ونظروا في اسباب هذه الفتنة وعلاقة السلطان عبد الحميد بها والوسيلة لتجنبها في المستقبل فاقروا على خلعه

بفتوى من شيخ الاسلام بحجة انه تلاعب بالكتب المقدسة واحرقها وهدر دماء بريئة وبدد اموال الامة فخلعوه في ٢٧ افريل ونصبوا مكانه ولي العهد محمد رشاد افندي باسم « السلطان محمد الخامس » كما تقدم وهذه صورة التلغراف الرسمي الوارد بهذا الصدد :

« الاستانة في ٢٧ افريل سنة ١٩٠٩ : اجتمع مجلسا الاعيان والمبعوثان بتاريخ ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ١٤ ابريل سنة ١٣٢٥ وقررا خلع السلطان عبد الحميد من الخلافة والسلطنة العثمانية وأيد شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي القرار بفتوى شرعية . وكان ذلك اليوم الساعة السادسة والدقيقة ٣٠ عربية وتقرر بان تكون الخلافة والسلطنة لوارثهما الشرعي رشاد الدين افندي باسم السلطان محمد الخامس وقد اطلق حالاً من كل المواقع ١٠١ مدفع توفيق باشا »

فالسلطان المخلوع سنوفيه حقه من الوصف في فرصة اخرى . اما السلطان الجديد فقد وصفناه في اثناء كلامنا عن « توارث الملك في الدولة العثمانية » في الهلال السادس من هذه السنة وهذا نص قولنا هناك :

« هو ابن السلطان عبد المجيد وشقيق السلطان عبد الحميد واصغر منه بسنتين فقط عمره خمس وستون سنة قضى منها نيفاً وثلاثين سنة محجوراً عليه عملاً بالعادة المتبعة في معاملة ولاة العهد بعد السلطان احمد الاول كما تقدم . وذلك انه لما تولى اخوه السلطان عبد الحميد اسكنه في سراي طوله بغجه وأقام عليه الحرس ودس عليه الجواسيس . وقد بلغ من امر هذا القصر في ابان عصر الاستبداد ان المار بجانبه لا يجسر على الوقوف عنده او النظر اليه طويلاً ولا التحدث بشأنه . ولم يكن يؤذن لاحد بالدخول على ولي العهد الا طبيبه وخياطه وغيرهما ممن يحتاج اليهم في حاجاته الضرورية . ولا يكون ذلك الا باذن من اهل المابين فيجعلون في ايدي حجاب ولي العهد قائمة فيها اسماء الذين يجوز ادخالهم عليه وكانوا يشددون على الخصوص في منع اخوته وسائر اهله من زيارته — حتى اصبح اذا رأى واحداً من اهله انكره لطول الفراق

« ويذكرون من امثلة ذلك ان رشاد افندي واخاه كمال الدين افندي جاءا سراي يلدز في احد الاعياد الكبرى منذ بضع عشرة سنة لتقديم فروض المعايدة للسلطان . وهما في حضرته فتح باباً الى جانبه بان من ورائه سيدتان عليهما امارات الجلال والعظمة هما الاميرتان صنية سلطانة وجميلة سلطانة بنتا السلطان عبد المجيد اي اختا السلطان عبد الحميد واخويه رشاد وكمال الدين . فلما التقت العيون تهيب الاميران وخجلت الاميرتان

والكر الاخ اخته والاخت اخاها لانهم لم يتقابلوا منذ ١٥ سنة . فاطرقت الاميرتان تأدباً فصد السلطان الى تعريفهم بعضهم الى بعض فاوماً بيده الى الاميرتين قائلاً « اختاي » والى الاميرين وقال « اخواي » فلم يكن ذلك كافياً ليذهب الدهشة التي تولت الجميع . ثم اقفل الباب وانصرف كل الى حال سبيله

« والحجر على رشاد افندي في قصره لم يكن يراد به ان يكون سجيناً لا يخرج مطلقاً فكان يخرج احياناً الى منزله فتسير مركبته في طرق عليها الحرس والرقباء و يحدق بالعربة الحجاب على افراسهم يظهرون لغير العارف انهم يحرسونه وهم في الحقيقة عيون عليه يراقبون حركاته وما يبديه الناس في اثناء مروره . على انه كان يتعمد الاختفاء في المركبة لئلا يكون ظهوره سبباً في القاء الشبهة على بعض اصدقائه

« و يغلب على مناقب ولي العهد التقوى وطيب السريرة وصدق اللهجة . لم يسمع انه عورض في قول او كذب في رواية منذ نعومة اظفاره . وكان شديد التعلق بوالده المغفور له عبد المجيد فلما بلغه نعيه اخذه اليأس حتى اوشك ان يلقي نفسه في البوسفور . وهو جريء مستقل الفكر في اضيق ايام حجره فكان لا يبالي ان يصرح بما يجول في خاطره من انتقاد السياسة حتى بين يدي رجال المابين انفسهم

« وهو ذكي الفؤاد وفيه ميل الى العلم ذكروا انه كان يقضي معظم ساعات احتباسه في مطالعة الشعر الفارسي حتى اصبح قادراً على نظم مثله . ولو اتيح له ان يعمل ما يشاء لتوسع في المطالعة واستوعب العلم . على انه كان مع التضييق عليه لا يفوته الاطلاع على ماجريات الاحوال في العالم المتمدن . وفيه نزوع الى الحرية الشخصية والحكومة الدستورية فكان في مقدمة الفرحين باعلان الدستور » انتهى

هذا ما قلناه بالامس عن جلالة السلطان الحالي وهو ولي عهد و يؤيد ذلك ما نقله الينا البرق عن حديثه مع مكاتب الدالي كرونيكل لسان حال الوزارة الانكليزية ومن جملة ما قاله :

ان الانكليز كانوا دائماً اصدقائي وان موقف الامة العثمانية الآن موقف حرج . وكان اعدائي يتهموني بالبله ولكن مشيئة الله اختارتني اليوم لان اتولى مصلحة الاسلام وأؤدي واجبي وان الصحافة في العالم كله وعلى الخصوص الصحافة الانكليزية امامها فروض يجب ان تؤديها . واعتقادي ان الرجل الحامل السيف قادر ولكن الرجل الحامل القلم اقدر

ومن اقواله انه معجب بالملك ادوارد السابع الذي يجله عن استحقاق ملايين من المسلمين الذي تحت حكمه وهو خليفة عظيم . قال واني قاصد يلديز الآن لأؤيد بكل عزم حرية الامة واحمي املاكها وأكون من جهة اخرى نصيراً للسلم ونصيراً للتضامن العمراني

ثم كلف محدثه ان ينقل الى امته البريطانية تحيات جلالته ويرجوها ان تبادله عواطفه الحبية وتؤيد فيه الرجل الصاعد الى العرش العثماني مَهيباً وجلاً

ثم عاد فقال لمحدثه كن ترجماني لدى العالم كله في هذا الحديث واعلن اني كنت كل حياتي نصيراً للحرية والاصلاح اما وقد اختارني الله الآن لتولي سلطنة آل عثمان فاني مستشعر باهمية المطلوب مني والتبعة الملقاة على عاتقي واساله سبحانه وتعالى ان يهديني الصراط المستقيم ويلهمني الحكم بالعدل بين شعبي على اختلاف مذاهبه

واثنى جلالته في الختام على رجال تركيا الفتاة واعلن انه كان طول حياته مؤازراً لهم ومتمنياً نجاحهم ونجاح الدستور لانه لا يرى في خطتهم ولا في الشريعة المحمدية الغراء ما ينافي الحرية والدستور

وختم حديثه بالضراعة الى المولى عز وجل بان يسعد الامة البريطانية فقد كانت دائماً صديقة للامة العثمانية (انتهى الحديث)

فنهنئ الامة العثمانية بهذا الفوز ونرجو ان تكون سلطنة محمد الخامس بدء عصر جديد زاهر

اهم المولفات العربية

في نظر القراء

اقتراح

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما الف في العربية من صدر الاسلام الى الان اي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره افيد سائر الكتب العربية والذها . ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

جمعية الاتحاد والترقي

والانقلاب العثماني

كتبنا في الهلال الماضي فصلاً في الترك والعرب قبل الدستور و بعده حملنا على كتابته ما سمعناه من انتقاد اخواننا العرب على استبداد جمعية الاتحاد والترقي في اعمالها واستئثارها بالنفوذ دون سواها . و بينا ان الدولة في حال تبعث على الاتفاق بين العناصر لحفظ كيانها واننا يجب ان نغتفر لهذه الجمعية استئثارها في النفوذ لانها تريد به المحافظة على الدستور خوفاً من ان تعبث به ايدي غير العارفين . واننا نعتقد صدق نيتها في خدمة الامة العثمانية وقد تخوفنا عواقب هذا التبرم وحثثنا العناصر على التكاتف لعلمنا بما يحيق الدولة من اسباب الفساد في اثناء هذا الانتقال . ولم يكد يصدر الهلال حتى ظهر ما كنا نخافه فقام بعض دعاة التقهقر وغيرهم ممن تسرعوا في الحكم على الجمعية بالاستبداد واحاطوا بمجلس المبعوثان وهددوا الجمعية وطلبوا عزل احمد رضا بك رئيس المجلس لانه منها واسقاط الوزارة فآل ذلك الى تجريد الجنود الموالية لهذه الجمعية في سلانيك حتى احدقت بالاستانة وكادت تفضي الحالة الى حرب اهلية لولم تتداركها الجمعية بحكمتها وبجندها فقمعت المستبدين وخلعت السلطان كما بيناه في محل آخر من هذا الهلال . فاحببنا ان نقول كلمة أخرى عن هذه الجمعية والانقلاب العثماني نبين فضلها على سواها من اصحاب الانقلاب في كل زمان لعل اخواننا العرب وغيرهم من الناقمين عليها يرجعون عن رأيهم فيها

شروط الانقلاب السياسي

الانقلاب السياسي انتقال الحكومة من طور الى طور بالفتح او بالخلع او الاصلاح او بنقل ازمة الدولة من الفرد الى الجماعة او باشتراك الجماعة مع الفرد وتعديل القوانين او نسخها او ابدالها . وللانقلاب مهما تكن كيفيته شروط اذا لم تتوفر كان عمره قصيراً وهي ثلاثة : اولاً ان تكون المملكة في حاجة اليه والامة في استعداد له . ثانياً ان يكون القائمون به كفوءًا لاتمامه وصيانته — فاذا كان فتحاً وجب ان يكون الفاتحون اهل عصبية وقوة للمحافظة على ما فتحوه بالسيف وان ينشروا فيه لغتهم وادابهم او دينهم ليتطبع الشعب بطباعهم ويصير منهم . واذا كان الانقلاب خلعاً او اصلاحاً فعلى اصحابه ان يكونوا اهل دهاء ودراية وسياسة ليتمكنوا من استمالة الامة لهم لتنصرهم على الظالمين ثم ينظمون الحكومة الجديدة على كيفية ملائمة للعصر . ثالثاً ان يطهروا الدولة من نصراء العهد السابق اما بالقتل او النفي

او الحجر او بوسائل اخرى تتكفل بغل ايديهم عن الاذى بالافساد او الدسائس او الفتك لان تلك البقية المغلوبة على امرها يندر ان تخلص النية في الطاعة فتتربص للوثوب او تسعى في القاء الفتن

هذه اهم شروط الانقلاب السياسي فاذا لم تتوفر كلها لا يلبث ذلك الانقلاب ان ينقلب الى ضده او يذهب اهله ضياعاً وفي التاريخ شواهد كثيرة تؤيد هذه القواعد . فالعرب لما قاموا بالاسلام وفتحوا الشام والعراق كانوا اهل عصبية وحرب وكانت البلاد في حاجة اليهم واهلها في استعداد لاستقبالهم لانهم ساميون مثلهم فهم اقرب اليهم في الدم واللغة والعادات والاخلاق مما الى حكامهم الروم . لكن العرب لم يطهروا البلاد من بقايا الدولة السابقة لانهم تعمدوا الرفق واكتفوا بالاحتلال وقبض الجزية وابقوا الناس على اديانهم وعاداتهم ولغاتهم فكان ذلك باعثاً على القلاقل والمتاعب اجيالاً متوالية لان الروم الذين بقوا في ذينك البلدين لخدمة الدين او غيره كانوا عيوناً لدولة الروم على العرب يدسون الدسائس بهم ويخبرونهم بعوراتهم ولولم يبادر بنو امية الى تعميم اللغة العربية في تلك البلاد لما طال سلطان العرب فيها

فتح الفرنساويون مصر بقيادة اكبر قواد العالم بونابرت فلم يمكثوا فيها الا ثلاث سنوات قاسوا في اثنائها مر العذاب ولم يكن السبب ضعف الفاتحين ولكن البلاد لم تكن في حاجة اليهم ولا استطاعوا اكتساب قلوب اهلها لبعدهم عنهم لغة وديناً وآداباً واخلاقاً وقد اعجزهم تطهير البلاد من زعماء العهد السابق فظل المماليك احياء يلفون الاحزاب حولهم لمناوأة الفاتحين ومحاربتهم . ولما جاءت جنود الدولة العثمانية لاخراجهم من مصر لم يصعب ذلك عليها

وانظر من الجهة الاخرى الى محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية انه لم يجيء مصر فاتحاً . فالانقلاب الذي تم على يده يعد من قبيل الاصلاح بالخلع وقد افلح به لان الامة كانت معه فنصرته وايدته لدى الباب العالي وقد همه امر المماليك بقايا العصر السابق ومع انهم رضخوا الحكمه واطاعوه لكنه اعتبر بما اصاب سواه فلم يطمئن باله حتى ابادهم بطريقة فظيعة أوجبت الانتقاد عليه وخصوصاً لان المماليك اعانوه في نيل ولاية مصر وهو يعلم ذلك لكنه نظر الى مركزه نظر الفاتحين الذين انما يهمهم تأييد سلطانهم لا يبالون بما يضحون أو يرتكبون في سبيل تأييده

ولمثل هذا الغرض كان السلاطين العثمانيون اذا افضت السلطنة الى احدهم قتل اخوته لئلا ينافسوه في سلطانه ثم اكتفوا بالحجر عليهم وفيهم من لم يقترف ذنباً ولا تعمد خيانة

وانما قتلهم حرص السلطان على سيادته ورغبته في تأييد دولته . وكان دعاة السياسة في صدر الاسلام اذا توهموا الخوف من احد قتلوه بمجرد الشك — كذلك فعل معاوية وكان يقتل بالعسل المسموم حتى قالوا « ان لله جنداً من العسل » وزاد عليه الامام ابراهيم صاحب الدعوة العباسية انه اوصى قائده ابا مسلم الخراساني ان يقتل على الشك بقوله « من شككت فيه فاقتله »

نعم ان الفتك على هذه الصورة ظلمٌ يؤخذ فيه الابرياء بجريرة المذنبين ولكن انشاء الممالك وتأييد الدول كان يقتضيه ذلك . وعلى كل حال انه من شؤون العصور الاستبدادية القديمة التي كان الفاتحون فيها انما يطلبون السيادة لانفسهم ولومات رعاياهم . وكان الرعايا المساكين اذا اعانوا دولة على دولتهم فانما يستبدلون ظالماً بظالم . فهو لا ينطبق على احوال التمدن الحديث ولكن حق الفتح او التغلب لايزال مرعياً فاية دولة او جماعة تغلبت على بلد سواء كان بالفتح او غيره اعلنت الاحكام العرفية لتوطيد دعائم سلطتها بالتخلص من بقايا العصر السابق او انصار الدولة الذاهبة . ولا تتخلص منهم بغير المبادرة الى غل ايديهم او تجريدهم اوقتلهم باحكام استبدادية بعد محاكمات مختصرة اكثرها صوري . و بغير ذلك لا تقوى على تأييد سلطتها . ولا ينحصر ذلك في احوال الفتح او التغلب بالسيف بل هو يجري عند كل انقلاب مهما كان نوعه حتى في الثورات الاهلية لقلب الحكومات الملكية الاستبدادية سواء ارادوا بعد قلبها ان تكون دستورية او تصير جمهورية فانهم يلجأون في اول الانقلاب الى الاحكام العرفية اي الى الاستبداد لتطهير البلاد حالاً ممن يخشون دسائسه او يخافون بطشه . وقد يخطئون في احكامهم المستعجلة فيقتلون بعض الابرياء ولكنهم يغتفرون ذلك في سبيل المصلحة العامة فان السياسة لاقلب لها

الانقلاب العثماني شبيه بالفتح

ان الانقلاب العثماني بحسب ظاهره انقلابٌ اصلاحي ولكنك اذا تأملت تفاصيله رأيته اقرب الى الفتح مما الى الاصلاح لان الاحرار العثمانيين قضوا السنين الطوال كانهم في حرب مع الحكومة الذاهبة لانها كانت تطاردهم وتقتص آثارهم وتفتك بهم سرًّا وجهراً وهم لايزيدون على الشكوى والاستغاثة مع الاتحاد لنشر افكارهم في الامة تحت خطر النفي والقتل — قضوا في ذلك نيفاً وثلاثين سنة هاربين شاردين يقاسون العذاب والفقر حتى بلغ ببعضهم بعد ان كان اميرًا في بلده انه اصبح كالعبد الهارب من الرق . وهذا احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان قضى اواخر سني الاستبداد في باريس لا يزيد دخله على دخل اصغر

العملة واهل الدولة يومئذ يعرضون عليه المناصب والرواتب وهو لا يبالي · وامثاله كثيرون والحكومة القديمة تتبع في معاملتهم وصية ابراهيم الامام لابي مسلم الخراساني «من شككت فيه فاقتله» فقتلت منهم كثيرين وهم صابرون على بلواهم يتحينون الفرص للوثوب بها حتى اتيح لهم ذلك في ٢٤ يوليو الماضي اذ نصرهم الجيش واضطرت الحكومة القديمة الى التسليم بالدستور فدخلت جمعية الاتحاد والترقي الى الاستانة دخول الفاتحين وفيهم الملسوع قلبه والمجروح خاطره و بعضهم ذهب اباؤهم ضحية الاستبداد وآخرون ذهبت اموالهم او اضاعوا اعمارهم في هذا السبيل فكلهم موتور يرى له ثأرًا على الدولة القديمة فلو انتقموا او فتكوا لم يلمهم احد · ولكنهم تصرفوا تصرفًا اشبه باهل الحكمة وكبار الفلاسفة فادخلوا في تاريخ السياسة بدعة لم يسبق لها مثيل لانهم عمدوا بدلاً من الانتقام او الفتك الى المحاسنة والملاينة وفتحوا صدورهم لالد اعدائهم واسبلوا ذيل الاغضاء عما مضى وقد نظروا من وراء ذلك الى مصلحة الامة لا لمصلحة نفوسهم وعذروا ضعف الطبيعة البشرية

ولكن ظهر بالامس ان ذلك التساهل جاء في غير محله لانه ترك لبقية العصر السابق مجالاً للدسائس والمساعي لاسترجاع سلطتهم · فاذا كان على جمعية الاتحاد لوم فانها تلام على لينها وتساهلها لا على استبدادها · ولو استبدت حسب سنة الفاتحين لنجت من القلاقل الاخيرة ولكنها ترفعت عن الفتك والقتل لان اعضاءها من ارقى العثمانيين اخلاقًا واسماهم نفوسًا وفيهم نخبة العلماء والفلاسفة والشعراء والكتاب · والعلم يهذب النفوس و يضعف القوة الغضبية

على انها لم تر بدًا من الاستبداد في طرق الاصلاح بانتقاء رجال تثق بتعقلهم واقتدارهم وصدق نياتهم فادخلت نفوذها في انتخاب النواب وتنصيب الحكام وفي غير ذلك خوفًا من اسناد المناصب الى من يفسدها فآل عملها الى اغضاب اكثر العناصر العثمانيـة اذ اتفق في اثناء سعيها لانتقاء العمال انها حرمت احد ابناء العرب المسلمين منصبًا كانت انظاره طامحة اليه وهي لا ترى فيه اهلية له فنقم عليها واتهمها بالتعصب للاتراك وانها تحتقر العرب فوجد انصارًا من بقايا العصر القديم فاذكوا تلك النيران بالكتابة والنشر حتى نقم العرب عليها وقالوا فيها ما قالوا وصاروا يفسرون اعمالها بما يوافق هذه التهمة · واتفق من الجهة الاخرى ان بعض الناس شكا احد ابناء العرب يطالبه بمال دخل عليه في اثنـاء عصر الاستبداد ونظرت المحاكم في دعوته فاول العرب ذلك بان الجمعية انما تتعمد الايقاع بالعرب والا فلماذا لم تحاكم المتقهقرين من الاتراك

واتفق لنفس هذا السبب انها منعت منصباً عن عربي مسيحي فنقم عليها النصارى العرب واتهموها انها تتعصب للمسلمين على النصارى · واتفق في ظرف آخر انها حرمت احد الاتراك المسلمين من منصب كان يسعى فيه فنقم عليها الاتراك لتعصبها على المسلمين وان مبادئها تدعوالى ضعف الاسلام لانها تطلب اتحاد العناصر تحت الجامعة العثمانية فيتساوى فيها المسلم والمسيحي وغيرهما · وقد صرح بعض اعضائها في اثناء ذلك باقوال تدل على التساهل الديني الكثير مما لم يعهد مثله في الشرق الاسلامي فقبض اعداء الدستور على هذه الفرصة بايد من حديد لعلمهم انها الوسيلة الوحيدة لنيل مآربهم فاخذوا يظهرون الغيرة على الاسلام وألفوا الجمعية المحمدية لتبغيض تلك الجمعية الى الشعب وخصوصاً الى افراد الجيش وهم من العامة · فكثر الناقمون عليها بين الاتراك لانها تحتقر الدين و بين العرب النصارى لانها تتعصب للاتراك والعرب المسلمين و بين العرب المسلمين لانها تتعصب للاتراك · وهي في اعتقادنا لا غرض لها من استبدادها الا المحافظة على الدستور فهي متعصبة للدستور ولا تراعي الا من تعتقد انه يراعيه

على اننا لا نعتقد انها معصومة عن الغلط فقد اخطأت في بعض اجراءاتها والعصمة لله وانما العمدة على صدق نيتها في اعمالها فاذا سلمت نيتها عادت الى صوابها اما الذين قاموا عليها من الاحرار وفي مقدمتهم مراد بك الداغستاني فيزعمون انها مستبدة وانها تحتقر الدين وكان المنتظر من الداغستاني الذي تغنت به الجرائد الحرة حيناً لنصرته للحق والحرية وتفانيه في خدمة الامة العثمانية ان يبقى على هذا المبدأ ولا ينقم على الجمعية هذه النقمة لانها لم ترض رجوعه الى حظيرتها بعد ان تركها وانحاز الى المستبدين · بل يجدر به اذا كان حرًّا ان ينكر نفسه ويبرهن للملأ صدق نيته بالسكوت ومساعدة الجمعية في مشروعها وهي تقربه · أو يفعل كما فعل احمد رضا بك لما طلب اليه الثائرون بالامس ان يستقيل من رئاسة مجلس المبعوثان فقال «قضيت عمري في خدمة الامة العثمانية فاذا كان في استقالتي فائدة لها فاني استقيل» ولو صدقت نية الداغستاني ورفاقه الاحرار في مصلحة الامة للازموا السكوت لئلا يفسدوا على الجمعية اعمالها الاصلاحية ولم ينصروا الجهال واهل الاستبداد

فالاستبداد لازم في تأييد الدولة عند اول الانقلاب واذا سوغنا ذلك لجمعية الاتحاد والترقي اليوم انما نسوغه رغبة في انجاز العمل لاعتقادنا صدق نيتها ولانها صاحبة المشروع وهي احرص الناس على صيانته · لكننا طبعاً لا نرضى به الا ريثما يتأيد الدستور ثم ينال كل عنصر قسطه حسب نصوص القانون الاساسي · واما محاسبتها منذ الآن على كل حركة واتهامها

بالاستبداد والاستئثار فانه معيق لاعمالها والآن قد قضي الامر وتم الانقلاب وافضت السلطنة الى جلالة السلطان محمد الخامس وقبضت الجمعية على زعماء الثورة بقايا العصر السابق نتقدم الى الشعوب العثمانية ونخص منهم قومنا العرب ان يحسنوا الظن بهذه الجمعية المقدسة ويتركوها تفعل ماتراه ولو تخال اجراءاتها استبداد في العزل والتنصيب أو الاستئثار بالوظائف لفئة دون أخرى فانها انما تفعل ذلك لمصلحة الامة ولا بد من التساهل ريثما تتأيد الدولة وتستتب الامور فينال كل عثماني حقه والله ولي التدبير

بيروت

عوامل التهذيب والارتقاء فيها

اظهر أهل بيروت بعد اعلان الدستور ما ادهش العثمانيين من الاتحاد والحرية الشخصية وصحة المبدأ منذ اعلن الدستور الى ان وثب المستبدون في الامس . فقد كان اهلها اول من تصافح فيهم الشيخ والقسيس واظهروا في اثناء انتخاب النواب لمجلس الامة استقلالاً في الفكر واتحاداً في الكلمة . ولما وثب بقية حزب التقهقر بجمعية الاتحاد والترقي بالاستانة كانوا في مقدمة الناقمين على الواثبين وقاموا يؤيدون الدستور بخطبهم ورسائلهم وعثروا على بعض الجواسيس يسعون في التفريق بينهم فقبضوا عليهم وجددوا الوفاق بين طوائفهم وقالوا اذا تباغضت الطوائف في كل المملكة العثمانية فنحن متفقون في نصرة الدستور الى آخر نسمة من الحياة

فهذه التعاثر تدلُّ على ارتقاء الامة في حياتها الادبية ويؤيد ذلك كثرة الجرائد والمدارس وسائر معدات التربية والتهذيب فيها . فسكان هذهِ المدينة لا يزيدون على ١٠٠٠٠٠ نفس ولكن يؤخذ من دليل بيروت ان فيها بضعاً وخمسين مدرسة كبيرة بينها عشر مدارس للبنات من كل الطوائف و بعضها داخليٌّ . وبينها ست كليات يقيم فيها التلامذة يتعلمون و يأكلون و ينامون غير المدارس الصغرى في اطراف المدينة

وفيها سبع جرائد يوميـة هي : لسان الحال . والاحوال . والاتحاد العثماني . والمحبة . والوطن . والثبات . وحديقة الاخبار . وعشر جرائد اسبوعية هي : بيروت

قائلاً «إن الحية لسعتني» فلباه رفيقه بقوله «يا جنيد» ودخل مسرعاً يوهم انه يريد اسعافه فتبعته فرأيته اعطاه حية ملفوفة على نفسها ومربوطة بخيط ربطاً جعلها على ليها بحجم الخوخة فقلت له «رأيتها» فقال «استرني لا تعيش» ثم خرج وبيده الحية وقد فكها من عقالها والناس يظنونه التقطها من هناك

ثم بعد مدة رأيت احدهما في البلدة فسألته «اذا لم يكن معك رفيق ماذا تصنع» قال «البس سروالاً صغيراً كلباس البحر تحت سراويلي الكبيرة واضع به الحيات ولما اريد العمل احزم قبل نزع سراويلي موهماً ستر العورة ثم انزع سراويلي الكبار فيبقى السروال الصغير الذي به الحيات مغطى بالحزام فاتمم حيلتي على ما رأيت»

اللاذقية　　　　منح هارون



خمر البلكه في بلاد المكسيك

يتعاطى المكسيكيون شراباً كثير الشيوع بينهم يسمى خمر البلكة كما يتعاطى اهل افريقيا خمر البلح • يستحضرونه من عصارة نبات غريب ببابه يقال له الاكاف اوراقه تنبت غليظة عريضة من جذره (انظر الشكل في الصفحة المقابلة) ولهذا النبات اهمية كبرى في بلاد المكسيك بسبب عصارة تجتمع في جوفه بغزارة يعالجها الاهالي فتصير خمراً لذيذاً يتعاطاه القوم هناك بكثرة لسهولة اقتنائه ورخصه

وكان الاكاف في الاصل نباتاً برياً فلما اكتشف الناس نفعه استنبتوه في البساتين فتكاثر وشاع حتى صار محصوله غزيراً وانشئت المعامل لاصطناع خمره والمتاجرة ببيعه وتوريده ولهم في تربيته وتعليله طرق عرفوها بالاختبار • ومرجع فائدة هذا النبات الى العصارة التي تتجمع في جوفه وهم يسمونها ماء العسل لحلاوتها ويستخرجونها على هذه الكيفية:

اذا مضى على الشجرة سبع سنوات آن استثمارها فيعمد البستاني عند ذلك الى جوفها ينزع ما حوله من الاوراق المتراكة حتى يظهر الفراغ كانه وعاء مخروطي الشكل فياتي بسكين طويل يغرسه في وسطه الى الاسفل على شكل خاص ينقي به كل البراعم النابتة حديثاً ثم يغطي ذلك المخروط ببعض الورق ويعود اليها بمدسنة فيجد ذلك الجوف قد امتلأ عصارة لبنية تشبه السائل الذي يتولد في جوف جوزة الهند . فيستخرجونها بالامتصاص بواسطة قرعة يابسة من القرع المعروف فيجلس الرجل في وسط الاكاف ويأتي بالقرعة التي ترى صورتها بجانب الشكل ولها ثقب في قعرها وفتحة في راسها فيدخل الراس في السائل ويمتص الهواء من القعر كما ترى في الشكل



مكسيكي يستخرج عصارة الاكاف بالقرع

فاذا ذهب الهواء صعد السائل في القرعة على مبدا المص حتى تمتلئ القرعة فيسدها ويفرغها في اوعية معدة لذلك وتجمع هذه الاوعية اذا امتلأت في معامل خاصة لاجل تخميرها بواسطة مواد تضاف اليها تشبه حبوب التابيوكا بالمقادير اللازمة فيتولد اصناف من الخمر تختلف باختلاف درجات الاختمار وتحمل الى الاطراف بمقادير كبيرة وكثيراً ما تشحن في قطر خاصة تحمل مئات من القناطير

الشعر الرستمي

نعني به شعر اسعد افندي رستم وقد نسبناه اليه لانه اشهر من نظمهُ وهو يمتاز بسهولته وقربه من افهام العامة يتخلله كثير من الالفاظ العامية لمعانٍ عامية لا تؤدى بالالفاظ الفصحى فهو ينظم للشعب . وقد ينتقده الشعراء لبعده عن بلاغة شعر الجاهلية وصدر الاسلام ولكنه نوع من الشعر لهُ مزية وموقع خاصان بهِ . ويفيد على الغالب في انتقاد عادات العامة باسلوب يفهمونهُ مع شيء من المجون وبين ايدينا ديوان اسعد رستم وفيه قصائد كثيرة من هذا القبيل منها قولهُ ينتقد التقبيل من قصيدة عنوانها بوس اللحى

اليكمُ معشر القراء من قبلي ... منظومة تحتوي شرحاً عن القبلِ
وربما كنت فيما قلت منتقداً ... عاداتكم فاسمعوا قولي بلا زعلِ
ان كنت اقصد فيه غير خيركمُ ... سبوا ليَ الديك ازواجاً بلا مللِ
بوس اللحى عادةٌ في الشرق دارجهٌ ... وقد ورثناهُ عن اسلافنا الاولِ
عاداتنا بعضها في الشرق محتملٌ ... والبعض منها ثقيل غير محتملِ
بوس اللحى بارجال الشرق يخفضكم ... قدراً ويضحك منكم اكثر المللِ
ما اثقل اثنين في تقبيل بعضهما ... كانما جبلٌ يهوي على جبلِ !!
حتى الزنوج اذا ما جدَّدوا بوسا ... تحمر اوجههم من شدة الخجلِ !
بوس اللحى عادةٌ ليست بلائقةٍ ... ناهيك ما نشرت فينا من العللِ
لاسيما ان يكن من بست مفترساً ... حصاً من الثوم او رأساً من البصلِ
تفوح رائحة من فرط قوتها ... يشمها الناس في المريخ او زحلِ
بوس اللحى يارجال الشرق بينكم ... امرٌ ثقيلٌ على الاسماع والمقلِ
اضعتم بينكم منه الكثير فما ... أبقيتم لذوات الاعين النجلِ
قد اهمل الرجل الانثى لذاك فلا ... تلام ان رفعت دعوى على الرجلِ !

رواية اللصوص الاربعة

هي رواية تاريخية كثيرة التشويق للمطالعة وتعرف برواية جاسوس الملكة كاترين دي مدسيس تعريب سليم وثابت وقد طبعت بنفقة مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز بمصر وتطلب منها وثمن النسخة ثلاثة غروش واجرة البريد قرش

البطاطة (البطاطس)

وصفها وتاريخ نقلها من اميركا وانتشارها في اوربا

البطاطة نبات نحيف ييبس عقب الاثمار يبلغ ساقه ما بين الاربعين والستين سنتيمتراً ذو اوراق مستطيلة خضراء القسم الأعلى قطنية القسم الاسفل

ازهاره بيضاء جميلة قد تكون بيضاء أو زرقاء أو وردية اللون أما اثماره فهي كروية الشكل تنتج عن تضخم الساق السفلى تضخماً يشبه الغدة

ومن خصائصه انهُ يألف الظلمة والرطوبة لملائمتها لهُ ولذلك كان الزراع يجعلون على ساقه كوماً من التراب بغية تحسين المحصول وتكثيره

ولا تنحصر مقطوعيته على الاكل وحده بل ان لهُ موضعاً آخر في العمليات لا يزال يتسع ما اتسع نطاق الصناعة . فاليك محصول فرنسا مثلاً الذي يزيد على المليون هيكتوليتر فقد يذهب منهُ ٨٢ مليوناً طعاماً للانسان وحيواناته الاهلية ويستخدم الباقي من ذلك ومن العشر الذي يحفظ للزرع في بعض متفرقات الصناعة

بعد اكتشاف اميركا وافتتاح بلاد البيرو بواسطة بيزار والمانيو سنة ١٥٣٣ استجلب الاسبانيول برجوعهم الى وطنهم النباتات المفيدة التي كان يألفها الاميركيون فكان من جملة ما احضروه معهم البطاطة . فانهم أتوا بها من منحدرات انهر الكورديلير بعد ان عرفها الوطنيون هناك بمدة مديدة . واختص الاسبانيول من بين العالم القديم بزرعها والتفرد باستثمارها ردحاً من الزمن الى ان انتقلت معرفتها الى الايتاليين بواسطة بعض رهبان الكرمل فلاقت عندهم قبولاً حسناً إذ وجدوا بها طعاماً لذيذاً فاخراً . مع ذلك لم تكن تزرع بكثرة عندهم

وفي سنة ١٥٤٥ احضر جون هاكن قسماً منها الى ايرلاندا لكنها لم تزرع هناك الا في سنة ١٦٢٣ بعد ان كثر تناولها في انكلترا بمساعي ولتر راليه محظي الملكة اليصابات

وفي سنة ١٥٨٨ سافر أحد رجال حاشية البابا مرسلاً الى فلاندر حيث اهدى بثوراً منها الى السنيور دي سيفري . وهذا بعث بكمية من تلك البثور الى رجل من

اصحابه يدعى شارل دلسكاوز العالم النباتي الذي اشتهر بعد ذلك في فوزه باستمالة قلوب الاوربين الى البطاطة وبانه الداعي الاكبر لانتشارها وهو الذي قال فيه مورّن ما معناه : ان في عمل دلسكاوز الوحيد أعني ترويجه الاستفادة بخير اثمار العالم الجديد الى العالم القديم ما يستحق من اجله ان يأخذ موضعاً بين المحسنين على البشرية

ولما زرع دلسكاوز تلك البثور المهداة لهُ اعجب بثمرها وشرع يبذل الجهد في ترويج زراعتها فبين لاهل بلاده فوائدها وطيب طعمها نافياً عنها كل ما من شأنهِ ان يلقي في النفوس الكره لها . فكان بسعيه الحميد المروج الحقيقي لاستعمالها والمسبب الاول في زرعها بكثرة من سنة ١٥٨٩ الى سنة ١٥٩٣

وبواسطته كان اول دخولها الى البلاد الالمانية حيث قدرت حق قدرها لان عالمنا المذكور أهدى في اواخر القرن السادس عشر بثوراً منها الى جالك كاريه الالماني المشتغل في النباتات فزرعها هذا عنده ثم شاع استعمالها في بلاده ومنها امتد شعاع معرفتها الى فرنسا . وبسعي برمانتيه الشهير راجت رواجاً باهراً بعد ان لقي في هذا السبيل من وعرة المسلك ما يثبط همم الابطال ومن الصعوبات والمماكسات ما بلغ الغاية وفاق حد الاعتدال وجعل له اسماً بين مشاهير الرجال

ولم تتم تلك المماكسات في وجه برمانتيه عن عسر في زرع البطاطه أو عن علم مناسبة تربة فرنسا لها أو عدم ملاءمة مناخها بل كان ذلك عن مجرد توهمهم الضرر فيها وزعمهم انها تجلب البرص والحمى الخبيثة . وهذا الاعتقاد الفاسد لم يكن مقتصراً على الاغبياء بل ان العقلاء كانوا يرون في البطاطه غذاء غليظاً لا يليق اكله الا المتوحشين . واليك ما قاله احدهم مؤلف دائرة المعارف سنة ١٧٦٥ « هذا النبات الذي أتانا من فرجينيا يزرع في نواح متعددة من اوربا ولا سيما فرنسا مثل اللورين والالزاس وليونيه وثيفاريه ودوفينه . وسكان تلك البلاد والفلاحون منهم خاصة يتخذون من اصوله غذاء لهم في قسم كبير من السنة فيغلونهُ قبل اكله في الماء الحار أو يشوونه تحت الرماد الخ — ويشكون . من البطاطه بانها تولد الارياح ولكن ما أهمية الريح لدى اولئك الفلاحين الاقوياء » فاذا كان هذا هو اعتقاد العلماء من القوم

فكيف بالعامة الذين دأبهم التسليم الاعمى والانقياد المطلق لرؤسائهم فلا لوم عليهم اذا علمنا انهم كانوا يقدمون ماعندهم منها طعاماً لمواشيهم استنكافاً من ان يذوقوها أو يمدوا لها يداً

أتى على الافرنسيين حين من الدهر وهم يكرهون البطاطه ويجتنبون اكلها الى ان حصلت المجاعة سنة ١٧٧١ فعرضت جمهورية بيزانسون على العلماء ان يبحثوا عن مواد تحط من نكبة الجدب تلافياً للخطر المحدق بالبلاد

فعنَّ لبرمانتيه أحد مستخدمي الجيش وقتئذ ان يدرس صنفاً من المأكولات كان قد ذاقه في فرنكفور إحدى البلاد البروسية عند مورن الصيدلي وطاب له اكله لدرجة انه لم يرجع الى وطنه قبل ان تعلم زرعه من رجل فلاح يدعى غريغوار

وبعد الفحص والتدقيق ظهر له ان هذا الصنف المسمى بطاطه افضل نبات يخلف الخبز واحسن التدابير النافعة لتدارك الرزية النازلة بهم فحرض قومه على الاستفادة بهِ ناصحاً لهم في زرعه . ثم انهُ نشر سنة ١٧٧٩ تحليله الكيماوي مبيناً فيهِ ان البطاطه فضلاً عن كونها تصلح التربة القاحلة فهي تحتوي على الاغذية النافعة . على ان ما أتاه من الحجج الدامغة والبراهين الساطعة لم تقوَ على تغيير الرأي العام

فتحير الرجل في امره وكاد يرجع عن قصده لولا ان لاحت له بارقة من الامل فارجعت نشاطه وحسنت له متابعة العمل فاخذ في البحث عن طريقة اخرى تكون اقوى على تحقيق رغائبه ونيل ماربه فوفق باقناع الملك ان يهبه سهولاً من الرمل واسعة جدًا بقرب باريس تدعى سابلون كانت الى ذلك الوقت قاحلة

فأصلح برمانتيه تلك السهول على قدر امكانه وزرع فيها البطاطه لم يطل امرها حتى نبتت وأثمرت واعطت محصولاً حسناً . وفي تلك الاثناء جمع من زهرها الاول طاقة قدمها للملك لويس السادس عشر فسرَّ بها سروراً فائقاً وظهر في يوم ما ممسكاً لها بيدهِ

فلما رآه كبراء مملكته تشبهوا بهِ . فصار زهر البطاطه (مودة) بيد ان أثمارها لبثت منبوذة مكروهة لا يلتفت اليها ولا ينتفع بها الا باطعامها للخنازير

كل ذلك لم يثبط همة پرمانتيه ولا اضعف نشاطه بل انه عند ما رأى حبوط مساعيه وخيبة آماله أخذ يبحث عن طريقة أخرى يتمكن بها من نجاح مشروعه وخدمة وطنه فاشاع في إحدى السنين انهُ عازم على ان لا يبيع محصول حقله الا في برهة صغيرة باسعار عالية وانهُ اناط مراقبة مزروعاتهِ بحراس أشداء مصحوبين بفرقة من رجال الضبط يعاقبون عقاباً صارماً كل من يتجاسر ان يدوس ارضه أو يمس منها حبة وقد اخرج القول الى حيز العمل غير انهُ أسرّ لحراسه ان يغضوا الطرف عن الناهبين ويتركوا الحقول ليلاً ليخلو الجو للسالبين . فأثر اعلان پرمانتيه في النفوس تأثيراً حسناً وجعل في القلوب ميلاً الى البطاطه ميل الانسان الى الاشياء الممنوعة فانقض القوم ليلاً على الحقول انقضاض الظمآن على الماء وتركوها خالية كان لم تكن في الامس . ولما ان اكل الافرنسيون مما كانوا يستنكفون طعمهُ تبين لهم الغلط من الصواب فتحققوا فساد اعتقادهم ورجعوا عنه مقرين بما للبطاطه من المنافع الجمة . وقد اخذوا من ذاك الوقت في الاعتياد عليها والاعتناء بها فراجت عندهم بعد ذلك رواجاً مهما في مدة قصيرة وانتقل منها الى الشرق في اواسط القرن الماضي

(بيروت) محمد جميل بيهم

ابيات في كتمان السرّ

قال قيس بن الحطيم :

اجود بمكنون التلاد وانني | بسرّي عمن يسألني نضينُ
وان ضيع الاقوام سرّي فانني | كتوم لاسرار العشير امين

وقال آخر :

اذا ما غفرت الذنب يوماً لصاحب | فلست معيداً ما حييتُ لهُ ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده | وعندي لهُ سرٌّ مذيعاً لهُ سرّا

وقول الآخر :

ومستودعي سرّا كتمت مكانهُ | عن الحس خوفاً ان يتم به الحسُّ
وخفت عليه من هوى النفس شهوة | فاودعتهُ من حيث لا يبلغ الحسُّ

فك التقليد في علم الصرف

تأليف جبر افندي ضومط وبولس افندي الخولي من اساتذة المدرسة الكلية في بيروت

الصرف من العلوم اللسانية التي وضعها المسلمون في صدر تمدنهم لضبط كتب الدين وتفسيرها او تفهمها بدأوا من تلك العلوم بالنحو لانه اول ما يحتاج اليه في تمييز العوامل فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر فيرفع الالتباس في تفهم العبارة . ثم وضعوا الصرف مع ان هذا يبحث في احوال ابنية الالفاظ والنحو موضوعه نسبة تلك الالفاظ بعضها الى بعض في الجملة . ولكنهم احتاجوا الى ضبط معنى الجملة قبل النظر في اشتقاق الفاظها . ومعلوم ان النحو وضعه ابو الاسود الدؤلي في اواسط القرن الاول للهجرة اما الصرف فلم يوضع الا بعد اواسط القرن الثاني وقد اختلفوا في واضعه والارجح انه معاذ ابن مسلم الهراء شيخ الكسائي في النحو . وكان شيعياً توفي سنة ١٨٧ هـ وظن آخرون ان واضعه ابو عثمان المازني المتوفى سنة ٢٤٠ هـ والاغلب انه معاذ وقد الف في النحو كثيراً ولكن مؤلفاته لم تصل الينا . وكتب غيره في الصرف في اثناء الكلام عن النحو ولم يجعلوه علماً مستقلاً الا بعد ذلك

واقدم من وصلت الينا كتبهُ في الصرف على حدة عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ الف في الصرف كتاب « الشافية » وقد شرحها احمد بن الحسن فخر الدين المتوفى سنة ٧٤٦ هـ وشرحها ايضاً الخضر اليزدي فرغ من شرحها سنة ٧٢٠ هـ ورضي الدين الاسترابادي الشهير بالنجم الرضي توفي في اواخر القرن السابع للهجرة والسيد عبد الله الحسيني بنقره كار المتوفى سنة ٧٧٦ هـ والشيخ يوسف بن عبد الملك الغفور من علماء القرن التاسع وغيرهم . وبعض هذه الشروح مطبوع وكلها موجودة في المكتبة الخديوية

وابو الفضائل ابراهيم بن عبد الوهاب عماد الدين بن ابراهيم الزنجاني المتوفى سنة ٦٥٥ هـ الف كتاب « التصريف العزّي » وقد شرحهُ كثيرون من علماء اللغة وعلقوا عليه الحواشي منها شرح السعد التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣ هـ وقد شرح هذا الشرح ناصر الدين اللقاني المتوفى سنة ٩٥٨ هـ وشرح شرح اللقاني هذا احمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة ٩٩٤ هـ وجميع هذه الشروح موجودة خطاً في كتاب واحد بالكتبخانة الخديوية . وشرحها غير هؤلاء ايضاً . والامام ابن مالك النحوي الف في الصرف لامية سماها لامية الافعال شرحها كثيرون ومن امهات كتب الصرف غير ما تقدم كتاب « المقصود » يقولون ان مؤلفهُ الامام

الاعظم وكتاب « مراح الارواح » تاليف الامام احمد بن مسعود وكتاب بناء الافعال . وكتاب الامثلة والكافية وهي قصيدة تاليف بعض علماء القرن السابع للهجرة وكلها متون مشهورة ولكل منها شروح او حواش عديدة واكثرها مطبوع متداول

والف في الصرف من اهل هذه النهضة كثيرون يضيق المقام عن ايراد اسمائهم واكثرهم نحدوا القدماء في اسلوب التأليف . والحاجة ماسة الى كتاب في الصرف خارج عن قيود التقليد لان هذا العلم على كونه ضروريًا لضبط القراءة ومعرفة صيغ الالفاظ واشتقاقاتها قلما نجد لائمة اللغة عناية في تسهيل تناوله بالعدول عن الاسلوب القديم الى اسلوب حديث يسهل به تفهمه . وقد شعر بهذا النقص وتصدى لسده صديقنا جبر افندي ضومط استاذ اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية وزميله بولس افندي الخولي

وقد عرفنا الاستاذ ضومط منذ بضع وعشرين سنة وصادقناه وعاشرناه وتلقينا اللغات السامية معاً . وظهر لنا ونحن ندرس اللغتين السريانية والعبرانية ميله الى حل قيود التقاليد اللغوية والذهاب بقواعدها وآدابها الى نسق حديث . ولم نكد نفرغ من درس هاتين اللغتين حتى الف كتابه « الخواطر » في فلسفة اللغة نظر في قواعدها نظرًا تحليلياً وضمنه آراء لم يسبقه اليها احد . ولما انتدب لتدريس اللغة العربية في المدرسة الكلية جعل همه اخراج عزمه في حل التقاليد الى حيز العمل فالف كتابه الخواطر الحسان في المعاني والبيان وكتاب الخواطر العراب في النحو والاعراب وكتاب فلسفة البلاغة وغيرها من كتب اللغة التي تدل على طول باعه مع نزوعه الى التحليل الفلسفي . وكلها موضوعة على اسلوب حديث خالف فيه من تقدمه من علماء اللغة وعليها المعوَّل لتعليم هذه العلوم في المدرسة الكلية

ولهذا الغرض عمد الى سد حاجة اللغة العربية بتأليف كتاب الصرف الذي نحن في صدده . وقد اشترك في تأليفه مع زميله بولس افندي الخولي من نوابغ اساتذة المدرسة الكلية . فألفاه على نسق حديث وسمياه اسماً يدل على المراد به (فك التقليد) وبسطا الكلام في الصرف بسطاً يقربه من الافهام ويسهل حفظه . وقد جربا تدريسه في صفوف اللغة العربية بالمدرسة الكلية قبل طبعه فوجداه وافياً بالغرض فنشراه خدمة لاهل التربية وارباب التعليم في المدارس الثانوية . ويجدر باساتذة هذه المدارس ان تعول عليه في تعليم هذا الفن لانهم قلما يفونه حقه من العناية وخصوصاً في المدارس المصرية

ومزايا هذا الكتاب كثيرة اهمها انه ينبه علماء اللغة الى ان باب الاجتهاد في هذا الفن لا يزال مفتوحاً فيحلون قيود التقليد ويجعلون ابحاثهم مبنية على الاساليب الحديثة .

ومنها انهُ يقوي في التلميذ قوتي الادراك والاستنتاج فيتعود ذلك في سائر احكامه فضلاً عن تسهيل تناول هذا العلم عليهِ

فنثني على حضرة المؤلفين ونستحث ارباب الاقلام على الاقتداء بهما في وضع العلوم العربية على الاساليب الحديثة كما فعل الافرنج في علومهم . فان مذهب النشوء والارتقاء غير اساليب العلم لما يلائم نواميس الطبيعة

باب الأخبار العلمية

مصل المنجيتس (التهاب اغشية الدماغ)

دخل الطب باكتشاف العلاج المصلي في دور جديد يكفي دليلاً على ذلك النجاح الباهر الذي لاقاه مصل الدفتيريا فانه حط الوفيات بهذا الداء الى خمسها تقريباً . وكذلك مصل الحمرة وهم يشتغلون باستحضار مصل لكل مرض من الامراض المضالة . وقد نجحوا في استحضار مصل المنجيتس او التهاب اغشية الدماغ وهو مرض شديد الوطأة سريع الخطر . فوصف الدكتور سيمون فلاكسنر مدير معمل روكفلر الطبي مصلاً يقاوم به منجيتس الحبل الشوكي اي التهاب اغشيته . وكان هذا الداء كثير الانتشار في نيو يورك فدرسوه درساً دقيقاً فوجدوا سببهُ احياء صغيرة سموها «ديبلوكوكس انترا سلولارس منجيتيدس»

فلما علموا ذلك اخذوا في اصطناع مصل يقاومه فجرب الدكتور فلاكسنر اصطناعه وحقن به ثلاثة من القردة بادخال ابرة الحقنة بين الفقرات الظهرية — حقن القرد الاول بمقدار كبير من مستنبت علة المنجيتس يكفي لقتل كثيرين ثم حقنه بكمية قليلة من المصل الجديد فلم يصب القرد باذى في صحته . وحقن القرد الثاني بمقدار من مستنبت ذلك المرض فاصيب بالداء اصابة شديدة فحقنوه بالمصل فاخذت صحته تتحسن حالاً حتى شفي . والثالث حقنوه بالمستنبت المرضي ولم يحقنوه بالمصل فمات

فثبت بهذه التجارب ان المصل يشفي القردة من هذا الداء وهي اقرب مزاجاً الى الانسان من سائر الحيوانات فاصطنعوا المصل من دم الفرس لان دمهُ اقل دماء الحيوانات



الجزء التاسع من السنة السابعة عشرة

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٩ و ١٣ جمادى الاولى اول سنة ١٣٢٧

اشهر الحوادث واعظم الرجال



عبد الحميد الثاني في اوائل شبابه

قبل توليه الملك

عبد الحميد الثاني

ولد سنة ١٨٤٢ وتولى سنة ١٨٧٦ وخلع سنة ١٩٠٩

خلع عبد الحميد بالامس عن العرش العثماني بعد ان تولاه بضعاً وثلاثين سنة حدث فيها من الغرائب ما لم يسبق له مثيل في التاريخ ٠ وقد تضاربت الآراء واختلفت الاقوال في هذا السلطان وفي اعماله ومواهبه وحسناته وسيئاته فرأينا ان نترجمه نقلاً عن اوثق المصادر فننصفه وننصف التاريخ على ما يبلغ اليه الامكان ٠ لان ترجمة هذا الرجل محاط بالشكوك لكثرة ما دخل فيها من الاكاذيب من تملق المتزلفين او انتقام الغاضبين بين معدد حسناته او مكبر سيئاته ٠ وسنبذل الجهد في انصافه ونقسم الكلام في ذلك الى (١) تاريخه في نشأته الاولى (٢) كيف تولى العرش (٣) ما جرى في اثناء حكمه (٤) مناقبه واخلاقه

١ — نشأته الاولى

هو الرابع والثلاثون من سلاطين آل عثمان ابن السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود الثاني المصلح الكبير ٠ ولد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢ من سرية ارمنية الاصل ٠ ولا غرابة فان اكثر ابناء السلاطين العثمانيين — مثل اكثر ابناء الخلفاء والسلاطين في ابان التمدن الاسلامي — من ابناء السراري وفيهن الشركسية والرومية والالبانية واليونانية وغيرها لانهم لا يرون للمرأة دخلاً كبيراً في حال الانساب وانما يعدون العصبية من جهة الاب فقط ٠ مع ان للوالدة تاثيراً كبيراً في اخلاق الابناء ومواهبهم بل ربما اكتسب الولد من امه اكثر مما يكتسب من ابيه ولا سيما من حيث الاخلاق والاميال ٠ وجرى الاعيان ووجوه الدولة على خطة ملوكهم فاتخذوا السراري على اختلاف العناصر والاجناس واستولدوهن وانخرط في الاتراك كثيرون من افراد الاجناس الاخرى بتوالي الهجرة او الانتقال للفتح او غيره فنشأ بذلك اجيال من الاتراك تختلف عن اجيالهم الاولى في امزجتهم واخلاقهم ٠ فبعد ان كانت مزية الاتراك محصورة في الشجاعة والحرب وركوب الخيل والفروسية ورمي النشاب مع قلة العناية بالعلوم ولا سيما الفلسفة والعلم الطبيعي — اذ قل اشتغل بها احد منهم في ابان التمدن الاسلامي ٠ اصبحوا في اجيالهم الاخيرة وقد نبغ منهم الفلاسفة والعلماء والشعراء واهل الصحافة والادب — فاتراك هذه الايام يختلفون عن

اجدادهم الاولين كما يختلف حرب هذه الايام عن حرب صدر الاسلام

توفيت والدة عبد الحميد بعلة الصدر سنة ١٨٤٩ وهي في السادسة والعشرين من عمرها . وتوفي والده بتلك العلة سنة ١٨٦١ وهو في التاسعة والثلاثين من عمره وكان البرنس عبد الحميد يومئذ في التاسعة عشرة من عمره . ورغم ما اورثه والداه من جراثيم هذا الداء فقد ادرك الشيخوخة ولم يظهر فيه عرض من اعراضه

لما توفيت والدته وهو في الثامنة من عمره عهد بحضانته الى عجوز من نساء القصر السلطاني . ثم توفيت هذه بعد قليل فاحيل امر العناية به الى رابعة نساء السلطان عبد المجيد واسمها بريستو خانم ولم يكن لها اولاد فتبنته واخذت في تربيته

فلما افضى العرش العثماني الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦١ اراد هذا السلطان ان يتزوج بريستو خانم لجمالها فابت رغبة في التفرغ لتربية عبد الحميد واخته جميلة سلطانة . وقد عاشت بريستو خانم الى آخر دولة عبد الحميد وكانت تعرف باسم والدة سلطانة وانقطعت عن العالم من اجله . ويقال انه قلما كان يعاملها بما تستحقه من الاكرام وعرفان الجميل بل نسب اليها تهماً بلغت الى السلطان عبد العزيز فغضبت وطلبت الانفصال عن عبد الحميد واصرت ان لا تقيم معه تحت سقف واحد . ثم توسط بعضهم فاصلحوا ما بينهما فعادت الى السكنى معه مكرهة وبقيت الى اواخر ايامها تمني نفسها الخروج من جواره

قضى عبد الحميد ايام صباه كما كان سائر امراء آل عثمان يقضونها بين الخصيان والعبيد والجواري وكان يمتاز عن سائر اخوته باخلاق وعادات خاصة به منها الميل الى الانفراد قال المستشرق فامبري الشهير وقد شاهد البرنس عبد الحميد في صباه « انه ممتقع اللون سكوت سوداوي المزاج كثير الشكوك ميال الى الحيلة والدهاء . وقلما كان يشترك في الاحاديث التي كانت تدور بين اخوته بل ربما نظر اليهم وهم يتمازحون ويتضاحكون فلا يزيده ذلك الا انقباضاً » وذكروا ان اخويه رشاداً وكمال الدين تعبا مرة من كثرة الركض في الحديقة مع اختهما سنية سلطانة فدخلوا الصالون وتوسدوا المقاعد وناموا من التعب فلما تحقق عبد الحميد استغراقهم في النوم اقترب منهم ونزع ما كان عليهم من الحلى والجواهر وخبأها لنفسه

وكان ينفر من العلم وسائر الاعمال العقلية فكان مؤدبه كمال باشا واساتذته وفي جملتهم عمر افندي وشريف افندي وادهم باشا وفايق باشا والمسيو غاردت وغيرهم يشكون من كسله بخلاف اخيه مراد فقد كان مجتهداً محباً للعلم والادب . فشب عبد الحميد ولم يكتسب من العلم ما يستحق الذكر ولم يتقن لغة حق الاتقان حتى لغته الاصلية ولم يكن والده عبد المجيد

يذكره الا بالانتقاد وكثيرًا ما شكا بأسهُ من اصلاحه الى بعض الخاصة . وكان يسوؤه منهُ ميله الى اهل الدسائس وكان اخوته لا يحبونه الا مرادًا فلم يكن يكرهه بل كان يدافع عنه وقد اندفع الى ذلك بطيب عنصره لانه كان رحمه الله اقرب الإخوة الى اخلاق والدم ولم يكن عبد الحميد يزداد بذلك الا ميلاً الى الانفراد ولا يزداد لونه الا امتقاعاً وتكاثرت ظنونه وشكوكه

على انهُ وفق الى شخص احبه وعطف عليه نعني والدة السلطان عبد العزيز وتسمى بورتوالي قادين وتعرف بوالدة سلطانة . وهي عجوز قوية الخلق شديدة التعصب على غير المسلمين كثيرة التمسك بالخرافات مع الميل الى الدسائس فاحبت عبد الحميد واحبها ودخل بعد تلك الصحبة في دور جديد من الحياة فكان يقضي الليالي ساهرًا عندها وحولها السحرة والمنجمون يضربون المندل و يستطلعون الخفايا . وكان في جملة ما تنبأوا به لعبد الحميد انه سيحكم حكماً طويلاً ارادوا التزلف اليه بذلك لكن نبوءتهم صحت فازداد تمسكاً باصحاب التنجيم

ويحكى من هذا القبيل ان نجيب باشا احد رجال عبد العزيز نفي الى قبرص فلقي هناك شيخاً اسمهُ عبد الرحمن اصله من صيدا وتعارفا فتنبأ الشيخ لنجيب باشا ان الفرج يأتيه قريباً وانهُ يعود الى الاستانة معززًا ولم يمض قليل حتى صحت نبوءة الرجل فاتى اليخت (عز الدين) يحمل الباشا المشار اليه معززًا مكرماً الى الاستانة . فلما وصل اليها اخبر البرنس عبد الحميد بمهارة الشيخ عبد الرحمن في التنجيم فبعث اليه ان يأتي الاستانة يقيم فيها بقربه فجاء الرجل وعليه مسحة التقوى فضلاً عن التنجيم فقال له يوماً « ان شاء الله ستكون سلطاناً عن قريب » فدفع قوله بان عمه عبد العزيز لايزال حاكماً ويليه في حق الملك اخوه السلطان مراد فاصرَّ الشيخ ان نبوءته ستصح من كل بد . ولم تمض عليها سنتان حتى صحت وكان الشيخ قد عاد الى بلده فبعث اليه فقدَّمه واكرمه وكان يستشيره في شؤونه . ويقال انهُ اوعز اليه ان يجاهد في نشر الاسلام بالسيف فبعثه يبشر بذلك في الحرمين وهو الذي حمل الى عثمان نوري باشا والي الحجاز الامر السري بقتل مدحت باشا وداماد محمود باشا

فلما احبته والدة سلطانة (والدة عبد العزيز) صارت تسعى في سبيل مصلحته لدى ابنها بتقبيح الشهرة التي احرزها اخوه مراد ولي العهد وان عبد الحميد افضل منهُ لسياسة الملك . وكانت تغرس هذا الاعتقاد في ذهن عبد الحميد فاعتقد ذلك في نفسه واصبح ينظر الى المحيطين به اذا لم يقولوا قولها نظره الى اعداء يسعون في احباط مساعيه فصار يراقب

حركاتهم بالتجسس فيتقرب اليه الجواسيس بنقل الاخبار على ما يرضيه أو يشفي ما في نفسه فاصبح منزله ملجأ لهؤلاء . واما مراد فانما كان همهُ النظر في السياسة الجارية ومجالسة رجال الادارة متى تأتى له ذلك

وكان السلطان عبد العزيز لا ترتاح نفسهُ الى الشهرة التي اكتسبها مراد ابن اخيه فكان يترصد حركاته و يضيق عليه وربما استخدم عبد الحميد لهذه الغاية . ذكروا ان عاكف باشا ناظر العدلية زار مراداً ذات يوم وحادثه واعجب بذكائه وادبه . وهم في الحديث دخل الحاجب يعلن ولي العهد ان اخاه البرنس عبد الحميد جاء . فتقدم مراد الى ضيفه ان يختبئ في مكان خوفاً من ان يتخذ وجوده هنا حجة عليه . وما زال في المختبأ حتى انقضت زيارة البرنس عبد الحميد

ولما سافر عبد العزيز الى اوربا ونزل باريس سنة ١٨٦٧ كان معهُ ابنا اخيه مراد وعبد الحميد وكان مراد يعرف الفرنساوية جيداً فيحادث بها من يلقاه من رجال الدولة ولم يكن عبد العزيز يستطيع المحادثة الا بواسطة الترجمان . أما عبد الحميد فكان يومئذ يستطيع التكلم بالفرنساوية ولكنه كان يظهر انه يجهلها بالكلية ليزيد قلق عمه السلطان من احاديث ولي عهده بها . وقد شهد رجال السياسة في تلك الرحلة بالفرق العظيم بين ذينك الاميرين

ورغم ما كان يظهره عبد الحميد من التقرب الى عمه فان عمه لم يخلص النية في محبته لانه كان يشعر ان ابن اخيه هذا لا يفعل ذلك حباً به فكانا يتداجيان . وكان عبد العزيز ينتقد في عبد الحميد فرط تذلله في التماس ما يحتاج اليه . ذكروا انه احتاج مرة الى نقود فلقي عمه في حديقة القصر فاخذ يتضرع اليه حتى كاد يجثو بين يديه فامر له بما طلب لكنهُ انتقد تصرفه على تلك الصورة

وكان شديد الحب للنقود منذ صباه كثير الاقتصاد في النفقة لا يستدين قط خلافاً لسائر البرنسات من الاسرة المالكة . يتولى حساباته بنفسه و يراجع حسابات اراضيه وعقاراته بالتدقيق حتى اثمار حديقته كانت تباع في السوق ويقبض اثمانها . وكان يضارب في البورصة بحذر شديد وتعقل والغالب ان يربح لاتصاله بمصادر الاخبار الصحيحة . واشتهر بالبخل بين معارفه وكان اخوه مراد ينصح له ان يزيل هذه الشهرة عنه . و يقولون مع ذلك فان مراداً اعان مديرجريدة خيال على ترجمة رواية البخيل لموليير الى اللغة التركية وسماها « بنتي حميد » أي حميد البخيل . واصبحت هذه الجملة نعتاً عاماً في التركية لكل بخيل كما يقال في العربية « بخل اشعبي »

ولما علم عبد الحميد بعزم المترجم على تمثيل تلك الرواية اراد منعه' فابى بحجة انه لا يتمدد الحط من قدر احد فسكت عبد الحميد وحقدها عليه كما حقدها على اخيه فلما تولى العرش انتقم منهما شر انتقام

وكان معتدلاً في شبابه خلافاً لما تعوده الامراء من الانغماس في الملذات ولا يذكرون من اسرافه في هذا السبيل الاحوادث نادرة وأما على الاجمال فقد كان متعففاً معتدلاً يليق ان يكون مثالاً لسائر الامراء

٣— كيف تولى العرش

لما خلع عبد العزيز في ٣٠ مايو سنة ١٨٧٦ ونصب السلطان مراد فرح الناس فرحاً شديداً لاشتهار مراد منذ صباه بالعقل والاعتدال في افكاره وآرائه مع حبه العلم وتسامحه وسهولة اخلاقه كما كان والده عبد المجيد ولذلك سموه « مراد المصلح » وكان لتنصيبه وقع حسن عند دول اوربا الا روسيا لانها خسرت بخلع السلطان عبد العزيز نفوذاً كبيراً وعلمت ان دخول الدولة العثمانية في سلك الدول الدستورية في ظل سلطان عاقل يذهب بمنافعها وآمالها ولكنها مالبثت ان ذهب يأسها بانتقال الملك الى عبد الحميد

وقد ذكرنا في ترجمة مدحت باشا في الهلال الرابع من هذه السنة كيف خلع الاحرار عبد العزيز بفتوى شيخ الاسلام خير الله افندي وولوا مكانه السلطان مراداً وكيف سعى مدحت باشا وعوني باشا ورشدي باشا في هذا السبيل بتعقل وحزم لكن المقادير لم تساعدهم لان عوني لحظ من السلطان مراد في الليلة نفسها التي رافقه فيها من قصره انه مضطرب واصابته نوبة عصبية · وفي الاحتفال اثناء رجوعه الى سراي طولمه بغجه زادت فيه الاعراض العصبية وكان معه مدحت باشا فرأى من الحكمة ان لا يفارقه فمكث معه ثلاثة ايام واستشار الاطباء فاشاروا بعلاج وحمية ولم يكبروا العلة فاتفق في اثناء ذلك حادثتان ازعجتا السلطان وزادتا علته

الاولى موت عبد العزيز: وذلك ان هذا السلطان اقام بعد خلعه خمسة ايام · وفي صباح ٥ يونيه طلب من خادمه الخصوصي فخري بك مقراضاً ليقلم اظافره ويصلح لحيته · فتردد حيناً في اجابة طلبه ثم عرض الامر على والدة سلطانه فامرت ان يعطى المقراض الذي يطلبه · واتفق بعد حين ان بعض نساء الحاشية اشرفن من احدى النوافذ على المكان الذي كان عبد العزيز فيه فرأينه جالساً على كرسي وظهره محوّل ورأسه مدلى الى الامام

فاسرعن الى الباب فلم يستطعن فتحه وظنن سوءا فانبأن والدته فامرت بخلع البـاب فدخلوا فرأوا عبد العزيز ميتاً وقد نزف دمه من جرحين في ذراعيه ورأوا المقراض بجانبه الايسر كانه استخدمه بيمناه لقطع اوعية اليد اليسرى ثم اراد استخدامه باليسرى لقطع اوعية اليـد اليمنى فلم تسعفه قواه ان يتم العمل جيداً



عوني باشا

فاستقدموا الاطباء حالاً فاثبتوا انه ميت وخاف الوزراء العاقبة فامروا بلجنة من الاطباء تتولى فحص الجثة فاجتمع ١٧ من اشهر اطباء الاستانة فاقروا بالاجماع ان الموت انما كان بالانتحار ولايمكن ان يكون بسواه وكتبوا بذلك شهادة مؤرخة في ٤ يونيو سنة ١٨٧٦ ثم دفنت الجثة في مقام السلطان محمود بعد غسلها . فلما بلغ السلطان مراداً خبر هذه الفاجعة اثرت على اعصابه تأثيراً كبيراً

ثم وقعت حادثة حسن الشركسي فاقمت عليه ــ وكان حسن هذا من ياوران عبد العزيز واراد عوني ابعاده فامره بالسفر الى بغداد ليلحق بجندها فابى واخذ يشيع اتهام عوني بقتل السلطان كما اتهم بخلعه فامر عوني بالقبض عليه وسجنه . فارسل حسن بعد يومين يقول انه مستعد لاطاعة اوامره بالسفر الى بغداد لكنه يستأذنه في البقاء بضعة ايام بالاستانة ليتاهب للرحيل فاذن له . ففي يوم ١٥ يونيو وهو اليوم المعين لسفره ذهب الى بيت عوني وطلب مقابلته بالحاح فقالوا انه سار الى منزل مدحت باشا للاجتماع بسائر الوزراء

فذهب الى اسطانبول ونزل في مطعم تناول فيه بعض الخمر ثم تحول الى منزل مدحت في طوخان طاش فوصله نحو الساعة العاشرة وقد اجتمع الوزراء وهم عشرة ومعهم شريف مكة وقد هموا بافتتاح الجلسة



حسن الشركسي

دخل حسن الدار كما يدخل صاحب المنزل الى منزله فسأله الحرس عما يريده فقال انه مسافر في الغد الى بغداد وعنده امور هامة يريد عرضها على السرعسكر عوني باشا قبل سفره فاجابه الحارس ان ذلك لا يتأتى الا بعد انفضاض الجلسة . فوقف حسن ريثما غافل الحرس ووثب الى السلم وتسلقه ليدخل الى قاعة الجلسة فمنعه خادم مدحت ونادى خادم عوني باشا ليشتكي هذا الشركسي لرئيسه . فصعد الخادم لمقابلة عوني وتبعه حسن ليتحقق مجلس كل من الوزراء ولم ينتظر الاذن . فدخل وسلم سلاماً عسكرياً ثم اشار الى عوني ان لا ينتقل من مكانه واطلق عليه المسدس فاصاب صدره فتنافر الوزراء فراراً من القتل ولجأوا الى غرفة اخرى الا ناظر البحرية فانه حاول ان يقبض على ذراع حسن فافلت منه وجرحه جروحاً كثيرة في يديه ومنكبه . وكان عوني لا يزال فيه رمق فنهض يطلب السلم فادركه حسن وطعنه طعنات عديدة وعاد الى القاعة وخاطب الصدر الاعظم وهو في الحجرة الاخرى قائلاً « اني احتاج الى قيصرلي سلمه اليَّ فلا أوذيك بشيء » . فلم يجبه فلما يئس ولم يظهر له احد جمع ابسطة القاعة وكراسيها واوقد فيها النار فادركه رجل من رجال مدحت باشا اسمه احمد اغا وطعنه في قفاه طعنة ثمينة فاطلق عليه حسن المسدس

في عينه فاماته واطلق رصاصة أيضاً على ناظر الخارجية . فقضى حسن في هذه المعركة نصف ساعة اجرى فيها مذبحة وهو فرد وهم جماعة وعاش الى اليوم التالي واعترف انه انما جاء لينتقم من عوني باشا وانه يأسف لمقتل رشيد وزير الخارجية فحكموا عليه بالاعدام فمات قبل تنفيذ الحكم



رشدي باشا

فلما بلغت هذه الواقعة الى السلطان مراد زاد اضطراب عقله وبعد ان كان الاطباء يرجون قرب شفائه رأوه بعيداً عنه فانقسم رجال الدولة بالنظر الى هذا الحال الى قسمين قسم يرى استبقاء السلطان مراد وانتظار شفائه وهم الصدر الاعظم رشدي باشا ومدحت واكثر زملائهما . والقسم الآخر اشاروا بخلعه وتولية من يخلفه وزعماء هذا الحزب داماد محمود جلال الدين باشا صهر السلطان ورديف باشا مشير فيلق الاستانة ومشيران آخران ممن يرغبون في الرجوع الى الحال القديم فقد كانوا اصحاب النفوذ فيه والدستور لا يوافق مطامعهم ولا هم يفهمون معنى الدولة والامة . وكان هذا الداماد مجرداً من العلم كثير الحب لذاته يكره الاصلاح لانه يرفع اناساً كانوا دونه وانما رفعته عنهم المصاهرة . فهؤلاء وغيرهم سعوا جهدهم في خلع مراد لعلة المرض وقد ساعدهم الشرع على ذلك وتداخل السفراء وألحوا

في تسوية الحالة الحاضرة لانهم لا يامنون على مصالح دولهم والدولة في هذا الاضطراب واشاروا بخلع مراد وتولية عبد الحميد . وسعى الداماد في اثارة خواطر اهل الاستانة لتأييد هذا الطلب وان الحاكم اليوم على الامة ليس السلطان خليفة الرسول وانما هو مدحت باشا ورشدي باشا . فلم يبق بدٌّ من خلع مراد . ولكن مدحت باشا ورفاقه رأوا ان يأخذوا المواثيق على السلطان الجديد قبل مبايعته فقرروا ان يذهب مدحت بنفسه الى موصلو اوغلو حيث يقيم البرنس عبد الحميد افندي ويستطلعه رأيه في الاصلاح الذي اخذوا في ادخاله من حيث الدستور وغيره حتى اذا خالفهم في ذلك عرضوه على اخيه رشاد افندي . وقد قام باستطلاع رأي رشاد في هذا الشان امرأ: مدحت بطريقة سرية

اما الشروط التي عرضوها على البرنس عبد الحميد اذا تولى السلطنة فهي :

(١) ان يعلن الدستور حالاً

(٢) ان لا يستشير في اعمال الدولة الا مشيريه المسؤولين

(٣) ان يعين رضا بك وكمال بك سكرتيرين خصوصيين للسلطان مع سعدالله بك رئيس السكرتيرية (الباشكاتب)

فاجاب مطالبهم بكل رضا ووعد باكثر منها وان يوسع النظام الدستوري الى اكثر مما يطلبون . وقال انه يتخلى عن العرش حالما يشفى اخوه مراد من المرض . فعاد مدحت الى اسطانبول وبلغ الوزراء نتيجة زيارته فاقروا على خلع مراد وتولية عبد الحميد ولم يكن لهم بدٌّ من فتوى الخلع فاستصدروها من خير الله افندي شيخ الاسلام فخلعوا مراداً وولوا السلطان عبد الحميد الحالي في اول سبتمبر سنة ١٨٧٦

واشتغل الاحرار بعد توليته في امر الدستور ونشره وهو يقاومهم ويطاولهم وظهر اول تبدبل في مواعيده بالفرمان الذي وعد به ان يعلن الدستور وقد نشرناه في الهلال الاول من هذه السنة مع بيان الجمل التي حذفها بين اقواس . وقامت الحرب بينه وبين الاحرار من ذلك الحين فتمكن بدهائه من نفي مدحت ثم حاكمه بتهمة قتل عبد العزيز ونفاه الى الطائف واوعز الى والي الحجاز بقتله كما فصلنا ذلك في ترجمة مدحت هذه السنة . واصبح خائفاً منهم فاستخدم الجواسيس وقيد المطبوعات في الدفاع عن حياته . وانشأ الاحرار الجمعيات السرية لمقاومة الاستبداد وبث نور الحرية حتى تمكنوا من التغلب عليه بعد ٣٣ عاماً فاعلن الدستور وارادوا استبقاء السلطان على عرشه فاكرموه وصفحوا عما مضى فاظهر مصادقتهم وظل يعمل سراً على قلب حكومتهم والتنكيل بها حتى وثب بعض مريديه من اهل الاستبداد



السلطان عبد الحميد سنة توليه الملك

بمجلس المبعوثان في ١٣ ابريل الماضي وكادوا يفتكون به لو لم يتداركه الجند بسلانيك فاتى بقيادة شوكت باشا وفتح الاستانة وخلعوا عبد الحميد ونفوه الى سلانيك وولوا اخاه رشاد افندي مكانهُ وسمي محمد الخامس

وسنأتي على اعمال السلطان عبد الحميد واخلاقه في فرصة اخرى

اقوال شوقي وحافظ

في خلع عبد الحميد وتنصيب محمد الخامس

١ — عبرة الدهر

سل « يلدزاً » ذات القصورِ   هل جاءها نبأ البدورِ

لو تستطيع اجابةً   لَبَنتك بالدمع الغزيرِ

اخنى عليها ما انا   خ على الخورنق والسديرِ

ودها « الجزيرة » بعد اسـماعيل والملك الكبيرِ

ذهب الجميع فلا القصو ... ر ترى ولا اهل القصور
فلك يدور سعوده ... ونحوسه بيد المدير
اين الاوانس في ذرا ... ها من ملائكة وحور
المترعات من النعيـ ... م الراويات من السرور
العاثرات من الدلا ... ل الناهضات من الغرور
الآمرات على الولا ... ة الناهيات على « الصدور »
الناعمات الطيبا ... ت العرف أمثال الزهور
الذاهلات عن الزما ... ن بنشوة العيش النضير
المشرفات وما انقلـ ... ن على الممالك والبحور
من كل « بلقيس » على ... كرسيّ عزتها الوثير
امضى نفوذاً من « زبيـ ... دة » في الامارة والامير
بين الرفارف والمشا ... رف والزخارف والحرير
والروض في حجم الدنا ... والبحر في حجم الغدير
والدر مؤتلق السنا ... والمسك فياح العبير
في مسكن فوق السما ... ك وفوق غارات المغير
بين المعاقل والقنا ... والخيل والجم الغفير
سموه « يلدز » والافو ... ل نهاية « النجم » المنير

***

دارت عليهن الدوا ... ئر في المخادع والخدور
أمسين في رق القيو ... ل وبتن في اسر العشير
ما ينتهين من الصلا ... ة ضراعة ومن النذور
يطلبن نصرة ربهـ ... ن وربهن بلا نصير
صبغ السواد حبيرهـ ... ن وكان من يقق الحبور
أنا ان عجزت فان في ... بردي اشعر من « جرير »
خطب « الامام » على النظيـ ... م يعز شرحاً والنثير
عظة الملوك وعبرة الـ ... أيام في الزمن الاخير
شيخ الملوك وان تضعـ ... ضع في الفؤاد وفي الضمير

نستغفر المولى لهُ — والله يعفو عن كثير
وتراه عند مصابه — اولى بياك او عذير
ونصونهُ ونجلهُ — بين الشماتة والنكير
«عبد الحميد» حساب مث — لك في يد الملك الغفور
سدت «الثلاثين» الطوا — ل ولسن بالحكم القصير
تنهى وتأمر ما بدا — لك في الكبير وفي الصغير
لا تستشير وفي الحمى — عدد الكواكب من «مشير»
كم سبحوا لك في الروا — ح والموك لدى البكور
ورأيتهم لك سُجداً — كسجود «موسى» في الحضور
خفضوا الرؤوس ووتروا — بالذل اقواس الظهور
ماذا دهاك من الامو — ر وكنت داهية الامور
ماكنت ان حدثت وجل — ت بالجزوع ولا الحصور
اين الروية والانا — ة وحكمة الشيخ الخبير
ان القضاء اذا رمى — دك القواعد من «ثبير»
دخلوا السرير عليـ — ك يحتكمون في رب السرير
أعظم بهم من آسريـ — ن وبالخليفة من اسير
أسد هصور انشب الا — ظفار في اسد هصور
قالوا اعتزل قلت اعتزلـ — ت الحكم لله القدير
صبروا لدولتك السنيـ — ن وما صبرت سوى شهور
أوذيت من دستورهم — وحننت للحكم العسير
وغضبت «كالمنصور» او — «هارون» في خالي العصور
ضنوا بضائع حقهم — وضننت بالدنيا الغرور
هلاّ احتفظت به احتفا — ظ مرحب فرح قرير
هو حلية الملك الرشيـ — د وعصمة الملك الغرير
وبه يبارك في المما — لك والملوك على الدهور

***

يا ايها الجيش الذي — لا بالدعي ولا الفخور

يخفى فان ربع الحمى | لفت البرية بالظهور
كالليث يسرف في الفعا | ل وليس يسرف في الزئير
الخاطب العلياء بال | ارواح غالية المهور
عبد المهيمن ما جرى | في الحق من دمك الطهور
يتلو الزمان صحيفة | غراء مذهبة السطور
في مدح « انورك » الجري | ء وفي « نيازيك » الجسور
« يا شوكت » الاسلام بل | يا فاتح البلد العسير
وابن الاكارم من بني | « عمر » الكريم على « البشير »
القابضين على الصليـ | ل كجدهم وعلى الصرير
هل كان جدك في ردا | ئك يوم زحفك والكرور
فقنصت صياد الاسو | د وصدت قناص النسور
واخذت « يلدز » عنوةً | وملكت عنقاء الثغور

***

المؤمنون « بمصر » يهـ | ـدون السلام الى الامير
ويبايعونك يا « محمد » | في الضمائر والصدور
قد أملوا لهلالهم | حفظ الاهلة في المسير
فابلغ به اوج الكما | ل بقوة الله النصير
انت الكبير يقلدو | نك سيف « عثمان » الكبير
شيخ الغزاة الفاتحـ | ين حسامه شيخ الذكور
يمضي ويغمد بالمدى | فكأنه سيف « النذير »
بشرى الامام محمد | بخلافة الله القدير
بشرى الخلافة بالاما | م العادل النزه الجدير
الباعث (الدستور) في الا | سلام من حفر القبور
اودى « معاوية » به | وبعثته قبل النشور
فعلى الخلافة منكما | نور تلألأ فوق نور

احمد شوقي

٢ ـ عبد الحميد

لا رعى الله عهدها من جدود　　كيف أمسيت يا ابن عبد المجيد
مشبع الحوت من لحوم البرايا　　ومجيع الجنود تحت البنود
كنت أبكي بالامس منك فالي　　ت أبكي عليك عبد الحميد
فرح المسلمون قبل النصارى　　فيك فرح الدروز قبل اليهود
شمتوا كلهم وليس من الهمة　　ان يشمت الورى في طريد
انت عبد الحميد والتاج معقو　　د وعبد الحميد رهن القيود
خالد أنت رغم انف الليالي　　في كبار الرجال أهل الخلود
لك في الدهر والكمال معال　　صفحات ما بين بيض وسود
حاولوا طمس ما صنعت وودوا　　لو يطيقون طمس خط الحديد
ذاك عبد الحميد ذخرك عند الله　　باق ان ضاع عند العبيد
اكرموه وراقبوا الله في الشيخ　　ولا ترهقوه بالتهديد
لا تخافوا اذاه فالشيخ هاو　　ليس فيه بقية للصعود
ولي الامر ثلث قرن ينادي　　باسمه كل مسلم في الوجود
كلما قامت الصلاة دعا الدا　　عي لعبد الحميد بالتأييد
فاسم هذا الامير كان مقرو　　نا بذكر الرسول والتوحيد
بت اخشى عليكمو ان يقولوا　　ان اثرتم من كامنات الحقود
كان عبد الحميد بالامس فردًا　　فغدا اليوم الف عبد الحميد
يا اسيرًا في سنت هيلين رحّب　　باسير في سالنيك جديد
قل له كيف زال ملكك لم يعصمك　　اعداد عدة أو عديد
لم تصنك الجنود تفديك بالار　　واح والمال يا غرام الجنود
قل له كيف كنت كيف ملكت الا　　أرض كيف انفردت بالتمجيد
فثللت العروش عرشاً فعرشاً　　وصبغت الصعيد بعد الصعيد
كلما نلت غاية لم تنلها　　همة الدهر قلت هل من مزيد
ضاقت الارض عن مداك فارسلت　　بطرف الى السماء عنيد
قل له جل من له الملك لاملك　　لغير المهيمن المعبود

انت مهما شقيت ارفه حالاً من اسير الجزيرة المكمود
واسير الاقفاص قد كان اشقى لو سالت الاسفار عن با يزيد
كان عبد الحميد في العزو اشقى منه في الاسر والبلاء الشديد
كان لا يعرف القرار بليل لا ولا يستلذ طعم الهجود
حذرٌ يرهب الظلام ويخشى خطرة الريح أو بكاء الوليد
نفق تحت طابق الارض اخفى في تدجيه من ضمير الكنود
يعجز الوهم عن تلمس ذاك الـ باب باب الخليفة المنكود
اصحيح ما قيل عنك وحق ما سمعنا عن الرواة الشهود
ان عبد الحميد قد هدم الشرع واربى على فعال الوليد
ان بريئاً وان اثيما ستجزى يوم تجزى امام رب شهيد
اصحيح بكيت لما اتى الوفد ونابتك رعشة الرعديد
ونسيت الاباء والمجـد والسؤ دد والعز يا كريم الجدود
ما عهدنا الملوك تبكي ولكن علها نزوة الفؤاد الجليد
علها دمعة الوداع لذاك الملك او ذكرة لتلك العهود
غسل الدمع عنك حوبة ماضيك ووقاك شر يوم الوعيد
شفع الدمع فيك عند البرايا ليس ذاك الشفيع بالمردود
دمعك اليوم مثل امرك بالامس مطاع في سيد ومسود
كان عبد العزيز اجمل امراً منك في يوم خلعه المشهود
خاف ماثور قوله فتعالى عن صغار ومات موت الاسود
ضم مقراضه اليه ونادى دون ذل الحياة قطع الوريد
حي عهد الرشاد يا شرق وابلغ ما تمنيت من زمان بعيد
قد تولى محمد الخامس المـلـك فأعظم بتاجه المعقود
وتحلى في مهرجان تجلى سيف عثمان فيه بالتقليد
وقف الدهر خاشعاً اذ رأى السيـ ـف في قبضة العزيز المجيد
طأطئي للجلال يا امم الار ض سجوداً هذا مقام السجود
علم الله ان عهد رشاد خير فأل برد عهد الرشيد

حافظ ابراهيم

سقوط العظماء بالخلع او الفشل

ومصيرهم بعد سقوطهم

اذا تعود احدنا ان يقيم في بيت أجرته الف غرش وان يلبس ثوباً بخمسمئة غرش ثم أصيب بعسر مالي عجز معه عن هذه النفقة فاضطر الى الاقتناع بنصفها — وما هي الا ان يقيم في منزل اجرته خمسمئة غرش ويلبس ثوباً بثلاثمئة غرش كما يفعل كثيرون من اصدقائه في مثل هذه الحال وقد يرى آخرين اشد منه ضيقاً حتى عجزوا عن القوت الضروري — ومع ذلك فهو يعد نفسه تعساً شقياً وقد يتوارى عن معارفه خجلاً . فكيف بملك او سلطان او قائد تأتمر بامره الالوف والملايين يهابه الصديق ويخافه العدو وتحوم حوله القلوب وتشخص الابصار اليه لان الموت والحياة بين شفتيه . اذا ركب مشى الناس في ركابه او نزل وقفوا ببابه وقد بنى القصور له ولابنائه وسائر اهله وحاشيته واعوانه حتى لافراسه وفهوده وكلابه — فالرجل الذي تبلغ منزلته الى هذا الحد ثم ينكبه الزمان بالخلع اذا كان ملكاً او بالفشل اذا كان قائداً حتى يحبس في قفص او يقيد بالسلاسل او يزج في السجن وقد فارقه الاهل والاعوان وتخلى عنه الاصدقاء والخلان — فكيف يكون شعوره وما الذي يخطر له اذا نفدت حيلته وذهب امله ؟

تلك مسألة تخطر للاكثرين ويحملهم الاعتبار بذلك السقوط الى استطلاع ما يدور في خلد اولئك الساقطين وكيف يكون احساسهم وكيف يكون نظرهم في الدنيا ومصيرها وهل تلذ لهم الحياة فيها ؟ والغالب في اعتقادنا ان شأن كل واحد يختلف عن شؤون الآخرين باختلاف مزاجه عن امزجتهم وطبعه عن طباعهم . فاذا كان كبير النفس عظيم الخلق فضل الموت على الفشل في الحرب او الخلع عن الملك . ولذلك رايت كبار القواد اذا حمي وطيس الوغى وخافوا الفشل ثبتوا في ساحة الحرب حتى يفوزوا او يموتوا . لان النفس التي تبلغ مرتبة القيادة عن عظمة واستحقاق تكون قد خلقت للفخر والحماسة لا للطعام والشراب واللباس من حاجيات الحيوان . فاذا يئست من مطمعها لم تعد تجد للحياة معنى ولا للبقاء لذة . فالقائد الكبير النفس اذا خاف فشل جنده وتحقق انه اذا فرّ نجا بنفسه فهو لا يفر ولا يزال يحارب حتى يموت او يفوز والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ

واعتبر ذلك ايضاً في الملوك اذا ارغموا على التنازل عن الملك او الفرار من وجه العدو فاذا كانوا قد نالوا الملك عن اهلية فيهم بالفتح او الدهاء وكانت نفوسهم كبيرة شق عليهم

التنازل وابوا الا البقاء حتى يقتلوا وقد ينتحرون فرارًا من الذل . واذا كانوا قد تولوا العرش لمجرد حق الارث ولم تكن فيهم الكفاءة اللازمة للسيادة وانما حكموا بناموس الاستمرار فهؤلاء قد يهانون او يساقون الى السجون وهم يخافون على حياتهم فيموتون اذلاء ضعفاء . انظر الى قمبيز (سنة ٥٢٢ ق م) بن قورش الفارسي العظيم فقد كان فاتحاً كبيرًا ولكنه نكب بضياع ٥٠٠٠٠ من المقاتلة في صحراء ليبيا بريح السموم ثم بلغه ان بعضهم في بلاده قام يطلب الملك لنفسه والتف حوله رجال اشداء وكاد يغلبه على امره فلما يئس من الفوز انتحر



هنيبال

وهنيبال (١٣٨ ق م) القائد القرطاجي الشهير حارب الرومانيين وكاد يظفر بعاصمتهم ثم دارت عليه الدوائر في وقائع مختلفة حتى فشل واضطر للفرار ليستعين ببعض اعداء الرومان عليهم فلما يئس من الفوز كره الحياة فانتحر . وقس على ذلك ما فعله بروتس وكايوس وانطونيوس وغيرهم من رجال الدولة الرومانية وكليوبطرا آخرة البطالسة ومتروديت صاحب بنطس وغيرهم

وخلع الملوك حكمه حكم الفشل في الحرب من حيث ثقله على النفوس الكبيرة لكنه لا يحدث غالباً الا في اثناء ضعف الدولة على عهد الملوك الضعفاء لان الامة او رجال الدولة او الجند لا يخلعون ملكاً حكيماً او قوياً وانما يخلعون الظالم او الضعيف فهذا يندر ان

تغلب عليه العزة فيقتل نفسه فرارًا من الذل او العار

خلع الخلفاء في الاسلام

اما في الاسلام فالتنازل عن الخلافة او خلع الخليفة رغم انفه اصعب مراساً مما في الدول الاخرى لان الخليفة يعدّ سلطته دينية من عند الله فيتمسك بها ويحافظ عليها والعامة تنصره بدافع الدين. ولذلك قلما رايت خليفة تنازل عن الخلافة من تلقاء نفسه واكثر المخلوعين خلعوا قهرًا بالسيف ولم ينتحر احد منهم اما عن ضعف او كرهاً للانتحار ديناً خوف العقاب

واشهر من تنازل عن الخلافة من تلقاء نفسه حسن بن علي تنازل لمعاوية تجنباً للدماء لاعتقاده عجزه عن حربه . ومنهم معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية فافضت الخلافة اليه بعد ابيه فتولاها حيناً ثم جمع الناس وقال لهم « قد ضعفت عن امركم ولم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لاستخلفه ولا مثل اهل الشورى فانتم اولى بامركم فاختاروا من احببتم » . وممن خلع نفسه من الخلفاء المستعين بالله العباسي سنة ٢٥٢ هـ ويذكرون ان عليًا لما اراد الصحابة مبايعته امتنع في بادىء الرأي فالحوا عليه حتى قبل - وامثلة ذلك قليلة

اما الغالب في الخلفاء ان يخلعوا رغم انوفهم فمن لم يخلع نفسه قتلوه و يندر ان يستبقوا الذي يخلعونه خوف الفتنة لان العامة قد تنحاز اليه . واول من طلبوا خلعه في الاسلام عثمان ابن عفان ثالث الخلفاء الراشدين فاجتمع المسلمون من الاطراف الى المدينة وطلبوا اليه ان يخلع نفسه وهو يعلم ضعفه عن مقاومتهم فأبى وقال « لا اخلع قميصاً البسنيه الله ولكني اتوب وانزع » فلم يقبلوا منه واخيرًا قتلوه فكان اول خليفة قتلته الامة لضعفه عن الاحكام

وتكاثر خلع الخلفاء في الدول الاسلامية بعد ان استبحر عمرانها وتكاثرت جنودها واصبح الحل والعقد الى الجند بعد ذهاب دهشة الخلافة . واحصى بعض المؤرخين حوادث الخلع فوجد كل سادس من الخلفاء او من يقوم بالامر يخلع . فعندهم ان حسناً سادس ولاة الامر من الراشدين باعتبار ان النبي نفسه منهم . وان الامين بن الرشيد خلع وهو سادس الخلفاء العباسيين . وفي تأييد اقوالهم تكلف وتوسع لاحاجة بنا اليه فنذكر من حوادث الخلع اشهر ماذكره التاريخ

خلع الخلفاء في الدولة العباسية

وكان الجند يخلع الخلفاء غالبًا او يقتلهم واشهر من فعل ذلك الجند التركي في الدولة العباسية وجند الانكشارية في الدولة العثمانية . واول خليفة خلعه الجند التركي وقتله المتوكل على الله العباسي سنة ٢٤٧ هـ وكان شديدًا على الشيعة واهل الذمة وصادر كثيرين من كبار الرجال

فذهب الجند التركي بالسيوف الى داره في خلوته بالفاق مع ابنه المنتصر وقتلوه

ثم خلعوا المعتز سنة ٢٥٥ هـ وقتلوه شر قتلة وقد اجمع الجند كله من الاتراك والمغاربة والفراغنة على خلعه · لم يفعلوا ذلك لرغبة في مصلحة الدولة وانما كانوا ينظرون الى مصلحتهم يبدلون خليفة يطيعهم بخليفة يعصاهم فاجتمع الجند وذهبوا الى قصره وطلبوا اليه الخروج فاعتذر بالمرض وقال « اذا كان لابد من الاجتماع فليدخل بعضكم » فدخل اليه جماعة منهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه واقاموه في الشمس فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر · وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده وادخلوه حجرة واشهدوا على خلعه ثم سلموه الى من يعذبه ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة ايام ثم ادخلوه سرداباً وجصصوه عليه حتى مات

وخلعوا المهتدي مع انه من احسن الخلفاء حباً للاصلاح ولما علم بعزمهم على خلعه هرب الى بعض الدور فادركوه وامسكوه وداسوا خصيتيه وصفعوه فمات · وخلعوا المقتدر بالله غير مرة وأخيراً طاردوه وحاربوه حتى قتلوه سنة ٣٢٠ هـ ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه وأخذوا ما عليه حتى سراويله

ثم خلعوا القاهر بالله بسبب ما اظهره من الغدر ببعض رجالهم ونكثه ليمين كان اقسمها بالامان لهم · فقبضوا عليه وسملوا عينيه وحبسوه حتى مات سنة ٣٢٢هـ وبعد ذلك باحدى عشرة سنة خلعوا المتقي لله سنة ٣٣٣هـ وقبضوا عليه وسملوا عينيه وعذبوه بالسجن حتى مات · وفي السنة التالية خلعوا المستكفي بجذبوه عن سريره وقد شدوا عمامته الى عنقه وساقوه ماشياً الى دار معز الدولة فاعتقل بها · ولما بويع المطيع سلموا اليه المستكفي فسمله واعماه وبقي محبوساً الى ان مات

وقس على ذلك سائر الدول الاسلامية فالفاطميون اول من خلع منهم او قتل الحاكم بامر الله سنة ٤١١هـ فقد قتله ركابيان بايعاز اخته او غيرها وهو سادس الخلفاء الفاطميين ويليه السادس بعده واسمه الظافر قتله وزيره عباس الصنهاجي سنة ٥٤٩ هـ لسبب تهمة سافلة · وآخرهم الخليفة العاضد لدين الله الفاطمي (توفي سنة ٥٦٧ هـ) فان وزيره صلاح الدين الايوبي حجر عليه واهانه وبايع للخليفة العباسي فعظم ذلك على العاضد فمات قهراً وانتقلت دولة مصر الى صلاح الدين تحت رعاية الدولة العباسية

خلع السلاطين في الدولة العثمانية

واعتبر ذلك في الدولة العثمانية لما استفحل أمر الانكشارية فقد فعلوا كفعل الجند التركي في الدولة العباسية وهم لا يستطيعون ذلك الا مع الضعفاء من الخلفاء · واول من

خلعوه لضعفه السلطان مصطفى الاول سنة ١٠٢٧ هـ وولوا مكانه عثمان الثاني ثم خلعوا هذا واعادوا ذاك ثم خلعوا مصطفى ثانية سنة ١٠٣٢ وخلعوا بعده السلطان ابراهيم الاول سنة ١٠٥٨ وولوا مكانه ابنه محمد الرابع وهو في السابعة من عمره فنظر السباه (الفرسان) في ما جرى فخافوا من عاقبة ذلك ورأوا سلطانهم الجديد طفلاً فأحبوا الرجوع الى ابيه وطلبوا ذلك فخشي رؤساء العصابة الذين قاموا بخلعه من تغلب الفرسان وارجاعه رغم انفهم فعزموا على قتله والتخلص منه — وبقتله تذهب الفتنة — فساروا الى قصره ومعهم الجلاد وقتلوه خنقاً كما قتلوا السلطان عثمان الثاني قبله

وخلعوا بعده السلطان مصطفى الثاني سنة ١١١٥ هـ لكنهم لم يقتلوه فبقي مخلوعاً حتى توفي . ثم خلعوا السلطان احمد الثالث وبقي معزولاً حتى مات سنة ١١٤٩ هـ وخلعوا بعده السلطان سليم الثالث واضع الحجر الأول من الاصلاح في الدولة العثمانية وقد ذهب ضحية الرغبة في مصلحتها . وكان قد رأى الدولة لا تقوى على مناوأة الدول الاوربية الا اذا اصلحت جندها ونظمته على النظام الجديد فلما اراد اخراج فكره الى حيز العمل اشاعوا انه يريد الحط من قدر الاسلام بتقليد النصارى بازيائهم وعلومهم فشق الانكشارية عصا الطاعة واخذوا يعيثون فتكاً وقتلاً فاضطر السلطان سليم الى الرجوع عن عزمه في التنظيم . فلم يكفهم ذلك بل اجبروه على التنازل بفتوى من المفتي يومئذ ونحواها « ان كل سلطان يدخل نظامات الافرنج وعاداتهم ويجبر الرعية على اتباعها لا يكون صالحاً للملك » فخلع السلطان سليم سنة ١٢٢٢ وولوا بعده السلطان مصطفى الرابع . فلم يحكم الا ١٣ شهراً ثم خلعوه وولوا السلطان محمود الثاني المصلح الشهير ولم يخلع . وخلفه ابنه عبد المجيد فسار على خطة ابيه بالاصلاح ومات حتف انفه . وخلفه عبد العزيز فاسرف وضعف وكانت الامة قد استنارت بالعلم والحرية فخلعته سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) لسبب هو عكس السبب الذي خلع لاجله سليم الثالث وولوا مكانه مراداً ثم خلع لسبب صحي وخلفه عبد الحميد في تلك السنة فحكم ٣٣ سنة حتى خلع بالامس لمقاومته الدستور واهله وحبسوه في سالونيك

ومثل ذلك خلع الملوك في سائر الدول الاسلامية وغير الاسلامية مما يطول شرحه فنكتفي بالاشارة الى المخلوعين من ملوك انكلترا وهم ريكاردوس الثاني خلع سنة ١٣٩٩ م وهنري السادس خلع سنة ١٤٦١ م وادوارد الخامس خلع سنة ١٤٨٣ وكارلوس الاول قتل سنة ١٦٤٩ وجيمس الثاني خلع سنة ١٦٨٨ وقس على ذلك سائر الدول

هل في الوجود عالم آخر

سيدي صاحب الهلال

اني ارتاح دائماً الى قراءة هلالك وانتظره بشوق لطلاوة مباحثه . وقد قرأت في عدده الاخير مقالاً لك في « هل في الوجود عالم آخر » استرسلت فيه من مقدمة الى أخرى الى وضع هذه الاولية وهي : « ان نظام هذا الكون يدل على حكمة فائقة في وضعه ونرى هذه الحكمة في كل عمل من الاعمال المادية » ثم نظرت الى الاعمال الادبية فقلت « اما الاعمال الادبية فقلما نرى حكمة فيها » . واستنتجت من ذلك ان الحكيم الذي وضع هذا النظام الكامل في العالم المادي لا يعقل ان يدع هذا النظام غير كامل في العالم الادبي فلا بد ان يكون قد جعل لهذا الكون « تتمة تسد هذا النقص » ولما لم تظهر لك هذه التتمة في هذا العالم البادي قلت « ولا يمكن ان يكون ذلك الا في عالم آخر نظامه متمم لهذا . وبما ان ذلك النقص متعلق رأساً بالانسان فلا يسد ذلك الخلل الا اذا وجد الانسان في ذلك العالم وهو لا يكون هناك الا مبعوثاً » . اه

وليس غرضي هنا النظر في النتيجة التي اتصلت اليها كما بدا لك مع ما هو معلوم من ارتباط الاعمال الادبية بالاعمال المادية نفسها وارتباط نظام الكل بالكل مما يجعل مثل هذا القول ضعيفاً . بل توجيه النظر الى ان ما اثبته من الحكمة الفائقة لنظام العالم المادي ليس باقل وهناً مما نفيته عن العالم الادبي لاسيما وانك نظرت الى الانسان في هذا الكل كانه عالم مستقل

قرأت ذلك في ليلة اشتد حرها وكثر بعوضها حتى لم يعد يقي منه واق فحرمت المنام للسع كانه وخز الحراب او لذع النار والفكر لا يهجع فاخذت انتقل من موضوع الى آخر حتى وقفت على سؤالك : « فهل في الحوادث الطبيعية ما ينافي هذا القول » اي الحكمة الفائقة في نظام الاعمال المادية . فنظرت واذا بالمنافي كثير وعجبت كيف انه خفي عليك لا سيما وانك نظرت الى الانسان من خلال ذلك نظراً خاصاً وهو في نظامه المادي ليس اكثر استقلالاً من سائر الكائنات ولا اكمل منه في نظامه الادبي فخطرت على بالي الابيات الآتية ابث بها شكوى واصدع بها الى بيان حقيقة وهي :

يا برغشاً أرّقني من فرط ما حرّقني
هل انت مخلوق الذي بحكمة خلقني

وأين مِنْ فلسفتي   كلُّ حكيمٍ لقِنِ
هل مِن بحقٍ مطلقٍ   أردى ولما يفني
من زائدٍ او ناقصٍ   او جالبٍ للمحن
فكل مخلوقٍ به   زوائدٌ كالدَّرَنِ
زوائدٌ خاليةٌ   من كل معنى بيّنِ
منقصةٌ للخلق لولا   انها في الزمن
كان لها معنى دليل   نفعها للبدن
فضمرت اذ أُهملت   لسنة في الثنن
وسوف لا تبقى به   كأنها لم تكن
هي حكمة في الشيء لا   في خلقها ان نفطن
تربطها بما مضى   مثل بقايا الدمن
والشيء مضطرٌّ بها   والخلق فوق السنن
نتيجةٌ لا غايةٌ   من دونها الخلق بني
وغاية الحكمة خلقٌ   كاملٌ لم يبن

مصر   الدكتور شميل

الهلال اقتصر صديقنا الدكتور شميل في اعتراضه على جزء من موضوع تلك المقالة فنحصر ردّنا في ذلك الجزء وهو اساس بحثنا هناك · انكر الحكمة في نظام العالم المادي بحجة وجود زوائد فيه خالية من المعنى لا يفهم لها غرض كالبرغش الذي ارقه وكالاعضاء الاثرية في الحيوانات التي لم يكن لها معنى لولا انها كانت قبلاً ذات نفع وضمرت بالاهمال · فعنده ان وجود الزوائد التي لا يفهم لها غرض ينافي الحكمة في الخلق

ونزيد القارئ ايضاحاً ان صديقنا يريد بالزوائد المشار اليها انواعاً من الاحياء الدنيئة كالديدان والهوام الحاصية لا يظهر لها نفع في الوجود ومثلها الاعضاء الاثرية في الانسان وغيره من انواع الحيوان مما لا وظيفة له وقد يكون بعضها مضراً لا بل الابدان الا باستئصاله كالزائدة الدودية في الامعاء وبعض الغدد وغيرها · ويقول اصحاب مذهب النشوء والارتقاء ان هذه الزوائد بقايا اعضاء كان لها نفع في الادهار الخالية ثم استغني عنها بالانتخاب الطبيعي فأخذت في الضمور لقلة الاستعمال حتى صارت اثرية

فيرى حكيمنا الدكتور شميل ان وجود هذه الزوائد بلا فائدة يخالف الحكمة في الخلق

على اننا اذا تدبرنا هذه الزوائد رأيناها تنحصر في عالم الحياة وهو جزء صغير من المخلوقات ونجد الخلق بجملته تام النظام مترابط الاطراف . من حركات الاجرام التي يتألف بها نظام الافلاك الى تجاذب الدقائق الذي تكون به بلورات الاملاح . ومن تحول السدم الى شموس واقمار الى اتحاد العناصر لتكوين الاجسام . الا تجد حكمة في حركات الكواكب ونظامها الدقيق وفي دورة الارض وما يترتب عليها من الفصول ؟ . وفي حركات الرياح وتساقط الامطار وتسلسل اسبابها منذ كانت بحارًا حتى صارت بخارًا فتكاثفت غيماً فتساقطت مطرًا ثم سالت انهارًا تصب في البحار ؟

ألا تجد حكمة في تحليل المواد وتركيبها على نسب محدودة واحوال معينة والعناصر لا تزيد على ثمانين عنصرًا فيتكوَّن منها مئات الالوف من المواد الآلية وغير الآلية بنواميس مضبوطة ثابتة . الا تجد حكمة في توالد الاحياء من النبات او الحيوان وفي اغتذائها ونموها وانحطاطها وموتها وانحلالها وفي سير ذلك على قواعد ثابتة من التحليل والتركيب ؟ كم من الحكمة في نمو النبات بتحويل المواد الترابية الى مواد حية وفي نمو الحيوان بتحويل المواد النباتية الى حيوانية ثم ترجع تلك المواد بعد الموت الى التراب . انظر في التناسل على اختلاف ضروبه في النبات والحيوان من الانقسام الى التبرعم فالتلقيح فالبيض فالحضانة فالولادة

انظر الى وظائف الاعضاء في الاحياء من الحويصلات النباتية الى ارقى ذوات الازهار والاثمار . ومن الديدان المكروسكوبية المؤلفة من غشاء بسيط يقوم فيها مقام سائر الاعضاء الى ذوات الفقرات التي تتألف من اجهزة عظمية وعضلية ودموية وعصبية وتنفسية وتناسلية وفي تناسب هذه الاجهزة واشتغالها معاً بدقة وملاءمة فضلاً عن تناسب اجزاء كل منها على حدة . ولا اظنك تخالفني بما في ذلك من دقة الصنعة والحكمة لان كلاًّ منها لا يتحرك او ينتقل او يتحول الا لغرض يراد به بقاء النوع او حفظ الفرد

واعتبر ذلك في سائر النواميس الطبيعية المادية وقس عليها النواميس التي سميناها «ادبية» تجد للاجتماع البشري نواميس في حياته ونموه وضعفه وانحلاله . وتجد للعواطف نواميس فان للحب قواعد يسير عليها سواء كان في حقيقته نوعاً من الجاذبية او قوة قائمة بنفسها او بالاعمال الحيوية . واذا تدبرت سائر العواطف وجدتها لا تخلو من نواميس تجري عليها ولكننا نجهل اكثرها . ولا بد من نواميس لاحكام العقل التي يميز بها بين العدل والظلم . وقد اشرنا اليها في مقالتنا السابقة وقلنا ان ما يظهر من عدم الحكمة في الماجريات الادبية في هذا العالم يدلُّ على ان تتمتها في عالم آخر

لا اطيل في ايراد الامثلة فانك اعلم بها من سواك . ولكنك انكرت الحكمة فيها لان بعضها لا فائدة منها — اذ ليس من الحكمة ان يخلق شيء عبثاً . ولكن هل يجوز لنا ان نحكم على الطبيعة هذا الحكم وما نعرفه عنها لا يعد شيئاً مذكوراً بالنظر الى ما نجهله . واني اجل علمك وفضلك عن ان تزعم معرفة كل شيء او اكثر الاشياء . فمن كلفن نصف قرن في تدريس الطبيعيات ولما خطب يوم اليوبيل قال « قضيت هذا العمر في تعليم الطبيعيات وما انا اليوم باعلم مني بالحقائق من يوم ابتدأت بالتعليم » وهذا شأننا في كل علم — فهل يجوز لنا مع هذا الجهل ان نحكم هذا الحكم ؟ اذا سئلت رأيك في رجل هل يكون حكمك فيه مقبولاً اذا كنت لا تعرفه معرفة جيدة ؟ ومهما يكن جهلنا مناقب الرجال فهو اقل كثيراً من جهلنا حقيقة هذا الكون

كم من الحقائق التي كان اسلافنا يتفلسفون في تعليلها مع قلة معارفهم . وقد دلتنا الاكتشافات الحديثة انهم كانوا في ضلال . لا يخفى عليك تعليل ابقراط وابن سينا للحميات وغيرها من الامراض ونسبة ذلك الى الاخلاط والرطوبة واليبوسة وغيرها وكيف ظهر لاهل هذا العصر ان اسبابها الميكروبات وقد اخذوا في اصطناع المصل لمعالجتها . ألم يكن اسلافنا المشار اليهم يظنون انفسهم بلغوا الكمال في العلم بالقياس على اسلافهم كما نظن انفسنا بالقياس على اسلافنا ؟

فنحن لذلك نجهل فائدة كثير من ظواهر الحياة ولكن جهلنا تلك الفائدة لا يمنع وجودها . كم تحدث الاطباء ببعض الغدد المنتشرة في جسم الانسان التي لا يعرفون لها فائدة ثم اخذوا يكتشفون فوائدها ولا يزالون يشتغلون في ذلك . وقد عرفوا فوائد كثيرة للديدان والهوام وكانوا يظنونها بلا فائدة وسوف يكتشفون فائدة البرغش — ليس بالنظر الى الانسان بل بالنظر الى الوجود على الاجمال اذ لا ينبغي لنا ان نفرد الانسان عنها كما قلت

اسلم معك بعدم فائدة الاعضاء الاثرية الآن ولكنني لا اعتقد ان وجودها يخالف الحكمة بل ارى الحكمة كل الحكمة في الانتخاب الطبيعي القاضي بتكيف الاعضاء لملاءمة البيئة المحدقة بها فيبقى المناسب وينمو بالاستعمال ويدثر غير المناسب بالاهمال ويكون دثوره بالتدريج . ولولا هذا الناموس لكانت الحكمة في الخلق ناقصة

على ان مجرد تصورنا « الحكمة والنظام » يقتضي وجودها . لان الانسان جزء من الوجود لا ينفصل عنه والا فمن اين تأتى لنا ان ننتقد او نميز بين الاعمال فنقول هذا

العمل فيه حكمة او ليس فيه حكمة وهذا الحكم عادل وذاك ظالم . انك من اشد الناس طعناً على القوانين واكثرهم نقمة على نظام الاجتماع انتصاراً للمظلوم على الظالم فعلى اي شيء بنيت احكامك اليس على صورة للعدل والنظام في ذهنك قست بها تلك الظواهر فوجدتها تخالفها فحكمت عليها بالعدل او الظلم تبعاً لذلك القياس — هذا هو شأننا في كل احكامنا

ان هذه الاحكام سواء صدرت من « جوهر مستقل » يسمونه العقل او النفس كما يقول الروحيون او من تفاعل العناصر المادية بالتحليل والتركيب كما يقول الماديون او من اي مصدر آخر . فانها موجودة في الانسان . والانسان بعض الكون فتكون هذه القوى العاقلة موجودة في الكون « بالقوة » اي انها مستقرة في مادته مختفية لتظهر عند سنوح الفرصة او متى تهيأت لها الاسباب . كما تظهر من بزرة البرتقان شجرة باوراقها واغصانها واثمارها

ان بزرة البرتقان مهما دققت في فحصها بالميكروسكوب و بالتحليل الكيماوي او غيره لا تجد فيها غير حويصلات نباتية فيها مواد نشوية وزلالية و زيتية فاذا غرستها نمت وتولدت منها شجرة ذات اغصان واوراق واثمار . فاين كانت هذه الشجرة ؟ انما كانت في البزرة « بالقوة » فلما غرست في التراب ظهرت فيها بالفعل . ومهما دققت النظر في بيضة الدجاج لا تجد فيها غير الزلال والمح وكلاهما مؤلف من حويصلات حيوانية . و بالتفريخ تنقف البيضة عن ديك او دجاجة فيها عظم وريش ودم ولحم . فمن اين اتى ذلك ؟ انه كان في البيضة « بالقوة » ثم ظهر بالفعل . وقس على ذلك سائر الاحياء المتولدة عن بزور او بيوض . فالبيضة التي يتولد منها الانسان تحتوي على قواه البدنية والعقلية والادبية « بالقوة » بدليل ظهورها فيه عند البلوغ

والبيضة المشار اليها لم تأت من غير هذا العالم فقد استمدت تلك القوة منه وفي جملتها « الاحكام العقلية » فالاحكام المذكورة طبيعية في الوجود وسواء اعتبرنا هذا الوجود ازلياً او محدثاً او كان مادة أو قوة وسواء اخلق الانسان خلقاً مستقلاً أو ارتقى عن حيوان آخر — فان تلك القوى موجودة « بالقوة » في مادة الحياة الاصلية « البروتوبلاسم » على شكل لا نعرفه

واجلك عن ان تنسب شيئاً من ذلك الى الصدفة فانها اسم لغير مسمى وانت تعلم ان كل شيء يجري في الطبيعة على نواميس ثابتة مترابطة متكافئة نعرف بعضها ونجهل معظمها لكننا نرى نتائجها فنقيس ما نجهله على ما نعلمه . وشأننا في ذلك شأن رجل في بستان محاط بسور عال يحول بينه و بين ما وراءه وقد اخذ يتساءل عما هنالك فاذا رأى شرراً يتصاعد تصور هناك ناراً أو سمع طلق بندقية تصور قتالاً . واذا سمع انيناً تصور انساناً حزيناً يقيس

ذلك على ما يعرفه من حوادث يومه . وقد يكون مخطئاً ولكنه لا يلام على خطأه لانه استخدم ما بلغ اليه امكانه . والانسان اذا فكر في الخالق ومصيره تصور نفسه محاطاً بمثل هذا السور لان حواسه محدودة لا يرى ولا يسمع ولا يشم ولا يذوق ولا يلمس الا الى درجة محدودة وقواه العاقلة محدودة . فهو محاط بسور من العجز ومع ذلك فانه يشتاق الى معرفة ماوراء ذلك السور فيقيس ما هناك على ما يعرفه هنا

ثم هو اذا خلا بنفسه وتجرد عن كل دافع وجاذب ونظر في هذا الخالق فانه لا يقدر ان يتصور وجوده عبثاً بلا غاية وهذا شعور بديهي لا برهان عليه — ولذلك لا اكلف الدكتور ان يعتقده — وخصوصاً « الوجدان » واذا فرضنا كل القوى العقلية نتيجة تفاعل المادة والقوة فالوجدان اسمى من ذلك — فلعله الرابط بين الانسان والعالم الآخر

وفي كل حال نحن لا ندعي اثبات وجود العالم الآخر بالبرهان العلمي اثباتاً صريحاً وانما قلنا ماقلناه بطريق القياس . وغاية ما نعلمه اننا أعجز من ان نأتي بالبرهان على حقيقته نفياً او اثباتاً . ولكن الاثبات اصعب من النفي لان هذا لا يتكلف صاحبه الى غير الانكار كقوله « لم اقتنع بهذا البرهان او لا اراه سديداً » واذا تعنت المنكر عجزت عن اقناعه حتى بصحة القضايا البديهية واجل صديقي الدكتور شميل عن ذلك . ولكنه مبالغ في التعويل على المحسوسات دون سواها . ولو اعتبر عجزنا عن ادراك حقيقة هذه المحسوسات لعلم اننا نجهل اكثر الحقائق واكثرها لا يقع تحت الحس وانما نتصل اليه بالقياس والاستنتاج

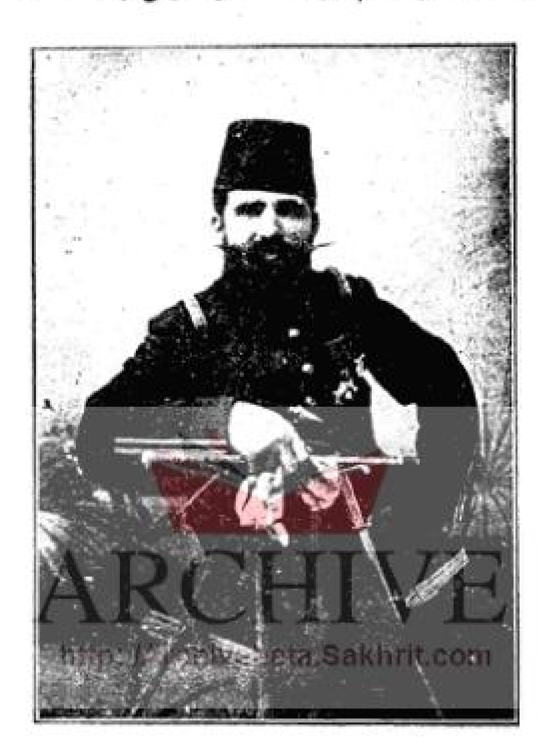
خواطر نيازي

يحتوي هذا الكتاب على خلاصة مساعي جمعية الاتحاد والترقي في سبيل الدستور كتبه في التركية القول اغاسي احمد نيازي بك الرسنه لي بطل الدستور ضمنه ما بذله بنفسه او لاقاه في اثناء جهاده ضد الاستبداد منذ اخذ في العمل حتى أعلن الدستور . وقد نقله الى العربية ولي الدين بك يكن الكاتب الشاعر المشهور . فاحببنا تلخيصه تتمة لما كتبناه من تاريخ الانقلاب العثماني في الهلال الاول من هذه السنة فنقول :

ولد احمد نيازي في رسنه من اعمال مناستير في مكدونية سنة ١٢٩٠ هـ وتلقى العلم في مكتب مناستير الاعدادي الملكي ثم في مكتبها العسكري . ويظهر من خلال سطور هذا

الكتاب ان كاتبه من اهل الحماس والاريحية والتصور الشعري بدأ يفكر في المملكة العثمانية وما يعتورها من الظلم والانحطاط قبل خروجه من المدرسة وشعر بما يدعو الى انقاذها . وكان يتأثر بما يقرأه من اشعار كمال بك الشاعر التركي ولا سيما هذا البيت (منظوماً بالعربية)

لا تحسبنَّ احتقار الشعب يورثه هوناً فليس يهان الدرُّ ان سقطا



احمد نيازي بك

وفي سنة ١٣١٠ هـ دخل المكتب السلطاني بالاستانة وذكر ثلاثة من اساتذته هناك كانوا يبثون في تلاميذهم روح الحرية لكن المابين عرف بذلك فنفاهم فازداد التلامذة تمسكاً بآرائهم . خرج من المدرسة ضابطاً صغيراً وهو يرى الخلل في الدولة والتنافر بين رعاياها ولا علاج لها غير الاتحاد بين عناصرها المختلفة . فلما تألفت جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٣١٣ هـ علقت الآمال بها . لكن رجوع مراد بك الداغستاني زعزع اركانها حتى عادت فاستأنفت السعي والحكومة القديمة تعمل على عرقلة مساعيها ويأبى الله الا ان تفوز

مقدمات اعماله

فلما جردت الدولة على اليونان كان نيازي في جملة الضباط فابلى بلاء حسناً في يوم إيش بيكار فرفعت رتبته الى ملازم اول وعهد اليه ان يسوق الاسرى الذين وقعوا في حوزته الى الاستانة فساقهم وشاهد في سفرته هذه خللاً زاده نقمة على حكومة الاستبداد لانه رأى كبار القواد ورجال الدولة انما دأبهم استنزاف المال ومنح الرتب والاعطيات الى اتباعهم واخصائهم ومما شاهده بعينه ان ابن المشير كاظم باشا رُفعت رتبته درجتين واعطي مئة ليرة جائزة وادخل في الياوران وعمره ١٣ سنة ولم يعمل عملاً يذكر . واما نيازي فمع بلائه وفوزه لم يرقَّ الاَّ درجة واعطي عشر ليرات فتجسم له الخلل وتحقق حاجة هذه الدولة الى الانقلاب

ولما انقضت الحرب اليونانية تعين مأموراً بمخزن طابور « اوخرى » من اعمال مناستير قرب بلده « رسنه » وسيرد ذكر هذين البلدين كثيراً في اثناء الكلام . واهل مناستير مكدونيون لكن بينهم كثيرين من الالبانيين والبلغاريين واليونانيين . وكان البلغاريون قد اثارتهم دسائس الروس لمناوأة حكومتهم المسلمة فكرهوا مواطنيهم المسلمين وتزايدت الضغائن بين الامتين بفساد الحكومة . وكان البلغاريون في رسنة يراقبون حركات ابناء ملتهم ليشتركوا معهم بخلع نير العثمانيين . فالفوا جمعية سرية لهذا الغرض واظهروا ثورتهم سنة ١٣١٩ هـ فاضطربت احوال الروملي اي اضطراب وقام الالبانيون لمثل هذا الغرض . فداخلت الدول الاوربية بحجة الدفاع عن النصرانية وطلبت الاصلاح ورجال المابين وهم رجال النفوذ يومئذ يعدون ويخلفون . فاقرت الدول اخيراً على الاصلاح اللازم وشددت في تنفيذه . فوعد المابين باجرائه ولم يفعل فزادت الاسباب الباعثة على توسط الدول فانتبه العقلاء من العثمانيين الاحرار الى الخطر المحدق بالدولة فرفعوا امرهم الى دول اوربا و بينوا لهن ان العصيان في مكدونية انما سببه فساد الحكومة من اصل ادارتها وانه لا يصلحها الا الحكم الدستوري والمساواة بين المسلمين والمسيحيين فلم يأت تظلمهم بنتيجة فتحولت افكارهم الى التعويل على استنجاد الجيش وتنوير اذهان الامة

اما اوربا فلما رات تباطؤ الدولة العثمانية في اجراء الاصلاحات وضعت مالية مكدونية تحت المراقبة فضلاً عن المفتش العام الذي كانت الدولة قد عينته والبلغاريون يستفيدون من ذلك غير انهم مازالوا في حاجة الى قوة مسلحة تقف في سبيل الجند العثماني اذا داهمهم فخطر لهم تشكيل عصابات من اهل القرى يعسر على الحكومة مطاردتها لان العصابة تتألف من الفلاحين وهم يشتغلون في حقولهم فاذا دعت الحالة الى حرب تسلحوا

فكان نيازي وهو في رسنة يراقب هذه الحركات وعينته الحكومة في جملة من عينتهم لمطاردة تلك العصابات فرأى المشقة في تذليلها فخطر له ان المسلمين اذا احبوا مناوأة الحكومة يكفيهم ان يقلدوا البلغاريين في تشكيل العصابات · على انه كان يطارد تلك العصابات ويقبض على رجالها واسلحتهم واوراقهم فاذا سلمهم الى الحكومة اطلقت سراحهم اما بالرشوة او غيرها ونظارة الحربية في الاستانة تكافىء موظفيها الذين يفعلون ذلك وهم الجواسيس والاصهار بالرتب او الرواتب وتذل صغار الضباط ولا تلتفت الى ما يحتاجون اليه من اللباس والطعام ولا تدفع اليهم الرواتب الا نادراً

وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد اذاعت بمنشوراتها وجرائدها وتقاريرها ان فساد الدولة التركية ليس سببه فساد الاشخاص او القواد او المفتشين او الوزراء وانما سببه فساد الادارة · فلما رأت تذمر الجند عطفت على المتذمرين منهم وهم صغار الضباط من اليوزباشية والملازمين وعليهم المعول في انفاذ الاوامر التي هي حياة الجيش · فاخذوا ينتظمون فيها ويتشربون مبادئها من التآخي والاتحاد سراً · وكانت لا تزال محصورة في المدن فساعدها الضباط على الانتشار في القرى ومهدوا الطريق للانقلاب · وكان في جملة كبار العمال في هذا السبيل البكباشي انور بك

بدأ الجند بالاجتماع باسم جمعية الاتحاد بسلانيك من سنة ١٣٢٣ حساباً رومياً يطلبون حقوقهم القانونية والجمعية تتجدد في نيل بعض تلك الحقوق بما لها من الايدي السرية في المصالح الكبرى فزاد الجيش تعشقاً لها وارتكاناً اليها وزادت هي نفوذاً وسطوة فلم تبق ثمة حاجة الى تسترها · فلما سمعت الحكومة بوجودها كان اشد الناس غضباً منها ناظم بك قائد مركز سلانيك فاخذ على نفسه ان يكشف سرها ويفتك باعضائها · فعلمت الجمعية بعزمه فقررت اعدامه وفي جملة الذين وقعوا على القرار رجل من اقاربه واناطوا تنفيذ ذلك الحكم باحد اعضائها وهي اول مرة دعي اعضاء هذه الجمعية الى الموت في نصرة مبادئها واكثرهم من الضباط الذين تعودوا خوض غمرات الموت · والجمعية لا تتخلى عمن يخلفهم المقتول فتتركهم لرحمة الحكومة بل هي تأخذ على عاتقها اعالتهم · فمن يعرض نفسه للخطر في مصلحة الامة يطمئن خاطره على من يخلفهم من الاولاد او الاهل

وكان المكلف بقتل ناظم بك ملازماً من آلاي البياده تركي الجنس فانفذ مهمته ففر ناظم مجروحاً الى الاستانة · واخذت الحكومة تقتص آثار الفاعل عبثاً فلما رأى سائر الضباط هذا النجاح انبعث في قلوبهم حب التنافس في قتل الظالمين · فارسل المابين

الجواسيس للبحث عن الجمعية في سلانيك ومناستير فاخذوا يرسلون التقارير وينالون عليها الرتب . وخافت الجمعية كشف سرها والاستدلال على اعضائها وهم معروفون باستقامتهم وحرية افكارهم وعلمت ان مفتش البوليس واسمه سامي أخذ على نفسه الكشف عن رئيس الجمعية فقررت اعدامه فلما قتل قلقت الحكومة من توفيق الجمعية هذه المرة ايضاً

جمع العناصر

وكان نيازي قد تعين قائداً في رسنة مسقط راسه بامر هادي باشا العمري واشارة الجمعية فبلغت اليه هذه الاخبار كما بلغت الى سائر فروع الجمعية وكان قد حاز شهرة في « رسنة » و « أوخري » واصبح اهلوها يحبونه ويعجبون بشجاعته لما ابداه من البسالة في الحرب اليونانية والهمة في مطاردة العصابات البلغاربة والدفاع عن حقوق المسلمين . وكان له رفيق في هذا الجهاد اسمه ايوب افندي تعين في طابور الرديف في « أوخري » وهو ركن من اركان الجمعية هناك . ونظراً لحسن سياستهما وصدق نيتهما في جمع العناصر احسن الالبانيون الظن بهما فصاروا يتواردون الى رسنة واوخري للانتظام في الجمعية وهي لا تقبل الا من تجد فيه اللياقة ـ قال نيازي « لولا احتفاظي باسرار الجمعية لاثبت بما يثبت اني لم اقم الا بانفاذ اوامرها ولم انجح الا بعضيدها »

اشتغل نيازي مدة بمطاردة العصابات البلغارية ومنها الثابتة والسيارة في برسبة وأوخري وكانت قد اتحدت مع عصابات البانية رئيسها اسمه جرجيس واخذت في مناوأة الحكومة والتضييق على المسلمين في رسنة واوخري و برسبة . ومن اشهر رؤساء العصابات بتروش ودهان وقريستو . فعهدت الحكومة الى نيازي الكشف عن اماكن هؤلاء والقبض عليهم فبذل في ذلك جهداً كثيراً واتى بنتائج حسنة لكنه وهو يحارب أولئك العصاة كان يفكر في امرهم فوجد نفسه يحارب رجالاً نهضوا على الظالمين . فجمع بعض المسيحيين وابان لهم ان بقاء تلك العصابات تحارب المسلمين مضرٌ بكليها وان المسلمين اشد نقمة على الحكومة من نقمة المسيحيين عليها . وحرضهم على التربص للاتحاد والعمل معاً ولم يثمر سعيه هذه المرة لتوسط اهل الاغراض فقضي عليه بالابعاد من رسنة ثم عادت المياه الى مجاريها

وكان نيازي قد قبض على رئيس عصابة بلغاربة اسمه متره فسلم اليه وطلب ان يخدم الحكومة بوظيفة مخبر بشرط ان يعفى عنهُ فوعده نيازي وطلب له العفو وخدم الدولة خدماً جزيلة فاغتاظت الجمعية البلغارية لان متره خانها . فسعت حتى زينت للحكومة العثمانية قتل هذا الرئيس فحاكمته غيابياً وحكمت عليه بالاعدام وكان في رسنة فكتبت الى نيازي ان

يرسله الى مناستير فغضب نيازي لهذه المعاملة وابت نجدته وحميته ان يخون رجلاً عاهده على العفو فشاور الجمعية بشأنه فقررت على اطلاق سبيله . فساعده على الفرار واصحبه ببعض اعضاء الجمعية ابلغوه مأمنه فكان لذلك العمل وقع حسن عند البلغاريين وتحققوا صدق نية نيازي وبعده عن التعصب الديني . وابان لهم ان غرضه التوفيق بين العناصر المختلفة هناك وهم الاتراك والالبان والبلغار واليونان والفلاخ والصرب فيكونون اخوة يحاربون الظلم معاً — فكان ذلك ضربة قوية على الحكومة

واخذت الجمعية من ذلك الحين تجاهر بدعوة المسيحيين الى الاشتراك معها في طلب الحرية فارسلت اعضاء منها يطوفون القرى والجبال للتبشير بالحرية والاتحاد . وكتبت من مناستير لائحة رفعتها الى وكلاء الدول العظمى تبين فيها ان مساعي اوربا في مكدونية تأول الى سلخها عن المملكة العثمانية بغير وجه حق . وان الحجج التي تتخذها الدول للمداخلة لا حقيقة لها لان العلة الحقيقية ليست تعصب المسلمين وانما هي فساد حكومة المابين . وانهم سيتحدون مع المسيحيين لطلب الدستور وانهم صمموا على الاخذ بيدهم . واللائحة طويلة مفصلة بعثوا بصورة منها الى كل قنصل ولم يكن لها تأثير عند الدول لانهن لم يكن يعرفن جمعية لها هذا الحق

عصابة نيازي

وكان نيازي يراقب مجريات السياسة فلما حدثت ملاقاة «روال» وعلم بما قررته انكلترا وروسيا اظلمت الدنيا في عينيه وخطر له ان يؤلف عصابة لمناهضة الحكومة تدعو اهل الروملي الى القيام عليها . وكانت الجمعية تعمل مثل هذه الحركة في الاناطول لم يعد نيازي يستطيع الانتظار حتى تنضج اعمالهم هناك فقضى ثلاثة ايام يفكر في ذلك وفي ما يحتاج اليه من سلاح ورجال . وفي ١٥ حزيران ١٣٢٤ (٢٨ يونيو سنة ١٩٠٨) كاشف جمال افندي رئيس البلدية وطاهر افندي معاون البوليس وكلاهما من الجمعية بما عزم عليه فوافقاه على تشكيل عصابة واعلان الثورة . فقال « عندي ٥٥٠ ليرة اقتصدتها من تعبي ويمكننا ان نجمع ١٥٠ الى ٢٠٠ رجل من اعضاء الجمعية والعساكر والقرويين ونبتاع لهم السلاح . وستشاركنا أوخري وبرسبة ايضاً فتشغل الحكومة في هذه الآجام اشهراً »

ثم عرضوا ذلك على الجمعية فوافقتهم بناء على ان مضبطة روال تقضي بتقسيم مكدونية واعطائها الى الاجانب فيجب ان تمحى هذه المضبطة بالدم وقال نيازي « ان رسنة ينبغي ان تبدأ بهذه الثورة لان البلغاريين بدأوا منها وجلبوا لنا هذا البلاء ويتبغي لنا ان نحب

المسيحيين كاخواننا ونساوي بيننا و بينهم ونعتبر اعراضهم اعراضنا وارواحهم ارواحنا واموالهم اموالنا لان نهضتنا انما هي ضد اصول الادارة الفاسدة لاعلان الحرية والمساواة والاخاء . واني مرسل اخواتي وابنتي وامرأتي الا معين الى مناستير ومودعهم وداعاً ابدياً » فوافقوه على رأيه وعانقوه وارسلوا جمال افندي الى مناستير ليخبر الجمعية واخذ نيازي في اعداد العصابة واشرك معه بعض اخوانه الذين يعلم انهم يشاركونه في الاحساس وتواطأوا على الالتقاء في « لا حجة » بضاحية رسنة ورتبوا ارقاماً (شفره) للمخابرة السرية

ولما آن الفراق ذهب نيازي الى امرأته وهو عريس ٩ اشهر ليخبرها بعزمه فلما شعرت بالمهمة التي هو سائر فيها فداء للوطن شجعته واعترفت له « ان لا وظيفة له سوى الموت » فارسلها مع عديله حتي بك الى والديها . وعاد جمال افندي من مناستير بان الجمعية تصادق على ذلك العمل . وطلب الانضمام اليهم قريستو القائد البلغاري فقبلوه فاكتسبوا بذلك ثقة البلغاريين . وقبل سفرهم كتب نيازي اعلانات بعث بها الى المابين والمفتش العام وقومندان الجاندرمة في مناستير وبكباشي الطابور في رسنة ومدير رسنة . وجاء في كتابه الى المابين « ان الامة تطلب الدستور والجمعية صاحبة هذا المشروع مستعدة لخدمة الذات السلطانية ولا تحاسبها عما سلف من السيئات فنحن نريد تنفيذ القانون الاساسي هذا اليوم فان كانت الحكومة لا تمنحه طوعاً فالامة تأخذه عنوة »

ولما آن السفر اخذوا يسعون بصرف انظار الحكومة عنهم لئلا تشعر بفرارهم فارتأى نيازي ان يصرف اهتمامها الى مكان خارج المدينة زعم ان عصابة بلغارية هاجمته . فخرج الجند الى ذلك المكان فخلت الثكنة فدخل هو ورجاله اليها وفتحوا صناديق الاسلحة واخذوا ما وجدوه من النقود وكتب نيازي صكاً بذلك حفظ في صندوق الطابور

خرجوا وهم ١٥٠ رجلاً نحو لا حجة يوم الجمعة في ٢٠ حزيران فالتقوا بمن وافاهم الى هناك وشرح لهم نيازي خطته فقال « ان خطتي الجهاد في سبيل الحرية الى الممات فمن لا يرضى فليرجع » فوافقوه وساروا معه وجعلوا يطوفون القرى يدعون اهلها الى الاتحاد معهم في طلب الحرية والدستور ويحلفونهم على الثبات . و بذلوا الجهد في مجاسنة غير المسلمين ومعاملة الاهالي بالرفق والعدل وادخلوا عدداً كبيراً من الاهالي في الجمعية وفيهم النصارى والمسلمون على اختلاف الطوائف في استاورة وأوخري وغيرها . وكتب نيازي الى جرجيس رئيس عصابة الالبانيين يدعوه الى الانضمام اليه لمناهضة الحكومة الظالمة وكتب بذلك الى غيره ايضاً

فلما علمت الحكومة في رسنة بخروج نيازي ورجاله بعثت جنداً للقبض عليهم فخالفوم

في الطرق . وساعدهم على الفوز ان الجمعية كان نفوذها قد تمكن في اهم المدن هناك مثل أوخري ودبره وفروشيشته وغيرها . وانضم اليهم كثيرون من المغضوب عليهم الفارين من كل الطوائف . وكان نيازي يصرف الرواتب الى رجاله مما جاء به معهُ واذا احتاج الى المال اخذ من البلد الذي يكون فيه واعطى شيوخه صكاً على الحكومة تقتطع قيمته من الضرائب

وفي اليوم الثالث من خروجه كتب الى الجمعية في مناستير بما فعلهُ وبشرهم بنجاحه . وبعث منشوراً الى نصارى مكدونية ترجمه الى لغاتهم يطلب اليهم نبذ الضغائن القديمة والاتحاد مع المسلمين لطلب الدستور وان هذا هو الغرض الاصلي لجمعية الاتحاد والترقي . واهتم بتحليف القرى الاسلامية المتقاربة وتشكيل هيئات ادارتها واحكام الصلح والوفاق بينها . وجمع اليه الفارين من الجنود والمسجونين ممن كانوا يضرون بالاهالي واجهل لهم النصح ودبر ما يمنع مضارهم واجتذب قلوبهم بالعفو والملاطفة وحسن الاسلوب واتباع الحق والعدل ودبروا طريقة للمخابرة رسنة وأوخري واتخذوا بريداً وعينوا منازله

شمسي باشا

وفي ٢٤ حزيران جاء الجواب من الجمعية في مناستير تثني على همته وتشجعهُ على تفهيم الاهالي حقيقة الدستور وانه « لا يخالف الشرع لان المفسدين من اهل المابين بعثوا اناساً يشيعون بأن الدستور يقتضي خروج النساء حاسرات الوجوه كنساء المسيحيين » ونصحوه واوصوه وحذروه وبشروه ان انور بك سيظهر قريباً ففرح نيازي بهذا الكتاب وخصوصاً بقرب ظهور انور وهو يعدهُ اهم ناشر لافكار الجمعية ويحترمه على الخصوص لانهُ هو الذي ادخله في هذه الجمعية منذ تأسيسها يوم كان في مناستير وادخل فيها كثيرين سواه من الضباط . فكان نيازي ينشىء في القرى التي يمرُّ بها نوعاً من الحكومة الدستورية على ما يوافق نظام الجمعية والناس ينضمون اليه ويوازرونهُ . ولحق به عدة عصابات وطنية وهو يخفق قلبهُ فرحاً لهذا النجاح الباهر

واشتد ازر الجمعية بذلك فكتبت انذاراً الى والي مناستير تقول في جملته « ان حكومتكم الحاضرة غير شرعية لانها خالفت الدستور وان الجمعية تعمل على استرداد الحق الصريح (الدستور) الخ » وكتبت الى نيازي كتاباً ضمنته الاوامر والنصائح والاخبار وفي جملة ذلك « ان شمسي باشا اعدم هنا علناً ونجا قاتله » — وكان شمسي باشا مشيراً شديد الوطأة ارسل لمقاومة الاحرار في مناستير وفي حال وصوله اليها اخبرهُ صهره قائمقام الجندرمة وهو من اعضاء الجمعية « ان عساكر مناستير ورسنة وما جاورها لا تطيعه » فدارت

المحاربات بينه وبين المابين بالوعد والتطمين فارادت الجمعية اتقاء شره فقررت قتله وتبرع بذلك ملازم من اعضائها فقتله جهاراً بين ١٥٠٠ من رجاله وغيرهم ونجا بحياته

فلما قرأ نيازي خبر مقتل شمسي باشا مع سلامة قاتله دهش وزاد تفاؤله بالخير ومال الى معرفة اسم ذلك المجاهد وهم يلقبونه «فدائي» وفي ٣٠ منه جاءه كتاب اخر يقولون فيه ان ذلك الفدائي لا يجوز كتابة اسمه وان الهيأة الادارية البلغارية كتبت الى القرى ان يبالغوا في الاحتفاء بالمسلمين وان القناصل يوصونهم ان يستمروا باعمالهم بالعدل والانصاف ليستفيدوا الفوائد المطلوبة . وانهم قتلوا في سلانيك مصطفى افندي امام آلاي الطوبجية بجانب الاوتيل . واخيراً الحوا عليه ان يعامل الاهالي بالرفق والعدل

واقتضت الاحوال رجوع نيازي الى أوخري فلتقى هناك بالفدائي الذي قتل شمسي باشا اجتمع به سراً في منزل اخيه مرتضى افندي (اخي نيازي) لم يدر ما ذا يقبل منه لشدة فرحه به واخيراً تعانقا وقص عليه الفدائي كيف انفذ مهمته بشجاعة وخفة فشكره نيازي فاجابه ذلك «ان الفضل في هذه الحركة لك» الى ان قال «مع انك لست تركياً فقد اعلنت الحرب باسم العثمانيين»

فقوي نيازي في تنقله هذا ايام يجمع كل الناس باسم الجمعية ويحلفهم على الثبات ضد الظلم بلا تفريق بين المذاهب او الطوائف . فدخل في محالفته البلغار والصرب والالبان والاروام وصار الرهبان يحتفلون بقدومه ويتوسلون الى الله ان يأخذ بيده . وهم يعدون الجمعية حكومة دستورية شرعية خفية . فطاف كثيراً من بلاد مناستير والبانيا وعزم على المسير الى يانيا والاخبار متواصلة بينه وبين الجمعية المركزية بمناستير — وهو في ذلك اتاه كتاب من الجمعية تستعجل قدومه الى رسنة بغاية السرعة فاسرع برجاله ولما وصل رسنة اخبروه ان المطلوب ذهابه الى أوخري حالاً فتحول اليها فوصل وهو في لهفة لمعرفة السبب الذي استدعوه من اجله فلقي اخاه مرتضي افندي فسأله فقال «ان امراً يأتاً من مناستير يدعو الى ذهابك اليها حالاً مع الفين من الرجال»

عثمان باشا المشير

فاخذ في اعداد الرجال من رسنة واوخري وغيرهما وقاسى في ذلك عذاباً شديداً ثم سافر بهم قاصداً مناستير طوعاً لاوامر الجمعية . وفي ١٠ تموز (٢٣ يوليو) قبل دخولهم البلد خرج اليهم رسول من اعضاء الجمعية ومعه مظروف فتحه نيازي واذا فيه الامر بالقبض على عثمان باشا المشير وكان المابين قد ارسله بدلاً من شمسي باشا لمحاربة الجمعية . وكانت الجمعية

قد عينت من يقبض عليه من الامراء العسكريين واستقدمت نيازي ورجاله للمحافظة • فاول شيء عمله المفوضون بالقبض انهم حاصروا عثمان باشا في مركز القومندانية وقطعوا الاسلاك التلغرافية وجردوا الحراس من الاسلحة وكان الباشا نائماً فايقظوه وامسكوه من ذراعيه وافهموه ان لامحل للغضب او الاضطراب • فتقدم اليه نيازي وايوب واخذا يقنعانه انهم لا يريدون اذاه وافهمه ايوب ان مقصدهم شريف وان المراد حمله ضيفاً الى رسنة • وسلم اليه كتاباً من الجمعية قرأه فاذا عبارته لطيفة وفيه ثناء على قدرته العسكرية وشجاعته وانها لا تنوي قتله كما قتلت شمسي باشا بل هي تأسف اذا أصيبت شعرة من شعره باذى • فسكت فاخذوه الى رسنة

اعلان الدستور

وكان رجال المابين بعد ان انفذوا عثمان باشا الى مناستير قد خابروه مخابرات كثيرة يحرضونه فيها على الفتك بالجمعية (اهل الفساد والخيانة!) ثم ظهر لهم انحياز جند مكدونية الى الجمعية فوعدوا الباشا انه لا يلبث ان تأتي لنجدته طوابير رديف الاناطول وان الحكومة بعثت تستقدم تلك الجنود بسرعة • ولكن لحسن الحظ ان جنود الاناطول حال وصولها الى سلانيك ومناستير انحازت الى الجمعية لتنصرها في جهادها • فلم يبق للجمعية الا ان تصرح بمطالبها وتنذر انذارها الاخير • فكتبت من مناستير في ٩ تموز (٢٢ يوليو) الى السلطان عبد الحميد تطلب اعادة مجلس المبعوثان وتتوعده بالحملة على الاستانة • فاضطر الى التسليم كما هو مشهور فاعلنت الحرية في مناستير في ١٠ تموز (٢٣ يوليو) وعم ذلك في اليوم التالي بين كل الطوائف والملل وتقاطرت التهاني على نيازي من الاطراف يهنئونه لانه المباشر لهذه الحركة وانما اهتم بتلغراف جاءه من انور بك في سلانيك وقال ان انور كان سبب فوزه بارشاده

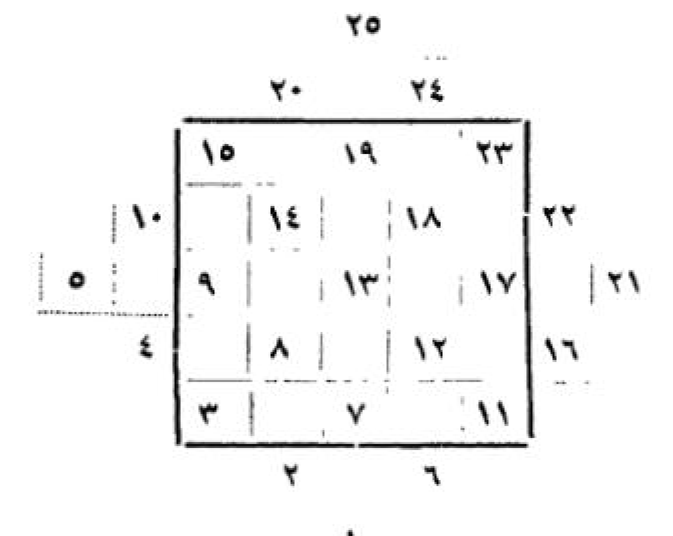
وانصرف هم نيازي بعد نيل الدستور الى معرفة اللجنة العاملة من جمعية الاتحاد والترقي في مناستير التي كانت تصدر له الاوامر فيعمل بها وهو لا يعرف مصدريها وكان كثير الاعجاب بأولئك الرجال وبكبر عقولهم وحسن سياستهم • فلما اتى مناستير ما زال يبحث حتى عرف بعضهم وزارهم في محل اجتماعهم فوجدهم اقل الناس فرحاً لاهتمامهم في تثبيت مشروعهم وهم صادق بك وفخري بك ويوسف ضيا افندي وحبيب افندي ورمزي بك وتوفيق افندي وكلهم من ضباط الجيش الا فخري بك فقد كان مترجم الولاية

المربعات السحرية المفردة

اذا قسمت سطحاً مربعاً الى مربعات (عيون) صغيرة ووضعت في كل منها عدداً صحيحاً من سلسلة الاعداد الطبيعية المفروضة بحيث لو كان مجموع كل صف وكل عمود وكل قطر متساوياً فالمربع يقال له مربع سحري

واسهل الطرق لتشكيل المربعات السحرية المفردة طريقة وضعها احد علماء الافرنسيس في اوائل القرن السابع عشر وهي :

ارسم على كل جانب من جوانب المربع المطلوب صفوفاً يقل كل صف منها عينين عن الصف الذى تحته ثم ضع الارقام مبتدئاً بالواحد في العين الخارجة المفردة ومنها بانحراف موازٍ لاحد اقطار المربع وحينما تفرغ من ذلك الصف انتقل الى الصف المنحرف الثاني وتتبع عيونه الى آخرها وهكذا الثالث وهكذا والرابع حتى تنتهي بآخر صف وفي آخر عيونه آخر رقم من السلسلة . فاذا فرغت من ذلك انقل ما في العيون الخارجة الى ابعد ما يقابلها من العيون الخالية الموجودة في ذات الصف والتي هي داخل المربع ولزيادة الايضاح نرسم مربعاً في جوانبه خمس عيون بالطريقة التي ذكرناها



١٥	٢	١٩	٦	٢٣
٢٢	١٤	١	١٨	١٠
٩	٢١	١٣	٥	١٧
١٦	٨	٢٥	١٢	٤
٣	٢٠	٧	٢٤	١١

وبما ان هذه الطريقة خالية من البحث الرياضي ولا لذة للعقل بها فاعمد الى غيرها وقبل ان ابتدىء اذكر شيئاً عن سلسلة الاعداد الطبيعية :

سلسلة الاعداد الطبيعية من ١ — م٢ (م عدد صحيح) مركبة من سلاسل اصولية (Subordinate) كل منها مؤلف من م اعداد وكل عدد في السلسلة التالية يزيد عما يقابله في السلسلة السابقة بـ «م» . وبكلام آخر السلسلة ١ — م٢ مؤلفة من السلسلة ١ — م مكررة م مرات وكل عدد عند تكراره يضاف اليه كمية ثابتة (Constant) وهذه الكميات الثابتة تزداد بالقيمة م بدائتها الصفر ونهايتها م (م — ١) ولاجل زيادة الفائدة نرقم ذلك للعيان في الجدول الآتي :

١ + ٠ ، ٢ + ٠ ، ٣ + ٠ ، .... ، م + ٠ = م

١ + م ، ٢ + م ، ٣ + م ، .... ، م + م = ٢ م

١ + ٢ م ، ٢ + ٢ م ، ٣ + ٢ م ، .... ، م + ٢ م = ٣ م

١ + ٣ م ، ٢ + ٣ م ، ٣ + ٣ م ، .... ، م + ٣ م = ٤ م

وهكذا حتى تصل الى :

١ + م (م — ١) ، ٢ + م (م — ١) ، ٣ + م (م — ١) .... ، م + م (م — ١) = م٢

فما مرّ نرى ان سلسلة الاعداد الطبيعية ١ — ٥٢ (١ — ٢٥) هي كما يأتي :

١ + ٠ ، ٢ + ٠ ، ٣ + ٠ ، ٤ + ، ٥ + ٠

١ + ٥ ، ٢ + ٥ ، ٣ + ٥ ، ٤ + ٥ ، ٥ + ٥

١ + ١٠ ، ٢ + ١٠ ، ٣ + ١٠ ، ٤ + ١٠ ، ٥ + ١٠

١ + ١٥ ، ٢ + ١٥ ، ٣ + ١٥ ، ٤ + ١٥ ، ٥ + ١٥

١ + ٢٠ ، ٢ + ٢٠ ، ٣ + ٢٠ ، ٤ + ٢ ، ٥ + ٢٠

وباقل نظر يرى ان سلسلة كهذه ليست الا سلسلة حسابية ومجموعها $\frac{م^{٢}(١+م^{٢})}{٢}$

وقد ذكرنا ما يهمنا من خصائص السلسلة اما كيفية كتابتها في المربع المفروض كما طلب فسياتي الكلام عليه

كل من امعن النظر واعمل الفكرة في الجدول السابق يرى جليًا انه لو تيسر كتابة كل رقم من ارقام السلسلة الاولية ١ — م بحيث يظهر مرة واحدة في كل صف وعمود وقطر وجرى ذات الامر على سلسلة الثوابت لحصل المطلوب

الحل

من المقرر ان ادراك الجزئيات وفهمها اسهل من ادراك الكليات ولذلك نبتدىء برسم مربع ذي خمسة اضلاع

ب

٥	٤	٣	٢	١
٢	١	٥	٤	٣
٤	٣	٢	١	٥
١	٥	٤	٣	٢
٣	٢	١	٥	٤

ت

٢٠	١٥	١٠	٥	٠
١٠	٥	٠	٢٠	١٥
٠	٢٠	١٥	١٠	٥
١٥	١٠	٥	٠	٢٠
٥	٠	٢٠	١٥	١٠

ك

٢٥	١٩	١٣	٧	١
١٢	٦	٥	٢٤	١٨
٤	٢٣	١٧	١١	١٠
١٦	١٥	٩	٣	٢٢
٨	٢	٢١	٢٠	١٤

نرسم اولاً مربعين ب وت ونضع في ب الاعداد ١ و٢ و٣ و٤ و٥ خمس مرات ونضع في ت خمس مرات الكميات الثابتة ٠ و٥ و١٠ و١٥ و٢٠ فترى انه اذا اضيف كل عدد من ١ — ٥ الى كل من ٠ و٥ و١٠ و١٥ و٢٠ يحصل الاعداد الطبيعية المطلوب رسمها في المربع المفروض فيجب اذًا ان تكتب تلك الاعداد في المربعين المذكورين بحيث انه اذا

اضيفت الاعداد في العيون المتقابلة (المتماثلة Corresponding) ينتج عدد مامرة واحدة فقط وان يكتب كل عدد في كل صف وعمود وقطر في كل مربع من المربعين مرة واحدة فقط . ثم نرسم مربعاً ثالثاً ك ونضع في عيونه مجموع العددين الموجودين في ما يقابلها من المربعين ب و ت فيحصل المربع المطلوب . لان مجموع كل صف وكل قطر في ب يعدل ١٥ وفي ت يعدل ٥٠ فتكون نتيجة جمع كل من الصفوف المتقابلة ٦٥ وذلك يصدق على الاعمدة (والاقطار) وقد فرض ان مجموع العيون المتقابلة تنتج الاعداد ١ — ٢٥ بحيث يظهر كل عدد مرة واحدة فقط فاذا المربع ك هو المربع المطلوب

اما كيفية كتابة الاعداد في المربعين كما فرض فيتم بما هو معروف بالتتابع او التعاقب الدوري (Cyclical Succession) وهو ان ١ دائماً يعقب ٥ و٠ يعقب ٢٠ فنكتب الارقام في الصف الاعلى مبتدئين بالواحد او بغيره لكن في كل تتابع الترتيب حسب ورودها . فاذا ابتدأنا بـ ٤ مثلاً في العين الاولى كانت الخمسة في العين الثانية والواحد في الثالثة . ثم نبدأ في الصف الثاني اما بالرقم الذي ورد في العين الثانية ونفعل كما فعلنا في الصف الاول واما بغيره تاركين عيناً واحدة او اثنتين او ثلاثاً الخ . حافظين ذات النظام في ما يليه

هذا هو التعاقب الدوري كما مبينه لكن يجب ان نجري بموجبه فقط في ما لا يخالف القوانين التي ذكرت سابقاً ولهذا لا نبتدئ مثلاً بـ ٢ في العين الاولى من الصف الثاني (اذا كنا كتبنا الاعداد في الصف الاول حسب ورودها الطبيعي) لان ذلك يسبب وجود الخمسة خمس مرات في القطر ووجودها مرتين كاف لفساد العملية لان الخمسة ليست العدد الاوسط في السلسلة . وعليه يجب ان نبتدئ بما بعدها ولزيادة الايضاح اشرح كتابة الارقام في المربعين ب و ت بالتفصيل :

اولاً نكتب الاعداد ١و٢و٣و٤و٥ مبتدئين بالواحد في العين الاولى من الصف الاعلى كما ترى ثم نبدأ في الصف الثاني راقمين ٣ في العين الاولى (وذلك بترك عين واحدة) و٤ في الثانية الخ . وفي الصف الثالث نبدأ ب ٥ وفي الخامس ب ٤

ثم نكتب في المربع ت في الصف الاول الاعداد ٠ و٥ و١٠ و١٥ و٢٠ واضعين في الصف الثاني في العين الاولى رقم العين الرابعة اي ١٥ (بترك عينين) وهكذا نبدأ ب ٥ في الصف الثالث و٢٠ في الرابع و١٠ في الخامس . اما السبب في العدول عن ترك عين واحدة كما فعلنا في المربع ب الى ترك عينين في ت فهو انه اذا جرينا على النظام الاول

يحدث ان العددين في العينين المتقابلتين في الصف الاول من ب وت يقعان في عينين متقابلتين في كل الصفوف الباقية وهذا ضد ما نتوخاه . فاذا عدلنا كما مر نرى ان كل عدد من السلسلة الاولية يقع مقابلاً لكل عدد من اعداد سلسلة الثوابت مرة واحدة فقط ثم باضافة المربع ب الى ت يحصل المربع ك المطلوب رسمه

ان ما ذكر عن المربع ذي الخمسة الاضلاع ينطبق و يصدق على كل مربع جذره عدد فرد لكن توجد احوال خاصة للمربعات التي تكون الثلاثة ضلعاً من اضلاع جذورها كالمربعات ذوات الجذور ٣ و٩ و١٥ و٢١ و٢٧ و٣٣ الخ . وليس من غرضنا الآن ان نبين الاسباب التي توجب ذلك بل نقول ان من خاصياتها ان يتكرر عدد ما من اعداد كل من السلسلتين واذ ذاك فالحل يكون فاسداً لكن يمكن تلافي هذا الامر باجراء بعض التغييرات ضمن قوانين النظام الدوري وها كها :

(١) بما انه لا بد ان يتكرر عدد في احد القطرين فليكن ذلك العدد عدد السلسلة الاوسط

(٢) ليكن القطران المكرر فيهما العددان متناظمين

(٣) تكتب السلسلة حسب نظامها الطبيعي في بداءة الصف المتوسط بحيث يقع العدد الاوسط في العين الوسطى ولسهولة ادراك هذه القضايا الثلاث نرسم المربع الذى جذره تسعة

٥	٦	٧	٨	٩	١	٢	٣	٤
٤	٥	٦	٧	٨	٩	١	٢	٣
٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١	٢
٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
٩	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
٨	٩	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٧	٨	٩	١	٢	٣	٤	٥	٦
٦	٧	٨	٩	١	٢	٣	٤	٥

٣٦	٢٧	١٨	٩	٠	٧٢	٦٣	٥٤	٤٥
٤٥	٣٦	٢٧	١٨	٩	٠	٧٢	٦٣	٥٤
٥٤	٤٥	٣٦	٢٧	١٨	٩	٠	٧٢	٦٣
٦٣	٥٤	٤٥	٣٦	٢٧	١٨	٩	٠	٧٢
٧٢	٦٣	٥٤	٤٥	٣٦	٢٧	١٨	٩	٠
٠	٧٢	٦٣	٥٤	٤٥	٣٦	٢٧	١٨	٩
٩	٠	٧٢	٦٣	٥٤	٤٥	٣٦	٢٧	١٨
١٨	٩	٠	٧٢	٦٣	٥٤	٤٥	٣٦	٢٧
٢٧	١٨	٩	٠	٧٢	٦٣	٥٤	٤٥	٣٦

٤٠	٣٠	٢٠	١٠	٩	٨٠	٧٠	٦٠	٥٠
٤٨	٣٨	٢٨	٢٧	١٧	٧	٧٨	٦٨	٥٨
٥٦	٤٦	٤٥	٣٥	٢٥	١٥	٥	٧٦	٦٦
٦٤	٦٣	٥٣	٤٣	٣٣	٢٣	١٣	٣	٧٤
٨١	٧١	٦١	٥١	٤١	٣١	٢١	١١	١
٨	٧٩	٦٩	٥٩	٤٩	٣٩	٢٩	١٩	١٨
١٦	٦	٧٧	٦٧	٥٧	٤٧	٣٧	٣٦	٢٦
٢٤	١٤	٤	٧٥	٦٥	٥٥	٥٤	٤٤	٣٤
٣٢	٢٢	١٢	٢	٧٣	٧٢	٦٢	٥٢	٤٢

بيروت
منصور حنا جرداق م ٠ ع
نائب استاذ الرياضيات في الكلية السورية الانجيلية

صحة العائلة

علاج السمن

للدكتور سعيد ابو جمرة منشىء الافكار في سان باولو

ليس صحة الجسم وجماله في سمنه أو نحوله وانما هما وسط بين الحالتين . فاذا زاد السمن اصبحت هيئة الجسم بعيدة عن الجمال المرغوب لتراكم الدهن في الوجه والجذع والبطن فيفقد القوام رشاقته ويختلُّ التناسب بين اعضاء البدن ويصعب التحرك والانحناء . والسمن إما طبيعي في الانسان أو وراثي . والوراثي يظهر غالباً في سن الـ٣٥ من العمر وقد وجد الدكتور شامبرس بين ٣٨ رجلاً سميناً ٢٢ منهم ورثوا هذه «المصيبة» عن آبائهم أو امهاتهم . والسمان بالوراثة يغلب فيهم المزاج اللمفاوي فيعيشون في البطالة والخمول غافلين عن تمرين البدن ورياضته . وتكاثر الدهن في الانسجة يكون على الخصوص بين سن الثلاثين والاربعين ويكون في المرأة اكثر منه في الرجل لاختلاف معيشتهما لانها تقضي يومها جالسة في بيتها . والتمرين الذي تستعمله بعض الاحيان في قضاء واجباتها الضرورية لا يكفي لازالة السمن في المرأة وعلى الخصوص بعد انقطاع الادوار الشهرية . واكثار الطعام اكبر معين للسمن عند الاشخاص المستعدين لهُ خصوصاً اذا كانت الاطعمة دهنية أو نشوية وسكرية بل ان الاقتصار على الاطعمة الالبومينية المحضة التي يكثر فيها الزلال والليفين والجبنين (كاللحوم والبيض واللبن) تزيد السمن اذا اكثر منها لانها تتحوَّل الى دهن في الجسم

وقد وصفوا ادوية كثيرة لازالة السمن ولكنها لا تجدي نفعاً . أما العلاج الوحيد فهو المبني على القواعد الصحية . ويزعم البعض ان الحمام التركي وافراز العرق من الجسم من الوسائل المنحفة له وهو زعم باطل وخيم العاقبة لان الاكثار منه يسبب احتقانات باطنية والافضل استعمال الماء البارد لتنبيه عمل الانسجة واصلاح التغذية

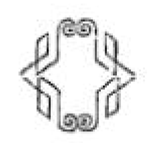
المختلة والدلك والتكيس يزيدان فائدة الماء البارد . وحمام البحر له تأثير حسن لازالة السمن وخصوصاً اذا كان السمين يحسن السباحة . أما الحمام السخن فيلزم اجتنابه لانه يرخي النسيج الخلوي ويتراكم بسببه الدهن . ويفيد استنشاق الهواء المضغوط أو الاوزون (الاكسيجين المكهرب) لانه ينبه التأكسدات العضوية في الجسم ويقوي التغذية الضعيفة . واحسن من هذا وذاك التيارات الكهربائية السريعة التقطع وقد اشار بعضهم بتعاطي اليودور والغدة الدرقية ولكن لا يجوز استعمال هذا العلاج في جميع الاحوال وبدون أمر الطبيب إذ قد تنشأ عنه اضرار خطرة . ويجب على السمين مقاومة الامساك وتعاطي مسهل ملحي مرة أو مرتين في الاسبوع في اول علاج السمن فقط لئلا يضعف الجسم من تكرار المسهلات . واذا صحب السمن كبر البطن فيمكن استعمال الدلك على البطن وشرب مياه فيشي اوكارلسباد أو غيرها من المياه المعدنية

وهنا ننصح للمصاب بالسمن ان لا ينخدع بما يراه في الجرائد من الاعلانات عن الادوية والمركبات المزيلة للسمن فان اكثرها يدخلها اليود واستعمالها الطويل يضرُّ بالصحة . ويشير بعض الاطباء بتعاطي بعض النقط من صبغة اليود بقليل من الماء قبل الأكل فالافضل الامتناع عن تعاطي هذا الدواء وعن جميع الادوية التي تشهد لنفسها بانها مزيلة السمن والاوفق اتباع الطرق الصحية المحضة . ويجب على السمين ان يسكن محلاً جافاً مرتفعاً ويمرن جسمه كثيراً بالمشي في الصباح قبل الأكل مسافات يزيد طولها يوماً عن يوم وان يشتغل بالاشغال اليدوية كالتجارة والسباحة واللعب بالسبق والرياضة بالجناستيك وركوب الخيل وما اشبه . والسمان يميلون الى النوم الطويل ويجدون فيه لذة عظيمة وراحة كبيرة والنساء الشرقيات على العموم يمتزن بالسمن لانهن لا يكثرن من الحركة بل اعتدن الجلوس على المقاعد الوثيرة طول النهار والخروج في العربات بدل المشي على الاقدام . اذاً وجب على السمين ان لا ينام الا الوقت الضروري لراحة الجسم وان يجتنب النوم بعد تناول الطعام

أما تدبير معيشة السمين فيكون بالاكتفاء بالقليل من الطعام بحيث يقوم عن

المائدة وهو لا يزال يشتهي الأكل. وهذه الشهية تزول بمرور الايام اذا تعوّد الجسم قلة الطعام . ويلزم الاقلال من شرب الماء خصوصاً بين طعام وآخر واجتناب الاطعمة الكثيرة الملوحة لانها تجلب العطش . والتقليل من شرب الجعة (البيرة) واجب . ولكن لا بأس من شرب النبيذ الخفيف وخصوصاً النبيذ الابيض لانه يفيد في استدرار البول . ويجب أيضاً على السمين ان يمتنع عن الاطعمة الدهنية كالزبدة والزيت والجوز والزيتون . وأيضاً عن المواد النشوية كالرز والبطاطا والتابيوكا والفاصوليا والسحلب . أما المواد الدقيقية فاشدها ضرراً الذرة . ويجتنب اكل الملبس والشكولاته والفواكه المسكرة المجففه كالمشمش والاجاص والدراقن والكرز والخوخ وما شاكل ويجتنب اكل الكبد والمخ والكلى المطبوخة والوز والبط . ولا بأس من اكل لحم البقر والضأن المشوي أو المقلي . أما الخبز فالافضل ان يكون مختلطاً بالنخالة . ويجب ان يكون طعام المساء خفيفاً واكثره نباتيًا ويجوز شرب قليل من القهوة والشاي

والسمين على الغالب اذا فاز بالعلاج وازال اكثر ما في جسمه من الدهن وجد نفسه خفيفاً رشيقاً سريع الحركة قليل العرق يهضم الاكل بسهولة فيعود الى ما كان باصله قبل العلاج ويهمل التدابير التي اتخذها لازالة السمن فيعود جسمه الى ما كان عليه . ولذلك يلزمه ان يبقى مداوماً على اتباع الطريقة التي يشير عليه بها الطبيب لينجو من الوقوع في السمن ثانية . والطرق البطيئة الأكيدة لازالة السمن افضل من الطرق السريعة الفعّالة واسلم عاقبة واقل خطراً وعلى السمين ان يفحص بوله من وقت الى آخر اثناء العلاج لمعرفة قوة تبادل المواد الازونية في الجسم. هذا ولا يخفى ان وضع قانون عام يصلح لجميع المصابين بالسمن من الامور الصعبه نظراً لتعدد انواع السمن واعراضه واسبابه . وانما العلاج يكون بحسب كل شخص وحالة جسمه . وما قد ذكرناه آنفاً يصح ان يكون القاعدة الاساسية



١٥٦,٠٠٠ مركز تلفوني وفي فيلادلفيا ١٠٤,٥٠٠ مركز

سفينة بلا حديد اصطنع معمل كرنجي في وشنطون سفينة شراعية ليس فيها شيء من الحديد مطلقاً والغرض من صنعها استخدامها في الرحلات المتعلقة بالمغنطيسية

خبز اللوز في الديابيت السكري الديابيت السكري أو المرض الحلو يشكو اصحابه غالباً من صعوبة الوقاية لانهُ يقتضي الاحتماء عن المواد النشوية وهي اشهى المأكولات والذها وخصوصاً الخبز والرز والبطاطس ونحوها فالامساك عنها يضيق على المريض عيشه . وقد فكر الاطباء في حيلة تخفف عنهم ثقل هذا الاحتماء فوجدوا ان المادة التي يخشى منها في المرض السكري المذكور انما هي هيدرات الكربون وهي توجد بالاكثر في المركبات النشوية على نسب متفاوتة فمنها نحو ٦٠ في المئة في القمح الاعتيادي و٢٥ في الحنطة السمراء او قشر القمح (السن) و٢٠ بالمئة في البطاطس ولكنها ٧ بالمئة في اللوز الحلو فهو اقلها ضرراً . فاشاروا باصطناع خبز من اللوز بتقشيره ودقه ومزجه بالزبدة وعجنهُ وخبزه كما تخبز الحلويات الافرنجية



نقتصر في هذا الباب على ذكر ما يظهر حديثاً من الكتب او الجرائد او المجلات اعلاناً لظهورها ولا نتعرض لنقدها اوتقريظها . واذا دعت الحال الى شيء من ذلك نشرناه في باب آخر

١ كتب تاريخية

١ خواطر نيازي : او صحيفة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير تشتمل على ماعاناه احمد بك نيازي بطل الدستور بنفسه في هذا الانقلاب مما دونه في مذكراته ونشره بالتركية وقد نقله الى العربية ولي الدين بك يكن وطبع في ٢٦٠ صفحة كبيرة لخصناها في هذا الهلال والكتاب يشتمل على رسوم كثيرة ويباع في مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وثمن النسخة عشرون غرشاً غير اجرة البريد

٢ تاريخ اسلاميت : هو ترجمة تركية لكتاب تاريخ الاسلام الذي الفه الدكتور دوزي العالم المستشرق الشهير في الفرنساوية وقد ترجمه الى التركية زميلنا الدكتور عبد الله جودت بك صاحب مجلة اجتهاد التركية التي تصدر بالقاهرة ونشره في مجلدين كبيرين صفحاتهما ٧٤٠ صفحة وعلق عليه حواشي مفيدة . وللدكتور جودت آثار حسنة في خدمة

الآداب التركية بما الفه او نقله او نشره من الكتب المفيدة · ويطلب تاريخ اسلاميت من مكتبة التأليف بشارع عبدالعزيز وثمن النسخة ٢٤ غرشاً واجرة البريد خمسة غروش

٣ تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار : هو كتاب كبير في وقائع قازان والبلغار وملوك التتار تاليف م · م · الرمزي ظهر مطبوعاً في روسيا في جزئين صفحاتهما معاً نحو ١٣٠٠ صفحة وهو فريد في بابه · ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسون غرش والبريد ٧ غروش

٤ Palestine, Helenisme et Clericalisme هو كتاب بالفرنساوية الفه فريد افندي جورج كساب على اثر حوادث فلسطين الاخيرة · وفيه فصول في علائق اليونان بفلسطين من التاريخ القديم الى الآن وتاريخ اخوية القبر المقدس واسباب الخلاف الاخير ونتائجه والكتاب يطلب من مؤلفه بالاستانة

٢ كتب ادبية وشعرية

١ ديوان عبد الرحمن شكري : صدر الجزء الاول من هذا الديوان لناظمه عبد الرحمن افندي شكري وقد حوى مختارات تدل على خيال شعري عال في حضرة الناظم مع صغر سنه

٢ شرح المعلقات السبع : هو شرح الامام الزوزني طبع عن نسخة مضبوطة كانت عند المرحوم الشيخ الشنقيطي وذيلها الناشر بمعلقة للنابغة الذبياني ومعلقة لاعشي بكر وغيرهما ويطلب من مكتبة الشيخ مصطفى الحلبي بمصر

٣ ديوان السموأل : نشرت مجلة المشرق اشعار السموأل رواية ابي عبدالله نفطويه ثم طبعتها على حدة بعناية الاب لويس شيخو اليسوعي · وقد علق عليها ملاحظات عديدة ويطلب الديوان المذكور من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٨ غروش صاغ

٤ ايدا او شهداء الشرف : هي رواية غرامية تهذيبية تأليف هنري كونسيانس الكاتب الفرنساوي وقد نقلتها الى العربية السيدة عفيفة اظن وهي تطلب من مكتبة الهلال

٥ سلسلة الروايات العثمانية : هي مجلة روائية ادبية تاريخية لصاحبها جورج افندي سعادة وقد صدرت اعدادها الاخيرة من ١٢ — ١٥ من السنة الاولى وهي عبارة عن الاجزاء الاربعة الاولى من رواية فتاة البوسفور ثمن الجزء ثلاثة غروش وتطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

٦ سكروج : هي رواية اخلاقية اجتماعية تأليف الروائي الانكليزي الشهير شارلس

ديكنس وقد نقلها الى العربية جرجس افندي عبد الملك أحد تلامذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت وتطلب من حضرته

٧ حديقة الروايات : هي مجلة روائية تاريخية مصورة تصدرها شركة نشر الروايات والكتب الادبية . وبين يدينا الجزء الاول منها موضوعه رواية غرام نابليون بمصر تأليف ليون فيال دي رفيير وتعريب جورج افندي مطران وثمن الجزء ثلاثة غروش وتطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

٣ جرائد ومجلات

١ الحكيم : هي جريدة حرة تبحث في كل شيء تصدر في كوردوبا بارجنتين مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها عزيز افندي حكيم بدل اشتراكها ٨ ريالات بالارجنتين و٢٠ فرنكاً في الخارج . وقد صدرها حضرته بقول سليمان الحكيم « اذا دخلت الحكمة بقلبك ولذت المعرفة لنفسك فالعقل يحفظك والفهم ينصرك »

٢ الثريا : هي مجلة علمية ادبية سياسية تصدر في تونس مرة بالشهر لمديرها بنعيسى ابن الشيخ احمد بدل اشتراكها ٨ فرنكات بتونس و١٢ في الخارج . وهي غير مجلة الثريا لصاحبها ادوار افندي جدي بمصر

٣ الخرطوم : جريدة ادبية فكاهية اخبارية زراعية تصدر في الخرطوم مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها اسعد افندي يمنى المساح بدل اشتراكها خمسة غروش في الشهر بالخرطوم وثمانية في الخارج

٤ الفوائد : جريدة سياسية ادبية اخبارية تصدر في بورتو الاكري بالبرازيل لمحررها سليمان افندي الزغبي بدل اشتراكها ٢٠٠ غرش برازيلي

٤ كتب لغوية

١ معجم حبشي وايطالي : هو معجم يفسر الالفاظ الامحرية (الحبشية) بالفاظ ايطالية تأليف الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي الذي انسنا بلقائه في الشتاء الماضي لالقاء الدروس في الجامعة المصرية . والكتاب كبير يدل على طول باع حضرة المؤلف في هذه اللغة ولحضرته عدة مؤلفات في اللغة الامحرية وآدابها اهدى الينا بعضها فدلتنا على اجتهاد الاستاذ المشار اليه في خدمة هذه اللغة

٢ الكتب الخطية اليمنية في ميلان : هو فهرس مفصل لكتب خطية حملت من اليمن الى مكتبة ميلان وقد عني بوضعها الاستاذ جريفيني في رومة ونشرت في كراريس اجزاء

متتابعة مشروحة باللغة الايطالية

٣ الروضة البهية في الدروس الاسبانيولية : هو كتاب لتعليم اللغة الاسبانية لاهل اللسان العربي تأليف حمدي افندي حريز اللبناني و يشتمل على الالفاظ المستعملة في البيع والشراء والمرض والصحة وكل ما يحتاج اليه في المعاملات اليومية ويطلب من مكتبة الهلال

٥ كتب علمية ومدرسية وغيرها

١ التراب : هو القسم الاول من مكتبة الزراعة التي يحررها احمد افندي مدحت القلبه لي بالتركية و ينقلها جودت افندي حلقي الى العربية وتنشر في حيفا كراريس جاءنا منها الكراس الاول في تحليل التراب واذا توالى نشرها كانت خدمة كبيرة للزراعة وهي تطلب من الناشر في حيفا (سوريا) وثمن الكراس ٣٠ بارة

٢ الثروة العقارية : هو كتاب الفه الدكتور الفريد عيد بالفرنساوية عن الثروة العقارية للقطر المصري وديونه المعقودة على رهن عقاري وضمنه بحثاً اقتصادياً في قيمة الاطيان والاملاك المبنية واراضي البناء في القطر المصري ومقدار الديون المطلوبة عليها وقد نقله الى العربية جورج افندي عطاالله وكيل قلم بنظارة المالية . وفيه ابحاث ذات بال بالنظر الى الازمة المالية الحاضرة

٣ رفيق التلميذ : هو كتاب مدرسي وضع على اسلوب يفيد تلامذة المدارس فوائد ادبية وعلمية واقتصادية ولغوية في فصول عقد كل منها لباب او موضوع تأليف نسيم افندي الحلو ويطلب من مكاتب الاميركان وثمن النسخة ٩ غروش

٤ الحرية في الاسلام : محاضرة القاها الشيخ محمد الخضر بنادي جمعية قدماء تلامذة الصادقية بتونس بحث بها في الحرية بالنظر الى الاسلام

٥ تاج العروس : هو كتاب تهذيبي تأليف ابن عطا الله الاسكندري رتبه وانشأ مطالبه وفسر بعض كلماته صالح افندي حمدي حماد ويليه مختارات من حكم المؤلف و يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرشان

٦ اعظم تذكار للعثمانيين الاحرار : هو كتاب في الحرية ومجلس المبعوثان من تعاليم القرآن لمؤلفه عبدالله افندي الملي في بيروت وقد طبع بالمطبعة الاهلية و يطلب منها

فاتحة الفتوحات العثمانية : هو رسالة اجتماعية لمؤلفها المرحوم نامق كمال بك بالتركية وقد نقلها الى العربية عبدالله افندي مخلص وفيها ابحاث انتقادية عن الفتوحات العثمانية



الهلال

الجزء العاشر من السنة السابعة عشرة

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٩ و١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧

أشهر الحوادث وأعظم الرجال



عبد الحميد الثاني

يستقبل وفداً من المهنئين بعد الدستور سنة ١٩٠٨

عبد الحميد الثاني

حياته السياسية

تكلمنا في الهلال الماضي عن نشأة عبد الحميد الاول حتى تسنم الاريكة العثمانية . ونحن ناظرون الآن في حياته السياسية وماذا جرى على يده أو في ايامه من الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ثم نصف اخلاقه ومناقبه وحاشيته واعوانه وخططه السياسية وعواقبها . ونقسم ما جريات حكمه الى ثلاثة اقسام نبدأ بذكر ما خرج من الولايات عن طاعة الدولة في ايامه ثم الجامعة العربية فالجامعة الاسلاميـة حتى انتهى حكمه باعلان الدستور :

ماذا جرى في اثناء حكمه

١ـ خروج بعض الولايات من سيادة الدولة

بلغت المملكة العثمانية معظم اتساعها في اواسط القرن السابع عشر للميلاد فكانت حدودها الشمالية آخر حدود المجر في اوربا . وكانت املاكها في تلك القارة تشمل بلاد اليونان والروملي وبوسنة والهرسك والسرب والجبل الاسود والبانيا وبلغاريا والمجر والفلاخ والبغدان وكانت املاكها في الشمال بلاد المجر ومايليها شرقاً من ملدافيا وما بعدها من شواطىء البحر الاسود الى بلاد القوقاس . ويدخل في تلك الحدود بلاد يديسان والقرم وسواحل بحر ازوف وقسم من بلاد القوقاس . وفي حدودها الشرقية ولاية جورجيا الى حدود داغستان ويلي ذلك بالشرق والجنوب والغرب ارمينيا وكردستان والاناطول وما بين النهرين و بلاد العرب وسوريا ومصر والسودان وبرقة وطرابلس الغرب وتونس

ثم ضعف شأنها وطمع جيرانها بها فاستقلت اليونان ودخلت المجر في حوزة النمسا وجورجيا في حوزة الروس ثم استولت روسيا على القرم وغيرها

فلما افضت السلطنة الى عبد الحميد سنة ١٨٧٦ كانت المملكة العثمانية مؤلفـة من الولايات الآتية :



في آسيا

- الاناطول: ازميد، بروسة، بيغا، ازمير، قسطموني، انقره وقونيه، اطنه، سيواس، طرابزون
- ارمينيا: اضروم، مامورة العزيز، ديار بكر، بتليس، وان
- ما بين النهرين: الموصل، بغداد، البصرة
- سوريا: حلب، الزور، سوريا، بيروت، القدس، لبنان
- بلاد العرب: الحجاز، اليمن، الاحساء

في اوربا

- رومانيا: الفلاخ، البغدان
- بلغاريا: سيلستريا، ودين، نيش
- السرب
- البوسنه
- الهرسك
- الجبل الاسود
- البانيا
- مكدونيا: يانيا، سلانيك
- الجزائر: كريت، رودس، قبرص، مدللي، ساقس، بطمس الخ

في افريقيا

- مصر
- السودان
- طرابلس الغرب
- بنغازي
- تونس

هذه هي البلاد التي كانت تتألف منها المملكة العثمانية لما تولاها السلطان عبد الحميد فخرج بعضها بالاستقلال ودخل البعض الاخر في حوزة بعض الدول او تحت سيطرتها بالاحتلال . وهذه هي اسماء البلاد التي خرجت من سلطتها وعدد سكانها يزيد على ٣٢ مليوناً :

		عدد السكان
١	الفلاخ والبغدان استقلتا سنة ١٨٧٨ وسميتا رومانيا	٦,٠٠٠,٠٠٠
٢	سيليستريا وودين ونيش سنة ١٨٧٨ سميت بلغاريا	٣,٠٠٠,٠٠٠
٣	الروملي الشرقي استقلت سنة ١٨٧٨ (جنوبي بلغاريا)	١,٠٠٠,٠٠٠
٤	البوسنة والهرسك دخلتا في حوزة النمسا	١,٥٠٠,٠٠٠
٥	الجبل الاسود استقل سنة ١٨٧٨	٢٤٠,٠٠٠
٦	الصرب استقلت سنة ١٨٧٨	٢,٥٠٠,٠٠٠
٧	قبرص احتلها الانكليز سنة ١٨٧٨	٣٠٠,٠٠٠
٨	اردهان وقارص وباطوم من ارمينيا دخلت في حوزة الروس	٠٠٠٠٠
٩	تونس الغرب دخلت في سلطة فرنسا سنة ١٨٨١	٢,٠٠٠,٠٠٠
١٠	تساليا اضيفت الى بلاد اليونان سنة ١٨٨١	٤٠,٠٠٠
١١	مصر احتلها الانكليز سنة ١٨٨٢	١٢,٠٠٠,٠٠٠
١٢	السودان فتحها الانكليز والمصريون	٤,٠٠٠,٠٠٠

خرجت هذه البلاد من حوزة الدولة العثمانية في ايام عبد الحميد خروجاً تاماً الا مصر والسودان فانهما لا تزالان تحت سيادة الدولة بالاسم واما السيادة الفعلية فانها للمحتلين . نعم ان القسم الاعظم من هذه الولايات كان عند تسنمه العرش في ثورة يطلب الاستقلال ولكن العثمانيين الاحرار انما خلعوا عبد العزيز للنجاة من فساد الاحكام الذي آل الى قيام اهل تلك الولايات ومساعدة الدول الاوربية لهن بحجة الدفاع عن النصرانية . فخلعوه التماساً للاصلاح بانتقال الدولة الى الحكم الدستوري فيكون انتظام الاحوال حجة على الدول اذ يطمئن النصارى ويرضون بحكم الدولة . وقد اشترط الاحرار ذلك على عبد الحميد قبل المبايعة فلما بويع اخلف . ثم حل مجلس المبعوثان كما بينا ذلك في تاريخ الانقلاب العثماني في اول هذه السنة . فانتشبت الحرب بين الدولة والروس وآلت الى معاهدة سان ستفانوس ثم عقد مؤتمر برلين وحكم باستقلال تلك الامارات سنة ١٨٧٨ كما هو مشهور . فلو

اخلص عبد الحميد النية في اصلاح حكومته وابقى على الدستور لرجعت الدول عن مطالبها كما رجعت بالامس عند اعادة الدستور بعد القرار الذي قررته في ملاقاة روال ولم ترجع الا لانها تحققت اتحاد العناصر بالدستور في مكدونية وابطال المنازعات كما ذكرناه في خلاصة خواطر نيازي بالهلال الماضي • فعدلت الدول عن قرارها بل كانت عوناً للاحرار على تدبير شؤونهم • فلو اخذت الحكومة العثمانية في الاصلاحات المطلوبة لما تولى عبد الحميد وابقت على الدستور لما بقي للدول حجة للمداخلة في شؤونها وبقيت تلك الولايات في حوزتها • ولكنها لم تفعل وسلطانها مسئول عنها لانه مطلق التصرف

وقد اساء السلطان عبد الحميد لمصر على الخصوص فجرَّ عليها الاحتلال الانكليزي بتردده وفساد مشيريه في اثناء الحوادث العرابية لان الدول كلفته ارسال مندوب ينظر في اخماد الثورة فانفذ درويش باشا وهو غير كفء ولم يتصرف بما يجب فعاد وقد زادت المسألة ارتباكاً واستفحل الامر فخافت الدول على مصالحها بمصر وقررت عقد مؤتمر في الاستانة للنظر في اخماد الثورة اما بجند عثماني او مختلط فابى الباب العالي عقد المؤتمر ولو فعل لأيد سيطرته على مصر بارسال جنوده لمقاتلة عرابي وقمع العصاة ولكنه لم يفعل • ويقال ان بهرام آغا كبير خصيانه اشار عليه بذلك بدعوى ان ارسال الجند يقلل العساكر التي تحافظ على سراي يلدز ! ولو ارسل السلطان الجند لم يكن ثمت باعث على مداخلة الانكليز او سواهم في شؤون مصر على الاقل • ولم يقتصر الضرر على عدم ارسال الجند ولكنه اظهر رضاه عن عرابي بنيشان انعم به عليه فاشتد ساعد العصاة وزاد تمردهم • فاضطر الانكليز الى ضرب الاسكندرية ثم الاحتلال

واعتبر ذلك ايضاً في السودان فان المهدي لما اشتد ساعده وابادَ جيش هيكس باشا سنة ١٨٨٣ اشارت انكلترا باخلاء السودان وفتحت للسلطان سبيلاً لارسال جيش عثماني لاخماد الثورة هناك بشرط ان يجعل طريقه من سواكن فابى ولو فعل لاستبقى السودان وربما فتحه بلا حرب بما للخليفة من النفوذ الديني

وذكروا في خروج تونس من سيادة الدولة ان السلطان لما اراد ان يقبض على مدحت باشا وهو والٍ في ازمير التجأ الى قنصل فرنسا فطلبته الدولة فتوقفت فرنسا عن تسليمه وتخابرتا فانتهت المخابرة بان تسلم فرنسا مدحت بالشمال وتستلم تونس باليمين فاشترت مملكة برجل وانت تعلم الغرض من القبض على مدحت باشا — وكم صاح الباي واستغاث بالدولة او بالسلطان يلتمس رجوع تونس لسيادة الدولة وما من مجيب

٢ ــ نهوض العرب والجامعة العربية

لما وافقت الدولة على استقلال الجبل الاسود و بلغاريا والسرب وغيرها من ولاياتها باوربا تنبه سائر رعاياها لحقوقهم واستضعفوها وقاموا يسعون في الاستقلال ولاسيا العرب والارمن . أما العرب فجعلوا يتحدثون بالجامعة العربية وهي تشمل سوريا والعراق ومصر وبلاد العرب . ووافق ذلك تولي مدحت باشا سوريا على اثر فشله بالدستور فنشط ذلك الشعور في السوريين فانشأوا الجمعيات السرية ونشروا المنشورات التحريضية ونظموا القصائد الثوروية يحثون بها العرب على التشبه بالامم التي استقلت في الروملي واحسنها القصيدة السينية للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي ومما جاء فيها بهذا المعنى قوله :

او لستم العرب الكرام ومن هم الشم المعاطس
فاستوقدوا لقتالهم ناراً تروع كل قابس
وتشبهوا بفعال غيركم من القوم الاحامس

يريد التشبه بالجبل الاسود والسرب وغيرهما في القيام على الاتراك . ناهيك بمن قام في جزيرة العرب من طلاب الاستقلال باليمن ونجد وغيرهما وفيهم الامراء والقواد هذا يدعي الامارة وذاك النبوة وآخر الخلافة فظهر ابن عروق في نجد وثارت المنتفق في البصرة وشمر في بغداد والدروز في حوران وجرد السلطان حربهم بلا فائدة . فقلق خاطره وتولاه الخوف فعمد الى الحيلة فاخذ في التفريق بين العرب يغضب بعضهم على بعض . فقرب جماعة منهم استعان بهم على آخرين وعمد الى الفتك والقتل على التهمة سراً وجهراً وبث ارصاده من المشائخ في البلاد يبشرون به وشعر في تلك الساعة بحرج مركزه فصرف اهتمامه الى حماية شخصه بالحرس ولم يعول في ذلك على جند الاستانة فاستقدم شراذم من رعاياه الابعدين على اختلاف عناصرهم واجناسهم بحيث لايخاف اتفاقهم عليه فجعل بينهم فرقة من العرب وأخرى من الالبان وأخرى من الاكراد وغيرهم

واتخذ اعواناً من العرب قربهم اليه وقدمهم على اعوانه من سائر الملل . فقد كان الاتراك والالبان والاكراد والشراكسة كثيرين في مصالح الدولة والباب العالي اما رجال المابين فالنفوذ فيه للعرب واكثرهم من المشائخ اهل الطرق وفيهم ابو الهدى والشيخ ظافر وغيرهما كما سيأتي وكان يعول على هؤلاء في استكشاف الغيب و يستشيرهم في مهامه . فانقذه ذلك من الجامعة العربية التي كان يخافها على حياته وملكه وساعده على مقاومة الاتراك الاحرار المطالبين بالدستور . على انه لم يكن يحسن الظن باحد فتدارك ما يخافه من نهضة العرب



الحرس الالباني في يلدز

بترغيب الاكراد والشركس في المهاجرة الى سوريا وحوران وغيرهما لعلهم ينجدونه اذا تعاون العرب عليه

٢ - الجامعة الاسلامية

على ان استسلامه لاولئك المشائخ وامثالهم نبهه الى التمسك بالجامعة الاسلامية وهي تشمل كل مسلم في المملكة العثمانية وفي غيرها . فارسل دعاته في الانحاء لنشر نفوذه باسم الدين بحجة انه خليفة النبي وانشأ لهذا الغرض مدرسة خاصة لتخريج الدعاة وبثهم في هذا السبيل كما يفعل المبشرون المسيحيون في نشر النصرانية فانتشرت دعاة الخلافة الاسلامية في اطراف العالم الاسلامي الى الهند والصين وجزائر المحيط وحيثما وجد المسلمون . فلم يبق مسلم يعترف بخلافته كما يعترف الكاثوليك بخلافة البابا حتى زاد المعترفون بسلطته الدينية على ٢٥٠ مليون نفس منتشرين في انحاء العالم تحت سيطرة الدول المتمدنة على هذه الصورة :

عدد	
٨٢,٠٠٠,٠٠٠	تحت سيطرة الانكليز في الهند ومصر وغيرهما
٣٤,٠٠٠,٠٠٠	في مملكة الصين
٣٠,٠٠٠,٠٠٠	تحت سيطرة هولندا
٢٠,٠٠٠,٠٠٠	« « فرنسا في افريقيا
١٨,٠٠٠,٠٠٠	« « الروس في تركستان وغيرها

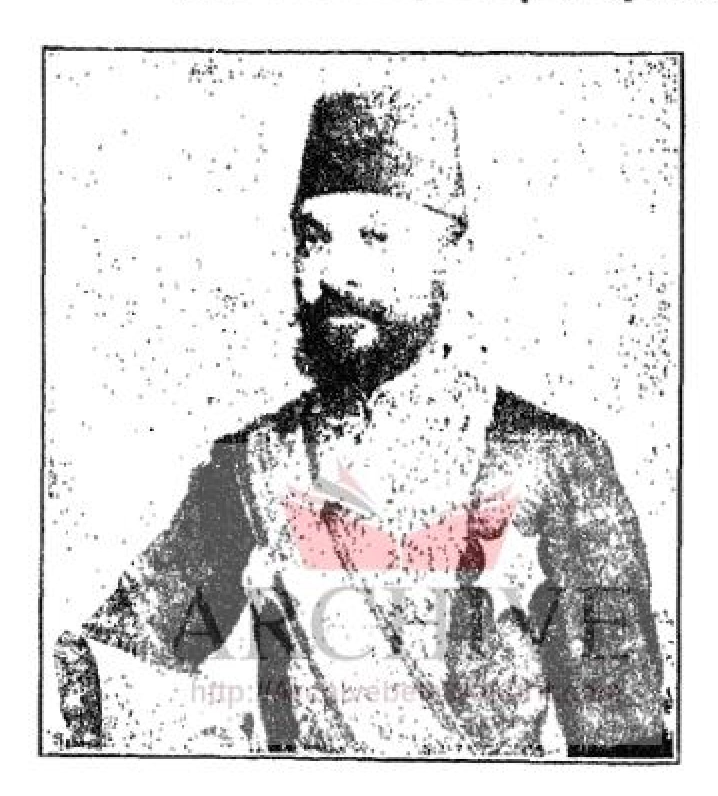
١٦,٠٠٠,٠٠٠	في المملكة العثمانية
١٠,٠٠٠,٠٠٠	« مملكة الفرس (؟)
٦,٠٠٠,٠٠٠	« مراكش
٥,٠٠٠,٠٠٠	« افغانستان
٤,٠٠٠,٠٠٠	بلاد العرب
٢,٠٠٠,٠٠٠	تحت سيطرة الالمان

وقد بذل في نشر نفوذه الديني كل مرتخص وغال . واجتذب قلوب امراء المسلمين في العالم الاسلامي بالرتب والاوسمة والهدايا فاصبح الامير من هؤلاء وان كان في الهند او الصين يتبرك بهدية الخليفة و يخلص النية في مبايعته ويفاخر اقرانه بالوسام اذا حصل عليه وعرفنا جماعة كانوا يتجرون بالتوسط في منح الاوسمة العثمانية الى ملوك الهند وغيرهم

واتفق ظهور جمال الدين الافغاني في تلك الاثناء وغضبه من شاه الفرس وذهابه الى اوربا فاستقدمه عبد الحميد اليه سنة ١٨٩٢ فكان افضل وسيلة لنشر تلك الجامعة بماله من الشهرة الواسعة في الاطراف البعيدة . وكان عبد الحميد يفعل ذلك سراً فلما ترجمنا جمال الدين بالسنة الخامسة من الهلال اشرنا الى ذلك بقولنا « ان المحور الذي كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة المسلمين وجمع شتاتهم في سائر قطار العالم تحت ظل الخلافة العظمى » وكان الهلال يدخل المملكة العثمانية بلا معارض فلما ظهرت فيه هذه الترجمة اهتم به المابين وامر تلغرافيًا بالقبض على اعداده الواردة الى المملكة العثمانية وارسالها الى الاستانة فاضطررنا لاعادة طبعه واصبح الهلال تحت المراقبة من ذلك الحين

وكان للجامعة الاسلامية تأثير في اوربا فقلقت لها روسيا وانكلترا وفرنسا لكثرة من في حوزتهم من المسلمين واصبح المسيحيون في المملكة العثمانية ينظرون الى اخوانهم المسلمين بعين الحذر والحكومة تنصر المسلم على غير المسلم والمسيحيون يرجون نصرة الدول المسيحية فيزداد المسلمون كرهاً لهم وتعصباً عليهم • وظهر ذلك التعصب في اقبح مظاهره في المذابح الارمنية • والسبب المحرك لهذه المذابح ان اعوان السلطان وهم الذين يسمونهم الكامرلا كانوا يحسدون الارمن على نجاحهم في الاعمال التي كانوا يتعاطونها في التجارة او السياسة او غيرهما وصاروا يعدون حسناتهم سيئات واخذ حسادهم بتتقدونهم ويتهمونهم بالفظائع ويحرضون الحكومة على مناوأتهم • واتهموا عبد الحميد بالتغاضي عنهم لان والدته منهم فاراد ان يدفع هذه التهمة عنه فأثار جيرانهم الاكراد عليهم فابتدات المذابح

الارمنية سنة ١٨٩٤ وهي اشهر من ان تذكر • ويقدَّر الذين قتلوا فيها بمئات الالوف في طرابزون وارضروم وكيغي وارزنجان وبتليس وبيورت وملاطية وديار بكر وماردين واربكير ووان وغيرها وعقب ذلك مذبحة الاستانة سنة ١٨٩٥



عزت باشا العابد في ابان نفوذه

فهاجت خواطر الدول واخذت تهدد السلطان وتلقي عليه تبعة ذلك وخصوصاً انكلترا فانها ارسلت اسطولها الى مياه القسطنطينية فخاف عبد الحميد خوفاً شديداً ولم يكن يصغي الا الى اعوانه من اهل المابين فسنحت الفرصة اذ ذاك لعزت العابد بالظهور وهو من اهل الذكاء والدها فدخل على السلطان وهو في ابان الاضطراب فخفف عنه واقنعه ان لا بأس عليه من الدول لانهن متباينات في اغراضهن ولا خوف من اجتماعهن عليه • وتعهد له ان يستميل منهن دولة اوغير دولة تأخذ بناصره سرًّا • فاصغى السلطان لرأيه وعدَّ وجوده عنده نعمة كبري وسماه صديقه الوحيد • وقد افلح عزت في نصرته وانقذه من ذلك الخطر فخرج عبد الحميد من تلك الذابح وهو ينفض ثوبه من اثمها واتفق نهوض اليونان للحرب فجرد عليهم فانتصر جيشه فعوض شيئاً من الفشل الذي

كان قد لحق به لكن تلك الحرب آلت الى ذهاب كريت فضلاً عن تساليا و بعض ابيروس. فاراد توجيه انظار العالم عنه والاشتغال عن سيئاته فاشار عليه عزت بمد السكة الحديدية الحجازية من الشام الى مكة . واعطى الرخصة بانشاء السكة الحديدية في الروملي فاشتغل العالم الاسلامي بامر السكة الحجازية مدة طويلة ولهوا بها عن كل شيء وقد جاء ذكرها في الهلال مرارًا وهي حسنة اذا تمت سيذكرها التاريخ لعبد الحميد

وما انفك الارمن في اثناء ذلك يسعون في الانتقام من السلطان فالقى بعضهم القنبلة سنة ١٩٠٥ في الجامع فانفجرت وقتلت كثيرين ولم يمس هو بسوء ولكنه اشتد خوفه على حياته فاخذ يستكثر من الحرس والجواسيس ويبذل الاموال بلا حساب . واراد اخيرًا ان ينقل ولاية العهد الى ابنه برهان الدين افندي فلم يوفق الى ذلك ثم اتيح للاحرار نيل الدستور فانتهت حياته السياسية

صفاته وعاداته واخلاقه

١ - صفاته الشخصية

هو نحيف الجسم ربعة او تحت الربعة لا يزيد طوله على خمسة اقدام عصبي المزاج قوي العارضة متوقد الذهن . وقد تغيرت سحنته في كهولته عما كانت عليه في شبابه لفرط ما قاساه من بواعث الحذر والخوف على حياته فمن عرفه في شبابه قد ينكره لو رآه اليوم . وترى ذلك الفرق واضحًا بين رسمه قبل توليه الملك ورسمه اليوم فقد برز فكاه ووجنتاه وخفت لحيته وتساقط شعر رأسه فصار يغطي صلعته بطربوش كبير ينزله الى اذنيه . ونظرًا لشدة احمرار الطربوش وكبره يظهر ضعفه وامتقاع لونه ظهورًا واضحًا

وهو يخضب شعره وله انف اعقف ارمني الشكل . وكانت عيناه في شبابه كبيرتين بارزتين فاصبحتا الآن غائرتين لارتخاء الجفن العلوي من الشيخوخة . و يغلب في سحنته المظهر السوداوي اذا رأيته تحسبه مثقلاً بالهموم وترى الحذر والخوف باديين في عينيه وجبينه . ومع ذلك فانه من اقوى الناس على كظم الغيظ واظهار اللطف والاخلاص وفي عينيه ملامح مخيفة لا يستطاع السكون اليها الا بالعادة . وفي مجمل سحنته نفوذ واقناع وهو شديد التأثير على محادثيه فلا يخرج احد من عنده الا راضيًا . على ان ملامحه كثيرة التقلب يظهر فيها الذكاء تارة والبلاهة اخرى والاخلاص تارة والرياء اخرى . وقد قال احد معاشريه من اعوانه « لا اعلم الى الآن اذا كان السلطان عبد الحميد ذكيًا او بليدًا جسورًا او جبانًا حكيمًا او معتوهًا » وهو لا يعرف من اللغات الا التركية والفاظًا قليلة من العربية



عبد الحميد في اواخر ايامه

على لهجة اهل الحجاز اخذها عن افواه الخصيان السود في الحرم السلطاني · وكان في صباه يعرف شيئاً من الفرنسوية ولكنه نسي اكثره

وعنايته بالمطاعم والمشارب لا تزيد على ما تقوم به الحياة وليس في حياته زهو او تلذذ بالخيال وانما يقتصر في اعماله على الجد فيندر ان يضحك ولا يحب المضحكين ويتجافى عن سماع النكت · واذا تجاسر احد جلسائه على سرد حكاية من هذا القبيل حول وجهه عنه · وهو لا يشرب الخمر ولا ينام في حجرة مرتين متواليتين · يصب الماء على جسده ثلاث مرات في اليوم ولا يستغرق في النوم ولا يطيله فربما لا ينام من الليل اكثر من اربع ساعات

٢ — اعماله اليومية

كان ينهض باكراً بين الساعة الرابعة والخامسة صباحاً وعليه قميص (عنتري) وقفطان طويل من الموصلين ويهرع على قدميه بالبنطوفلي السوداء الى الحمام ولا يكثر من صب الماء في حمامه او هو عبارة عن الوضوء · ثم يتعاطى بعض الحركات الرياضية وينصرف الى قاعة العمل حيث يتناول القهوة يصنعها القهوجي باشي بين يديه · ثم يدخن السيكارة ويكثر من ذلك حتى يكاد لا يقطع التدخين الا وقت الرقاد · وبعد القهوة يتناول فطوراً خفيفاً من البيض واللبن ثم يعمد الى قراءة التقارير التي تأتيه من جواسيسه المنتشرين في اطراف

الارض وقد يساعده في فض الرسائل كبير الخصيان او احد الياوران المقربين . ويأمر بترجمة ما كتب عنه او عن دولته في الجرائد الاجنبية ويتصفحها ويعلق عليها

ونحو الساعة العاشرة يتناول الغداء وهو على الغالب بسيط ثم يأتيه الباشكاتب ويعرض عليه ما حدث فيامر بما يلزم . ثم يعمد الى النظر في شؤون الدولة ويامر الباشكاتب تبليغ ذلك الى الوزراء واشهر من فعل ذلك من باشكتابه وآخرهم تحسين باشا . اما الوزراء فيندر ان يمثلوا بين يديه وانما اعتماده على الباشكاتب

وبعد الاشتغال بضع ساعات في ما تقدم وهو جالس على كرسي طويل يخرج للنزهة في حدائق يلدز . وقد اخذت مساحة ذلك المتنزه تنقلص بتوالي الاعوام وتعاظم الخوف حتى اصبحت في اواخر ايامه قطعة صغيرة من تلك الحدائق يسير فيها على فرسه وبين يديه اثنان من ياورانه وهما مفوضان بقتل كل من يجدانه في ذلك الطريق . واذا احب ان تطول نزهته اصطحب القهوجي باشي ومعه ادوات القهوة ومعداتها ليطبخها عند الطلب . ومن الالعاب الرياضية التي تعودها من صغره اطلاق الرصاص . وقد برع بالاصابة حتى ذكروا انه يكتب اسمه على الحائط برصاص المسدس وهو على بعد ٢٥ خطوة وقد يرمي البرتقانة في الهواء ويصيبها بمسدسه . ومن ملاهيه في ساعات الفراغ انه يدخل دار الحريم فيتناول قدحاً من العرقي لتنبيه شهوة الطعام ويسمع الانغام الموسيقية الشرقية . وكثيراً ما يتلاهى بالصياغة او النجارة او الرسم او التحليل الكيمي ولكل ذلك معدات وادوات في يلدز

وكان يتناول العشاء نحو الساعة السادسة مساء وعشاؤه بسيط ايضاً . وفي تحضير طعامه على بساطته مشقة كبرى لشدة خوفه على حياته وسوء ظنه بمن حوله . ومن الاحتياطات التي اتخذها لوقاية نفسه انه ابعد الطاهي الذي يصنع له الطعام عن كل علاقة باهل الدولة وامره ان يقيم في حجرة مضبوطة النوافذ بابها من الحديد على يسار باب القصر الكبير المسمى باب السلطنة « سلطنه قبوسي » فيصنع الطعام تحت مراقبة الكلارجي باشي وكان لعبد الحميد ثقة شديدة فيه . فمتى نضج الطعام حمله الى غرفة المائدة اثنان من الخدم بلباس اسود على مائدة اشبه بصندوق مقفل طوله ٨٠ سنتيمتراً عليه كساء من السجاد برسم السلطان ووراءهما خادم يحمل طبقاً مغطى بكساء اسود وقد ضمت اطرافه وختم عليها بختم الكلارجي باشي ويأتي بعد ذلك خادم يحمل وعاء الخبز ثم خامس يحمل زجاجة الماء مختومة ايضاً . يسير هذا « الوفد » من المطبخ الى غرفة المائدة باحترام فاذا لقيهم احد في اثناء الطريق انحنى احتراماً لصاحب الطعام . حتى اذا بلغوا المائدة ادخل الكلارجي باشي الطعام وفض الاختام عنه

بين يدي السلطان وقدم له الاطباق وعليها الالوان فيتناول ما شاء . وهو لا يتناول الطعام الامنفرداً الا على غير نهم او شراهة واذا دعا احداً ليتناول الطعام معه فتعد دعوته اكراماً خاصاً

فاذا تناول العشاء عاد الى مطالعة تقارير الجواسيس ثم يذهب الى الفراش متاخراً ولا ينام الا والانوار مضيئة في كل القصر ويقفل الابواب بيده ويذهب الى الفراش والمفاتيح معه . و يطالع قبل النوم بعض الكتب يقراها بنفسه او يقراها له بعض خاصته . والمواضيع التي يميل الى مطالعتها ماعدا التقارير التي يرفعها اليه الجواسيس كتبٌ في القصص الخيالية الحماسية التي يكثر فيها القتل والغدر والنهب والدسيسة وخطف الاولاد والنساء كرواية روكمبول ونحوها والحوادث التاريخية الشهيرة التي فيها حوادث الموت الفظيع على الاساليب الغريبة . واهم كتاب سياسي فلسفي يطالعه انما هو كتاب « لا برنس » تاليف ماكيافالي ونحوه . يقرأ هذه الكتب عليه القارئ وبينهما حاجز حتى اذا غلب عليه النعاس نام نوماً قلقاً يستيقظ لاقل حركة فضلاً عن الاحلام المزعجة التي تتولاه . وينهض بين الساعة الرابعة والخامسة الى الحمام كما تقدم . وهو يحب من الوان الالبسة غير الزاهية ولا سيما الكحلي والكستنائي والاسود



عبد الرحيم افندي بن عبد الحميد

وله اولاد كثيرون ذكرنا اسماءهم وسني ولادتهم في الهلال السادس من هذه السنة

احبهم اليه البرنس عبد الرحيم لصغر سنه وهو الذي اصطحبه الى منفاه في سلانيك

٣ ـ اخلاقه

نشأ عبد الحميد من صغره على الحذر وسوء الظن مع الحرص على حياته والاحتفاظ بها للاسباب التي ذكرناها في كلامنا عن نشأته الاولى قبل توليه الملك . فلما افضت اليه السلطنة توالت عليه المخاوف ـ بدأت بتضييق عمه عبد العزيز عليه وعلى اخيه مراد بعد رجوعهم من اوروبا . اضف الى ذلك ما رآه بعينه من خلع عمه ثم موته ومقتل عوني بجرأة حسن الشركسي ثم خلع اخيه مراد . فرأى حياة السلطان ليست اكثر صيانة من حياة العامة او هي اكثر تعرضاً للخطر منها . فزاد تعلقاً بالبقاء واشتد خوفه على نفسه حتى بلغ الى درجة الهوس او الجنون الخاص فاصبح لا يسمع حديثاً او يرى مشهداً او يقول قولاً او يعمل عملاً الا وهو ينظر من وراء ذلك الى علاقته ببقائه . واضطر للمحافظة على نفوذه واستبداده في اول سلطنته ان يسيء الى بعض الاحرار بالابعاد او القتل بدسائس اشرك بها بعض خاصته فاصبح يخاف نقمة اهل القتلى ويخاف دسائس اولئك الخاصة . وازداد ظنه سوءاً بالناس وصار مدار افكاره ومعاملاته على التحذر فاستعان على ذلك بالتجسس وزاده الجواسيس خوفاً على حياته استدراراً لماله فازداد تعلقاً بهم وتجسساً عليهم . فلم يكن يستقر له قرار في ليل ولا نهار ولا يخلو مجلسه او فراشه او جيوبه من المسدسات المحشوة يطلقها على المتهم بين يديه لاقل شبهة تخطر له . واصبح لا يثق باحد فاضطره ذلك الى الاطلاع على ما جريات الاحوال بنفسه يقضي الساعات والايام في مطالعة التقارير والاوراق ـ وفي ذلك من الجهد ما لو بذله في مصلحة بلاده لم يصبها سوء . على ان ما كان يبذله في مصلحة الدولة انما كان ينظر من ورائه الى حفظ حياته وبقاء استبداده كأنه وقف حياته على حفظ حياته

واشتدت هواجسه حتى صار يخاف اقرب اقربائه . ذكروا ان جارية شركسية عمرها تسع سنوات كانت تخدمه فوقف يصلي بعض الاوقات وامامه مرآة رأى منها ان الجارية خطت خطوة من مكانها وكان قبل الصلاة وقد وضع مسدسه في بعض اطراف الغرفة فظنها ذاهبة نحوه فنهض من الصلاة وهم بقتل الفتاة واخذ باستنطاقها فقامت السراي وقعدت وانتهى الامر بنفي الجارية وعشرات من الجواري — ومثل هذه الحوادث كثير . ورأى مرة من نافذة قصره احد القائمين على تربية نجله سليم افندي يكلم عسكرياً فامر بالقبض عليهما واشتغل بالاستنطاق اسبوعاً

وهو كثير التردد لكنه اذا عقد العزيمة على امر كان حكمه قضاء مبرماً لا يبالي ما يبذل في سبيل انفاذه من المال او يقتل لاجله من النفوس ولا سيما اذا كان ذلك في سبيل حفظ حياته

وهو يصدق المنجمين واصحاب المندل و يعتقد الكرامة في المشائخ و يتوهم اقتدارهم على استطلاع الغيب . وفي مزاجهِ غرابة فانه عصبي والعصبي حاد المزاج وهو حادٌ اذا غضب لا يبالي ما يقول او من يضرب او بماذا يضرب . فقد غضب مرة على سعيد باشا فضربه بالدواة . ولهُ مع ذلك قدرة غريبة على الكظم والتظاهر بما ليس فيه بلاطف جليسه و يبتسم له وهو يكاد يتميز غيظاً منه . وقد ظهر ذلك باكبر مظاهره عند اعادة الدستور بالامس . ليس من ينكر انه قاوم الدستور من اول حكمهِ وبذل في سبيل ابطاله كل قواه واموالهِ وقتل الوفاً من الابرياء الاحرار خوفاً من رجوعه . فلما اقرت جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك على انذاره باعادة الدستور وبلغ الانذار الى المابين تباحثوا في من يبلغه الى السلطان وهم يتوقعون الخطر على حامل تلك البشرى اليه . فتباعدوا وتقدم اشجعهم ورفع الخبر الى مولاه وقلبه يختلج خوفاً فاذا بالسلطان ابتسم وقال « هذه هي النعمة التي قضيت عمري في انتظارها » ولما التقى الاحرار به بعد نزولهم الاستانة شكا لهم ما كان يقاسيه من العذاب وان الدستور نعمة له كما هو لهم . ولما أدب المادبة لمجلس المبعوثان اظهر سروراً لا مزيد عليهِ حتى بكى فرحاً . ولم تمض اشهر قليلة حتى ظهر انه كان يدبر الوسائل لقلب الحكومة وخراب المملكة

وفي فطرته ميل الى الحرص اشرنا اليه في كلامنا عن صباه لكنه تغير في كهولته فاصبح يسخى أو يحرص تبعاً للاحوال فربما امسك عن عطية قليلة مرة واعطى عطية كبيرة مرة اخرى لشخص واحد حسب غرضه او ما يتراءى له . وهو شديد التعويل على المال في تنفيذ اغراضه حتى صار يعتقد بالقياس على ما يراه من المتملقين حوله انه يقدر ان يرشو غلادستون وبسمارك وملك الانكليز عند الحاجة . وكان المال سلاحه الاعظم في مشروعاته . اما الاوسمة والرتب فكانت من وسائل الاسترضاء او الاغراء ـ ذكروا ان المذابح الارمنية كلفت الخزينة ٦٤٠ وسام و ٢٣٥,٠٠٠ ليرة انفقت على الجرائد الافرنجية لتحويل الانظار عنه فقد ابتاع اقلام كثير من الجرائد واراد ان يرشو التيمس فلم يفلح

وهو يقوم بالفرائض الدينية الاسلامية لكن يظهر من مجمل اعماله انه ضعيف الايمان ولكنه كان يلجأ الى الدين متى اراد به التعصب على المسيحيين او غيرهم او جمع كلمة المسلمين في نصرته

خطته السياسية

قد علمت مما تقدم من اخلاق عبد الحميد ان اعظمها واهمها حرصه على السيادة وخوفه على حياته وسوء ظنه بمن حوله . فماذا تتوقع ان تكون خطته السياسة غير التمسك بمنصبه والسعي في استبقاء حياته ؟ وهو الواقع فقد كانت وجهته في اول سلطنته مطاردة الذين يظنهم يقاومون نفوذه او يريدون غل ايديه وهم الاحرار . فنفى بعضهم وقتل بعضهم وكسر شوكة آخرين . ثم علم انه اساء الى قوم اقوياء صاروا يترصدون فرصة يثبون بها عليه فزاد خوفه على حياته وهان عليه الفتك في سبيل حمايتها فقامت الحرب بينه وبين الاحرار وهم منتشرون في اطراف المملكة مبثوثون في الامة كالخمير في العجين فاصبح يخاف اجماع الامة عليه فجعل همه التفريق بينها وهي سياسة التقسيم

١ — سياسة التقسيم

ان سياسة التقسيم ويراد بها معنى قولهم « قسم تملك » ليست من مخترعات عبد الحميد فقد اتخذها قبله العباسيون في اول دولتهم اذ خافوا اجماع العرب عليهم لاخراج الملك من ايديهم فاشار كبيرهم على المنصور بالتفريق بين القبائل بالمنافسة بين اليمنية والمضرية ففعل واستتب له الملك [1]

وعبد الحميد لما خاف اجتماع الامة عليه وهو يعلم انه اساء اليها اخذ في التفريق بين عناصرها بايغار صدور بعضها على بعض اما بالتعصب الديني بين المسلمين والمسيحيين بالجامعة الاسلامية او بين الطوائف النصرانية بالتحاسد فيهب هذه الطائفة امتيازات يحرم منها تلك ويقدم هذا البطريرك ويبعد ذاك ويسر الى هذا تفضيله على ذاك مما يثير الضغائن والاحقاد ويباعد ما بين القلوب . او يلجأ الى التعصب الجنسي بين الاتراك والعرب والارمن والاكراد والشركس وغيرهم فيقدم البعداء ويبعد الاقرباء ولذلك قدم العرب يستعين بهم على الاتراك واحسن الى الاكراد والالبان وهم اهل حرب وشدة فاوهمهم انهم اقرب اليه من سواهم فاصبحوا يفتدونه بارواحهم في المحافظة على حياته واشتد كرههم للاجناس الاخرى التي هي اقرب منهم الى المدنية كالاتراك والارمن

وقد اتبع هذه السياسة في علاقاته مع الدول فكان يوهم كل دولة انه لا يعول على

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٤ ص ١٣١

سواها . يصرّ ذلك الى وكلائها في الاستانة فيقوم التنافس بين الوكلاء وكثيرًا ما كان يؤثر ذلك في علائقهم السياسية . واما في الشعوب العثمانية فقد أدت تلك السياسة الى المنازعات والفتن والمذابح وآخرها حدث بالامس في اطنه

واتخذ اسلوبًا آخر من التقسيم بين اهل البلد الواحد فهو بالاجمال ينصر المسلمين على غيرهم لكنه كان يزيدهم تفريقًا بنصرة الضعيف على القوي فيجعل الحكومة تاخذ جانب الفئة القليلة . فالبلد الذي يزيد فيه المسيحيون على المسلمين تاخذ الحكومة فيه جانب المسلمين كما كانت تفعل في بيروت لحفظ الموازنة ــ وكان ذلك من اكبر اسباب النزاع الذي اشتهرت به بيروت في العهد السابق ــ لانها اذا نصرت القوي اذعن له الضعيف واتحدا . ولهذا الغرض كانت تاخذ جانب المسيحيين في دمشق لانهم اقل عددًا من المسلمين فيها . وقس على ذلك سائر الولايات

وخوفًا من ان توفق احدى الولايات الى والٍ حكيم يجمع كلمتها كان يختار الولاة من خاصته ويقيد اعمالهم بارادته ويفرق بينهم وبين الجند الذين هم في ولايتهم . فلم يكن يتفق الوالي والمشير في ولاية الا نادرًا بل كان كل منهما عينًا على الآخر . واعتبر ذلك ايضًا في نفس الاستانة فانه القى الضغائن بين وزرائه وكتابه وشيوخه وعلمائه بتقديم بعضهم على بعض . فابعد عن الاستانة من اهل الحل والعقد الذين يخاف اجتماعهم وابقى فيها من يعلم انهم لا يجتمعون . وجرت عادته ان يعد كل وزير في الوزارة بالصدارة حتى لا يعيش الصدر منهم مستريحًا وحتى لا يجد فرصة من مكائدهم ليفكر في خلع السلطان

وكثيرًا ما كان يستدعي الصدور المعزولين ويختلي بهم على علم من الصدر المنصوب ليكون عينًا عليهم لاتنام . وقد استدعى في احدى الليالي المرحوم خير الدين باشا الى المابين ودخل به الى حجرة بعد حجرة بعد اخرى وامر الحاشية ان يغلقوا جميع الابواب فاخذ الصدر المعزول يعظم في نفسه ما سيلقيه عليه السلطان من الاسرار المهمة . فجلس معه مدة طويلة والحديث كله عن الطيور والعصافير وخرج وهو لا يدري على اي شيء بنى عبد الحميد هذه الخلوة بتلك الصورة العجيبة

ولا يخفى ما يدعو اليه ذلك التقسيم من الخراب والفساد وكم في غل ايدي الولاة عن العمل من اسباب الانحطاط لكنه لم يكن يهمه الا بقاء نفوذه ولو خربت المملكة وذبح اهلها

٢ ــ تقييد العقول

وبديهي ان يسعى عبد الحميد في تقييد العقول وقد شاهد بنفسه ان الذين خلعوا عمه عبد العزيز واخاه مرادًا وولوه هذا المنصب انما هم الاحرار المستنيرون بالعلم والسياسة بنصرهم

رجال العلم والادب . وان اعداءه يكثر عددهم بزيادة المدنية وانتشار الافكار الحرة فجعل همه تقييد الافكار فضيق على المطبوعات ومنع الاجتماعات ووقف في سبيل المدارس

اما المطبوعات ولاسيما الصحافة فقد انشأ لها قلماً خاصاً للمراقبة والتضييق عليها وغل ايدي الكتاب وقد فصلنا ذلك في كلامنا عن الانقلاب العثماني في الهلال الاول من هذه السنة تحت عنوان « المراقبة على المطبوعات »

اما المدارس فان التضييق عليها اقرب نتيجة الى ما كان يريده لانها تضيق العقول منذ الصغر فلو استطاع اقفالها جميعاً لفعل ولكن التعليم كان قد بدأ في المملكة العثمانية وانشئت له المدارس الاميرية الاعدادية والرشدية في الولايات وبعض المدارس العالية في الاستانة من زمن عبد العزيز . فلما تولى عبد الحميد اوهم الناس انه سائر على خطة عبد العزيز فانشأ بعض المدارس لكنه تسيطر على طرق التعليم فيها وشدد المراقبة عليها فمنع العلوم الفلسفية والاجتماعية وحظر على الاساتذة القاء الشروح المفيدة للتلامذة وابعد المعلمين العقلاء في جملة من ابعدهم من الاحرار الى فزان وغيرها واصبحت العلوم في تلك المدارس ناقصة حتى علم التاريخ فانه اصبح ضعيفاً وشوهت الجغرافية لما احدثوه من التغيير في خريطة البلاد العثمانية حتى يوهموا الناس انها غير ما هي ! فلم يكن الاساتذة يلقون من العلم الا ما يؤمرون بالقائه وعلى الكيفية التي يوحى اليهم القاؤه بها . فكان احدهم يخاف ان تبدر منه بادرة وهو يلقي درساً في النحو تأول الى وقوع الشبهة عليه

واعتبر كم يكون ذلك التضييق شاقاً في المدارس العليا كالمكتب الطبي والمدرسة الحربية ومدرسة الحقوق فهذه العلوم لا تستغني عن الفلسفة باختلاف مواضيعها فانظر مقدار ما كان يقاسيه الاساتذة وتلامذتهم في تجنب الوقوع تحت غضب السلطان اذ لم يكن يؤذن لهم في ذكر « الحرية الشخصية » او « الحكم الدستوري » او « الجمهورية » او ما شاكل من انواع الحكومات

فلو تركت الناشئة العثمانية لرحمة المدارس الاميرية لكانت في ظلام دامس لا يرجى معه الخروج الى النور . ولكن الفضل في ما انتشر بين العثمانيين من انوار العلم وروح الحرية مرجعهُ الى المدارس الاجنبية التي انشأها اهل البر من اغنياء اوربا واميركا كالمرسلين الاميركان والانكليز واليسوعيين والعازاريين والابروسيانيين وغيرهم — فهذه المدارس كانت متمتعة بالحرية في بث العلوم تحت رعاية دولها واكثرها جنوحاً الى استقلال الفكر المدارس الاميركانية

والجمعيات على اختلاف غاياتها تدعو الى اتحاد القلوب فهي تخالف سياسة عبد الحميد فلما تولى العرش كانت الجمعيات قد اخذت بالظهور في المملكة العثمانيـة ولا سيما في زمن مـدحت واعوانه فتشكلت الجمعيات تلقى فيها الخطب وتدور المناقشات وفيها الجمعيات السياسية والعلمية والادبية والخيرية والدينية فجعل همه محاربتها ومنع تشكيلها حتى الخيرية منها فكثيرًا ما حلوها بحجة انها تنطوي على غرض سياسي . وقد تكون التهمة في محلها لان الشعب المستنير كان يميل الى الاجتماع والتضافر على قلب الحكومة الظالمة فينتحل اسم الجمعية الخيرية للغرض السياسي . وكان للماسونية فضل كبير في هذا السبيل

٣ ـ مطاردة الاحرار والتجسس

وعجز عبد الحميد مع ذلك عن مقاومة تيار التمدن فانتشرت مبادىء الحرية في المدن القريبة من بلاد الحرية بما تلقاه اهلها في المدارس الاجنبية او ما كانوا يطالعونه من الكتب بظل الحمايات الاجنبية او بالمهاجرة الى تلك البلاد بمصر واميركا واوربا ـ فتكاثر الاحرار المطالبون بالدستور والقائمون على الحكومة الظالمة فاصبح همّ السلطان مطاردتهم والفتك بهم سرًا او جهرًا فقتل بعضهم بالسم والقى جماعة في مياه البوسفور فذهبوا طعامًا للاسماك والى ذلك اشار حافظ بقوله يصف عبد الحميد :

مشبع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنود

وكم ابعد من الاحرار الى اطراف البلاد شرقًا وغربًا وجنوبًا ليموتوا جوعًا وفقرًا . وقد فصلنا ذلك في كلامنا عن الانقلاب العثماني في الهلال الاول من هذه السنة تحت عنوان « العثمانيون الاحرار » ويقدرون جملة الذين قتلوا في اثناء تلك المطاردة في مدة حكم عبد الحميد بنحو ١٠٠٠٠ نفس معظمهم من الادباء الاحرار غير مئات الالوف من قتلى المذابح

واتخذ عبد الحميـد لمطاردة الاحرار وعرقلة مساعيهم طغمة الجواسيس ينفق عليهـا الاموال ويذعن لما تقوله فكم قتل من الابرياء اعتمادًا على قول الجواسيس فكان يقتل على التهمة اتبع بها سياسة العباسيين كما اتبعها في سياسة التقسيم . وقد فصلنا تاريخ الجاسوسية بالمملكة العثمانية في الهلال الاول من هذه السنة ايضًا

٤ ـ تبديد الاموال

ان انشاء طغمة الجواسيس لمطاردة الاحرار اقتضت بذل المال الكثير وقدروا ما كان ينفقه في هذا السبيل بملايين الجنيهات قتل بها الوفًا من الناس ـ على ان الحكومة

كانت في ايامه تدفع رواتب لجماعات عليهم اسم الموظفين وماهم الا خدمته في اغراضه او محبوسون بامره في الاستانة تصرف اليهم نفقاتهم ثمن السكوت والاغضاء . وقد انعم على بعضهم بالرتب العالية وفيهم عشرات من المشيرين ولا يزيد عدد أصحاب هذه الرتبة في الدول الاخرى على عدد اصابع اليد الواحدة . وانما منحهم هذه الرتب ليحق لهم تقاضي الرواتب استرضاء لهم وزاد رواتب الوزراء وفرض الرواتب لاناس لاوظيفة لهم . وهذه اسماء بعض المصالح التي وجدت لقبض الرواتب ومقدار رواتبهم الشهرية :

جنيه	
٦,٠٠٠	رواتب اعضاء شورى الدولة
٦٥٠	« « مجلس المعارف
٥٠٠	« « الجمعية الرسومية
٤٥٠	« « مجلس البلدية
١٠,٠٠٠	« القواد الحائزين على رتبة المشيرية وهم ٤٠ مشيراً
١٠,٩٢٠	« « « « « فريق « ١٥٦ فريقاً
٩,٠٠٠	« « « « « لواء « ٣٠٠ لواء
١,٠٢٤	« الياوران الخصوصيين ٢٥٧ ياوراً
٣٥,٥٤٤	

هذه رواتب شهرية تبلغ في السنة نحو نصف مليون جنيه . اضف اليها الزيادات التي كان يسترضي بها السلطان صنائعه من الوزراء وغيرهم وهي كثيرة ايضاً . كان راتب الصدر الاعظم ٣٠٠ جنيه عثماني فجعله ١,٢٠٠ جنيه . ورواتب سائر الوزراء جعلها ٥٠٠ جنيه بعد ان كانت ٢٥٠ جنيهاً . وجعل راتب شيخ الاسلام ٦٠٠ جنيه وفرض الرواتب للمشايخ كابي الهدى والشيخ ظافر ونحوهما غير ما كان يسلبه هؤلاء وغيرهم من الاموال بغير وجه الحق

والحكومة من الجهة الاخرى في ضيق مالي تعجز معه عن اداء رواتب العساكر وصغار المأمورين فلا يقبض احدهم راتبه الا نادراً وانما تفرق الاموال في رجال المابين حاشية السلطان عبد الحميد وهم اهل الدولة واصحاب النفوذ

حاشيته واعوانه

يراد بحاشية عبد الحميد واعوانه اهل المابين . والمابين يطلق في اللغة التركية على حجرة في القصر لها بابان باب يؤدي الى جهة الحرم وباب الى جهة الخدم . واطلقت في الدولة العثمانية على السراي السلطانية كما يطلق لفظ عابدين على السراي الخديوية

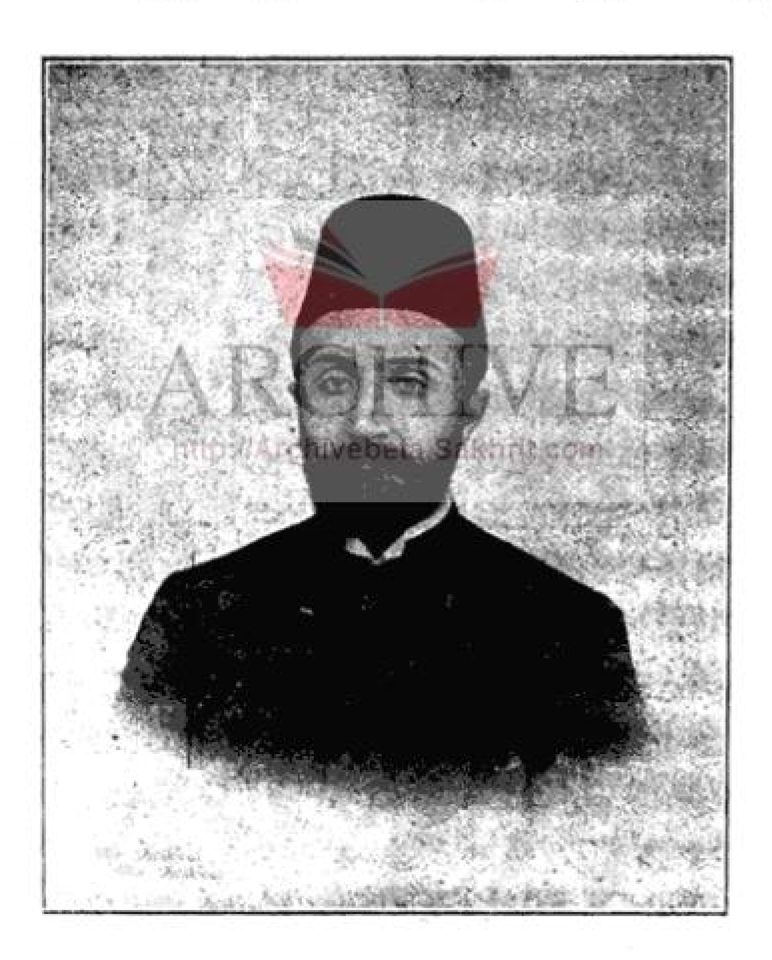
والسراي السلطانية ويطلق عليها ايضاً اسم « يلدز » مؤلفة من دوائر عديدة نقتصر على ما يختص منها بالحاشية اي الدوائر التي كان يقيم فيها اعوان عبد الحميد وهي : دائرة الجيب الهمايوني ودائرة الباشكاتب ودائرة المابينجية ودائرة الباش اغا ودائرة الجواسيس . وقد عولنا في تحقيق ذلك على ما كتبه المرحوم ابراهيم بك المويلحي في ابان سلطة عبد الحميد

والداخل على السراي السلطانية يمرُّ اولاً بالباب الخارجي وهو العتبة ويسمونها « عتبه فلك مرتبة » اي التي في مرتبة الفلك فيجد الداخل نحو ١٥ من البوابين ثم يستطرق الى حجرة لها اربع نوافذ فيها كاتب معه دفتر يكتب فيه اسماء الداخلين والخارجين . فاذا جاءهم مجهول سالوه عن اسمه وعمن يريد مقابلته ثم يوقفونه ريثما يذهب احدهم فيسأل من يريد الرجل مقابلته فان رضي بدخوله ادخلوه بعد ان يأخذوا ما معه من عصا او مظلة ويكتبوا اسمه واسم من دخل عنده ثم يقابلون في آخر اليوم اسماء الخارجين بالداخلين وبعدها يقدمون الدفتر الى مكلف غير دائم بقراءته فان راى فيه غريباً عرض اسمه واسم من دخل عنده الى السلطان وهو ينظر في الطريقة التي يختارها من طرقه المختلفة لاكتشاف حال الداخل والعلاقة مع مدخله — اما الدوائر فهي :

١ دائرة الجيب الهمايوني : — هي عند باب السراي كانت تحتوي على رئيس ومترجمين عليهم غير وظيفة التجسس ان يترجموا ما يأمر السلطان بترجمته من الجرائد الاوروبية على اختلاف لغاتها ومن اللغة العربية . ولا يخفى ما يستطيعون دسه من المغامز والدسائس . وكان في تلك الدائرة قاعة للاضياف الاجانب الذين يقصدون رؤية الموكب السلطاني يوم الجمعة فيجتمع فيها احياناً نحو ٥٠ شخصاً من السفراء والامراء الاجنبيين بنسائهم واولادهم لمشاهدة ما لا مثيل له في بلادهم من الابهة والزينة ويشاهدون الخيول العربية بعساكرها الشاهانية صفوفاً والرعية على اختلافها وقوفاً والقواد بملابسهم الذهبية ونياشينهم الجوهرة يحيطون بالمركبة المذهبة وفيها السلطان عبد الحميد . ويرسل السلطان

رجلاً من خاصته يبلغ سلامه الى الضيوف

٢ دائرة الباشكاتب : — كانت اجل الدوائر قدراً واهمها عملاً تحتوي على الباشكاتب وعلى عشرين كاتباً من ذوي الرتبة الثانية الى رتبة بالا وهم من الشبان الناشئين على الاخلاق الجديدة وكلهم عيون على الباشكاتب وهو عين عليهم • وقد باعد الشقاق بينهم فتراهم جميعاً وقلوبهم شتى • وكان الباشكاتب الواسطة العظمى بين السلطان والحكومة اي يبلغ ارادته واوامره الى الصدر الاعظم او شيخ الاسلام • واشهر اولئك الباشكتاب واقربهم عهداً منا تحسين باشا • وقد نال هذا المنصب بالدالة والوساطة



تحسين باشا في ابان نفوذه

وعلى الباشكاتب ترد جميع الاوراق الرسمية من الباب العالي ومن المشيخة الاسلامية ومن سائر النظارات وسائر الولايات وتصدر عنه الى الباب العالي وجميع الجهات • وهو

يبعث بملخصاتها لتوضع على المكتبة السلطانية فيتلقى عنها الارادات بتبليغ المابينجية او من يأمره السلطان بالتبليغ من الذين في الحضرة الشاهانية • والباشكاتب يبعث بالارادات السنية بامضائه في اوراق صغيرة الى الصدر الاعظم اوالى من تخصهم من الوكلاء والوزراء

وحين يستلم الصدر الاعظم او غيره تلك الارادات يكتب على ورقة المرسل بها ساعة الاستلام و الدقيقة • ولدى الباشكاتب دفتر يكتب فيه المبلغ للارادة وصورتها ودقيقة صدورها ويمضي ما يكتبه بامضائه • وهذه عادة جديدة لم تكن من قبل احدثها ارتكاب بعض المبلغين تبليغ ارادات لا أصل لها

وكان الباشكاتب ركناً عظيماً من اركان الجواسيس في السراي وهو يعرض فوق وظيفته الرسمية العليا اوراق الخفيات التي ترد عليه منهم • ولها النصيب الاوفر من عنايته واهتمامه فلاتلبث في يده الا ريثما يتناولها فيبعث بها الى الحجرة الشاهانية فتذهب اسرع من منحدر سائل فيتلقى عنها الارادة في الحال سواء كانت ارادة استنطاق او استيضاح او التفات او احسان على من قدمها • بخلاف الاوراق الرسمية او اوراق ذوي الحاجات فان لها طريقاً في العرض لايتغير وربما تأخرت شهوراً او جاء عليها تيار الاوراق الاخرى ولاينفع البحث عنها

٣ دائرة المابينجية: — المابينجي نسبة الى المابين ويراد بالمابينجية جماعة اختصهم عبد الحميد بالاقتراب منه جعلهم وسيلة بينه وبين الناس • ولذلك كان لهم من النفوذ والتأثير شيء كثير ويطلق عليهم اسم القرناء وقد وصفهم المويلحي بقوله « وهم القابضون على الارواح والاموال والاعراض في ما بقي للدولة في الآفاق من يلدز الى العراق المتصرفون فيها بما ارادوا فلا يسكن لصدر خفقان الا اذا اتصل بسبب من خدمة لم يخدمها وطاعة لاوامرهم يظهرها ومظلمة لاجلهم يحتملها وخيانة لمولاه في هوامٍ يرتكبها »

والمابينجية ستة عليهم رئيس كان في ذلك العهد الحاج علي بك • وهم من اهل الثروة الواسعة قدر بعضهم ثروة احدهم راغب بك بثمانمائة الف جنيه وبعد ان كان فقيراً لا يملك نقيراً • والمابينجية يتناوبون الخدمة فيجلس صاحب النوبة على باب الحجرة التي يجلس فيها السلطان ينتظر الامر لتبليغ الارادات الى الباشكاتب اوغيره • وكان للحاج علي بك حجرة خاصة يرد عليه فيها الوافدون واصحاب الحاجات فيتوسط بينهم وبين السلطان في التبليغ • وهو تابع للطريقة الكيلانية وله ولع بالكلام عن الطرق وتفضيل بعضها على بعض وكثيراً ما تشاجر مع ابي الهدى لان طريقة هذا رفاعية

٤ دائرة الباش آغا : — الباش آغا رئيس الخصيان ولكن بلغ من منزلة بعض الاغوات

في المابين مالم يبلغه كبار القواد والفاتحين او رجال السياسة المحنكون . وممن اشتهر من رؤساء الخصيان بالنفوذ بهرام آغا – ذكروا مثالاً لذلك ان زكي باشا الذي اتهم باضرام نار الحوادث الارمنية دخل على بهرام آغا في مجلس حافل بالوزراء والكبراء حين ارادت الدولة ان تبعثه قائداً على عساكرها في طرابلس الغرب فوقف بين يدي الاغا وقال «يامولاي ان الدولة عينت عبدكم قائداً على عساكرها في طرابلس الغرب ولي أمنية ألتمس من عنايتكم تحقيقها لتكون لي حرزاً من ريب الدهر وهي تقبيل يدكم الشريفة» فقهقه الاغا وقال له «متى وصل قدركم ان يتعدى رجلي الى يدي ؟»

ومن هذا القبيل ان امبراطور المانيا ارسل الى السلطان عبد الحميد نشان النسر الاسود مع برنس الماني فانزله ضيفاً في السراي وقيل لبهرام آغا ان اللائق ان تذهب لزيارته فقال «كيف ازوره وانا التس وهو التس Altesse» ويقال انه هو الذي اشار على السلطان ان لايرسل الجند الى مصر كما تقدم ولما مات خلفه شرف الدين آغا ثم نادر آغا وغيره



عبد الحميد نازلاً من مركبته في يلدز بعد الدستور سنة ١٩٠٨

ومن جماعة الخصيان طائفة المصاحبين وهم يشبهون المابينجية من حيث تبليغ الارادات وقد يلقب بالمصاحب غير الخصيان . وللمصاحبين رئيس كان في ذلك العهد جوهر آغا يليه مظفر آغا وعبد الغني آغا ولكل خصي من اولئك الخصيان طريقة من الطرق كالشاذلية والكيلانية والقادرية والرفاعية فيقادون لمشائخهم و ينفذون اغراضهم

٥ دائرة الياوران : — وهي تحتوي على فحول القواد وقروم الابطال الا انهم غلبوا

على امرهم فكسروا جفونهم للمطامع . والياوران ثلاث طبقات : ياور . وياور اكرم . وياور فخري . وعليهم رئيس يسمى سر ياور . وكان في ذلك العهد محمد باشا صهر السلطان . وعدد الياوران ١٢٠ والياوران الاكارم نحو ٢٠ كلهم من اعاظم المشيرين . والياوران الفخريون ١٣٠ تتفاوت رتبهم من رتبة الملازم الى المشير مما لم يسبق له مثيل

والياور الاكرم فوق كل المراتب قدراً لكن الصدر الاعظم جواد باشا يوقع على اوامر الدولة بقوله « صدر اعظم وياور اكرم » افتخاراً بالياورية . ومن الياوران الاكرم عثمان باشا الغازي بطل بلافنا وكان للسلطان التفات خاص اليه فزوج بنتيه من ابنيه . ومنهم مختار باشا الغازي وهو من اعظم القواد فضيلة واعزهم نفساً وكان مع تقربه من عبد الحميد شديد المحافظة على عزة نفسه وحرية ضميره . ودرويش باشا وهو البني الاصل انفذه السلطان الى مصر لاخماد الفتنة العرابية فعاد وقد زادت اضطراماً . واسماعيل باشا الكردي وله منزلة في بلاد الاكراد كما كانت منزلة درويش في البانيا . ولعل السلطان قربهما ليستعين بنفوذهما عند الحاجة . ومنهم شاكر باشا وكان سفيراً للدولة في روسيا . وفواد باشا المصري وتفتخر مصر بعزة نفسه وغيرهم . اما الجواسيس فقد كان لهم دائرة خاصة في السراي السلطانية ولما تكاثروا بطل ذلك الاختصاص

المشايخ

بقي ان نقول كلمة عن المشائخ الذين اختصهم عبد الحميد بقربه وهم اربعة ابو الهدى الحلبي واحمد اسعد القيصرلي المدني والسيد فضل باشا المليباري المكي والشيخ محمد ظافر المدني المغربي وكلهم عربي او تعرب . واختلف الناس في سبب تقديمهم والغالب انه اراد اكتساب قلوب العرب بهم لاعتقاده نفوذهم في بلادهم وقد رأيت ان كل واحد منهم جاء من قطر عربي . وظن آخرون انه قدمهم لاستطلاع الغيب بما يزعمونه من الكرامة والولاية

وفد ابو الهدى على الاستانة في اواخر حكم عبد العزيز في زي اهل الطرق فاخذ ينشد الذكر في احدى التكايا ويضرب على الدف على رسم الطريقة الرفاعية وله شعر مرسل كالرفاعية .. وهو حسن الصوت صبيح الوجه زكي الفواد فجذب اليه نفوس بعض الامراء المتصوفين من اهل الاستانة و يقولون ان السلطان عبد الحميد رأى رؤيا قصها على حالت باشا وهو من اصحاب ابي الهدى فدله عليه ففسر الرؤيا تفسيراً اعجب السلطان فاحسن اليه فانصرف

وعاد بعد ايام الى المابين وقال ان النبي جاءه في الرؤيا وامره ان يبلغ السلطان كلاماً بلا واسطة فاذن له السلطان بمقابلة خصوصية وهو لا يعرف التركية والسلطان لا يعرف العربية . واراد السلطان ان يكون بهرام آغا المترجم بينهما فأبى ابو الهدى وقال انه يبلغه الرسالة بالتركية كما لقنه النبي اياها . فخلا به فبلغه رسالة لا يعلم احد ما هي الى اليوم ونال بها الحظوى عند السلطان من ذلك الحين

والشيخ احمد اسعد القيصرلي المدني تركي الاصل لكنه ولد في المدينة بعد ان تعربت اسرته وكان من الذين يطوفون على الامراء في البلاد للنيابة عمن له حصة منهم في الفراشة النبوية فيقوم مقامه في خدمة الروضة الشريفة . فقدم الاستانة وتردد على السلطان عبد العزيز مراراً وناب عنه في تلك الخدمة . ولما جلس عبد الحميد نال السيد اسعد مكافأة الخادم الامين لانه بشره بالخلافة وما زال يزداد قرباً و بسطة حتى صارت له دائرة خاصة . ولعبد الحميد ثقة بكرامته في شفاء الامراض وهو عامي لا يعرف شيئاً من العلوم والمعارف ولكنه يوقر نفسه بالصمت . وكان يزعم انه من السلالة النبوية في نسبه فتداركه ابو الهدى ووهبه نسبه الرفاعي فجعله عمه بالنسب فذهب ما كان في نفس السيد اسعد من الموجدة لابي المدى وتصالحا واتحدا على خلاف القاعدة المتبعة في سياسة المابين . ولهذين الرجلين تأثير كبير في سياسة عبد الحميد يطول بنا ذكرها

والشيخ فضل باشا اصله من اهل مليبار واختاره اهل ظفار اميراً فتولى امرهم واراد ان يعاملهم بالاستبداد فقاموا عليه واعانهم الانكليز على اخراجه فجاء الاستانة في زمن عبد العزيز يستصرخ الدولة لتعطيه قوة يدخل بها ظفار فلم تعطه . وكانت له صداقة مع شريف مكة يومئذ فتوسط له لدى عبد الحميد لما تولى فاحسن اليه برتبة الوزارة فاحضر اولاده واستقر في الاستانة وتقرب من السلطان

والشيخ محمد ظافر المغربي من جهة طرابلس الغرب وسكن المدينة فانتسب اليها وله طريقة انتزعها من الطريقة الشاذلية يدعو اليها وتردد على مصر مراراً واتصل بالسلطان بواسطة اخيه الشيخ حمزة وكان في الاستانة في زمن عبد العزيز وله معرفة بعبد الحميد افندي وهو يعلم رغبته في استطلاع الغيب فاخبره ان اخاه الشيخ ظافراً يعرف الغيب فطلب اليه ان يستقدمه فاتى و بشره انه يتولى العرش العثماني سنة ١٢٩٣ هـ فاستغرب قوله لوجود عمه واخيه مراد في قيد الحياة . ولما صدق قوله قربه عبد الحميد اليه كثيراً . وكان كل من هولاء المشائخ يتسابق الى النفوذ عند السلطان بالطعن في رفاقه والسلطان يسره تفرقهم لئلا يجتمعوا عليه

عواقب تلك السياسة

ماذا ترجو ان تكون عاقبة تلك السياسة الخرقاء غير الانحطاط والتقهقر وذهاب الامن وضياع الحقوق واهمال الزراعة والصناعة والتجارة وفساد الاخلاق والفقر والذل — يقال في الحكم المأثورة «ان الناس على دين ملوكهم» ويقول «ان الناس يكونون كما يكون ملوكهم» حتى في البلاد الدستورية لان الانسان ميال بفطرته الى تقليد الكبراء في اخلاقهم وعاداتهم وسائر احوالهم — وهل في الارض اكبر من الملك؟ فاذا كان تقياً عمت التقوى بلاده او كان معطلاً انتشر التعطيل بين رعاياه واذا كان مكبراً كثر المكبرون في ايامه او كان مقتصداً اقتصدوا او مسرفاً اسرفوا او صادقاً صدقوا او كاذباً كذبوا. وهم يقلدونه بلباسه وهندامه فاذا ارسل شعره ارسلوا شعورهم او فتل شاربيه فتلوهما او اطال قبعته اطالوها — يفعلون ذلك من تلقاء انفسهم وليس ثمت من يكرههم عليه — فكيف اذا كان الملك مطلقاً مستبداً وقد قبض على الحكومة بيد من حديد واقتضت مطامعه واهواؤه او اغراه مشيروه ان يتخذ مسلكاً خاصاً؟ هل يجد رعاياه مندوحة عن الذهاب معه في ذلك المسلك؟ الا من عصمهم الله بقوة الارادة وكبر النفس فانهم يقاومون ما استطاعوا للمقاومة سبيلا او يخرجون من بلاده فراراً من الذل — ذلك كان شأن عبد الحميد مع رعاياه في ابان سلطانه. وايضاحاً لذلك نقسم النتائج التي نتجت عن خطته السياسية الى اربعة اقسام:

١ — انحطاط البلاد في عوامل المدنية

تقدمت المدنية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر تقدماً سريعاً في العالم المتمدن فتضاعفت الثروة وتكاثرت الاختراعات واتسعت التجارة والصناعة والمملكة العثمانية واقفة جامدة ان لم نقل انها رجعت الى الوراء. راجع الاحصاآت الرسمية لاية دولة من دول اوربا من سنة ١٨٧٦ — ١٩٠٨ تجد النمو ظاهراً في كل فرع من فروعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فقد تضاعفت وارداتها وصادراتها ودخل الحكومة وخرجها. وتضاعف عدد السكان ومساحات الارضين المزروعة وانشئت فيها المعامل والمدارس وتفجرت ينابيع الثروة وتفرقت بين الاهلين فشبع الفلاح. وانشئت الملاجيء لاهل العوز وتحسن حال الناس على الاجمال — تجد هذا التقدم ظاهراً في كل مملكة من ممالك اوربا واميركا الا المملكة العثمانية فانك تجدها تقهقرت الى الوراء في اكثر عوامل المدنية في

التجارة والصناعة والزراعة والعلم والادب وفي عدد السكان . اما الثروة فبدلاً من توزيعها بين العمال واهل الاستقامة والاجتهاد انحصرت في خزائن اهل المطامع والفساد

دعنا من المقابلة بين المملكة العثمانية وممالك اوربا وقابل بينها وبين الولايات التي انسلخت عنها بالامس او خرجت من سيطرتها بالاحتلال او الاستقلال وانظر الى الفرق بين الام وابنائها — هذه مصر وما هي الا جزء من المملكة العثمانية قابل بينها وبين الشام جارتها واختها فانهما متشابهتان اقليماً واثمة وديناً — فمع ما توخاه محمد علي وابناؤه من ادخال الاصلاح الاوربي الى وادي النيل ورغم ما انتاب سوريا من النكبات والمذابح في اواسط القرن الماضي كانت سوريا يوم تولى عبد الحميد العرش العثماني لاتقل عن اختها مصر في اسباب الارتقاء وكانت الصحافة فيها على قرب عهدها قد تقدمت وازدهت وكانت حرة تنتقد الحكام وغيرهم . وانظر الى ما صارت اليه في سلطنة عبد الحميد وقابل ذلك بحال اختها مصر في اثناء تلك المدة

مرَّ على الصحافة السورية اعوام في عهد المراقبة واكثر ما يظهر فيها تزلف وتملق ورياء اذ تجافى ارباب الاقلام عن طرق المواضيع المفيدة خوف العقاب فالفوا الذل واصبحوا اذا ارادوا الكتابة الحرة تعثرت اقلامهم وجمدت قرائحهم . فلما اتاهم النبأ برجوع الدستور بالامس وتحققوا ذهاب المراقبة ظلوا حيناً كانهم في بحران او كالناهض من رقاد عميق او الخارج من الظلمة الشديدة الى النور الباهر لا يعلمون كيف يكتبون . ولا غرابة في ذلك بل الغرابة كيف لم تمت نفوسهم وتجمد قرائحهم وهم رازحون تحت نير الاستبداد يرسفون بتلك الاغلال . فانهم كانوا يماشون مجاري التمدن لايفوتهم الاطلاع على شيء من محدثات المدنية — يفعلون ذلك خلسة تحت خطر القتل او النفي

وقل مثل ذلك في سائر الوسائل الادبية والعلمية فانها ارتقت في مصر عما في سوريا رغم تسابق الافرنج الى انشاء المدارس والكليات في سوريا . ومع ما ننتقده من تقصير مدارس مصر في التعليم فقد تقدمت مصر شوطاً بعيداً في الصحافة والكتابة ونبغ فيها الكتاب والشعراء والصحافيون والعلماء ووقفت سوريا حيث كانت وربما تقهقرت . ولولا ما في السوريين من النشاط الفطري والاستعداد للتقدم مع التجائهم الى المدارس الاجنبية لذهبت حياتهم الادبية

كان سكان سوريا لما تولى عبد الحميد مليوني نفس فصاروا مليون ونصف ? وكان سكان مصر ٥٠٠٠و٦٫٠٠٠ فصاروا ٠٠٠و٠٠٠و١٢ وكان احصاء بيروت منذ ثلاثين سنة ٠٠٠و١٢٠

نقص فرجع الآن الى ١٠٠٠٠٠ أو بقي على حاله . اما القاهرة فكان احصاؤها ٣٥٠٠٠٠ فصار ٨٠٠٠٠٠ وكانت مساحة الارض الزراعية بمصر ٤٠٠٠٠٠٠ فصارت ٧٠٠٠٠٠٠ فدان . ولو استطعنا احصاء الارض الزراعية في سوريا لرأيناها نقصت عما كانت عليه في اول حكمه . واعتبر ذلك في التجارة من مراجعة دخل الجمارك في البلدين فان واردات مصر التجارية كانت سنة ١٨٧٦ نحو خمسة ملايين جنيه فصارت ٢٥ مليونًا . واما في سوريا فلولا ميل اهلها الغريزي الى التجارة لتعطلت تجارتها . ويضيق المقام عن استيفاء الكلام في هذا الموضوع . واعتبر ذلك في كل بلد انسلخ عن المملكة العثمانية او استقل عنها بادارته في بلغاريا ورومانيا والروملي وغيرها — فهل من سبب لهذا التفاوت غير الحكومة ؟ وكانت في العهد الماضي محصورة في عبد الحميد

٢ — مهاجرة السكان

ان المهاجرة من نتائج الاستبداد والظلم فلا غرو اذا هاجر العثمانيون في العهد الماضي بالمئات والالوف . واكثر العثمانيين هجرة الارمن والسوريون واليونان وقد ملأوا العالم بهجرتهم واكثرها الى اميركا وهم يعدون هنالك بمئات الالوف . والمهاجرون تخسرهم بلادهم وتخسر ثمار مواهبهم ويغلب ان يكون المهاجرون من اهل النشاط والعمل فالأولى ان تحتفظ بلادهم بهم للاستفادة من ثمار قرائحهم وهممهم

ويعسر علينا تقدير عدد المهاجرين العثمانيين ومقدار ما خسرته المملكة بنزوحهم فنقتصر على مثل قريب مما بين اظهرنا — هذه بلاد مصر وفيها من المهاجرين العثمانيين السوريون والارمن والاتراك واليونان واكثرهم هاجروا في زمن عبد الحميد ولكل طائفة من هؤلاء متاجر ومزارع ومصارف ومعامل تقدر اثمانها بالملايين . ونقدر ثروة السوريين في القطر المصري بنحو ٣٠٠٠٠٠٠٠ جنيه فقس عليها ثروة سائر العثمانيين بمصر وثروة سائر المهاجرين منهم في اوربا واميركا والبرازيل وغيرها واعتبر كيف كان حال المملكة العثمانية لو كانت حكومتها عادلة واهلها مطمئنون في ديارهم عاملون على احياء تجارتهم وتنشيط زراعتهم

٣ — التفريق بين العناصر والمذاهب

قد رأيت من اعمال عبد الحميد انه اتبع سياسة التقسيم فاحيا التعصب الجنسي والتعصب الديني وايدهما بالجهل فكان من نتائجهما فضلاً عن المذابح الهائلة نمو الضغائن بين الرعايا . فينظر العربي الى أخيه التركي بعين الغيرة وينظر التركي الى العربي بعين الاحتقار . ناهيك بالتعصب الديني الذي اقامه بين المسلمين والمسيحيين فقامت به الفتن وتمكنت

الضنان فاشتغل بها الناس عن اسباب المدنية • وقام في اذهان الامم المتمدنة ان التعصب طبيعي في الشرق فهو لا يرجى قيامه من سقطته • وانحى بعض سياسي اوربا وعلمائها على الاسلام فاتهموه بمخالفته لمبادىء المدنية وزعموا ان المسلمين لا يفلحون لانهم متعصبون وقال المسلمون مثل ذلك في المسيحيين وغيرهم واصبح العثمانيون انفسهم ضعيفي الامل بنهوضهم • فتراهم بعد اعادة الدستور هذه المرة ينظرون الى تعدد العناصر العثمانية واختلاف المذاهب واللغات وقلوبهم تخفق خوفاً منها على الدستور وفيهم من لا يرجو للدولة العثمانية بقاء بسبب تلك الانقسامات

والحقيقة ان التعصب والانقسام ليسا من طبيعة الشرقيين اكثر مما هما من طبائع اهل الغرب ولكنهما تمكنا فينا بتوالي الحكومات الظالمة وبكثرة الجهل وآخرها حكومة العهد الماضي . فاذا خيم علينا العدل والحرية وانتشر التعليم ذهب التعصب وقلت اسباب الانقسام . والامة العثمانيــة على اجمالها لم تبلغ من العلم والتربية مايؤهلها تماماً للدستور كما قلنا في الهلال غير مرة . لانها تحتاج من ذلك الى اكثر مما تحتاج اليه الامم الاخرى بحيث يكون كافياً للتغلب على الانقسامات الدينية والجنسية الخاصة بهذه الامة . وانما نالت الدستور بتعقل الاحرار العثمانيين وحكمتهم وعلو همتهم

وقد طالما أبدينا اعجابنا بما أتاه اولئك الاحرار من قلب الحكومة على هذا الشكل والامة لم يتم استعدادها له وقلنا ان العقبات في تأييد الدستور اكثر من العقبات في نيله» وقد تأيد خوفنا بالحركة الارتجاعية التي حدثت بالامس فانها من أدلة الجهل المتمكن من نفوس الامة . ففضل الاحرار بنيل الدستور اقل كثيراً من فضلهم بالاحتفاظ به لما يحول دون ذلك من فساد الاخلاق والانقسامات المؤسسة على الجهل من عهد الاستبداد كما تقدم ولا سبيل لازالتها بغير العلم والتربية . اعتبر ذلك في مدينة بيروت فقد ضربت الامثال بتعصب اهلها ومنازعاتهم الدينية فلما تعلموا وذهب المحرض على الفتنة والمثير للتعصب باعلان الدستور اتحدوا اتحاد الاخوة ونبذوا التعصب الديني والجنسي . فكل بلد عثماني يناله من اسباب التعليم والتهذيب ما نال بيروت يتحد اهله مثل اتحاد اهلها

٤ — فساد الاخلاق

أنعجب اذا قلنا ان حكومة عبد الحميد افسدت اخلاق الناس ? لا نستغرب ذلك لان اكثر الخلق ضعفاء يستهويهم العوز الى ما يكرهون . وقليل من الناس من يثبت في مقاومة الرذيلة اذا عضه الجوع او جاشت فيه جائشة الطمع . والاكثرون اذا غالبهم

الفقر ارتكبوا في سبيل النجاة منه ما لا يرتكبونه لو ايسروا · فهم يفعلون الشر عن ضعف في نفوسهم لا عن شرّ في طبيعتهم واكثر الناس من هذا النوع · اما الذين يولدون اشراراً ويفعلون الشر رغبة في الشر فانهم قليلون · واقل منهم من يتمسك بالفضيلة من اجل الفضيلة لا يبالي بما يقاسيه في سبيل ذلك من جوع او اضطهاد — على تفاوت بين هؤلاء لا يمكن تحديده

فاذا كان اكثر الناس عرضة للوقوع في الرذيلة من تلقاء انفسهم التماساً للنفع فكيف اذا شجعهم على ذلك حاكمهم او امامهم بان جعل الثروة والجاه جزاء للخيانة والغدر والكذب · وهل فات عبد الحميد باب من ابواب التغرير لم يفسد به اخلاق الامة ؟ ألم يجعل الجاسوسية من اوسع ابواب الرزق وهي من اقبح الرذائل لما تقتضيه من الوشاية والنميمة وما تجر اليه من خراب البيوت وقتل النفوس · وكم حمل الناس على قتل الناس اغراء بالمال او الجاه ؟ وكم كافأ المفسدين ورقى الخائنين وضرب على ايدي الامناء الصادقين وابعد الاحرار المخلصين ؟ فالتف حوله اهل المطامع وقبضوا على ازمة الدولة وساروا في معاملة موظفيهم واتباعهم على الخطة التي ساروا عليها هم · فانتشر الفساد في رجال الحكومة وتفشت الرشوة بين اظهرهم وتطرق ذلك الى الامة فصار التاجر يفتخر انه غش الحكومة بتهريب بضاعته بلا جمرك والصانع يستسهل هضم ما عليه من ضريبة او مال · وتفشى الكذب وذهبت الحرية الشخصية واصبح معول الناس في معاملاتهم بالاكثر على المداجاة — او اصبحت المداجاة على الاقل من السلع الرائجة لان رجال الحكومة يتقاضونها مع رواتبهم !

ففسدت احكام الدولة وتصدر فيها اهل التملق واسندت المناصب الى الذين ينفذون ارادة السلطان وفيهم جماعة كبيرة من المغلوبين على امرهم ساروا مع التيار التماساً للرزق لانهم لا يعرفون باباً للارتزاق غير الخدمة الاميرية · ومنهم من فطر على الشر فزاد في اسباب الفساد من عند نفسه · والامة في خلال ذلك مسوقة بمجاري الاحوال الى مجاراة رجال الحل والعقد

فانتشر الرياء والتملق والنميمة في صغار النفوس وقاسى الاحرار كبار النفوس الامور العظام في مقاومة ذلك التيار العظيم ومات منهم الوف كمداً و يأساً واضطر بعضهم الى الرجوع عن جهادهم فلازموا السكوت فراراً من القتل او مرارة الفقر ولذلك كان بين اصحاب العهد القديم كثيرون يستحقون الاغضاء عن ماضيهم للانتفاع بمواهبهم · ولا نظن رجال الدستور يغفلون عن ذلك لما فيه من الاستقواء وجمع الكلمة ومنع القيل والقال

وسنصف يلدز ومواكب السلطان في فرصة اخرى

هل في الوجود عالم آخر

حضرة صاحب الهلال

لما كتبت اليك موجزاً ومشيراً لم يكن قصدي ان افتح معك باب المساجلة في مسألة اعتقادية خلافية تتعلق بالمبدإ والمعاد خشية ان يجرنا الدخول في ذلك الى اخذ ورد لا ينتهيان لاختلاف نظر كل واحد فيهما بحسب مواقفه واهوائه و يوقعنا والجمهور معنا في مغالطات اجتهادية عقلية لا يكون معها تهافت الفلاسفة وتهافت التهافت شيئاً مذكوراً

وانما كان قصدي التنبيه الى مسألة علمية بسيطة لا يصح ان يجاز علينا فيها ما قد يجاز في المسائل النظرية العقلية البحتة · وهي نسبة العالم المادي الذي قلت ان نظامه التام يدل على حكمة فائقة — الى العالم الادبي الذي لم تجد فيه هذه الحكمة · وما قلت قولك هذا الغريب في العلم الا لتستخرج منه هذه النتيجة الاغرب في الحكم « من ان الصانع الحكيم لا يعقل ان يتم شيئاً ويدع الآخر ناقصاً فلا بد ان يكون قد أعد الكمال للناقص هنا في عالم آخر هو عالم البعث »

ولا يخفى ما في هذا القول من الاضطراب مع مخالفته للمقرر في العلم الطبيعي من تلازم العالمين الواحد للآخر وتوقف احدهما على الآخر · ولو لم تجعل سندك هذا العلم لتقرير مقدمتك ونتيجتك لما جاز لي الاعتراض عليك

ولقد اشرتُ في ما كتبتُ اليك بكلام صريح الى ان فقد الحكمة من العالم الادبي كما تقول والذي قلت انهُ نقص في الخلق كائنٌ هو نفسه ايضاً في العالم المادي نفسه اذا نظرنا اليه نظرك اي بالنسبة الى غاية الخلق وهو واضح جيداً في عالم الاحياء الذي منهُ الانسان المقصود بالذات من البعث · وكلامي هناك على ما فيه من الاقتضاب كافٍ لان ينبه من ذهب عليه ذلك لا لنقص في العلم بل لباعث آخر غلبه فيه فصرفه عنه لعله يراجع نفسه فيصحح حكمهُ في ما بناه على مثل هذه المسألة العلمية المنافية لغرضه لئلا يكون التشبث بذلك أدعى الى الوقوع في مغالطات علمية أيضاً تكون الجناية فيها مزدوجة على العلم والاعتقاد معاً

على ان بيانك الذي اتيت به بعد ذلك دلني على انك لم تعبأ باهمية هذه الاعضاء الأثرية فلم تعتبرها آثاراً منافية لغاية الخلق الاستقلالي ومنقصة لتلك الحكمة الفائقة في الخلق بل صرفت النظر عنها واخذت تدلني على تلك الحكم الفائقة في نظام العوالم وتوجه

نظري اليها تارة في الافلاك وطوراً في الارض من نظام الاجرام السماوية الى نظام الاجسام الارضية من الانسان فالحيوان فالنبات حتى الجماد

والحق اقول اني غير صعب المراس وان كنت غير متساهل في القياس فجاربتك الى ابعد من مبتغاك ونظرت معك في نظام الافلاك وتحوّل السدم الى شموس واقمار وزدت عليك باني نظرت وحدي الى انحلال هذه الشموس والاقمار ورجوعها الى السدم . ونظرت في حركات الرياح وتساقط الامطار وأعجبني منك قولك فيها « وتسلسل اسبابها » ونظرت الى تحليل المواد وتركيبها على نسب محدودة وقلت في نفسي هل كان يمكن يا ترى غير ذلك . ثم نظرت الى توالد الاحياء من بيضة أو جرثومة ثم قلت ما الحكمة من وجود هذه الاعضاء الاثرية التي لا معنى لها في محفظة هذه البيضة او الجرثومة التي اختصر فيها هذا الخلق البديع المستقل . نظرت في كل ذلك فلم اجد في بعض ما ادركته مما أوسعت له مجال الاسهاب تلك الحكمة المقصودة ولا تلك الغاية المرغوبة . وانما وجدت في سردها من الاطناب ما هو أدعى في بعض المواقف الى الاعجاب . على انك لم تقصد بذلك الا اكثار الادلة لبيان الحكمة الفائقة في الخلق لا بديع ما في قوله ويسألونك عن الاهلة . ولكنهُ بيان لو تدبرناه جيداً لوجدناه يرمي الى ضد ما تقصد فانك قمت تؤيدني من حيث قصدت ان تناقضني . اقول ذلك لا عن تعنت كما ربما تظن بل عن برهان واليك البيان

الذين يقولون بالمعاد في غير هذا العالم هم اصحاب الخلق . وهم اصحاب الخلق الاستقلالي اولاً — قلت اولاً لان بعض هؤلاء يميلون اليوم الى القول بالخلق الكلي — فهؤلاء يجعلون كل جنس مخلوق من المخلوقات التي يتألف منها العالم اجمع خلقاً خاصاً . واخص هذه المخلوقات عندهم الانسان الذي خلق كل شيء من منظور وغير منظور لاجله . فهو عالم مستقل بنفسه علاقتهُ بهذا العالم المنظور عارضة لايلبث ان ينفك عنها الى العالم الآتي غير المنظور الذي هو مقرهُ الدايم والذي علاقته به جوهرية . اليس هذا هو الاعتقاد الشائع الذي تعلم به الكتب الدينية والذي هو اساس اوليتك ؟

ولنحصر كلامنا في هذا الانسان الذي هو محور هذا الاجتهاد من كل هذا البحث بالنظر الى معاده لنرى اولاً ما اذا كانت علاقته بهذا العالم عارضة أم جوهرية . وثانياً لنعلم ما اذا كان الذي يطلق على كل الطبيعة يطلق عليه أيضاً ام هو ممتاز عليها يجوز له الانفراد وحده بامتيازات تجعله فوق الطبيعة للتجرُّد عنها

لا يجوز لي في هذا المقام بالنسبة اليكم ان ادخل معكم في بيان كون الانسان في تكوينه

حيواناً في أعلى درجة من سلم الحيوان تربطه به روابط تدل على انهُ مرتق عنهُ وانه كان في بعض العصور غيره الآن . فاني لا ارتكب مثل هذا الخطأ مع من اعده يعلم ذلك جيداً كما هو مقرَّر اليوم في العلم والذي هو نفسه يقول لي « كم من الحكمة في نمو النبات بتحويل المواد الترابية الى مواد حية وفي نمو الحيوان بتحويل المواد النباتية الى حيوانية ثم ترجع تلك المواد بعد الموت الى التراب » فانتم تعلمون جيداً ان في الاحياء وخصوصاً في الانسان اعضاء اثرية أي زوائد لا معنى لها في خلقه كما هو الآن . وان كنتم تقولون مع ذلك « على اننا اذا تدبرنا هذه الزوائد رأيناها تنحصر في عالم الحياة وهو جزء صغير من المخلوقات »

ولا اقف عند هذا القول لاردَّ عليه بقولي : اما كون عالم الحياة جزءاً صغيراً من المخلوقات ففيه نظر سواء نظرنا اليه بالنسبة الى ارضنا أو بالنسبة الى العوالم الاخرى التي لا نعلم عنها شيئاً من هذا القبيل . وهو في ارضنا ليس صغيراً بالقدر الذي يستفاد من هذا الكلام . وصغيرهُ يكاد يكون مالئاً الارض كلها ومتخللاً كل اجزاء الجماد ولهُ في تحليله وتركيبه وتحولاته شأن عظيم ـ فان هذا البحث ليس من غرضنا هنا . بل اقول انهُ مهما يكن من ذلك فعالم الاحياء جزء مهمٌ جداً في بحثنا لانهُ يشتمل على الانسان الذي هو موضوع البحث في العالم الآخر

وانتم تعلمون ان هذه الاعضاء الاثرية التي ليس لها معنى في تكوين الانسان كما هو الآن كان لها معنى في الماضي يوم كان تكوينه غيرهُ اليوم . وهي كثيرة جداً ولبس المقام مقام بيان وجودها واثبات عدم نفعها فيه ونفعها في سواه كما هو مبسوط في محله وكما تعلمونه جيداً . بل انتم تعلمون ان هذه الآثار اقوى دليل على تسلسل الخلق وترابطه وعلى ان الانسان مشتق من الحيوان بالارتقاء . ولكن بعد هذا العلم ما ذا يكون مقامها في الخلق الاستقلالي واين الحكمة فيها حينئذ ؟ . ولا اخالك تعمد هنا الى القول بان الحكمة التي لا تبدو لنا فيها دليل على جهلنا لا على عدم وجودها . وربما كان يجوز مثل هذا التخلص لولا انك تعلم ان العلم عرف فائدتها لاكتشافه حقيقتها في الاحياء الاخرى الادنى واثبت بذلك ارتباط الانسان بالحيوان بل نشوءهُ عنه واقر ذلك على أساس علمي متين . فهل لنا بعد ذلك مناص من انكار مذهب الخلق الجزئي الاستقلالي والا فكيف يمكن لنا حينئذٍ ان نوفق بين هذا الوصل في المبدإ وذلك الفصل في المعاد وان نسند ذلك الى العلم نفسه ؟ بل كيف يمكن لنا ان نوفق بين الحكمة الفائقة في الخلق ووجود مثل هذا العبث في المخلوقات لان وجود مثل هذه الزوائد غير النافعة فيها والضارة بها احياناً ليس الا عبثاً بالنسبة الى المخلوق نفسه

بل كيف يمكن لنا ان نوفق بين هذا النشوء المتسلسل الذي يثبت لنا ان العوالم بمطلقها التي تبدو لنا اليوم كما هي لم تكن كذلك في الماضي القديم و (بين) مذهب الخالق الكامل الذي يقول ان العوالم ومنها الانسان وجدت بصورتها الحاضرة كما هي الآن — فلم يبق امامك الا القول بالخلق الكلي وهو احسن ما يعتصم به المستمسكون بالخالق اذ ينسبون حينئذٍ كل تحولات الطبيعة الى نواميس عامة مخلوقة هي نفسها وهي العامل الثاني في نشوئها المتسلسل . وانما يبقى عليهم حينئذٍ ان يوفقوا بين ذلك ومبدإ الاديان القائل بان المعاد في غير هذا المكان للانسان وحده وهو لم يكن انساناً كما هو اليوم في اطوار نشوئه ولا هو مستقل عن سواه في مبدئه حتى يجوز له هذا الاستقلال في معاده . وانهم يطلقون البعث حينئذٍ على العالم كله لا باعتبار انتقال موادهِ فيه بتغير صورها بل باعتبار انتقال الطبيعة كلها باعيانها من مكان منظور الى مكان آخر غير منظور ؟ ! — هذا ولا يخفى عليك حينئذ ما يرد على الخلق الكلي نفسه من الاعتراض المعقول من ان الخالق والمخلوق لا يجوز ان يكونا منفصلين والا وجب ان يكون فعل الخَلْق الصادر من الخالق منفصلاً عن الخالق نفسهِ وهو خلف وان كان متصلاً به فكيف يكون هو نفسه غيره وهو خلف ايضاً

على ان هذه الامور المقررة اليوم في العلم والتي تنفي الحكمة من الخالق تصبح ذات شأن عظيم في مذهب النشوء اذ تبين حقيقة هذا الترابط الذي تشير اليه في قولك « ونجد الخلق بجملته تام النظام مترابط الاطراف » لتوقف كل تغيير فيه على تغير في سواه او لاحداث كل تغير فيه تغيراً مناسباً في سواه . وعليه فالعالم في مذهب النشوء لم يكن ولا هو كائن ولن يكون الا منتظماً لناموس عظيم فيه هو ناموس التناسب او المطابقة

وكما ان العالم المادي مترابط ومن هذه الحيثية هو تام النظام في كل العصور فالعالم الادبي اذا نظرنا اليه نظراً علمياً وجدناه لا يخرج عن هذا الحكم فهو مترابط تام النظام ايضاً ولا يجوز ان يكون غير ذلك . لاسيما وان كل الاعمال الادبية متوقفة على نظام المادة نفسها . فقوى الطبيعة من حركة الى حرارة الى نور الى كهربائية الى قوى حيوية الى غير ذلك من تحولات القوى مترابط بعضها ببعض ومترابطة بالمادة نفسها . ووظائف الاعضاء في الاحياء متوقفة على حال هذه الاعضاء كوظيفة التغذية عموماً ووظيفة عضو عضو منها . فكما ان افراز اللعاب عمل من اعمال الغدد اللعابية فالعقل نفسه ليس الا عملاً من اعمال الدماغ بحيث لو انحلت مادة الدماغ الى بسائطها انحل العقل الى القوى المودعة في تلك البسائط ولم يتطاير منه شيء الى الخارج . حتى الوجدان نفسه

الذي يتوهم البعض انه مزية يمتاز بها الانسان على سواه والذي ذكرتموه على صورة تؤيد هذا الامتياز اذا تدبرناه كما ينبغي يظهر لنا انه عام على العوالم كلها مع حفظ النسبة بينها من الانسان الى الحيوان الى النبات الى الجماد . فكلٌ من هذه العوالم يدافع عن نفسه حفظاً لكيانه بحسب مرتبته مما يدل على انه شاعر بذاتيته ولو لم يكن له هذه الشعور لم يكن له ذلك

وما اتيت بهذا البيان لاعارض ايا كان في ايمانه بل لادفع عن القضايا العلمية المغالطات التي قد نجيزها بها على انفسنا وعلى سوانا فنقطع بها تارة ما يوصل ونصل بها اخرى ما يقطع انانية في النفس لنا سابقة لنشوئها فينا معلوم لو تحريناها الى اصولها . وفي اللاهوت النظري ما يغنينا عن ذلك كله للغرض الذي تدفعنا اليه امانينا ويرتاح له وجداننا لا سيما وان المسألة مسألة اعتقادية بحتة

اما قولكم ان كثيرين من العلماء الاعلام لم يستطيعوا النفي البات في مثل هذا المقام فما ذلك بالبرهان على ثبوت دعوى خصوم النفي الذين لا يستطيعون ان يجدوا في العلم دليلاً واحداً للاثبات . وما مقام اللورد كلفن باعظم من مقام اغاسيز نفسه في العلوم الطبيعية فقد كان فيها اعلم من دروين ومع ان دروين بنى مذهبه وايده بابحاث كثيرة مأخوذة عنه فقد كان اغاسيز نفسه من الد خصومه . ولا يثبت ذلك الا امراً واحداً وهو شدة وطأة ناموس الوراثة وخصوصاً ناموس الرجعة كما دلتنا اليوم تصريحات لمبروزو نفسه على ما جاء في المقتطف من انقياده لشعوذة المشعوذين ووهم الواهمين واعتبار ذلك من مرجحات الاعتقاد وبالارواح وما شاكل مع انه كان من اشد انصار الفلسفة العقلية المادية

فالعالم مخلوقاً يحملنا على اعتقاد وجود العبث في الحكمة وهي غير مضطرة. وهو خلف وناشئاً يدلنا على ان هذا العبث ليس بالحقيقة عبثاً بل رابطة ضرورية التسلسل في النشوء والعالم مخلوقاً يحملنا على ان نقطع حيث يجب ان نصل او نصل الى نتيجة كلية لا تنطبق على غاياتنا الجزئية ولا على شيء من العلم . والعالم ناشئاً يدلنا على ان كل ما في الطبيعة منها وبها واليها

وعليه فالذي تقول انه خلق لا ينطبق على الواقع المقرر في العلم الا اذا قلنا انه نشوء والذي تقول انهُ غاية مقصودة لا يصح الا اذا قلنا انهُ نتيجة لازمة . والذي تقول أنه حكمة فائقة هو عبث الا اذا قلنا تناسب ضروري لنشوء مترابط . والذي تذهب الى انه

معاد خاص في غير هذا المكان لايجوز الا اذا قلنا انهُ عود على بدءٍ في هذا المكان . وهذا ما يقوله العلم وان تلجلج في بعض القضايا العلمية المادية فلا يقول سواه كما في هذا القول :

هو الكل في كلٍّ معيداً ومبدياً وما نحن الا فيه من صور الفنا
وليس فناه ما نراه وانما هو العود للاولى هو البعث للأُولى
قضوا فحيينا وانقضينا يعودنا اليهم وغير الكل ليس لهُ البقا

أما الايمان الذي ترتاح اليه نفوس الاكثرين لاسباب تعليلها واضح في مذهب النشوء لا يضيق به مثل هذا الحصر . وهو قام حتى الآن على غير العلم وفي امكانه ان يبقى في غنىً عنه زماناً طويلاً أيضاً . وليس من الحكمة ان نحاول الباسه حلة علمية لا تناسبهُ تنم عن ضعفه أو تكون به كطيلسان ابن حرب — وفي الختام اني معجب بك لسعة فضلك وغزارة علمك وان خالفتك في مثل نتيجتك التي اتصلت اليها والتي كنت اود ان لا أحرج لمعارضتها ولكنك توافقني على ان لا محاباة في العلم كما أنه لا حياء في الدين . وان ساءت ما الذي احرجني قلت مقامك عندي

(مصر) الدكتور شبلي شميل

الهلال لم يقصد صديقنا الحكيم فتح باب الجدال معنا ولا كان ذلك قصدنا فانا من ابعد الناس عن المناظرة في المسائل الدينية اذ يستحيل في اعتقادنا ان ينتهي الجدال باقتناع احد المناظرين . ولكن منزلة الدكتور شميل من العلم والفضل دعتنا الى نشر اعتراضه والرد عليه التماساً للحقيقة باستحثاث قريحته الوقادة واستدرار علمه الواسع لنرى ادلته العلمية التي بنى عليها انكاره الخلق والمعاد وقد اصبنا المراد فجاءنا ردهُ هذا الدال على سعة علمه وكمال ادبه فطالعناه بامعان وروية وهذه خلاصته :

ان قولنا بوجود العالم الآخر يخالف المقرر في العلم الطبيعي وانا قد بنينا هذا القول على وجود النقص في العالم الادبي والعلم ينكر وجود هذا النقص الا اذا اعتبرنا الانسان خلقاً مستقلاً كما تعتبره الاديان الالهية . فيعترض حينئذ على خالقه المستقل بوجود الزوائد او الاعضاء الاثرية فيه فان وجودها وهو خلقٌ مستقلٌ يخالف الحكمة لان الحكمة تقتضي ان لا يخلق عضو لا عمل له ولا فائدة منه . فلا يبقى الا ان الانسان مرتق عن حيوان آخر كان لهذه الزوائد فائدة فيه وهو القول بالخلق الكلي او مذهب النشوء والارتقاء القائل برجوع هذه الموجودات على اختلاف طبائعها الى اصل واحد تفرعت هي عنه بالتنوع

والتحول والتفرع وان الانسان بعض تلك الفروع · وعند ذلك تكون الحكمة تامة في النواميس المادية والادبية · ويراد بالمادية حركات الافلاك والظواهر الجوية ونواميس التحليل والتركيب واحوال الحياة من النمو والتناسل والموت ونحوها · ويراد بالادبية نواميس المعنويات كنظام الاجتماع وتفرع اللغات ونواميس الشرائع والعادات والاقتصاد السياسي — فهذه النواميس الادبية مبنية على تلك النواميس المادية فهي تامة النظام مثلها لانها من جملة مظاهرها · وكما ان الغدة اللعابية تفرز اللعاب فالدماغ « يفرز » العقل وكما ان انحلال الغدة يبطل اللعاب فانحلال الدماغ يبطل العقل · فاذا كانت الحكمة شاملة العالمين المادي والادبي لم تبق حاجة الى عالم آخر لاتمام النقص · وان هذا العالم جارٍ في حركاته وسكناته مضطرًا فلا تجري حركة الا نتيجة حركة سابقة · فظاهر الوجود اضطرارية لا يمكن ان تكون على كيفية أخرى وهي نتيجة لا غاية · وان لا معاد الا ما يجري في الطبيعة في تحول المواد بالتحليل والتركيب وانه يجري في هذا العالم فليس في الوجود عالم آخر

هذه خلاصة ما جاء في ردّه ولو رأينا فيه سدادًا لم يمنعنا من التسليم به « باعث آخر » اذ لا نعرف باعثًا يصرفنا عن الاعتراف بالحق بل نحن نستحي من الحق اذا عرفناه ان لا نرجع اليه · وخصوصًا لان المسألة التي نحن في صددها عظيمة الشأن لارتباطها بمصير الانسان · وما من منكر الا وخطر له التطرف بها وخصوصًا اذا استنار عقله بالعلم الطبيعي وكثيرًا ما يسرع الى انكار ما وراء الطبيعة لانه يرى الحوادث نتائج طبيعية لاسباب طبيعية لا يظهر لسلطة فوق الطبيعة دخل فيها فيقيس سائر الامور عليها · وقد وقعنا في ذلك ونحن نقرأ الطبيعيات حتى اصبحنا اذا رأينا اساتذتنا يذكرون الخالق او الحشر اتهمناهم بالرياء لانهم في نظرنا يعتقدون مثل اعتقادنا ولكنهم يتنافقون · ثم وجدنا بعد اعمال الفكرة طويلاً ان العلم الطبيعي اذا خالف بعض ظواهر الدين فانه لا يخالف حقيقته او جوهره — ولذلك فنحن لا نقول ما نقوله عن باعث او غرض

والقول بالخلق والمعاد والخلود من العقائد القديمة التي اعتقدها الناس بالبديهة من اقدم الازمنة التاريخية الى الآن على تفاوت في التصور واختلاف في التعبير · وقد ايد عقلاؤهم ذلك بالنظر والاعتبار · فما زالوا منذ كانوا لا يعرفون من ظواهر الطبيعة الا شروق الشمس وطلوع الكواكب وسقوط الامطار حتى اخترقوا الافلاك وعرفوا الثوابت والسيارات والسدم والقنوان · ومنذ كانوا يحسبون الماء اصل كل شيء حتى عرفوا العناصر ومركباتها وفحصوا الصغائر فشاهدوا غرائب التبلور وتركيب الانسجة الحية واكتشفوا عوالم الميكروب — كانوا في كل

هذه الاحوال مدفوعين بالاعجاب من هذا النظام الى الاعتقاد بخالق عاقل حكيم وبوجود عالم آخر

وقد سئلنا بالامس هل في العلم ما ينافي الاعتقاد بالعالم الآخر فاجبنا ان العلم اذا لم يستطع اثبات وجود ذلك العالم فهو لاينافيه . وقلنا هناك كما نقول هنا اننا لاندعي الوصول بالعلم الى برهان صريح يثبت ذلك وانما نرجو الاشراف عليه بالاستنتاج والقياس وهما جائزان في العلوم الطبيعية فان الطبيعيين يعتقدون وجود الجواهر الفردة ويعينون خصائصها واحجامها وحركاتها ويبنون على ذلك العلالي والقصور مع ان رأيهم فيها يخالف النواميس الطبيعية من بعض الوجوه كاعتقادهم بوجود « الايثير » يملأ الفراغ بين الجواهر وهو مادة وكل مادة مؤلفة من جواهر بينها فراغ فماذا يملأ هذا الفراغ ؟ فاذا قلنا انه بلا فراغ فهو غير مادة فما هو ! وانما عمدوا الى الرأي الجوهري لتعليل الظواهر الكيماوية — واعتبر ذلك في كثير من آرائهم — فلا حرج علينا اذا جعلنا الاستنتاج معولنا

ونتقدم الى صديقنا الدكتور ان لا يسيء الظن في الذين يخالفون رأيه في هذه المسألة من اهل العلم فينسب اليهم الرياء او يتهمهم بالرجوع الى الاصل فاذا جاز لنا ذلك اصبح الكل متهمين . ولكن المفكر اذا اخلص النية في البحث قد يرجع الى الصواب بعد الانغماس في الخطأ اعواماً . وقد يكون سبب رجوعه تغيراً في دماغه — واكثر اسباب الاختلاف بين الاعتقادات يرجع الى الاختلاف في الادمغة آلات الفكر . ولكن اقرب الاراء الى الصواب اكثرها مطابقة للواقع

لا احتج عليك باجماع الناس على هذا الاعتقاد وانه من البديهيات الوجدانية التي يشعر بها الانسان من تلقاء نفسه وانما اخاطبك بالنشوء والارتقاء وهما عمدتك في ردك . وقد افضت في الاستدلال على ان القول بالخلق المستقل مناف للعلم وانا لم اقل بهذا الخلق ولكنك رايت قولي بوجود العالم الآخر يشابه قولهم فيه فظننتني منهم لاعتقادك ان القول بالخلق الكلي او النشوء والارتقاء لا يلتحم مع العالم الآخر وهذا ما اخالفك فيه لاني لا ارى منافاة بينهما واليك البيان :

اسلم معك بالنشوء على اجماله وان هذه الموجودات على اختلاف طبائعها تولدت من اصل واحد بالتفرع والتحول اي انها كانت سديماً فصارت اجراماً تولدت فيها الحياة وتفرعت الى انواع الحيوان والنبات . فلنتدبر تاريخ هذا النشوء في عالمنا ونحصر الكلام في ارضنا هذه وما يصح عليها نطلقه على سواها — يقول اصحاب النشوء كانت هذه الارض سديماً اي

كتلة من الغاز شديدة الحرارة الى درجة تكفي لتحويل جميع الصخور والمعادن الى غاز · وطبيعي ان السديم لم يكن فيه اجسام حية لاننا لانعرف حيًّا يعيش على تلك الحرارة العالية · ثم اخذت تلك الكتلة تشع حرارتها وتبرد حتى جمدت وتكوّنت طبقاتها شيئًا فشيئًا في ادهار متطاولة · فلما صارت صالحة للحياة ظهرت فيها الاحياء الدنيئة من النبات والحيوان وتقلبت عليها احوال شتى من النشوء والارتقاء فتفرعت الى انواع الحيوان والنبات المعروفة · ثم تولد الانسان بالارتقاء من حيوان ادنى منه — او ارقى لان النشوء لا يقتضي الصعود في التحول دائمًا · وكان للحيوان الذي ارتقى الانسان عنه اعمال استغنى الانسان عنها فاهملت الاعضاء التي كانت تجري تلك الاعمال فضمرت بالاهمال وهي الاعضاء الأثرية او الزوائد — هذا هو الانسان على رأي اهل النشوء والارتقاء او الخلق الكلي · فعندهم ان ما في الانسان من المواهب العقلية والنفسية لم يختصه بها الخالق عند خلقه كما يقول اصحاب الخلق المستقل وانما تولدت فيه بالانتخاب الطبيعي

وعندهم ان الموجودات بما فيها من الجماد والنبات والحيوان على اختلاف طبائعها ترجع الى اصلين رئيسيين : المادة والقوة · ويريدون بالمادة اصل العناصر التي تتركب منها المواد على اختلاف اشكالها · وان هذه العناصر ترجع الى عنصر واحد يعبرون عنه بالمادة الاصلية · ويريدون بالقوة ان القوى المعروفة كالنور والحرارة والكهربائية والجاذبية ترجع باصلها الى قوة واحدة هي القوة الاصلية او القوة العامة · فعندهم ان كل ما نراه من حركات الافلاك وظواهر الجو الى ادق الاعمال المادية والاعمال الحيوية كنمو النبات والحيوان وتناسلهما الى سائر اعمال الحياة والعقل — كل ما يظهر لنا من ذلك انما هو نتيجة تفاعل المادة والقوة الاصليتين · فكما ان الفرك يولد حرارة والعمل الكيماوي يولد كهربائية او نورًا فالاعمال الحيوية كالتغذية والتناسل انما هي من جملة مظاهر تلك القوى · وما الاعمال العقلية عندهم الا من جملة تلك المظاهر تظهر في الدماغ مثل ظهور الكهربائية بالبطارية · وكما تبطل الكهربائية متى فسدت البطارية فالعقل يبطل متى فسد الدماغ والحياة تبطل عند انحلال الجسم اي لايبقى شيء من ذلك مستقلاً بنفسه وانما يندمج في القوة العامة

فاذا اتضح ذلك اعد النظر معي في تاريخ هذا النشوء من اول عهده : ان الارض وهي سديم لم تكن فيها حياة ثم وجدت الحياة فيها ولا يخفى عليك ان الحي لا يتولد من غير الحي فمن اين اتت جرثومة الحياة الاولى ؟ لا اقول لك ان الخالق اودعها في المادة بنفخة من روحه او انها وجدت اعتباطًا فان كلا القولين يخالف مذهب النشوء كما هو معروف

حتى الآن · فلم يبق الا انها كانت في المادة الاصلية « بالقوة » ثم ظهرت بالفعل · اي انها كانت مستقرة فيها متهيئة للظهور عند سنوح الفرصة المناسبة فلما سنحت تلك الفرصة ظهرت ـ كما تستقر الشجرة في البذرة وتظهر بالنمو · فالحياة في اعتبارهم مظهر من مظاهر القوة العامة ومع ذلك فان عالم الحياة اصبح بها عالماً مستقلاً عن عالم الجماد وليس بينهما موصل

ان وجود الحياة خطوة مهمة جداً في تاريخ النشوء تليها خطوة أخرى ذات اهمية نعني انفصال الحيوان عن النبات والحيوان · ارقاها ويمتاز بطبائع اهمها الحس والحركة واعمال الفكرة ـ فمن اين اتت هذه الطبائع ? يقول اصحاب مذهب النشوء انها من جملة تنوعات القوة الاصلية ظهرت في الحيوان لما سنحت لها الفرصة المناسبة ـ ومع ذلك اصبح الحيوان بها مملكة مستقلة كانه خلق مستقلاً

واعتبر هذا في الانسان ايضاً فقد كان قبل ارتقائه في جملة عالم الحيوان فلما ارتقى وظهرت فيه قوى العقل والنفس اصبح مستقلاً عن سواه لامتيازه بها عن سائر انواع الحيوان كما يمتاز الحيوان عن النبات بالحس والحركة · فهو بهذا الاعتبار مستقل بنفسه مثل استقلال الحيوان عن النبات او استقلال الحي عن غير الحي · فالتسليم بارتقاء الانسان عن الحيوان لا يمنع ان يكون له استقلال ذاتي اكتسبه لما تم تكونه وظهرت فيه القوى الخاصة به كالوجدان والعقل والضمير والشعور الادبي أو الانتقادي كأنه خلق خلقاً مستقلاً فصارت له احكام خصوصية دون سائر الاحياء

فلنقف عند هذا الانسان لانه مدار بحثنا · انه ارقى ما انتجته الطبيعة لكنها غادرته في حيرة يفكر في اصلها ومصيرها فاخذ يتخبط في غياهب الظنون كالسابح في بحر يلتمس الشاطىء وقد صمت اذناه واغلقت عيناه لا يسعفه نظره فيرى نوراً يهتدي به او صخراً يرتكن اليه ولا يسعده سمعه بصوت يناديه فيرشده · وانما اعتماده على اللمس فربما اقترب من الشاطىء حتى كاد يدركه ثم تحول عنه وهو لا يدري · ارأيت تخبط ذلك السابح ? انه اقدر كثيراً على بلوغ الشاطىء من ادراك الانسان حقيقة الوجود

ولا ينبغي لنا الاستخفاف بطبائع الانسان واعماله العقلية وان كانت مرتقية عن الحيوان فانها دليلنا الوحيد في هذا الموضوع ولا ارى حكيمنا الدكتور شميل اكترث بها وقد ضربت له الامثال بالبذرة والبيضة واستقرار القوى فيهما بالقوة · وقلت « ان مجرد تصورنا الحكمة والنظام يقتضي وجودها لان الانسان جزء من الوجود لا ينفصل عنه ووجودهما فيه يدل على انهما اصليان في الوجود العام · · » واعود الآن الى ايضاح ذلك

يشعر كل منا بقوى فيه ـ غير قوى العقل والنطق ـ لا يرى مثلها في سائر انواع الحيوان يهمنا منها في هذا المقام اولاً الوجدان او الشعور بالوجود : وهو غير العقل لان الانسان يعمل فكرته و يستخدم عقله و يشعر وهو يفكر انه موجود وانه يفكر . ولا استدل كما استدل صديقي الدكتور من دفاع الحيوان عن نفسه على وجود الوجدان فيه فان الدفاع عن النفس في اصله من قبيل الاعمال المنعكسة . ثانياً التماس الغاية : وذلك ان الانسان لا يعمل عملاً الا لغرض مقصود مهما تكن وجهته ولا يتصور شيئاً وجد عبثاً بلا غاية . ثالثاً صورة الكمال : فان في ذهن الانسان صورة للكمال يقيس بها تفاوت الاشياء في النقص ولا يرى شيئاً منها يطابق الصورة التي في ذهنه اي لا يرى شيئاً كاملاً . و يصح ذلك بالاكثر على المعنويات القائمة بالنواميس الادبية كما سيأتي . رابعاً الشعور الادبي او الانتقادي : ونريد به حكم الانسان على مايعرض له من حيث الحق والباطل والعدل والظلم ولعل هذا ما يعبرون عنه بالضمير — من منا اذا رأى قوياً يستبد في ضعيف فيسلبه ماله او متاعه ولا يشعر ان ذلك العمل ظلم و ينقم على الظالم ؟ وقد يقع لنا ذلك ونحن نطالع قصة خيالية نعلم انها موضوعة ومع ذلك لانتمالك عن الانتصار للمظلوم فيها . وبهذه القوة نميز بين الحق والباطل و بين الكامل والناقص وهي خاصة بالانسان — وبها رأيناك تشدد الوطأة على القوانين والشرائع ونظام الاجتماع وتنتقدها أمرَّ الانتقاد

فهذه القوى واشباهها سواء كانت نسمة من روح الخالق او بلغ اليها الانسان بالارتقاء فانها موجودة فيه . ولا يقال انها وجدت عبثاً بلا فائدة او غرض فان ذلك يخالف الحكمة في الخلق الكلي الذي تعترف انه تام النظام مترابط الاطراف . وتولدها بالنشوء والارتقاء يقتضي انها من مظاهر القوة العامة فهي طبيعية في الوجود كانت فيه « بالقوة » منذ كانت الارض سديماً ولا ينبغي ان يكون حكمها مخالفاً للحكمة العامة . والشعور الادبي او الانتقادي يدلنا على نقص في الحوادث الادبية او المعنوية او النفسية كما فصلنا ذلك في مقالتنا الاولى عن وجود العالم الآخر في الهلال الثامن من هذه السنة

ونزيد على ذلك الآن ان علاقة النواميس الادبية بالنواميس المادية او « توقف الاعمال الادبية على نظام المادة نفسها » كما قلتم — يقتضي ان تكون هذه الاعمال تامة النظام يرتاح اليها العقل مثل ارتياحه الى حركات الافلاك وناموس الجاذبية والالفة الكيماوية . اي ان يكون للسبب الواحد منها نتيجة واحدة دائماً . فمن نواميس الاجتماع مثلاً ان ينال الانسان من دنياه على قدر سعيه واجتهاده جرياً على ناموس التناسب بين السبب

والنتيجة . وان يفلح الامين الصادق ويفشل الكاذب المنافق عملاً بناموس بقاء الاصلح . ومن الاحكام البديهية ان يسعد الصالح ويشقى الشرير — وهذا هو الغالب في ما نراه من احوال الاجتماع وان اختلف الناس في تعليله بين من ينسبه الى عمل العناية ـ فاذا رأى شريرًا يشقى قال ان الله عاقبه . ومن ينسب ذلك الى نواميس الاجتماع فيقول انه اساء العمل فوقع في شر اعماله بحكم الطبع . ومن هذا القبيل اذا اصيب بعض اهل المنكرات بالآفات البدنية او العقلية فيقولون انه نال جزاء فعلته . ولذلك شاع على الالسنة قولهم « بشر القاتل بالقتل والزاني بالفقر ولو بعد حين »

فهذا وامثاله من الحوادث يقول اصحاب النشوء انها تجري على قواعد اجتماعية وشرائع طبيعية لأنها متوقفة على نواميس مادية تامة النظام فينبغي ان تكون تامة النظام مثلها . فهل هي كذلك ؟ هل يسعد الصالح دائمًا و يشقى الشرير ؟ هل ينال الانسان دائمًا من دنياه على قدر سعيه واجتهاده ؟ وهل ينجح الصادق الامين دائمًا و يفشل الكاذب الخائن ؟ وقد بينا في غير هذا المكان انها ليست كذلك — من منا لا يعرف اناسًا يقضون حياتهم بالسعي والاجتهاد باخلاص وصدق نية ويموتون تعساء ؟ وكم من فاضل يبذل ما في وسعه لخدمة الناس ومعالجة امراضهم وهو يشقى و يعذب . كم من والدة ربت غلامها بتعب يديها ودموع عينيها حتى اذا كبر وآن استثمار غرسها مات وتركها تبكيه وترثيه . . وكم وكم . .

وليست هذه المظالم من قبيل الصدفة فانها ناتجة عن نواميس اجتماعية ثابتة . ومن اثقل تلك النواميس وطأة على الانسانية ناموس الوراثة الذي يختص هذا بنعمة وذاك بنقمة بلا قياس ولا وجه حق . كم من وارث يورثه والداه ثروة طائلة وصحة جيدة ولا فضل له فيبددها بارتكاب الموبقات والافساد في الارض ؟ ووارث يرث عن والديه المرض فيقضي حياته عليلاً سقيمًا ولا ذنب له . ومن شرور الوراثة توريث الملك للظالمين فيشقى بهم ملايين من الناس وذنبهم انهم وجـدوا في عصر ذلك الملك . ومن تلك النواميس أيضًا تغلب القوي على الضعيف فكم يتأتى عنهُ ظلم الضعفاء ولا منجد لهم ؟

ان امثـال هذه الحوادث كثيرة وقد شعر المصلحون (اطباء الاجتماع) بثقلها وارادوا معالجتها فانشأوا الملاجئ والمستشفيات والمدارس والجمعيات وسنوا القوانين فاشبعوا الجائع وعالجوا المريض وعاقبوا الجاني . ولكنهم قلما انصفوا المظلومين ولم يستطيعوا التعويض على الثاكل أو التخفيف عن الارملة واليتيم — انها قروح في جسم الحياة الاجتماعية لاتعالج بغير الدين تأسيًا بالعالم الآخر . وهي التي استدلالنا بها على نقص

في الماجريات الادبية وقلنا بوجود العالم الآخر لاتمامه قياساً على صورة الكمال التي في ذهننا ذلك بما وصلنا اليه بالاستدلال والقياس وهو لا يعدّ برهاناً صريحاً وانما هو ترجيحي يؤيد الاعتقاد البديهي في الدين . أما اثبات ذلك أو انكاره بالعلم وحده فنعترف بعجزنا عنه حتى الآن . ولذلك فنحن نستغرب انكار صديقنا القطعي في هذا الشأن مع ما يعلمه من غموض اسرار هذا الكون الذي لا نعلم حتى الان اذا كان محدوداً أو غير محدود وهل هو ازلي أو محدث وهل هو محصور في ما نستدل عليه بحواسنا — أي هل يجوز لنا انكار وجود ما لم نرهُ أو نلمسه أو نسمع صوته أو نشمه أو نذوقه أو نستدل عليه باحدى هذه الحواس . وهل الحواس الخمس هي كل ما يمكن وجوده من المشاعر ؟ (وفي بعض الحيوان حواس يعرف بها ما لا نقوى نحن على معرفته بحواسنا) وقد اكتشف العلماء في الاعوام الاخيرة ضروباً من الاشعة العجيبة والنواميس الجديدة تشير الى ما هنالك من الاسرار الغامضة — ناهيك بخصائص الراديوم التي كادت تغير نظر العلماء في أصل المادة . وغرائب المانيتزم والهبنوتزم والتليباتي ونحوها مما يحير العقول — فاذا كان هذا مقدار جهلنا حقائق الكون فكيف يجوز لنا الحكم القطعي في حقيقته أو مصيره ؟

بقي ان يعترض على اعتبارنا الانسان خلقاً مستقلاً فيكون حكمه عند ذلك مثل حكم سائر الموجودات وان ما يصيبه من الظلم بالنظر الى استقلاله ليس ظلماً بالنظر الى المجموع لانه واقع عليها كلها بالاضطرار المتسلسل أو الاسباب المترابطة . فاذا صح ذلك اقتضى ان لا يكون للخلق غاية يسير اليها . ونحن مع شعورنا بالعجز عن الحكم القطعي في هذا الشأن بالنظر الى العلم وحده لا نقدر ان نتصور هذا الكون الذي لا يعرف له حدٌّ في الكبر ولا في الصغر — وقد زاد عدد كواكبه التي عرفوا وجودها الى الآن على بضعة وعشرين مليوناً يبعد بعضها عنا نحو ٣٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل فلا يصل نورها الينا الا بعد ٥,٠٠٠ سنة !! واكثرها اكبر حجماً من ارضنا بالوف من المرات . ولا نزال كلما كبرنا التلسكوب اكتشفنا اجراماً جديدة وسدماً جديدة وكلما تعمقنا في درس طبائع الاشياء زاد اعجابنا باسرار الحياة واعمال العقل والخيال — لا نقدر نتصور ان هذا الكون الهائل وجد عبثاً بلا قصد ولا غاية . وان النواميس الطبيعية لا يراد بها غير سياحة الاجرام في الفضاء وتصاعد زفرات البراكين من باطن الارض وتناوب حالات الماء من البحار الى البخار فالامطار فالانهار ! وان عالم الحياة لا يراد به غير تحويل التراب الى نبات ثم الى حيوان . وتناوب التحليل والتركيب بين الاكسجين والكربون في تنفس الحيوان

والنبات • واشتغال الميكروبات ببقايا الاحياء حتى تعيدها الى تراب ؛ ولا ان يكون المراد بالاعمال العقلية والظواهر النفسية مجرد احراق الفصفور أو توليد بعض الحوامض والاملاح — لانقدر نتصوران هذا الخلق انما وجد لهذا التفاعل الاصم بلا غاية متصلة باعماله • فمن لم تتضح له هذه الغاية جليًّا او عسر عليه تصورها فالجنوح الى « اللاأدرية » اولى به من الحكم القطعي بانكارها

مطبوعات جديدة

نظراً لرغبتنا في ختم رواية احمد بن طولون في هذا الهلال مع استيفاء ترجمة عبد الحميد والرد على مقالة « هل في الوجود عالم آخر » لم يبق مكان فيه لسائر الابواب مع اننا زدناه اربع صفحات عن رفاقه • فاكتفينا بذكر المطبوعات الجديدة لئلا يذهب على القراء خبر ظهورها او يطول الى السنة القادمة وهي :

١ ـ الجرائد والمجلات

١ — البرنسيس : مجلة شهرية تبحث في شؤون الجنس اللطيف لمنشئتها « فطنت هانم افندي » ناظرة مدرسة البرنسيس تصدر بالمنصورة بدل اشتراكها عشرون غرشاً بمصر و ٣٠ بالخارج

٢ — التهذيب : جريدة سياسية علمية تصدر في البصرة مرة في الاسبوع لصاحبها باش اعيان زاده محمد امين عالي بدل اشتراكها في الخارج ١٢ فرنكاً

٣ — النفير : هي جريدة سياسية عمرانية لصاحبيها رشيد افندي الحداد وايليا افندي زكا تصدر في حيفا مرة في الاسبوع بدل اشتراكها في الخارج مجيديان

٤ — البريد : جريدة سياسية تصدر في ريوجنايرو بالبرازيل مرة في الاسبوع لصاحبها يوسف افندي ناصيف ضاهر بدل اشتراكها ٢٠ الف ريس

٥ — الكوثر : اعلن بشير افندي رمضان في بيروت انه عزم على انشاء مجلة علمية فنية سياسية سماها الكوثر ومتى صدرت نذكرها

٦ — الايام : جريدة يومية جامعة تصدر في بيروت لصاحبها فائق بك غرغور

وطانيوس افندي عبده ثم استقل بها غرغور بك • بدل اشتراكها ٤ ريالات في بيروت و٢٠ فرنكا في الخارج

٧ — اللاذقية : صحيفة سياسية ادبية تصدر في اللاذقية مرة في الاسبوع لصاحبها محمد افندي سعيد حسن سعيد ومديرها محمد افندي مواهب الازهري بدل اشتراكها مجيديان باللاذقية وثلاثة مجيديات في الخارج

٨ — الحسناء : اعلن جرجي افندي نقولا باز في بيروت انه عزم على انشاء مجلة نسائية سماها الحسناء تبحث في العلم والادب والتاريخ والاخلاق وسنذكرها متى صدرت

٩ — الاصلاح الحجازي : هي جريدة سياسية ادبية تجارية تصدر في جدة مرة في الاسبوع لصاحبها راغب افندي مصطفى توكل ومحررها اديب افندي داود حراوي بدل اشتراكها نصف ليرة عثمانية في جدة ونصف ليرة انكليزية في الخارج

١٠ — الاصلاح : جريدة اسبوعية سياسية اخبارية تصدر في سنغافورا لصاحبها كرامه افندي بلدرم بدل اشتراكها ٣ ريالات ونصف في سنغافورا و٤ في الخارج

٢ـ الكتب والرسائل

١ — تاريخ ادبيات اللغة العربية : هو تقرير قدمه صالح بك علي بصاحب السمو الى البرنس احمد فؤاد رئيس مجلس الجامعة المصرية بيّن فيه اهمية تدريس تاريخ الادبيات العربية وشدة حاجة البلاد اليها فكان له وقع حسن وقررت الجامعة تدريس هذا العلم فيها واقترحت على الادباء تأليف كتاب فيه

٢ — وقاية العين : هو كتاب صحي تأليف الدكتور اسكندر بك جريديني الرمدي الشهير بطنطا ونقله الى الفرنساوية الدكتور كروصار وقد طبعت الترجمة المذكورة في نحو ٢٠٠ صفحة مزينة بالرسوم

٣ ـ نسمات الاوراق : هو ديوان المرحوم الشيخ خليل اليازجي يحتوي على ما نظمه من القصائد والمقاطيع في المقاصد المختلفة وقد صدرت الطبعة الثانية منه وتطلب من مكتبة المعارف ومكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش صاغ

٤ ـ ام الدنيا وابوها : هما كتابان في تاريخ الكون والانسان والمرأة لمؤلفهما علي افندي احمد الشهيدي بنظارة الحربية وبين يدينا الطبعة الثانية منهما وقد ذكر لنا فيما ذلك ان السيد محمد حليم الانصاري احد كتاب الهند اخذ في ترجمتهما الى اللغة الهندستانية واخذ

السيد عثمان زاده الكاتب التركي في نقلهما الى التركية ثمن كل منهما خمسة غروش ويطلبان من مكتبة الهلال

٥ — مفاتيح الغيب : هو سبع رسائل في علم النجوم والزايرجة ونحوهما من العلوم القديمة التي ابان العلم فسادها ولا تزال العامة تعتقد صحتها تأليف الشيخ احمد موسى الزرقاوي ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً غير اجرة البريد

٦ — السموأل او وفاء العرب : هي رواية تمثيلية ذات اربعة فصول تأليف انطون افندي الجميل المحرر في الاهرام وهي من الروايات القليلة التي الفها كتاب العربية في هذا العصر وحازت استحسان الجمهور

٧ — اصول الالفاظ السامية : هي نبذة في اصول الالفاظ العربية والسريانية التي دخلت اللغات الايطالية والاسبانية والافرنسية والانكليزية واليونانية واللاتينية . والفاظ هذه اللغات التي دخلت تينك اللغتين . وملاحق في الكلمات اليونانية في اللغة السريانية وتفسير اعلام اعجمية مستعملة في العربية ونحو ذلك . تأليف القس طوبيا العنيسي الحلبي وهو كتاب فريد في بابه وثمنه ثلاثة فرنكات

٨ — بدائع الشعر في الحماسة والفخر : ديوان جمعه بشير افندي رمضان وطبعه في ٢٥٠ صفحة علق في ذيلها شروحاً وتفاسير مفيدة وهو يباع في مكتبة التاليف بشارع عبد العزيز بمصر وثمن النسخة ثمانية غروش غير اجرة البريد

٩ — زهرة الصبا في روضة الحياة : هو كتاب جمع فوائد ادبية وفصصاً تهذيبية ونظراً في الخلق تاليف عبد العزيز افندي صبري نجل عمدة الخيارية دقهلية و يطلب منهُ

١٠ — ادب النفس : كتاب حوى حكماً وامثالاً تهذيبية لمؤلفه الشيخ علي فواد المنوفي من متخرجي الازهر و يطلب منهُ وثمن النسخة ٥ غروش

١١ — تاريخ التمدن الحديث : هو ملحق هذا السنة من الهلال ويرسل الى مشتركيه مجاناً و يباع لسواهم بعشرين غرشاً واجرة البريد ثلاثة غروش . و يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التاليف بشارع عبد العزيز بمصر

١٢ — احمد بن طولون : هي الحلقة الثالثة عشرة من روايات تاريخ الاسلام تأليف منشىء الهلال وقد تم طبعها . وتطلب من مكتبة الهلال ومكتبة التاليف وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش ونصف

١٣ — قائمة مكتبة التأليف : صدرت قائمة هذه المكتبة وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

٣ ـ تقارير وقوانين وغيرها

جاءنا عدة تقارير وقوانين ولوائح نكتفي بذكر اسمائها وهي (١) تقرير الجمعية الخيرية الاسلامية وحسابها لسنة ١٩٠٨ (٢) القانون الاساسي لنادي الفنون الجميلة المصرية (٣) خلاصة اعمال جمعية الاتحاد السوري الخيرية في طنطا لسنة ١٩٠٨ (٤) تقرير جمعية رعاية الاطفال المصرية وقانونها (٥) تقرير جمعية الخدمة الوطنية الانجيلية في صيدا (٦) قانون جمعية السيدات القبطية بالفيوم (٧) قانون شركة التمدن الصناعية بمصر

اهم المؤلفات العربية

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما الف في العربية من صدر الاسلام الى الآن اي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره افيد سائر الكتب العربية وانفعها · ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر اسماء الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

وكيل الهلال في يافا

نرجو من مشتركي الهلال في يافا ان يعتمدوا الخواجه بطرس كليس وكيلاً له بدلاً من سليم افندي دباس لسبب انحراف صحته · وان يدفعوا اليه بدلات الاشتراك بموجب وصولات بتوقيع مدير الهلال أو منشئه

خاتمة السنة السابعة عشرة

تمتاز هذه السنة عن سائر سني الهلال بخوضها في الشؤون العثمانية على اثر اعلان الدستور ولم ندخر وسعاً في طرق المواضيع التي نعتقد فائدتها وارتياح القراء الى مطالعتها وسنجري على ذلك في المستقبل ان شاء الله

ولنظراً لما آنسناه من زيادة الاقبال في هذا العام حتى اضطررنا الى اعادة طبع بعض اعدادها قد عقدنا النية على ان نبذل الجهد في تحسين الهلال عملاً بالقاعدة التي وضعناها لنفسنا « ان نزيد الهلال تحسيناً كما زادنا القراء اقبالاً » فمن جملة التحسين الذي سندخله على الهلال في السنة القادمة ابدال حروفه بحروف جديدة واضحة واتقان صوره وزيادة العناية في طبعه · فضلاً عن التحسين في المواضيع وانتقاء ما جمع بين الفائدة واللذة · وسنجعل ملحقها كتاب تاريخ آداب اللغة العربية للاسباب التي ذكرناها في الهلال الماضي · والله الموفق في كل حال